مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٢٨ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٦ هـ ٨٥

التقرير الرابع

اعمال المجمع العلمي العربي

« في سني ١٩٢٥ — ١٩٢٦ — ١٩٢٧ »

تقرير رفعه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب « السمو السيد احمد نامي بك رئيس دولة سورية »

مولاي الرئيس المعظم :

نشأة المجمع وغرضه

منذ اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩١٩ وهو اليوم الذي أجابت فيه الحكومة العربية مقترحي ، وعهدت الى ضعفي بالعمل الذي شرفني ، وهو انشاء المجمع العلمي العربي ، لم يبرح مجمعنا يعمل للغرض الذي اجتمع لاجله ، وعقد العزائم على النهوض به . ولم يبدُ في حركته فتور الا من ١ كانون الاول ١٩١٩ الى ٧ ايلول ١٩٢٠ ، عندما اوقفت الحكومة الفيصلية أعماله ايام كانت الفتنة يدب دبيبها بين الساحل والداخل في هذه الديار . ومعلوم ان أعصاب العلم حساسة فهي اول ما يتأثر من أوضاع المجتمع في ايام الهزاهز والزعازع . وقد حدث مثل هذا التراخي

في أعمال المجمع خلال الثورة الشامية الاخيرة ، ولكن لم يظهر اثره كثيراً الا للداخلين فيه ، والناظرين الى حركته بامعان . حتى اذا انجلت الغمرة عاد المجمع يعمل بمضاء أوفر وخبرة أوسع .

في علم سموكم ان أغراض المجمع تدور حول مسائل تعود بأسرها على إنعاش الآداب العربية ، وتلقين اصول البحث والدرس لنبهاء الدارسين ، وقد عُني بوضع ما عرض عليه وضعه من الالفاظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، وأصلح بعض الاوضاع الادارية ، وقوّم ما أمكن لغة الدواوين ، وصحح بعض أغلاط الناثرين والناظمين والخاطبين ، وعاون عدة من المؤلفين والمترجمين على ماهم بسبيله ، ونشط بعض من رأى فيهم استعداداً للكتابة والخطابة وقرض الشعر وألقى من المحاضرات على الرجال والنساء كل طريف من أبحاث الاخصائيين من جماعته وغيرهم ، وصحح بعض المخطوطات القديمة مما تركه السلف ونشر بعضه في سواد الامة ، وبذل جهده في الحرص على آثار السلف ، فجمع بالثقة التي أحرزها ، طائفة عظيمة من الاسفار والآثار ، نشدها في كل مكان وصلت يد طاقته اليه ، ليجعلها وقفاً على الاستفادة في خزائنه .

ومنذ وضع المجمع أساسه لم يخرج عن حدود دعوته العلمية البحتة ، ولذلك صفت مشاربه ، وعاش في ظل سلام ، بمعزل عن النزعات الدينية والنزغات السياسية ، فسهل عليه بهذا ان يشترك مع كل من يخدم الغاية التي يسعى اليها . ولما ظهرت أعماله حاز ثقة كثير من الاندية العلمية في الشرق والغرب ، واستفاضت شهرته وتأفقت ، وعرفت الامة العربية مراميه فاستحسنت صنيعه ، ونشطته باقوالها اكثر من أفعالها . اقول أقوالها لان القول أسهل من العمل ، والعمل جديد في ذاته . وليست الامة بأسرها على مستوى واحد من التهذيب حتى تقدّر الاعمال بقدرها . وما خرج من قاوموا عملنا لاول امره ، عن سيرة كثير من الناس في مقاومة المحدثات ، واستغراب المقصود منها .

المجامع حاجة من حاجات البلاد لا تستغني عنها أمة تريد ان تثبت كفاءتها للحياة الاجتماعية ، وعنايتها بالمطالب العالية . هي قوة تكتسح كل حين جانباً من مجاهل الجهالة ، وتعمرها بمادة العلم الصحيح . والعقلاء على مثل اليقين في انه ان

تتعبد العقبات امام هذا المجمع العلمي ، الا يوم تصبح معاونة المصالح العامة عقيدة راسخة في كل قلب ينبض فيه عرق الوطنية والقومية . ومما يبعث ميت الرجاء فينا ، ان المجمع أثبت بفضل هذه القوة المجتمعة على خدمة العلم ، ان تلك القوة التي كانت ضائعة هي بلا مراء صالحة للعمل النافع . ولولا هذه الكتلة العاملة لذهب ايضاً في جملة ما ذهب هذا الشيء الذي جمع في هذه البرهة القصيرة من المجاميع : عنوان مجد الامة ، ومثال فخارها ، وثمالة ثروتها . وكأن لسان الادب يقول : اكرم بهذه الامة الصغيرة الفقيرة التي استطاعت بالصبر والأناة ان تثبت بهذا النموذج الضئيل انها اهل للرقي وفي جسمها على كثرة ما اعتوره من الامراض الاجتماعية لا تحتاج جراثيم حية الا لمن ينميها ، حتى يتمحض الابناء لما هو مغروس فيهم ، وخدمه آباؤهم في الدهر الغابر اجل خدمة .

مولاي ان القائمين بالمجمع معترفون بان هذا العمل صغير في ذاته ، لا يتسامى بحال الى يفاع عظمتنا التاريخية ، ولا ينم كثيراً عن حضارتنا الباهرة في عهد الدول العربية الرشيدة . وما هذا الا لقلة أسبابه ، وحداثة سنه ، ولكن هذا الصغير لا بأس به بالقياس الى حاضرنا ، والى ما مدّ من الايدي لانعاشه ، وهي ضعيفة منقطعة ، ولولا هذا المنهاج الذي سار على نظامه سيراً متساوقاً في الجملة ، وتقيّل معاهد الغرب في خطواتها ماساعدته الحال — لما قُدّر لهذا العمل المبتدع عندنا النجاح وطول البقاء . ولا يفوتنا ان المجامع والمتاحف وخزائن الكتب التي يبهرنا امرها في الغرب هي ابنة القرون الطويلة ، وما برحت حكوماتها تأخذ بايدي القائمين بها ، وترصد أموالاً طائلة في موازناتها و يقف عليها المحسنون الأموال ، ويخصونها باعلاقهم ومجاميعهم .

المجمع العلمي وحيد في ديار العرب ، ومصر على ما بلغته من استفاضة العلم ووفرة الثروة ، لم توفق حتى يوم الناس هذا الى إنشاء مجمع يليق بمكانتها . وقد صرح مليكها المحبوب صاحب الجلالة فؤاد الاول المعظم ، يوم تشرفي بين يديه الكريمتين في الربيع الماضي ، ان في نيته ان ينشئ مجمعاً علمياً على مثال مجمعنا ، يكون اعضاؤه من عامة ابناء اللغة العربية . « واذا [1] كان الشاميون سبقوا ولا فخر اخوانهم المصريين

(١) من خطاب لواضع هذا التقرير ألقاه في جلسة المجمع العلمي يوم ٢ حزيران ١٩٢٧ .

في هذا العمل النافع، فقد فتح العرب ايضاً الشام قبل ان يفتحوا مصر ببضع سنين . فسبقتنا مصر في تأسيس المجمع أشبه بسبق الشام الى التحضر والتعرب غيرها من بلاد الاسلام في الصدر الاول » . وفي دمشق حدث اول تدوين في الاسلام ، وفي دمشق نُقلت لاول مرة كتب العلوم عن اللغات القديمة الى اللغة العربية ، وفي دمشق أُنشئت اول خزانة كتب عربية . فدمشق سبقت غيرها من حواضر العلم في الاسلام ، وكانت منبعث العقل العربي منذ أظلتها راية الاسلام .

ومما يغتبط به مجمعنا انه كان بين سائر الاندية العلمية في بلاد الشرق الاقرب العربي اول ما دعي الى الاشتراك في تأليف المعلمة العربية التي تنوي المملكة المصرية وضعها الآن ، وأرصدت لها مبلغاً في موازنتها لاخراجها للامة على صورة تليق بحاضرها وغابرها . وسيكون للاخصائيين من رجالاته في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر المقام المحمود بين المؤازرين في هذه المعلمة . لاجرم ان صنعة المعلمة هي أعظم عمل علمي قام حتى الآن في تاريخ العرب بعد نهضتهم الاخيرة . والرجاء ان يثبت المؤازرون من اعضائنا بما ينشرون ان العرب بمجموعهم لا يقلون كثيراً عن بعض أُمم الحضارة الحديثة .

معهد المجمع واستقلاله

ما فتئ المجمع العلمي منذ استولى لاول تأسيسه على المدرسة العادلية الكبرى ، وجعل فيها مقره ، وخص دار الآثار باكثر قاعاتها ، يتذرع باخذ المدرسة الظاهرية الجوانية المناوحة له ، وهي التي وضع تحت قبتها مؤسسو دار الكتب الظاهرية في سنة ١٢٩٦ هـ خزائنهم وقماطرهم ومخطوطاتهم التي جمعوها من عشر مدارس ، ووسدت الولاية عليها للمجمع يوم انشائه ، ليجعل من جميع هذه المدرسة دار كتب عامة ، يجهزها بجهاز دور الكتب في العهد الحديث ، وما قدمت له أُمنيته وهي استصفاء المدرسة بأسرها ونقلت مدرسة نموذج الظاهر الى مكان آخر . تسلمها في الشهر الاخير من السنة الغابرة واخذ يفكر في إرجاعها ما أمكن الى هندستها الاصلية بحيث لا ينبو عنها النظر، ولا يحاذر العبث بجمالها عشاق المصانع والعاديات . فأصبح مقر المجمع ودار الآثار في المدرسة العادلية ، ودار الكتب في المدرسة الظاهرية .

والعادلية والظاهرية بقية مئات من المدارس التي كانت عامرة في القرون الوسطى في هذا البلد وهي العضو الاثري المهم من تلك المعاهد التي كانت من مفاخر الشام وثبتت على ضربات الايام . وان ما بقي من أجنحتهـا دليل على تقدم الهندسة العربية في العصور الغابرة وعلى عناية ملوك هذه الديار بمصانعهم . فقد بدأ نورالدين محمود بن زنكي ببناء العادلية الكبرى ليسكنها الامام قطب الدين النيسابوري ، فهلك الباني والمبني له قبل إنجازها ، ثم عمل فيهـا الملك العادل ابو بكر بن ايوب ولم تتم ، ثم ولده الملك المعظم ووقفها على والده الذي دفن فيها . وهي أعظم مدارس الشافعية تم بناؤها في سنة ٦١٨ هـ .

اما الظاهرية الجوانية فكانت للحنفية والشافعية أنشـأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بيبرس البندقداري ودفن فيهـا هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ هـ والقبة التي دفن فيها وحيدة بنقوشها وجميل بنائها في كل مصانع الشام ، وهي المدرسة الفذة التي رأينـا في زاوية من زواياها اسم مهندسها « ابراهيم بن غنائم » . ولكلتا المدرستين تاريخ مجيد ، درس فيهما من القرن السابع الى القرن الثالث عشر للهجرة زمرة من أعاظم الامة فقهاء ومحدثين ومفسرين ونحويين ولغويين ومؤرخين وأدباء . وفي العـادلية وضع المقدسي تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين ، وفي العادلية عمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، وفي العادلية والظاهرية رنّ صوت خطيب دمشق الجلال القزويني ، وعلى باب العادلية كان يقف ابن مالك النحوي و يدعو الناس لحضور درسه ، ينادي هل من متعلم هل من مستفيد ، والتاريخ يعيد نفسه ، وفي العادلية نزل ابن خلدون فيلسوف العرب أوائل المئة التاسعة . وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى ان لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختـارهما مباءة للمجمع العلمي يقيم فيهما سوق العلم والادب بعد الكساد على النحو الذي كانتا عليه منذ وضع أساسهما نور الدين زنكي والظاهر بيبرس .

نعم ان الباقي من جدران هاتين المدرستين هو آخر المعمور في الجملة من اصل زهاء ثلاثمائة مدرسة في دمشق وصالحيتها ، ينم عن ذوق عال في الاسلاف ، وعن فطرة سليمة في حب العلم . ولكن الايام شعثتهـا كثيراً ، فتوالت عليهما الزلازل

والحرائق في نوبات النثار وغيرها ، واكل لصوص الاوقاف ما حبس ريعه على مصالحها من المزارع والعقارات . ولما استلم المجمع المدرسة العادلية رمّها باكثر من ثلاثة آلاف جنيه مصري ، وما زال كل سنة يرمّ شيئاً فليلاً من جوانبها ويعمد الى الاصلاح الضروري الذي لا مناص منه من غرفها و بهوها وفنائها وقبتها بقدر ما تسمح به حالته المالية . اما الظاهرية فقد تسلمها اليوم مشوهة المحاسن داخلها وخارجها تحتاج الى مبالغ لتصلح حقيقة دار كتب أمام القريب والغريب . وهذا مما ألفت اليه نظر حكومتكم السامية خاصة .

* * *

كان المجمع العلمي يرسف فيما ترسف فيه الدواوين في الحكومات القرطاسية ، من إطالة المعاملات وتحمل القيود على غير طائل ، فطلبت رئاسة المجمع الى ارباب السلطات العليا بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩٢٦ انفصال المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية ، وكان انضم اليها منذ يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٣ ، وان يُجعل مرجعه وزارة المعارف كما كان سابقاً ، وان يكون مستقلاً بأموره المالية له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم . فصدر قرار فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان مؤرخة بيوم ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بنزع المجمع من الجامعة لان المجمع شيء والمدارس شيء آخر .

ان استقلال المجمع يورث أعماله تقدماً وسرعة ، فهو يعرف ما يصلحه . وقد كانت المفاوضات في الورق في الدقيق والجليل مما يضيع عليه الوقت ، و يذهب بالفرص التي قد تسنح له لاقتناء الاعلاق والنفائس وغير ذلك من أعماله المتشعبة . وكم من اثر او سفر أفلت منه لعوزه . وكم من مؤتمر دعي اليه ولاسباب مالية لم يتمكن من ان يندب أحد أعضائه ليمثله فيه . فقد دُعي الى مؤتمر المستشرقين وعيد المئة سنة لتأسيس الجمعية الآسياوية بباريز ، وعيد المئة والخمسين سنة للمجمع العلمي الملوكي في بروكسل ، ومؤتمر المستشرقين الالمان في ليبسيك ، والمؤتمر الجغرافي في القاهرة ، وعيد المائتي سنة لمجمع العلوم الروسي في لينينغراد ، ومؤتمر التربية في تورنتو في كندا ، فلم يسعده الحظ بان يمثل في احد مؤتمراتها التمثيل اللازم . وأراد ان يندب بعض أعضائه للبحث

عن سير المجامع العلمية في فرنسا ، وعقد صلات جديدة مع المؤلفين والطابعين فيها ، وجدّ في ارسال احد اعضائه الى بعض بلاد الشام ليلقي نموذجاً من محاضرات المجمع فيها و يبحث عن المخطوطات والعاديات — كل ذلك كان المجمع بل العلم يقطف ثمرته الجنية فحال المال والقيود في صرفه دون بلوغ الأرب . ولما سمحت حكومتكم السنية في الربيع الماضي لهذا العاجز ان ينوب في حفلات شاعر مصر احمد شوقي بك استفاد المجمع فوائد أدبية ومادية مهمة فكان اول تمثيل علمي رسمي عن بلاد الشام في مؤتمر . ولذا بات الرجاء معقوداً ان يعمل المجمع حراً طليقاً اكثر منه مقيداً .

اما أوضاع المجمع الجديدة التي تقرر منذ السنة الفائتة ان يسير عليها ، ولما تصادق عليها المراجع العليا الى الآن ، فهي ان يكون له رئيس وامين سر موظفين و يقسم المبلغ المخصص رواتب للاعضاء العاملين جوائز ومكافآت لمن يعمل من اعضاء المجمع وغيره في خدمة غرضه ، وبذلك يكافأ العامل وتجود البضائع العلمية التي تعرض على المجمع لان قيمتها موقوفة على جودتها وتجويدها بالدرس والتمحيص فيما نرى وذلك أسوة سائر المجامع في اوربا واميركا .

أعمال المجمع الاخيرة

لم تنتظم جلسات المجمع في الاشهر التي كانت فيها الثورة على أبواب دمشق ، ولذلك لم يضع الا قليلاً من الالفاظ للمستحدثات العصرية والاوضاع العلمية . ومضت شهور طويلة لم تلق في ردهته محاضرة ، وكان الرجال والنساء يحاضرون كل اسبوع مدة تسعة أشهر في السنة . وقف المجمع اجتماعاته العامة والخاصة مدفوعاً بعامل الحذر والحزم . ولم يقصر بعض حضرات الاعضاء في الواجب عليهم فناصروا المجمع خلال تلك الفترة باقلامهم ، على ما كان شأنهم منذ وقع انتخابهم وانضموا الى جملة أعضائه ، فبعثوا لمجلته برسائلهم وملاحظاتهم ، وتعهدوا مجمعهم بآرائهم . بيد ان بعضهم أغفلوا معاونة المجمع معاونة فعلية ، ولعله لا يفوتهم ذلك في السنة المقبلة . فقد تزيد فائدة العمل في مثل هذه المصالح المشتركة كلما كثرت الايدي العاملة فيه ، وتنوعت أساليب التلقين والتثقيف ، فتبادل الشرق والغرب الافكار والآراء .

انحصر عمل المجمع في سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ باصدار مجلتـه وتنمية مجموعاته من الكتب والآثار بقدر الطاقة ، ودار دولاب إدارته على الاسلوب الذي جرى عليه منذ يومه الاول . وقد صدر حتى الآن من مجلته سبع مجلدات تحوي في مطاويها أبحاثاً لغوية وأدبية ، وتحقيقات تاريخية وأثرية ، ولا يقل في السنة عدد من يؤازرون فيها عن نحو ثلاثين عالماً وباحثاً أديباً . وهذا يندر مثله حتى في المجلات الكبرى في الغرب . وما مجلة المجمع العلمي في الحقيقة الا صورته ومثاله ، واثر من آثار النهضة في الآداب العربية . وكانت المجلة تصدر في ٤٨ صفحة كل شهر بحيث يتألف منها مجلد في ٥٨٠ صفحة فقرر المجمع ان تصدر في سنتها الثامنة بـ ٦٤ صفحة فيقع مجلد السنة في ٧٦٨ صفحة ، وأهم ما تنشره المجلة عدا أبحاثها وتحقيقاتهـا نقد المطبوعات الحديثة ، بتحليل يراد به فائدة المؤلفين والمؤلف لهم من قراء العربية . وقد قدر المستعربون من علماء المشرقيات هذه العناية وعدوا اكثر أبحاث هذه الصحيفة حجة في الادب واللغة والتاريخ .

بلغ عدد المحاضرات التي أُلقيت في المجمع من بدء سنة ١٩٢٥ الى أواسطهـا ثلاث عشرة محاضرة مختلفة الموضوعات ، وعدد ما أُلقي منها من أواخر سنة ١٩٢٦ الى أواخر سنة ١٩٢٧ سبع عشرة محاضرة . وما دخل المجمع من الكتب ٢٦٧٩ مجلداً مدة ثلاث سنين منها ٨٣ مخطوطاً و٨٧٩ كتاباً (في ١١٠٠ مجلد) خزانة كتب العلامة رفيق بك العظم التي أوصى بها للمجمع بعد وفاته فنفذا خوه عثمان بك العظم وصيته في الحال . ومنها مائتا نسخة أهداها اميرالشعراء احمد شوقي بك من ديوانه . واذا أُضيف الى مجموع المهدي على أقل تعديل ثمانمائة مجلد ، وهو ما زال في طريق الارسال من كتب النظارات في مصر ، بلغ مجموع ما دخل ٣٤٧٩ مجلداً في السنين الثلاث الاخيرة . ومجموع ما في خزائن المجمع من الكتب الآن ١٦,٥٠٠ مجلد كان منها في دار الكتب الظاهرية لما تسلمها ٤٠١٤ مجلداً ومن هذا المجموع ٢٠٩٢ خزانة المجمع الخاصة عدا المجلات . وفي خزانة فرع المجمع في حلب ١١٥٣ مجلداً وفي دار الآثار ١٦٩ مجلداً و١٧ مجلداً أُخذت بالتصوير الشمسي . وعدد المخطوطات جميعها ٣٦١٨ مجلداً منها ٢٨٣٣ كانت في دارالكتب الظاهرية لماتولاها المجمع سنة١٩١٩

و٧٨٥ مجلداً من زيادة المجمع عليها بمدة ولايته . وجرى الاتفاق على منح فرع المجمع في حلب مكاناً ثابتاً من أملاك الدولة في أجمل شارع من شوارع الشهباء . وكان أعضاؤنا يأوون الى بناية من بنايات الاوقاف منذ أسس الفرع هناك ، وهذا ما عاقهم عن إلقاء محاضرات تفيد النشء الحلبي على مثال محاضراتنا في دمشق .

وزاد عدد المختلفين الى دار الكتب كل يوم ، فما انحطوا عن ستين حتى في ايام الاضطرابات واربوا اشهراً طويلة عن المئة . والمأمول زيادة عددهم متى انتظمت دار الكتب بانتقالها الى بنايتهـا الجديدة . وبدأ المجمع على سبيل التجربة منذ بدء سنة ١٩٢٦ يعير بعض مطبوعاته الى المشتغلين بالمطالعة والبحث من الوطنيين والاجانب ، يرسلها الى بيوتهم مدة معينة مقابل سندات موقع عليها منهم . وقد نجح في هذه التجربة . وعسى ان يزيد المستعيرون عناية بالمعار ومحافظة على الوقت ، فيوفر لهم المجمع كل ما يسهل عليهم البحث والدرس أسوة كثير من الخزائن في العالم المتمدن .

اما دار الآثار فارتقت مجاميعهـا على صعوبة البحث والحفر مؤخراً ، وساعدها تسهيل الحكومة في الاحايين مهمتها عليها ، خصوصاً بعد نشر نظام الآثار في سورية ولبنان الصادر من المفوضية العليا في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٦ والعمل بالمادة الخاصة بالآثار في قانون الانتداب . وقد كان عدد القطع المختلفة التي دخلت دار الآثار سنة ١٩٢٥ — ٧٢٨ قطعة ودخل في سنة ١٩٢٦ — ١٤٩ قطعة وفي سنة ١٩٢٧ ١٠٢ قطعة . وفيها قطع نادرة جداً من الخشب والخزف والفسيفساء والنحاس تساوي بضعة الوف من الليرات . ولو كثر عدد البعثات الاثرية وعاونتها الحكومة بالمال ما وسعتها موازنتها ، لزادت مجاميع الامة من ارضها كل سنة زيادة مدهشة .

وكانت البعثات الاثرية التي عملت في ارضنا في المدة الاخيرة ثلاثاً البعثة التشكوسلوفاكية برئاسة الاستاذ هوروزني (Prof. Hrozny) نقبت في قرية الشيخ سعد في حوران ، واخذ المجمع ماله الحق فيه من مستخرجاتها ، والبعثة الثانية هي البعثة الافرنسية التي يرأسها الاستاذ دي منيل (du Mesnil du Buisson) قامت بالحفر في المشرفة في جوار حمص واخذت دار الآثار حقها من حفرياته . وقامت

ادارة دار الآثار نفسها بالنبش في قرية جوبر في غوطة دمشق فاستخرجت بعض الزجاجيات . وأمامها الآن عدة اماكن للقيام باعمال الحفر في ضواحي دمشق يلحظ ان فيها كنوزاً مدفونة .

وبلغ ما حوته دار الآثار الى الآن من العاديات ٣١٥ قطعة من الاحجار على اختلاف ضروبها و٦٠٣ قطع نحاسية و٢٥٩ قطعة من الفخار و٥٠ قطعة من الخشب و٢٢٤ قطعة من القاشاني و٦١٤ قطعة من الزجاج و٣١٧ قطعة منوعة و٣٢٠ صفحة من الرقوق عربية ويونانية وقبطية وعبرية و٣٣٥٩ قطعة من نقود اسلامية وغير اسلامية . فيكون مجموع القطع اذا أضيف الى ما دخل في السنين الثلاث الاخيرة ٧١٤٠ قطعة . وقد نظمت دار الآثار تنظيماً حسناً في قاعاتها الاربع بعناية مديرها الامير جعفر الحسني وفضل انتباهه . وهو اول من درس الآثار والعاديات في مدرسة اللوفر بباريز بمعاونة المجمع العلمي . وعسى ان نوفق الى ارسال طالب نبيه الى مدرسة السجلات في عاصمة فرنسا ليدرس تنظيم الكتب والمكاتب واستخراج المخطوطات على الاصول الحديثة .

وقد وافقت حكومتكم السامية اول شهر تموز الماضي على وضع رسم على زوار المتحف قدره عشرة قروش سورية ، على ان يبقى الدخول ايام الجمع مجانياً لمن أراد ، وسيجبي المجمع من ذلك مبلغاً يصرفه في تحسين حالته واصلاح شأنه . ووزع المجمع العلمي ٩٨٦ كتاباً ورسالة ومجلة على الطلاب والدارسين والباحثين وعلى بعض غرف القراءة التي أنشئت حديثاً خارج دمشق، منها ما كان من مطبوعاته ، ومنها مما ابتاعه او مما أهدي اليه ، ووزع كمية على معاهد التعليم العالي والثانوي في دولة سورية اهلية كانت او طائفية او اميرية . واعطى جانباً من مطبوعاته وغيرها الى بعض اهل ساحل الشام وغيرهم حباً بنشر العلم والآداب ، ولأن المجمع لا يتوقع من مطبوعاته ربحاً ، بل يقصد الى نشر اللغة والآداب قبل كل شيء، وادخال كتب صالحة للمطالعة الى ايدي الناس تلقح افكاراً جيدة جديدة ، وبياناً عربياً لا شائبة فيه .

ويطول بي نفس الكلام يا صاحب السمو اذا حاولت ان اورد ولو نموذجات طفيفة مما كتبه زوار داري الكتب والآثار في سجلاتهما من الثناء ، وما رددوه على

عمل المجمع من الشكر لعنايته · وفي مقدمتهم صاحب الفخامة الشيخ المسيو هنري دي جوفنيل المفوض السامي في سورية ولبنان سابقاً، فقداولى المجمع عطفه وتفضل فمنحه عشرة آلاف فرنك تقديراً لعمله ومعاونة له على قضاء مهمته النبيلة ، وذلك في أحرج الاوقات التي صار اليها المجمع منذ نحو سنتين بتأخر ماليته · وممن خدم المجمع وعطف عليه في العهد الاخير المسيو بيبراليب المندوب الممتاز في دولة سورية وجبل الدروز ، والمسيو راجي مستشار المعارف في هذه الدولة ، فكلاهما تفضل في دائرته وعاون على تسيير مصالحنا ·

واذا أشرت في تقريري هذا الى الماديات التي جنتها البلاد فذلك لأشير الى ان ما جمع كان بقليل من النفقة والمقدر ان ثمانين في المئة من الكتب التي اقتناها كانت هدية ، واقل من ذلك ما ينفقه على جلب الآثار · هذا من حيث الماديات اما المعنويات فلا يقدرها قدرها الا من عرف ماتنفقه الامم المتحضرة على الاحتفاظ بمجدها ونشر آدابها وتاريخها · وادب العرب وتاريخهم مما يرفع الرؤوس على توالي الاحقاب ، ولو عمل في إحيائها عشرة مجامع من مثل مجمعنا لما كانت الى القصور ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ·

اماني المجمع وعمله في السنة القادمة

كان من أعظم اماني المجمع في السنين الخالية انشاء كلية للآداب تضاف الى الجامعة السورية فيكون فيها ثلاثة فروع (الآداب والطب والحقوق) ثم يفكر غيرنا في إضافة الفرعين الناقصين وهما الالهيات والعلوم ، وذلك لعلمه باحتياج الآداب العربية الى ان تخرج فيها طبقة مختارة تحسن الكتابة والخطابة بلغتها ، وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وادارة الاعمال على النظام الغربي ، فينشأ من طلاب هذه الكلية كفاة مستعدون لتولي مناصب التعليم والادارة في المدارس الوسطى والعليا ودواوين الحكومة والمسالك الحرة المختلفة ولا سيما الصحافة والتمثيل · فان عمل المجمع لا يتم الا اذا كانت من ورائه قوة تمده ، ومنبت ينشئ رجالاً يعرفون الآداب بفروعها، خصوصاً وكثير من اعضاء المجمع عانوا هذه الصناعة وعلموها والفوا فيها ·

أراد المجمع ان يخرج طبقة من المؤلفين والناقلين غزيرة المادة من لغتها ولغات أُخرى ، لينتقل العلم من طور الى طور آخر ، اذ ثبت انه لا سبيل الى تقوية ملكة البيان الا بالتخصص فيه ، والتوسع من استجادة الادوات الكثيرة . وقد درس هذا العاجز برامج سبع عشرة كلية للآداب في فرنسا ، ومنها منهاج جامعة الجزائر ومناهج الدروس في جامعات جنيف ولوزان و بروكسل والاستانة ومصر ووضع لائحة قانون كلية الآداب ومنهاج دروسها النظامية ، مع اختيار ما يلائم البلاد من الابحاث واللغات ، فأُغفل هذا المشروع لاغراض تنافي مصلحة الامة . وعسى ان يتغلب الغرض العام على الغرض الخاص في القريب العاجل ، و يبدو هذا المشروع من القوة الى الفعل بما ينير العقول ويحيي موات اللغة . فللمجتمع مطالب عالية يجب ان نعنى بها كلها حتى ندخل ساحة العلم البشري مجهزين بكل جهاز نافع ، والآداب اول فرع يجب على أُمة تحاول النهوض اخذ نفسها بها والتوفر على مدارستها باصولها وفروعها .

* * *

كتب المجمع العلمي غير مرة يلح على المراجع العليا ان توعز لادارة الاوقاف لتنزل له عما في مستودعاتها من العاديات والطرائف ليعرضها في دار الآثار يستفيد منها العلم والتاريخ . ولم ترض ادارة الاوقاف ان تساهم المجمع على الاقل فيما لديها من العاديات تجعلها في غرف خاصة لها في المدرسة الظاهرية او العادلية تحفظ باسمها وتدار على حسابها باشراف المجمع وعماله او عمالها ان أَحبت ، فتتساند واياها على حفظ آثار الوطن . ومعلوم ان جميع الادوات موفورة للمجمع في هذا الشأن اكثر من غيره، وهو يعرف كيف يتوسع في العمل و يحافظ على العاديات لينتفع بها الناس . والاوقاف يصعب عليها الآن ان تنشئ لها دار آثار خاصة بموقوفاتها وما حوته مستودعاتها ، ودمشق لا تحتمل متحفين . فقد حاول بعضهم زمن الحكومة العربية ان ينشئ هنا متحفاً عسكرياً مأخوذاً بما كان محفوظاً في قلعة دمشق وغيرها من السلاح والاعلام وجهاز النقل والركوب ، فبقي مشروعه في حيز القول ، لان الخيال غير الحقيقة . هذا ما قلناه في تقرير سنة ١٩٢٤ وقد عرضناه على الاوقاف بطرق مختلفة فلم تره قبولاً ، ولعلها في السنة المقبلة تصح عزيمتها على إجابة سؤلنا خدمة للعلم ، وصيانة لمجد الاسلاف من الضياع .

ان ما شاهدناه من عناية الحكومة بتنشيط الاصطياف والتيسير على المصطافين والسائحين لترويج البلاد من غشيانهم ارضنا ، وما رأينا من إقبال طبقات الوطنيين والغرباء على زيارة دار الآثار بدمشق يدعو الحكومة الى ان تحرص على توسيع دار الآثار ودار الكتب لتكون حالتها متناسبة مع مكانة البلاد . وكلما كثرت هذه المعاهد يزداد توارد الاجانب الى بلادنا ، ومعلوم ما يحدث الاختلاط بالامم الاخرى من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية . وهذا ما يدعو حكومتكم السنية الى وضع مبلغ في موازنة السنة المقبلة يصرف على ترميم المدرستين الظاهرية والعادلية ، وتستملك الحكومة الدارين اللتين اقتطعتا من اصل بنائها واحداهما بيد الاوقاف تؤجرها دار سكن .

* * *

ثم انه مضى على تأسيس دار الكتب خمسون سنة ومن واجب المجمع ان يحتفل بعيدها الخمسيني الموافق لمرور عشر سنين على تأسيس المجمع العلمي ، فيجعل العيدين عيداً واحداً ويدعو الاندية العلمية والجامعات وعلماء المشرقيات في البلاد المتمدنة الى الحضور في الربيع المقبل (١٩٢٨) ولذلك اقتضى ان يسارع خلال هذه الاشهر القليلة الباقية في إدخال هذه الاصلاحات على ذينك المعهدين على اسرع ما يمكن وبصورة تتلاءم مع شأن الدولة وعظمة هذه الامة . ولا شك ان دعوة علماء المشرقيات وغيرهم الى حضور الحفلة العتيدة مما يعلي شأن بلادنا بين البلدان ، ويغدو هذا المؤتمر اول مؤتمر عقد في دمشق . ومتى تمت ادواتنا في معاهدنا لا يصعب دعوة مؤتمر المستشرقين الى الانعقاد في عاصمة بني أمية لان جماع المشتغلين بالمشرقيات في الغرب يودون زيارة الديار الشامية . وتمثيل أممهم في مؤتمرنا فرصة ثمينة لهم ولنا ايضاً .

فأماني المجمع التي يتطال الى تحقيقها والحالة هذه « إنشاء كلية للآداب اولاً » و « جمع آثار الاوقاف المبعثرة في صعيد واحد ثانياً » و « إصلاح المدرستين العادلية والظاهرية والتوسعة على موازنة المجمع ثالثاً » . وهذه المطالب اذا وفقت حكومتكم السنية الى انفاذها من قابل وهو ما يُرجى ويُتوقع تخدم هذه البلاد

خدمة حسنة يذكرها التاريخ . ويظهر المجمع في مظهر محتشم يعلي شأن الوطن وينفع بنيه .

ويتمكن المجمع بزيادة موازنته من رم دار الحديث الاشرفية في سفح قاسيون التي اخذها على ان يعمرها ويقيم فيها غرفة قراءة وناديًا للمحاضرات . ويوفق الى نشر ما لديه من المخطوطات التي يتطال الى إحيائها خدمة للتاريخ والادب . فقد كانت اماني رجال المجمع منذ نشأته ان ينشر كل سنة على الاقل مجلد واحد من هذه الكتب النادرة التي حفظت في القبة الظاهرية ، وما فتئت ترقب الايام لتنشر بالطبع بين الناس على وجه يناسب روح العصر من التحقيق والتدقيق . وكانت قلة المال هي الحائلة دون بلوغ هذه الأمنية . وفي عزم المجمع ان ينشئ معجمًا صغيرًا يدخل فيه الاوضاع العلمية الحديثة ، وان يضع رسالة باللغات الحية مزينة بالرسوم يصف فيها المهمّ من آثار المجمع وعاديات دمشق ، لفائدة طلاب العلم كافة والطارئين على هذا القطر ، ولكن المال هو العائق الاعظم عن اتمام عمله .

اعضاء المجمع العلمي

فجع المجمع في السنين الثلاث الاخيرة بوفاة بضعة من اعضائه الاعلام وهم السيد اوجينيو غريفيني والسيد رفيق العظم والدكتور يعقوب صروف في القاهرة والسيد حسن بيهم والاب لويس شيخو في بيروت والدكتور صالح قنباز في حماة والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق والسيد براون في كمبريج والسيد رينه باسيه في الجزائر والسيد كليمان هوار في باريز رحمهم الله وعوض العربية عنهم خيراً ٠

وضم المجمع الى اعضائه في هذه الفترة حضرات العلماء والادباء السيد عباس محمود العقاد ، والامير مصطفى الشهابي ، والسيد شفيق جبري والسيد ماسيه والسيد بوفا والشيخ ابراهيم منذر والشيخ مصطفى الغلاييني واحمد شوقي بك والشيخ محمد الخضر حسين واحمد لطفي بك السيد والسيد احمد حسن الزيات والسيد احمد امين والسيد عبد الله مخلص والشيخ سليمان ظاهر والدكتور نقولا فياض والسيد عمر الفاخوري ٠

***

وهذه جريدة باسماء اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٩٢٧ :

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »

	السادة :	محل الاقامة
١	الدكتور اسعد الحكيم	دمشق
٢	السيد انيس سلوم	«
٣	السيد خليل مردم بك	«
٤	السيد رشيد بقدونس	«
٥	الشيخ سليم البخاري	«
٦	السيد سليم الجندي	«
٧	السيد سليم عنحوري	«
٨	السيد شفيق جبري	دمشق
٩	السيد عارف النكدي	«
١٠	الشيخ عبد القادر المبارك	«
١١	الشيخ عبد القادر المغربي	«
١٢	الكابتن عبد الله رعد	«
١٣	السيد فارس الخوري	«
١٤	الدكتور مرشد خاطر	«

« الاعضاء »

السادة :	محل الاقامة
١٥ الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق
١٦ الامير مصطفى الشهابي	〃
١٧ الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
١٨ السيد امين الريحاني	〃
١٩ السيد بولس الخولي	〃
٢٠ السيد جبر ضومط	〃
٢١ الامير شكيب أرسلان	〃
٢٢ السيد عبد الباسط فتح الله	〃
٢٣ الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٤ الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٥ السيد عمر الفاخوري	〃
٢٦ الدكتور فيليب حتي	〃
٢٧ الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٢٨ الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٩ السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠ الشيخ احمد رضا	النبطية
٣١ الشيخ سليمان ظاهر	〃
٣٢ السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٣٣ الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٣٤ السيد ادوارد مرقص	〃
٣٥ الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٦ الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
٣٧ المنسنيور جرجس شلحت	حلب
٣٨ المنسنيور جرجس منش	〃
٣٩ الشيخ راغب الطباخ	〃
٤٠ الشيخ عبد الحميد الجابري	〃
٤١ السيد عبد الحميد الكيالي	〃
٤٢ السيد قسطاكي الحمصي	〃
٤٣ الشيخ كامل الغزي	〃
٤٤ السيد ميخائيل الصقال	〃
٤٥ السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٦ السيد عبد الله مخلص	حيفا
٤٧ الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٨ الشيخ محمد بهجة البيطار	مكة المكرمة
٤٩ الشيخ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٥٠ الدكتور امين المعلوف	بغداد
٥١ الاب انستاس الكرملي	〃
٥٢ السيد جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٣ السيد عز الدين علم الدين	〃
٥٤ السيد كاظم الدجيلي	〃
٥٥ السيد معروف الرصافي	〃
٥٦ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٥٧ السيد احمد امين	〃
٥٨ احمد تيمور باشا	〃
٥٩ السيد احمد حسن الزيات	〃

« الاعضاء »

السادة :	محل الاقامة	السادة	محل الاقامة
٦٠ احمد زكي باشا	القاهرة	٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	القاهرة
٦١ احمد شوقي بك	〃	٦٨ الدكتور نقولا فياض	الاسكندرية
٦٢ الدكتور احمد عيسى	〃	٦٩ السيد زكي مغامز	الامتانة
٦٣ السيد احمد لطفي السيد	〃	٧٠ السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
٦٤ السيد اسعد خليل داغر	〃	٧١ الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٥ الشيخ محمد رشيد رضا	〃	٧٢ الدكتور محمد اجمل خان	الهند
٦٦ السيد عباس محمود العقاد	〃		

* * *

٧٣ السيد مارسيه	Marçais	تونس
٧٤ السيد ماسه	Massé	الجزائر
٧٥ 〃 كي	Guy	ازمير
٧٦ 〃 ميشو بيلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٧٧ 〃 فرّان	Ferrand	باريز
٧٨ 〃 دوسو	Dussaud	〃
٧٩ 〃 ماسينيون	Massignon	〃
٨٠ 〃 بوفا	Bouvat	〃
٨١ 〃 جويدي	Guidi	ايطاليا
٨٢ 〃 نلينو	Nallino	〃
٨٣ الاب آسين	Asin	اسبانيا
٨٤ السيد لوبس	Lopès	البرتقال
٨٥ 〃 مونته	Montet	سويسرا
٨٦ 〃 هيس	Hess	〃
٨٧ 〃 سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٨٨ 〃 هوتسما	Houtsma	〃

« الاعضاء »

السادة :		محل الاقامة
٨٩ السيد اراندونك	Arendonk	هولانده
٩٠ 〃 مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٩١ 〃 بفن	Bevan	〃
٩٢ 〃 هومل	Hommel	المانيا
٩٣ 〃 ساخاو	Sachau	〃
٩٤ 〃 بروكلمن	Brockelmann	〃
٩٥ 〃 هوروفيتز	Horovitz	〃
٩٦ 〃 هرزفلد	Herzfeld	〃
٩٧ 〃 هارتمان	Hartmann	〃
٩٨ 〃 ميتفوخ	Mittwoch	〃
٩٩ 〃 سترستن	Zettersléen	السويد
١٠٠ 〃 اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
١٠١ 〃 بول	Buhl	〃
١٠٢ 〃 بدرسن	Pedersen	〃
١٠٣ 〃 موجيك	Mzik	النمسا
١٠٤ 〃 ماهلر	Mahler	المجر
١٠٥ 〃 كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١٠٦ 〃 كراتشقوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١٠٧ 〃 موزل	Musil	تشيكوسلوفاكيا
١٠٨ 〃 ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١٠٩ 〃 كرسيكو	Karsikko	فنلاندا[1]

(١) والاعضاء الذين تقدم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصهير في بودابست .

جريدة المتبرعين والمحسنين للمجمع العلمي

ومنهم من تبرع بمال ومنهم بآثار او كتب مخطوطة او مطبوعة

« أ »		احمد عزت باشا العابد	دمشق
السيد ابراهيم اطفيش	مصر	السيد اديب البهنسي	«
ابو كامل المعلم	دمشق	اديب مصري	مصر
السيدابراهيم زيدان	مصر	ادارة المسرّة	جونيه
احمد تيمور باشا	«	السيد ارنست هرزفلد	المانيا
احمد شوقي بك	«	« اسكندرالخوري البيتجالي	القدس
احمد اغا الخانجي	دمشق	السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
السيد احمد الطويل	«	« اسعد خليل داغر	مصر
الدكتور احمد عيسى بك	مصر	اكاديمية لينچاي الملكية	رومية
السيد احمد امين الديك	«	السيد الياس انطون الياس	مصر
الشيخ احمد الاسكندري	«	« امين الدالاتي	دمشق
الشيخ احمد سليم العطار	دمشق	« امين هندية	مصر
احمد زكي باشا	مصر	« امين زيدان	«
الشيخ احمد عارف الزين	صيدا	« ب »	
الامير احمد مختار الجزائري	دمشق	السيد براون في جامعة كمبريدج	كمبريدج
الشيخ احمد رضا	النبطية	البعثة الافرنسية	دمشق

والسيد مرتين هارتمان في برلين · والسيد رينه باسه في الجزائر · واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي والدكتور يعقوب صروف والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة · والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد · والسيد حسن بيهم والاب لويس شيخو في بيروت · والدكتور صالح قنباز في حماة · والسيد مالنجو والسيد الياس القدسي في دمشق · والسيد براون في كمبريدج · والسيد هوار في باريز · أجزل الله ثوابهم ·

السيد بدرالدين الشركسي	قنيطرة
السيد بشاره الاصفر	دمشق
〃 بفن	كمبردج
الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد
السيد بهاءالدين الجابي	دمشق
بلدية دمشق	
بلدية حمص	
« ت »	
السيد توفيق شامية	دمشق
الشيخ توفيق المنيني	〃
« ج »	
جامعة سيام	
جامعة ليون	
جامعة بوردو	
جامعة ستراسبورغ	
الجامعة المصرية	
جرجي بك رزق الله	بيروت
الامير جعفر الحسني	دمشق
السيد جميل الكواكبي	〃
الجمعية الآسياوية	باريز
السيد جينااردي	دمشق
« ح »	
السيد حافظ زكية	حمص
الدكتور حبيب قشيشو	دمشق
الدكتور حسن رعد	طرابلس الشام

السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
السيد حسام الدين الكزبري	دمشق
حمدي بك النصر	〃
حمدي بك الجلاد	〃
السيد حمدي الكيلاني	〃
الشيخ حمدي الحلبي	〃
« خ »	
الامير خالد الحسني الجزائري	دمشق
خالد بك العظم	〃
السيد خالد معاز	مصر
السيد خالد يحيى	طرابلس الشام
خزانة كتب الامة	برلين
السيد خورشيد الشركسي	دمشق
خليل بك مردم بك	دمشق
السيد خيرالدين الزركلي	القاهرة
« د »	
السيد داود صدقي المارديني	دمشق
دار الكتب المصرية	
السيد درويش الدهان	〃
〃 ديمتريوس قاضي	〃
المسيو راجي	〃
السيد رسلان البلعوط	〃
رفيق بك العظم	مصر
السيد رضا الجوخدار	دمشق
〃 رضا الشربجي	〃

رؤوف بك الايوبي	دمشق
« ز »	
زكي بك مغامز	الاستانة
السيد زعل الدغيم	خسفين
« س »	
سامي بك البكري	دمشق
الامير سعيد الحسني الجزائري	〃
الشيخ سعيد الرافعي	مصر
سليم افندي البخاري	دمشق
سليم بك عنحوري	〃
السنيور سبرانزا	〃
« ش »	
السيد شفيق الحسيني	حمص
« ص »	
السيد صالح القشطوني	دمشق
الدكتور صالح شورى	〃
السيد صادق العطار	〃
السيد صبحي الطباع	〃
السيد صبري اديب الكاشف	〃
〃 صدقي نور الله	جبلة
صفوح بك المؤيد	دمشق
« ط »	
الشيخ طاهر الجزائري	〃
الامير طاهر الحسني الجزائري	〃

« ع »	
الشيخ عبد الله الزنجاني	ايران
〃 عبد المعطي السقا	مصر
عبد القادر بك العظم	دمشق
عبد الرحمن بك اليوسف	〃
الشيخ عبد القادر المغربي	〃
〃 عبد لواسع اليماني	مصر
عبد الله بك الاستاذ	دمشق
السيد عبد الجواد الحسيني	حمص
عثمان بك العظم	دمشق
عزت احمد بك العظم	〃
السيد عز الدين علم الدين	بغداد
عطاء الله بك الايوبي	دمشق
البرنس عمر طوسون باشا	مصر
السيد عمر الخشاب	مصر
〃 عين الملك خان	دمشق
〃 عيسى البابي الحلبي	مصر
〃 عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
« غ »	
〃 غريغوريوس حداد	دمشق
« ف »	
〃 فارس قمحة	〃
الامير فاعور الفاعور	القنيطرة
فائز بك العظم	دمشق
فخري بك آل جميل	بغداد

فخري بك البارودي	دمشق
الشيخ فرج الله زكي الكردي	مصر
السيدان فريد ونديم الغزي	دمشق
فريد بك العمري	〃
السيد فؤاد الفرا	〃
〃 فهمي ابيو	〃
جلالة الملك فيصل الاول ملك العراق	بغداد
« ق »	
القومندان بورجوا	حمص
« ك »	
الامير كاظم الحسني الجزائري	دمشق
السادة كالمان ليفي الكتبيون	باريز
« ل »	
لجنة التأليف والترجمة والنشر	مصر
« م »	
المارشال ليوتي	باريز
مأمون بك المؤيد	دمشق
مجلس النواب المصري	مصر
مجلس النواب الافرنسي	باريز
محمد باشا العظمي	دمشق
السيد محب الدين الخطيب	مصر
〃 محيي الدين رضا	〃
الشيخ محمد الخضري	〃
السيد محمد جمال	〃

السيد محمد عبد الواحد الطوبي	مصر
〃 محيي الدين الكردي	〃
〃 محمد فائز السفرجلاني	دمشق
» محمد حاجي قولي	حلب
» محمد علي الحلبي	دمشق
» محمد الحمصي	»
» محمد شفيق السيوفي	»
» محمود شغليل	»
» محمد خير الجوخدار	»
» محمد ابو قورة	»
الشيخ محمد رشيد رضا	مصر
السيد محمد هراوي	»
مدرسة اللغات الشرقية	باريز
السيدة مريام هاري	»
مرعي باشا الملاح	حلب
الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق
الامير مصطفى الشهابي	»
السيد مصطفى محمد	مصر
» مصطفى البابي	»
المطبعة الاميركية	بيروت
مكتبة الخانجي	مصر
مكتبة سان باولو	البرازيل
السيد ممدوح هنانو	حلب
〃 منير البرازي	حماه
〃 منير الدمشقي	مصر

منيف بك اليوسف	دمشق	وزارة المالية	دمشق
السيدان مهدي وعبده مرتضى	»	» الزراعة	»
السيد ميخائيل بخاش	لبنان	» الاوقاف	مصر
» ميخائيل فغالي	بوردو	» الزراعة	مصر
المسيو ميليا	باريز	» المعارف والفنون	باريز
الامير ميرزا مصطفى	سلمية	» المعارف	مصر
« ن »		« ي »	
السيد نجيب متري	مصر	السيد يحيى الصواف	دمشق
» نعيم عرابي	دمشق	الدكتور يعقوب صروف	مصر
« ه »		البرنس يوسف كمال	»
المسيو هنري دي جوفنيل	باريز	السيد يوسف توما البستاني	»
« و »		» يوسف ابراهيم	جبلة
وزارة الاشغال	مصر	» يوسف السبع	دمشق
» »	باريز	» يوسف امين شدياق	لبنان

بعض آراء المفكرين

« في المجمع العلمي »

سألت مدام بوج وبكسل اثناء البحث في تقرير فرنسا عن سورية ولبنان أمام عصبة الامم في جنيف : هل في الامكان الحصول على معلومات متممة بشان المجمع العربي في دمشق . فأوضح المسيو ده كه ممثل فرنسا في تلك الجمعية « ليس المجمع العربي معهد تعليم ولكنه مجمع بالمعنى المعروفة فيه هذه الكلمة في فرنسا . ففيه يجتمع عدد من علماء اللغة العربية الذين يدرسون هذه اللغة وآثارها الادبية » . وجواباً على سؤال آخر قال المسيو ده كه : « ان مجمع دمشق ليس معهد حكومة فهو مستقل استقلالاً واسعاً ويدبر شؤونه بنفسه وتقدم له الحكومات بعض المخصصات » .

وجاء في تقرير الحكومة الفرنسية المرفوع الى جمعية الامم في السنة الماضية : « نما متحف دمشق كثيراً هذه السنة وخاصة بفضل اجتهاد محافظه الامير جعفر حفيد عبدالقادر واحد قدماء تلاميذمدرسةاللوڤر . وقدجعل هذا المتحف فيبناية من بنايات القرن الثالث عشر التي رممت برمتها منذ سنة ١٩١٩ بناءً على ما ارتآه رئيس المجمع العلمي محمد بك كرد علي . وقد جمعت في هذه البناية المجاميع التي كانت مبعثرة في بعض معاهد دمشق وضُمت اليها الوثائق التي اكتشفت في الحفريات ولا سيما حفريات الشيخ سعد والمشرفة وتل النبي مند وتدمر » .

وكتب العلامة المسيو دوسو في تقريره الى مجمع العلوم الادبية والاثرية في باريز : ان متحف دمشق أجمل المتاحف التي تضمها بلاد الانتداب وهو أثر من آثار المجمع العلمي . واثنى على هذا المعهد ورئيسه وعلى دار الآثار ومديرها .

وكتب العلامة المسيو ماسنيون فيمجلة العالم الاسلامي البارزية انه اجتمع بفضل رئيس المجمع وحوله طائفة من العلماء الشاميين المسلمين والمسيحيين يعملون في درس المدنية العربية بعلم تشهد به مجلة المجمع العلمي العربي .

وقال العلامة السيد سنوك هروغرون من جامعة ليدن : « واطلعت طلاب العلم من اهل بلادي على أعداد المجلة ، وبينت لهم انها علامة احياء العلوم الشرقية ،

ومعجزة في جنسها ، مسكتة لمن ينكر استمرار التمدن العربي ، وأوضحت لهم عدم قدرة احدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب » .

وقال العلامة السيد هوتسما مدير المعلمة الاسلامية في هولاندة: « وبديهي ان علماء المشرقيات من الهولانديين يهتمون جد الاهتمام بالعمل الباهر الذي تقومون به في الشام لاحياء هذه الآداب لتعيدوا للعرب ما كان لهم قديماً من المقام المحمود في ساحة العلم البشري » .

وقال العلاّمه الدكتور حتّي في مجلة العالم الجديد في نيويورك ان المجمع العلمي أعظم مشروع أدبي وطني يحق للشاميين المباهاة به ... مجمع يمضي على تأسيسه ست سنوات فقط يصبح مسؤولياً تحرير مجلة علمية من أرقى المجلات وادارة متحف وطني نفيس ودار كتب كبرى وينشيء فروعاً وبضم الى عضويته زبدة العلماء من مشارقة ومستشرقين ... واذا سلمنا بان المتحف المصري العربي في القاهرة يفوق متحف دمشق الى درجة كبيرة فاننا لا نسلم بان مجلات المستشرقين من انكليزية وافرنسية والمانية تفوق مجلة مجمع دمشق ...

وقال الاستاذ السيد عباس محمود العقاد في البلاغ المصري في القاهرة : « ان اخواننا في دمشق قد سبقونا الى انشاء مجمعهم العلمي فنجحوا نجاحاً يفوق ما عندهم من الوسائل المالية والسياسية والعلمية ، ووطدوا ذلك المجمع توطيداً يبشر باطراد التقدم واتساع الامد وعموم الفائدة في الاقطار العربية ، وكان ذلك بهمة رئيسه القدير وزملائه الفضلاء وعناية مأثورة من حكومات الدولة على اختلافها أمنت المجمع بعض التأمين من الوجهة المالية ودلت على احترام المباحث والآداب نغبطهم عليه ونظننا أولى به واحجى بالسبق فيه لما عندنا من وسائل العلم والمال والسياسة » .

وقالت جريدة وادي النيل بالاسكندرية : « ان السيد محمد كرد علي رئيس المجمع السوري يقوم من مجهوده الفردي بعمل لم تقدم عليه الجماعات العلمية والادبية عندنا . وقد اغتبطنا باعمال المجمع لما تنم عليه من النهضة الادبية في الشام وهي جزء مهم من الاسرة العربية العظيمة ، على اننا تراجعنا الى أنفسنا نسألها واين مصر من هذا المجد الادبي الرفيع » .

وقالت جريدة (فتى العرب) في دمشق : « واذا كانت مصر على ما فيها من علم وثروة ورجال لم توفق حتى الآن لتأسيس مجمع علمي فيها فحسب سورية الفقيرة ان يكون لها مجمع علمي هو نسخة طبق الاصل عن نهضتها العلمية والادبية وصدى ناطق لصوتها الذي لم يكن يسمعه احد قبل سنين قليلة . ان المجمع العلمي يسير الى الرقي والاصلاح الى جانب الامة فاذا استمرت الامة في نهضتها ورقيها كان للمجمع نصيب وافر من هذه النهضة فهو جزء من روح هذه الامة وعنصر من عناصر آدابها وعلومها ... »

وقالت جريدة (الزمان) في دمشق : « المجمع العلمي في دمشق هو مجموعة صالحة من اهل العلم والرأي والتفكير في بلادنا بل هو أصلح هيأة رسمية عندنا تمثل نهضتنا العلمية وجب عليها ان تمثلنا في جميع النهضات العلمية والحركات الفكرية التي ظهرت في سماء هذا الشرق بضعف قبل الحرب وأخذت تظهر بعدها بشيء من القوة يدل على شيئين : على متانتها اولاً وتطور الحالة الفكرية عندنا تطوراً كبيراً » .

وقالت جريدة (الوطن) في بيروت : « فقد كان (المجمع) من حسنات الايام ومن محامد الحكومة الدمشقية بل كان قلادة در في جيد الشام فقد ضم في سلكه البديع عصابة فضل لم يروِ تاريخ الدول العربية انضمام مثل عددهم في مجمع بل ضم في عداد أعضائه جماعة من أعاظم علماء وفلاسفة اوربا واميركا ... فهو ولا ريب من مفاخر الامة السورية بل أجل مفخرة يجدد بها العرب ذكر مفاخرهم الغابرة وعلومهم ومدنيتهم العظيمة الباهرة وتقيم لاهل الارض البرهان المحسوس على تقدم السور بين اليوم وتمدنهم ونجابتهم » .

وقال الاستاذ السيد يوسف العيسى في جريدة (الف باء) في دمشق : « على ان الذي يسمع بهذا المجمع ليس كمن يحضر حفلاته فقد كنت أمس أصغي لمحاضرة الاستاذ رئيسه وأجيل نظري في صفوف الحاضرين الممتلئة منهم تلك القاعة الفسيحة وكلهم من زعماء الامة وعلمائها وأدبائها ومفكريها وأتأمل في سكوتهم العميق وعيونهم المتجهة الى الخطيب وهو يسرد لهم تاريخ مجمعهم وأعماله فخيل لي انني في كنيسة او مسجد لا هي مسيحية ولا هو اسلامي وانني محاط باتباع ديانة جديدة هي ديانة اللغة

العربية فقلت في نفسي بكفيني ويكفي هذا القوم تعزية عن سالفنا المجيد بهذا الحاضر المؤمل » ٠

وقال الاستاذ الدكتور حتي في مجلة الكلية في بيروت : « ان ما قام به المجمع وهو طفل في خلال سنواته الاولى من حياته من الخدمات العقلية وصون الآثار ونشر المعارف هو شيء كبير حيوي للامة السورية الجديدة لا يقدّر ولا يثمن بالدنانير السورية الزهيدة التي أُرصدتها الحكومة لنفقته فكل درهم في ميزانية المجلس هو في عرفنا حلال لا نستطيع الامة في الاحوال الحاضرة ان تستثمره في طريقة أفضل من هذه الطريقة لإنعاشها وإحياء عقليتها والاحتفاظ بذخائر مخطوطاتها وآثارها من ذلك الميراث المجيد الذي يصلنا بآبائنا وأسلافنا وينشطنا للسير الى العلاء والى الامام ٠٠٠ فحمداً لله الذي وفقنا اخيراً الى اكتشاف امر ينضوي تحت لوائه المسيحي والمسلم واليهودي والشرقي والغربي — وذلك الامر هو العلم » ٠

وقال الاستاذ الاب لويس شيخو في مجلة المشرق في بيروت : « ومع حسن اختيار الموقع (اي دمشق) نجد في تأليف أعضاء المجمع داعياً آخر لنتوسم فيه الخير فانه يرأسه رجل ٠٠٠ وكذلك اعضاء المجمع العلمي فان في اختلاف عناصرهم من وطنيين وأجانب وفي تباين أديانهم من مسلمين ونصارى وموسويين وفي امتياز مناصبهم من ارباب دنيا ودين ضامناً لثبات هذا الصرح العلمي ورقيه » ٠

وقال العلاّمة كراتشكوفسكي من جامعة ليننغراد في مجلة « الشرق » الروسية : ومما يستجلب الانتباه ايضاً خلو المجمع من أصحاب الخطط التقليدية الضيقة من المسلمين والمسيحيين ومن السياسيين الذين يفضلون السياسة على العمران فالجميع يربطهم المبدأ الجنسي فلهذا يسوغ لنا ان نعدهم زعماء العربية الفتاة لا بحسب اعمارهم بل بحسب أرواحهم ٠٠٠٠ ومما مر نستدل ان العرب قد تمكنوا من عمل ما يتصوره الغرب مستحيلاً في اوربا بعد الحرب أعني ربط جميع البلاد العربية بمنتدى علمي واحد بل ربط جميع علماء المشرقيات في اوربا ٠ ويمكننا هنا ايضاً في فهم كنه التمدن الروحي الحقيقي بملء الجرأة ان نسمي الشعب الشرقي معلم الغربيين وفي هذا وحده خدمة للمجمع العربي لا حد لها » ٠

وقالت جريدة (لاسيري) في بيروت : « وعبثاً يحاول المرء وصف ما بذله رئيس المجمع العلمي العربي وأعضاؤه من الجهود لوضع أسس متينة تشمخ عليها دعائم هذا البناء القائم على مجد الذكاء السوري . ومن المحال ايضاً إسداؤهم ما يستحقونه من الشكر الجزيل . فعلى الحكومة السورية التي من واجبها ان تفهم هذه الحقيقة ان تعمل عملاً مفيداً من تنشيط المشاريع النافعة بالمال كالمشروع الذي وقف نفسه على العمل فيه حضرة محمد كرد علي والتي عليها تتوقف حياة الاجيال القادمة في الآداب » .

وقال العلاّمة السيد ماكدونالد من جامعة اميركا بمناسبة اطراد صدور مجلة المجمع العلمي خلال الثورة الاخيرة : « لقد أحييتم سنة الجمعية الآسياوية الباريزية ايام كانت تثابر على إصدار مجلتها و باريز محصورة » .

وقال العلاّمة الامير شكيب أرسلان : « ان بناية المجمع المعنوية كالمادية متينة ركينة بحيث تثبت على كل هذه النوازل ولم تبال بكل هذه العواصف وهي تعصف من فوقها ومن تحتها » .

وقالت جريدة المقطم بمناسبة المجمع المنوي انشاؤه : قابل المشتغلون بالكتابة والخطابة والتأليف والترجمة الخبر الذي نشرناه عن مشروع المجمع اللغوي بارتياح شديد وأمل يتخلله شيء من الشك فقد اتجهت القوى والنيات غير مرة الى انشاء هذا المجمع اللغوي وأُنشئ مثله فعلاً في القاهرة ولكنه لم يكن طويل العمر وسبق ان أُسس مجمع علمي في بيروت في أوائل النهضة العلمية الحديثة في سورية ثم أُهمل امره بعد عمل نافع مذكور ولم يعش من هذه الهيئات سوى مجمع دمشق وقد أسدى الى اللغة وتاريخ الشرق وعلومه خدمات جليلة يعرفها جميع الذين يطالعون مجلته النفيسة او يعرفون رئيسه واعضاءه المجتهدين اه .

الكلمات غير القاموسية (١)

موضوع اقتراحي ايها السادة هو استمالة نظركم الى العناية بالكلمات (غير القاموسية) وأعني بالكلمات غير القاموسية كلمات نستنكف من ايداعها قواميسنا العربية . لكننا مع هذا لا نستنكف من التكلم بها وايداعها كتاباتنا أحياناً . وقد أصبحنا معشر العرب مع معاجم لغتنا تجاه امر واقع غريب الشكل ذلك اننا نرى الوفاً من الكلمات العربية الحوشية المهجورة الاستعمال قد تبوأت من قواميسنا الصدر والمحراب . والوفاً من الكلمات الدخيلة التي ألفتها الاسماع والتي نرى أنفسنا مضطرين الى استعمالها قد حرمت دخول المعاجم وطرحت وراء الأبواب .

وهذا على خلاف ما عليه الحال في لغات الامم الراقية : فان معاجمها اليوم تتضمن من الكلمات القديم والحديث الاصيل والدخيل . وميزان التفاضل بينها انما هو استعمال البلغاء لها لا لكونها اصيلة او دخيلة : فاذا تصفحت معجم لاروس مثلاً وجدت فيه ازاء الالفاظ الافرنسية المحضة ألفاظاً أخرى من لغات مختلفة . فتجد من اللغة العربية مثلاً كلمات (Mesquine) « مسكين » (Felouque) «فُلك» (Marabout) « مرابط » (شيخ صوفي) (Bled) « بلد » (Cable) « حبل » (Sirop) « شراب » (Hourie) « حورية » (Mantille) «منديل» (Jarre) « جرة» في نظير ذلك من الكلمات العربية التي يحلونها المحل الارفع من معاجمهم و يزينون بها خطبهم و كتاباتهم . ولايخفى على حضراتكم ايها السادة ان الكلمات الدخيلة التي سميناها (غير قاموسية) تبقى مرذولة سيئة السمعة ما دامت لا تذكر في معاجمنا العربية . وما دام كتابنا المجيدون يأنفون من استعمالها خشية ان ينسب اليهم قصور او توسم كتاباتهم بلوثة العجمة . وكل ما أريده الآن من أفاضلنا ان لا ينظروا الى الكلمات (غير القاموسية) نظرة ازدراء ، ولا يحرّموا استعمالها على السواء ، بل أقترح عليهم

(١) هو اقتراح في ترقية اللغة كان الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع تلاه في احدى جلساته وقد أرسلت نسخ منه الى بعض الاعضاء فأجابوا عليه وسننشر أجوبتهم تباعاً في المجلة .

ان يصنّفوها ، ثم يميزوا بين أصنافها، فصنف منها يعلن مجمعنا العلمي الفتوى بجواز استعماله بل بلزوم ذكره في معاجمنا اللغوية الحديثة ايضاً ، وصنف منها يعلن عدم جواز استعماله اصلاً ثم يبين السبب في الامرين الجواز وعدم الجواز .

وها انا ذا مذ الساعة أصنف هذه الكلمات تصنيفاً اوليّاً يدرك الذهن منه ما هي الكلمات (غير القاموسية) التي ينبغي استعمالها . وما هي الكلمات التي يجب اطراحها واهمالها .

(الصنف الاول) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية محة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم مثل فعل (تبدى) بمعنى ظهر لم تذكره المعاجم بهذا المعنى وانما ذكرته بمعنى (سكن البادية) لكنه ورد في بيت شعر لعمرو بن معدي كرب من قصيدته الدالية المذكورة في ديوان الحماسة والبيت هو قوله :

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى)

فما رأيكم ايها السادة في هذه الكلمة (غير القاموسية) ؟ هل يجوز لنا اهمالها بعد ان جاءت في شعر هذا العربي الصميم ؟ لكن لما ذا لم تذكرها المعاجم؟ هذا شيء آخر لا يتسع الوقت للبحث فيه . ولا أظن ان زملائي أعضاء المجمع العلمي يخالفونني في وجوب الاسراع الى اعلان الفتوى بجواز استعمال كلمة (تبدى) وما أشبهها .

(الصنف الثاني) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربية خالصة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم : وهذا كفعل (أقص) الخبر رباعياً بمعنى (قصه) ثلاثياً لم تذكره المعاجم لكنه جاء في كلام الامام الطبري المشهور ببلاغة عبارته اذ قال في تاريخه (جزء ٢ ص ١٨٤) من الطبعة الاوربية — (فأتيته فأقصصت قصته) .

وأظن ان السادة أعضاء المجمع يوافقونني ايضاً على اعطاء الفتوى بجواز استعمال هذا الصنف من الكلمات (غير القاموسية) . ويمكن ان نعد من هذا النوع اقرار العلامة اليازجي لكلمة (نخيم) مع ان علماء اللغة لم يذكروا الا (نخم) واستعمال الامام الشيخ محمد عبده لكلمة (صدفة) في خطبة شرحه لنهج البلاغة مكان كلمة (مصادفة) .

(الصنف الثالث) كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها في

معان أخر . وهي كلمات اصطلاحية فنية او إدارية كقولهم (هيأة المحكمة) (تشكيل المحاكم) (انعقدت الجلسة) (تعريفة الرسوم) (ميزانية) (كمية) (كيفية) في نظير ذلك . وهذه الكلمات (غير القاموسية) ارجو من رفقائي أعضاء المجمع ان يجوزوا استعمالها ولا سيما انها كلمات اصطلاحية كما قلنا . ولكل قوم اصطلاحهم .

(الصنف الرابع) كلمات عربيـة المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون . ولم ينطق بهـا الفحول المقرمون . مثل فعل (خابره) بمعنى راسله . وفعل (تفرج) على الشيء (واحتار) في امره (وتنزه) في البستان وهكذا . وانا اعترف بانني سألقى صعوبة في حمل زملائي أعضـاء المجمع العلمي على اعطاء فتوى بجواز استعمال هذا الضرب من الكلمات (غير القاموسية) .

(الصنف الخامس) كلمات دخيلة أعجمية الاصل منها ماهو ثقيل على اللسان نحو (اوتوموبيل) (بيرصوناليته) ومنها ما هو خفيف في السمع مثل (فلم) (بالون) وانا على يقين ان اعضاء المجمع لا يجوزون استعمال كلا القسمين الثقيل والخفيف . وانما هم يوجبون العدول عنها الى كلمات عربيـة تقوم مقامها او تعريبها بكلمات ذات صيغة عربية كما قالوا مناورة في تعريب (Manœuvre) وانا أوافقهم في الكلمات الثقيلة . اما الخفيفة مثل (فلم و بالون) فأرتاح الى القول بجواز استعمالها كما هي .

(الصنف السادس) أساليب او تراكيب أعجمية تسربت الى لغتنا مترجمة عن اللغات الاوربية وهي مما لا يعرفه العرب الاقدمون وهذا كقولهم : (ذر الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (لا جديد تحت الشمس) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك وكل هذا مما استفاض بيننا وتعاورته أقلامنا ولا أظن ان احداً ينازع في جواز استعماله اللهم الا الذين أصيبوا بالوسواس اللغوي .

(الصنف السابع) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات عربيـة لا يستعملها احد من الفصحاء بل يتحاشون النطق بها اعمري وهو ما نسميه (العامي) وهذا كثير لايجهله احد مثل كلمة (بدي) اذهب . (جيب) الكتاب . (لحشه) على الارض . (تعربش) على الشجرة . (تحركش) بفلان . الى غير ذلك وهذا لا يجوز استعماله

بالطبع بل يجب العمل على تقليص ظله من بيننا تدريجاً وتعويد أبنائنا استعمال غيره من الفصيح الذي يصلح ان يقوم مقامه .

هذا ما خطر لي أيها السادة في تصنيف الكلمات (غير القاموسية) ويمكن تصور أصناف أخرى غيرها اذ ليس القصد من هذا الاقتراح الاستقصاء وبلوغ الغاية وانما القصد الاشارة والتلميح الى ما يجب على مجمعنا العلمي عمله من التسامح واعطاء الفتوى في الكلمات التي عمت بها البلوى .

المغربي

* * *

جواب الرصافي

« على الاقتراح »

اذا رأيت أمة لا يرغب ابناؤها في اقتناء معجم لغوي مر على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم ان لتلك الامة لغة حية .

خذ بيد من لقيت وانت ماشٍ في شارع المدينة ثم ادخل به في سفينة بخارية او قف به أمام قاطرة او سيارة او طيارة او نحو ذلك من محدثات العصر وسله عما دق وجل في هذه المحدثات من آلات وهنات فان اجابك باسم كل مسمى سألته عنه فاعلم ان ذلك الرجل انما يتكلم بلغة حية .

اما نحن فعن هذا عاجزون ترانا نرجع في معرفة اللغة الى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير وكأنها ليست من صفات الحي الناطق تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان ومرتقية معه بعوامل العلم والعرفان .

نحن اليوم لو جئنا أعلم رجل بالعربية فسألناه عما حصل في العلوم والفنون العصرية من مصطلحات وما جد فيها من آلات وأدوات وما رتب للتجارب فيها من مختبرات لوجدناه شبه الاعجم لا يحير جواباً .

فلغتنا الفصحى اذن ليست بلغة علم وليست بلغة حية . وما حياة اللغة الا بنموها وتطورها باطوار المتكلمين بها .

فان أردنا ان نجعلها لغة حية فلا بد من ان نتوسع فيها الى اكثر مما يدعونا اليه الاستاذ المغربي · وذلك بان نجعل الاشتقاق فيها قياسياً وان نفتح باب التعريب — الذي سد في وجوهنا كما سد باب الاجتهاد في الدين — على مصراعيه و بان نفهم ان مفردات اللغة انما تتقرر باستعمال العامة اللهم الا مصطلحات العلوم والفنون فانها تتقرر بوضع الخاصة واستعمالهم اياها · فيجب اذن ان ندخل في معاجمنا كل ما وقع به التفاهم بين العامة من الكلمات الاجنبية التي لا نجد ما يقابلها في الفصحى فنثبتها في المعاجم كما تكلمت بها العامة او بعد شيء من الصقل والتحوير والا أصبحت لغتنا جامدة جمود عقولنا في الامور الدينية ·

وها انا ذا أتعقب كلاً من الاصناف السبعة التي ذكرها الاستاذ المغربي بما يتضح منه رأيي فيها فأقول :

(الصنف الاول) — من التعصب الاعمى التردد في جواز استعمال (تبدى) بمعنى بدا بعد ورودها في شعر ابن معدي كرب · حتى اننا لو فرضنا ان هذا الشعر مصنوع لما جاز ان نتردد في استعمالها جرياً على قواعد الاشتقاق الذي هو قياسي كما قلت آنفًا · فكيف وقد وردت في شعر عمرو · اما منع استعمالها بحجة انها لم تذكر في معاجم اللغة فليعذرني الاخوان اذا قلت انه من السخافة بمكان · او ليس من السخافة ان يدعي مدع ان معاجمنا اللغوية قد حوت كل ما تكلمت به العرب وانها لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من كلامهم الا ذكرتها · فهذا الصنف على ما ارى لا حاجة فيه الى الافتاء والاستفتاء بل نستعمله ولو كره الجامدون ·

(الصنف الثاني) — أوافق الاستاذ على جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات بلا تردد لان القياس لا يأباه ولان اللغة تتقرر كما قلت آنفًا باستعمال العامة فكيف وقد استعملتها الخاصة كالطبري واليازجي والشيخ محمد عبده ·

(الصنف الثالث) — ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف من الكلمات والتراكيب عليه ان يمنع اولاً جميع المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المسلمين قديمًا في المعقول والمنقول من العلوم التي تكونت في ابان النهضة العلمية الاسلامية · وحينئذ نرجع بلغتنا الى عهد امرئ القيس فلا نتكلم الا بلغته · لا ريب ان الكلمات التي هي من

هذا الصنف انما أوجدتها الحاجة اليها الحاصلة من تقدم الامة في العلم وتطورها في السياسة والادارة وغير ذلك من وجوه الحياة الاجتماعية فعلى القائل بمنعها ان يأتينا بما يؤدي معناها من لغة امرئ القيس ثم يقول بمنعها ·

(الصنف الرابع) — لا يا أيها الاستاذ المغربي انك لا تلقى صعوبة في موافقة زملائك على استعمال هذا الصنف من الكلمات لانهم مضطرون الى استعمالها ان شاؤوا وان لم يشاؤوا ، ولان القياس معك · وما أدري لماذا لم نشتق من الخبر مخابرة · ثم ان العرب قالت تفرج الغم بمعنى تكشف فنحن كما نستعمل تفرج بهذا المعنى لنا ان نولد منه معنى آخر مأخوذاً من المعنى الاول فنقول تفرجت على كذا بمعنى نظرت اليه لينكشف بالنظر اليه غمي فيكون في الكلام ضرب من المجاز · ذلك لان العامة انما يقصدون في الغالب بالتفرج على امر من الامور دفع الغم وترويح النفس لان التفرج عندهم لا يكون الا على امر غريب يسر الناظرين ولو من بعض الوجوه · وكذا القول في تنزه في البستان واحتار في امره وقد استعمل هذه الاخيرة في شعره الشيخ عبد الغني النابلسي اذ قال :

(حكم حارت البرية فيها وحقيق بانها تحتار)

وكذا ابن عابدين في تسمية كتابه « رد المحتار على الدر المختار » وكلاهما من الخواص والقياس يجيز لنا اشتقاق احتار من حار ·

(الصنف الخامس) — نحن أمام سيل جارف من هذه الكلمات الاجنبية لا يرد تياره تعصبنا للغة · ثم نحن في أشد الحاجة اليها اذ هي على مجرى حياتنا اليومية فليس من الممكن ان نحيد عنها او ان نتجنبها مهما اردنا ذلك · فالصواب هو كما قلت سابقاً ان نفتح باب التعريب على مصراعيه وان نأخذ منها ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره ان كان فيه شيء من التنافر او الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية ·

وما أدري لماذا نتحاشى التعريب الذي جرى عليه أسلافنا الاولون متجاوزين فيه مقدار الحاجة · ومن المعلوم ان التعريب لا يشترط فيه كون المعرب ليس له ما يقابله في العربية لان العرب قد اخذوا من لغات الاعاجم كثيراً من الاسماء التي هم

في مندوحة من تعريبها بوجود ما يقابلها في لغتهم بل انّ بعض معرباتهم أماتت ما يقابلها من الكلمات الكائنة في لغتهم واستبدت بالاستعمال في اللغة العربية ·

(الصنف السادس) — هذا الصنف من أغرب ما رأيته في اقتراح الاستاذ المغربي ولقد وقفت تجاهه متحيراً لم أدر ما ذا أقول · هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي قال وادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومن مجاز وكناية موقوفة ايضاً على السماع من العرب الاولين هذا لعمرك ما لم اسمعه قبل اليوم · لماذا لا اقول (ذر الرماد في العيون) كناية عن التعمية والاخفاء ؟ ! التركيب عربي محض جار على ما تقتضيه قواعد اللغة · ومفردات هذا التركيب عربية ايضاً فلما ذا لا انطق بهذه الجملة ألان العرب الاولين لم ينطقوا بها · سبحان الله أيحط بنا الجمود الى هذا الدرك ؟ ! · لماذا لا ذكر الربيع وأريد به السنة كلها ؟ ومن الذي حظر عليّ استعمال هذا المجاز الشايع في كلام العرب من ذكر الجزء وارادة الكل؟ لا احب ان اطيل الكلام في هذا فانه من العبث ·

(الصنف السابع) — ان الكلام على هذا الصنف من التراكيب العامية لم يحن حينه بعد فلذا امر به ساكتاً بلا جواب سوى انني اقول ان هذه المسألة (أعني مسألة اللغة العامية) من أهم مسائلنا الحاضرة فيجب ان ننظر فيها نظراً دقيقاً وان ندرسها درساً منقناً حتى نميز فيها الحق من الباطل والا فالبت في تركها والاعراض عنها لا يكون في شيء من الصواب على ما ارى · وربما كتبت رسالة خاصة في هذه المسألة ان ساعدني الوقت ·

* * *

جواب السيد احمد امين

« على الاقتراح المذكور »

حضرة الفاضل سلام عليكم ورحمة الله :

سألتني رأيي باختصار في موقفنا بازاء القواميس وبعبارة أخرى في الكلمات غير القاموسية وفي الاصناف التي وضعتموها لها ·

فأقول : مذهبي ان اللغة ملك لنا ولسنا ملكاً للغة والامة التي ترفض ان تكون

عبداً الا لله ترفض ان تكون عبداً للغـة واذا لم تستعبدنا اللغة لم تستعبدنا القواميس بالاولى . ولكن هل نسمح بدخول كل كلمة خارج القاموس . لا : ان لنـا الحق ان نخرج كلمات دخلت فيه وهي الكلمات التي ماتت من طول هجرها . ولنا الحق ان ندخل كلمات خرجت عنها بعد الاختبار والتمحيص والصقل متى احتجنا الى ذلك .

فلغتنـا قاصرة في نوعين : النوع الاول نوع من المعنويات وضعت لها الامم الاخرى كلمات وذلك ككلمة (Conception, perception, Idéal) وكل الكلمات التي وضعت في علم النفس والاخلاق والاجتماع .

ورأيي في هذا النوع الا نسمح بدخول الكلمات الافرنجية وان سهل النطق بها بل نختار لها كلمات عربية الاصل ونضعها لهذه المعاني متى كانت معانيها الاولى قريبة من المصطلحات الجديدة وندخل المعاني الجديدة في القواميس .

والنوع الثاني الماديات كأتوموبيل وفونوغراف وهذه ان لم نجد لها كلمة عربية قريبة نستعمل الكلمات الافرنجية بعد صقلها — لا فرق عندي في ذلك بين ان تكون الكلمة في الاصل ثقيلة على اللسان او خفيفة متى كان لنا الحق في تخفيف الثقيل . . هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة سينماتوغراف فسموها (سيما) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات .

فلنترك الحرية للمؤتمر في كل ذلك يختار منها طبقاً للقواعد المعمول بها في الامم الاخرى ولعله يمكن معرفة الرأي بعد هذه القاعدة في كل صنف من الاصناف السبعة فاما اذا أريد جواب على كل صنف فانا ارى الصنف الاول — يجب ان يدخل منه في القاموس ما نحن في حاجة اليه فقط .

(٢) والثاني كذلك .

(٣) جواز إدخالها في القواميس كذلك .

(٤) لا حاجة الى إدخال هذا الصنف متى كانت اللغة العربية في الاصل غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى فاذا لم يكن فيها ما يؤدي اخذناه وادخلناه .

(٥) الصنف الخامس أبنت رأيي فيه قبل بوضوح .

(٦) أوافق كل الموافقة على إدخاله .

(٧) أنواع فمنه كلمات عامية على الوزان العربي اصلها قد أُخذ من لغات أخرى

او حرّف عن لغات أُخرى مثل (جزمة) و (عربة) وهذه وأمثالهـا يصح ان يأخذ منهـا المجمع ما يراه مناسباً — ومنه كلمات ليست على الطريقة العربيـة ولا تعرف العرب طريقته مثل (ما عليهش) ونحوها وهذه ترفض رفضاً باتاً ٠

وعلى العموم فرأيي ان تنويع الكلمات وتصنيفها ليس فيه كبير فائدة فليترك الباب مفتوحاً أمام المجمع على مصراعيه ليختار انما مايجب ان يعنى به كل العناية المسائل الآتية :

(١) هل المجمع له سلطة وحرية في وضع كلمات غير قاموسية او لا ٠

(٢) ما القواعد التي يتبعها المجمع في وضع الكلمات اذا كانت له الحرية ٠

(٣) كيف تتصل الهيئات العلمية في الامم العربية حتى تضع بالاشتراك كلمات تستعمل بالاتحاد لا ان كل أُمة تستعمل اصطلاحاً خاصاً بل ان الامة الواحدة قد تستعمل مدارسها اصطلاحات مختلفة ٠

(٤) ما هي السلطة التي يتخذها المجمع المشترك وكيف ينالها حتى تنشر قراراته في الجرائد الرسمية للحكومة ويخضع لها الافراد والهيئات العلمية ٠

هذه هي المسائل التي يجب بحثها والبت فيهـا حتى يتم امر القواميس واذا أُثيرت بعثت لحضرتكم برأيي فيها والسلام عليكم ورحمة الله ٠

الادب في البحرين

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

[شاعر الخط]

« ابو البحر جعفر بن محمد الخطي العبدي المتوفى سنة ١٠٢٨ هجرية »

(ديوانه) .— مخطوط على ورق صقيل ضارب الى الصفرة بخط النسخ الواضح ، يشتمل على ٢١٦ صفحة ، و يظهر من صفحة عنوانه انه انتقل بالشراء الشرعي الى خمسة رجال ، وأقدم تاريخ عليه سنة ١١٣٤ رقم تحت صيغة هبة الديوان وهي بنصها :

« بعد الحمد والصلوة لاهليها ، فقد وهبني هذا الديوان الجامع لانواع البلاغة والفصاحة ، الحاوي لمستطرف البراعة والملاحة ، من نتائج أبكار أفكار البحر الزاخر ، والحبر الساحر ، الاديب البارع ، الاريب الساطع ، ابو البحر جعفر بن محمد بن حسن ابن علي الخطي البحراني ؛ تغمده الله بغفرانه ، وأحله دار الكرامة بفضله وسلطانه ، هبةً صحيحةً شرعية ، الشيخ العالم الرباني عمي الشيخ احمد بن جار الله الصَّيمري [1] مد ظله السامي و كتب هذه الحروف محمد بن صالح بن جار الله عفي عنهم ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٣٤ والحمد لله اولاً وآخراً » .

والنسخة الاولى من هذا الديوان كانت قد كتبت برسم السيد الشريف جعفر ابن عبد الجبار بن حسين العلوي الموسوي لمابينه والشاعر المترجم من الالفة والاختصاص ، والمودة والاخلاص كما تدل على ذلك الصفحة ٦٤ من النسخة المهداة الى دار الكتب الظاهرية ، ولعل واضع مقدمة الديوان وناسخه هو صديق ابي البحر الحسن بن محمد الغنوي الهذلي من شعراء القرن الحادي عشر ، وهو الذي تولى في اصبهان إنشاد قصيدة شاعر الخط التي عارض بها رائية البهاء العاملي المشهورة ، وليس في فاتحة الديوان ولا خاتمته ما يدل على اسم الناسخ الاخير .

---

(١) من اهل مدينة الجزائر بين البصرة والمنتفق في بطائح الفرات نسبة الى الصيامر وهي قبيلة تقطن الجزائر وحيٌّ من أحياء البصرة .

واما المقدمة فأولها : اما بعد حمداً لله الذي جعل الحمد قيداً لاوابد النعم ، وزماماً لشوار القِـدَم ، ومِجَنّاً عن عوارض النقم ، الى ان قال بعـد اتمام الحمدلة والصلولة ، معرباً عن رأيه في الشعر مما نصه : فان الشعر مستبَق فرسان البراعة ، ومنتَضل رماة الاغراض من اولي البلاغة ، بميدان رهانه تركض الخيل العراب ، واياه بالنجم علم الاعراب ، واليه يفزع تأويل السنة والكتاب لم تزل الجاهليـة يجيلون فيه أقداح المفاضلة ، و ينثرون[1] من كنانته سهام المناضلة ، وان في تعليقهم السبع حيث تعلق أربابهم ، ونصبُهم لها حيث توضع أنصابهم ، واجتماعهم بعكاظ يرون فيـه أخلاف المباراة ، و يبرون له سهام المباراة ، لشاهداً على علوهم فيه معدّلا ، وقاضياً بعلوه عندهم مسجلا ، ولما جاء الاسلام لم يستحل دمه ، ولم ينتهك حُرُمه ، على انه شديد الحرص على نقض مرائرهم المستمرة ، ووافر لرغبة في هدم قواعدهم المستقرة ، وناهيك باعداده صلى الله عليه حسان لذلك شاهد صدق انه في الاسلام غير وعر المسالك ، ولا مهجور الجوانب هنالك ، ولقد كان في ايام الدولتين ، وابأن الخلافتين ، معروف المراسم ، مشهود المواسم ، يستنزل به جود الجود ، ويستمطر بيمنه في السنة الجمود ، و يسترسب به كل من خفّت حصاته ، وأُستكف به عادية من ترهب شدّاته ، الى ان قال : و يناط به على المرعّث رعاث الاماني و يهنأ به الحسن بن هاني ، و يوسى به اوس المجيد وتلذ الرغائب بيدالوليد ، وينحل به ابوالطيّب أطايب المزيد ، ثم طارت بتلك الغضارة عنقاء مغرب ، ورُمي بعدهم باللكنة المُلسِن المعرب ، وهدأت بعـدهم فورة المهدر المشقشق ، وأغار فيلق الزمان على الشاعر المفلق ، وأسلمه الدهر الى قوم لا يعشون الى قبس ساطع ، ولا يعضون على الادب بضرس قاطع ، والممتّ برحم الادب معهم اجنب ، وذوالفضل مهجورالجوانب متجنب ، والعالم كأنه مطليّ به القار اجرب ، حشو أذهانهم السكر ، وملء آذانهم الوقر ، قد أجاءهم سوء بلاء الطبع ورثاثتـه ، الى تفضيل قدم الزمان على حداثته ، وهل يدخل في حيز الامور الممكنة ، ان تتفاضل الرجال بالازمنة ، وهل يعلو السهى على سهيل ، ببروزه في أوائل الليل ، ام هل يسمو الغثاء وان جاء في

(١) لعل صوابه ينثلون وهو اكثر استعمالاً مع السهام .

مقاديم السيل ، وما زال الادب قوساً لا تعطى باريها ، وزنداً لا تجد موريها ، حتى تلافى الله ذماء الباقي ، واستنقذ روحه وقد بلغت التراقي ، بيمن الاديب الذي جمع بين نجابة العرق ودماثة الخلق ، في الدوحة من ربيعة عروقه تنتشب ، والى الجرثومة من عبدالقيس اصوله تنتسب ، ترجمان العرب ، قهرمان الادب ، ابي البحر شرف الدين جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد ، الامام الشهير بالخطي العبدي احد بني عبد القيس بن شسن بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، فانه المستولي على أقاصيه ، والآخذ بأقدامه ونواصيه ، والقـائد لطيّعه وعاصيه ، والمنتقد لجيـده ورديّه ، والعـارف بصريحه ودعيّه ، وهو المفتلذ اناسي عيونه ، والمهتصر أفنـان فنونه ، ان شبّب فالخليُّ شجيٌّ ، وان عزّى فالداني الرحم قصيٌّ ، وان ندب فالقصيّ الرحم دنيّ ، وان ادلى بالمعـذرة سل السخيمة ، وامتص الضغائن القديمة ، فسيّان عند تغزله العزهاة والغزِل ، ومثلان عنـد اعزائه المقدام والفشِل ، وعلى الجملة فكل ضرب من الشعر مضروب بسكّته ، وكل صنف من النظم مجذوب بمسكته ، قرض الشعر وألّفه مرتبًا له حسب تلاحقه في الاسنان ، فوفق اطراده في العمر ككعوب السنان ، ليعلم الماهر المتوسم ، والناظر المترسم كيف كان تدرجه من الفتاءة الى الكهولة ، ومن ابان الغضاضة الى الفحولة . ختم الله لنا وله بالحسنى ، ورزقنا واياه من حسن العاقبة بالحظ الاسنى اه .

وانما أوردت ترجمة مقدمة الديوان لدلالتها على مرتبة الانشـاء وأسلوبه في البحرين في عهد المترجم وهو عهد انحطاط الآداب في العالم العربي . وقد شعر به واضع المقدمة وأبدى رأيه فيه ، ولان هذه الترجمة على الظن الغالب لم تطلق بالطبع من قيد الخط . والا فان ترجمته مذكورة في سلافة العصر من محاسن اهل العصر وفي خلاصة الاثر ونفحة الريحانة الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولا يستفيد الباحث من هذه التراجم شيئًا جديداً سوى الملل من قراءة السجع الفـاتر الذي تعلموه في المدرسة الحريرية ، او الوصف الجاف المنطبق على كل موصوف وقد جاء في الخلاصة ان البهاء العاملي قرظ لشاعر الخط قصيدته التي عارض بهـا رائيته الموسومة بروح الجنان في مدح صاحب الزمان وهي منشورة في الكشكول وغيره ومطلعها :

سرى البرق من نجد فهيّج تذكاري عهوداً بحزوى والعذيب وذي قار

ولم يرد في الخلاصة ولا غيرها شيء من هذا التقريظ ولذا رأيت مما يحسن ان أنشر منه هذه النبذة : « ايم الله أني كلما سرحت بريد نظري في رياض قصيدتك الغراء ، وروت رائد فكري من حياض خريدتك العذراء ، زاد بها ولعي وغرامي ، واشتد اليها ولهي وهيامي فكأنما عناها من قال :

قصيدتك الغراء يا فرد دهره تنوب عن الماء الزلال لمن يظما
فترى متى تروي بدائع لفظها ونظما اذا لم ترو يوماً لها نظما

ولعمري لا اراك الا آخذاً فيها بأزمّة أوابد الالسن ، تقودها حيث أردت ، وتوردها أنى شئت وارتدت ، حتى كأن الالفاظ تتحاسد على التسابق الى لسانك ، والمعاني تتغاير على الانثيال على جنانك والسلام » . لم نعثر على سنة ولادة الشاعر واما سنة وفاته فقد ذكرها صاحب السلافة وهي ١٠٢٨ هجرية واقدم قصيدة له في ديوانه في الغزل وهو اول ما يجري الفتى جواده في حلبته نظمها في صباه سنة ٩٩٩ وسائر شعره بعد الالف فتكون مدة نظمه نحواً من ثلاثين عاماً ، واذا قدرنا صباه بما بين الخامسة عشرة والعشرين فيكون عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين .

وبما ان فارس منتجع أدباء الشيعة وعلمائها كما كانت فروق مستراد رجال العلم والادب من فريق السنة رحل اليها الشاعر رحلة البهاء العاملي وذلك سنة ١٠١٦ وقطن بها حيناً من الدهر وفيها كانت وفاته كما يظهر من عبارة السلافة : « وكان قد دخل الدار العجمية فقطن منها بفارس ولم يزل بها وهو لرياض الأدب جانٍ وغارس ، حتى اختطفته ايدي المنون » . ولعله توفي في شيراز لانه أرسل منها سنة وفاته ١٠٢٨ قصيدة الى الشيخ احمد بن عبد السلام البحراني ، ويظهر من الديوان ان له ابناً اسمه حسان وكنيته ابو الفرج أرسل لابيه كتاباً صدّره ببيتين من نظمه فسرّ بذلك ابوه السرور كله وأجابه بابيات منجّمة قائلاً ما معناه ان الهلال يصير بدراً كاملاً ، والخطي المترجم كان كسائر علماء العرب الالباء والمنصفين من إخواننا الشيعة شيعياً بلا رفض لقوله رحمه الله في وصف الحشيشة الخضراء جرياً — كما ذكر صديقه الغنوي — على أسلوب الامراء المنهمكين في تعاطيها والا فان المسموع عنه

م ٦

انه لو حلّت لعافها تنزهًا وتركها ابقاءً على الشيمة من ملابسة ما يخون العقل ويقدح في المروءة .

فان قال فيها الناس ما لم يقم به دليل ولم ينهض بصحته خبر
فدعهم فقد قال الخوارج في الفتى عليّ وقد قال الروافض في عمر

(مقياس شعر العرب) — قال النقادة الكبير علي بن عبد العزيز الجرجاني في وساطته « وكانت العرب انما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فاصاب، وشبه فقارب وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض » . فاذا ما حذونا شعر ابي البحر الخطي على هذا المقياس رأينا انه يحاول تجويده وانه حسنه بشرف المعنى غير خلاّب والشعر لا تصغي اليه الافئدة ان كان حسنه وسطاً ولم يبلغ الدرجة العليا لحسن الموسيقي وحسن التصوير وحسن الخطابة وحسن الوجوه ، واما وصفه فقد أحسن بالجملة في بعضه وكان في بعضه الآخر ظالعًا لم يدرك شأو الضليع من الشعراء فقد وصف شيراز بوصف عام ينطبق على كل بلدة منعّم اهلها فهو كالمصور الذي لا يصوّر بلدة خاصة بل منظر مدينة او قرية رائعة بشجرها ونهرها فتكون الواحد من جملة التزاويق زينةً للجدران واليك ما قاله بشيرازه :

انّ شيراز بلدة لا يكاد الوصف يأتي وان تناهى عليها
ليس تدري سكانها أسرور النفس يأتي من خلفها ام لديها
لو رآها امرؤ وأدخل عدنا سأل الله ان يرد اليها

وممن عاصره من شعراء البحرين المجيدين الشريف العلامة ماجد بن هاشم الحسيني صديق ابي البحر وعشيره فكانا يتجاريان في الشعر فيفضل هذا صاحبه مرة وهذا مرة فما شأى ابو البحر به الشريف وصف البدر اذ كان سامراً عنده وطلع البدر فقال ابو البحر بديهةً :

خذه اليك كصفحة المرآة بدراً يكشف حالك الظلمات

فأجازه الشريف قائلاً :

وكأنه وجه المليحة حسّرت عنه ذوائب فرعها الفحمات
وكأنه والشهب محدقة به ملك اطاف به الجنود ثبات

فقال ابو البحر :

وكأنه الدينار بثت حوله بيض الدراهم غير مجتمعات
وكأنه والنقص يأخذ بعضه قرص اللجين مثلّم الجنبات
وكأنه والمحو في أرجائه وجه الفتاة مجدّر الصفحات

فان ابا البحر يكاد بهذا الوصف المصور يضع البدر امام عينيك ، فتهم ان تلمسه بيديك ، ولم يلحق ابو البحر الشريف في وصف امرأة جميلة تتلو القرآن قال الشريف :

من عذيري من غادة فتنتني وهي تتلو جزءاً من القرآن
بلسان يدعو الى طاعة الله ووجه يدعو الى الشيطان

وكأن ابا البحر عجز هنا عن مجاراته في هذا المعنى فقال لصاحبه وهو يجاريه دعنا نقصر ذلك على الصوت لهجة ومعنى وقال :

وقاريء يوقر الاسماع منطقه اذا تلا جرّع اللذات والغصصا
اذا أطاع لمعنى ما يفوه به قلب ، أجاب به ألحانه فعصى

فأجازه الشريف منشداً :

وتال لآي الذكر قد وقفت بنا قراءته بين الضلالة والرشد
بلفظ يسوق المتقين الى الخنا ومعنى يسوق الفاسقين الى الزهد

والغنوي الذي مر ذكره من أدباء البحرين في هذا العصر المولعين بشعر ابي البحر ويكاد يكون راويته اتصلت به هذه المجاراة فقال يجاريهما ببيتين يدلان على منزلته في الادب ومرتبته في نظم الشعر وهما :

وقار يحط العصم من شعفاتها يزيد على حسن التلاوة حسنه
تقسم قلبي حين غرد تالياً فللرشد معناه وللغيّ لحنه

وسلك ابو البحر في كثير من أبيات وصفه سبيل التشابيه المألوفة في عهد انحطاط البيان والمستبشعة بتصورها كقوله في وصف وزير البحرين :

اسد الفتك ، اجدل الخطف ذئب الـ ـمكر فهد الوثوب كبش النطاح

وبه يخال الإنسان ان الوز برجنينة حيوان ، ومنه قوله :

كأنما قــده قضيب — وسود ألحاظه قواضب

تفعل أصداغه بقلبي — أضعاف ماتفعل العقارب

ولكثرة مايذكر أمثال هؤلاء الشعراء من سهام الاهداب وقسي الحواجب والرماح والقواضب وسائر آلات العذاب الواصب اراد ان يصور احد ادباء الفرنجــة الشعر العربي فما رأى أصدق من تصوير مسلحة جامعة لانواع الاسلحة القديمة ومن منا لايذهب الى ان من المصائب ، ما تفعله بعجز البيت الاخير هذه العقارب .

وقد أجاد في حائيته المشهورة وصف الراح ولو اراد مقطّراً كالعرق لطبّق المفصل لانطباق هذا الوصف على الكحل — الكحول — وهو :

مزجوها فقيــدوها فلو تتـ — ـرك صرفاً طارت بغير جناح

وقارب الاجادة في وصف دولاب القميميات وفي الكلاب وراء الارانب والسمكة الطافرة من البحر التي شقت وجنتــه اليمنى الى غير ذلك مما يطيل نفس القول استقصاؤه . (الباقي للآتي)

ابو قبيس

عز الدين التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

والمجمع العلمي العربي ببغداد

البراز يليون(1) والسوريون

« اللغتان البرتقالية والعربية »

في مطالعتي ان نادي العلم والتاريخ في مدينة لندرا ارسل وفداً جديداً الى البراز يل مؤلفاً من خمسة من خيرة اعضائه ، على ان يقصدوا ولاية ماتو كروسكو ويتعمقوا في مجاهلها ، مفتشين عن آثار مدينة قديمة يقولون ان الفنيقيين بنوها حين استعمارهم تلك البلاد ، ويعزون اليها كل الاحلام التي دونها السندباد البحري في رحلاته ·

ولهذه النظرية على غموضها البعيد وبعدها عن المعقول انصار متحمسون في انكلترا وفرنسا ، يعتقدون جد الاعتقاد ان الفنيقيين وصلوا البراز يل قديماً واستعمروا قسماً منها وتركوا فيه آثاراً تدل على مبلغ ماوصلوا اليه من الرقي والعمران · ولكن اولئك الانصار لا يذكرون التاريخ ولا المدة ، ولا يهملون ايضاً امر الاهتمام بهذه القضية للوقوف على الحقيقة بارسالهم الوفد تلو الآخر ، وخصوصاً بعد ان اختفت آثار البريطانيين الثلاثة الذين سافروا الى الولاية البراز يلية المذكورة في سنة ١٩٢٤ ·

ولاغرابة في هذه النتيجة لان جانباً صغيراً من تلك الولاية مأهول ، والباقي مجاهل يستحيل الدخول اليها دون التعرض لأخطار هائلة كالأفاعي السامة والحيات الكبيرة ، وهذه اذا رأت حصاناً التفت على بطنه وحطمت عظامه · ناهيك بسوء المناخ في تلك البقعة النائية · اما الخطر الاكبر فهو وجود الهنود المتوحشين في تلك الارجاء ، وهم أقسام منهم من يستقبل المتمدن و يبقيه في حوزته على ان يقتله اذا حاول الهرب او الرجوع ، ومنهم القبائل التي تفترس لحوم الآدميين وغير الآدميين · ويظهر ان هذه القبائل هي التي افترست البعثة الاولى التي أشرنا اليها سابقاً · غير ان هذه الصعوبات والاخطار لا توهن عزائم بعض ابناء الامم المتمدنة الذين يستقبلون الموت باسمين مستشهدين ، في سبيل العلم والتاريخ ·

ولا سبيل الى إقامة الشبه بين نظرية الانكليز والفرنسيين من حيث وصول

(1) محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي العربي يوم ١٨ تشرين الاول ١٩٢٧ الاستاذ السيد موسى كريّم من أساتذة الشاميين في البراز يل ·

الفنيقيين الى تلك الاصقاع ، وبين حقيقة نفوذ العرب في البرتقال حين اجتاحوا الاندلس أريد بهذا ان تأثير عادات العرب وأخلاقهم في نفوس البراز يليين لا غبار عليه ، لان البرتقاليين هم أجداد البراز يليين بلا اشكال . أضف الى ذلك تأثير اللسان العربي في اللغة البرتقالية ، اذ ليس في الارض لغة تقرب بتعابيرها ومترادفاتها وجمالها وامثالها من اللغة العربية كاللسان الذي يتحدثون به في البراز يل والبرتقال .

ولا يسمح لي المجال لاطيل الكلام في هذا البحث سوى اني اؤكد ان خمسة آلاف كلمة عربية دخلت البرتقالية . وسوادها يبتدئ بأل التعريف ، ولا يزال على حاله باللفظ الفرنجي غير انهم حرفوا الحروف الحلقية التي تعذر عليهم لفظها ، وأبدلوها بحروف سهلة من لغتهم كابدال الخاء العربية بحرف (ف) الفرنجي كما ترى في كلمات الخياط Alfaiate والخس Alface والخرج Alforge والخرائب Alfarrabios والخنجر Alfange والبحيرة Albufeira والخنا Alfama وكلمات عديدة على هذا النمط استظهر منها خمسمائة على اقل تعديل .

واليك هذا الخبر الذي تلوته في احدي الصحف يتعلق باخبار الشرطة ومنه تدرك تأثير العربية في البرتقالية .

Debaixo de grande algazarra Foi o assassino algemado pelo alferes levando-o a presença do alcaid que o metteuno aljube

وترجمته : انهم ألجموا القاتل بعد عربدة غزيره ، بواسطة الفارس وقادوه الى حضرة القائد الذي طرحه في الجب . وانت ترى ان خبراً صغيراً كهذا يتضمن ست كلمات عربية هي غزارة والجم والفارس والقاتل والقائد والجب .

واليك فقرة أخرى : Na alfandega entraram batatas e azeitonas detioradas tomando conhecimento do facto o senhor Pedro de Alcantara Mamede

ومعناها انه دخل دوائر المكس صندوق بطاطا وز يتون مهروء ، فسجل ذلك المدير السيد بدرو دي القنطرة محمد .

و يظهر ان طائفة من الادباء السور بين اهتموا للبحث في هذا الموضوع في الآونة

الاخيرة ، وراجت اشاعات غدت في حكم اليقين ان اثنين من صفوة المفكرين عازمان على إصدار مؤلف ضاف بهذا الشأن ، يذكران فيه الالفاظ الدخيلة على اللغة البرتقالية ويردانها الى اصلها العربي . ولا جدال في ان هذا العزم جدير بالاستحسان المطلق لان البرازيليين وأعني بهم الفريق الاخصائي في المواضيع اللغوية كتبوا مراراً بهذا الصدد آسفين لعدم إصدار مؤلف يبحث في اصل الالفاظ العربية وما لحقها من التنقيح والتحريف .

اقول هذا دون ان انسى الاستاذ العلامة محمد سعيد علي البرازيلي المولد ، والمتحدر من ابوين برازيليين ، وهو حفيد احد ابناء الفيحاء . فقد ذاع تضلعه من اللغة البرتقالية حتى اطلع على أسرارها وتناول الالفاظ الدخيلة ورد معظمها الى اصل عربي صحيح بالنظر الى معرفته العربية ايضاً في محاضرة القاها من زمن بعيد في ندوة العلماء البرازيلية . ولم أقف عليها لسوء الحظ غير اني تلوت بعضاً من مؤلفاته اللغوية وفي جملتها كتاب نقد فيه أشعار كاسترو الفس رب الشعر البرتقالي . فقدر العلماء نقده حق قدره ووضعوه في منصب يليق بادبه وعلمه الواسع ولا بدع فهو ابن دمشق وكفى به تعريفاً .

ولديّ أمثلة كثيرة أضرب صفحاً عنها ، بيد ان أمة هذا شأن لغتها دون ان أغفل عاداتها الشبيهة بعاداتنا ، تستأهل بحكم المنطق الاشارة اليها والى بلادها الغنية ومنتوجاتها في هذه المحاضرة المقتضبة .

* * *

يقدر عدد المهاجرين من السوريين واللبنانيين الى سائر أقطار المعمور بنيف ونصف مليون من النفوس ، وقد قصد سوادهم القارات الاميركية لاسباب اهمها غنى العالم الجديد ، وسهولة الثراء الذي يوفره لكل مهاجر مجدّ ، وهكذا يقطن البرازيل اليوم اكثر من مائة وخمسين الف مهاجر سوري ولبناني على وجه التقريب . لان حكومة البرازيل قامت باحصاء عام بمناسبة عيد استقلالها المئوي سنة ١٩٢٢ فجاء عدد المهاجرين من سورية ولبنان نحواً من ثمانين الف فقط . ولما اظهرت استغرابي لمدير الاحصاء في مدينة سان باولو من هذه النتيجة أفحمني بجواب سديد ، خلاصته

ان العدد صحيح لا غبار عليه ، لان هناك فريقاً كبيراً من المواطنين قد تجنس بالجنسية البرازيلية ، فضلاً عن المولودين في البرازيل هم برازيليون بالجنسية ايضاً ، و باستثناء هذين الفريقين يصبح العدد معقولاً ، ولتثبيت برازيلية المولود في البرازيل من ابوين اجنبيين ، وقعت اخيراً حكومة البرازيل معاهدات مع سواد الدول الاوربية والآسيوية .

والمهاجرون من المواطنين متجنسون او غير متجنسين يشغل فريق كبير منهم مراكز جديرة بالذكر في مختلف الطبقات ، بفضل الشرائع الراقية التي اتخذتها دستوراً لها تلك القارة المضيافة ، فهي لا تفرق بين الوطني والاجنبي وتعامل الجميع على السواء بلا تمييز ولا استثناء ، حتى دفع الغرور جماعة من الاجانب لم يراعوا حرمة الضيافة فدخلوا بالسياسة دون ان يلحقهم ضرر او يتناولهم قصاص سوى الانذار والتنبيه ، ولا تجد برهاناً أوفى على صحة هذا الكلام من الثورة التي نشبت في مدينة سان باولو في الخامس من تموز ١٩٢٤ اذ تألفت فيها فوات من الاجانب وانضمت الى الثائرين ، وحاربت القوات النظامية دون ان تنتقم منها الحكومة البرازيلية ، بعد ان ساد النظام وانتصر العدل ، وماذلك الا لان البرازيلي بطبيعته لطيف الجانب وديع الخلق مضياف كبير . وقد يكون ورث هذا من أجداده البرتقاليين الذين استعمروا البرازيل طويلاً و يطلق عليهم مؤرخهم الكبير الاستاذ الشندري هركولانو لقب مستعربين . ولو وقع هذا الحادث في بلاد غير البرازيل لرأيت الدخلاء ينفون الى خارج البلاد بعد ان يذوقوا من طعم العذاب أشكالاً .

وقد يبدو لاول وهلة اني أسبح بحمد البرازيل ، والحقيقة اني لا آتي بالجديد المبتكر اذا أشرت اليها بالطيبات ، فسل من أردت من المهاجرين الى اية بلاد كانت وسل سواه من المواطنين في البرازيل ، تجد ان البعد شاسع والمدى سحيق ، لان الشامي المقيم في هذه الجمهورية الاميركية يشعر كأنه في بلاده وعقر داره . له مطلق الحرية في الحياة التي يهواها ، فلا مراقبة ولا نقد على مآتيه واعماله ، بل هو مطلق التصرف بكل شيء ، في الدائرة التي يتمتع بحقوقها ابن البلاد الوطني على اختلاف مظاهر الحياة وتباين أحوالها .

والبرازيل بلاد واسعة مترامية الاطراف تحتاج الى ايد عاملة لاستثمار ارضيها

وتفتقر الى الزارعين اكثر من أصحاب الحرف . وعلى الرغم من كون الشاميين لايميلون الى الزراعة بتاتاً ، لم تعمد الحكومة الى سن شريعة تحدد فيها عدد المهاجرين غير النافعين او تحظر على بعض الاجانب حق الاستملاك ، كما فعلت سواها ، بل تركت الامور تجري على سنتها الطبيعية الى ان غدا السوريون الذين لا يعملون بغير التجارة ينزع بعضهم الى احتراف الزراعة حتى لقد دعيت محطة في منطقة زراعة البن باسم هزار وهو كنية سوري من كبار المزارعين . وفي ولاية سان باولو اليوم مزارعون عديدون من كرام المواطنين ومزارعهم تنتج البن والارز والفاجوم والسكر والكاكاو وما أشبه من الأقوات .

ومع انه لم يكن لسوري مزرعة او شبه مزرعة بنّ حتى سنة ١٩١٠ فلبعض المواطنين اليوم اكثر من ثلاثة ملايين شجيرة بن . وقد خصصتُ ولاية سان باولو دون سواها معان في البرازيل احدى وعشرين ولاية ، آخرها الولاية التي تعرف باسم احد الانهر الثلاثة الكبيرة في العالم وهي الامازون والنيل ومسيسبي . ولكن ولاية سان باولو هي قلب البرازيل النابض ، ومصدر غناها وعظمتها ، وتعادل صادراتها ثلثي صادرات الجمهورية كلها ، ولولا البن الذي نصدره سنوياً و يقدر ثمنه بسبعين مليون ليرة انكليزية اي ضعف القطن المصري لساءت حالة البلاد . ولو لحظت ان صادرات الامة كلها لا تزيد عن مئة مليون ليرة علمت بالبديهة مكانة ولاية سان باولو من البرازيل .

وقد بلغ من خيلاء بعض سكانها انهم تحدثوا مراراً بالانسلاخ عن جسم الجمهورية واعلان استقلال الولاية ، ولكن الغربيين في مستوى رفيع في الوطنية لاتغرهم الوعود ولاتنسيهم حزازاتهم الشخصية مصلحة الوطن التي هي فوق كل مصلحة ولذلك كان الوطنيون عند أقل إلماع الى هذه الفكرة يهبون دفعة واحدة و يقفون حاجزاً دون تلك الاماني ، مبشرين بوجوب الاتحاد الذي يؤلف القوة ضاربين كشحاً عن كل تقسيم غرار وممالك خلابة .

والحقيقة ان امتياز سان باولو غريب ، فعلى رغم وجود ثماني وعشرين جامعة في عواصم الولايات البرازيلية لدرس الطب والحقوق والهندسة ، تجد المجموع مفضلاً

الجامعات السانباولية ، وقد تخرج من كلية الحقوق فيها نوابغ الامة اذكر منهم المشترع الكبير واللغوي المحقق الاستاذ روي بربوزا وسواه من كبار الاعلام والمفكرين ·

وقد قاموا باحصاء عن حالة المعارف في البرازيل فكان عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة ٤٧ بالمئة في ولاية سان باولو واقل من عشرين في بقية الولايات ، اضف الى ذلك نموها العجيب · فقد كان عدد سكان العاصمة في سنة ١٩١٠ (٣٠٠) الف واليوم يكادون يبلغون المليون ، وازداد سكان الولاية من مليونين الى خمسة ، ولذلك أصبحت محط رحال المفكرين وأصحاب المهن الحرة من الشاميين انفسهم ، ففيها خمسة عشر طبيباً وخمسة محامين أخص منهم بالذكر الدكتور يوسف رزق الله المشهور بدفاعه عن السوري من ثلاثين سنة حين اتهم بفرية افتراس لحوم الآدميين وصحفيون عديدون في جملتهم الدكتور سعيد ابو جمرة الذي انتخب عضواً في هذا المجمع العلمي الزاهر والدكتور خليل بك سعادة صاحب المؤلفات المشهورة بالانكليزية والعربية ·

حدثتُ ان السوريين في الولايات السحيقة البرازيلية أصحاب نفوذ واسع وثروة طائلة ، ولست واقفاً كل الوقوف على حالتهم ، واؤكد ان بينهم ثلاثة من النواب في مجالس الولايات واثنان مساهمان في شركة ملاحة ، وعلى كل فعددهم قليل جداً ، وشأن السوريين المقيمين في مدينتي سان باولو والريو محدود من الوجهة الزراعية ، ولكن في الصناعية والتجارية عظيمة جداً · ولا بدع اذا اشتهر الشامي بضعفه مجتمعاً فقوته فرداً حقيقة ناصعة ، لاسيما اذا ساعده الوسط واكتنفه المحيط بدواعي المدنية ومظاهر النهوض ·

لقد بدأ المواطنون في تجارتهم يحترفون مهنة البائع الدوار ، اوحمل الصناديق المملوءة من البضائع على الظهور ، وهي حرفة لاتدل على العظمة التجارية ، ولكن قاعدة النمو والتطور التي رافقها اقتصاد السوري وجهاده وثباته ضمنت تقدم السوريين حتى اصبحوا سادة البندر التجاري في مدينة سان باولو واصحاب مركز تجاري رفيع في عاصمة البلاد دع مالهم من المكانة في داخلية الولايات باعتبار انهم وحدهم استأثروا بالاتجار ، بحيث يضطر الناس الى شراء الاقمشة والحاجيات منهم ، وهكذا قل عن المدن ، فاكبر المحال التجارية تبتاع منهم البضائع الحريرية النفيسة على ان تبيعها من الاهالي مباشرة · ويمكن القول على وجه الجملة انهم أصبحوا قلب تجارة البلاد ، ولا سبيل الى الدهشة لان

انصراف الشاميين الى التجارة دعاهم الى تناول الصناعة ، ولم يمر وقت قليل حتى اصبحوا أصحاب مئات من مصانع النسيج القطني والجوارب والحرير والمناشف والاقمشة واحيوا هذه الصناعات التي لم يكن لها اثر في البلاد ، فتحسنت سمعتهم تحسناً بيناً لان ما فاتهم من الوجهة الزراعية اعتاضوا عنه من الوجهة الصناعية ·

وليست غايتي الاشادة باسماء المواطنين المجيدين ولكني مضطر بحكم الواجب الى ذكر بعض اثر تفوقهم في السمعة العامة كمصنع النسيج في ايبرنكا الذي هو ملك السادة يافث ومنهم المرحوم نعمة يافث الرياضي السوري المشهور الذي استأثرت به رحمة الله منذ اربع سنوات فخسرت بموته الطارئة السورية رجلاً من خيرة رجالها العاملين على انهاضها ورقيها ، واعترفت بتفوقه حكومة سان باولو ومجلس بلديتها باقتراح رئيسه دعوة شارع في محلة ايبرنكا باسم الفقيد تقديراً للخدمات التي قام بها في المحلة المذكورة من وجهة بناء المعمل والقصور الباذخة · وهذه المحلة ذات شأن تاريخي لانها واقعة على هضبة وفيها نودي بالاستقلال البرازيلي سنة ١٨٢٢ واعتمد الوطنيون الجملة المشهورة : الاستقلال او الموت ·

ومعمل ايبرنكا من اكبر معامل النسيج في اميركا الجنوبية يديره الآن السيد باصيل يافث وتقدر ثروة آل يافث بخمسة ملايين ليرة انكليزية ، وهناك معمل للحرير والجوارب ملك السادة جبارة من أصحاب النفوذ السياسي ، والسادة ميشال اسعد واخونه أصحاب مصنع للمناشف والجوارب ولهم مركز اجتماعي وكثيرون سواهم من آل معلوف واندراوس بلغوا مستوى رفيعاً في عالم الثراء ، أتحاشى ذكر اسمائهم لان تفوقهم تجاري وانما غايتي الالماع الى الشأن الصناعي والا لاضطررت الى ذكر مئات من الاسماء ومئات المحال · ويقدر العارفون ثروة السوريين اليوم بثلاثين مليون ليرة انكليزية في البرازيل كلها ·

اما السمعة الادبية فقد رافقت التفوق التجاري جرياً على قاعدة النمو الصحي التي نراها بصورة محسوسة في الاجسام ، فان اعضاء الجسم كلها تنمو دفعة واحدة والاصبح من شواذ المخلوقات · وبعد سكن القصور ظهر التطور الاجتماعي في السوريين فأخذوا

يقصدون المسارح والاندية و يلبسون نساءهم احدث الازياء وأثمنها ، وغدا لهم شأن كبير في عالم الادب والاجتماع .

اذكر انه لما زار مدينة سان باولو العلامة الدكتور فيليب حتى استاذ التاريخ في احدى جامعات اميركا الشمالية واحد اعضاء المجمع العلمي العربي الذي أتيح لي الحظ بتعريفه الى الصحف البرازيلية ففوضت الي حينئذ نشر المعلومات عن زياراته التي يقوم بها اثناء اقامته في البرازيل ، وهكذا نشرت الصحف وفي جملتها الرسمية كل ما قدمته اليها خلال شهر كامل مما يبلغ عموداً كل يوم تحت عنوان استاذ سوري في البرازيل . ولما أقامت له النزالة مأدبة اشترك فيها رجال الصحافة البرازيلية وفريق من كبار المشترعين وانضمت الى هذا المظهر التكريمي حكومة سان باولو نفسها اذ أبرق رئيس الولاية الدكتور كرلوس دي كمبوس صديق السور يين الحميم الى المحتفل به يهنئه بمظاهر الاكرام التي تقام له و يشترك مع المحتفلين . والشأن في هذه البرقية ان الرئيس لم يدع رسمياً للحفلة فكان عمله من مظاهر الاحترام الذي تضمره حكومة البرازيل للسور يين وضيوفهم الاعلام .

والوجه الاهم في فخامة هذا الشعور ان الشامي عصامي في جهاده اذ لا سند له ولا عضد ولا مسحة لتأييد حكومته له منذ عهد الاتراك ، ولذلك كان يشار اليه بالهزء والسخرية ، فاذا ما رأيت الحكومة تعامله بالاحترام كان ذلك من كبير جهوده ومسعاه الشخصي . والحقيقة ان المواطنين لم يحجموا عن مشاركة البرازيليين بمظاهراتهم ومشار يعهم العامة وأعيادهم الوطنية ، ففي غضون الحرب جمعوا مبلغ الف كونت تقريباً (والكونت ثلاثة آلاف وثلاثمائة فرنك بسعر النقد الحالي) مساعدة لجمعية الصليب الاحمر البرازيلية حتى اضطرت بقية النزالات الى احتذاء مثالهم دون ان تبلغ تبرعاتها القدر الذي ذكرناه في حين انها اغنى بما لا يقاس من الجالية السورية .

وعلى ذكر الاستاذ حتّى اقول ان حضرته وعد في احدى محاضراته في البرازيل بانشاء كرسي لتدريس اللغة البرتقالية في الجامعة الاميركية في بيروت ، وسمعت من احد المقربين الى نظارة الداخلية في مدينة سان باولو ان حكومة الولاية ستبادل الجميل بمثله وتدخل الى برامج المعارف العامة اللغة العربية وتوجب تدريسها حالما تقف رسمياً

على ان الاستاذ حتى قام بوعده · فعسى ان تتم هاتان الامنيتان لان تدريس العربية في المدارس البرازيلية بصورة رسمية على جانب كبير من المكانة اذ يحيي القومية العربية و يوجد صلة ثابتة بين المهاجر السوري وابنه الذي يعتبر برازيلياً لمجرد ولادته في ارض كولومبس · و بالنظر الى جهل السواد المولودين في البرازيل من ابوين سوريين لغة آبائهم تراهم قد اندغموا كل الاندغام بالجنسية البرازيلية وخسروا عروبتهم ابد الدهر ، حتى انه كثيراً ما ينشأ بين الوالد وابنه شيء من الكدر اوالاحتقار لجهل هذا لغة والده وعدم تمكن الوالد من التحدث بالبرتغالية الصحيحة مع ابنه · ولكن هذا الواقع المحزن لا ينسيني الاشارة الى فضل المدارس العربية في مدينة سان باولو فهي تشغل خمس عمارات كبيرة وقد قامت باجل الخدم نحو ابناء المهاجرين اذ لم تلقنهم مبادئ لغتهم فقط بل سعت جهدها لتلقينهم آدابها السامية ·

وفي مدينة سان باولو رجل ناهض وكاتب متفانٍ في خدمة الشرق وابنائه هو شكري افندي الخوري مدير جريدة ابي الهول وصاحب فكرة اقامة نصب للمغفور له اليازجي التي تكللت بالفوز ، وقد اقترح على المواطنين التبرع لاقامة نصب خالد يقدم هدية منهم الى البرازيل بمناسبة استقلالها المئوي ، فأقبل المواطنون من ذوي الاريحية بغيرة ممتازة على هذا المشروع · وسينصب هذا التمثال الفخم قريباً في أعظم ساحات مدينة سان باولو ، و يكفيه عظمة ان يكون من وضع الاستاذ الطلياني الكومانداتور شمانس أعظم حفار متفنن في العالم ، وفي النصب المذكور تماثيل صغيرة متعددة تشير الى الفنيقيين والعرب ، والى اصل البرازيليين وعظمتهم الحالية ، والى التآخي بين السوري والبرازيلي في كل نكبة وملمة ·

وقد تكررت هذه المآتي من السوريين فأصبح اسمهم موضوع احترام في الصحافة الكبيرة تشير اليهم بمنتهى الود وتعطف على قضاياهم وتنزلهم منزلة الند والنظير مما ندر وقوعه في عامة الاقطار الاميركية · وقد استفادوا هم من هذه الحالة فتوسعوا في أعمالهم وتدخلوا بالسياسة البرازيلية ومنهم الآن نواب في مجالس الولايات ورؤساء بلديات وزعماء سياسيون يشار اليهم بالبنان · ولو أُتيح لصحافة البرازيل العربية وخصوصاً صحافة سان باولو ان تجاري المحيط بالرقي وأدب اللهجة ورصين الديباجة ، ولو انزل الله

جل شأنه على قلوب كتابها موهبة التآخي والاتحاد وخدمة الجمهور كي لا يكونوا مثالاً لعقلية الشرقي المتحاسد المتباغض ، لكانت الحالة مرضية من كل الوجوه · فان مما يؤسف له كل الاسف ان يكون قادة الرأي العام في حكم المشاغبين والعاملين على انقسام المجموع وتباغضه وانحطاطه ·

تسع البرازيل ايها الاخوان الاعزاء ملياراً من النفوس جرياً على طريقة السكن الاوربية ، لانها البلاد الرابعة في العالم من حيث المساحة · اما عدد سكانها اليوم فسبعة وثلاثون مليوناً وولاية سان باولو صالحة لاقامة مائتي مليون · و بالنظر الى ترامي أطراف تلك الجمهورية تجد مناخ كل ولاية يختلف عن الاولى وكذلك التربة وخصبها وقابليتها للزراعة · ولذلك اهتمت حكومة البرازيل منذ نيف وعشرين سنة بالاعلان عن جودة ارضيها ودعوة العمال لاستثمارها ، وانصرفت بالدرجة الاولى الى خطب ود العمال الايطاليين والبرتقاليين والاسبانيين لانه لم تتألف الى الآن في البلاد قومية متوحدة ، واهل البرازيل مزيج من عناصر مختلفة يسود فيها العنصر اللاتيني ، ولهذا السبب يفضل البرازيليون العمال من اصل لاتيني حتى اذا انشأوا العيال جاءت منطبقة على قاعدة النسب الجنسي ·

أضف الى ذلك ان البلاد اللاتينية فقيرة ولاسيما ايطاليا ، وقد ضاقت ارضها بابنائها فعمدوا الى المهاجرة والمتحدر منهم يعتبر برازيلياً قحاً ، خلافاً للالمان والانكليز الذين يقيمون العراقيل في سبيل الاندغام بجنسية غير جنسيتهم بالنظر لرقي مدنيتهم · وقد فازت البرازيل بدعوة العمال الاسبانيين والبرتقاليين من ايسر وجه ولكنها فادت كثيراً في سبيل الطليان وخصوصاً بعد ان حكم ايطاليا موسوليني الاشتراكي المتطرف سابقاً والوطني المتطرف اليوم لانه بعد ان لحظ حاجة البرازيل الى الايدي العاملة ومقدار نفعها في استثمار موارد البلاد قدم شروطاً صعبة ، منها وجوب تدريس اولاد العمال المولودين في البرازيل لغة آبائهم قبل كل لغة ، وتأليف لجنة يرأسها قنصل ايطاليا للمشارفة على حالة العمال الصحية وكيفية معاملتهم في المزارع وجعل ايطاليا الدولة المفضلة من حيث جباية تعرفة بسيطة على بضائعها في دوائر المكس البرازيلية فرفضت البرازيل بكل انفة هذه الشروط ولم ترض بغير الشرط الوحيد الذي وضعته هي نفسها

وهو دفع جوازات سفر العمال من بلادهم الى المزارع . ولا جدال في ان الشروط الطليانية قاسية جداً لتضمنها عدم ثقة في الحكومة السانباولية شروط لا يجوز ان تصدر من أُمة مستقلة الى أُمة نظيرها . وكانت النتيجة ان انقطعت المفاوضات ولا تزال الى الآن .

والجدير بالذكر انه لم يكد يذيع هذا الخلاف حتى تقدمت دول عديدة للتفاهم مع حكومة البرازيل من هذه الوجهة قادرة التقدمات والمنافع التي تؤديها كدفع جوازات السفر ومنح العمال ارضين صالحة للزراعة اذا شاؤوا الاستقلال ، وقد عقدت حكومة سان باولو الى الآن اتفاقاً مع بولونيا واليابان واليوغوسلافيا والمجر . ومن المعلوم ان المستقبل للبرازيل ، فكلما توفرت الايدي العاملة فيها سهل استثمار كنوزها ومواردها الى ان تصبح جنات تجري من تحتها الانهار .

* * *

الطبيعة مسرفة في البرازيل ياسادتي ، والربيع دائم وكل ولاية تنتج محصولاً خاصاً . ففي ولاية سان باولو البن والفاجوم والقطن بوجه خاص . وفي ولاية ماتو كروسو الابقار النادرة المثال . وفي ولاية كواياز الارز والتبغ . وفي ولاية ميناس المعادن والمحصولات المتعددة عدا الجبن والزبدة واللبن النقي الصحي . وفي ولاية برانا «الماتي» الذي يتناوله سكان الارجنتين . وفي ولاية ريوكراندي دوسول الحنطة والفواكه التي تضاهي بطعمها الثمار الاوربية . وفي ولاية سانتا كاترينا حيث يعدّن العنصر الالماني مناجم الفحم . وفي ولاية باهيا البرتقال والتبغ والكاكاو . وفي ولايتي بارا والامازون المطاط .

ومدار كلامنا الآن عن البن فهو محصول البلاد الرئيسي الذي يضمن دخول الذهب الى البرازيل وهو قاعدة غناها وعظمتها ولاجله تحصل ولاية سان باولو على اعتماد مالي لدى صيارفة العالم يضاهي اعتماد دول البلقان مجتمعة . ولا بدع فثلثا سكان العالم يشربون القهوة من البرازيل لان محصولها يقدر في ولاية سان باولو بعشرة ملايين الى اثني عشر مليون كيس وفي كل البرازيل ينيف على خمسة عشر مليوناً .

ولما كانت الارقام اوفي دليل في مثل هذه الحال فاننا نورد هنا صادرات البرازيل

من البن وتردفها بمعلومات عن الاسعار والصادرات بالاكياس · ففي سنة ١٨٨١ أصدرت منه مليوناً وربع · وفي سنة ١٨٩١ أصدرت منه ثلاثة ملايين · وفي سنة ١٩٠١ أصدرت منه ثمانية ملايين · وفي سنة ١٩١١ أصدرت منه ثمانية ملايين · وفي سنة ١٩٢١ أصدرت منه عشرة ملايين · وفي سنة ١٩٢٦ أصدرت منة عشرة ملايين · وفي سنة ١٩٢٧ أصدرت منه تسعة ملايين ونصف ·

وكانت قيمة هذه الصادرات في السنوات الاولى ثلاثين الف كونت الى ان بلغت ١٠٠ الف كونت في سنة ١٨٩١ و٤٠٠ الف كونت في سنة ١٩٠٧ ومليوناً وسبعمائة الف كونت في سنة ١٩٢٤ ومليوني كونت في السنة الغابرة ومليوناً ونصفاً في السنة الحالية اي من تموز السنة المنصرمة الى تموز في السنة الحالية كما اعتادوا حساب سنة البن في البرازيل ·

وسقوط الاسعار محسوس في السنة الحالية بدليل هبوط قيمة الصادرات اكثر من نصف كونت وقد كان معدل سعر الخمسين كيلو في الهافر في سنة ١٨٨٥—١٠٠ فرنك فبلغ آخراً الفا ومئتي فرنك والسعر الآن ستمائة الى السبعمائة ، فلا يجد التجار والحالة هذه سانحة أفضل من الحالية لايجاد صلة تجارية عملية بين قلب العربية دمشق والبرازيل التي تضيف عدداً كبيراً من اخواننا وتحلهم محلهم من حسن الضيافة وجميل المأوى ·

ولم تبق حاجة للاتيان بالدليل على ان سقوط اسعار هذا المحصول يؤثر في الحالة الاقتصادية البرازيلية و يفقر المزارعين فيحول دون مجيئهم المدن وبذل النفقات الطائلة و ينقص اجور العمال فيمتنعون عن شراء الاقمشة فتحل الضائقة المالية ضيفاً ثقيلاً على كل طبقات الشعب كما حدث مراراً في تلك البلاد · ولا بدع فالناس باعمالهم ومشاريعهم شركات متضامنة او كاصابع اليد الواحدة متى أصيب اصبع منها بسوء شعرت بالالم بقية الاصابع ·

ولما كان يتوقف على زراعة البن وأسعاره الرخاء والبحبوحة في البرازيل أنشأت حكومة سان باولو نادياً دعته نادي الدفاع عن البن غايته إقراض او تسليف المزارعين الاموال اللازمة مقابل محصولهم كي لا يضطروا الى بيعه بابخس الاثمان وقد عقد النادي

في السنوات الاخيرة قروضاً متعـددة لهذا الغرض آخرها قرض قدره خمسة ملايين ليرة انكليزية من شهر ونصف والاجتماعات حافلة الآن بين ممثـلي الولايات التي تنتج البن لاتخاذ ذرائع تؤدي حتماً الى تحسين اسعار هذا المحصول أسوة بما يعمل الانكليز لاستثمار المطاط والاميركان لاستثمار الحنطة والمصريون في القطن اه ٠

العلامة الدكتور يعقوب صروف

فجع العلم العربي يوم ٩ تموز سنة ١٩٢٧ بفقـد العلامة المحقق الدكتور يعقوب صروف ، احد منشئي مجـلة المقتطف وعضو المجمع العلمي العربي ٠ توفاه الله اثر علة تصلب الشرايين ، فاهتزت الاندية العلمية في الشرق الاقرب العربي لوفاته ، وحل الاسى في قلوب اهل العلم والادب عليه ٠

ولد يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م في قرية حدث بيروت ، ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب ، ثم انتقل الى مدرسة عبيه الاميركية ونال شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٠ ٠ وبعد ذلك درس سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين وعقبى ذلك دعته الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيهـا احدى عشرة سنة ٠

وفي خلال التدريس بدا له مع تربه الدكتور فارس نمر ان ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني فشجعهما على عملها وسمى مجلتها (المقتطف) وبدأ يؤازر فيهـا وينظر فيما يترجمان ويؤلفان ٠ صدر المقتطف في اول ايار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم رأيا الانتقال الى القطر المصري وأنشأا في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها «المقطم» لتناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على إصدار المقتطف والمقطم الى اليوم ٠

انقطع الدكتور صروف — الدكتور لقب ناله في الفلسفة من احدى جامعات اميركا — لانشاء المقتطف ، واختص زميله الدكتور نمر بانشاء المقطم وكان الدكتور

في السنوات الاخيرة قروضاً متعددة لهذا الغرض آخرها قرض قدره خمسة ملايين ليرة انكليزية من شهر ونصف والاجتماعات حافلة الآن بين ممثلي الولايات التي تنتج البن لاتخاذ ذرائع تؤدي حتماً الى تحسين اسعار هذا المحصول أسوة بما يعمل الانكليز لاستثمار المطاط والاميركان لاستثمار الحنطة والمصريون في القطن اه ٠

العلامة الدكتور يعقوب صروف

فجع العلم العربي يوم ٩ تموز سنة ١٩٢٧ بفقد العلامة المحقق الدكتور يعقوب صروف ، احد منشئي مجلة المقتطف وعضو المجمع العلمي العربي ٠ توفاه الله اثر علة تصلب الشرايين ، فاهتزت الاندية العلمية في الشرق الاقرب العربي لوفاته ، وحل الاسى في قلوب اهل العلم والادب عليه ٠

ولد يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٢ م في قرية حدث بيروت ، ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب ، ثم انتقل الى مدرسة عبيه الاميركية ونال شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الاميركية في بيروت سنة ١٨٧٠ ٠ وبعد ذلك درس سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الاميركيتين وعقبي ذلك دعته الكلية الاميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة ٠

وفي خلال التدريس بدا له مع تربه الدكتور فارس نمر ان ينشئ مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني فشجعهما على عملهما وسمى مجلتهما (المقتطف) وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان ٠ صدر المقتطف في اول ايار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ، ثم رأيا الانتقال الى القطر المصري وأنشأا في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سمياها «المقطم» لتناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على إصدار المقتطف والمقطم الى اليوم ٠

انقطع الدكتور صروف — الدكتور لقب ناله في الفلسفة من احدى جامعات اميركا — لانشاء المقتطف ، واختص زميله الدكتور نمر بانشاء المقطم وكان الدكتور

صروف ينظر على الاكثر في المسودة الاخيرة من المقطم ، وكثيراً ما كان يحذف منه أشياء تمس عواطف المصريين . وكان المترجم له ورصيفه الدكتور نمر مثال الشريكين المتماسكين الصدوقين ، فأثريا وارتاشا على صورة لم تسبق لغيرهما من ارباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له وجلُّ اعتماده في مادته على المصادر الانكليزية والاميركية . ومادته البحث في تقريب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعيـة من أذهان الجمهور . وقد نجح في هذا المعنى ، وأثر في أفكار قرائه تأثيراً حسناً ، فكان أداة صالحة لنزع غشاوة الجهل المخيم على العقول . وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم على الاصول في المدارس تلقاها من طريق المقتطف فكان مدرسته وأستاذه من غير نكير .

ذلك لان الدكتور صروف كان يتوخى السلاسة في التعبير وقد رزق بياناً لا تكلف فيه ، ورشاقة في الأداء وابلاغ المعنى الى القارىء يفاخر بها ، وقدرة على النقل والاحتذاء قلّ ان داناه فيها احد بموضوعه ، يقرأ المقـالة الطويلة لعالم من علماء اميركا او انكلترا فلا يلبث ان يلخصها في صفحات قليلة ، و يزينها بما يشرحها و يحبب الى الناس مطالعتها ، وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحتذي ويؤلف ، وكان التعريب في مجلته اكثر من التأليف ، واكثر التأليف من أقلام مؤازريه في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن قرأ المقتطف وأدمن قراءتهـا فكأنما يقرأ ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في هذه العلوم . وقد حاول غير واحد من ارباب الأقلام في مصر والشام ان ينسج على منوالها فأخفق لان دراسته الاصليـة كانت غير دراسة الدكتور صروف الذي تخرج على يد استاذ حكيم وعلم مبـادىء هذه العلوم قبل ان يؤلف فيها ، وسار على سنة الترقي في موضوعاته ، تزيد كل سنة مادته وتزيد معهـا معارف قرائه .

واذ كانت موضوعاته قد تمس الأديان والتقاليد في الاحايين كان يلزم الحياد على الاكثر فينقل بتصحيح السند والرواية ، ويترك المجال للنـاس يفكرون فيما يتلون و يتلى عليهم . وكان يتوخى ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث . ولم يكن من

يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، ومع هذا نشر لمؤازر به أبحاثاً مهمة فيها بدون تعليق عليها الا في امور لا تحتملها حوصلته و يعتقد خلافها بحسب ما هداه اليه علمه وتلقفه من محيطه وبيئته ، وقد تضطره العاطفة الى ان ينوه بمن لا يستحقون التنو به فيترجم لهم ، و يغفل ترجمة من لا تروقه سياستهم من العظماء والعلماء من المعاصرين والغابرين . كل هذا وهو من التسامح العلمي على جانب عظيم . فكان في كل حياته الى الاعتدال ، يترك للصلح محلاً كما يقولون .

« ولو ظل المقتطف [1] يقبل المناقشة فيما يكتبه و ينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات ، وضاع المقصود من إنشائه ، فقد نصح لها أستاذهما بالعدول عن خطة المماحكات على ما أثبتا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضيعا بعدُ الوقت في الجدال سدى » « ومع ان للمقتطف مشرباً يصعب ان تقبله كل النفوس وأشياعاً يغالون في محبته وإجلال ما يصدر عنه ، نراه الى اليوم يراعي اكثر الاذواق استحساناً . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته . ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره ان يجاري بعض المجلات في نشر الابحاث الأدبية وأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الادبية ، فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في امور كثيرة يصح ان يقتنيها اهل كل جيل وقبيل ، ولامسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين ، تلك الصحف التي تنصرف الى علم او عدة علوم لا تتعداها ، فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك ما دام اهل الاخصاء في الشرق لا يعيشون من أقلامهم ، وما عم العلم بيننا حتى يخص » . « ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لا بد ان يسقط ولو قليلاً فيما يدعوه الخاصة لغواً او حشواً . ولعل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال يوماً لاحد كتاب المجلات انك يا هذا تملأ صحيفتك بالدسم فوق اللازم ، فالاشبه بك ان تضمنها ما تحمض به النفوس ليشتد بها القوم الى العلم » .

---

(١) مجلة المقتبس (ج ١ ص ١٧٢) .

هذا ما قلته في المقتطف الأغر منذ ثنتين وعشرين سنة . وقد رأيناه لأول نشأته — ومنذ سنتين احتفل بعيده الخمسيني — يفتح صدره لأقلام الباحثين والمستفيدين والعلماء والادباء ، حتى كان مباءة لنشر افكار زمرة صالحة من رجال النهضة العربية في نصف قرن من الشاميين والمصريين والعراقيين وغيرهم . ولذلك دعي المقتطف بحق شيخ المجلات العربية ، وقد سار فيه منشئه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية بادئ بدء ، ثم اخذ يعني بالآداب العربية وما يستهوي العامة الى مطالعته ، خصوصاً عندما انبعثت شعاعها من مصر في الخمس والعشرين سنة الاخيرة ونبغ من المصريين علماء وادباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر .

وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والاسماء الفنية نشرها بلسان مقتطفه فتناقلتها الاقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في التعريب وضعها في السنين الاخيرة حبذا لو يسير النقلة عليها لانها زبدة تجارب سنين طويلة وهي خير الطرق في التعريب والاحتذاء . وكان أجزل الله ثوابه على جانب من حسن الادب وتجلى فيه أخلاق العلماء العصاميين هضم ماتعلمه فعلمه من أيسر سبيل ، فرزق الحظوة بما كتب وعرب وكثر أحبابه والمعجبون بمضائه من جميع الطبقات والنحل ، وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والمادية والادبية تخلد بين العالمين ذكره ، ونضعه في الصف الاول من الذين حملوا قبس العلم والادب الى عقول العرب ، وكان مثال الدؤوب والصبر المتواصل ، لم يترك القلم من يده الى ايامه الاخيرة ، يلذه عمله و يتعشقه ، ومن لا يحب موضوعه و يتشبع به يصعب ان يحمل الناس على حبه ، و يبث في الناس دعوته ، ولذلك عُدّ فقد هذا الرجل النافع بعلمه وعمله خسارة كبرى على العرب والعربية رحمه الله .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

مرآة الحرمين

كتاب قيم لا مثيل له في جزءين ، وضعه ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري فيه تفصيل اربع رحلات له الى الحج ، لم يدع امراً تنفع معرفته الحاج من اهل المذاهب الاربعة او مريد الاطلاع على سفر الحجاز الا فصله تفصيلاً ، فهو من هذه الوجهة كتاب مناسك وافٍ بالمقصود ، وكتاب تاريخ فيه وصف العادات المتخذة منذ تهيئة المحمل المصري الى عودته بعد الحج ، ووصف المعاهد الاثرية ، وذكر تاريخ العرب وبدء الاسلام وانتشاره وفتوحاته ، وهو محلى بثلاثمائة وواحد وخمسين رسماً شمسياً بديعاً لما ورد ذكره فيه من رجال ومعاهد وادوات وكتابات ، و بالجملة هو كتاب لا يتيسر وضعه فيما يتعلق بحج البيت الذي (رفع ابراهيم) قواعده لغير (ابراهيم رفعت) لما له من الولوع في هذا الامر ومساعدة وظيفته على تحصيل ما اودعه فيه من المعلومات الدقيقة والرسوم التي يمتنع على غيره استقصاؤها ، طبع اجمل طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة وجعل ثمنه ذهباً واحداً مصرياً ، وان رسومه البديعة وحدها لتسوى هذا المقدار .

وقد أحببت ان يكون لي خدمة لهذا الاثر الجليل بتصحيح بعض هنات وجدتها فيه اثناء تصفحه وهي من الجزء الاول : ورد في صفحة ٢٦٢ سطر ٣ من امه صوابه هذا وأمه . وفي ص ٣١٢ س ٢٣ يبدون صوابه يبدين لي . وفي ص ٤٠٥ س ٨ اجلاف صوابه في الحجاز اجلاف وفيها سطر ١٠ الناس صوابه الاجناس وفيها س ١٣ احلاف صوابه في الحجاز (او في الازهر) احلاف وفيها س ١٥ الناس صوابه الاجناس . وفي ص ٤٥٨ س ٥ قبل أنشاء صوابه من قبل انشاء . وفي ص ٤٥٩ س ٢ مزّجت صوابه مزجتَ .

ومن الجزء الثاني في ص ٢٠ س ٥ نبيع الخ البيتين صوابه هذان ليسا بيتين بليان البيتين قبلهما بل بيتاً واحداً مستقلاً عنهما . وفي ص ٤٢ س ٥ بنده (انا) صوابه بنده (العبد) . وفي ص ٦٣ س ٣ قائماً صوابه أقيما . وفي ص ٦٧ س ٩ الحائر والظالم

صوابه الذي تكلف النهوض كأنه يحمل نفسه . وفي ص ٦٩ س ٤ فأيده صوابه فأيد . وفي ص ٢٣٩ س ١٤ ابراجها صوابه ابرجها . وفي ص ٢٥٧ س١٦ الرضوخ صوابه الاذعان . وفي ص٢٦٨ س٢١ تذاد صوابه نذاد . وفي ص٢٦٩ س٦ تحسبونها صوابه تحسبنها وفيها س١٣ مال منه صوابه منه مال . وفي ص ٢٧١ س ٦ وعزواد صوابه وعز وداد . وفي ص٢٨١ س ١٩ الحج صوابه الحاج وفيها س ٢٠ ذلك صوابه اولئك . وفي ص٢٨٤ س٨ يزيغ صوابه يزيغ . وفي ص٢٩٩ س ٥ التغرير صوابه التعزير . وفي ص٣٠٢ س٢ انباع صوابه ابتاع . وفيها س٥ ولو يكن صوابه وان تكن . وفي ص٣٠٩ س ٥ بالمدرم صوابه يلدرم . وفي ص ٣١٠ س٢٣ الفرض صوابه الفروض . وفي ص٣٧٢ س١٧ فما صوابه فيما . فجزى الله المؤلف أحسن الجزاء وله منا الشكر والثناء .

عضو المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

كتاب في الادب الجاهلي

« الفه الدكتور طه حسين أستاذ اللغة العربية في الجامعة المصرية لاستفادة »

« الجامعة في السنتين الاولين من كلية الآداب »

الأستاذ المؤلف أشهر من ان يعرف ، وكتابه هذا مما وضع من أجله يزجع قدره الى حكومة البلاد التي يدرسه ابناؤها ، واما نقده فلا أظن ان سيفوت الذين نقدوا من قبله صنوه (في الشعر الجاهلي) ، وعند ذلك يتمحص موضع النقد منه ، والذي يقال عنه في مجلتنا الآن هو ان موضوع هذا الكتاب الكلام على هذا الادب الجاهلي المدون في الكتب شعراً ونثراً ، وأهم ما فيه المباحث المتعلقة بعدم الثقة في نسبة تلك الآثار الادبية الى من رويت عنهم ، وقد اتى المؤلف من ذلك بتدقيق تظهر الاصابة في بعضه ، لكن على كل حال هو بعد محتاج للتمحيص ، ولا يجدر بالنشء قراءة شيء لم يفرغ من نقده ونخله فهو على وشك التهذيب والتعديل ، فالكتاب إذن يصلح لان يقرأه مريدو التوغل في هذه الشعبة من فنون الادب ليطلعوا على ما فيه من أنظار

بعضها بدع في بابه ، وبعضها تلخيص لما سبق اليه المتقدمون ، فانه نتيجة اطلاع واسع وفكر جوال ، وهما بعض أوصاف المؤلف الألمعي . مسعود الكواكبي

نظرات في اللغة والادب

« تأليف الاستاذ مصطفى الغلاييني طبع في بيروت وعدد صفحاته مائتان »

يدور البحث في هذا الكتاب حول نقد (كتاب المنذر) في الأغلاط اللغوية المتفشية على الألسنة والأقلام . والاستاذان الغلاييني والمنذر من أعضاء المجمع العلمي العربي . و (كتاب المنذر) نشر في الأجزاء الأخيرة من مجلد السنة الماضية من مجلة المجمع . وقد أهدى الأستاذ مؤلفه نسخة من كتابه هذا الى صديقه الاستاذ الغلاييني وكلفه ابداء رأيه فيه ففعل وتتبع ما كتبه في كتابه فوجد معظمه مصيباً فيه فأقره . لكنه نازعه في (ألفاظ صحيحة فصيحة جعلها المنذر من الخطأ وألفاظ ليست من الخطإ وانما هي مما يجوز فيه الوجهان . وألفاظ خطأ فيها الكتاب وهي جائزة لكنها ليست من الفصيح) الى غير ذلك مما رد فيه على المؤلف واستدركه عليه مستدلاً باقوال اللغويين ونصوص المعاجم وتحكيم الاصول والأقيسة العامة للغة العربية . وختم الكتاب بمباحث في فلسفة اللغة (كالشذوذ والقياس) و (مفردات اللغة) و (تعديل القواعد) و (الاشتقاق) و (التعريب) . ويظهر من مجموع ما كتبه الاستاذ الغلاييني انه ميال الى (التوسعة اللغوية) متبرأ كل التبرء من (الوسواس اللغوي) حاذياً في ذلك حذو الشهاب الخفاجي مذ قال في شرح الدرة (جزء ٧) « لو اقتصرنا في الالفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة لتحجّرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم » وقال الاستاذ المؤلف معلقاً على هذا القول في خطبة كتابه « فكل ما يوافق اصول اللغة مجازاً او تصريفاً او اشتقاقاً أو قياساً وكان مقبولاً عند أصحاب الذوق السليم وكنا في حاجة اليه جاز لنا استعماله وان لم يستعمله الجدود . وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم .... وان ننظر نظرة صادقة في العرب بعد الاسلام وما اشتقوه من لغتهم وما أضافوه اليها من كلام غيرهم وما حرفوه

من ألفاظهم عن معناه الاصلي الى معانٍ أخر اقتضتها الحال واحتاجت اليها الحياة الجديدة ... نرى العجب العجاب ونعلم ان هذا كان سراً من أسرار نهضتهم وامتداد ظل سلطانهم » .

وانا لنشكر لصديقنا الاستاذ الغلاييني عنايته الجلى بابراز هذا الاثر اللغوي النفيس وندعو عشاق اللغة والادب لاقتناء كتابه هذا والاستفادة من علمه والاستضاءة بنوره .

المغربي

المجموعة الكمالية

« في جغرافية مصر والقارة الافريقية لجامعها (البرنس) يوسف كمال »
« سنة ١٣٤٤ هـ طبع في ليدن من بلاد هولاندة »

كتاب بقطع ضخم حجمه (٧٥×٦٠) وعدد صفحاته (١٠٧) وهو باللغة الفرنسية ومزين ببعض صور هذه الوثائق وكثير من المصورات الجغرافية : وهو الجزء الاول من مجموعة وثائق في جغرافية مصر وافريقية جمعها المؤلف بعناية زائدة وعناء شديد ، فجاء هذا السفر ذا شأن كبير أورث جامعها العلامة فخراً عظيماً . فقد جمع بها وثائق تاريخية قيمة منذ عهد الهرم اي منذ سنة ٢٧٦٠ قبل الميلاد حتى عهد البطالسة في القرن الاول قبل الميلاد . ولا يسع كل من عانى هذا البحث الا ان يقدر مجهود المؤلف ويطرب له ، لان هذه المجموعة او هذا التأليف الممتع ملأ فراغاً طالما استغرق جهود كثيرين من العلماء . وقيمة هذا الكتاب العلمية وفوائده الجمة تجعلنا ننتظر بفارغ الصبر تتمة هذه المجموعة النفيسة التي ستقع في عشرة مجلدات ولم يطبع منها سوى مائة نسخة فقط .

جعفر الحسني



١٣ — الشيخ بدر الدين النعساني
(عضو المجمع العلمي العربي)



١٤—المنسنيور جرجس منش (عضو المجمع العلمي العربي)



—الاب آسين بلاسيوس (عضو المجمع العلمي العربي)



١٦— احمد شوقي بك (عضو المجمع العلمي العربي)





•— السيد محمد رشيد رضا (عضو المجمع العلمي العربي) ٦— الامير شكيب ارسلان (عضو المجمع العلمي العربي)





— السيد عباس محمود العقاد (عضو المجمع العلمي العربي)

٨ — الاب انستاس ماري الكرملي
« عضو المجمع العلمي العربي »



١٧ — الدكتور محمد اجمل خان (عضو المجمع العلمي العربي)



١٨ — السيد بروكمان (عضو المجمع العلمي العربي)



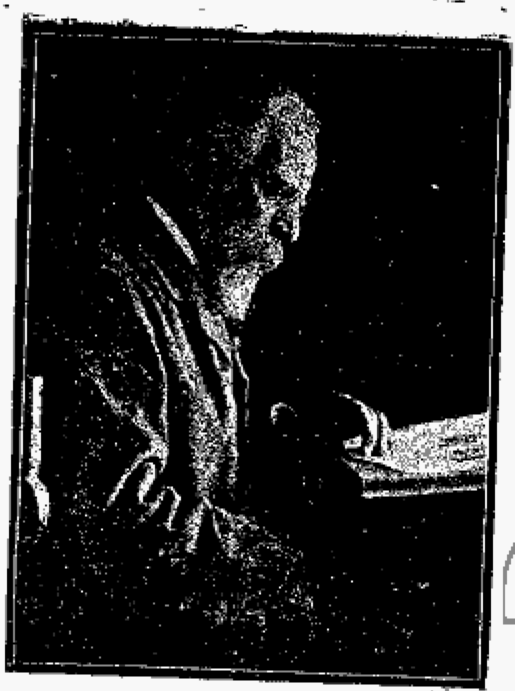
١٩ — السيد هورفيتز (عضو المجمع العلمي العربي)



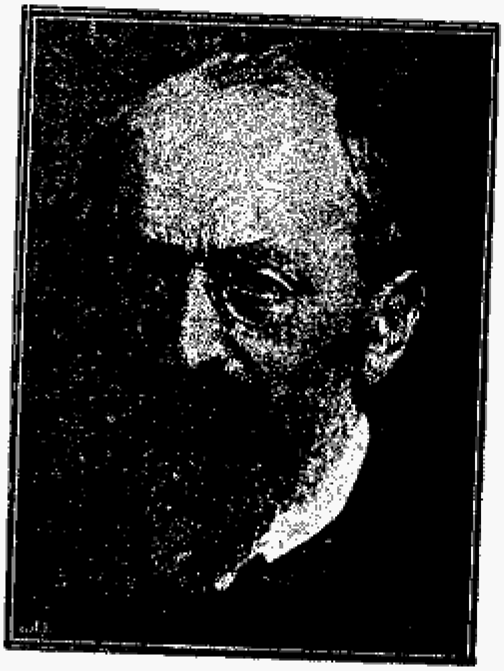
٢٠ — المسيو ارتور كي (عضو المجمع العلمي العر



٩— احمد لطفي بك السيد (عضو المجمع العلمي العربي)



١٠ — السنيور اغناطيوش جويدي
«عضو المجمع العلمي العربي»



١١ — السيد هرمل (عضو المجمع العلمي العربي)



١٢ — الشيخ كامل الغزي (عضو المجمع العلمي العر



١ — السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع العلمي العربي)



٢ — الشيخ عبد القادر المغربي (عضو المجمع العلمي العربي)



٣ — الشيخ مسعود الكواكبي (عضو المجمع العلمي العربي)



٢١— الشيخ احمدرضا (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٢— الشيخ احمد الاسكندري
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٣ — السيد مصطفى الغلاييني
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٤— السيد جبر ضومط (عضو المجمع العلمي العربي)



٤ — احمد تيمور باشا (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٥ — الشيخ عبد القادر المبارك (عضو المجمع العلمي العربي)



٢٦ — الفيكونت فيليب طرازي
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٧ — السيد حسن حسني عبد الوهاب
« عضو المجمع العلمي العربي »



٢٨ — الامير مصطفى الشهابي
« عضو المجمع العلمي العربي »



— السيد فارس الخوري (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٠— السيد خليل مردم بك (عضو المجمع العلمي العربي)



— السيد امين ريحاني (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٢— السيد زكي مغامز «عضو المجمع العلمي العربي»



٣٧ — السيد عبد الله رعد (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٨ — السيد عبد الله مخلص (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٩ — الدكتور احمد عيسى (عضو المجمع العلمي العربي)



٤٠ — السيد احمد امين (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٣ — السيد احمد حسن الزيات
« عضو المجمع العلمي العربي »



٣٤ — السيد عبد الباسط فتح الله
« عضو المجمع العلمي العربي »



٣٥ — قسطاكي بك الحمصي (عضو المجمع العلمي العربي)



٣٦ — السيد انيس سلوم (عضو المجمع العلمي ال



٤١ — الشيخ ابراهيم منذر (عضو المجمع العلمي العربي)



٤٢ — الامير جعفر الحسني (مدير دار الآثار العرب

الجزء ٢ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٨ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٦ هـ

علائق الحبشة بالبلاد العربية[(١)]

« في الجاهلية وفي الاسلام »

(قدم الحبشة واستقلالها) — الحبشة أيهــا السادة من أقدم ممالك العالم ان لم اقل اقدمها ، وهي الوحيدة بين ممالك الشرق ، التي حافظت الى يومنا هذا على كيانها واستقلالها ، على الرغم من امواج بحور الاطماع الاستعمارية ، التي طالما لاطمتها فألفتها صخرةً صلدة انكسرت عليها مياهها المزبدة . دخلها اليونانيون الاقدمون جاليات في عهد بطلميوس (Ptolémeé) الثالث ولكن لم يحكموها ، واكاسرة الفرس مع قرب دارهم واتساع ملكهم لم يملكوا يوماً شبر ارض فيهــا ، وقياصرة الروم الذين دوّخوا الشرق الادنى في آسية وإفريقية لم يتسلطوا عليها ، وغزاهم دراويش السودان اكثر من مرة فعادوا على أعقابهم خاسرين ، وفتحها العرب سنة ١٥٤١ فلم تطل إقامتهم في قلبها ولم يستتب لهم فيها امر حتى أنجد البرتقاليون الأحباش فطردوا الفاتحين ولكنهم ظنوا ان الجو صفا لهم ، فأقاموا نفوسهم مكان العرب ولكن لم تطل مدة استعمارهم ، وفتحهــا الانكليز عنوةً سنة ١٨٦٨ بجيش جرار مستكمل العدة والسلاح ، ومستوفي الميرة والذخيرة ، ودمرت قنابلهم عاصمتها مكدلا فوق رأس النجاشي ثيودورس الذي انتحر يومئذ من شدة الغيظ ، ولكنهم لم يأنسوا من نفوسهم بعد ذلك النصر كفاءةً لاستعمار تلك القلاع الطبيعية النائية الدار الصعبة المسالك فاكتفوا من الفتح ان عقدوا

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد عبد الله رعد احد أعضاء المجمع العلمي العربي ألقاها في بهو المحاضرات في السنة الماضية .

معاهدةً مع خلفه النجاشي يوحنّس واخلوا له بلاده ، وحمل عليهم المصريون حملات متواليات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٦ في عهد الخديو بين محمد علي واسماعيل ، وكانت هذه الحملات انكليزية أكثر مما هي مصرية ، إبتغوا منهـا فض معضلة النيل ببسط السلطة الانكليزية على أعالي ينابيعه ومجاريه في الأصقاع الحبشية ، وكل حملة كانت تعود بالخيبة على أعقابها بعد تكبدها الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، وحاربهم الطليان فانكسروا شر كسرة في موقعة عدوى سنة ١٨٩٦ ، ولم تجد الالمان دسائسهم واموالهم ومواد باتهم السياسية فتيلاً فيما اشرأبت اليـه أعناقهم وزينت لهم اطماعهم في ارض الحبش فذهبت أحلاماً تحفر في قلوبهم ، على حد قول راسّين شاعر الفرنسيس .

قال فخامة هانري دي‌جوفنيل مندوب فرنسا في جمعية عصبة الامم وعميد الدولة المنتدبة في سورية السابق ، في مقدمة له على كتاب سعادة المسيو ببيرآليب « كل فعل تفعله الدول الاوربية تبغي من ورائه بسط لواء سلطتهـا على الحبشة سواء كان ذلك الفعل مباشرةً او بالدسائس ، انما مصيره الاخفاق » . وقال ايضاً بعيد هذا «لا ننظرن الى المشكلة الحبشية نظرنا الى مشكلة استعمارية بحتة ، ولا نزينّهـا كباقي المعضلات الافريقية فنحلهـا بالتجزئة الى مناطق نفوذ تناسب مصالح الحكومات المصاقبتها ، بل ينبغي ان نحسبها مشكلةً دولية وان نحلها بروح دوليـة مشتركة » . ولقد قرن القول بالفعل اذ عمل على ادخال الحبشة في عصبة الامم .

على ان الحبشة لم تعش عشرات القرون في عُزلةٍ عن شعوب الارض بل كانت مدى حياتها على اتصال دائم بالامم وخصوصاً بجارتيها العربيتين اليمن ومصر ، اللتين كان لها معها تجارة واسعة . حاربت جيرانها وحاربوها ، كبرت وصغرت ، فتحت بعض بلادهم وفتحوا بعض بلادها ، سنة الله في الامم والشعوب والممالك ، كسنته في الفرد يسعد و يشقى ويفقر ويغنى ولن تجد لسنة الله تبديلا . الا ان كيان الحبشة الاساسي واستقلالها الداخلي والخارجي كانا في كل زمان ولا يزالان الى يومنا هذا أمنع من عقاب الجو . على ان امتزاج الحُبش بالامم الغريبة اثّر في حضارتهم وعوائدهم واديانهم ولغاتهم حتى وفي لون بشرتهم وملامح سحنتهم ايضاً . قال المسيو ببيرآليب عن تآليف

(James Bruce و Maurice Delafosse) عن كتب الثقـاة من المؤرخين الاقدمين « ان الحضارة الحبشية نشأت في جزيرة العرب فحملها اليمانيون الى شرق افريقية منذ عهد بعيد ، ونمت بامتزاجها بالحضارة المصرية » وقال ايضاً بعيد هذا « وانالنرى الحبشة خلال العصور السالفــة يشاركون شديد الاشتراك حياة ذلك الشرق الذي انبزغت لنا منه شمس حضارتنا وانبثق لنا منه نور عقائدنا » (يعني اور بالضمير الجمع) وختم الموضوع بقوله « يستدل من هذا ان الحبشــة كانت في ذلك الزمان مشرع المفارق ، اي نقطة الاتصال بين حضارة البلاد المتصلة ببحر الروم ، وبين حضــارة البلاد المتصلة ببحر الهند ، وان أقل ما يقال عن الاحباش انهم أمة افريقية لا وجه للشبه بينهم وبين سائر الافريقيين العبيد ، لا في اصلهم ولا في عقليتهم ولا في اذواقهم ولا في تقاليدهم (عني بالتقاليد حضارتهم وعاداتهم وعقائدهم) . ثم تساءل هل هم يا ترى من نسل سام حقيقةً ام من نسل يافث » انتهى .

ونحن نجيبه بالمغزى الذي توخاه هو نفسه من بديع شروحه . ان الحبشة ساميون بلا ريبة ولا شك ، باجماع آراء العلماء والفلاسفة والمؤرخين ، تشهد على ذلك ملامح وجوههم وهي أقرب شبهاً الى النسل الأبيض منها الى العبيد . وبهذا دلالة على ان دماءهم كثيرة الامتزاج بدماء الامم العربيــة والمصرية . ولم تدعُهم العرب حبشاً الا وعنت بهذه الكلمة صفة الاختلاط في الاجناس الآدمية . تشهد لذلك لغتهم فهي حميرية الاصل كالعربية وفيها الشيء الكثير الذي يشبه لغتنا من حيث الوضع واللفظ والاشتقاق والوزن والاعراب ، حتى ان مئات المفردات من الكَلِم تفيد نفس المعنى في العربية والحبشية معاً ، منها ما هو حبشي الاصل فصار عربياً فصيحاً كالمنبر والمصحف ومنها ماهو عربي الاصل صار حبشياً كالعين والرأس ومنها ماهو مختلف في حبشية اصوله ام عربيتها والأصح ان يقال فيه ان كلا اللغتين اشتقتاه من الحميرية وهي ام اللغتين الشقيقتين .

* * *

(اديان الحبشة) — ١ً وثنيتها = دانت الحبشة اولاً كسائر الامم القديمة بالوثنية فعبدت الاصنام وبعض الحيوان والنبات . ومن معبوداتها من الاصنام ما كانت عبادته شائعة عند عرب الجاهلية كاللات والعزّى ويحير ومالم تعبدها العرب كمَحْرم

ومدر ، ومن الحيوان الحية وقد شاعت عبادتها في الحبشة قبل ان يأتيهم دعاة اليهودية الذين هودوهم ، ومن النبات بعض الاشجار وهي لا تزال الى اليوم موضع اجلال ونذور عند قبائل الگالا . قال المستشرق الكبير العلامة (Ignacio Guidi) احد أعضاء مجمعنا العربي في محاضرته التاسعة والثلاثين في الجامعة المصرية « تزعم الحبش ان منيلك بن سليمان اول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل محرم و بحير ومدر ثم تنصّر من تنصّر من ملوكهم ، وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم اي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلاً ثم تنصرهم . واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على تنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم تكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي : « نصبتُ منبراً هنا لمحرم ولبحير ولمدر » ثم في كتابة أخرى : « نصبتُ منبراً لرب السماء الذي أعانني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وانا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم انه ملك نصراني لا وثني لانه في الكتابة الاولى يسجد لصنم ثم في هذه يسجد لرب السماء وهو الله . وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم » اه .

ومن عجيب ما بقي من اثر عبادة هذه الاصنام ، ان المسيحيين الاحباش ابقوا اسمي بحير ومدر في أسماء الله جل جلاله ، فبحير كان على ما يظهر آله السماء و يقال له بالعربية المشتري (Jupiter) وهو اكبر معبود عند اليونانيين الاقدمين . ومدر كان آله الارض . فيقولون اليوم اكزيء بحير ومدر اي آله السماء والارض يعنون به الله الخلاق العظيم دون الخليقة من الطواغيت .

٢ يهوديتها = واذ أمها اليهود منذ عشرة قرون قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ ايضاً ، هوّدوا القسم الاعظم من الحبشة ومنهم الامراء والملوك والناس على دين ملوكهم . وقد أضحت في ذلك الدور شرائع الحبشة الدينية والمدنية صورة طبق الاصل لشرائع مملكة اسرائيل . ودامت على هذا الطراز لا الى دخول النصرانية اليها فحسب ، بل ان معظم حضارتها الحالية ، والشيء الكثير في حفلاتها الدينية والمدنية حتى يومنا هذا ، مقتبسة عن عوائد هيكل سليمان وبلاط ملوك اسرائيل ، من ذلك ان قساقستهم ترقص في

بيهم كما كان يرقص داود النبي صاحب الزبور وكهنته أمام تابوت العهد ، ضاربين بالدفوف والصنوج وعازفين على المزمار والقيثارة كما كان يفعل كهان اليهود في ذلك الزمان الغابر . وكما كان سليمان الحكيم يجلس على كرسي القضاء ليقضي بعدله المشهور بين رعيته كذلك يجلس النجاشي مرةً في كل اسبوع ليسمع بنفسه شكاوي أمته وظلاماتها و ينصف بينها المظلوم من الظالم ، وليس لعظيم ولا لامير ولا لاي كان من الحكام ان يمنع احداً من استصراخ الملك في امر قضيته .. والحبشة الى اليوم يطهّرون صبيانهم بالختانة على سنة اليهود اولاً ثم يصبغونهم بماء المعمودية على سنة النصارى .

ولما تنصرت الحبشة ابى بعضهم الا ان يبقى على يهوديته ففروا الى جبال السمن حيث الفوا لانفسهم مملكة صغيرة وملّكوا عليهم فنياس من سبط يهوذا فعرفت هذه المملكة الى اليوم باسم مملكة فلاشا . والى فنياس يمتّ رؤساء الفلاشا اليوم اي انهم يزعمون كالنجاشيين الانتساب الى صلب سليمان الحكيم . على ان استقلال هذه المملكة الصغيرة لم يدم طويلاً وهي اليوم خاضعة لصولجان النجاشي .

٣ً نصرانيتها = في السنة السبعين للميلاد حجّ امين خزائن الملكة يهوديت صاحبة اكسوم الى اورشليم ، ليسجد في الفصح في هيكل سليمان على سنة اليهود ، وكان هذا الوزير حبشي خصياً « ومن الغرائب ان أمناء خزائن النجاشيين اي وزراء ماليتهم ، لا يزالون الى اليوم ينتخبون من الخصيان » واذ كان صاعداً من حجه صادف على الطريق في غزة القديس فلبّس اول الشمامسة وهو من رسل المسيح السبعين ، فتنصر على يده كما روي في فصل أعمال لرسل من كتاب العهد الجديد . واذ بلغ الحبشة بشّر مليكته النجاشية بالانجيل فتنصرت وتنصر معها قوم من المقربين ولكن ما عتّمت الحبشة ان عادت الى يهوديتها بعد موت النجاشية يهوديت وذلك الخصي : حتى كان القرن الرابع للميلاد الذي فيه عمت النصرانية بلاد الحُبش ، وكانت نصرانيتهم على يد شاب فينيقي يدعى (Frumence) ابن اخي الفيلسوف الصوري ميروبيوس الحكيم . وكانت لمجيئه الى الحبشة قصة تخرج تفاصيلها عن ملاك هذه المحاضرة . ومن ذلك العهد دامت النصرانية مذهب النجاشيين ، وان الشعوب على دين ملوكها .

٤ً اسلامها = اول ما دخل الاسلام الحبشة في عهد النبي (ص) اذ هاجر اليها

الصحابة هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في دينهم من قريش وقد أفردنا لهذه الهجرة فصلاً مخصوصاً من هذه المحــاضرة · ثم لما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام اخذوا يبثون الدعوة اليه في البلاد القريبة اليهم وبهذه الصورة انتشر الاسلام بالارشاد والاقناع في انحاء الحبشة الساحلية كبلاد هرر والصومال والدناكل والعدل والواّو والاغاو وسوهو على يد التجار ، فالحبشة كانت ولا تزال الى اليوم كثيرة العلائق التجارية مع البلاد العربية · واذ بعث الخلفاء الراشدون سراياهم وكتائبهم فغزوا البلاد ، ودوّخوا الامم في آسية وافريقية حتى وفي اوربا ايضاً · وقصد المسلمون في هذه الفتوحات التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار ، لم يحولوا نظرهم الى الحبشة وهي جارتهم حتى القرن السادس عشر للميلاد · وسأذكر بعيد هذا حديث فتح الحبشة بجيش من مسلمي سواحل شرق افريقية بقيادة الامام احمد ·

* * *

(اصل الأحباش) — ذكر المسيو پبيرآليب في كتابه القيم الذي دعاه « مملكة النجاشيين » ورأيه في ذلك رأيُ معظم العلماء الذين بحثوا في مواضيع اصل الامم « ان قوشاً ابنَ ابن نوح عليه السلام ذهب ببنيه وولدهم الى ارض الحبشة عن طريق مصر والسودان فسكنوها وفيها توالدوا ونموا وتكاثروا وملأُوها بنسلهم وأعقــابهم ، وان أحفاد قوشٍ هم الذين بنوا مدينــة اكسوم قبل عهد ابراهيم خليل الرحمان عليه السلام » ·

مدينة اكسوم أيها السادة هي اول عاصمة في الحبشة وأقدم مدنها بل قل هي من أقدم مدن العالم · فيها الشيء الجلل من الآثار القديمة ومسلاّت (Obélisques) عجيبة واعمدة ضخمة وأبنية فخمة · فمن هذه الآثار ما عملت فيه أيدي الدهور فحطمته فدرست أجزاؤه وبقيت أجزاء مبعثرة · ومنها ما ازدرت بالعصور واعاصيرها ولا تزال الى اليوم اطلالاً · فيها كثير من الكتابات بعضها مسمارية وبعضها حميرية وبعضها يونانيــة وبعضها حبشية · ومن هذه الآثار ما هو أقدم عهداً مما ظن الرحالون الذين رأوها ويرجع تاريخها على الاصح الى عهد نجم الكلب المعبر عنــه عند المؤرخين الأقدمين باسم (Constellation du Chien) · وأجمل ما يشاهد بين هذه

الآثار معبد عريق في القدم وفي وسطه عرش ضخم مهيب مصنوع من صخر الرخام المحبب المعروف بالغرانيت ، وعلى زواياه الاربع أعمدة مربعة الشكل . المعبد والعرش الذي فيه محفوظان الى اليوم جد الحفظ ، فالمعبد قُلع منه الصنم الذي ربما كان فوق العرش وحوّل كنيسةً يحج اليها الاحباش باحترام وتقى وهم يزعمون ان فيها لوحي الشريعة اللذين أنزلهما الله جل جلاله على موسى الكليم عليه السلام مكتوباً عليهما الكلمات العشر . ويروون ان هذين اللوحين المقدسين نُقلا الى الحبشة عندما خرب البابليون اورشليم وهيكل سليمان . و يزعمون ايضاً ان هذا العرش هو الذي جلس عليه منيلك الاول بن سليمان الحكيم من ملكة سبا ، لذلك قضت التقاليد الحبشية ان يذهب كل نجاشي جديد و يجلس على هذا العرش عندما يصلّي على رأسه الاسقف ويلبسه التاج .. مثل هذه التقاليد كثيرة في تواريخ الملوك . أذكر لكم على سبيل المثل سلاطين بني عثمان فكانوا يقلدون السيف في جامع محمد الفاتح وملوك فرنسا فكانوا يُتوّجون في كاتدرائية (Reims) .

اما تسمية الحُبش بهذا الاسم فقد أجمع العلماء على انها مشتقة من قوش التي صارت بالنحت «حُبش» على توالي الازمان واللغات . وتسميتها (Abyssinie) بالافرنسية و باقي اللغات اللاتينية فانما هي تحريف عن كلمة حبشي اخذاً عن كتب البرتغاليين الذين استعمروا بعض أقاليمها او بالحري هيمنوا على مقدرات هذه الاقاليم مدةً ما واضعينها تحت حمايتهم . فالبرتغاليون يعبرون في كتابتهم عن حرف الشين بحرفي s (ss) فكتبوا حبشي (Abessin) وهم يلفظون أبشّين فقرأها غيرهم من الافرنج بلفظ السين المشددة اي أبسين ومنها اشتقوا (Abyssin) و (Abyssinie) . وزعم لبعض المؤلفين ان هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية (Abissus) وتعريبها الهاوية قالوا بما في الحبشة من الاودية والوهاد ولكن هذه الرأي نبذه العلماء .

ولها اسم آخر (Ethiopie) . وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما (Aitho) وتعريبها أحرِقُ و (Pso) الوجه ، قالوا لسواد وجوه قاطنيها . وقد دعتها بهذا الاسم الجالية اليونانية التي رحلت اليها في عهد القيصر بطليموس

(Ptolémée III Evergète) وهذه التسمية لا تزال الاعمّ الى اليوم والمستعملة عند الحبشة انفسهم ·

* * *

(اول علائق الحبشة بالبلاد العربية) — رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد سليمان الحكيم · هي الرحلة التي ذكرتها الكتب المنزلة فضلاً عن تواريخ الاقدمين وقصص القصاصين · القرآن الكريم والتوراة المقدسة والانجيل الطاهر أتوا على ذكر رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد الحكيم سليمان بن داؤود اي منذ نحو ثلاثين قرناً · تآليف عديدة شرقية وغربية ملأى بالغرائب عن هذه الملكة ذات الاصل الغامض والحكايات السحرية كأنها قصص الجن · من كانت هذه الحورية اوالجنية التي افاضت الاقاصيص بوصفها جعلوا لها بشرةً كالنحاس وعينين حمراوين كالعقيق ؟ أ كانت حبشية ام يمانية ؟ أيهودية كانت ام مجوسية ؟ تضاربت في ذلك آراء المفسرين فمنهم من قال ان سبأ (بالسين) او شبأ (بالشين) كانت مدينة في اليمن على عهد الحميريين ومنهم من قالوا بل كانت مدينةً في شرق افريقية · قال فيها الدكتور (Mardrus) الافرنسي في كتابه الذي عنونه «ملكة سبا» ···· واما تلك الملكة الآسيوية التي هام سرّ ذكرها فوق العقول والادمغة فان اسمها عند الشرقيين بمثابة صورة مقدسة باسناد اربعة : ذكرها في السورة الرابعة والثلاثين من القرآن الكريم (وهي سورة النمل) وذكرها في التوراة العبرانية المقدسة بلغة شعرية مقفّاة وذكرها في الانجيل الطاهر في الاصحاح الثاني عشر من بشارة متى ودام ذكرها في سلالتها وهي الأسرة المالكة في الحبشة » · انتهى ·

على ان الآراء وان تضاربت فملكة سبا التي رحلت لتسمع حكمة سليمان بن داؤود النبي ملك يهوذا كانت بلا شك حبشية ، لان الاقدمين كانوا يسمون حبشةً جميع البلاد التي ما وراء مصر آسيويةً كانت ام افريقية ، يوم اذ كانت سلطة النجاشيين شاملةً تلك البقاع حتى أواسط إفريقية ، واذ كان البحر الاحمر خليجاً قائماً في وسط تلك المملكة الواسعة الارجاء · قال سترابون : « الحبشة اسم تعرف به الارضون

الممتدة في الشمال » وذكر هوميروس صاحب الالياذة « ان الحبشة تمتد من البحر الى البحر » اي من بحر الهند الى بحر الظلمات او الاوقيانس الاطلنطي .

واذا تحرينا أقدم الروايات في تفاصيل رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ، وجدناها في كثير من المخطوطات الحبشية القديمة الموجودة الآن في بعض المتاحف الاوربية ، وأهمها المحفوظة في الـ (Bibliothèque Nationale) وهي المكتبة الوطنية في باريز ، وفي الـ (British Musénm) وهو المتحف الانكليزي بلوندرة وفي قصر آل (d'Abbadie) في شمال فرنسة . ومن هذه المخطوطات كتاب كِبْرا نَكَسْت (وتعربه عظمة الملوك) يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وقد نشره بالطبع العلامة المستشرق (wales Budge) حافظ العاديات المصرية والاشورية في المتحف البريطاني .

رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ايها السادة ، وقيمة تاريخية لاجدال بصحتها ، ولكن في المخطوطات التي روت تفاصيلها اوهام ومغالاة وغرائب تحتاج الى الاثبات ، وأعجبها رواية لم تنوه بها الكتب المنزلة التي جاءت على ذكر هذه الرحلة ، وليس لها أسناد أخرى في كتب قدماء المؤرخين الذين دونوها ، وهي : ان بلقيس كما دعاها العرب عن التقاليد الاسيوية او ميقادي كما يدعوها الاحباش عن مخطوطاتهم القديمة أعجب حسنها الحكيم سليمان فاتخذها بين زوجاته وولد له منها ولد سماه منيلك . فلما شب هذا الغلام أرسله ابوه ملك العبرانيين الى الحبشة بحاشية كبيرة من رجاله فنزل عاصمتها اكسوم وادخل الدين اليهودي وكانت الوثنية شائعة في تلك البلاد وخصوصاً عبادة الحية .

الاحباش مقتنعون كل الاقتناع بهذه الرواية ، وهم ينزلونها منزلة الصحة التي لا ريب فيها ، و يقولون ان ابن سليمان هذا هو منيلك الاول ومن صلبه تسلسلت ملوكهم من ثلاثين قرناً الى اليوم . لذلك فاخر النجاشيون بهذا الحسب والنسب وكلهم ادعوا المت اليه من بُعد النسب بين الماهل والآخر ولقبت الأسرة المالكة بالاسرة السليمانية ، وملوكها بالقاب مختلقة فيها صبغة الارث وصيغته عن جدهم الموهوم سيدنا سليمان . فكان النجاشي تقلا هيمانوت مثلاً يلقب بعظيم ملوك الناصرة و بسليل

النبيين داؤود وسليمان ، والنجاشي يوحنّس بملك صهيون ، والنجاشي منيلك الثاني بابن سليمان بن داؤود حسب الجسد و بالاسد الظافر من سبط يهوذا ، وغيرهم من النجاشيين بما ضاهاها من الالقاب ·

انا ممن لم يقتنعوا بصحة هذه الرواية وأميل الى رأي القائلين بان هي الا خرافة لفّقها قدماء الاحباش فتناقلتها عنهم الاحقاب وجعلتها عقيدة وطنيـة راسخة · واذ لا بد لها من أساس وهو دخول الدين اليهودي الى الحبشة من قديم الزمان ، فاظن الاساس الذي بنوا عليه هذه الخرافة التاريخيـة هو هرب بعض اليهود الى الحبشة في ثلاثة أوانٍ مختلفة عريقة في القدم : اولاً عندما تغلب ملك اشور على مملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبى اهلها ، ثانياً عندما افتتح بختنصر ملك الكلدانيين القدس وخربها سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم هيكل سليمان ولم يبق على عموم سكان مملكة يهوذا الجنوبيـة واجلا الاحياء منهم الى بابل ، والثـالث عندما ناوأ ملك فلسطين انتيخوس ابيفانوس اليهود العداء واضطهدهم سنة ١٧٤ · وفي هذه الاوان التاريخية الثلاثة جلا كثير من اليهود الى مصر والسودان وسائر النواحي وخصوصاً الى البلاد العربية كالشام والعراق والحجاز واليمن ولا يبعد ان قسماً من هؤلاء وخصوصـاً الذين هاجروا الى مصر العليـاء والسودان جاوزوها الى الحبشة عن طريق العَطبرة واقاموا فيها فان مناخ الحبشة الجبلي خير من مناخ بطائح السودان · والله اعلم ·

* * *

(ذكر احتلال الحبشة اليمن) — قامت في اوائل القرن السادس حرب بين ذي نواسٍ صاحب الأُخدود وعربه وهو تبّع يهودي وبين عرب نجران النصـارى وذلك بان طمع ذو نواس بقبة نجران ولم تكن لليهود كعبة في اليمن فأراد اعلاء دينه بتحويل قبة نجران الى كعبة يهودية ·

قال ابن الاثير فسار ذو نواس بجنوده الى اهل نجران ودعاهم الى التهوّد وخيّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فخدّ لهم الاخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم وأفنى منهم قريباً من عشرين الفاً بين قتل بالسيف واحراق بالنار وخرب كعبتهم · فأفلت منهم رجل يقال له دَوس ذو ثُعلُبان وهرب على فرس له فسلك الرمل ومضى على وجهـه حتى اتى قيصر ملك

الروم (يقول المؤرخون ان هذا القيصر كان يوستنيوس الاول) فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم . فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه النجاشي ٧٠ الفاً من الحبشة « يقول المؤرخون الاحباش ان هذا الحادث وقع في زمن النجاشي كالب او خالب وبعضهم يقولون خالب الاصبهان » وامّر عليهم قائداً يقال له ارياط ومعه في جنده ابرهة الاشرم . فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذوثعلبان فلما أحس ذونواس استنجد الأقيال فلم ينجدوه وقالوا يدافع كل منا عن بلاده . فسار اليه بمن أطاعه من قبائل اليهود . فلما التقوا انهزم ذونواس واصحابه مقهورين ولحقت بهم الحبشة وأعملت السيف فأفنت ثلثهم واحتل ارياط اليمن واقام بها وخرب قصورها وأذل اهلها . فلما رأى ذونواس مانزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به وخاض ضحضاح البحر حتى أفضي به الى غمره فأدخله فيه وكان آخر العهد به . انتهى عن ابن الاثير .

وفي رواية أخرى ان الحبشة لما نزلوا بساحل اليمن ولم تنجد الاقيال ذانواس ، صنع مفاتيح وحمّلها على عدّة من الابل والقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك وساروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجّه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل من يفد عليهم ففعلوا ولم ينج من الحبشة الا القليل فلما سمع النجاشي جهّز حملة أخرى بقيادة ارياط وابرهة فأنجدت الحملة الاولى وانزلت البلاء بذي نواس وقتلت ودمرت وأحرقت واستولت على اليمن واستعمرتها . قال في ذلك ذو جدن الحميري :

هوّنك ليس يردّ الدمعُ مافاتا   لا تهلكي أسفاً في اثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا اثر   وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين هما كغُمدان من قصور اليمن التي هدمها ارياط .

قال ابن هشام : وهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله لربيعة ليهبطن ارضكم الحبش

وليملكن ما بين ابين الى جرش . والذي عني شق الكاهن بقوله لينزلن ارضكم السودان ولتملكن ما بين ابين الى نجران .

قال ابن اسحق : فأقام ارياط بارض اليمن بعض السنين في سلطانه ثم نازعه في امر الحكم ابرهة الحبشي حتى انحازت الحبشة الى كل واحد منهما طائفة . ثم سار احدهما الى الآخر برجاله فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ، فابرز الي وأبرز اليك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده . فقبل ارياط بذلك وكان رجلاً عظيماً طويلاً فخرج ، وخرج اليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً وخلفه غلام يمنع ظهره . فرفع ارياط الحربة وضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم . وحمل الغلام على ارياط من خلف ابرهة فقتله فانصرف عند ذلك جند ارياط الى ابرهة واجتمعت عليه كلمة الحبشة باليمن فحكمها .

فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على اميري فقتله بغير امري ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته . فحلق ابرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعث به الى النجاشي وكتب اليه : ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك ، فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك ، الا اني كنت أقوى على امر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه . وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارض اليمن ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه فيّ . فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امري فأقام ابرهة باليمن .

قال ابن اسحق : ثم ان ابرهة بنى القُليس بصنعاء والقليس هي الكنيسة التي اراد ابرهة ان يصرف اليها حج العرب وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النَسَأة من بني فُقَيم من مضر اسمه الكناني . والنسأة هم العرب

الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيُحلّون الشهر من الاشهر الحرم و يحرّمون مكانه الشهر من اشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر وهم ضربٌ من المخانيين قال ابن اسحق فخرج الكناني حتى اتى القليس وأحدث فيهـا ما يغضب الحبشة وفرّ فلحق بارضه . فأُخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له رجل من العرب من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أُصرف اليها حج العرب . فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليَسيرَنَّ الى البيت حتى يهدمه ، وكان ذلك باعثاً لقيام ابرهة على عرب الحجاز بحرب دامت شهوراً وتعرف بحرب الفيل اوعام الفيل لان ابرهة سار فيهـا بجنده راكباً فيلاً . وقد كان دليله رجل من عرب ثقيف من الطائف يدعى ابا رغال . وذلك بان عرب ثقيف اصحاب الكعبة اليمانية في الطائف التي كانت تنافس الكعبة الحجازية بمكة ارادوا هدم هذه الكعبة ليخلو لهم الجو فأرشدوا ابرهة الحبشي على الطريق . وقد مات ابو رِغال على مقربة من مكة فرجمت قبره العرب وهو القبر الذي لا يزال يرجمه النـاس بموضع يقال له المغمّس على ثلثي فرسخ من مكة على طريق الطائف .

و يروى ان ابرهة لم يوفق في هذه الحملة على نيل مرامه وعاد الى اليمن دون ان يمس البيت بسوء . ولما مات ابرهة مَلكَ اليمن ابنـه يكسوم وبعد موته خلفه اخوه مسروق بن ابرهة . واساء الحبشة السيرة في اهل اليمن واشتد عليهم البلاء فقام سيف بن ذي يزن الحميري وطرد الحبشة من اليمن بمعاونة كسرى انوشروان وملك البلاد . وكانت مدة ملك الحبشة في اليمن اثنين وسبعين سنة . وبذلك تمت نبوءة سطيح الكاهن اذ قال لربيعـة بن نصر « بل ينقطع (يعني ملك الحبشة على اليمن) لبضع وسبعين يمضين من السنين » ونبوءة شقٍ الكاهن اذ قال « ثم يستنقذكم منـه عظيم ذو شأن » واذ سأله ربيعة من هذا العظيم الشأن قال « غلامٌ ليس بِدنيٍّ ولا مُدنٍ يخرج من بيت ذي يزن » .

« للبحث صلة »

تاريخ او اسطورة ؟

« ظفرنا في الجزء الثامن عشر من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في تراجم من اسماؤهم (يحيى) بهذه الرواية من خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأحببنا إطراف قراء مجلتنا بها خصوصاً وهي منقولة من مخطوط نادر من مخطوطات دار الكتب بدمشق» .

يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي ، روى عن زيد بن اسلم ، روى عنه ابو طاهر موسى بن محمد الانصاري المقدسي ، أخبرنا ابو محمد بن الاكفاني ، نا [1] عبد العزيز الكتاني ، انا عبد الوهاب بن جعفر ، انا محمد بن عبد الله بن احمد الربعي الحافظ ، حدثني ابي ، حدثني محمد بن خليد الحلبي ، نا موسى بن محمد بن طاهر الانصاري ، نا يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي من اهل البلقاء عن زيد بن أسلم عن ابيه قال : كان عمر بن الخطاب كثيراً ما يحدثنا عن أخبار الجاهلية واهلها ، ويقول : الاجل حصن حصين ، وكهف منيع ، ولقد أتت عليّ احوال مهلكات ، نجوت منها سالماً ، وكنت من أشد الناس إقداماً على ما يعجز عنه كثير من الناس ، من الدخول على الملوك ومباشرة الحرب ، حتى اني ونفراً من أقراني من قريش دون العشرة ، أقدمنا على مائة رجل من ذوي البأس في بعض طريق الشام ، وقد اجمعوا للقاء أقران لهم ، فهجمنا عليهم ضحى ، فواقفناهم حتى ذهب النهار ، وجاء الليل ، فتحاجزنا وما ظفروا منا بشيء ، وافترق أصحابي بعد ذلك فرقتين ، فكنت في أقلهم عدداً ، فأقمت انا ومن صار معي منهم بمكاننا ، وغدا الآخرون عنا يريدون البحر ، فذهبوا الى الساعة ، فما نعلم لاحد منهم خبراً ، وانطلقنا نحن الى الشام ، فقضينا امرنا ، فلما هممنا بالانصراف ، طعن رجل من أصحابي فمات ، وسرت انا وواحد منهم لم يبق معي غيره ، فلم ننتصف الطريق بنا حتى غشينا في ليلة ظلمة سبع فاختطفه وبقيت وحدي ، فأتيت مكة فأقمت بها اياماً . ثم توجهت لبعض الامر ، فبينا انا اسير تغولت [2] لي الغول ، فقالت لي : اين تعمد يا ابن الخطاب ، فقلت : وما عليك من ذلك ،

---

(١) التزمنا الرسم المصطلح في كتب الحديث من ذلك ان (نا) منحوتة من حدثنا و (انا) من أنبأنا . (٢) تغولته الغول أضلته عن المحجة .

فاستدار وجهها حتى صار من ورائها ، فرفعت السيف فأضرب ما بين كتفيها وعنقها ، وانطلقت حتى قضيت حاجتي ، وحدثت نفسي ان لا آخذ في ذلك الطريق فأتيت على المكان الذي وقعت بالغول فيه فلم ار لها اثراً .

فبينا انا اسير اذ سمعت صياحاً قد علا ولا ارى احداً ، فما راعني ذلك ولا استوحشت له وسرت حتى أتيت مكة ، وكان الناس يكثرون ذكر النعمان بن المنذر ويصفون اكرامه من يأتيه من قريش ، فتوجهت نحوه حتى أتيت اليه ، فوجدته جالساً في مجلس عظيم وقد كثر الناس فيه فجلست حيث انتهى بي المجلس ، فبينا انا كذلك اذ سمعته يدعو بقوس وجعبة فأُتي بها ، فنكت السهام بين يديه وجعل يتأمل الناس فاذا رجل قد طالهم وعلا عليهم ، رشقه في اذنه بسهم فانشبه فيه ، وكنت رجلاً طويلاً فلما رأيته فعل ذلك برجلين خفت ان يقع طرفه عليّ فيجعلني ثالثاً ، فتلطفت حتى خرجت ثم عدت الى مكة فلبثت بها حيناً .

ثم بلغني عن ملك من ملوك غسان انه من اتاه من قريش حباه وشرفه ، فلم يمنعني ما شاهدته من النعمان ان توجهت حتى انتهيت الى باب ذلك الملك ، فأمكث اياماً لا اصل اليه ولا يؤذن لاحد عليه ، ثم انه جلس جلوساً عاماً فدخلت في جملة الناس ، فاذا هو جالس في صدر مجلسه ، واذا في وسط داره أسطوانة طويلة واسعة الرأس ، فجعل يتأملها ملياً ، ثم أقبل على جلسائه فقال لهم : أترون انه لو اخذ رجل شاب ظاهر الدم حسن الجسم ، فذبح على رأس هذه الاسطوانة أكان يسيل دمه حتى يبلغ الارض ، فقالوا ما نرى ذلك انها لطويلة ، فأمر برجل توسمه من بين الناس ، وقد نظر اليه على النعت الذي نعته ، فأخذ وأصعد الى اعلى الاسطوانة فذبح فسال دمه حتى بلغ ثلثيها ، وانحدر قليلاً فقال : ما أراه بلغ الارض فلقد كانت به أدمة [1] ، ولعله لو كان ابيض اللون كان دمه اكثر ، ثم تأمل الناس فلحظني بطرفه فظننت انه سيأمر بي ، ثم أجال طرفه وغفل عني ، فتلطفت حتى خرجت فعدت الى مكة ، فمكثت بها حيناً .

(١) السُمرة .

ثم توجهت في تجارة الى الشام في رهط من قريش ، فيهم ابو سفيان بن حرب وكان مقصدنا غزة ، فلما اتيناها وجدنا أسواقها قد تصرّمت وبقيت بضائعنا ، فقيل لنا لو اتيتم دمشق لاصبتم بهـا حاجتكم ، فانطلقنا اليها حتى اتيناها فتسوقنا وبعنـا واشترينا مايصلح لبلادنا وخرجنا نريد طريق بلادنا ، فلما سرنا غير بعيد عرضت لي حاجة فحللت إزاري فاذا فيه صرة ذكرتها حين رأيتها فيها شيء من الذهب ، كانت امرأة من نساء قومي دفعته اليّ وسألتني ان ابتـاع لها به بزاً وما اشبه ذلك ، فقلت لاصحابي انظروني بمكانكم الى ان انصرف اليكم فقـد عرضت حاجة لا بد من العودة فيها الى دمشق ، فأخبرتهم بامر المرأة فقـالوا نحن نقيم عليك فلا تحبسنا ، فرجعت حتى أدخلها مساء فأتيت فندقاً بها ، فنزلته لأبيت فيه وأصبح على حاجتي ، فاني لنائم أتاني رجل حسن الصورة مكتهل فحركني برجله ، ففتحت عيني . فقال لي : من اين انت فقلت : انا رجل غريب دخلت في حاجة . فقال : انطلق معي الى منزلي . قال : فنهضت معه الى منزله فأحسن ضيافتي وبت عنده خير مبيت ، فلما أخذت مضجعي قام يصلي الليل كله حتى أدركه الصبح ، ثم أقبل علي فقـال : لا تخرج الى السوق حتى اخرج معك فنقضي حاجتك . قال : وكان من يخرج الى الاسواق يحرز متاعه مخـافة ان يختطف . قال : وأدرك الرجل النوم لسهره الليل كله ، فكرهت ان اوقظه وخفت ان احتبس انا عن اصحـابي ان انا انتظرته حتى يستيقظ ، فبادرت فأتيت السوق فاذا اكثر اهلها لم يأتوا ، فوقفت أترقب وانا في ذلك أتأمل الناس فاذا ببطريق[1] من بطارقة الروم قدأقبل ومعه جماعة من الاعوان ، فرآني على تلك الحال فعلم اني غريب . فقال لاعوانه : خذوا هذا فنعم خادم الكنيسة هو ، فأخذوني فانطلقوا بي الى كنيسة لهم فيها بناء قد استهدم ودفعوا اليّ مرّاً . فقالوا : اهدم ، فظللت يومي كله أعمل في ذلك حتى أمسيت فخلوني ، فرجعت الى الفنـدق الذي كنت فيه اول الليلة الماضية وانا بحـالة سيئة ، فبينا انا جالس فيه اتاني الرجل الذي كان أضافني فقال : اين كنت وما كان من امرك ، فاخبرته فقال : الم اوصك لا تخرج الى السوق الا معي . فقلت : انك بت تصلي فأصبحت تعبان واعجلني الامر

(١) البطريق القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وورائي اصحابي ينتظرونني وكرهت ان أعجلك من منامك . فقال : انطلق الآن معي ، قال : فصار بي الى منزله فأحسن ضيافتي ، وأوصاني ان لا أصنع كما صنعت ولا أخرج الا معه ، واخذ في صلاته كما فعل في الليلة الماضية حتى اذا بان الصبح ونام خالفته ، فخرجت الى السوق فاذا البطريق قدغشيني ، فقال لاصحابه هذا صاحبنا بالامس فخذوه ، فأخذوني حتى أوقفوني على موضع الهدم واعطوني المر ، فما زلت أهدم حتى انتصف النهار واشتد الحر وخلا الموضع فجلست استريح في ظل بعض تلك الحيطان ، فماشعرت الا وقدهجم عليَّ البطريق فعلاني بسوط معه حتى اوجعني وقال: أتركت العمل وجلست ? قال عمر : فأبلغ مني فعله ، ونظرت عن يميني وعن شمالي فاذا ليس احد غيري فاجتذبته جذبة فسقط عن دابته الى الارض ، ثم ضربت هامته بالمر حتى فلقتها وهو في ذلك يصيح و يستغيث فلم يسمعه احد ، فطرحت عليه من ذلك الهدم وخرجت من المدينة هارباً لاالتفت ورائي حذراً من الطلب ان يدركني ، وقصدت غير الطريق الذي فيه اصحابي ، فلما ابعدت من المدينة لحقني رجل من الروم يسير في بعض امره ، فكلمني بلغته فلم اعرفها ، واستراب بي وألحَّ في مخاطبتي بما لا اعلمه وانا أخاطبه بما لا يعلمه هو ، ثم أومأ بيده الى سيفه ليسله فبادرته فغلبته عليه وصرعته عن بغلة كان عليها وضربته حتى قتلته ، وندرت البغلة فذهبت واخذت حتى وصلت الى دير فيه جماعة من النصارى فدخلته فلما رأوني اطافوا بي وسألوني عن حالي فاكتنيت عنها وقلت : بمايعرف دير كمهذا قالوا : بديرالعدس . وانطلقوا الى أسقفهم فعرّفوه خبري فأتاني فلما تأملني قال : اني لأرى وجه خائف فقلت : وما ترى من خوفي فقال : كن كيف شئت فقد أمن الله خوفك ، ولامكروه عليك ، اذ قد وصلت الينا ، وانزلني في بيته واحسن ضيافتي ، ثم سألني من انا وممن انا فأخبرته وهو يتأملني ويعيد مسألتي ، وبت عنده فلما اصبحت قال لي : ما تشاء المقام ام الرحيل ? فقلت : بل الرحيل فاذا هو قد جاءني بحمارة له قمراء (١) ذات لحم وشحم فأوكفها (٢) وحملها خرجين

(١) القمراء ما لونه القُمرة يقال حمار اقمر واتان قمراء والقمرة لون الى الخضرة وقيل بياض فيه كُدرة . (٢) اوكفه شد عليه الإكاف كآكفه .

فيها طعام وطُرف وتُحف وقال لي : اركبها وانطلق فانك لن تأتي على احد من النصارى فيراك عليها الا احسن ضيافتك وحفظك واكرمك وجوزك ، ثم اخذ بيدي فخلا بي من وراء الدير فقال لي : يا عمر قد وجب حقي عليك فقلت : اجل فقال : وانت رجل من قوم كرام ولي اليك حاجة فاقضها فقلت : اذكرها واني لاعجب ان يكون لمثلك الى مثلي حاجة وانا رجل غريب على الحال الذي ترى فقال : اني رجل عندي علم من الكتاب وقد تفرست فيك، ولن تنقضي الايام حتى يتغير ما عليه الناس وينتقلون الى حالة أخرى، وتلي انت هذه البلاد وينفذ امرك وحكمك فيها وفي اهلها ، واخرج من كمه دواةً وصحيفة فقال : حاجتي ان تكتب لي كتاباً يكون في يدي باسقاط الجزية عن هذا الدير ومن يسكنه فقلت : ما كنت أراك تهزأ بي فقال : وما كنت اراك تسيء بي الظن ، والذي انزل الانجيل على عيسى بن مريم ان الامر لحق كما قلت لك فاكتب لي بما سألتك قال : فكتبت له بما سأل وانطلقت فما اتيت على قوم من النصارى الا ضيفوني وجوزوني وارشدوني الطريق وشيعني بعضهم الى بعض حين رأوني على حمارة الاسقف حتى انتهيت الى تبوك فاذا اصحابي نزول على رُكيّ[1] فلما رأوني نهضوا اليّ وسروا بورودي عليهم وقالوا : يا ابن الخطاب حبستنا بالمكان الذي خلفتنا فيه ثلاثاً . ثم لما يئسنا منك سرنا وبنا منك همٌّ شديد ، فما كان من شأنك فأخبرتهم خبري غير الذي قاله لي الأسقف فاني لم اذكره لهم لضعفه كان في نفسي . وقال لهم ابو سفيان حين رآني راكباً تلك الحمارة : اما ترون هذا الفتى وإقبال امره انه منذ نشأ لو عمد الى حجر لانفلق له عن رزق قال : وكان الأسقف قد اوصاني اذا انا وصلت الى اصحابي واستغنيت عن الحمارة جعلت رسنها في احد جانبي الخرج وأشد الخرجين عليها شداً متقناً وادعها بمكانها حيث كانت ففعلت بها ذلك . فقال لي ابو سفيان : ما هذا فقلت : ما ترى فقال : تدع حمارة مثل هذه معرضة للصوص والسباع فقلت : بهذا امرني صاحبها وهو اعلم بشأنها مني قال : فسمي ذلك الموضع والركي الذي فيه ركي الأتان .

---

(١) الرُكيّ جمع ركية البئر ذات الماء .

وسرنا حتى اتينا مكة ودار في نفسي ما سمعته من كلام الأسقف فأسررت ذلك الى حاضنة لي ذات فهم وعلم فقالت لي : ياابن الخطاب فاني لم ازل اتوسم فيك الخير وانت صغير وذاك اني رأيتك يومئذ فيما يرى النائم وانت تطول حتى لم استطع النظر الى وجهك لطولك ، ثم مددت يدك اليمنى فنلت بها السماء فقلت في منامي : ما بال ابني فقال لي قائل : انه سينال خير الدنيا والآخرة قال : ونحن في جاهلية لا نعرف معنى هذا الكلام . وكان بمكة رجل من اهل الكتاب يخفي امره و يكتم شأنه ، الا ان اكابر قريش يعرفونه و يكرمونه وربما شاوروه في الامر يحدث لهم . فطرقته نصف النهار ودخلت عليه فقلت له : أغلق البـاب فان لي بك خلوة ففعل . ثم قلت : اني اذكر لك حديثين وأسرهما اليك فلا تخبر بهما احداً فقال نعم : فقصصت عليه ما قال الأسقف بدير العدس وبما اخبرتني به حاضنتي من الرؤيا فلما فرغت اقبل عليّ فقال : يا ابن الخطاب اما ماذكره الأسقف فهو اليوم اعلم من بقي على وجه الارض من النصارى وما أخبرك الا بالحق ، واما الرؤيا فانه سيحدث بمكة عن قريب امر يتغير به جميع ما ترى ، وقد اظلّ ، فاذا رأيت اوائله ياابن الخطاب فأتني فان فيه مصداق ماأخبرك به الأسقف فقلت : وما هو فقال : لن يخفى عليك فاول امر تراه يحدث فهو هو قال : فانصرفت من عنده وانا أتوقع ماقال . فمات بعد ايام وظهر من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء تحدث به قوم من قريش وجعلوا يتذاكرونه بينهم على سبيل الهزوء فقلت في نفسي : لئن كان هذا حقاً لهو الذي اخبرني به الرجل الكتابي . ولم يزل ذلك يقوى حتى أظهر الله الاسلام قال : اسلم فلما كان في خلافة عمر توجه الى الشام فأتاه شيخ كبير ومعه جماعة من النصارى حين نزل عمر الجابية فسلم عليه وقال : ما تعرفني يا امير المؤمنين فقال : ان كنت صاحبي بدير العدس فاني اعرفك قال : انا هو فقال عمر : فان عهدي بك وانت مكتهل وقد بلغت الآن هذه الحال . وقد اتى الله جل اسمه بالاسلام فما يمنعك من الدخول فيه وانت رجل من اهل الكتاب . وقد كنت اخبرتني بشيء فرأيت من نبائه مااستدللت به على انك من علمائهم ، عندي في ذلك مقول لا احفظه . ثم اظهر الكتاب الذي كان عمر كتبه له يوم نزل به فعرفه عمر وقال : ما تسأل قال : اسأل ان تمضيه لي فقد تقدم به امرك ووعدك .

فقال : انا يومئذ كنا واياكم على حالـــ قد علمتها · وقد ازالها الله وجاءنا بغيرها · ولا بد من احد امرين اما الخراج واما الضيافة · فاختـــار الضيافة فألزمهم اياها عمر وأسقط عن ديره الخراج على ان عليهم ضيافة من نزل هذا الدير من المسلمين اذا كان عابر سبيل ثلاثة ايام يطعمونهم ما يحل لهم من اوسط طعامهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقالـــ عمر : ما اعرف لاحد عندي يداً منذ كنت حتى منّ الله عليّ بالاسلام غير هذا الرجل ، يعني ما كان صنعه به أسقف الدير · وعرض عليه المكافأة من ماله فلم يقبلها · وانصرف الى موضعه واصحابه راضين بما ألزمهم عمر من ضيافة المسلمين اه ·

الادب في البحرين

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

— ٣ —

(أسلوبه) ·— ليس لشاعر الخط أسلوب خاص في صناعة الشعر بل كان ناسجاً فيها على منوال من تقدمه من فحول الشعراء واعظم من حذا حذوه منهم هو الشريف الرضي فارتفعت باحتذائه مرتبة شعر ابي البحر عن شعراء البحرين ، ولكن الشريف لبث في سمائه محلّقاً صافّاً ، وابو البحر تحته مسفّاً دافّاً · والمقـابلة بين الشعرين لا تجشم صاحبها الا عناء المقابلة بين الخشلب ودرّ البحرين ، وهو يؤثر الجزالة في القول على السهولة والادباء من اهل بلده يرون ان فخامة الشعر لا تكون الا في الجزل ، وان الركة في الرقة والكلام السهل ، على ان لكل منها مقاماً معلوماً ، وهذا الشاعر الغنويّ يعرب عن رأيه في قصيدة لامية لابي البحر قائلاً : « ونحى فيها منحى الرقة وتساهل في النظم لغرض في نفسه والا فمذهبه في النظم على خلاف هذا » وقد اكثر في شعره من ذكر بلاد البحرين ومنتجاتها من درّ وتمر وغير ذلك مما هو طابع على شعره يعرف بها تاليه ، ولم يعلم قائله بانه شعر بحراني لا شامي ولا صنعاني وذلك من محاسن شعره · والبيان العربي وان كان واحداً الا انه يستعذب ان يكون لكل قطر بيـــان ذو طابع

فقال : انا يومئذ كنا واياكم على حال قد علمتها • وقد ازالها الله وجاءنا بغيرها • ولا بد من احد امرين اما الخراج واما الضيافة • فاختار الضيافة فألزمهم اياها عمر وأسقط عن ديره الخراج على ان عليهم ضيافة من نزل هذا الدير من المسلمين اذا كان عابر سبيل ثلاثة ايام يطعمونهم ما يحل لهم من اوسط طعامهم وكتب لهم بذلك كتاباً وقال عمر : ما اعرف لاحد عندي يداً منذ كنت حتى منّ الله عليّ بالاسلام غير هذا الرجل ، يعني ما كان صنعه به أسقف الدير • وعرض عليه المكافأة من ماله فلم يقبلها • وانصرف الى موضعه واصحابه راضين بما ألزمهم عمر من ضيافة المسلمين اه •

الادب في البحرين

« في فاتحة القرن الحادي عشر »

— ٣ —

(أسلوبه) • — ليس لشاعر الخط أسلوب خاص في صناعة الشعر بل كان ناسجاً فيها على منوال من تقدمه من فحول الشعراء واعظم من حذا حذوه منهم هو الشريف الرضي فارتفعت باحتذائه مرتبة شعر ابي البحر عن شعراء البحرين ، ولكن الشريف لبث في سمائه محلّقاً صافّاً ، وابو البحر تحته مسفّاً دافّاً • والمقابلة بين الشعرين لا تجشم صاحبها الا عناء المقابلة بين الخشلب ودرّ البحرين ، وهو يؤثر الجزالة في القول على السهولة والادباء من اهل بلده يرون ان فخامة الشعر لا تكون الا في الجزل ، وان الركة في الرقة والكلام السهل ، على ان لكل منها مقاماً معلوماً ، وهذا الشاعر الغنويّ يعرب عن رأيه في قصيدة لامية لابي البحر قائلاً : « ونحى فيها منحى الرقة وتساهل في النظم لغرض في نفسه والا فمذهبه في النظم على خلاف هذا » وقد اكثر في شعره من ذكر بلاد البحرين ومنتجاتها من درّ وتمر وغير ذلك مما هو طابع على شعره يعرف بها تاليه ، ولم يعلم قائله بانه شعر بحراني لا شامي ولا صنعاني وذلك من محاسن شعره • والبيان العربي وان كان واحداً الا انه يستعذب ان يكون لكل قطر بيان ذو طابع

خاص كما ان الاذن تستملح لهجات الاقطار العربية المختلفة ولا يخرجها ذلك عن كونها لغة عربية واحدة ٠

لقد بلغ فساد البيان في البحرين مبلغًا جعل مثل الشريف ماجد وهو من كبار أدباء البحرين اذا سمع قصيدة جيدة لابي البحر يلحقها بشعر البحتري وهو امة في الشعر وحده قال الغنوي راويته بعد ان أنشد الشريف ماجداً قصيدته التي مطلعها :

(سلام يغادي جوكم و يراوحه   ونشر ثناء تنتحيكم روائحه)

ان الشريف العلامة أعجب بها وألحقها بشعر ابي عبادة الوليد بن ابي عبيدة البحتري وان هذه القصيدة ليست مما يفرق بينها وبين اشعار ابي البحر العادية وليس احد في عصرنا ممن يشق غبار ابي البحر في جودة السبك وجزالة اللفظ وبكارة المعنى وسلامة النظم ٠

احتذى ابوالبحر الرضيّ في داليته التي رثى بها الصابي حينما اراد ان يرثي قاضي القضاة ابا جعفر عبد الرؤوف العلوي الموسوي للسنة السادسة بعد الالف ولنقابل بين المطلعين قال الرضيّ ٠

(اعلمت من حملوا على الاعواد   ارأيت كيف خبا ضياء النادي)

فقال الخطيّ :

(كف الحمام وثرتِ اي جواد   ورجعت ظافرة بايّ مراد)

فلو تلا المرء بيت الخطيّ وحده لقال لا بأس به ولكنه يتضاءل في عينيه اذا ما قرنه بقول الرضي ، وقد اراد ابو البحر ان يعارض المطلع في قصيدته فاستعمل جميع الفاظ الصدر وبعضها في العجز قائلاً :

(اعلمت من حملوا على اعوادهم   المجد قد حملوا على الاعواد)

وقال الرضي :

(ثكلتك ارض لم تلد لك ثانياً   اني ومثلك معوز الميلاد)

فقال الخطي :

(هيهات ان ولدت له الدنيا اخًا   اني وقد عقمت عن الميلاد)

وقد بالغ في هذا الاحتذاء حتى كأنه والسرقة سواء ٠ قال الرضي :

(قلصت اظلة كل فضل بعده   وأمرّ مشربها على الوراد)

فقال الخطي مغيراً على بيت شريفه :

(نضبت موارد كل خير بعده فالورد معتلٌ على الورّاد)

وقال الرضي :

(عمري لقد اغمدت منك مهنداً في الترب كان مخرق الاغماد)

فأخذ الخطي هذا المعنى وتصرف بالالفاظ وقال :

(ومهنـداً ابلى الغمود زلاقةً فغدا التراب له من الاغماد)

وقد يغض الطرف عن سرقة الشاعر اذا احسن استعمال المسروق وانست حلاوة نسجه ولطافة نهجه والزيادة في معناه المتممة أسلوب البيت المسلوب ، ولكن صاحبنا ابا البحر انحط في ذلك عن الرضي وكرّر الاغماد فأساء وما أجاد .

ان أئمة البيان هم الالى ينهجون في الصناعتين المناهج القويمة ويمتازون عما سواهم باساليب مبتكرة مستملحة واما المقلدون فيتابعون أئمتهم في مناهجهم وينحون مناحيهم صنع الوأواء بالاقتداء بالمتنبي . وقد اعتاد الشريف الرضي في قصائد حماسته وفخره ان يصف شجاعة صحبه وصبرهم على المكاره وخشونة العيش وتوسد اعضاد المطايا وملاقاة المنايا كقوله مثلاً :

(ما كنت ارغب عن هيجاء تقذف بي هام المروري واعنـاق الشناخيب)

(في فتية هجروا الاوطان واصطنعوا ايدي المطـايا بادلاج وتأويب)

(من كل اشعث ملتاث اللثـام له لحظ تكرره اجفان مذؤب)

فنحى الخطي هذا المنحى بقوله :

(عدوى لو العادي عليه سوى الردى قسماً لكنت عليه اول عادي)

(في فتيـة ضمنت لهم عزماتهم ريّ القنا في كل يوم جلاد)

(طـالوا بايديهم عوالي سمرهم فغنوا بهن عن القنـا المياد)

ومن طرائق الجاهلية في التعبير عن الفواجع ان يقولوا مثلاً : ما لدماء كانت ترعى وخلفها خشفها فاختطفه اطلس غادر باوجع من الشـاعر مهجة يوم بان الخليط ، ومنها القسم بالابل الراقصات اشباه الحنايا الى غير ذلك مما احتذاه الرضي واجاد فيه لشدة اسر كلامه وجزالته وذلك كقوله :

(حلفت بها كقسي النباع تحسب اعناقهن السهاما)

والخطي يقول :

(اما والراقصات كأن وحشاً تند بما حملن من الرجال)

يلجأ الى هذه الطريقة اليوم من ينحت من صخر و ينقطع به امد الكلام وتعوزه المعاني الجليلة واما من يغرف من بحر كشوقي ومعروف واتباع المدرسة الادبية الحديثة فقد اقتصروا على التعبير عن عواطفهم الثائرة وتناول الموضوعات والحوادث الاجتماعية التي تحدق بامتهم فهم الذائدون عن حياضها والمتعاونون على إنهاضها ٠

قال عشيره الغنوي : وكان كثيراً ما يعجبه شعر ابي نواس في الخمريات فربما تعرض لمجاراته فمنه ما قاله في سنة الف وهو غلام مجيزاً له :

(دع عنك لومي فان اللوم اغراء)

(وليلة بت تجلو لي حنادسها مدامة كدم المذبوح حمراء)

(كالناروالماءان شبت وان لمست وفي الحقيقة لا نار ولا ماء)

(شمطاء عذراء في دن وفي قدح فاعجب لها وهي شمطاء وعذراء)

(كأنها في الدجى والزق يقذفها برق له من خلال البرق لألاء)

الى ان وصف ساقيها الشادن فقال :

(له محلان في قلبي وفي بصري سواد هذا ومن ذاك السويداء)

(وشابها نطفة من فيه صافية كالراح فهي مع الصهباء صهباء)

(لحا على شربهـا قوم وما علموا يا ويحهم ، ان ذاك اللوم اغراء)

(عيوب شعره) — منها التكرار المعنوي وعدم التصرف بالتعابير والتفنن في ايراد المعنى الواحد المقصود بصور شتى فمن ذلك قوله :

(لا اغب الوزير سعد يناجيـ ـه به ذكر غدوة ورواح)

فقد كرر هذا المعنى الدال بتعبير الغدوة والرواح على الدوام والاستمرار في مواطن مختلفة منها قوله :

(فصالحه عني على بعـد داره بمدحي كفا غدوة واصيل)

وختم رائيته بصاحب الزمان بقوله :

(ولا زال تسليم المهيمن واصلاً اليك به سيرا عشي وإبكار)

ومن تكراره المعنوي قوله في بعض صحابته :

(لأعوزَ ان يأتي اب بشبيهه وان كثر الابناء يوماً وأنجبا)

وقوله من قصيدة أخرى :

(لاعوز ان يأتي اب بشبيهه سماحة نفس في طهارة مولد)

وفي هذا الكلام فضلاً عن التكرير المعنوي احالة يستنكرها العقل الرجيح ، وينبو عنها الطبع الصحيح ·

ومنهـا التمدح والاستئثار الادبي · وقد قيل كل حق يجمل ذكره الا مدح المرء نفسه · والشعر الرائع تذهب ببهجته الدعوي وان كانت صحيحة ، هذا بالنظر الى قضاء العقل وروح زماننا ، واما بالنسبة الى زمن ابي البحر والذي تقدمه فان التمدح بالشعر كان ينتظم في سلك الفخر ، والشاعر المفتون بشعره يعدّ الشعر الفاخر من المفاخر وكان اجدر به ان يترك الحكم على شعره لغيره فلكل زمان بيان ، ومن تمدحه قوله :

(فيا ابن محمد بن نقيّ اسمع ثنـاء مبرز في النظم فرد)

(سحـائب [1] ان تزر ناديك تقلع مواطرهن عن أحواض شهد)

(تشاركني الورى في الشعر ظلماً على اني المبرز فيـه وحـدي)

ومنها قوله :

(مدائح لم يسمع بها فكر شاعر ولا افترّ عن أمثالها فم منشد)

(انا الكوكب الوقاد والعلم الذي به كل من غمت مساعيه يهتدي)

(متى أدعُ عاصي القول يأتي مطاوعا وان يدع غيري طائع القول يقعد)

وقوله في محل آخر :

(وعدّ عن استماعك شـعر غيري فاين حصى الطريق من اللآلي)

(مكان قريض غيري من قريضي مكان النغل من ولد الحلال)

يقول رحمه الله هذا وقد قال قبل هذين البيتين :

---

(١) الصواب السحب ·

(« نعز » لو رقي يعقوب منه ببيت او أقل لظل «سالي»)

وقد بينا من عيوب شعر الخطي انه بالغ في الاحتذاء ، حتى كان والسرقة سواء ، وقد يسرق معتدياً لا محتذياً فمن ذلك قوله والسرقة فيه مبينة لا تحتاج الى بينة :

(يبقى لنـا الجود ما بقوا فمتى قضوا قضى الجود بعدهم نحبا)

اخذه من قول : في رثاء معن بن زائدة :

(ولما قضى معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم أجدعا)

وقوله : (وتحبس نفسها ابداً عليـه عكوف المرضعات على الفصال)

من قول الشاعر : (نزلنا ارضه فحنا علينا حنو المرضعات على اليتيم)

واما قوله : (ملكته في الهوى قلبي فصارله عبداً مطيعاً وفيما شاء يسلكه)

(ثم انثني معرضاً والقلب في يده هلا جفاني وقلبي كنت املكه)

فهو مسروق من قول سيف الدولة بن حمدان :

(واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب)

وقد تناول قوله :

(لقد تضاءل حتى لو قذفت به في مقلة ما أحسته مآقيها)

من قول الوزير ابن العميد :

(لو ان ما ابقيت من جسمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء)

وتناول منه ايضاً قوله :

(وعبرة لو دُعي نوح ليسلكها بفلكه قال بسم الله مجريها)

(ومقلة الفت فرط السهاد فلو رد الرقاد عليها كاد يؤذيها)

وشبيه به بمعناه واحالته قول المتنبي :

(اراك ظننت السلك جسمي فعقته عليك بدر عن لقاء الترائب)

(ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ماغيرت من خط كاتب)

وكأن الخطي غار من بيتي السيد علي في الخمر :

(رقت فلولا الكأس لم تبصر لها جسماً ولم تلمس براحة لامس)

(فكأنها عند المزاج لطافة وهم يخيله توهم هاجس)

فأغار عليهما قائلاً :

(ما ذا على الطير اذ أبلى الضني جسدي   لو حملني في خوافيها)
(ان تقعد الطير عن حملي لكم وسرت   ريح الصبا فاطلبوني في مساريها)

وفي الديوان من عيوب لغة ونحو واملاء ونسخ ووزن وضرورات له عنها مندوحة فمن ذلك جمعه قوس على قيسان في قوله :

(نواحل كالقيسان مما يعسفو[1]   بها كل تيهاء المعالم فدفد)

ومنها استعماله غوغاء بمعنى ضوضاء على غير الافصح في قوله :

(تلك النوادب لا يفيق السمع من   غوغاء رنتها ولا ضوضائها)

ومنها استعماله تغاورها بمعنى أغار عليها في قوله :

(كأن قلوبنا لما استقلت   ركايبكم ضحى ودنى الوداع)
(فراخ قطاً تخطفها بزاة   وعرج ظبي تغاورها سباع)

والحال انه يقال : تغاوروا اذا أغار بعضهم على بعض على سبيل المشاركة ومن اين لعرج الظباء ان تغير على السباع ، الا ان يكون الاصل تعاورها بالعين المهملة فمسخها النسخ ، وفي البيت الاول غلطتان املائيتان : ركايبكم والصواب ركائبكم لان فعلها المجرد ليس أجوف فيكتب الجمع بالياء نحو مسايل جمع مسيل ، ودنا واوية تكتب بالالف ، والظبا تكتب ايضاً بالالف لا بالمقصورة وهي التي يأخذونها (الظبي جمع ظُبة اي حد السيف) ويحلون الحُبي حين يبلغ السيل الزبى .

« البقية للآتي »   ابو قبيس : عزالدين التنوخي
عضوالمجمع العلمي العربي بدمشق
والمجمع العلمي العربي ببغداد

---

(١) لعلها تعسفوا .

الموازنة

بين الالعوبة الالهية وترسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٥ =

اولاً : ان كل من تقدم دانتي من كتاب الفرنجة وشعرائهـا لم يرو عن احد من اولئك الابرار الذين نسبوا اليهم العروج الى السماء اوالهبوط الى جهنم ، انه نفسه عرج وهبط ، وهذا أقدمهم بولس الرسول يحكي عن السماء فقط ، ثم بعده يوحنا لا يتكلم عن سواها ، واما من بعدهما ، فاما ان يحكي عن عروجه على السماء كالقديس ساتور والقديس بَارُ نْبَدُو والقديسة كاترينـا وغيرهم ، او عن المطهر كالقديس باتريس ، او عن جهنم فقط كما رووا عن سواه ، ولم ينفرد عن كل هذه الجماعة الا راهب واحد يدعى البيريك ، ولدى تقصينا البحث عن موقع دير هذا الراهب علمنا انه مدينة كاسّينو بايطاليا ووجدنا فيها دار كتب تحوي اربعين الف كتاب بينها خمسمائة كتاب مخطوط من اندر الكتب ومنها نسخة خطية من الالعوبة الالهية ، وفي هذه الدار صورة دانتي الاصلية .

فقد يكون الراهب البيريك — وكانت الرهبان في القرون المتوسطة خزنة العلوم وسدنة المنثور والمنظوم — او دانتي نفسه ، او كلاهما ، طالع رسالة الغفران العربيـة او المترجمة ، بين تلك الكتب المخطوطة النادرة وهو ما لا يشك فيه الناقد .

ثانياً : ان جميع العارجين والهابطين قد احتذى متأخرهم على مثال المتقدم فكان مجمل كلامهم عن الفردوس لا يتعدى ما عاينوه في زعمهم من الاعاجيب ووصف لذاذات الارواح في ذلك النعيم ، وتفصيل أنواع التعذيب وضروب الآلام التي يجزى بها الاشرار في الجحيم ، على اختلاف في اللفظ وطرق الوصف والتعبير ، واتفاق في وحدة الصورة وان اختلفت ألوان التصوير ، إذن دانتي لم يذهب الى محاكاة هؤلاء .

---

(١) تتمة ما نشر في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع .

ثالثاً : ان هوميروس اشعر شعراء اليونان ، وفيرجيل اشعر الرومان قد سلكا في أشعارهما على نقل الحوادث التاريخية وروايتها ولم نعثر على كثرة ما بين ايدينا من كتب الفرنجة وغيرهم على الطريقة التي جرى عليها المعري في رفع مخاطبه الى الفردوس العلوي ، وارائه من اعاليه مشهداً من الجحيم ، وتنقيله صاحبه (وهو ابن القارح نفسه) في عرصات الجنان ، ومكالمته من بها من الانس والجان ، والقائه على قدماء الشعراء وغيرهم من الجن أسئلة أجاب عنها بلسانهم مفصحاً عن رأيه ومذهبه ، الى أغراض كثيرة في طي ذلك .

وكأن دانتي لشد ما أعجبته ، ولم يكن لديه صديق كابن القارح يثق به ، رأى ان يكون هو نفسه ابن قارح عصره ، وهو الاشبه بما يزويه ، ولكن لما لم ير ابا علائنا ولا هو ممن يلائمه اختار فيرجيل دليلاً وهادياً في تلك الهاويات المظلمات ، والهبطات العاتمات وكأني به اخذ كلام ابي العلاء على ظاهره ففهم ذلك العروج عروج تقوى وخشوع وانى له ان يتبطن ما وراء ظاهر اللفظ من المغامز ، وهو ليس بعربي ، او ان يجسر المترجم الى نقد ما هنالك او الاشارة اليه — ان كان قد زكن شيئاً منه — وهو في بحبوحة القرون المظلمة وظل محاكم التفتيش .

وقد ذكرنا قبيل هذا ان دانتي كان صلباً في دينه ، شديداً في مذهبه ويقينه ، فلم يكن ليدور في خلده شك في جل ماقرأه او وصل اليه من أساطير الاولين بل من الخرافات التي كان يتناقلها معاصروه عن معجزات ينكرها اليوم عقلاء المتدينين ، وكان نقد شيء من ذلك بعيداً عنه بعد الارض من الجوزاء ، وان اقصى ما اوحاه اليه خاطره عند نظمه شمل الالعوبة « ان ينتزع الاحياء من تعاستهم في هذه الدنيا ويقودهم الى السعادة الخالدة كما روى هو نفسه » ولكنه وان كان صافي السريرة بهذه الدعوى ، فقد كان يطمح ببصره الى المجد وان جعل غرضه العلويات ، وفي نفسه من الحقد والعداوة وغيرهما من خسائس الارضيات ، ما اتخذ لها الهبوط والعروج اسباباً ، ومهد للولوج فيها طرقاً وفتح ابواباً ، فطرح في جهنم من شاء من اعاديه وخصومه ثم من خالفه في مذهبه السياسي وآرائه في الدين ، وجعل اسم فيرجيل عوذة له يدفع بها اعتراض المعارضين في طريقته الشعرية باللغة الطليانية بدل الرومانية ليوهم العامة من القراء انه

كان يوحي اليه بشعره هذا من فيرجيل فيعظم اسمه وتذيع شهرته بتكراره يا أبت وجواب فيرجيل يابنيّ ، وقد صرح في الاغنية الرابعة بعدِّ نفسه سادس شعراء الدنيا ومن ذلك ترى ان ليس « انتزاع الاحياء من تغاشيهم الخ » هو وحده غرضه من الغوبته ومعراجه المزعوم بل للفخر ومباهاة شعراء عصره فيها قسط كبير ، ولعله قد تنبأ عن نفسه اصدق النبوة بهذه الدعوة فقط ، فان اكثر ارباب العلم في اوربا قد أجمعوا على انه ثالث شعرائهم كما ذكرنا قبل هذا ، ولعل ذلك كان في القرن الثامن عشر ٠

على انه لو لم يكن الى تلك الشهرة طموحه ، ولهذا العز الاقعس جنوحه ، ألم يكن الأجدر به ان يطلب من معشوقته بياتريس (وتمر بها الغبطة) او كما دعاها في بعض شعره (الغبطة الالهية) ان تبعث اليه بملكٍ من الفردوس يكون دليله في تلك الظلمات الحالكات ، او بسادن من سدنة جهنم عارفٍ بمن فيهـا ، من اتخاذه فيرجيل دليلاً وهادياً ، ولعله كان يريح القارئ من تكرار لفظ انا لابي ، وابي لي ، يريد قلت لابي واجابني ابي ، مرات عديدة في كل صفحة من الاغوبة ، وان قيل انه اراد بهذا التكرار ايضاح استعانته بروح فيرجيل ليوحي اليـه ما نظمه وهو أعظم شعراء الرومان كما هو معلوم ، فنجيب عن ذلك انه كان يرجو منه ان يوحي اليه بعلم العروض والقوافي ٠ فالشعر وجد عند الرومان قبل فيرجيل وهو يعلم ذلك ولم يكن فيرجيل واضع هذا العلم وان كان يريد ان فيرجيل كان يوحي اليه اللفظ والتركيب ، فهو ينظم بغير لغة فيرجيل بل لو علم بها لانكرها عليه كما انكرها عليه بعض مشاهير معاصريه ، وان كان يريد بفيرجيل سمو المعاني ، فليس في الهبوط الى جهنم ومشاهدة ما ذكره كبير معنى ، وقد ألهب دماغه وأتعب قراءه وأسأم نقاديه وفيهم كاتب هذه الموازنة ، بما ابتدعه في جحيمه من التلال ، والاودية والجبال ، والحصون والاسوار ، والبحيرات والانهار ، والمهاوي والفلوات ، والمضايق والاعوجاجات ، والمخابئ والدهاليز والجسور ، والمنافذ والسوابيط والقبور ، واناس بثلاثة رؤوس على كل كتفـ رأس ، واناس بثلاثة افواه وكل فم كفم التمساح ، وظلمات مدلهمّات لم يحلم بهـا حالم ولا يدركها اشد العميان عمىً ، وكان في زعمه يتهاوى فيها تارة ، وطوراً يسير بطيئاً ، وحيناً يقف

يحدث من يريد في النار من اهل النار · وهم يتضرمون ويتوجعون ، ويدورون دورة الرحى بسرعة البرق تنهشهم الافاعي وتلدغهم الحرور الجهنمية او هم يتخبطون على جبال من نار ، او يسبحون في بحار من الماء المدلهمّ ، او هو بخار النار واكنها مياه سوداء قاتمة ذات ريح لا تحكيها في فسادها ريح من رياح الارض · ومنهم من كانت تقذف بهم تلك الأمواج الجهنمية على الدوام بين هبوط وصعود وهم أرواح لا تُنظر ولا تُلمس كالهواء ، ومع ذلك فانه كان يشاهد كل حركة من حركاتهم ويعاين جميع ملامحهم حتى أظافرهم والقروح التي كانت منتشرة فوق أجسادهم ووجوههم الهوائية ، وحكّهم باظافرهم النارية تلك القروح الى كثير من أمثال هذا الوصف الذي تقشعرّ منه الجلود ولم يستك مثله في المسامع · ثم يحكي ركوبه مع ابيه فيرجيل متن فلك اسود في بحيرة ماؤها اسود في دركات مدلهمّات وظلمات غامضات ، ويصف ميل الفُلك لثقل جسمه المادي وخفة فيرجيل وهو روح · ثم يتنطّس بذكر الخطوط المستقيمة والمنحرفة والزوايا والحنايا والاشكال البيضوية والمحدودبة والمقوسة ونصف الزاوية والمربعات والمثلثات ودائرة البروج كأنما هو يملي على تلامذة مدرسةٍ كل ما وعاه من أقوال طاليس وفيثاغورس واقليدس ، ولم تفت بصره الألوان المختلفة التي كان يراها في جهنم في تلك المهاوي والمنحدرات تحت اقصى اسافل الطبقات في معترك عمى تلك الظلمات ·

كل ذلك وهو هو بلحمه وعظامه وروحه ومادته وثيابه لم يصب باذى النار وهو يخطر ويتنقل في ذلك الاخدود الجهنمي ويتنسم تلك الأرياح وذلك الأوار ، متضادات متناقضات ، بل هو خلط منظوم او هذيان محموم ·

رابعاً : ان اكثر تشبيهاته وتصويراته فقيرة محدودة لا تبعد كثيراً عن فيورنسا مسقط رأسه ، او ماحولها من القرى التي لا تعرف اسماؤها اليوم الا من العوبته ، او عن رافين وهي المدينة التي قضى بها آخر حياته وان جازت هذه النواحي فالى رومة وهي مقر العرش البابوي ، وأغلب محادثاته مع اهل النار تدور حول حوادث ايامه السياسية في تلك الناحية الصغيرة من ايطاليا ولعلها أصبحت اليوم مما يبحث عنها المؤرخ الراغب في التنقير عن الاحداث المحلية في هاتين المدينتين او ما يليهما في المعاجم ، وانما ذكره ذلك كله في تلك الملحمة الطويلة وقد استحضر لمساعدته فيها روح فيرجيل

أشعر شعراء الرومان ، وخلطه فيهـا كثيراً من آلهة اليونان وابطالهم ، كان على نحو قولهم تمخض الجبل فولد فأرة ، فتراه اذا صوّر مضيقاً من مضائق جهنمه اومعبراً اوجبلاً او غير ذلك ورام تشبيهه بشيء من نوعه على وجه الارض لا يذكر في الا كثر الا ما كان في بلدته او نواحيها ، كما تفعل العجوز التي تروم تلهية الاطفال بحكايات تقرّب بهـا الى فهمهم ما ترويه فتقول « كان بيت السلطان في رأس الحارة وكان له بستان اكبر من جنينتي ولعل جنينتها لا تزيد على بعض أذرع » ·

وهذا يدلك على ان غرض دانتي في كل بيت من أبيات العوبته كان الانتقام من خصومه في بلدته ونواحيها ، وكان جل قصده ان يقف اولئك الاعداء على ما يقول ، و يردد أصحابه ومن يقول بقوله اللعن على من لعنه ، وان يقال ان هذا الا وحيٌ يوحى وانه اخذ كل فصاحة فيرجيل وحكمته ، وعلى الجملة لينتصروا لرأيه ، فقد كان ملئاً انانيةً ، كثير التطلع الى المجد وهذا لا ينفي ماثبت من تحمسه في دينه ·

خامساً : انه جعل جهنمه في أسفل الطبقـات الأرضية حسبما كان يذهب عامة اهل عصره ، وان المطهر اعلى منها طبقات ، وان فردوسه فوق أرفع الجبال فلم يرتفع عن سمتهم برأيٍ سمي او مذهب عليّ لاسيما وانه شـاعر ، ثم قسم جهنم الى طبقات بحسب الآثام وهي عنده سبعة او هي رؤس الخطايا ولا نطيل بهذا ، ولكن لا بد لنا من توثيق مدعانا عليه التشبه بانبياء اليهود وانزاله نفسه منزلتهم ببينة لا تدحض وذلك من أغنيته التاسعة في الفردوس اذ يصوّر نفسه في محادثة مع الله وان روح الله حلت بجملته وامتزجت بذاته فتنبأ عن طوفان دم يحدث ببلدة پادو لعصيان اهلها واستنزل النقمة باسقفها الجاحد (في زعمه) وانها ستبكي طويلاً جنايتها الفظيعة الخ الخ · وكل ذلك لان هذا الاسقف لم يكن من حزبه او حزب جماعتـه وانه اخبر عنهم او وشى بهم فهلكوا ·

سادساً : لم يسبق لاحد ممن عرجوا في زعمهم على جهنم او على السماء ، ان رأى احداً من اصحابه او اعاديه او انه خاطبهم وخاطبوه وعاتبهم وعاتبوه الا ما صوّره لنـا المعري في تمنياته لابن القارح ثم مشى على آثاره دانتي في العوبته فاحتذى عين مثاله ونسج على منواله ·

على ان دانتي وان كان قد تصرف في بعض المسروق تصرفاً بعيداً وفي بعضه الآخر لم يزد على التقديم والتأخير وابدال الاسماء فان الناقد المنصف يعترف معنا بصراحة السرقة اذ كل ما خالطه في ألعوبته من الاشارات الى علوم الهيأة والهندسة والتاريخ واللاهوت وآيات من التوراة والانجيل والمعتقدات وأساطير اليونان والعادات القومية والامثال العامية والاحزاب السياسية المحلية والضغائن القومية وغير ذلك مما تعرّض له — في غير محله كما سنبينه بعد هذا — لم يكن ليستر سرقته هذه عن أعين الناقد البصير ولله درُّ شاعرنا :

(ثوب الرياء يشف عما تحته فاذا التحفت به فانك عارِ)

فاول ما فعل انه نزل الى جهنم اولاً ثم طلع الى المطهر ثم منه الى السماء ، وانت تعلم ان ابا العلاء طاف بابن القارح على الفردوس اولاً ثم على جنة العفاريت ثم المطهر ثم جهنم كما مر بك .

ثم ان ابن القارح وقف في باب الجنة يستأذن رضوان في الدخول فطلب منه جوازاً ولما لم يكن بيده جواز رشاه بقصيدة لم تفعل شيئاً في نفس رضوان .. ثم وقف عند الصراط واستشفع بالزهراء فأمرت احدى جوار بها باجازته كما مرت بك القصة .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي العربي

قسطاكي الحمصي

عدة الكاتب (١)

— ٣ —

وفي التاج المسطرة بالكسر مايسطر به الكتاب . وأسطر الرجل اخطأ .

القَلُّوج كتنور الكاتب . و يطلق على المدبر الحاسب من قولهم هو يفلج الامر اي ينظر فيه ويقسمه و يدبره .

حَضْرَمَ القلمَ براه .

كتب الشيء . كَتْباً وكِتاباً وكتابة خطه والكِتاب اسم لما كتب مجموعاً . والكتاب ما كتب فيه .

والكِتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة .

واكتتب فلان فلاناً سأله ان يكتب له كتاباً في حاجة . واستكتبه الشيء سأله ان يكتبه له . و يقال اكتتبه واستكتبه اذا استملاه .

واكتتب الرجل اذا كتب نفسه في ديوان السلطان .

وكتب الرجل الغلام تكتيباً وأكتبه إكتاباً علمه الكتاب فهو مُكَتِّب . ومُكْتِب اي مُعلِم .

ورجل مُكْتِب . له أجزاء تكتب من عنده .

والمَكْتَب . موضع الكُتَّاب . وموضع تعليمهم . والكُتّاب الصبيان . قال ابن الاعرابي و يقال لصبيان المكتب الفرقان ايضاً .

والكِتْبَة . اكتنابك كتاباً تنسخه .

واستكتب الرجل غيره أمره ان يكتب له او اتخذه كاتباً .

والكُتّاب سهم صغير مدور الرأس يتعلم به الصبي الرمي و يقال له الكثاب بالثاء قال الاصمعي الكثاب سهم لا نصل له ولا ريش يلعب به الصبيان . قال في اللسان والتاء في هذا الحرف اعلى من الثاء .

---

(١) راجع المقالة الاولى التي نشرت في المجلد السابع .

اللَّحَق ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه فتلحق به ما سقط عنه . و يجمع ألحاقاً وان خفف فقيل لَحْق كان جائزاً .

الكُرَّاسة بالضم الجزء من الصحيفة يقال قرأت كراسة من كتاب كذا وهذا الكتاب عدة كراريس وفي اللسان الكُرَّاسة من الكتب واحده الكراس والكراريس سميت بذلك لتكرسها . قال في اللسان . وكل ما جعل بعضه فوق بعض فقد كُرِّس وتكرس هو .

الصحيفة التي يكتب فيها من جلد او قرطاس والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف والصحيفة الكتاب . والتصحيف الخطأ في الصحيفة . والتصحيف تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع يقال صحفه فتصحف اي غيره فتغير حتى التبس . والنسبة الى الصحيفة صَحَفي يقال رجل صحفي ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ .

الرَّق بالفتح الصحيفة البيضاء وقيل الجلد يكتب فيه والكسر لغة قليلة فيه .

والرِق بالكسر ورق الشجر والشيء الرقيق .

والرُق بالضم الماء الرقيق في البحر او في الوادي لا غزر له .

الكُنَّاشات بالضم والشد الاصول التي تتشعب منها الفروع قال في التاج ومنه الكناشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة .

وفي شفاء الغليل كناش بضم الكاف العربية وتخفيف النون وآخره شين معجمة بزنة غراب لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة والكنش الجماعة ثم قال وقد وقع هذا اللفظ كثيراً في كلام الحكماء وسموا به بعض كتبهم كما يعرفه من طالع كتب الحكمة .

الهامش حاشية الكتاب يقال كتب على هامشه وعلى الهامش وعلى الطرة وهو مولد .

المُهْرَق . الصحيفة البيضاء يكتب فيها . فارسي معرب والجمع المهارق . وقيل المهرق ثوب حرير ابيض يسقى الصمغ و يصقل ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مُهْرُكَرْد وقيل مَهْرة لان الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك .

القرطاس بتثليث القاف والقرطس كجعفر ودرهم الصحيفة التي يكتب فيها .

القضيم والقضيمة الصحيفة البيضاء وقيل القضيم الجلد الابيض يكتب فيه والجمع قضم بضمتين وبفتحتين .

الكاغد بفتح الغين القرطاس وهو معرب والكاغذ بالذال المعجمة لغة فيه ٠

الطِرْس الصحيفة التي محيت ثم كتبت وقال الليث الطرس الكتاب المحو الذي يستطاع ان تعاد عليه الكتابة وفعلك به التطريس ٠ وطرّسه أفسده و يقال طرّست الصحيفة تطريساً اذا انعمت محوها وَطرّس الكتاب سوده ٠

وجمع الطرس أطراس وطروس والصاد لغة فيه ٠

الطِلْس لغـة في الطرس ٠ والَطلْس بالفتح المحو ٠ طلس الكتاب َطلْساً وطلّسه تطليساً كطرّسه تطريساً ٠

وفي اللسان الطِلْس كتاب قد محي ولم ينعم محوه فيصير طلساً ٠ وفيه ايضاً ٠ واذا محوت الكتاب لتفسد خطه قلت َطلّسْتُ ٠ فاذا أنعمت محوه قلت َطرّسْتُ ٠ والطلاسة مشددة خرقة يمسح بها اللوح المكتوب ويمحى ٠ و يقال طَمَسَ الرجل الكتاب ُطمُوساً اذا درسه ٠ وفي اللسان الطمس ، استئصال اثر الشيء ٠ وانطمس الكتاب وتطمس امّحى واندرس ٠

الفُنْداق صحيفـة الحساب قال الاصمعي أحسبه معرباً ٠ وقال بعض العلماء : الغالب استعماله في الكتب المنصرفة في الخدمة وحساب العمال والخراج ٠

العُهْدة كتاب الحِلْف والشراء ٠ و يقال استعهد من صاحبه اذا اشترط عليـه وكتب عليه عُهدة ٠ و يقال في خطه عهدة اذا لم يقم حروفه ٠

السِّجِل ٠ كتاب العهد ونحوه والجمع سجلات وهو احد الاسماء المذكرة المجموعة بالتاء ولا يكسر وقيل السجل الكتاب الكبير ٠ وقيل الصحيفة التي فيها الكتاب وقيل الصك ٠ وفي المصباح السجل كتاب القاضي ٠ وأسجلت الرجل اسجـالاً كتبت له كتاباً ٠ وسجل القاضي بالتشديد قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل ٠

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندي

فصح وشوارد

هذه تراكيب بليغة وألفاظ مختارة نقلت من كتب الفصحاء تصلح ان يدمجها ارباب الاقلام في تضاعيف كلامهم احياءً لها وحبًّا بتنمية ثروتنا اللغوية ·

الحكايات القلقة والاشارات البعيدة · تعاييت في شيءٍ فتهجاه لي · كان يجلس اليّ من العتمة الى ان ينكفت السامر · كان على قصره ودمامته تائهًا ذا أبهة وذهاب بنفسه · لم يتعلّق عليه بشيءٍ اي لم يُخطأ · قال ابن السكيت يقال بلّ الرجل من مرضه وابلّ واستبلّ · انا جارك منه (مجيرك) اجترّ سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفاناً ووذراً من لحم · اعطي من سيرورة الشعر شيئًا ما اعطيه احد (اي من سيره وشهرته) ·

تغامزا بي فنقبعت عليهما فهمدا · اذا تلسنني ألسُنها · يسكن الحيره و يراكن الريف ·

[انخرط الرجل في الامر وتخرّط ركب فيه رأسه من غير علم ولا معرفة (عن اللسان) فلا يقال اذا انخرطت في سلكه الا اذا أريد حشرت نفسي ولست باهل · وفي (التاج) قال شيخنا : استعمل الناس كثيراً الانخراط بمعنى الانتظام والدخول كانخرط في السلك اذا انتظم فيه وقد وقع في كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكي والزمخشري وأضرابهما ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص اهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا ولكنه رحمه الله وقع في جامع اللغة لابن عباد وعلى قولهم خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة قال فعلمت انهم تجوزوا به عن جعله في العقد الى آخر ماابداه ونقله في شرح الشفا وعناية القاضي وهو كلام لامحيد عنه] ·

أجِدّك لاتفعل — لايقال الامضافاً واذا كُسر استحلفه بحقيقته واذافتح استحلف بجنه واذا قلت بالواو فتحت وَجدّك (لاتفعل) قاله الفيروز ابادي ·

يقال يوم صائفٌ ورابعٌ وشاتٍ من الصيف والربيع والشتاء ، و يقال في

الازمنة اذا أريد الاقامة فيها صافوا وشتّوا وارتبعوا واذا أريد الدخول فيها قيل أصافوا وأشتوا وأربعوا وأخرفوا ·

يقال هروته بالهراوة وسوطته بالسوط وسفته بالسيف وعصوته بالعصا وهي قليلة · يقال أحال في المكان وأحول اذا أقام فيه حولاً وكذلك آصل وأضحى وأفجر وأقمر وأظلم وأعتم ولم يسمع في المغرب شيء · يقولون البداية بكذا وانما هو البداءة بضم الباء والهمز · أراهم يتشاهدون مرة و يتغايبون أخرى ·

فلان حسن المحضر والمغيب · يقال ارض غَمِقة كثيرة الانداء وبئة وعن عمر ابن الخطاب ان الأردن ارض غَمِقة وان الجابية ارض نزهة · صبحوهم فحسّوهم اي قتلوهم قتلاً ذريعاً ، وفي الكتاب العزيز اذ تحسُّونهم باإذنه · استعمل الاندلسيون « الطومارة » في مقام البطاقة وفي كتب اللغة الطامور والطومار الصحيفة والجمع طوامير · واستعمل لسان الدين بن الخطيب لفظة « العائلة » وقد انكرها بعض علماء اللغة من اهل هذا العصر · ووردت لفظة «البخت» في شعر محمد بن جُزي الكلبي ·

نعم لست ارضى عن زماني او ارى مكاناً به السفن المواخر والبخت

لابي الخير المروزي النحوي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ ·

تنافى المال والعقل فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

محمد كرد علي

الكلمات غير القاموسية

« جواب الاب انستاس الكرملي »

— على اقتراح الاستاذ « المغربي » —

(الصنف الاول) كل لغوي يوافق على تدوين مثل تلك الالفاظ لانها فاتت اللغويين ولو عثروا عليها في وقتهم لحرصوا على ابداعها معاجمهم ·

(الصنف الثاني) كَلِمُ فصحاء العرب الاسلاميين من أبناء صدر الدين الحنيف وبعده تدون ايضاً لانها مولّدة ، وأغلب مصطلحات علوم الادب والرياضيات والعقليات والالهيات غير مدوّنة · ولهذا تجمع وتبوّب كسائر المفردات الفرائد لاننا في حاجة اليها والى مُثُلها · اما (نجيم) و (صدفة) فليستا من هذا الصنف ·

(الصنف الثالث) بين هذه المفردات ماهي حديثة الوضع نقلاً عن الترك وعمن جاراهم من كتبة لغتنا المحدثين ومنها قديمة الوضع · ومنها لها صلة تجوز اتخاذها في العربية لمجاز في معناها · فمثل (هيئة) المحكمة و(تشكيل) الحاكم ترفض لاستغنائنا عنها بجماعة المحكمة وتأليفها ولانها من الوضع الجديد التركي الاصل · ومثل انعقدت الجلسة و تعْرِفة (لاتعريفة) الرسم وميزانية تقبل لصلتها بالفاظنا · ومثل كيفية وكمية وماهية وماضاهاها تُتخذ لانها قديمة مولدة وردت في مؤلفات السلف ·

(الصنف الرابع) الالفاظ التي ذكرها الاستاذ المغربي قديمة وهي للمولدين وهي من طبقة ماجعلها في الصنف الثاني وربما ارتقى بعضها الى اول صدر الاسلام · إذن انا أوافق من يدونها في المعاجم وان لم اجعلها من الصنف الذي سماه شيخنا المغربي « الصنف الرابع » ·

(الصنف الخامس) الاعجميات الثقيلة على اللسان والمخالفة للأوزان العربية تنبذ او تقصر لتوزن وزناً عربياً حتى يأنس اليها أبناء لغتنا · واما الاعجميات الخفيفة اللفظ والوزن فتقبل وتدوّن · ففلم و بالون ومناورة من المستحسنات · ومثل ذلك فعل

ألفاظهم القديمة ولم نسمعهم ينطقون سوى بالفيل ونعتوه بالذكر والانثى او الصغير والكبير او الضخم وغير الضخم هرباً من اتخاذ تلك المفردات الثقيلة التي هي أثقل من جسم الفيل نفسه ، بل تجاوزوا الحد في هذا المعنى اذ شرحوا تلك الالفاظ العربية بالحرف الأعجمي (فيل) وهذا أقصى الافراط فتأمل ·

وقد لاحظت في لغتنا ألفاظاً جمة قتلت الأعجمية العربية ولا سيما اذا كانت مادة لفظ الاعاجم تشبه مادة لغتنا والوزن وزناً عربياً ، فان لم يتوفر فيها ذانك الشرطان ، تموت الأعجمية لا رحمها الله ·

(الصنف السادس) الأساليب والتراكيب الأعجمية لا أوافق عليها البتة ، فهي موصومة بلعنة بل بلعنات العرب في جباهها · اما ماذكره حضرة المغربي فهو (افكار) او (خواطر افرنجية) او اعجمية ولكنها مفرغة في قالب عربي حسن · فانا من أشد الناس ترحيباً بها واول من قال باتخاذها لانها ثروة جديدة · اما الاساليب او التراكيب الاعجمية فكتقديم المضاف اليه على المضاف كما هو الامر في الفارسية والانكليزية الى ما ضاهى هذا الوضع · فهذا الذي يسمى الاساليب او التراكيب الأعجمية فاكرهه · اما التعابير او الخواطر فامرآخر أرحب به واضمها الى صدري ·

(الصنف السابع) اني لا انبذ الالفاظ العامية بتاتاً ، بل اقول : ان في تلك المفردات ماهو مصحف عن فصيح فيعاد اليه ، ومنه ما اخترعه العوام سداً لثغر ، اوراْباً لصدع ولا نعرف له فصيحاً ، او لم يتصل بنا فصيحه · فمثل هذه الالفاظ تتخذ حتماً ، ولا سيما اذا كانت تدل على معنى يعود الى العلوم على اختلاف أنواعها ·

أذكر مثلاً : الزَهْدي والبَرْبن والخُسْتاوي عاميات تدل على ضروب من التمر ، فاما الزهدي فهو مصحف عن (أزاذ) اي حُرّ ومعنى (حُرّ) هنا كثيرالوجود منه اي يقابل كلمة (commun) بالفرنسية · فحينئذ يجب ان يقال (ازاذ) لازَهدي لان الازاذ هو الذي كان معروفاً عند سلفنا · واما البَرْبَن والخستاوي فلم يعرفها من تقدمنا فيجب اتخاذهما وان كفَّرَنا جهلة اللغة ·

على اني ازيد على ماتقدم : ان الالفاظ غير المقبولة لاي سبب من الاسباب لابد من تدوينها في كتاب يحويها كلها وذكر ما يقابلها في الفصيح ان وجدت ، والا لتدون

والتشرح حتى تبقى للاجيال القادمة من باب الوقوف على ما كان متداولاً ومعروفاً في عصر من العصور . فالالفاظ عندي كالآثار القديمة فهي تفيدنا لا محالة والمولع بها لا يلقي منها شيئاً بل يبوّبها او يصنفها ، فيجعل الثمين منها في طبقة الثمينة ، والبخسة في طبقة البخسة ، وما كان منها بين بين ، يضعها في الطبقة الوسطى ، وهكذا لا يُنْبَذ منها شيء بل يحفظ الكل ، و يكتب على كل طبقة منها كما يكتب الصيدلي على القناني فترى فيها : السامّ ، والمضرّ ، والنافع والمغذي الى غيرها . فالسامّ من الالفاظ : العامي القبيح الذي يرى له فصيح ، والمضرّ : المبتذل من الالفاظ ، والنافع : المولّد الذي لاغنى لنا عنه ، والمغذي : الفصيح الجامع لجميع شروط البلاغة والفصاحة .

***

« جواب الاستاذ احمد الاسكندري »
— على الاقتراح المذكور —

يجب قبل اجابتي عن مواد الاقتراح ان نسلم بصحة هذه الاصول العربية :

(أ) ان العربية الفصحى التي نكتبها ونقرؤها ونؤلف بها هي غير العامية الدارجة لغة تخاطب العوام التي تختلف باختلاف الاقطار العربية .

(ب) ان العربية الفصحى محدودة بقواعد واصول ثابتة نحوية وصرفية وبمخارج حروف خاصة ، فاذا حرفت قواعدها عن مواضعها بان جعل الفاعل منصوباً والمفعول مجروراً واسم الفاعل على وزن اسم المفعول واسم المفعول على وزن اسم الفاعل وان ننطق بالثاء تاءً وبالذال دالاً ، خرجت عن انها العربية الفصيحة المعروفة لغة مضر ولغة القرآن وأصبحت ضرباً من العامية .

(ج) ان العامية في كل قطر عربي لاتحد بقواعد ثابتة ولااصول وكل يوم هي في شأن ، وانه يجوز تغييرها في كل حين وانه يجوز دخول الكلمات الاجنبية فيها بدون قيد ولاشرط ، فلو فرضنا تدوينها واستعمالها في القراءة والكتابة كما فعل الاوربيون

بعاميتهم بعد هجر فصيحتهم اليونانية اواللاتينية اوالتنونية جاز لنا ان نغير فيها كل يوم ما نشاء ونكيل لها من الالفاظ الأعجمية كيلاً .

(د) ان لغة التدوين والقراءة والكتابة ولغة المعجمات الاوربية هي لغات عامية استبدلت بلغاتهم القديمة وهي لاتحرج من إضافة كلمات عربية وغير عربية اليها كما لا تحرج عاميتنا التي لم تدوّن بعدُ ولم تتخذ لغة كتابة وقراءة عن قبول اي تغيير في المادة والهيأة .

(ه) حينئذ لا يصح ان نقيس العربية الفصيحة على العامية الاوربية فنقول : يوجد في معجماتهم تسامح باضافة كلمات غير اوربية ولا يوجد عندنا هذا التسامح في اضافة كلمات أعجمية او عامية في معجماتنا .

اما اذا جعلنا لغاتنا هي العامية (لا قدر الله) وهجرنا الفصحى بالتدريج طبعاً كما يشير علينا هؤلاء المتسامحون فانه يجوز لنا ان نجاري الاوربيين وندخل في لغتنا العامية هذه ماتشاء ونتسامح في ان نحشو معجماتنا بالوف الكلمات ، وإذن فلا نبجح بقولنا : اننا نتكلم بالعربية بل الاخلق بنا ان نقول اننا نتكلم بالسورية او المصرية او اليمنية او المراكشية الخ . وإذن لا نقول ان في الدنيا أمة عربية تبلغ مائة الف الف او ثمانين الف الف بل نقول ان في الدنيا أمة سورية وأمة مصرية وأمة مراكشية وهلم جرا . وإذن يكون (على تطاول الدهور وتمادي التسامح) مايؤلف و ينظم وتكتب في مصر لا يفهم في الشام ومايكتب في اليمن لايفهم في مراكش و يتم التقاطع بين الامة العربية كما تقاطع أبناء التتون من الالمان والانجليز وأبناء اللاتين من الايطاليين والاسبانيين اذ لا جنس الا باللغة فهي عنوان الامة فاذا زالت العربية بالتدريج زالت الامة العربية الكبرى بعد قرنين او ثلاثة ببركة أمثال هؤلاء المتسامحين المفتونين بتجدد اللغة في اوربا غير شاعرين بفرق مابين لغتنا الفصيحة ولغتهم العامية .

اذا سلمنا هذه الاصول جاز لي ان أجيب عن اقتراح صديقي القديم العلامة الشيخ المغربي :

(الاقتراح الاول) — بشأن الكلمات العربية التي وجدت في شعر من يحتج

بعربيته في المعجمات — أقول في الجواب نقبلها على الرأس والعين بشرط ان تكون في شعر صحيح لا في نثر اللهم الا اذا اشتهر النثر كالامثال . وذلك لان المعجمات المطبوعة ليست هي اللغة كلها وكم انكرنا من كلمات لم تدون في المعجمات المطبوعة في مصر ثم وجدناها في المعجمات المطبوعة في حيدرآباد وفارس كالمغرب للمطرزي والفائق للزمخشري ومعيار اللغة للشيرازي والازمنة والامكنة .

(الاقتراح الثاني) — بشأن الكلمات التي وجدت في كلام من لا يحتج بعربيته الخ . ونقول هذه فيها نظر فان كان القائل قريب عهد بالعرب وأثر عنه الفصاحة كأبي نواس ومسلم وابي العتاهية وابي تمام والبحتري والمتنبي جاز لنا ان نستأنس بهذا الكلام وخاصة اذا وافق القياس العربي و يرجح في ذلك الشعر من النثر لان النثر غير مضبوط بوزن فيكون عرضة لتحريف النساخ كما هو المظنون في همزة الطبري في (أقصه) اما اذا بعد القائل عن عصور الفصاحة كاهل زماننا ومنهم اليازجي ومحمد عبده فلا يقبل منهم الا ما ثبت في اللغة او وافق القياس ولو لم يذكر في المعجمات ولا تكفي شهرة هؤلاء الناس حتى في اللغة فنعتبرهم واضعين فيها . ولهؤلاء المشهورين أغلاط لا تحصى في النحو والصرف واللغة والهجاء .

(الاقتراح الثالث) — بشأن الكلمات العربية المادة التي استعملت مجازاً في غير معناها او اشتقت بالاشتقاق القياسي من فعل عربي صحيح او نسبت الى لفظ عربي وغير ذلك من بقية مصطلحات العلوم والصناعات فهذه كلها نقبلها بصدر رحب لان التجوز قياسي عند جمهور الائمة مع شرط العلاقة والقرينة ، ولان كثيراً من المشتقات قياسي ولان النسب باصوله قياسي بل ان المنسوب بصيغة النسب العربية الى اسم اعجمي يعتبر عربياً . وهذا الصنف هو عمدتنا وملجؤنا في تنمية اللغة وجعلها تجاري أحوال الزمان والمكان وفي رأيي انه يُغنينا عن كل دخيل .

(الاقتراح الرابع) — بشأن كلمات وضعها المولدون ولا اصل لها في الفصيح . واقول هذه لا يجوز استعمالها الا في العامية وقلنا (لا اصل لها الخ) لانها لو جرت على مقتضى قياس عربي من مجاز او اشتقاق او نسب الخ جاز استعمالها ولو لم توجد في المعجمات لان المعجمات كثيراً ما تهمل القياسي اتكالاً على القواعد .

(الاقتراح الخامس) — بشأن كلمات اعجمية الخ · اقول ان الاعجمي صنفان صنف عرّبه من يعتد بعربيته وهم الجاهلية واهل القرنين الاولين من فصحاء الامصار والقرون الثلاثة الاولى من اهل جزيرة العرب وحكمه حكم العربي الا قليلاً وصنف استعمله غير من يعتد بعربيته وهذا لا يعتبر من الفصيح في شيء وحكمه حكم العامي ويعتبر إدخاله في الفصيح من باب اللحن وخرق القواعد لأنه لم يوجد امام قط من أئمة اللغة زعم ان التعريب قياسي وانما هو سماعي لقلة الوارد منه في الفصيح اذ لا يزيد على الف كلمة في لغة تبلغ اربعة آلاف الف كلمة واكثر · وانما يجوز استعماله في عاميتنا كما هو الواقع الآن من مثل اوتوموبيل وغيره والخفة والثقل او صغر الكلمات وطولها ليست من المرخصات في هدم اصول اللغات ·

(لاقتراح السادس) — أساليب وتراكيب أعجمية تسربت الخ · انا لا اقول ان هذه الاساليب أعجمية لان الفاعل لم يتقدم فيها على الفعل ولا المضاف اليه على المضاف ولا الصفة على الموصوف ولا وضعت فيها علامات للاضافة وانما هي انواع من المجاز والكناية تسيغها الاصول العربية وكم سمعت اللغة أمثالها بصدر رحب زمن الدولة العباسية وبخاصة أساليب المنطق وأدلة التوحيد والاصول فانها على رأي شيخنا المغربي أساليب أعجمية وفي رأينا أساليب عربية رتب التعقل اوالخيال فيها على مألوف اليونان اما بعض أساليب المنطق الناشئة عن ضعف في الترجمة او عن الترجمة الحرفية فهذا نعمه ولو نطق به الكندي وابن سينا ويجب علينا اصلاحه الآن اثناء محاولتنا تذهيب[1] العلوم · وفي رأيي ان هذا الصنف داخل في الصنف الثالث او هو عينه ·

(الاقتراح السابع) — ألفاظ لا يجوز استعمالها في الفصيح كما يرى الاستاذ المغربي وهي الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء وعنده ان اليازجي والشيخ محمد عبده من الفصحاء ونحن نعتبرهم من المولدين فهما والبارودي وشوقي واضرابهما لو وقع منهم مايخالف قواعد العربية وما لا أصل له في اللغة لنبذناه نبذ النواة ولا كرامة وتركناه للعوام ان شاؤا استعملوه او اطرحوه ·

هذا ما أراه وأظن ان بعضه لا يخفى على ذوق شيخنا المغربي خفة (القلم) فقد

(١) ولعل صوابه (تهذيب) ·

عرفت منه شيئاً كثيراً من ذلك ايام كونه في مصر ولكن لكم دينكم ولي دين وسلامي عليه وعلى اخواني اعضاء المجمع وتحياتي الخالصة ·

حفلة تنشيط

«في المجمع العلمي»

لما رأى المجمع حفلات التكريم تقام في طول البلاد العربية وعرضها تنويهاً باسم أشخاص فضلاء نفعوا البلاد بعلمهم وآثار نبوغهم — رأى هو ايضاً ان يقيم حفلة مبتكرة في نوعها دعاها (حفلة تنشيط) ذلك ان اربعة من طلاب المدرسة التجهيزية أظهروا في امتحان شهادة العالمية (البكالوريا) — ذكاءً ونفوقاً لاسيما في الآداب العربية وقرض الشعر العربي ومثل هؤلاء الشبان كانوا اذا نبغوا في عهد عرب الجاهلية دقت البشائر وأقيمت المهرجانات فرحاً بهم واستبشاراً بنبوغهم في الشعر من حيث يذودون به عن حمى قبيلتهم ويفحمون الذي يهجوها او يعتدي عليها — كل ذلك حمل المجمع العلمي على إقامة حفلة التكريم او التنشيط لهؤلاء الاربعة فدعا لها الجم الغفير من أدباء الحاضرة وفضلائها ·

فلما جاء الوقت المعين (الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧) اكتظت ردهة المجمع بالمدعوين وغيرهم وفيهم سعادة مدير الجامعة السورية رضا بك سعيد ومدير مكتب التجهيز واساتذته ورفاق الطلاب الاربعة من تلاميذ المكتب وطائفة كبيرة من شعراء الفيحاء وأدبائها · ولما استتم عقدهم نهض الاستاذ رئيس المجمع السيد محمد كرد علي وأبان الغرض من هذه الحفلة وذكر ما روي عن غلادستون الشهير من انه اذا كان رأى غلماناً يلعبون في الشارع رفع قبعته تحية لهم وقال ان هؤلاء الغلمان سيكونون رجال المستقبل فهو يحيي بهم الرجولة المندمجة في هذه الطفولة ، وكذلك المجمع يكرم هؤلاء الشعراء الاربعة الذين

عرفت منه شيئاً كثيراً من ذلك ايام كونه في مصر ولكن لكم دينكم ولي دين وسلامي عليه وعلى اخواني اعضاء المجمع وتحياتي الخالصة ·

حفلة تنشيط

«في المجمع العلمي»

لما رأى المجمع حفلات التكريم تقام في طول البلاد العربية وعرضها تنويهاً باسم أشخاص فضلاء نفعوا البلاد بعلمهم وآثار نبوغهم — رأى هو ايضاً ان يقيم حفلة مبتكرة في نوعها دعاها (حفلة تنشيط) ذلك ان اربعة من طلاب المدرسة التجهيزية أظهروا في امتحان شهادة العالمية (البكالوريا) — ذكاءً ونفوقاً لاسيما في الآداب العربية وقرض الشعر العربي ومثل هؤلاء الشبان كانوا اذا نبغوا في عهد عرب الجاهلية دقت البشائر وأقيمت المهرجانات فرحاً بهم واستبشاراً بنبوغهم في الشعر من حيث يذودون به عن حمى قبيلتهم ويفحمون الذي يهجوها او يعتدي عليها — كل ذلك حمل المجمع العلمي على إقامة حفلة التكريم او التنشيط لهؤلاء الاربعة فدعا لها الجم الغفير من أدباء الحاضرة وفضلائها ·

فلما جاء الوقت المعين (الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧) اكتظت ردهة المجمع بالمدعوين وغيرهم وفيهم سعادة مدير الجامعة السورية رضا بك سعيد ومدير مكتب التجهيز واساتذته ورفاق الطلاب الاربعة من تلاميذ المكتب وطائفة كبيرة من شعراء الفيحاء وأدبائها · ولما استتم عقدهم نهض الاستاذ رئيس المجمع السيد محمد كرد علي وأبان الغرض من هذه الحفلة وذكر ما روي عن غلادستون الشهير من انه اذا كان رأى غلماناً يلعبون في الشارع رفع قبعته تحية لهم وقال ان هؤلاء الغلمان سيكونون رجال المستقبل فهو يحيي بهم الرجولة المندمجة في هذه الطفولة ، وكذلك المجمع يكرم هؤلاء الشعراء الاربعة الذين

سيكونون في المستقبل نوابغ تباهي بهم الشام غيرها من البلاد . وان هذه الحفلة ستكون من اكبر المنشطات لهم للمضي في هذا الطريق طريق النبوغ والتفوق في الادب العربي وخدمة الوطن العربي . ثم قدم الشبان المحتفل بهم للجمهور وهم السادة زكي المحاسني ثم جميل سلطان فأنور العطار فعبدالكريم الكرمي وأعلن الرئيس ان كلاً منهم سيتلو على الحضور قصيدة من شعره تدل على مبلغه منه وتفوق فيه .

فتقدم السيد زكي المحاسني وتلا قصيدته التي موضوعها (الشاعر المحزون) ومطلعها :

شاعر الشجو فادح الآلام   مستمر تبريحه كالضرام
منذ شرخ الصبا يلوح له القـ   ـبر وتبدو أضواؤه في قتام
هو سر لا يستطاع له علـ   ـم ولغز ينأى عن الافهام

ارسل الشعر من عميق اساه   فتغذوه محزن الانغام
فأنال التبريح كل شجيٍّ   وخليٍّ قسطاً من الآلام
لا تلمه في الشعر ان كان شجواً   فمثير الاشجان بعض الملام

آه من ليلة اساها براني   ساورتني فيها قوى الاسقام
قد تعالى فيها الرنين على قـ   ـبر فتاة من شاعر مستهام
عمي الحين فاحتواها وأبلى   حسنها النوم في طباق الرغام
ليت دمعاً عندالمساء يُرَوّي   من تجاليدها غلايل الرمام
فبح الدهر كم يبالغ فينا   باعتساف و ينثني باجترام

* * *

ثم تقدم بعده السيد جميل سلطان فتلا قصيدة موضوعها (الأُم) ومطلعها :

أذهاباً مع الاماني مليّاً   لاانطوى عهد من يعيش هنيا
ناضر العود في ازدهار حلوم   باسمات تشع نوراً سنيا

انما الأُم كوكب لا يراه   حاضر الأُم كوكباً دريا
آية الله نعمةً وابتسام الـ   ـفجر نوراً والروض عرفاً زكيا

من سواها يُسيغ كأس المعالي ويفـديك بالفؤاد رضيا
هي مهد الحنان والأمل البا زغ نوحي فتنبت القلب ريا
الى ان قال حسب من ربت البنين صغاراً انهـا تستفز روحاً ابيـا
ان دعت شبلها لخوض المنايا خاضها مشرعاً بهـا السمهريا
يستطيب المنون تحت لواء تتخذه لواءهـا القوميـا
أيها ذا الخفاق رفرف ولا زلـ ـت عزيزاً مبجـلاً محميـا

* * *

ثم تقدم بعده السيد انور العطار وتلا قصيدته التي موضوعها (الشاعر) ومطلعها :

خلّيـاه ينح على عذباته ويصغ من دموعه آياته
ويرتّل ألحـانه بخشوع مستمداً من العلى نغماته
الى ان قال شـاعر صاغه الاله من البؤ س وابدى الاسى على نظراته
وحباه السحر الحلال ففتى شـاكراً ربه على نفحـاته
وسري النظيم ما كان حباً فالهوى والشعور في طياته
وسري النظيم ما كانت الحكـ ـمة فياضةً على جنبـاته
ومنها يخلد الشاعر الحزين اذا قطـ ـر أنفـاسه على صفحاته
ومنها كتب البؤس فوق خديه سطراً تتراءى الآلام في كلماته
للهوى قلبه وللشجو عينـا ه وللعـالمين كل هبـاته
ومنها علل النفس دهره بالأماني غير ما ناظر الى عقبـاته
كل من في الوجود يجني مناه وهو يقصي عن نيـله ثمراته

* * *

ثم ختمت الحفلة بالسيد عبد الكريم الكرمي وموضوع قصيدته (قصة بدوية) او (ابنة الشيخ رضوان) فذكر خلاصة تلك القصة ثم تلاها ومطلعها :

ناوليني الرباب قبـل زيالي لست مذمومة ولست بـالي
ودعيني اسمعك وجد (ابنة الشـ ـيخ) و(رضوان) وهو سر الجلال

قالها شاعر الطبيعة في الليـ ل ومهوى الاشعار تلك الليالي

مسك الشاعر الرباب فأنّت أنة الوجدين في الاطلال
فحنا مشفقاً عليها كأم حين تحنو على وحيد غالي
قال والغيد حوله ساكنات وسكون الحسان عين الكمال
ربوة يسكن الغرام اليها يعتليها (رضوان) كل زوال
كان يرعى انعام شيخ عجوز ساد قسماً من قومه والآل

ثم سرد الشاعر خبر الراعي والشيخ رضوان وابنته ·

اخبار وافكار

اقتراح

مع تقديري قدر الهمة التي يبذلها رجال مجمعنا الموقر وقدر جهودهم الكبيرة فيه لا ازال ارى فراغاً لم يتسع لهم الوقت لسده ، وارى الناس لا يزالون يتحدثون به الا وهو البحث في وضع الاسماء للمسميات الأعجمية الطارئة على اللغة ·

انني ألمس الصعوبة التي نقوم في هذا السبيل كما انني أحس عظيم التبعة الملقاة على عاتق المجمع منه وارى جيشاً لجباً من الالفاظ الطارئة يطلب اثوابه العربية ليدخل حظيرة اللغة وهو كل يوم في زيادة من عدده · ولا يفيد التسويف الا ازدياد المشقة وعظيم الكلفة وتزيد العبء وان العمل بقدر الاستطاعة فيه قضاء للغرض ولا يعدم المجمع (ورجاله من خيرة رجال الامة العربية) واسطة لتخفيف العبء والنهوض بالواجب ·

ان تبعة الإهمال تقع على كاهل المجمع قبل كل احد لانه المجمع العربي الوحيد الذي له انصاره وهو المؤيد بعلماء اللغة في سائر الاقطار فعليه ان يضع وعلى الامة ان تتبع ·

انني ارى الالفاظ الطارئة على ضروب منها ما عرف واشتهر في البلاد بعجمته قبل ان يوضع له اسم عربي مثل (تلغراف وتلفون) ومنها ما وضع اسمه العربي قبل اشتهاره فعرفه الناس به (كالطيارة للاروبلان) ومنها ما سبقت معرفته وضع اسمه

قالها شاعر الطبيعة في الليـ ل ومهوى الاشعار تلك الليالي

مسك الشاعر الرباب فأنّت أنة الوجدين في الاطلال
لحنا مشفقاً عليها كأم حين تحنو على وحيد غالي
قال والغيد حوله ساكنات وسكون الحسان عين الكمال
ربوة يسكن الغرام اليها يعتليها (رضوان) كل زوال
كان يرعى انعام شيخ عجوز ساد قسماً من قومه والآل

ثم سرد الشاعر خبر الراعي والشيخ رضوان وابنته ٠

اخبار وافكار

اقتراح

مع تقديري قدر الهمة التي يبذلها رجال مجمعنا الموقر وقدر جهودهم الكبيرة فيه لا ازال ارى فراغاً لم يتسع لهم الوقت لسده ، وارى الناس لا يزالون يتحدثون به الا وهو البحث في وضع الاسماء للمسميات الأعجمية الطارئة على اللغة ٠

انني ألمس الصعوبة التي تقوم في هذا السبيل كما انني أحس عظيم التبعة الملقاة على عاتق المجمع منه واري جيشاً لجباً من الالفاظ الطارئة يطلب اثوابه العربية ليدخل حظيرة اللغة وهو كل يوم في زيادة من عدده ٠ ولا يفيد التسويف الا ازدياد المشقة وعظيم الكلفة وتزيد العبء وان العمل بقدر الاستطاعة فيه قضاء للغرض ولا يعدم المجمع (ورجاله من خيرة رجال الامة العربية) واسطة لتخفيف العبء والنهوض بالواجب ٠

ان تبعة الإهمال تقع على كاهل المجمع قبل كل احد لانه المجمع العربي الوحيد الذي له انصاره وهو المؤيد بعلماء اللغة في سائر الاقطار فعليه ان يضع وعلى الامة ان تتبع ٠

انني ارى الالفاظ الطارئة على ضروب منها ما عرف واشتهر في البلاد بعجمته قبل ان يوضع له اسم عربي مثل (تلغراف وتلفون) ومنها ما وضع اسمه العربي قبل اشتهاره فعرفه الناس به (كالطيارة للاروبلان) ومنها ما سبقت معرفته وضع اسمه

في قطر وسبق وضع اسمه معرفته في قطر آخر فعرف في القطر الاول بعجمته وفي الثاني باسمه العربي (كالاتوموبيل) فهو في الشام مشهور باسمه الأعجمي وفي بعض أقطارها كشرق الأردن باسمه العربي (سيارة) .

وأجد ان الاسماء الأعجمية المشهورة منها الثقيل غير الجاري على اوزان اللغة (كالاتوموبيل والمداموازيل) ومنها الخفيف الجاري على وزن اللغة مثل (فلم ودوش) ولا غرابة اذا نفرت العامة مما لا تألفه من الأوزان الثقيلة والكلمات التي لا تجري على سنن لغتها فحرفت وتصرفت بما شاءت حتى ساغت لها . فقد اجتزأوا بالتيل عن التلغراف في بعض الاقطار العربية . واستعملوا كلمة مكنة او ماكنة في معنى الاوتوموبيل كما هو شائع عند سواقي الساحل . ومكنة لفظة أعجمية أصبحت عربية لشيوعها عندهم وخفة لفظها . فاذا صح ان المسمى اذا وضع له اسم عربي اومعرب قبل اشتهار امره وتداوله الشعراء والكتاب في الصحف ثبت له اسمه العربي وكان الأعجمي غريباً واذا سبق اسمه الأعجمي فتداوله الناس صعب صرف ألسنتهم عنه الا الى مايقاربه في اللفظ فاذا كان ما يقاربه في اللفظ خفيفاً عليهم تقبلوه بقبول حسن .

فاذا صحت عزيمة المجمع على هذا فاني أرى أسهل طريق وان كان بحدذاته لايخلو من الصعوبة ان يبادر مهما أمكن الى المسميات الطارئة حديثاً قبل شيوع امرها فيضع لها اسماءها العربية ثم يعمد الى المسميات الاخرى فما كان منها شائعاً معروفاً ولكنه ثقيل خففه بالحذف والتبديل ، وما كان خفيفاً على وزن عربي أقره كما هو كما فعل العرب بالجام وأمثالها .

واما طريقة وضع الاسماء فلكي تكون معتمدة صالحة ينبغي ان يشترك فيها كل أعضاء المجمع وهم من خيرة علماء العرب وذلك بان يؤتى بالمسميات فتشرح معانيها عن لغاتها الأصلية ويضع لها المجمع ما يراه الاعضاء الحاضرون من الاسماء ثم ينشر ذلك على الاعضاء المراسلين ضارباً لهم اجلاً للجواب ، ثم يعلن عند نهايته صفوة الآراء في الاسماء ويختار منها ما كان عليه الأكثرون منهم ثم يسجله في سجله المخصوص لهذه الغاية وننشر خلاصته كل عام .

ان هذه الطريقة هي أجلب للثقة وأجمع للآراء في وضع كلمات تدخل في صلب اللغة بتقرير المجمع لها والله ولي التوفيق ٠

عضو المجمع العلمي العربي
احمد رضا

ملاحظات لغوية

ارجو ان تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات او اضافة بعض الاشياء الى مقالتي الاستاذين الفاضلين الجندي والشهابي اتماماً للفائدة ٠ فما فات الاول (الأرْقم) من اسماء القلم ولعله سمي بذلك تشبيهاً بالحية الارقم لاستطاعته نفث السم الادبي نفث هذا السم المادي ٠ و (الخَضَاض) من اسماء المداد وسمي هذا مداداً لان الدواة تُمَدُّ به ٠ و (المِحْبَر) اي موضع الحبر ٠ و (قُرْضَة) الدواء اي موضع الحبر منها ٠ و (حَبَّرَ) الدواةَ : وضع الحبر فيها ٠ (وأَمدَّ) الكاتب : اعطاه مدة قلم ٠ (ونَمَى) الحبر في الكتاب : اشتد سوادُه بعدما كُتِب ٠ وصريف القلم : صوت جريانه ٠ والرَّشْقُ صوت القلم ٠ والنئيم والنئيمة : صوت الكتابة ٠ وحَصْرَمَ القلمَ : براه ٠ وتشعث رأس القلم : انتفش طرفه وساء خطُّه ٠ والثاثث برأسه شعرة اذا علقت به او التفت عليه ٠ وللكتاب اسماء كثيرة غير ما ذكر منها المَعْصوب والمُصفور والصَكُّ والنَقْرُ وهو الكتاب في الحجر ٠ والمَرْسوم وهو الكتاب المطبوع ٠ والمنشور وهو ما كان غير مختوم من كتب السلطان ومنه مناشير الاحبار ٠ والمَوَدَّة لانه جالب للمودَّة ٠ والوَضيعة وهو كتاب تكتب فيه الحكمة ٠ والبلاغ وهو كتاب يودعه صاحبه حكماً في مسألة ٠ واما السِفْر فهو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من أجزاء التوراة تقول حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة مدارسة الاسفار ٠ والزِبْر والزَبور والزَّبير والضِبارُ والمَدْرَجُ وهو الكتاب المطوي والديوان وهو الكتاب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية ٠ ومن اسماء الكاتب الفَالُوج والمُرَقِّن والمُرَقِّم والمجَّاج سمي بهذا لان قلمه يمجُّ المداد ٠ والصَكَّاك وهو كاتب الصكوك — وحافظها ٠ وقالوا قَرْمَطَ الكتاب كتبه دقيقاً اوقصيرالاحرف اوقارب مابين سطوره ورَقَّن الكتابَ

قارب مابين سطوره ومثل قرمطَ نمنم وقيل دامجَ ايضاً . وهذا خطٌ نزِل اذا كان متلززاً يقع الشيءُ الكثير منه في القرطاس اليسير . والعُهْدَة الضعف في الخط يقال في خطه عُهْدَة اي هو رديءُ الخط . وطلَخ الكتابة أفسدها . ورَمجَ الكاتب ما كتبَه : أفسد سطوره بعد كتابتها و مجمَجَ الكتاب و ثبَجَه و ثبَّجَه : عمّاه وترك بيانه . والقِمَطْرُ ما يصان فيه الكتب يذكر ويؤنث وربما قيل قِمَطْرَة . ونمّق الكتاب حسّنه وزيّنه بالكتابة . ورقَّنَه حسّنه وزيّنه . وزَوّقه تزويقاً قوّمه تقويماً . وخطٌ رشيق : ظريف . والرَقْشُ : الخط الحسن . والطلاّسة : خرقة يمسح بها بلوح المكتوب ويمحى بها وأنجَلَ الصبي لوحه مثل نجَله اخ اخ .

ومما فات الاستاذ الشهابي المِطْوُ فهو كالمطو : سنبول الذرة وقد ذكر للخيل الطويلة المُطُطُ والسلاجم ولكن العرب وضعوا ألفاظاً خاصة للخيل الطويلة فقالوا : فرس قوق طويل القوائم وهي قُوْقَة وفرس مُشَذَّب طويل ليس بكثير اللحم تشبيهاً له بالنخلة المشذّبة . والشَفاصية وهي الفرس الطويلة الشديدة النشيطة . واليَعْقوب وهو الفرس الطويل السريع . والطِمِرُّ هو الفرس الطويل القوائم الخفيف . والمُقلّص وهو المشرف المشمّر الطويل القوائم يقال فرس مُقلّص . والقَرْوري وهو الفرس المديد الطويل القوائم . والهُزْلول وهو الفرس الطويل الصلب . وفرس هيْكَل مرتفع ، وفي فقه الثعالبي هو الطويل الضخم تشبيهاً له بالهيكل وهو البناء المرتفع . والشَيْظَمُ الطويل الجسيم الفتيّ . والسَلْهَبُ وهو ماعظم وطالت عظامه وفي الصحاح هو الطويل على وجه الارض وربما جاء بالصاد . وفرس أشقّ وأمقّ طويل . والشَوْهاء الفرس الطويل الرائعة . وفرس صَقِلٌ طويل الصقلين . وقد طَنِب الفرس طال ظهره وطالت رجلاه في استرخاء فهو أطْنَبُ .

ويرادف العمشوش العِذْق والمُكَتَّبُ وهو العنقود أُكِلَ بعض ما فيه . وقالوا سوّج على النخل والكرم تسويجاً أحاط عليه بالساج . والوَشيع ماجعل حول الحديقة من الشجر والشوك منعاً للداخلين . ويقال لذكور النخل الأرْعال ج رِعل .

وأرى ان أضيف شيئاً الى ما تقدم عن الاجنّة التي تكلم عنها الحكيم الالمعي امين المعلوف فقد قال العرب المَجْرُ مافي بطون الحوامل من الابل والغنم . والقَدَويّ

كل ما في بطون الحوامل وقيل خاص بالشاء وكذا الغَذَوي والغَذِي . والمَليط هو الجنين قبل ان يشعر . والنُّعَرُ ما أَجنَّت حمر الوحش في أرحامها قبل تمام خلقه وكذلك النُّعَرَة والنُّعَرَة ايضاً اولاد الحوامل اذا صُوّرت . وقد وُزّع الجنين توزيعاً : صُوِّر في البطن فنبتت صورته وتحرك . والمَقِطُ هو الذي يولد لستة اشهر او سبعة . والغَيْضُ : السقط الذي لم يتمّ خلقه . والحضيرة : ما تلقيه المرأة من اولادها . والأَحْشوش والحُشُّ والحَشيش : هو الولد اليابس في بطن أمه . والمُسَبَّغ : الذي رمت به امه بعد ما نُفِخ فيه الروح الخ .

النبك : سالم خليل رزق

نبذة تاريخية

« تتعلق بدمشق وجامعها وما حوله »

— تمهيد —

اضطرّني البحث مرة الى سؤال صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد تيمور باشا عن كتابة تاريخية ظهرت في المسجد الاقصى كان السائح الهروي نقلها في كتابه « الاشارات الى معرفة الزيارات » لاعتقادي بان الخزانة التيمورية لا تخلو من مثل هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً لم يمثل بالطبع فبعد ان تفضل بنسخ صورة الكتابة وارسالها الي مشفعاً إياها بملاحظات حكيمة وآراء سديدة استنسخ كتاب الاشارات بالتصوير الشمسي وأهداه الي على نسختين نسخة قديمة كتبت سنة ٩٧٧ هـ ١٥٦٩ م ونسخة جديدة تاريخ نسخها سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م وقد جاء في آخر الاولى ما نصه :

« وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة المعظمة نهار الثلاثاء أواخر شهر المحرم من شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة أحسن الله تعالى عاقبتها بخير لنا وللمسلمين امين والحمد لله رب العالمين وذلك على يد العبد الفقير الى الله تعالى عثمان بن احمد المعري المؤذن يومئذ بمدينة حماة المحروسة بجامع الكبير الأعلا غفر الله له وللمسلمين اجمعين آمين » .

اما الثانية فلم يُذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ولاالاصل الذي نقلت عنه بل يقول ناسخها المجهول : « وكان الفراغ منه صبيحة يوم الجمعة سنة ١٣١٠ الف وثلاثمائة وعشرة على صاحب الهجرة أفضل صلاة وأزكى سلام ومسك ختام » .

وباول صفحة وآخر صفحة من هذه النسخة ختم « وقف احمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر » وهو صاحبنا المتقدم ذكره أمدّ الله في حياته وأدام به النفع .

وفي هذه النسخة المكتوبة بقلم دقيق سقط مقدار كراس فيه بقية وصف بغداد ومدن العراق الاخرى ووصف مكة وماالبها من مدن الحجاز وبعض من وصف المدينة .

فجاءت في ٨٣ صفحة بعكس الاولى التي تتألف من ١٢٤ صفحة وكل من النسختين بعض زيادات ونواقص وأغلاط قد تُتم احداهما الاخرى وهذا ما دعا صديقنا العلامة تيمور باشا الى تصويرهما واهدائهما الي معاً .

والسائح الهرويّ مؤلف هذه الرحلة قد اشتهر بكنيتـه حتى ان النسخة المحفوظة منها في دار الكتب المصرية لم يكتب عليها اسمها بل كتب في اولها «رحلة ابي الحسن»[1]

وقد ترجم ابن خلكان للهروي في كتابه وفيات الاعيان بقوله : [2]

« ابو الحسن علي بن ابي بكر بن علي الهروي الاصل الموصلي المولد السائح المشهور نزيل حلب طاف البـلاد واكثر من الزيارات وكان يطبق الارض بالدوران فانه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتهـا الا رآه ولم يصل الى موضع الا كتب خطه في حائطه ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها على كثرتها الي ان يقول :

وكان مع هذا فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء وتقدم عند الملك الظاهر صاحب حلب وهو ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وأقام عنده وكان كثير الرعاية له وبنى له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة دفن فيها عقب وفاته سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) وذكر له من المؤلفات كتاب الاشارات وكتاب الخطب الهروية وقال ان له غير ذلك من الكتب اهـ » .

---

(١) فهرست الكتب العربيـة المحفوظة بدار الكتب الخديوية المصرية (ج ٥ ص ٥٨) . (٢) وفيات الاعيان (ج ١ ص ٤٣٧) .

و يظهر من بعض أقوال المؤلف في رحلته انه ألف كتاباً سماه العجائب والآثار والاصنام والطلسمات ذكر فيه ما وقع نظره عليه من عجائب المدن والامصار ، وآخر وسمه بكتاب منازل الارض ذات الطول والعرض وهما مفقودان الآن على ما نعلم .

والذي تبين لنا من أقواله في آخر الرحلة ان اكثر كتبه اخذتها الفرنج وغرقت في البحر الا انه بعد ذلك يقول انه ذكر في كتابه الثاني ما قدر عليه ووصل اليه و ينهي كلامه بقوله فمن أراد ذلك فليطلبه ففيه الكفاية لاهل الدراية ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده .

والذي يهمنا من ذلك كله بعض تعاليق مفيدة كتبها احد من اتصل الكتاب اليهم وهو يضع توقيعه على هذا الوجه « حرّره أكمل » وفي احد تعاليقه « قال كاتبه محمد الأكمل بن مفلح » وفي آخر « قال جدي العلامة شيخ الاسلام شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع في كتاب الجنائز » .

وقال في تعليقه على صلخد التي ذكرها الهروي بهذا الاسم : « صوابه صرخد ذات قلعة عظيمة وجامع وكانت لعز الدين ايبك المعظمي جدي لامي » .

قلنا وعز الدين هذا هو مملوك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الذي كان أعطاه صرخد وقد توفي عز الدين في محبسه بالقاهرة سنة ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م .

وقد تقدم ان الكتاب تم نسخه سنة ٩٧٧ هـ فيكون الأكمل الذي حشّى عليه عاش في القرن العاشر الهجري او فيما بعده .

وقد علق على مدينة دمشق بعض تعاليق كتبها تحت عنوان « نبذة تاريخية تتعلق بدمشق وجامعها وما حوله » وهو ما اتخذناه عنواناً لمقالتنا هذه فقال في حاشية صفحة من الكتاب « لما مات السلطان صلاح الدين يوسف بنى ولده العزيز عثمان مدرسته الى جانب الكلاسة ونقل اليها والده ودفنه في قبة في جوارها والمدرسة تعرف الآن بالعزيزية والوقف عليها قرية محجة من عمل ازرع من حوران (۱) وفي

(۱) المحجة قرية بين اذرعات ودمشق و بجانبها محطة لسكة الحديد الحجازية في الكيلومتر ۷۸ من دمشق وازرع قرية ومحطة في الكيلومتر ۹۱ وقد ذكر الاولى ياقوت في معجمه وقال انها من قرى حوران ولم يذكر الثانية وترى ان الأكمل قد رسمها بلا الف اي زرع .

سنة ٦٠٦ امر بتبليط الصحن الخارج بتولي الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكير وبتبليط الاروقة الجوانية في مباشرة الوزير جمال الدين الاسكندري المعروف بابن فارس في سنة سبع وستمائة وجدد المقصورة التاجية المعروفة كانت بابن سنان في سنة ٦٢٤ وجدد من الرخام القائم بجدران الجامع ما كان متزايلاً في الايام الاشرفية ولما تملكها الملك الاشرف موسى بن العادل امر بترميم الحنايا وجدد بعض المقاصير ولما توفي في سنة ٦٣٥ عُمل له تربة شمالي الجامع والكلاسة ولها شبابيك الي الكلاسة ودُفن بها ورتب فيها قراء .

ولما ملكها الصالح اسماعيل بن العادل عمل وزيره امين الدولة عبد السلام السامري بالجامع طلسماً للحيات فلا تدخل اليه واحترقت » .

هنا انتهى التعليق الذي حشي به على صفحة من الكتاب وجاءت بعده ورقة طيارة ليست من الكتاب كتب فيها ما سيأتي ذكره ولا نعلم اذا كانت متممة للحاشية الاولى او قائمة بنفسها فاذا لم تكن لاحقة لما سبق فيكون قد سقط منها كلمة سقطت او هدمت او احترقت وهذه هي الحاشية الثانية : « في الايام الصالحية النجمية المأذنة الشرقية بجامع دمشق عند اول قدومه اليها في سنة ٦٤٥ وأقامت خراباً ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً فأمر السلطان بعمارتها في أوائل سنة سبع واربعين وستمائة في الايام الصلاحية الناصر بن الملك العزيز صاحب حلب ورمى من ماء القنوات زيادة على ماء باناس للجامع الأموي مقدار سبعة عشر أصبعاً من أصابع الماء للكلاسة والبركة المجددة بباب البريد والقسطل الماء وللمارستان .

(الكلاسة) — عمرها السلطان نورالدين محمود بن زنكي بن آق سنقر البرسقي سنة ٥٥٥ واحترقت هي ومأذنة العروس في المحرم سنة ٥٧٠[١] .

(قبةالفوارة) — بصحن جامع دمشق المعروفة بقبة ابي نواس أقيمت سنة ٤١٦ ولجعفر بن دواس الكناني المعروف بقمر الدولة يصف الفوّارة :

(رأيت بالجامع المعمور معجزة في حلق ليث أخذي من بها سمما)
(فوارة كلما فارت فرت كبدي من حيث قابل أنبوباً لها ركما)

(١) مأذنة العروس هي احدى مآذن جامع بني أمية بدمشق .

(الناصرية الجوانية النحوية) ‏.— عمرها الملك الناصر سنة ٦٤٣ على يد الحاجب وهي سنة ملك صلاح الدين دمشق[1] وامر بتجديد عمارة الكلاسة سنة ٥٧٥ على يد ابن العميد الحاجب . وابتدئ ترميم دائر قبة النسر والرفوف المستدير عليها والطاقات في الايام الناصرية الصلاحية ابن ايوب بتولي القاضي محيي الدين القرشي قاضي قضاة الشام سنة ٥٨٥ وتمت الكلاسة فان نور الدين مات ولم تكمل وجددت في ايامه فوارة جيرون » .

وكتب في ورقة طيارة ثانية : « في الايام الظاهرية الركنية أخرجت الصناديق والمجاورون من جامع دمشق وقلعت الدرابزينات وفكت المقاصير في سنة ٦٦٥ وصلى فيه في هذه السنة وطاف به فرأى الحائط القبلي قد اتسخ رخامه وتشعثت الفسيفساء فأمر باصلاحهـا وغسل الأساطين وذُهّبت رؤوسها وغير ما يجب تغييره من الرخام وذهّب تازيره والكرمة التي تدور به[2] .

---

(١) في هذه العبارة اضطراب فصلاح الدين الاول ملك دمشق سنة ٥٧٠ هـ ١١٧٤ م بينما هو يقول ان الملك الناصر عمر الناصرية سنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م فاذا كان يقصد بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فهذا قد ملك دمشق ودخلها سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م فيجب ان يكون بناء المدرسة بعد ذلك التاريخ .

(٢) لعل البقية الباقيــة من هذه الكرمة هي المحفوظة بدار الآثار العربية والتي وُصفت بمجلة المجمع العلمي العربي (م ٧ ص ٤٥) ولكن في الامر ما يدعو الى النظر فان واصفها الاستاذ جعفر الحسني مدير دار الآثار العربية في دمشق يقول ان كرمة جامع دمشق قد زالت فيما زال من الصناعات النفيسة في حريق سنة ٤٦١ هـ ١٠٦٨ م في حين ان الواصف يقول بان الكرمة التي تدور بالحائط القبلي قد ذُهّبت سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٦ م فهل هذه الكرمة هي غير الاولى التي كانت ايضاً في الجهة القبلية من المسجد وذهبت طعمة للحريق كما قيل ام هي بقاياها ولكنه أجهز عليها حريق آخر أودى بها وببهائها . وعلى ذكر الكرمة التي يقول عنها الاستاذ الحسني انها صنعت في

ولما دخل دمشق المولى الصاحب بهاء الدين علي بن محمد مع السلطان سنة ٦٩٠ نظر في وقوفه وما يفرض منها لارباب الرواتب فمن كان مستغنياً وليس به انتفاع في علم أبطله وكان بصحن الجامع حواصل للمنجنيقات وحواصل للامراء من خيم وغيرها فأمر بازالتها فاتسع وزاد رونقه ·

(ذكر ما جدد بظاهر دمشق من الجوامع) ·— جامع الجبل المعروف بالحنابلة بسفح قاسيون اول من خطه الحاج علي الفامي من محلة مسجد القصب وشرع في بنائه ومعه جماعة من الحنابلة الصالحين ثم بلغ مظفر الدين صاحب اربل ان الحنابلة بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون وانهم عاجزون عن العمل وإتمامه فسير اليهم حاجب من حجابه ومعه ثلاثة آلاف دينار لتتميم العمارة ومها فضل من ذلك يشترى به وقف و يوقف عليه وتم سنة ٥٩٦ ·

(جامع مصلى العيدين) ·— قبلي البلد أنشأه الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ايوب سنة ٦٠٦ ·

(جامع التوبة بالعقيبة) ·— انشأه الملك الاشرف موسى بن ايوب سنة ٦٢٢ وكان يعرف بخان الدعاري وقيل بخانئن الريحان وكان به كل مكروه من القيان وغيرها ·

(جامع جراح) ·— أنشأه الملك الاشرف موسى سنة ٦٢٣ ·

(المدرسة المرشدية بسفح قاسيون) ·— أنشأتها الخاتون المعظمة عصمة الدين بنت الملك المعظم عيسى سنة ٦٥٤ ولها وقف مزرعة بالقابون (١) وبساتين

أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان عند بنائه مسجد دمشق فان جعل تاريخ صنعها سنة ١٨٦ — ١٨٧ هـ ٨٠٢ — ٨٠٣ م هو مغلوط فيه اذا لم يكن ذلك من خطإ الطبع فان الوليد لم يل الخلافة قبل سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م ومسجد دمشق قد بني في سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وان كان زعم بعض المؤرخين ان العمارة بدئ فيها سنة ٨٧ لكن الاعم على انها كانت في سنة ٨٨ ·

(١) القابون قرية نزهة في ضاحية دمشق بينها وبين دومة الغوطة و يقول ياقوت عنها موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد الى العراق في وسط البساتين ·

بالصالحية [١] .

(الماردانية بالصالحية) .— جامع ومدرسة وتربة إنشاء عزيزة الدين احشرورا الماردانية سنة ٦١٠ وأوقفتها سنة ٦٢٤ [٢] .

انتهت النبذة التاريخية التي أوردها أكمل وقد علّق على قبر وائل بن الاسقع الذي في قبلي الباب الصغير من ميدان الحصى قبلي دمشق وفي النسخة الجديدة من الرحلة واثلة بن الأصقع فقال : « الاصح انه واثلة بن الأسقع وله مسجد بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشنباشي يعرف به » .

هذه هي تعاليق محمد الأكمل بن مفلح عن دمشق نقلناها واكثرها غير معجم حتى الأعلام منها وبعثنا بها لمجلتكم الزاهرة لعلاقتها بتاريخ دمشق .

حيفا : عبد الله مخلص

استدراك

وقد ترجم له السيد كمال الدين الغزي الدمشقي المتوفى ١٢١٤ ﻫ ١٧٩٩ م في ذيل طبقات الحنابلة بما ملخصه :

« محمد أكمل الدين بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد أكمل الدين بن عبدالله ابن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الشهير بالقاضي اكمل بن مفلح الراميني المقدسي الاصل الدمشقي الشيخ الامام العالم البارع المؤرخ المسند الفقيه . ولدة بدمشق وكان له خطٌ حسن كتب به عدة مجاميع وعلى كتابته رونق ظاهر وله عدة تواليف وتلخيصات وتعاليق وفوائد وكان ينظم الشعر وتوفي في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٠١١ ﻫ ٧ حزيران سنة ١٦٠٣ م » اه باختصار من طبقات الحنابلة للشيخ محمد جميل الشطي الدمشقي الذي

(١) الصالحية حي من أحياء دمشق كثير العمارة وفي معجم ياقوت : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين و يسكنها ايضاً جماعة منهم واكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب احمد ابن حنبل . (٢) في كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس الى مافي دمشق من الجوامع والمدارس لعبد القادر النعيمي قال عنها ابنة ملك ماردين .

فقّى على ذلك بقوله « ص ٩٤ » : « هذا آخر من عُرف من بني مفلح في دمشق وقد انقرضت هـذه الأسرة ولم يبق منهـا سوى الأسباط وهم بنو الاسطواني الأسرة الكبيرة المعروفة بدمشق تولوا عنهم أوقافاً ووظائف كثيرة » .

مطبوعات حديثة

الانتاج الزراعي

« في مصر والولايات المتحدة والمانيا »

تأليف السيد احمد مراد البكري طبع بمطبعة المقتطف في مصر ويحتوي على ٢٦٨ صفحة متوسطة منها نحو مئة صفحة كلها في الاحصاء

أورد المؤلف في هذا الكتاب احصائيات زراعية ثمينة وشيئاً في علم الاقتصاد الزراعي وأبحاثاً في أهم الوسائل التي تتوسل بها تلك البلاد لتزييد المنتجات الزراعية فيها . واذا صح ما ورد في جداول الاحصـاء يمكن ذكر نموذج مما أورده المؤلف مثل ان غذاء الفلاح المصري ربعان من دقيق الذرة والربع من دقيق الحنطة ومن الأرز والخضر والربع الأخير من اللحم واللبن . اما معظم اللحوم فيأ كلها ذووالبسار في المدن وان كل ١٠٠ فدان مصري تقوم بتغذية ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصاً في مصر ، وان عدد الفلاحين في مصر ٧٠ ونيف في المئة من السكان اما في المانيا فنحو ٥٠ في المئة . لكن الفلاح الالماني أقوى فلاحي العالم على الانتاج في مساحة واحدة ، وان الاجانب تملك نحو ١١ في المئة من اراضي مصر الزراعية وهو مقدار كبير ، وانه بلغ عدد المعلمين في المدارس الزراعية في الولايات المتحدة ٢٠١٢ معلماً وعدد التلاميذ ٧١٢٩٨ تلميذاً وذلك سنة ١٩٢٣ م . اما في مصر فلم يزد عدد الطلاب في المدارس الزراعية على ٥٢٣ طالباً في سنة ١٩٢١ م فالفرق بين البلدين بعيد حتى مع مراعاة عدد السكان في كليهما .

وغلط المؤلف في تقدير متوسط ماتدره الأبقار الحلوبة في مدرسة الجيزة الزراعية فبدلاً من ان يجمع كل ما حصل من الحليب ويقسمه على عدد الأبقار وهو ٢٢ بقرة

فقفّى على ذلك بقوله « ص ٩٤ » : « هذا آخر من عُرف من بني مفلح في دمشق وقد انقرضت هـذه الأسرة ولم يبق منهـا سوى الأسباط وهم بنو الاسطواني الأسرة الكبيرة المعروفة بدمشق تولوا عنهم أوقافاً ووظائف كثيرة » .

مطبوعات حديثة

الانتاج الزراعي

« في مصر والولايات المتحدة والمانيا »

تأليف السيد احمد مراد البكري طبع بمطبعة المقتطف في مصر ويحتوي على ٢٦٨ صفحة متوسطة منها نحو مئة صفحة كلها في الاحصاء

أورد المؤلف في هذا الكتاب احصائيات زراعية ثمينة وشيئاً في علم الاقتصاد الزراعي وأبحاثاً في أهم الوسائل التي تتوسل بها تلك البلاد لتزييد المنتجات الزراعية فيها . واذا صح ما ورد في جداول الاحصاء يمكن ذكر نموذج مما أورده المؤلف مثل ان غذاء الفلاح المصري ربعان من دقيق الذرة والربع من دقيق الحنطة ومن الأرز والخضر والربع الأخير من اللحم واللبن . اما معظم اللحوم فيأكلها ذووالبسار في المدن وان كل ١٠٠ فدان مصري تقوم بتغذية ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصاً في مصر ، وان عدد الفلاحين في مصر ٧٠ ونيف في المئة من السكان اما في المانيا فنحو ٥٠ في المئة . لكن الفلاح الالماني أقوى فلاحي العالم على الانتاج في مساحة واحدة ، وان الاجانب تملك نحو ١١ في المئة من اراضي مصر الزراعية وهو مقدار كبير ، وانه بلغ عدد المعلمين في المدارس الزراعية في الولايات المتحدة ٢٠١٢ معلماً وعدد التلاميذ ٧١٢٩٨ تلميذاً وذلك سنة ١٩٢٣ م . اما في مصر فلم يزد عدد الطلاب في المدارس الزراعية على ٥٢٣ طالباً في سنة ١٩٢١ م فالفرق بين البلدين بعيد حتى مع مراعاة عدد السكان في كليهما .

وغلط المؤلف في تقدير متوسط ماتدره الأبقار الحلوبة في مدرسة الجيزة الزراعية فبدلاً من ان يجمع كل ما حصل من الحليب ويقسمه على عدد الأبقار وهو ٢٢ بقرة

فقد اخذ المقدار الذي دونه أجود بقرة والمقدار الذي أعطته أنل الأبقار دراً وقسم مجموعها على اثنين وهذه الطريقة غير صحيحة ·

وحبذا لو اعتني المؤلف الفاضل بلغة الاجزاء التالية التي وعد باصدارها فان بعض جمل الكتاب (وهو الجزء الاول) تكاد تكون عامية مثل الجملة الآتية التي وردت تحت الصورة المقابلة للصفحة ١٤ وهي : « ··· عمر هذه البقرة حوالي ١٣ سنة وكسور وهي شامي بلدي وقد أعطت ···· » وليس يخاف على حضرة المؤلف ما لفصاحة اللغة من الشأن في التصانيف ·

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

تلقيح فهوم اهل الاثر

« في عيون التاريخ والسير »

تأليف الحافظ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ نشره وعلق عليه الشيخ محمد يوسف البرېلوي التونكي وطبع في مطبعة جيّد پريس برقي ببلدة دهلي في الهند ص ٣٨٤

طبع هذا المختصر في تاريخ الصدر الاول للاسلام الاستاذ البريلوي طبعاً حجرياً على العادة القديمة في اكثر كتب الهند ، منقولاً عن نسخة مخطوطة صحيحة مضبوطة كتبت في المائة السادسة تقريباً وجدت في مكتبة الوزير الامير عبد الرحيم خان بن النواب محمد علي خان في بلدة تونك وعلق عليها حواشي مستنداً فيها الى أمهات كتب التراجم المعتبرة ومما استند عليه من المخطوطات في تقويم الاصل الذي لديه مسند ابي يعلى الموصلي والتاريخ لابي حاتم والحاشية للاستيعاب فدلّ على معرفة في البحث ومما قاله في المقدمة : « وفيه التاريخ والسير وعلوم الحديث أعني الوفيات وطبقات الرواة وبيان المقلين والمكثرين والوحدان وغيرها من الفوائد التي لا تكاد توجد في غيره لطلبة العلم المبتدين وللعلماء المنتهين ومما حداني الى نشره اعراض اكثر علماء الهند وطلبته واستغناؤهم عن هذه الفنون الشريفة وهي مما يلزم معرفتها على طالبي العلم لانها

معارف عمومية » . فنثني على عناية الاستاذ الناشر وتحقيقه في اخراج هذا الكتاب الممتع للناس خدمة للتاريخ والحديث . وما نظن النسخة التي طبعت من هذا الكتاب في مدينة برسلاو في المانيا منذ زمن الا قطعة من الاصل الذي وفق العالم الهندي الى إحيائه .

م . ك

تهافت الفلاسفة للغزالي

« نشره الاب موريس مويج اليسوعي وطبع في المطبعة الكاثوليكية »
« في بيروت سنة ١٩٢٧ في ٤٤٧ صفحة »

طبع هذا الكتاب منذ مدة طويلة في مصر طبعة تجارية وها قد طبعه هذا الاستاذ الطابع طبعة علمية معارضاً له على نسخ مخطوطة محشياً له وخادماً لمتنه وقدجعل له فهارس تقرب منال فوائده على كل طالب فاستحق ثناء العلم على عنايته البالغة . وقد قدم له مقدمة بالفرنسية في بيان الغرض الذي يرمي اليه بهذه الطبعة وكتب التعاليق عليه باللاتينية . لكن ممايؤاخذ عليه انه بدأ به على الاصول الغربية من الشمال الى اليمين خلافاً لكتب العرب التي يبدأ بها من اليمين الى الشمال . فخالف بذلك سنة علماء المشرقيات المستعربين في نشرهم الكتب العربية على المثال الذي جرى عليه واضعوها . فان هذا الكتاب وهو الكتاب الاول من مجموعة سماها المكتبة العربية الفلسفية القديمة قد خالف فيه دي خوي المستشرق الهولاندي في نشره المكتبة الجغرافية العربية وخالف فيه كوديرا وربيرا المستشرقين الاسبانيين بنشرهما المكتبة الاندلسية العربية وخالف اماري المستشرق الايطالي في نشر المكتبة الصقلية وخالف موجيك المستشرق النمساوي في نشره المكتبة الجغرافية التاريخية وخالف فيه عشرات غيرهم من أعلام المشرقيات الذين نشروا الكتب العربية على صورتها المستقيمة المتعارفة .

م . ك

محاضرة في تربية الذوق السليم

« للاستاذ احمد فهمي العمروسي طبعت بمطبعة النهضة بمصر ص ٣٢ مع الصور »

مؤلف هذه المحاضرة من علماء التربية في مصر واشتهر بتآليف كثيرة وضعها في هذا الشأن وهذه المحاضرة ألقاها في مؤتمر التعليم الاولي المنعقد في سنة ١٩٢٥ في القاهرة بين فيها اثر الفنون الجميلة في تربية الذوق السليم مورداً لذلك الأمثلة مما حوته متاحف مصر من بدائع الآثار ومصوّراً لها تصويراً جميلاً وقد شفعها بنبذة عن الفنون الجميلة عند العرب منها ما اختبره بنفسه ومنها ما اقتبسه عن علماء الفرنج لجاءت صفحات قليلة تحوي علماً جمّاً . م . ك

اربع محاضرات

« للسيد احمد فهمي العمروسي طبعت ثانية بمصر سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ »

« ص ١٣٣ بحجم صغير »

هذه محاضرات ألقاها الاستاذ العمروسي بك في التربية في انكلترا واميركا ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية . ولكن لم يفته ان يشفعها بما كان عند العرب من مثلها فأورد لذلك الأمثلة التي تدل على علو كعبه في الادب كما دل بهذه المحاضرات على امتيازه في فن التربية وانه هضم ما تعلم فأجاد فيما علّم . وكتب العمروسي بك تجمع بين الحديث ولا تغفل عن التذكير بالقديم وامتازت باسلوبها وجمال وصفها مملوءة بمشاهداته وتجاربه الخاصة . م . ك

مجلة الدروس الاسلامية

أحسن صديقنا العلامة السيد لويز ماسنيون أستاذ علم الاجتماع في « كوليج

دي فرانس » بباريز واحد اعضاء المجمع العلمي العربي باصدار هذه المجلة الفرنسية في عاصمة فرنسا فسدَّ بها فراغاً كان ملموساً لكل من يحب التعمق في الدروس الاسلامية من الغربيين وغيرهم وقد عاهد قراءه انه ينقل من أصح المجلات العربية والغربية ما له مساس بموضوعه الذي سيقسمه فيما يظهر الى اثني عشر باباً وهي (١) التهذيب الاسلامي وغيره (٢) تاريخ الافكار العلمية (٣) المباحث اللغوية (٤) اصول الشعوب وأساطيرهم (٥) التاريخ الاوربي ونشر النصوص القديمة (٦) الفنون والصنائع (٧) القضاء والادارة (٨) العقائد والفلسفة والتصوف (٩) التجدد والمناقشات الدينية والتبشير (١٠) الاستعمار الاوربي والسياسة الحاضرة (١١) تاريخ الارجاء الطبيعية ووصف البلدان (١٢) البحث في الكتب وغيرها . وقد تكلم رصيفنا في هذه المسائل وأشار الى ١٢٣ كتاباً صدرت في هذه الموضوعات في العهد الاخير بلغات مختلفة ومنها العربية والفارسية والتركية . وفي هذا الجزء مقالة في الازهر وإصلاحه للسيد اشيل صيقلي وأخرى في عادات المرأة البربرية وإصلاح عادات البربر وغير ذلك من الابحاث والوثائق التاريخية واسم هذه المجلة النافعة (Revue des Etudes Islamiques .) وعنوانها : Librairie Orientaliste Paul Geuthner 13, rue Jacob Paris

م . ك

عواطف عواصف الشباب

للسيد لطفي اليافي طبعت في مطبعة « فتى العرب » ١٩٢٧ ص ٦٢

هذه مقالات ادبية ، انتقادية ، غرامية ، اجتماعية منها المترجم عن الافرنجية ومنها ما وضع مباشرة ، وهي لطيفة في أسلوبها وإنشائها . ولم يخرج كاتبها عن اصول اللغة . تقرأ وتفهم وتستطاب في اكثر الاذواق . واذا اكثر الكاتب من النسج على هذا المنوال ونماه جاء بطريقة طريفة .

م . ك

البستان

« جمعه وشرح غريبه السيد اسعاف النشاشيبي طبع بمطبعة المعارف بمصر »
« سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ص ١٣٥ »

هذا آخر كتاب في الاستظهار للمدارس الابتدائية وهو سبعة أقسام مدرجة موافقة قوى الطلاب ، جمعه العلامة الاستاذ النشاشيبي وتوخى فيه السهولة والبيان فدل على ذوقه العالي في الادب وسيفيد الطلاب لانه يعلمهم السهل الممتنع فيُطبَعون بطابع الفصيح من الصغر . ولا غرو فكل تآليف الاستاذ سلسلة مفرغة في قالب الاحسان في البيان .

م . ك

من كتاب فتح الباب

« في الكنى والالقاب »

لابي عبد الله محمد بن اسحق بن مندة الاصفهاني نشره السيد سفن ددرنج (Sven Dedering) في أبسالة من بلاد السويد

هذه قطعة من هذا الكتاب في ذكر ما انتهى اليه من كُنى المحدثين من الصحابة والتابعين على مراتبهم وطبقاتهم من عُرف باسمه وخفيت كنيته او عُرف بكنيته وخفي اسمه اومختلف في اسمه . وهومختصر جداً أشبه بفهرس ومع هذا وضع له الناشر فهارس واختلاف النسخ على العادة المتبعة عند المستعربين من علماء المشرقيات فكان حجم ما كتبه وعلق عليه (٥٥ص) والاصل (٤٨) بطبع مشرق لا غبار عليه .

م . ك

الجزء ٣ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٨ م الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٦ هـ ٨٧

ابو حيان التوحيدي

عصر التوحيدي

ان القرن الذي أولد التوحيدي ، وشبّ فيه واكتهل وشاب ، هو العصر العباسي الثالث ، فسدت في تضاعيفه عصبية بني العباس ، فلم تبق لهم كلمة مسموعة ، ولا رأي جميع ، ولا قوة نافذة ، ولا كيان يُرتجى معه البقاء ، دخلت الاعاجم منذ قرن وتسلطت على امور الدولة ، ودب دبيبها في جسم العباسيين ، وما دخل القرن الرابع حتى رأيت الامور تلتوي ، ودولة الخلافة تخرج عن الصورة التي رسمها لها الاسلاف ، وشمل الضعف معظم أوضاعها ، وعاث سوس فساد الغريب في ذاك الجسم العظيم ، وتناثر عقد البلاد الاسلامية وانتقصت من أطرافها ، والاهواء مشتتة ، والنفوس شعاع ٠

لم يكد ينسلخ الربع الاول من هذا القرن حتى استولى ابن رائق على البصرة وواسط ، واستأثر البريديّ بالاهواز وأعمالها ، وذهب ابناء بويه الديلمي بفارس والرّي وأصفهان وطبرستان وجرجان وكرمان والجبل ، وغدت خراسان وماوراء النهر بيد السامانية ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في ايدي بني حمدان ، وانتقلت مصر والشام الى الإخشيدية ، والبحرين واليمامة الى القرمطي ، والمغرب وإفريقية الى القائم العلوي ، والاندلس للناصر عبد الرحمن الأموي ٠

ولم يبق للخليفة العباسي غير بغداد وأعمالها ، والحكم فيها لابن رائق ، وليس للخليفة وزير ، وانما كان له كاتب يدبر إقطاعاته واخراجاته القليلة ، وكلما امتدت كلمة

ملك او امير سطا على من يجاوره واستصفى مملكة صاحبه ، فابن رائق بعد البصرة استولى على دمشق ، والبريدي بعد خوزستان استولى على بغداد ، وبنو بويه بعد بلاد الشرق استولوا على بغداد (٣٦٧) وخُطب لهم فيها مع الخليفة . وهكذا كانت مملكة بني العباس نهبَ ايدي الاتراك والديلم — والاتراك جيل من التتر معروف والديلم سكان الجبال في فارس — وكلهم شاركوا العرب في سلطانهم بل حاولوا نزع تراثهم من ايديهم .

وكثر قتل الخلفاء وخلعهم ، فقتل المقتدر ، وبويع للقاهر ثم خلع ، وخلفه الراضي ، واستخلف المتقي ، ثم بويع للمستكفي وهو كأكثر من سلفه مغلوب على امره . وهناك دول تقوم في الشام كدولة بني حمدان بعد الإخشيديين ، ودولة الفاطميين تستولي على مصر (٣٦٣) ويخطب للفاطميين في مكة والمدينة بدل الخليفة العباسي ، وتقتطع من تلك الدولة العظمى دول وممالك . وقد أصبح خليفة بني العباس أشبه بصاحب منصب ديني له القول ولغيره العمل ، هو يملك الاسم والجسم يستغلها المستغلون من المتغلبين والمتوثبين ، والبلاد تخرب والنفوس تهلك ، حتى لقد خربت بغداد عند استيلاء البويهيين عليها واخذوا بتجديدها ورمّها لاول امرهم وكانت في القرنين الثاني والثالث أعمر مدينة في الارض . وكان القرامطة[1] خلال ذلك القرن يعيثون في البلاد ، فعلوا أفاعيلهم في العراق ثم تعدوا الى الشام بعد ان عبثوا بمقدسات الامة في الحجاز وكذلك كان شأن غيرهم من الخوارج والنزّاع الى الفتنة .

اما الروم فكانوا يغادون الشام القتال و يراوحونها ، ودولة بني حمدان كفت البلاد عاديتهم . وفي خلال هذا القرن انقرضت دول ولا سيما السامانية والإخشيدية وقام محمود بن سبكتكين رجل ذاك القرن فاستولى على خراسان وامتدت فتوحه حتى فتح جزءاً مهماً من بلاد الهند والشرق .

***

(١) القرامطة نسبة لحمد بن قُرمط لقب بذلك لقرمطته اي تقريبه في خطه او خطوه وهو صاحب الدعوة الباطنية .

الحالة العلمية والاجتماعية في عهده

وفي هذه المملكة بل الممالك التي كانت تخبط في أقدارها ، وتختلط امورها بايدي أخيارها وأشرارها ، نشأت زمرة صالحة من العلماء والادباء ، بقوة التسلسل المنبعثة من عمل القرن الثالث . وقد تضعف السياسة في أمة وتبقى قوتها المفكرة سائرة سيرها ، علومها آخذة بالنظام الذي كان لها على عهد سيادتها ، كما قيل « يفنى القميص وفيه ريح المندل » ولقد ساعد على هذه النهضة بعض أصحاب السلطان من هؤلاء الملوك ، ممن ارادوا ان يكون في جملتهم الأجلاء والفضلاء ، يستأثرون بهم دون جيرانهم ، ويزينون بهم ملكهم ، اويستخدمونهم ليعينوهم على قيام امرهم ، او يختارون طبقة من الادباء والشعراء ، ينادمونهم ويمدحونهم ، ويخلدون مآثرهم ، ويعظمون مفاخرهم ، فيعتزون بهم عند القريب والغريب ، والبغيض والحبيب . فكانت في هذه السبيل تجاري بغداد كل من أصفهان وشيراز ونيسابور وهمذان وأرجان وكرمان والري وسمرقند وبلخ وحلب والقاهرة وقرطبة .

وتنوعت المذاهب التي غلبت على البلاد ، فكان اهل البصرة قدرية وشيعة وحنابلة ، وفي بغداد من جميع النحل وفيها غالية يحبون معاوية ، ومشبهة وهم أصناف كثيرة ، ويهود اقليم الجبال اكثر من نصاراها ، ومجوسها كثير ، والمجوس أصحاب زردشت المعظمين للنار وسائر الانوار بقيت منهم بقية مهمة الى هذا القرن في العراق والاهواز وفارس وأصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام . ولكل بلد من بلاد العجم طرز يخالف الطرز الآخر ، فمنها ما تجد فيه الغلبة للحنفيين ، ومنها ما كانت حنابلته كثيرة ، ومنها ما كانت شيعته غالية ، ومنها ما تغلب فيه أصحاب الحديث ، واكثر اقليم خوزستان معتزلة ، وفي الاقاليم الاخرى شيعة وحنابلة وشوافع . والفتن كثيراً ما تقع بين الحنابلة والشوافع في بغداد او بين السنة والشيعة في دار السلام وبعض أصقاع فارس والجبال وما اليها فيفني بعضهم بعضاً .

والحنابلة في بغداد يثورون على المنكرات ينكرونها بالعنف ، ويقضون عليها بالقوة ، ويتدخلون في امور لو كان للحكومة بعض قوة ما وقعت ، كما فعلوا في بغداد يوم

مات محدث الامة ومؤرخها ابن جرير الطبري ومنعوا دفنه في المقابر ، لانه لم يذكر الإمام احمد بن حنبل في جملة الفقهاء وعده في المحدّثين ، وكما وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين الحنابلة وخصومهم قتل فيها خلق كثير من الجند والعامة وذلك بسبب خلاف نشأ في تفسير قوله تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » . فقال ابو بكر المروزي وأصحابه بقول ، وقالت الطائفة الاخرى بآخر ووقع الهرج والهيج .

ومن اجل هذا اعتصم بعض العلماء والحكماء باهداب التقية [1] خشية العامة [2]

(١) التقية مشتقة من اتقاه اي خافه وهي ضد العلانية ، وكان المسلمون لاول عهدهم وهم ضعاف يتقون من عدوهم فيدارونه اذا كان قوياً من غير ان يستحلوا دماً حراماً او مالاً حراماً اوغيرذلك من المحرمات او يظهروا الكفار على عورة المسلمين . واختلفت الفرق الاسلامية في التقية ومنها التي تجوزت فيها كثيراً وبعضهم حدد لها شروطاً ولاسيما عندما يخشى المرء على نفسه فيدفع الضرر عنها بالمداراة والمداهنة والمباطنة . والعقل يقتضي بان يستعمل في دار التقية ما لا يستعمل في دار العلانية .

(٢) قال ابو عبيدالله المَرْزُباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في الموشح : حدثني احمد بن محمد بن زياد قال : سألت اباالغوث عن السبب في خروج ابيه عن بغداد ، فقال لي : كان ابي قدقال في قصيدته التي رثى فيها اباعيسى بن صاعد ابياتاً ، وجد بها بعض اعدائه عليه مقالاً ، فشنع عليه انه ثَنَوي ودارت في الناس ، وكانت العامة حينئذ غالبة ببغداد ، فخافهم على نفسه فقال لي : قم بابني حتى نطفئ عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود ، قال : فخرجنا ، وأقام فلم يعد . قال والابيات :

اخيّ متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الاشياء شتى ، ولا ارى التـ ـجمع الا علةً للتفرق
ارى العيش ظلا توشك الشمس نقله فكِس في ابتغاء العيش كيْسَك أو مُق
ارى الدهر غولاً للنفوس ، وانما بقي الله في بعض المواطن من بقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لِمْ مضى؟ وعرّج على الباقي فسائله لم بقي
ولم ار كالدنيا حليلة وامق محبّ متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد فتحسبها صُنْعي حكيم واخرق

وجهلة السلاطين ، ممن قد يحرصون على مراعاة العامة اكثر من حرصهم على رضا الخاصة ، والتقية واجبة في مثل هذه الاحوال ، فكان ما كان من تأليف المجالس السرية من الفلاسفة وارباب العقول الكبيرة . وكان التوحيدي الذي يعنينا الآن تحليل حياته ، ووصف علمه ، احد أساطين تلك الحلبة حقبة من الزمن ، والحركة الدائمة في الافادة والاستفادة . والعقل الكبير والعامل الجبار ، ملئت ايام حياته بغرائب فكان عجبًا في نفسه ودرسه وقوة انتاجه على معاندة الدهر له .

نشأته وأعماله

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي (بفتح التاء وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها) نسبةً فيما قيل للتوحيد وهو نوع من التمر كان يبيعه ابوه بالعراق ، وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله :

يترشفن من فمي رشفات　　هنّ فيه أحلى من التوحيد

وقيل ان التوحيدي نسبة للمعتزلة ، لانهم يسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد ، وهو الارجح . ذكروا في اصله انه شيرازي وقيل نيسابوري وقيل واسطي ، ولا يعلم ان كان أجداده عربًا صرفًا او فرسًا استعربوا ، وكنيته ابو حيان ، ولد على الغالب في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع او في أوائل العقد الثالث وعُمّر لانه مات على رأس الاربعمائة او بعدها بقليل .

نزل التوحيدي بغداد صغيرًا على ما يظهر ، وتخرج في النحو بابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ، و بالفقه الشافعي بابي حميد المَرْوَرُوذي وابي بكر الشافعي ، وحضر في أوقات مختلفة بين سنتي ٣٦١ — ٣٩١ ﻫ دروس يحيى بن عَدِيّ وابي سليمان المنطقيّ وغيرهما من الفلاسفة . فجاء مفننًا في العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وبأخذه الفلسفة عن ورثة علوم الاقدمين في عصره عد حكيمًا عظيمًا ، وصفا ذهنه ، وزاد تسامحه ، وأصبح يُحكّم عقله فيما يرى ويسمع ، لا يأخذ الاشياء على ظواهرها بل يعمق البحث و يواصل الدرس والنظر ، غير متحيز لفئة ، ولا متعصب لرأي جماعة .

وصفه ياقوت بانه كان جاحظياً ، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ ، و يشتهي ان ينتظم في سلكه ، فهو شيخ في الصوفية ، وفيلسوف الادباء ، واديب الفلاسفة ، ومحقق اهل الكلام ، ومتكلم المحققين ، وإمام البلغاء ، فرد الدنيا الذي لانظير له ذكاءً وفطنةً ، وفصاحةً ومكنةً ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن ، حفظةً واسع الرواية والدراية . قال : ولم أر واحداً من اهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدمجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجاب . وقال فيه انه صوفيّ السمت والهيأة ، وانه كان فقيراً صابراً ، وعده السبكيّ في فقهاء الشافعية وقال انه من المؤرخين وروى الحديث وأرواه ، وآخر ما أخذ عنه بشيراز سنة اربعمائة .

ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الصديق والصداقة ، وكتاب المقابسات او المقابسة وكتاب الاشارات الالهية جزآن ، والرد على ابن جنيّ في شعر المتنبي ، وكتاب الامتاع والمؤانسة جزآن ، وكتاب الزلفة جزء ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب تقريظ الجاحظ ، وكتاب مثالب الوزيرين[1] وكتاب الحج العقلي اذا ضاق

(١) اطلع ياقوت الحموي على بعض كتب التوحيدي أوائل القرن السابع ونقل منها كثيراً في كتابه معجم الادباء فمنها اطلع عليه ومنها ما كان بخط المؤلف كتاب تقريظ عمرو بن بحر الجاحظ و « مثالب الوزيرين » و «الإمتاع والمؤانسة» و« كتاب المحاضرات او محاضرات العلماء » . وفي مكاتب الاستانة نسخة من مثالب الوزيرين وفي دار الكتب بدمشق الجزء الاول من الاشارات الالهية وله مختصر محفوظ في دار كتب الامة ببرلين . وفي دار الكتب الامبروزيانية في ميلانو بايطاليا الجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة ونسخة من كتاب البصائر له وفي مكتبة الفاتح في الاستانة خمس نسخ مخطوطة من كتاب البصائر والذخائر وفي دار الكتب في لينينغراد نسخة من الحجيج للتوحيدي . وفي كتاب في التصوف كان بدمشق فبيع مؤخراً في القاهرة وهو مكتوب بالقلم الكوفي ذكر لابي حيان وعده المؤلف في المتصوفة واقتبس من عباراته على ما حدثني الثقة ولم يكتب لي الاطلاع على هذا الكتاب . وليس لابي حيان من المطبوع سوى رسالة الصديق والصداقة وكتاب المقابسات ورسالة ثمرات العلوم .

القضاء عن الحج الشرعي ، ورسالة في صلات الفقهاء في المناظرة ؛ الرسالة البغدادية ، الرسالة في أخبار الصوفية ، الرسالة الصوفية ايضاً ، الرسالة في الحنين الى الاوطان ، كتاب المحاضرات والمناظرات ، كتاب البصائر والذخائر في عشرة مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة ٠

وكتبُ ابي حيان أسئلة وأجوبة وروايات ومساجلات ومحاضرات ومحاضر جلسات وتقريع وتقريظ ونقد ولمز ووعظ وإرشاد وكل صفحة منها تدل على علو كعبه في العلوم المختلفة ، وبلوغه درجة عالية في الفهم أنزلته منازل أعاظم المنشئين والمؤلفين واتى فيها بصورة صحيحة من صور العلم والأدب في ايامه ٠ وسنعرض هنا لبعض تآليفه ونسوق رواميز منها مما كتبه التوحيدي مباشرةً او مما نقل عنها في الامهات نعرضها لنتبين روح صاحبها من أقواله وتتم لنا أمنيتنا في الوقوف ما أمكن على حياة هذا العظيم ، الذي تنكرت النفوس لمشربه وأنكره كثيرون ، وما مثله بالذي يكون نكرة ٠ ذلك لانه قال الحق" ولم يزل قائله من الممقوتين كما قال المعري" ٠

تصوف التوحيدي وفلسفته

كان التوحيدي على ما يظهر من كلامه ، من اهل الباطن اي الصوفية ، ومن اهل الظاهر اي الدينيين الحكماء ، جمع بين مذهب الصوفية أمثال المحاسبي والتُستُري والجنيد والسري السقطي والرقي وبشر الحافي وابراهيم بن أدهم وابن يسار وغيرهم من النساك اوالصوفية ، ومذهب السجستاني والزَّنجاني والمِهرجاني والصَيْمَري والمقدسي والمجتبي وابن زُرعة وابن سوار وابن رِفاعة في الحكمة ٠ وكان الصحابة والتابعون نساكاً في الصدر الاول ، زاهدين بالطبع في زخارف الدنيا ، ولم يكد ينتصف القرن الثاني حتى هجمت الحضارة فنشأ التصوف ، وصار طريقة يقبل عليها المتزهدون ، يعالجون بها كلب المتكالبين على الدنيا ، واول من سمي بالصوفي في اهل السنة ابوهاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠ ٠ وسلك الصوفية طريق تصفية النفس بالرياضة ، والعزوف عن بهارج العالم ، وعرّفوا علمهم بانه العمل لما فيه ترقية اهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم ، والامور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ٠

وقيل ان اصل اسمهم الصوفية يرجع الى آل صوفان خدام الكعبة المتنسكون المتصوفون ، والارجح انهم نسبوا الى الصوف لباس العباء واهل الصوامع ، لان هؤلاء القوم خلعوا ثياب الخز والحرير ، ولبسوا هذه المسوح على عادة اهل النسك في اهل الاديان الاخرى ولهم مراسمهم ومصطلحاتهم .

اما الفلسفة فحدها كما قال الفارابي : « العلم بالموجودات بما هي موجودة » او علم حقائق الاشياء والعمل بما هو أصلح . وكانوا في ذلك العصر يقسمون الفلسفة قسمين احدهما الجزء النظري والآخر الجزء العملي ، وينقسم الجزء النظري الى ثلاثة أقسام وذلك ان منه ما يفحص فيه عن الاشياء التي لها عنصر ومادة و يسمى علم الطبيعة ، ومنه ما الفحص فيه عما هو خارج عن العنصر والمادة و يسمي علم الامور الالهية ، ومنه ما ليس الفحص فيه عن اشياء لها مادة مثل المقادير والأشكال والحركات وما اشبه ذلك ، ويسمى العلم التعليمي والرياضي ، وكأنه متوسط بين العلم الاعلى وهو الالهي ، وبين العلم الأسفل وهو الطبيعي . واما الفلسفة العملية فهي ثلاثة أقسام احدها تدبير الرجل نفسه او واحداً خاصاً و يسمى علم الأخلاق ، والقسم الثاني تدبير الخاصة و يسمى تدبير المنزل ، والقسم الثالث تدبير العامة وهو السياسة المدنية والامة والملك . وكانوا يدمجون في العلم الطبيعي الطب والآثار العلوية وعلم المعادن والنبات والحيوان وصناعة الكيمياء .

وكان التوحيدي صوفياً فيلسوفاً بهذه الشروط ، شهدت له كتبه بانه متصوف ، وشهدت له بانه فيلسوف ، فجمع من ثم بين العلوم المادية والعلوم الماعادية ، ووفى كل علم قسطه من النظر ، فكان فيه الصدر المقدم . وليست له طريقة خاصة في التصوف ولا مذهب معروف في الفلسفة ، بل انه أحاط بجميع الطرق ، وحنى عليها و بسط لاهلها جناح الرحمة ، وطابت نفسه بعشرة اهل ثقتها والأخذ عنهم . وقد تجلت شخصيته العلمية بما نقله من المباحثات والمناقشات المشربة بروح الحرية المحمولة بعامل الجرأة على كسر القيود التي قيدت اهل مذهب خاص من مذاهب العلم الديني او الفلسفي ، وبدا كل ذلك في مظهر غريب باسلوب انشائه . وإنا على مثل اليقين ان غفلة المؤرخين اوتغافلهم عن الترجمة للتوحيدي ، مع هذه البسطة في العلم الواسع ،

والبيان الرائع ، كانت بسبب اخلاقه فغمطوه بذلك حقه ، لكن الفضل لا يستر بحجاب ، والعقل لا تخفى عظمته على ذوي الالباب مها تبدلت الاحوال ودرجت الأجيال والأحقاب .

اخلاقه وحالاته

ظهر ان ابا حيان كان مقتراً عليه في الرزق ، وانه ربما كان يعيش بالوراقة او النسخ في بغداد مدة طويلة — والوراقة في القديم كالطباعة في العصر الحديث من موارد العيش لكنها صناعة شاقة وان كانت خير معوان لاخراج العلماء والادباء — ولم يل التوحيدي امراً من امور الدولة ، ويستحيل على من كان في مثل علمه واستغراقه في دفاتره ، ان يسفّ الى تقلد الأعمال الدينية والادارية والسياسية ، او يجد في وقته متسعاً للقيام بها ، فاذا لم تكن له إدرارات من السلطان او الخليفة يعيش بها يبرّح به العَوَز والإملاق . وهكذا كان شأن بعض معاصريه مثل ابي بكر القومَسي الفيلسوف الذي وصفه ابو حيان بانه كان بحراً عجّاجاً ، وسراجاً وهّاجاً ، وكان قرين التوحيدي في الضرّ والفاقة ومقاساة الشدة ، ومن الإضافة بمنزلة عظيمة ، وهو الذي قال للتوحيدي ذات يوم : ما ظننت ان الدنيا ونكدها تبلغ من انسان ما بلغ مني : ان قصدت دجلة لاغتسل منها نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لاتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس . فالتوحيدي لم توظف له وظيفة ولا أجري عليه رزق ، فمن اين كان يرتزق ؟ وهو يرى جنون الدهر بابنائه ، و يشهد المتوسطين في العلم والعقل بل بعض النوكى ينهال عليهم الرزق اي انهيال وتؤاتيهم ضروب السعادة ولما تستعد لها انفسهم .

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود

نظر ذات اليمين وذات الشمال يلوب على من يضمه الى جملته ، و يكشف عنه ضره وبؤسه ، والناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه كما قال علي (كرم الله وجهه) ولما ترامى الى بغداد نبأ مكارم ابن العميد والصاحب بن عباد من وزراء آل بويه في الشرق ، وكانا يُفضلان على أعلام العلم في مدينة دار السلام و يبرّانهم بهباتهم الحين

بعد الآخر ، ووصلت عطاياهما الى شيخيّ التوحيدي ابي سليمان المنطقي وابي سعيد السيرافي — سمت نفس ابي حيان الى ان يقصد ذينك الوزيرين وانقطع اليهما ، وقدم بين يدي نجواه مدحهما اولاً ، الا انه لم ينل منهما رغبته ، وانقلب بعد مقام ثلاث سنين في دار الصاحب لم ينله منه درهم ، ولا أعطاه راحلة ولازاداً ، واخفق في قصر الصاحبين مع انهما كانا مع الوزير المهلبي من اكبر حماة الأدب ، كما كان سيف الدولة بن حمدان في حلب . وربما كان التوحيدي استطال عليهما ، وفيهما عزة السلطان وأبهة الفرس فازدرياه فشق عليه الامر ، وهجاهما في كتاب اسماه « مثالب الوزيرين » أورد فيه حكايات في ثلبهما ، ومنها ما عزاه الى بعض من روى عنهم ، وذكر وقائعه معهما ، قال انه فارق باب الصاحب سنة ٣٧٠ وقد نال منه هذا الحرمان الذي قصده به ، واحفظه عليه ، وجعله من جميع غاشيته فرداً ، ومن جملة ما نقمه من الصاحب ان هذا قدم اليه رسالة في ثلاثين مجلدة على ان ينسخها له فقال : نسخ مثله يأتي على العمر والبصر ، والوراقة كانت موجودة ببغداد ، فأخذ الصاحب في نفسه عليه .

وقد عرفنا شيئاً من أخلاق التوحيدي في هذا الكتاب ، وربما أثار ما قاله فيه ثائرة التعصب للوزيرين ، وأحبابهما كثار في الامصار ، فأعرض الناس عنه وأوقعوا فيه وأسقطوه من دواوينهم . وعجيب ان يغضب الناس لهضم حق المهجوّين ولا يغتاظون لحق الهاجين ، وقلما يحفلون بالسبب الذي ألجأ هؤلاء الى الهجاء . وقيل ان الصاحب بن عباد اتهم التوحيدي بالزندقة ففر منه وطلبه الوزير المهلبي ليقتله ففر الى ديار بكر وفي رواية انه مات في الاستتار . ولكن التوحيدي اذا فاتته أفضال الوزيرين الصاحبين ، فقد لقي اكراماً من الوزير صمصام الدولة ابن سعدان وعبد الله ابن عارض الشيرازي ، ولابن سعدان ألف كتاب الصديق والصداقة وكتاب الإمتاع والمؤانسة ، وللدلجي بشيراز ألف كتاب المحاضرات . ولم نعلم السبب الذي عاق التوحيديّ عن اهداء كتبه كلها الى بعض عظماء عصره ، وكانت طريقة اهداء المؤلفين مصنفاتهم لامير او عظيم من الشائع المعروف وكثير من المؤلفين كان من أهم موارد عيشهم التصنيف باسماء معاصريهم والارتزاق بعطاياهم وهداياهم .

قضت الفاقة على التوحيدي ان يتكفف بعض الامراء ، وهو عارف بان استجداءهم

ضرب من ضروب المذلة الفادحة ، وكتابه الى ابن العميد نموذج من هذا التنزل بل التبذل ، ولكن العجز غالب لانه مبذور في الطينة كما قال عن نفسه . وقال انه تصفح النـاس فوجدهم احد رجلين رجل ان نطق نطق عن غيظ ودمنة وان سكت سكت عن ضغن وإحنة ، ورجل ان بذل كدّر بامتنانه بذله ، وان منع حسن باقباله بخله . ولقد دعا ، وقد ترقرقت عيناه بالدموع لماأخفق عند بعض من قصدهم ، و بان له نبوُّ الدهر به ، وضياع سعيه ، وخيبة أمله ، في كل ما ارتجـاه لملم او مهم ، او حادثة او نائبة ، دعا بما دعا به بعض النساك فقال : « اللهم صن وجوهنـا باليسار ، ولا تذلها بالإقتار ، فنسترزق اهل رزقك ، ونسأل شر خلقك ، ونبتلي بحمد من اعطى ، وذم من منع ، وانت من دونهم وليّ الإعطاء ، وبيدك خزائن الارض والسماء » .

واذا أنصفنا اباحيان فلمناه على ما بدر منه في حق عظيمين غمط حسناتهما وجسم سيئاتهما ، واي رجل بريء من عيب او عيوب ، مما ساقه اليـه ضعف في نفسه ، او خيبة في أمله ، او مساس في عاطفته ، اواعتداد برأيه . فلا نذهب مع القائلين في الحكم عليه بالزندقة اللهم اذا وقفنا في الحكم عليه عند حدود أقواله ، وفيهـا شاهد عدل على توحيده ، وبعده عن الالحاد الذي قُرّف به . على انـ معظم من ذكروه ومنهم صاحب تاريخ بغداد ومؤلف معجم الادباء قالوا انه كان يتألّه اي يتنسك ويتعبّد ، والناس على ثقة من دينه وصحة عقيدته . ودعوى ابن الجوزي في ان زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي وابو حيـان وابو العلاء المعري ، وانه كان اشدهما : صرّحا وهو جمجم ، من الكلام الذي يلقى على عواهنه ، اخذه على ما يظهر بدون روية ، وتابعه عليه بعض الناقلين من دون تمحيص ولا تحليل ، وكذلك ما قيل من ان الصاحب ابن عباد وقف على قدح التوحيدي في الشريعة وقوله في التعطيل وما كان يخفيه من ذلك ، فطلبه ليقتله ففرّ ، كلام فيه نظر ايضاً [1] على ان كثيرين

(١) في المعلمة الاسلامية ترجمة للتوحيدي بقلم الاستاذ مرجليوث الانكليزي جاء فيها ان الوزير المهلبي نفى اباحيان لما صرّح به من الإلحاد في كتبه التي ضاعت . وذكر له المترجم السيد مرجليوث كتاب التذكرة التوحيدية وكتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء وقال انه ليس من الثابت ان هذين التأليفين دخلا في شيء من فهرس كتب التوحيدي التي ذكرها ياقوت

من المتصوفة شطحوا اكثر من شطحات ابن الراوندي والتوحيدي والمعري فلم يُتهموا بشيء ولا قدح الناس في دينهم ، وذهبوا من هذا العالم بسلام ، لم يمسسهم احد بسوء ، ولا طعن طاعن في عقيدتهم . ولطالما وجهت تهمة الزندقة الى كثير ممن توسعوا في علم الكلام او العلم الالهي ، اوعلوم الاوائل من الفلسفة والطبي والرياضي ممن استعملوا العقل ولم يجمدوا على التقليد ، وكان نمط تفكيرهم جديداً يخالف من بعض نواحيه نمط التفكير الذي اصطنعه رجل مات او رجال ماتوا ، فوقروا في الصدور وعلت منزلتهم بين الناس ، وكان الميت أفضل عندهم من الحي ، وقد يكون بينهما بون بعيد ، وفروق ظاهرة . والارجح انه كان للحسد والجهل مدخل كبير في الطعن على التوحيدي ، والطاعنون إما حسدة ساقهم لؤم الغريزة الى النيل من عظيم بذّهم واربى عليهم ، فما استطاعوا مشاركته ومنافسته ، او انهم جهلوا حقيقته وتأولوا كلامه ، وباب التأويل متسع لمن يحاول ان يسقط مؤلفاً مثله ، خاض أصعب المسائل الالهية والدينية والاجتماعية .

وقال فيه بعض واصفيه انه قليل الرضى عند الاساءة عليه والاحسان ، الذم شأنه ، والثلب دكانه ، يشتكي صرف زمانه ، ويبكي في تضاعيفه على حرمانه . وقد لامه أستاذه السيرافي يوماً وهو ينقل ذم أعرابي — بقوله « تأبى الا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس » فأجاب : « أدام الله الاستاذ ، شغل كل انسان بما هو مبتلى به مدفوع اليه » وهذا الخلق في النيل من الناس لا سبيل الى تبرئة ابي حيان منه ، لانه مما أجمعت الآراء على انه كان فيه مستأصلاً بادياً ، وهو مزاج خاص من جملة أمزجة بني آدم . ويوشك صاحب هذا المشرب ان يعادي اكثر من يعاصرونه ، هذا وهم دونه في صوب العقل وذوب الفضل . و « اذا أقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » .

ان الرجل الذي يخوض غمار المباحث التي خاض التوحيدي عُبابها ، وخرج منها ناصع الجبين والحجة ، ناجح المسعى والمرمى ، وهو من افراد الدنيا بذكائه ونبوغه ، يستحيل ان ينقيد بقيود أفكار غيره يصدر اذا صدروا ، ويرد اذا وردوا ، يقلدهم في كل ما قرروا او قُرّر لهم ، ويتابعهم عموا اوضلوا ، أبصروا ام اهتدوا

و « الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به » . وفي تاريخ البشر عدد ليس بقليل من نوابغ الارض كان نصيبهم نصيب ابي حيان من الناس والمجتمع : قضوا ايامهم في ضيق من معاشهم ، وضيق من عقول اهل محيطهم ، وضيق من عبث المناظرين والمتعالمين ، وسيطرة المستبدين والجائرين .

شعره وتفننه

تُرى هل كان التوحيدي يسمع الموسيقى والغناء ، ويجلس الى ارباب الدعابة والهزل ولو في الاحايين ، ويخلع ثوب الجد والوقار ساعة من ليل او نهار ، وبغداد في ايامه علقت الطرب ، ورفعت أقدار المسمعين والمسمعات الى أسمى الرتب ، وخرج الادب فيها عن حد النظر والخيال ، وأصبح أطرب الشعر ما صدر عن قلب ملتهب وفؤاد مضطرب ، ووصف واقعة حال ، بعيدة عن الخيال . واكبر الظن ان التوحيدي لم يكن على شيء من هذا اللهم الا اذا كان في صباه ، وقد عرف بنسكه وزهده ، أجمع على ذلك العارفون به ، لو لم تناقضه القطعة الوحيدة التي انتهت الينا من شعره وهي في غزل رقيق ، صدر عن ذوق تام في الغرام ، فكانت أشبه بكلام من ابتسم للحياة والايام ، فأخذ ينظر اليها نظر المتفائل ، على حين كانت اكثر نظرات التوحيدي متشائمة متألمة ، هذا اذا لم يؤول له مأول بان هذا اللسان كان في موضوع من موضوعات اهل الباطن ، كما يفسر بعض المتصوفة كثيراً من غزل من أثروا شعرهم او نثرهم فيدعون انه في العزة الالهية او في المقامات المطهرة . اما ابيات التوحيدي فهذه :

يا صاحبيَّ دعا الملامة واقصرا	ترك الهوى يا صاحبي خسارة
كم لمت قلبي كي يُفيق فقال لي	لجّت (١) يمين ما لها كفارة
أنا لا أُفيق ولا أُفتِر لحظةً	ان انت لم تعشق فأنت حجارة
الحب اول ما يكون بنظرة	وكذا الحريق بدأوه بشرارة
يا من احب ولا أسمي باسمها	إياك أعني فاسمعي يا جارة

(١) لجّ في اليمين لم يكفرها مدعياً صدقه فيها .

شيء من تشاؤمه

كان ابو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها ، وضناً بها بزعمه على من لا يعرف قدرها بعد موته ، وكتب اليه القاضي ابو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ، ويعرفه قبح مااعتمد من الفعل وشنيعه ، فكتب اليه ابوحيان يعتذر من ذلك : « حرسك الله ايها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك ، وأجارنا جميعاً مما يسود وجه عهد ان رعيناه كنا مستأنسين به ، وان أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، وادام الله نعمته عندك ، وجعلني على الحالات كلها فداك » .

« وافاني كتابك غير مُحْتَسَب ولا مُتوقَّع ، على ظماء بَرْحٍ [1] مني اليه ، وشكرت الله تعالى على النعمة به عليّ ، وسألته المزيد من أمثاله الذي وصفت به بعد ذكر الشوق اليّ والصبابة نحوي ما نال قلبك ، والتهب في صدرك ، من الخبر الذي نمي اليك ، فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار ، وغسلها بالماء ، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعزّ (كل شيء هالك الاوجهه له الحكم واليه ترجعون) وكأنك لم تأبه [2] لقوله تعالى (كل من عليها فانٍ) .

« وكأنك لم تعلم انه لا ثبات لشيء من الدنيا ، وان كان شريف الجوهر ، كريم العنصر ، مادام مقلباً بيد الليل والنهار ، معروضاً على حوادث الدهر وتعاور الايام . ثم اني اقول ان كان أيدك الله ، قد أنقب خُفك [3] ما سمعت ، فقد أدمى أظلّي ما فعلت ، فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له ، ولا اجترأت عليه ، حتى استخرت الله عز وجل فيه اياماً وليالي ، وحتى اوحي اليّ في المنام بما بعث راقد العزم ، واجد فاتر النية ، وأحيا ميت الرأي ، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع ، وتربع في الخاطر ،

(١) شديد . (٢) أَبه له وبه كمنع وفرح فطن اونسيه ثم تفطن له . (٣) اصل المثل إن يَدْمَ أظلّك فقد نقب خفي . الأظلّ ما تحت منسم البعير ، والخف واحد الاخفاف وهي قوائمه . يضرب به المشكواليه للشاكي اي انا منه في مثل ماتشكوه (امثال الميداني) والمنسم كمجلس طرف خف البعير وهما كالظفرين في مقدمته .

وانا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك ان طالبت ، اوالعذر ان استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني ، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي . ان العلم « حاطك الله » يراد للعمل كما ان العمل يراد للنجاة ، فاذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاًّ على العالِم ، وانا اعوذ بالله من علم عاد كلاًّ وأورث ذلاًّ ، وصار في رقبة صاحبه غُلاً ، وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار .

لماذا كره كتبه وما اورثته

« ثم اعلم علمك الله الخير ، ان هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته فاما ما كان سراً فلم اجد له من يتحلى بحقيقته راغباً واما ما كان علانيــة فلم أصب من يحرص عليه طالباً على اني جمعت اكثرها للناس ولطلب المثـالة[1] منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمدّ الجاه عندهم فحرمت ذلك كله ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بنـاصيتي وربطه بامري وكرهت مع هذا وغيره ان تكون حجة عليّ لا لي .

ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنــه اني فقدت ولداً نجيبـاً وصديقاً حبيباً وصاحباً قريباً وتابعاً اديباً ورئيساً منيباً فشقّ عليّ ان ادعها لقوم يتلاعبون بها و يدنسون عرضيَ اذا نظروا فيها ويشمتون بسهوي وغلطي اذا تصفحوها و يتراؤون نقصي وعيبي من اجلها . فان قلتَ ولِمَ تسِمُهم بسوء الظن وتقرّع جماعتهم بهذا العيب فجوابي لك ان عياني منهم في الحياة هو الذي حقق ظني بهم بعد الممات وكيف أتركهـا لاناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من احدهم وداد ولا ظهر لي من انسان منهم حِفاظ . ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى اكل الخَضِر[2] في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدّين والمروءة والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق والى مالايحسن

(١) الفضل يقال هو من ذوي مثالتهم . (٢) الخضر ككتف البقلة الخضراء كالخضرة كفرحة وهي بقلة خضراء خشناء ورقها مثل ورق الدخن وكذلك ثمرتهـا وترتفع ذراعاً وهي تملأ فم البعير (التاج) .

بالحر ان يرسمه بالقلم و يطرح في قلب صاحبه الألم واحوال الزمان بادية لعينك بارزة بين مسائلك وصباحك وليس ماقلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك وشدة تتبعك وتفرغك وما كان يجب ان ترتاب في صواب مافعلته واتيته بما قدمته ووصفته وبما أمسكت عنه وطويته اما هرباً من التطويل واما خوفاً من القال والقيل ٠

شكوى الهرم

« وبعد فقد أصبحت هامة [1] اليوم او غد فاني في عشر التسعين وهل لي بعد الكَبْرة والعجز أمل في حياة لذيذة او رجاء لحال جديدة ألست من زمرة من قال القائل فيهم :

نروح ونغـدو كل يوم وليلة وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر :

تقوقت درّات الصِّبا في ظلاله الى انْ أتاني بالفطام مشيب

وهذا البيت للورد الجعدي وتمامه يضيق عنه هذا المكانْ ٠

« والله ياسيدي لو لم اتعظ الا بمن فقدته من الاخوان والاخدان في هذا الصقع من الغرباء والادباء والاحباء لكفى فكيف بمن كانت العين تقرّ بهم والنفس تستنير بقربهم فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والريّ وماوالى هذه المواضع وتواتر اليّ نعيُّهم واشتدت الواعيـة [2] بهم فهل انا الا من عنصرهم وهل لي محيد عن مصيرهم أسأل الله تعالى رب العالمين ان يجعل اعترافي بما اعرفه موصولاً بنزوعي عما اقترفه انه قريب مجيد ٠

بمن اقتدى في احراق كتبه والحامل له عليه

« وبعد فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بائمة يقتدى بهم و يؤخذ بهديهم و يعشي الى نارهم ٠ منهم ابو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف دفن كتبه في بطن الارض فلم يوجد لها اثر ٠ وهذا داود الطائي وكان من خيـار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادةً و يقال له تاج الامة طرح كتبه

(١) يقال هو هامة اليوم او غد اي مشف على الموت ٠ (٢) الصراخ ٠

في البحر وقال يناجيها : نعم الدليل كنتِ والوقوفُ مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول . وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار في جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : دلنا العلم في الاول ثم كاد يُضلنا في الثاني فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من اجل من أردناه . وهذا ابو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها (١) بالنار ثم قال : والله ما أحرقتكِ حتى كدت أحترق بك . وهذا سفيان الثوري مزّق الف جزء وطرحها في الريح وقال : ليت يدي قطعت من هاهنا بل من هاهنا ولم اكتب حرفاً . وهذا شيخنا ابو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد : قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الآجل فاذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار .

« وما ذا اقول وسامعي يصدق ان زماناً احوج مثلي الى ما بلغك لزمان تدمع له العين حزناً واسى و ينقطع عليه القلب غيظاً وجوىً وضنى وشجى وما يصنع بما كان وحدث و بان ان احتجت الى العلم في خاصة نفسي فقليل والله تعالى شاف كاف وان احتجت اليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس الى ان تفنى الانفاس بعد الانفاس وذلك من فضل الله علينا ولكن اكثر الناس لا يعلمون . فلم تعني عيني ايدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح و بالسواد والبياض وهل ادرك السلف في الدين الدرجات العلى الا بالعمل الصالح وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزِبْرج (٢) وهوى بصاحبه الى الهبوط وهل وصل الحكماء والقدماء الى السعادة العظمى الا بالاقتصاد في السعي والا الرضى بالميسور والا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم فأين يذهب بنا ؟ وعلى اي باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب الا كجامع الفضة والذهب وهل المنهوم بها الا كالحريص الجشع عليها وهل المغرم بحبها الا كمكاثرها ؟ هيهات الرحيل والله قريب والثواء قليل والمضجع مقض والمُقام ممض والطريق مخوف والمعين ضعيف والاغترار غالب والله من وراء هذا كله

(١) سجر التنور أوقده . (٢) الزِبرج بالكسر الزينة بالوشي او الجوهر .

طالب . نسأل الله تعالى رحمة يظلنا جناحها و يسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد ان حصل تحت قدرته .

يشكو صحته وشيخوخته وعوزه

« ثم اني أيدك الله ماأردت ان أجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك ونأيك (مقيماً) مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء البساط لتعاور العلل عليّ وتخاذل الاعضاء مني فقد كلّ البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البيان وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس ولكني حرست منك ماأضعته مني ووفيت لك بما لم تف به لي و يعز عليّ ان يكون لي الفضل عليك وأحرز المزية دونك وماحداني على مكاتبتك الا ماأتمثله من تشوقك اليّ وتحرقك علي .وان الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك وأعظم تعجبك وحشد عليك جزعك والاول يقول :

وقد يجزع المرء الجليد و يبتلي عزيمة رأي المرء نائبة الدهر
تعاوره الايام فيما ينوبه فيقوى على امر و يضعف عن امر

على اني لو علمت في اي حال غلب عليّ ما فعلته وعند اي مرض وعلى اية عسرة وفاقة لعرفت من عذري أضعاف ما ابديته واحتججت لي باكثر ما نشرته وطويته واذا أنعمت النظر تيقنت ان لله جلّ وعزّ في خلقه أحكاماً ، لا يغارّ عليها ولا يغالب فيها لانه لايبلغ كنهها ولاينال غيبها (ظلمتها) ولايعرف قابها (مسافتها) ولايقرع بابها وهوتعالى أملك لنواصينا وأطلع على ادانينا واقاصينا له الخلق والامر وبيده الكسر والجبر وعلينا الصمت والصبر الى ان يوارينا اللحد والقبر والسلام .

حاشية له

« ان سرّك جعلني الله فداك ان تواصلني بخبرك وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل فاني لا ادع جوابك الى ان يقضي الله تعالى تلاقياً يسر النفس و يذكر حديثنا بالامس او بفراق نصير به الى الرمس ونفقد معه رؤية هذه الشمس والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك وعلى جميع اخوانك عاماً بحق الوفاء

الذي يجب علي" وعليك والسلام . وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة اربعمائة اه .

يعتذر ببلاغته عن فعلته

هذا هو كتاب التوحيدي كشف به الغطاء عن محيا حقائق عصره وألمّ فيه اي إلمام بما حداه على تعفية اثره لما لقي من الانكار وناله من اهل جيله وقبيله فهُجّن بما هُجّن وأزعج بما أزعج ولولا ان السوبداء غلبت عليه باقراره واليأس من الحياة وبنيها سد عليه مسالكه وزين له إتيان ما اتى على حين كانت ولا تزال بنات الافكار اغلى من كل عقار ونضار لما أُقيمت له معذرة ولا أُسبل على ذنبه ستر المغفرة . وبالسويداء قد يهلك المرء اعزّ حبيب على قلبه حتى اذا ثاب اليه عقله ندم على فعلته بل بالمرّة الصفراء قد يقتل نفسه والنفس أعزّ الاعلاق على الاطلاق . والتوحيدي مع هذا لم يأت بدعاً فريّاً ولعمله اشباه ونظائر في كل عصر ومصر . بيد ان الزمن الذي قلبه كل مقلب وغيره في اعطاف النعم يتقلب واخرجه من جلده ونبا به عن طوره بما رآه من خُبث وخَبَث وعَدَث وعَبَث — لم يرض ان يستلب جميع جواهره وعقوده ليستمتع بذرومن درره اهل الاجيال الحاضرة على نحو مااستمتع بها ابناء الأعصر الغابرة فقضى له من قبل المأتم الذي عقده لاحراق كتبه ان يتناقل الوراقون والطالبون أسفاره و يتنافسوا في نسخها واقتنائها فبقيت بصنيعهم هذه البقية الباقية الصالحة من أفكاره التي حفظت ذكراه على كرور الاعصار وطارت كل مطار في الاقطار والامصار .

وان اعظم ما ينتقد عليه في هذه الرسالة قوله انه جمع اكثر كتبه للناس ولطلب الفضل منهم وعقد لرياسة بينهم ومن الجاه عندهم . وقوله هذا ينافي في الحق هدي العلماء فان العلم يراد لذاته وتأليف الكتب يقصد بها نفع الناس ونشر فكر وبث حقيقة ثم يتوقع منها مأرب آخر هذا اذا كان يريد بعبارته ما فهمناه منها فان هذا التصريح مما يعاب عليه وما نرى هذه الافكار تلتئم مع الفلسفة والتصوف .

على انا رأينا ابا حيان في بعض احواله ومواقفه يقول غير هذا رأيناه يتوثب

وقد رأى في جامع الرصافة المعافا بن زكريا وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من اثر الفقر والبؤس والضر امر عظيم مع غزارة علمه واتساع ادبه وفضله المشهور ومعرفته بصنوف العلم سيما علم الاثر والاخبار وسير العرب وايامها فقال له : مهلاً ايها الشيخ وصبراً فانك بعين الله ومرأى منه ومسمع وما جمع الله لاحد شرف العلم وعز المال فقال : ما لا بد منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال :

يا محنة الدهر كفي ان لم تكفي فخفي
قد آن ان ترحمينا من طول هذا التشفي
طلبت جداً لنفسي فقيل لي قد توفي
فلا علومي تجدي ولا صناعة كفي
ثور ينال الثريا وعالم متخفي

« للكلام صلة »

محمد كرد علي

علائق الحبشة بالبلاد العربية

« في الجاهلية وفي الاسلام »

— ٣ —

(ذكر انكسار الاحباش وخروجهم من اليمن ورجوع الحكم الى العرب تحت سيادة الفرس) ·— سيف بن ذي يزن ويكنى بابي مرة من سلالة التبابعة ملوك حمير وآخرهم عهداً وهو الذي سعى في إخراج الحبشة من بلاد اليمن · وذلك ان ابرهة الاشرم لما تولى اليمن انتزع ريحانة زوجة ذي يزن وكان سيف صغيراً فترعرع في حجر ابرهة وهو يظنه اباه وكان ابوه قد أمَّ كسرى انو شروان يستصرخه على الحبشة وان يكون ملك اليمن له فوعده النصرة وطال تلبثه عنده حتى تصرم حبل اجله ·

فلما شبَّ سيف عنَّ لاحد ابناء ابرهة ان ينتقص شأنه فعيره وهجَّن اباه فهرع الى أمه وسألها عن امر ابيه فأعلمته اليقين فأقام حيناً الى ان مات ابرهة وابنه يكسوم وقام مسروق اخو يكسوم · فخرج سيف حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه امر الحبشة وسأله ان يخرجهم و يبعث من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه قيصر · فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وكان عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق فشكا اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل · ثم خرج معه فأدخله النعمان على كسرى فطأطأ رأسه و برك على نحو العادة المرعية في بلاط فارس وقال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة · فقال له كسرى : اي الاغربة الحبشة ام السند · فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك · قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم اكن لأورّط جيشاً من فارس بارض العرب · ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة · فلما قبض ذلك منه سيف خرج وجعل ينثر تلك الدراهم للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه وقال له عمدتَ الى حباء الملك تنثره للناس · فقال سيف وما أصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت أقدمها للملك الا ذهب وفضة · فجمع كسرى مرازبته (والمرازبة جمع مرزبان وهم الوزراء وعظماء السلطنة في

فارس) وقال لهم ما ذا ترون في امر هذا الرجل • فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل فلو انك تبعثهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي أردتَ بهم وان ظفروا كان ملكاً أردته • فبعث كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم (اي جعل عليهم عاملاً يعني قائداً) رجلاً منهم يقال له وَهْرَز • ولما وصلوا الى ساحل عدن جمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه • وقد قُتل مسروق بن ابرهة الحبشي في هذه المعركة ودخل وهرز مع سيف الى صنعاء •

قال ابن اسحق : عن هذه المعركة عني سطيح الكاهن بقوله « يليه إرمُ ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن » • فلما قتل مسروق وانهزم الحبش كُتب الى كسرى فامر ان يملك سيف بن ذي يزن وفرض عليه خراجاً وجزية في كل عام • وهكذا عاد ملك اليمن الى العرب ولكن بقيت السيادة العملية للفرس حتى ظهر الاسلام فأجهز عليهم وأدال دولتهم •

(ذكر هجرة الصحابة الى ارض الحبشة) •— حدث عبدالملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق قال : لما رأى رسول الله (ص) مايصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن ابن عمه ابي طالب وانه لا يقدر ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يُظلَم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه • فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ص) الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت هذه اول هجرة في الاسلام وكان المهاجرون من المسلمين الذين لحقوا بارض الحبشة سوى ابنائهم ونسائهم ثلاثة وثمانين رجلاً • فأمنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون في ذلك احداً وقد احسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به • (وهنا عدّدهم المؤلف فرداً فرداً باسمائهم) •

قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله (ص) قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وانهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم ان يبعثوا اليهم رجلين من قريش جليدين الى النجاشي فيردّهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وامنوا فيها • فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل

وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته . (والبطارقة جمع بطريق وهم عندالروم والحبشة كالاقيال عند العرب والمرازبة عند الفرس من عظماء المملكة وحكام الاقطاعات . والبطريق غير البطرك فالاول لقب لذي منصب سياسي و يدعوه الافرنسيون (patrice) او (Patrique) والآخر لقب لذي منصب ديني وهي اختصار لكلمة بطريرك اليونانية) .

قال ابن اسحق في عنعنة من حديث لام سلمة بنت ابي أمية ابن المغيرة زوج النبي (ص) قال قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا اهدوا له هدية . ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص فأمروهما بامرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدّما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار . فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم . وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردوهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لهما نعم . ثم انهما قدّما هداياهما الى النجاشي فقبلها منهما . ثم كلماه فقالا له عش ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولاانت . وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم عليهم فهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشي كلامهم . قالت فقال بطارقته حوله صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم . قالت فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا أسلم اليهما قوماً جاوروني

ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني . قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله (ص) فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه . قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الملل . قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال : عش ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار و يأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبدنحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وامرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً . وامرنابالصلاةوالزكاة والصيام . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا واحللنا ما احل لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وان نستحل ما كنا نستحله من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء عن الله من شيء . قالت فقال له جعفر نعم . فقال له النجاشي فاقرأه علي . فقرأ عليه صدراً من كهيعص . قالت فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم . ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله ما أسلمهم اليكما ولا يكادون . قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن

العاص والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن ربيعة وكان اتقى الرجلين لا تفعل فان لهم أرحاماً وان كانوا قد خالفونا . قال والله لأخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد . قالت ثم غدا عليه الغد فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم وسلهم عما يقولون فيه . فأرسل اليهم ليسألهم عنه . قالت ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه . قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم ما ذا تقولون في عيسى بن مريم . فقال جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي الى الارض ونال اذهبوا فأنتم آمنون بارضي ، من سبّكم غرّم . ردوا عليهما هداياهما فلاحاجة لي بها . فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه ، وما اطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه . فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاآ به . قالت واقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

(رجوع المهاجرين الى مكة) . — ذكر سفيان بن عيينة عن الاحلج عن الشعبي ان جعفراً بن ابي طالب رضي الله عنه رجع من الحبشة وقدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر .

وقال ابن اسحق ان قد بقي بارض الحبشة من اصحاب رسول الله (ص) حتى بعث فيهم رسول الله الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري بعد فتح خيبر فحملهم في سفينتين وقدم بهم الى مكة . فكان الذين رجعوا من الحبشة الثلث فقط ومات هنالك من مات والباقون تخلفوا عن المجيء . وقد تنصر بينهم واحد فقط وهو عبيدالله بن جحش فكان اذا مرّ بالمسلمين بعد نصرانيته يتهكمهم بقوله فقحنا وصأصأتم اي ابصرنا وانتم تلتمسون البصر فجرت هذه العبارة من ذلك اليوم مثلاً .

هذا حديث اول هجرة للصحابة الى الحبشة . وقد هاجروا اليها هجرةً ثانية وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل الى مكة وهو على شركه قبل اسلامه فلقي

المسلمون منه بلاءً وأذىً وشدة فهمّ بعضهم وهاجروا الى الحبشة لينضموا الى من بقي مقيماً في تلك الارجاء . وكان ذلك استناداً الى ما روي في مكة عن اسلام النجاشي .

(اسلام النجاشي اصحمة) . — كان اسم النجاشي ايام هجرة المسلمين الى الحبشة اصحمة والعرب يقولون الاصحم بن ابجر . قالوا انه أسلم سراً ولكن رواية اسلامه لاذكر لها في تاريخ ملوك الحبش . وقد رواها ابن اسحق فيما يلي قال :

بعث رسول الله (ص) ابن عمه جعفراً بكتاب الى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة . سلم انت فاني احمد الله اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله . وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين فاذا جاءك فاقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله . فقد بلّغتُ ونصحت فاقبلوا نصحي . والسلام على من اتبع الهدى » .

فكتب النجاشي الى رسول الله (ص) : « بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن ابجر . سلام عليك يارسول الله ورحمة الله و بركاته من الله الذي لا اله الا هو ألذي هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى . فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ثُفْروقاً . انه كما قلت . وقد عرفنا ما بُعثتَ به الينا . وقد قرينا ابن عمك واصحابه . فأشهد انك رسول الله صادقاً مصدَّقاً . وقد بايعتُك و بايعتُ ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثتُ اليك بابني ارها بن الاصحم بن أبجر فاني لا أملك الا نفسي . وان شئتَ ان آتيك فعلتُ يا رسول الله فاني أشهد ان ما تقول حق . والسلام عليك يا رسول الله » ..

ولكن بعد ان أورد ابن اسحق هذين الرقيمين التاريخيين عاد فأوقع القارئ في ريبة من امر الردّ (اي من امر جواب النجاشي) ومن امر صحة الرواية التي أسندها اليه اذ قال : ان النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة فاذ كانوا في وسط

البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا · كما ان تاريخ ملوك الحبش يدعو ابن اصمحة عَمْدَ صهيون وقد ملك على الحبشة بعد موت ابيه ·

وقال ايضاً المؤلف نفسه : حدثني جعفر بن محمد عن ابيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه · فأرسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفناً وقال اركبوا فيها وكونوا كما انتم · فان هُزِمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرتُ فاثبتوا · ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله و يشهد ان عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم · ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن[1] · وخرج الى الحبشة فقال : يامعشر الحبشة الستُ احق الناس بكم · قالوا بلى · قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم · قالوا خير سيرة · قال فما لكم · قالوا فارقتَ ديننا وزعمت ان عيسى عبد · قال فما تقولون انتم في عيسى · قالوا نقول هو ابن الله · فقال النجاشي واضعاً يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم ولم يزد على هذا شيئاً · فرُضوا وانصرفوا · قال ابن اسحق : ولما مات النجاشي كانوا بمكة يتحدثون باسلامه و بانه رؤي على قبره نور · وقد صلى عليه النبي صلاة الغائب ·

(فتوحات المسلمين في الحبشة) ·— عندما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام بعد ان كانوا في الجاهلية اشتاتاً بعضهم لبعض عدوّ كما ذكرنا فويق هذا · اخذوا يثيرون الحروب بقصد التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار · قال العلامة احمد زكي باشا احد اعضاء هذا المجمع العربي في احدى محاضراته على تلامذة الجامعة المصرية « ان الحرب هي من طبيعة الانسان او هي من المصائب الضرورية كما يقول علماء العمران · واية دولة قامت قديماً او حديثاً وتوسعت في العمران بغير الحرب » اه ·

وان في عداد الجيوش التي سيروها وفتحوا بها فتوحاتهم المشهورة في الشام ومصر

(١) القباء هو رداء الحبشة الوطني يُصنع من الوبر الاسود وهو يشبه البُرنس عند اهل تونس ومُراكُش وجزائر الغرب ·

والعراق وإفريقية حتى وفي بعض انحاء اوربا سرية صوبوها الى جارتهم الحبشة ففتحت اولاً بلاد الزيلع ونزلت ارض جَبَرْتَة التي تعرف اليوم بجَبَرْت وهذه البلاد هي صحراوية من اعمال الحبشة على ساحل البحر الاحمر . وانتشر منذ ذلك العهد الاسلام في جميع البلاد الساحلية السفلى التي تحيط بالحبشة الداخلية العليا وهي المعبر عنها في التواريخ العربية بالطراز الاسلامي لانها على جانب البحر كالطراز له ولا يزال منتشراً الى اليوم. والامراء الذين تولوها هم من بني عبد الدار ومن بني هاشم القرشيين . أشهرهم الامير عمر الذي يقال له كَشْمَع وولداه حق الدين ، وصبر الدين ، وعليّ بن صبر الدين ، وسعد الدين محمد ابو البركات ، وابو بكر بن علي ، والحوي بن منصور ، ومنصور بن سعد الدين وجمال الدين ، وحرب جوش ، واحمد بدلاي وغيرهم . وهؤلاء كانوا في غزوات مستمرة مع الاحباش على عهد النجاشيين اسحق بن داوود وأندراوس بن اسحق وحربناي بن داوود . حتى تمكنت منهم الاحباش وأخضعتهم لسلطة الصولجان ولكنها لم تظلم المسلمين ولا فتنتهم قط عن دينهم . وقد عامل النجاشيون الامراء المسلمين الذين ناوشوهم العداء معاملة حسنة حتى انهم عادوا فولوهم واولادهم من بعدهم على المقاطعات التي كانوا يحكمون عليها . وهكذا استتب الامر وهدأت الفتن دهراً طويلاً فيما بينهم . قال ابو جعفر : وقد بعث عمر (رضه) علقمة بن مجزّز المدلجي الى الحبشة في البحر وذلك ان الحبشة كانت تطرفت طرفاً من أطراف الاسلام فأصيبوا . فحلف ان لا يبعث برجاله الى ارض الحبش .

وفي منتصف القرن السادس للميلاد قام الامام احمد امير العدل المسلمين (ويلقبه الاحباش باحمد كران اي الاعور كما لقب العرب فيما سلف ابرهة الحبشي الذي حكم اليمن بالاشرم) بفتنة كبيرة واستمال اليه الامراء المسلمين حكام المقاطعات الحبشية الساحلية واستنجدهم على النجاشي فأنجدوه وقاموا معه جميعاً بالجهاد فدخلوا قلب الحبشة العليا ودوّخوا اهلها وجنودها وفتحوا مدنها وقتلوا ودمروا حتى كاد الحبشة ان يُغلَبوا على امرهم و يزول سلطانهم فاستنجد النجاشي ملك البرتقال . وكانت البرتقال يومئذ دولة ذات عزّ وبطش وسيدة معمورات واسعات الارجاء بعيدة الانحاء . وكانت الهند ملكها واغنى مستعمراتها . فأنجده بجيش نزل الى البر في مصوّع

سنة ١٥٤١ تحت قيادة خر يستوف دي كاما فكسر عساكر المسلمين في معارك كثيرة الا ان عسكره انكسر بعد ذلك وقتل القائد دي كاما في معركة مهمة . ولما نمي الخبر الى نائب ملك البرتقال في الهند وكان اخا القائد المقتول جهز نجدة أخرى وارسلها الى الحبشة فتمكنت من اصحاب الامام احمد وردتهم على اعقابهم . وقتل الامام نفسه في موقعة واينادكا فخلفه على سرير هرر ابنه نور ولاه النجاشي نفسه على تلك المقاطعة الحبشية الاسلامية المتوسطة بين الساحل والداخل . ومن سلالة نور الامير عبد الله صاحب هرر السابق وهو حي يرزق على ما اظن . وقد حدث لهذا الامير ان قام على النجاشي منيلك فكسره النجاشي واسره في بلاطه وكانت هذه الفتنة دسيسة من الانكليز في أواخر القرن الماضي تفهمها فيما بعد النجاشي فعفا عن اسيره الامير وعاد فولاه إمارته ورد اليه املاكه المحجوزة . واذ لم يحسن الامير بعد ذلك سياسته عزله وولى مكانه الراس مكونن من امراء الاحباش فلزم الامير عبد الله بيته بجانب المسجد الذي شاده هو من ماله . وقد تعرفت اليه في هرر وكان شيخاً هرماً محترم الجانب منكبًا على العبادة وتقوى الله . وكانت بيني وبينه صلة الصداقة .

ومن آثار فتوحات الامام احمد في قلب الحبشة العليا اسلام مقاطعة جمّا باجمعها وسكانها من قبائل الگالاّ فلم يجبرهم النجاشي على العودة عن اسلامهم وولى عليهم اميراً مسلماً يتوارث عنه ولده الإمارة . وقدأمّ امير جمّا بحاشية كبيرة عاصمة الحبشة اديس ابابا إبان اقامتي فيها لمواجهة النجاشي فتسنى لي التعرف اليه ويدعى الامير محمداً ابا جعفر . والحبشة يقولون « دجمّا ابّا جفار » . وهو الذي زوج ابنته من النجاشي يسوع الثالث الذي أسلم إبان الحرب العالمية .

(اسلام النجاشي يسوع الثالث بن ميخائيل) . — الراس ميخائيل ابو هذا النجاشي كان اميراً مسلماً يحكم في طاعة النجاشي بلاد قبائل الوّلو المسلمين وكان اسمه السلطان محمد علي . ثار على ملكه منيلك الثاني فظفر به النجاشي واسره وولى حاكماً مسيحيًا على بلاده . وكان محمد علي هذا رجلاً زكيًا فطنًا . فلما امسى اسيراً ذليلاً في قصر النجاشي ورأى في طبع منيلك حلماً ودعةً وفي سياسته ميلاً عظيماً لجمع القلوب وتأليف الوحدة الوطنية في إقطاعات مملكته . اخذ يستعطف و يتقرب من بابه ثم

انتصر على يده وهكذا دأب في التحبب اليه حتى نال حظوة لديه ولقبه بلقب رأس (وهو اكبر لقب في الحبشة يوازي لقب خديوي التركي و Vice roi الافرنجي) . وصاهره بان زوجه من ابنته البكر وأعاده عاملاً على بلاده يحكم باسمه قبائل الوآو . وقد رُزق من امرأته ابنة النجاشي ولداً ذكراً دعا اسمه يسوع . فلما نما هذا الصبي حتى بلغ السادسة او السابعة من عمره اتى به ابوه الى بلاط جده النجاشي حيث أقام مع اترابه اولاد الامراء الذين يؤلفون غلمان القصر .

« هذه العادة لا تزال متبعة الى اليوم في قصور النجاشي وأمرائه وهي قديمة العهد جداً وكانت مرعية عند ملوك اليونان والفرس والرومان وملوك اوربا جمعاء في عهد الاقطاعات وبعده . وهؤلاء الغلمان يدعوهم الافرنج (les pages du Palais) .

واذ أنهك المرض منيلك في أواخر ايامه واشتد تأثيره على دماغه ولم يكن له عقب ذكر يرث الملك من بعده حتى ولا واحد من ابناء عمه وذوي قرباه من العصبيين انقسم أمراء الحبشة فيما بينهم احزاباً في امر هذه الوراثة فشدّ بعضهم أزر الملكة طهايتو (و بالعربية الشمس) لترث التاج عن زوجها وتحيز غيرهم لابنته الثانية الاميرة زوديتو (و بالعربية صاحبة التاج) (لان البنت البكر زوج الراس ميخائيل كانت قد توفيت) وهي العاهلة الحاليـة . ومنهم من تحزّب للامير نفري (و بالعربية هيوب) ابن الراس مكونن (و بالعربية القاضي) وعضد الراس ميخائيل ابنه الامير يسوع حفيد النجاشي الداخل في طور النزاع ولف حوله لفيف من مريديه المقربين . فتغلب هذا الحزب بدهائه على سائر الأحزاب وافترص يوم ضعف شديد في عقلية النجاشي فأقنعه بتسمية حفيده الامير يسوع ولياً لعهده وكان لهم في يوم من شتاء عام ١٩٠٩ ما طمحوا اليه فنودي بالامير يسوع بن ميخائيل ولياً لعهد السلطنة ووارثاً لتـاج جده الامبراطور منيلك الثـاني وقـد جلس بعد وفاة جده على عرش الحبشة عام ١٩١٣ وتُوّج باسم يسوع الثالث وهو حدثٌ لا يتجاوز السنة السادسة عشرة من عمره . فتلاعب به الدساسون وكان اول عمل حملوه عليه تسمية ابيـه الراس ميخائيل قائداً عاماً لقوات الحبشة ثم قلد أهم مناصب المملكة لمريديه من الحزب الذي ينتمي اليه فكان

من وراء هذا الفعل ما كان من استياء بقية الاحزاب وانتقاضهم عليه واشتعلت الحبشة بثورة يخرج شرحها عن ملاك موضوع هذه المحاضرة ·

ولما هبت رياح الحرب الكونيـة واشتعلت نيرانها اغتنم الالمان فرصة الثورة الضاربة في الحبشة وعملوا على الانتفاع منها وتحويلهـا لمآربهم وكان النجاشي يسوع قد هرب ببعض رجاله الموالين الى هرر · وهنالك دهاه الالمان وأشاروا عليه بالعودة الى دين أجداده موهمينه انه بهذا يستطيع ان يجيش قبائل المسلمين في السواحل فيسترد بها عاصمته ويقهر اعداءه القائمين عليه · ولم يكن الالمان ليبطنوا في ذلك الا الاغارة بهذا الجيش على المستعمرات الافرنسية والانكليزية والايطالية القائمة على شواطئ بحر القلزم · وقد جازت حيلة الالمان السياسية على النجاشي يسوع فأذعن لهم وأسلم ودُعي محمد يسوع وبث الدعوة الى الجهاد بين الحبشة المسلمين فتبعه قوم منهم وخشي قوم سوء المغبة فلم ينجدوه · و بلغ ذلك أسقف الحبشة الانبامتاؤوس المصري الصعيدي (المتوفى حديثاً) فأفتى بخلعه · ونصح سفراء الحلفـاء للاحزاب فانضموا بعد تشتيت آرائهم وعادوا فألفوا كتلةً واحدة وطنية رصت بنيان كيانها ونادت بالاميرة صاحبة التاج ابنة النجاشي منيلك عاهلةً بالأصـالة سنة ١٩١٦ وبالامير تفري ابن الراس مكونن قيما على المُلك بالوكالة ووليّاً للعهد لان العاهلة المذكورة مترملة من زوجهـا عن غير عقب ·

واذ نهض النجاشي محمد يسوع بالموالين الى العاصمة ليفتحها عنوةً تشتت شمل جنده ووقع ابوه الراس ميخائيل اسيراً فانهزم عند ذلك النجاشي الى صحراء الدناكل وعزم ان يجتاز البحر الاحمر الى ساحل اليمن فلم يفلح لان اعداء أصحابه الالمان كانوا له ولهم بالمرصاد فلجأ الى مقاطعـة تكره حيث لحق به الامير تفري فأسره وساقه الى منفى الملوك · وبهذا انتهى امر هذا النجاشي وامر دسائس الالمان الذين استخدموه لقضـاء مآربهم فكانوا سبب شقائه ·

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله رعد

الادب في البحرين
- ٣ -

ومن اغلاط الكتابة :

(واجفاناً (مأرقةً) دواما لها عن خاطب الغمض امتناع)

والصواب مؤرقة لان ما قبل الهمزة مضموم · ومن خواطئه اللغوية قوله :

(لم يألفوا كنف العقيق وانما شتوا بارباع الضمير وقيضوا)

بالضاد المعجمة وصوابه قيظوا من القيظ اشدّ الصيف حراً لا من القيض وهو قشر البيضة · ومنه قولهم مح البيض خير من القيض وقيّض تستعمل بمعنى قيض الله له الخطأ او الصواب وما اشبه ذلك من التعبير ·

ومن الخطإ النحوي قوله في صدود البيض عن شعراته البيض :

(أوَ للبيض عن سناهن أوما كان (ناشٍ) عنٍ صدهن صدود)

والصواب ناشئًا خبر كان المقدم ·

ومن عيوب النسخ مسخ اجفال باجفان في بيت يصف فيه النياق :

(لهن اذا ما استرفض الآل سمته على الأين (اجفان) النعام المطرّدِ)

ومن مخالفة العروض والوزن الذي وقع فيه الناسخ قوله :

(لو كان في وسع جهدي ان ابثكم شوقي واشكو(اليكم) وجدي وتبريجي)

الصواب لكم · ومن أغلاطه اللغوية قوله :

(يا شوى قلبي على البعد فهل من لقاً يعدي على ذاك ووصلي)

فهو يريد مصدر شوى اللحم شيًّا وشواء واما الشوى فما ليس بمقتل من الانسان تقول رمى الصيد فأشواه نقيض أصماه ، ومن المجاز اعطاني من الشوى وهو رذال المال وكل ذلك شوىً ما سلم شرفي اي هو حقير ، وتعبيره يا شوى قلبي من اقوال العامة في البحرين وفي الشام ايضاً تقول الثكلى عندنا « يا شوى قلبي عليه » اي على فقيدها ولو وضعها بين قوسين يدلان على الرواية لما خطأناه · ومنها استعماله التفرّاق للفراق وهو غير صحيح ولا مستعمل لا في الشام ولا في العراق ·

(فان من جمع الزوجين قبلك لا يعيــا بألفتنا بعد التفرّاق)

اي لا يتعب بجمعنا بعد تفريقنا وهو بيت ضعيف الأسر لم يجوّد حبكه .

ومن مسخ النسخ قوله :

(وخذوا بالترات من قاتل الشعر فما الحزم ان تضاع الذحول)

والصواب الترات جمع ترة وهي الوتر اي الثار تقول : هو اطلب النــاس للترات ما بين دجلة والفرات ، ولا معنى للتراث وليس هنا من يأكله اكلاً لمّا ، والذحول في آخر البيت دليل على صحة ما نقولـــ :

ومن الأغلاط النحوية ولعله من مسخ النسخ ايضاً :

(فما اشقاك يا من لا يذقه واحظى من تعاطاه واسعد)

ويغلب الظن على المسخ ان الوزن يستقيم لو قالـــ : يا من لم يذقه ، وكلامه على نبات الحشيشة الملعونة ، ولو نظمنا في وصفه لقلنا :

(فما اسماك يا من لم يذقه واسفلَ من تعاطاه وانكد !)

هذا ولعل في ديوان ابي البحر غير هذه الهفوات اليسيرة وهي بالنظر الى تجويداته الجمة كالحسنات يذهبن السيئات . واما الديوان من وجهة الادب الحقيقيــة اي الأخلاق ، فجل قصائده قيلت في المدح وفيه من المغالاة والاغراق ما لا يحمد ، خلا ما قاله في الرثاء المحمول على الوفاء ، فمن إغراقه الكاذب قوله :

(وزفرة لو ثوى اليوم الخليل بها اودى ولم يغن عنه برده فيهــا)

(لو سيم وبل الحيا اطفاء وقدتها لم تلفه ومياه الأرض تطفيهــا)

(وعبرة لو دعي نوح ليسلكهــا بفلكه قال : بسم الله مجريهــا)

ومن هذه الاحالة التي يمجها العقل السليم وذوق العصر الحاضر قوله :

(أصبحتُ أثقلَ مني نملة فزنوا بي بعضها يرجح بكلي)

(ثم لو قـــد حملتني بقة ! مدة الايام لم تعي بحملي)

وفي تعيِ المجزومة زحاف كان له عنه مندوحة بقوله لم تتعب .

واما الرثاء فقد بز فيه اقرانه ولا سيما مراثيه في آل البيت فانها :

(ارق من دمعة شيعية ترثي عليّ بن ابي طالب)

وقد اشتهرت مرثيته في الامام الشهيد ابي عبدالله الحسين واسرته الطاهرة وهي التي مطلعها : (معـاهدهم بالابرقين هوامد رزقن عهاد المزن تلك المعاهدُ)

ولو قال : سقين لكان أعرب وأطرب ومنها في وصف ذلك المستبسل :

(كأني به في ثلة من رجاله كما حف بالليث الاسود اللوابد)
(اذا اعتقلوا سمر الرماح وجردوا سيوفاً اعارتها البطون الاساود)
(فليس لهـا الا الصدور مراكز وليس لها الا الرؤوس مغـامد)
(الى ان ثووا في الرمل صرعى كأنهم نخيل أمالتهن أيد عواضد)
(ولم يبق الا واحدالناس واحداً يكابد من أعدائه ما يكابد)
(يحامي وراء الطاهرات مجاهداً باهلي وبي ذاك الحامي المجاهدُ)

ومن شوائبه ومعائب جبلة الاستجداء والبذاء في الشعر ومدح ما هو خليق بالذم كمدحه الحشيشة بقصيدة طويلة تحبب التحشيش الى قلب كل سخيف العقل كالقصيدة التي نظمها جواباً لحشيشية بعض فتيان القطيف وفي قصيدة ابي البحر من فاحش البذاء ما يندى له جبين الحياء ومن استجدائه الشـائن قوله يعاتب بعض العلويين الشريف ناصر القاروني مستجدياً .

(ما كنت احسب والعليـاء مولعة بخفض شأن اخي العلياء والحسبِ)
(اني أمد لا ندى العـالمين يداً يدي لاعلق ما أوتيـه من نشبِ)
(حتى سألتـك يا احنى الانام على ضعفي قوتَ و يا احنى البرية بي)
(فظلت توسعني مطلاً يضيق به صدري ويضطرني كرهاً الى العتب)

فكيف يكون اندى العالمين يداً من يوسعه مطالاً يضيق به صدره فيضطره الى العتب الى ان يقول في الجواد المطُول :

(اما الوفاء فشيء قـد سمعت به ولن تراه ولو امعنتَ في الطلب)

وانظر الى بعد همته ومبلغ عزته قائلاً :

(أصبحت منذ اليوم ضيقةً يدي فابعث اليَّ ولو بعثت بدرهم)
(انا غرس أنعمك التي لاعذر لي ان لم أواصل شكر تلك الانعم)

واما محاسن ابي البحر فجمة منها ما كان في حب اوطانه والحنين الى اهله وخلانه كقوله :

(أأحبابنـا والمرء يا ربمـا دعا أخا النأي ان ضاقت عليه مناوحه)
(هل الدهر مديني اليكم فمبردٌ لهيبَ اشتياق يرمض القلب لافحه)
(كفى حزناً اني بشـيراز مفرد اباكر ما يضني الحشا وأراوحه)
(وشوقاً لواسنجلى سناه اخوالدجى لاغناه عن ضوء المصابيح قادحه)
(احن فلاألقى سوى هاتف الضحى يطارحني شكوى النوى وأطارحه)
(يكاد اذا هزّ الجناح لخانه نقض بترجيع الحنين جوانحه)
(خـلا انه ذو رفقـة فنى دعا تجبه على قرب المكان صوادحه)
(يشن عليّ البعـد غارات جوره وتهتف بي من كل فج صوائحه)
(له الغلبُ فليثن الاعنة مبقياً عليّ فما عندي جنود تكافحه)
(سقى جدّ حفصَ الغيث سحاً ولوهمى لهاالدمع اغناهاعن الغيث راشحه)
(ولازال خفاق النسيم اذا سرى عليـلاً يماسي جوها و يصابحه)
(بلاد اقام القلب فيهـا فلم يزل وان طمحت بالجسم عنها طوامحه)
(هل الله مستبق ذماي بعودة اليها يريني الدمع قد هش كالحه)

ان هذا الشعر ليفيض شعوراً ولو ترجم الى اية لغة اجنبية لشـارك الفرنجي الشاعر في حزنه وأشجانه وبكى لغربتـه وبعده عن أوطانه ، واما حنينه الى اهله وولده فيحاكي به حنين شـاعر الفرنجة فكتور هوغو الى ولده وولع شـاعرنا بولع شاعرهم أشبه من الجمرة بالجمرة قال ابو البحر :

(ان يصبني ذكر الديار فانه لاناث أصبية بها وذكور)
(وجدي الصغير بها لاصغرصبيتي وكبير أشواقي بها لكبيري)
(وكريمة الطرفين جُرّ على النقى والدين فاضل ذيلها المجرور)
(ومهفهف زرت غلائلهُ على غصن يميل به النسيمُ نضير)
(رشـأ جراحاتي جبـار عنده ابداً وكسري ليس بالمجبور)
(ضاحي الجبين وانه ليريك من تحت الخمار شمـائل المخمور)
(انا اسعد الثقلين ان ادناهمُ مني رواحي نحوهم وبكوري)
(لأجشمن الناجيات اليهم والسفن قطع مفـاوز وبحور)

(ولاالقين بحر وجهي نحوهم حرين حر هوىً وحر هجير)
(فعسى ابتذال الصون يفضي بي الى من صين تحت اكلةٍ وستور)
(فأبيت قد القيت اعباء السرى وارحتُ ظهر مطيتي وبعيري)
(ان كان ذاك فياسعادة طالعي ونجاح آمالي ويمن طيوري)
(يامن اسيّر كل يوم نحوهم كتبي اذا اعيا على مسيري)
(لا تحسبوها انها كتبت لكم بسواد حبري بل سواد نظيري)
(من لا يطيق فراق يوم واحد لكم فكيف يكون بعد شهور)
(آهِ ، وقلّ على أوال تأوهي فاذا جننت بها فغير كثير)
(ما كنت مبتاعاً ازقة فارسٍ بالفيح من عرصاتها والدور)
(هيهات ما شيراز وافية بما في تلك لي من نعمة وحبور)
(بلد تعادل صيفها وشتاؤها في الطيب للقرور والمحرور)
(يتكاءدُ الرزق العباد وانه فيها على باغيه غير عسير)
(سيان عيشة كادحٍ ومرفه فيها ونعمة موسر وفقير)
(ان طبق المحل البلاد فاننا في روضة من خصبها وعبير)

الى ان يقول :

(لا عيب فيها غير ان حياضها شرعٌ لورد الليث والخنزير)
(هي جنة لو ميّزت نعماؤها ما بين عبد مؤمن وكفور)
(يا جادَها الهتن الملثّ فاصبحت غرضاً لحلول النطاق غزير)

انا قرأنا في اللغة الفرنسية كثيراً من قصائد الحنين الى الاوطان والاهل والاخدان مما يحل الحليم له الحبوة ، وتنشأ له في قلب الخلي الصبوة ، واقسم لو قرأنا هذا الشعر في اية لغة فرنجية كانت او مايساميه ادبا ، لخرجنا من جلودنا طربا ، ولااقول هنا لطربي لو قال : بلد تعادل صيفه وشتاؤه لأصاب شاكلة الصواب وتظهر مزية هذا الشعر ، وسمو مرتبته ، اذا نُظر الى العصر الذي قيلت فيه وهو عصر الانحطاط الادبي في العالم العربي .

ومن طرائف ابي البحر المستملحة انه بلغه عن بعض فتيان القطيف انه يقول الشعر

فاستنشده فأنشده مالم يرزق لديه حظوة ونقد شعره فوقع فيه ذلك الشعرور فقال ابو البحر هازلاً ومؤدباً ماينطبق على كثير من مستعلجة شعرائنا ومتفرنجة أدبائنا :

(يا خليليَّ من ذؤابة شيبا ن وبدعى لما ينوب الخليلُ)
(ان هذا الفتى الذي وسم الشعـ ـرَ بعارٍ ما ان نراه يزول)
(قد نفى مدية الجهالة يفري ودج الفضل فهو منه قتيل)
(يا حماة القريض هبوا لاخذ الـ ـثار فالخطب لو علمتم جليل)
(وخذوا بالترات من قاتل الشعـ ـر فما الحزم ان تضاع الذحولُ)
(لاك في فيه شحمة الشعر من لم يدر ما فاعل ولا مفعولُ)
(وادعى رتبة البلاغة في القو لِ غبي لم يدر ايش يقولُ !)

وقال فيه ايضاً وبنى قصيدته على مطلع لاخيه الغنوي وهو هذا :

(اعمل لنفسك مثقالاً ومعياراً واسرر اباك بان يلقاك عطاراً)

فقال ابو البحر ما يشبه قول الشاعر الفرنسي الكبير بوالو (Boileau) في قصيدته (صناعة الشعر [1]) : « كن بالحري بناءً ان كان ذاك استعدادك » (Soyez plutôt maçon, si c'est votre talent) وقد نظمت هذا المعنى على البحر والقافية :

(كن بالحري انت بناءً ومعمارا ان كان طبعك هذا او فنجارا)

ابو البحر :

(او فاتخذ لك سنداناً ومطرقة واعمل متى شئت سكيناً ومسمارا)
(او فاتخذ لك منشاراً وقشترة وكن كنوح نبي الله نجارا)
(او صائغاً يسبك العقيان يبرز من ابريزه للنسا صفاً ودينارا)
(او فاتخذ لك مزماراً ودبدبةً وعش لك الخير طبالاً وزمارا)
(او كن فديتك صفاراً فليس على علياك بأس اذا أصبحت صفارا)
(او كن كصاحبك الادنى اباحسن أعني علياً [2] فتى عمران زرّارا)

(١) L'art poétique . (٢) علي بن عمران من آل عبد المحسن من القطيف كان بينه وبين المتشاعر ألفة وحرفته صنعة الازرار .

(او فاتبع ابن مهنى[١] في بزازته ... اوفامش خلف فتى شنصوه[٢] قصارا)
(او فاسأل ابن مهني علم صنعته ... مما يفيدك بالدينار قنطارا)
(او عالج الأتن في أدوائهن وكن ... شروي خميس بن خضّاموه[٣] بيطارا)
(اوفاقتلع من رشالا[٤] الطين متخذاً ... منه الجرار وعش في الخط جرارا)
(اوفاقتن الأتن واحمل فوقها حطباً ... فخير شيء اذا أصبحت حمارا)
(اوفاحمل الفخ واذهب حيث شئت تصدْ ... به لصبية أهل الخط اطيارا)
(وان سمعت مقالي فامض متكلاً ... على الهك في الابوام[٥] بحّارا)
(وانْ ترفعت عن هذا فحيّ على ... استغفار ربك تلق الله غفارا)
(وقيما في بيوت الله تسمعنا ... أذانك العذب آصالاً واسحارا)
(اومنشداً مدح خير الناس!!! حيدرة ... او قارئاً في نواحي السوق اخبارا)
(ولا تلمّ بربع الشعر انْ له ... ظعناً تأخرت عن مسراه اذ سارا)
(قد حلّقت بنفيس الشعر طائره ... عنقاء مغرب فاقعد عنه اذ طارا)
(وها كها كشواظ النار لافحةً ... أثناء قلبك لا تألوه اسعارا)

وبهذه الأهجية العجيبة حاكى ابو البحر مهرة السحرة من الفرنجة ، وانظر ماأوجع تهكمه بقوله ناصحاً : وان سمعت مقالي فامض متكلاً على الهك الخ . وما اكثر ادعياء الأدب فينا ممن لو شعروا بنقصهم وتخلفهم لما شعروا ، ولما عدوا من المفاخر ، ما يأتوننا به كل يوم من المساخر ، فنسأل الرحمن الرحيم انْ يلهمنا رشدنا ويهدينا السراط المستقيم .

ابو قيس
عز الدين آل علم الدين

---

(١) محمد بن مهنى الحسيني من باعة البز في القطيف ومن أشراف البحرين له فضل وأدب أكب على علم الصنعة الالهية اي الكيمياء . (٢) سليمان بن محمد شنصوه كان قصاراً في البحرين . (٣) كان مشهوراً في القطيف بمعالجة الحمير والرفق بهم جزي خيراً . (٤) مقلع للطين . (٥) جمع بوم وهو السفينة الكبيرة ويعرف بهذا الاسم في خليج البصرة .

عدة الكاتب

— ٣ —

الوِصْر السجل والجمع اوصار · والوِصْر والوَصِيرة والوَصَرَة والأَوصر الصك · والوِصْر كتاب الشراء والاصل إصر لان الإصر العهد وفي اللسان الوِصْر الصك وكتاب العهد ·

السِفْر الكتاب · وقيل هو الكتاب الكبير والجمع اسفار والسافر الكاتب لانه يبين الشيء ويوضحه والجمع سفرة ·

الصَّك الكتاب والذي يكتب للعهدة معرب چك وجمعه صكاك وصكوك وكانت الارزاق تسمى صكاً لانها كانت أُخرَج مكتوبة ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك والقطوط وفي حديث ابي هريرة قال لمروان احللت بيع الصكاك هي جمع صك وهو الكتاب · وذلك ان الامراء كانوا يكتبون للناس بارزاقهم واعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل ان يقبضوها معجلاً ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه فنهوا عن ذلك لانه بيع ما لم يقبض · وفي المصباح الصك الكتاب الذي يكتب في المعاملات والاقارير وجمعه صكوك وأَصُك وصكاك · وصك الرجل للمشتري صكاً من باب قتل اذا كتب الصك ·

القِط الصك بالجائزة · وكتاب المحاسبة · قال في اللسان والقِط في كلام العرب الصك وهو الحظ والنصيب · واصله الصحيفة للانسان بصلة يوصل بها ·

الإضبارة الحزمة من الصحف وهي الإضمامة يقال جاء باضبارة من كتب وإضمامة من كتب وهي الأضابير والأضاميم ·

وضَبَر الكتب يضبُرها ضَبْراً جعلها إضبارة · وضبّرها تضبيراً جمعها والضُبار الكتب لا واحد لها (١) ·

(١) والضَبْر جلد يغشي خشباً فيها رجال يقربون الى الحصون لقتال اهلها والجمع ضبور · ومنه قولهم انا لا نأمن ان يأتي بضبور هي الدبابات التي تقرب للحصون لتنقب من تحتها الواحدة ضَبْرة · والضَبْر الجماعة يغزون على ارجلها · والرجّالة ·

الدفتر بفتح الدال وكسرها جماعة الصحف وقال الجوهري الدفتر واحد الدفاتر وهي الكراريس ·

البَرْنامَج · الورقة الجامعة للحساب ·

الرَاهْنامج · كتاب الطريق يسلك به الربانية البحر يهتدون به في معرفة المرامي وغيرها وهو معرب ·

الفهرس بكسر الفاء والراء وسكون الهاء الكتاب الذي تجمع فيه الكتب · وهو معرب · وقال الخوارزمي هو كتاب ودفاتر تذكر فيه الاعمال ويكون في الديوان وقد يكتب فيه اسماء الاشياء · وفي شفاء الغليل ان هذه اللفظة فارسية وفارسيتها بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين مهملة ساكنة ثم مثناة فوقية ساكنة ايضاً [فِهْرِسْتْ] ومعناها اجمال الاشياء لتعديد اسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب · ثم انهم عربوه فقالوا فهرس يفهرس فهرسة كدحرج · وفي التاج وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا فهرس كتابه ·

البطاقة · الورقة وقيل رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه ان كان عيناً فوزنه اوعدده وان كان متاعاً فقيمته · وقيل الرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها رقم ثمنه ·

الرُقْعة واحدة الرقاع التي تكتب ·

المنشور من كتب السلطان ما كان غير مختوم ·

الطامور والطومار الصحيفة قيل هو دخيل وقال ابن سيده أراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتده في الابنية فقال هو ملحق بفسطاط ·

الألوك والألوكة والمَأْلُك والمأْلُكة والمأْلَكة · الرسالة ·

القائمة الورقة من الكتاب وقد تطلق على جميع البرنامج ·

الرفيعة القصة يبلغها الرجل ويرفعها على العامل يقال لي عليه رفيعة ورفائع وهو مجاز ·

الرَقيم الكتاب يقال رقمت الكتاب اذا كتبته فهو رقيم ومرقوم ورقم الكتاب يرقُمه رقماً أعجمه وبينه وكتاب مرقوم اي قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط · ورَقَمْت الشيْ أعلمته بعلامة تميزه كالكتابة ونحوها · والتاجر يرقم ثوبه بسمته ·

ورقّن الكتاب ترقيناً زينه · والمرقّن الكاتب وقيل المرقّن الذي يحلّق حلقاً بين السطور كترقين الخضاب ·

ويقال رقّن الكتاب اذا قارب بين سطوره وقيل رقّنه نقطه وأعجمه ليتبين والترقين في كتاب الحسبانات تسويدالموضع لئلا يتوهم انه بيض كيلا يقع فيه حساب · وفي التاج والترقيم والترقين بالميم والنون علامة لاهل ديوان الخراج من اصطلاحاتهم وذلك بان تجعل على الرقاع والتوقيعات والحسبانات لئلا يتوهم انه بيض كيلا يقع فيه حساب ·

ويقال بنّق الكتاب اذا جوده وجمعه ·

ونبّق الكتاب سطره وكتبه · ونبق الكتاب لغة في بنقه والنَّبْق مثل النَّمْق الكتابة · يقال نَمَق الكتاب ينمُقُه نمْقاً كتبه ونَمَّقه حسنه وجوده · ونَمَّق الجلد ونَبَّقه نقشه وزينه بالكتابة · والنَّمَق الكتاب الذي يكتب فيه ·

ولمَق الشيءَ يلمُقه كتبه · ولمقه محاه وهو من الاضداد يقال لمقه بعدما نمقه اي محاه بعدما كتبه ·

الرَّقْش الخط الحسن · والرَّقْش والترقيش الكتابة والتنقيط والترقيش التسطير في الصحف ·

الخَرْبَشة افساد العمل والكتاب يقال كتب كتاباً مُخَرْبَشاً · وكتاب مخرَبش اي مفسد · وكان كتاب فلان مخربشاً اي فاسداً · والخَرْمَشة افساد العمل والكتاب · وقد خرمشه · والخربشة والخرمشة الافساد والتشويش[1] ·

عضو المجمع العلمي العربي

سليم الجندي

(١) هكذا جاءت لفظة التشويش في كتب اللغة فنقلناها على ما فيها ·

فصح وشوارد

حُبيتَ وَسعِدتَ ، لاشقيت في عيشك ولا بعِدتَ . فمن انتم خلّد عليكم النعم . رموهم عن قوس العداوة واضمروا لهم ضِغن الشنآن . من فُرَص اللص ضجة السوق . يقال هو يُخلي وربما مرت له الابيات مفسولة ليس فيها بيت رائع اي يعمل الابيات ولا تصيب فيها بيتاً نادراً كما انالرامي اذا رمى برشقه فلم يصب منه بشيء قيل اخال . امدهُ الناس ابصارهم واسماعهم متوقعين لما يتمُّ به . ضحك الناس به وصار شهرة . تقول العرب مَدجَّج ومُدَجِج وعبد مكاتِب ومكاتَب وشاد مغرِب ومغرَّب ومكان عامر ومعمور وآهل ومأهول و نَفست المرأة ونفِست وعُنيتُ بالشيء وعَنيت به وسعِد فلان وسُعِد وزُهي علينا وزها . اي انهذه الالفاظ كما قال الثعالبي تأتي بلفظ المفعول مرة وبلفظ الفاعل مرة والمعنى واحد .

يقال سر كاتم اي مكتوم . يقال ظلّمه اذا نسبه للظلم وجهله اذا نسبه للجهل . ما رأيت احداً أشد بَذخاً بالكفر من فلان . تقول أكريت الدار مشاهرة ومسانهة ومياومة ومناهرة وملايلة ومساوعة من الساعات . وما امنع ان يكون ... وما ادفع ان تكون ... فلان مُضيَّق محَنق اي متضايق من الدين متألم . شمل البلى ابلادها (آثارها) . يقال امرأة ذَكِرة اذا تشبهت بالذكور . ليس يحل لاحد قرفه به (اتهامه) . كما وصفت بديًّا (اي باديْ بدءْ) . انه لحبيب اليّ ان اوفر اموالهم . استيقظ فزعاً وقد بَشِم بهم اي ضاق بهم ذرعاً . وايم الله لو اردت غير هذا من رخاء او غضارة عيش لكان اللسان به مني ذلولا . فكان اذا صُنع له طعامه هيْ على شيء وغطي حتى اذا دخل اجتبذه فأكل . لم يأل حتى تملأ . حسن الجسم ممتلئ البَضعة . ولعمري ان هذا لجَوْر حق الجور . نحن في ايام الفصل (Demi - saison) لاشتاء ولا صيف . هن في الجمال والبزازة وحسن الهيأة كما شاء ربك . ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعف اقلامهم .

[قال الثعالبي : كلة واحدة من الالفاظ تختلف معانيها باختلاف مصدرها وليس للعرب كلة مثلها هي قولهم وجد ، كلة مبهمة فاذا صُرّفت قيل في ضد العدم وجوداً

وفي المال وُجْداً وفي الغضب موجِدة وفي الضالة وجداناً وفي الحزن وَجْداً . وقال: فصل في الفرق بين ضدين بحرف او حركة ذلك من سنن العرب. كقولهم دَوِيَ من الداء وتداوى من الدواء واخفر اذ أجار وخفر اذا نقض العهد وقسط اذا جار واقسط اذا عدل واقذى عينه اذا القى فيها القذى وقَذاها اذا نزع عنها القذى وما كان فرقه بحركة كما يقال رجل لُعَنَة اذا كان كثير اللعن ولُعْنَة اذا كان يُلعن وكذلك ضُحَكَة وضُحْكَة في أشباه لذلك] .

حدوة لهم على استعمال الامانة — اي سوق لهم وحث . استوبلوا عواقب الامور — استوبل الشيء اذا تركه لوخامته وان كان محبّاً له . الناس فيه أسوة — سواء — اياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، او التسقط (التهاون) فيها عند امكانها . لقد تيست فيها وتنس مالك — تيسه تتييساً رده عنه ومنه حديث علي لاتيسنهم عن ذلك اي لابطلن قولهم . فلان هرّه الناس اذا كرهوا ناحيته . تطنفت نفسه الى المحقرات — اشفت واشرفت عليه . ولا ينتجي الادنين فيما يحاول — يقال انتجاه اذا افضى اليه بسره وخصه به .

للؤمل بن اميل مات في حدود سنة ١٩٠ .

لا تغضبن على قوم تحبهم ... فليس منك عليهم ينفع الغضب
ولا تخاصمهم يوماً وان ظلموا ... ان الولاة اذا ما خوصموا غلبوا
يا جائرين علينا في حكومتهم ... والجور أقبح ما يوتي و يرتكب
لسنا الى غيركم منكم نفرُّ اذا ... جرتم ولكن اليكم منكم الهرب

محمد كرد علي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية وزسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٦ =

ويقول دانتي في أغنيته الاولى من جهنم انه سأل فيرجيل كيف كان حضوره اليه في الغابة المهلكة وفي ذلك المقام المخيف ، فيجيبه فيرجيل ان بياتريس (وهو اسم معشوقته كما تعلم) فداستدعته من مقره واستحلفته ان يذهب و ينجد محبوبها و يسعف ملتمسه ، وان شفقتها على محبوبها هي عذرها في التماسها هذا منه ، وانها وعدته بالثناء عليه عند عودتها الى سيدها (ربها) . الاغنية الثانية من جهنم .

وفي الاغنية الثالثة يقول : ولما وصلنا (هو وفيرجيل) الى ساحل ذلك البحر الجهنمي ظهر لنا شيخ معمر (عممه الشيب) على سفينة وصاح بنا الويل لكنّ ايتها الانفس الشريرة لا تترجين البتة في الرجوع الى رؤية السماء ، ها انا آت لاحملكن الى الشط الآخر في منطقة الظلمات والى وسط النيران المضطرمة والجليد الابدي ، وانت ايها الانسان الحي من هم الذين اتوا بك الى هنا ؟ أبعد عن الاموات الخ حينئذ قال له قائدي (اي فيرجيل) ياكارون لا تدافع ، : هكذا يريدون هناك حيث يقدرون على كل ما يريدون فلا تسأل شيئاً فوق هذا :

اما هي قصة ابن القارح مع رضوان والزهراء وجاريتها بعينها ؟ هذه في الفردوس ودانتي في جهنم والاسماء مختلفة فقط . وكما اجتمع ابن القارح في الفردوس مع جماعة من الشعراء الزنادقة ، فان دانتي يجتمع في جهنم مع أعاظم الشعراء الوثنيين وهم هوميروس وهوراس واوفيد ولوكان (او لوكانس) ، ولكن لم يجتمع بهم ليسألهم ان ينشدوه أشعارهم للتحقيق عما نُقل عنهم في الادب او التاريخ ، بل ليعترفوا له بالفخر الذي هو به جدير ، و يعدوه سادسهم ، (وان لم يذكراسم الخامس فهو قائده ومرشده فيرجيل)

وانه مشى معهم حيناً نحو ذلك النور الساطع (في ظلمات جهنم) وانهم قد تحادثوا بما يحسن السكوت عنه في هذا الوقت ... وقد وجدنا انفسنا قرب قصر منيف محاط بسبعة اسوار يجري تحته نهر سلسبيل غير عميق ، قطعناه بسهولة ، ثم دخلنا الى ذلك القصر من سبعة أبواب (حكاية عدد السبعة) حتى وصلنا الى روضة رصّعها نبت نضير رطب ... ثم يجتمع بطائفة من فلاسفة اليونان والرومان يذكر اسماءهم ، ويذكر اسم الرئيس ابن سينا وابن رشد واسماء بعض القياصرة وبينهم اسم صلاح الدين الايوبي . (الاغنية الرابعة من جهنم) .

بيد ان هذا الاجتماع وان حصل في جهنم ، فقد كان في قصر فخم منيف تحف حوله رياض وانهار ... (ونترك الكلام الآن على أمثال هذا الخلط الى الخاتمة) .

وكما صوّر المعري تلاعن ابن القارح والشياطين ونشادابليس الزبانية ان يجذبوا ابن القارح الى اعماق جهنم وجوابهم له ليس لنا ياابا زوبعة على اهل الجنة سبيل ... فان دانتي يقول في الاغنية السابعة :

.. وصاح بلوتوس بصوت أجشّ ياابت ابليس ، ياابت ابليس اجذبه ، ولكن قائدي الكريم قال لي اكي يعيد الشجاعة الى نفسي لاتخف شيئاً ، فانه مهما بلغ سلطانه لن يمنعك عن النزول الى هذه المنطقة ، ثم التفت نحو هذا الشيطان وصاح به ، اخرس ياذئب اللعنة ، وانشقّ انت نفسك من غيظك فاننا لسنا ندخل دون غرض الى جهنم ، فانه هكذا يُراد هناك ، حيث ميخائيل جازى الكبرياء القبيحة الخ الخ ..

وقد أورد مثل هذا في الاغنية الثانية والعشرين ولعلنا نلمح اليها في الخاتمة . وفي الاغنية الثامنة عشرة يذكر جسراً قديماً (في جهنم) وقف عليه مع مرشده ورأى عدداً عظيماً من اهل النار يتبعهم الزبانية متسلحين باسواط لامعة وهم يجلدونهم بها جلداً متناهياً في القساوة والغضب وبينهم شيخ عظيم الهيكل لا يظهر عليه اثر للألم ...

فكأنه يعيد لنا ما ذكره المعري عن بشار بن برد بلفظ مختلف واسماء اعجمية .

وفي الاغنية الرابعة والعشرين يذكر وصوله وقائده الى جسر ساقط متهدّم وان قائده رفعه الى قمة صخرة وقال له تعلق شديداً بهذه البقية الباقية ولكن تحقق اولاً من

قوتها الخ الخ . وهي حكاية الصراط في رسالة الغفران ، لكنها هنا مسرودة بصورة فقيرة واسلوب غثيث .

« في المطهر »

يجد عند باب المطهر شيخاً هو بواب المطهر يمنعه الدخول (قصة رضوان) و يعيد فيرجيل له القول عن امرأة نزلت من السماء وطلبت منه ان يأخذ دانتي في ظل حمايته ... ثم يقول له البواب ان كان ثمت امرأة سماوية تحبك وتشجعك فلا حاجة بي الى مجاملتك ومديحك بل يكفيني ان تكلمني باسم المرأة التي ارسلتك .

و كأن دانتي اعاد قراءة رسالة الغفران ووجد انه لم يشر في ألعوبته الى حكاية قصيدة ابن القارح في مدح رضوان عند دخوله مع فيرجيل الى الجحيم ومخاطبتهما البواب هناك ، فاستدرك ذكر ذلك مع بواب المطهر وجوابه له لاحاجة بي الى مديحك ومجاملتك . أوَ لا يقول الناقد المنصف عند هذا البرهان الناصع وأمثاله مما تقدم ذكره ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد برح الخفاء بالحجة الواضحة .

« في الفردوس »

في الاغنية الخامسة وقد انتقل الى الطبقة الثانية من طبقات الفردوس او السماء يرى نفسه مع بياتريس مع نسوة حسان نورانيات يدرن حوله وحول بياتريس راقصات يغنينه حتى تكاد بياتريس تسكر معه من انوارهن وغنائهن . وكأنه يعيد لنا بهذا المشهد عودة ابن القارح الى قصره في الجنة وقد حفت الحور بسريره الخ .

وفي الاغنية العاشرة وما بعدها تسأله بياتريس اوروح أخرى (وتلك الأرواح لاتظهر له الا بصور نساء حسان نورانيات) أتريد ان تعلم ماهي الازهار التي تزين هذه الهالة التي تراها حول المرأة النورانية (بياتريس) ؟ ثم تبدأ فتسمي له علماء ورهباناً وقديسين وشهداء باسمائهم ، وتقول له هذا استحق الفردوس بكتابه كذا ، وذاك برسالته كذا ، والآخر بمؤلفه التأملات كذا ، كتوما الاكويني واغوسطينوس وكراتيانوس ، ودومينيكوس وغيرهم كثيرين ... وهوعين ماذكر في رسالةالغفران ، باختلاف في الاسماء والالفاظ عن شعراء الجاهلية . وفيما يأتي بعدها من الاغاني الفردوسية يذكر شجرة تحيي بمائها وتثمر دائماً ، ولا يسقط ورقها ، اما اثمارها فأرواح سعيدة كان لها

شهرة عظيمة على الارض قبل ان ترتفع الى السماء ··· وهي بعينها شجرة ابن القارح في الفردوس تنفض من الجوز عدداً لا يحصيه الا الله ، تنشق كل جوزة عن اربع جوار يرقصن على ابيات الخليل فتهتز ارجاء الجنة ··· ويخاطب النسر في الفردوس والنسر يجاوبه ، كما هو الشأن مع ابن القارح في مخاطبته الاسد وركوبه بعض دواب الجنة ، الى كثير من أمثاله · وآخر ما سمعنا في فردوسه صورة ايمانه ، وليست من الشعر في شيء ، ولا من عجائب السماء ، ولا من الحوادث النادرة ·

« خاتمة »

فاذا نظر الناقد المنصف بعين لا يطرفها ثوب العصبية ، وروح تجردت من درن الشعوبية ، فيما بسطناه في هذه الموازنة من البراهين ، وأجملناه من الادلة الناصعة ، حكم معنا حكماً لا مردود له ان الالعوبة الالهية هي بنت رسالة الغفران ، لا يسترها ما ألقاه عليها دانتي من جلابيب الظلمات ، وما لحفها به من السحب الكثاف المدلهمات ، ولا يواريها عن الاعين النقادة كثرة المخفضات والمنعرجات ، ولا الاقواس الهندسية والاشارات الفلكية ولا ما أدمجه فيها من كثرة الاسماء الاعجمية والآلهة اليونانية ، ولا الحلة الشعرية · ولله در القائل :

(من رام طمس الشمس عمداً اخطا الشمس بالتطيين لا تغطى)

وكان الأجدر به لو أنصف ، ان يسمي ابا العلاء قائده ومرشده ، لا فيرجيل فهذا لا يدَ له في هذه الحكاية ، وان قيل ان ابا العلاء كان غريباً عنه في اللغة والدين ، قلنا ان فيرجيل لم يكن أقرب فيهما اليه · ولكن انَّى له ان يشير الى اسم المعري وفي ذكره اسرع تنبيه الى فضيحة الالعوبة ، وهي التي كان يرى في نشرها اعلاء شأنه وخلود اسمه ، على انه ان كان قد فاته المجد في حياته ، فقد نال خلود الاسم كما توقع بعد وفاته · ثم ان شهرة فيرجيل وهو ابن أمته ، كانت كما هو معلوم قد طبقت الخافقين ، فرأى ان يستظل باسمه ، وفي ذلك له غاية الشرف وابعد مجال التضليل في اصل الالعوبة · ومع هذا فلعل دانتي كان اكثر انصافاً من كثير من علماء زمانه وقد كانوا ينسبون الى انفسهم اكثر كتب علومنا التي ترجمت الى لغتهم اللاطينية كما مر بك قبل هذا ·

بقي ان نشير في هذه الخاتمة الى مايعرض للناقد من الحيرة والدهشة بل من الدُوار عقب مطالعة الالعوبة الالهية والتبصر فيما اشتملت عليه من شتى الاغراض ، وتباعد مناحيها عن الموضوع الذي قصد له المؤلف حتى بات كل واحد من هـذه الاغراض غريباً في مكانه بعيداً عن بيئته ، وحتى باتت الالعوبة الالهية جديرة بان تسمى كناشة حكايات بيتية ، واخبار بلدية ، او مجموعة من شتى الأحداث ، او كشكولاً حوى معجماً صغيراً من الاسماء المشهورة والمجهولة ومبادئ بعض العلوم ومنازعات قومية وآراء سياسية وفلسفية وشرعية ودينية وتاريخية وعلمية وشعرية ولغوية وشيئاً من علمي النبات والحيوان ومن عجـائب المخلوقات بل اوهاماً وتخيلات وحماسة ، وكله متداخل بعضه في بعض بنظم شعري .

وقد يقول بعض فطيري الرأي ، انهـا لم تنل ما نالته من الشهرة البعيدة ، ولم يُعَدّ مؤلفها ثالث شعراء الافرنج ، الا لما نعده هنا عيباً ونحن نقول في الجواب على هذا ، ان الموازنة تتقاضانا ان نشفع الاعتراض بالبرهان والنقد بالحجة المنطقيـة واليك البيان .

« للكلام بقية »

عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

مطبوعات حديثة

كتاب بادية العرب (١)

تأليف المستشرق التشكوسلوفاكي ألويز موزيل (Aloes Musil) أستاذ الدروس الشرقية في جامعة شارلس بپراغ وعضو المجمع العلمي العربي

لم يكد ينجو حتى العلماء من تسخير الحكومات في الحرب العظمى . فالحكومة وان جازت العالم على عمله ، كانت تسخر علمه لاغراضها السياسية والحربية . ومن العلوم المسخرة في تلك الايام المشرقيات . ومن المسخَّرين — مأجورين كانوا اومتطوعين — ثلاثة معروفون اليوم لان اقلامهم نمَّت عليهم . ثلاثة من الاوربيين هم الكرنل لورنس وهو اكثرهم شهرة واقلهم علماً ، ومؤلف هذا الكتاب وهو اكثرهم علماً واقلهم شهرة ، والمستر فلبي ثاني هذا وذاك في العلم وفي الشهرة .

على انه لم يفز من الثلاثة فوزاً باهراً ، من الوجهة الحربية والسياسية ، غير واحد وهو لورنس . ولم يفز من الثلاثة ، من وجهة علمية ، غير واحد هو الاستاذ موزيل . اما من الوجهة الادبية المحضة فالثلاثة متساوون في العظمة والكرامة — الثلاثة من المسلّين ؟ في حلبة الفن . كتب لورنس كتاباً كله طعن وضرب ونسف وتدمير — كتاباً هو قصة عنترة الانكليزي ولكنه خلو من الشعر . وكتب فلبي رحلته في مجلدين فحاول في أسلوبه ان يقلد الرحالة الشهير هنري دَوْطي فخرج عن البساطة المحمودة ولم يدرك الصناعة المنشودة . وألف الاستاذ موزيل كتباً ضخمة باسلوب عادي ممل لا يستغوي من القراء غير من له غرض علمي او مصلحة سياسية او اقتصادية في البلاد العربية .

قد رحل هذا المستشرق المعروف بين العرب بالشيخ موسى الرويلي ، بضع رحلات

---

(١) طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Stàni tiskàna, Prague) للجمعية الجغرافية الاميركية بنيويورك (American Geographical Society, New York) بعناية المجمع العلمي التشكوسلوفاكي والمستر كراين الاميركي المشهور بحبه للعرب .

في القسم الشمالي من هذه البلاد ، فكانت الرحلة الاولى في البتراء وأطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ — ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحماد والاراضي الواقعة بين الجوف جنوباً والمياذين على الفرات (١٩٠٨—١٩٠٩) ، والثالثة في تدمر وجوارها (١٩١٢) ، والرابعة (١٩١٤ — ١٩١٥) ، هي الرحلة السياسية من اجل الدول الوسطى في الحرب العظمى .

وقد كتب رحلاته باللغة الالمانية ونشرها في بضعة مجلدات . ثم تعاون على مايظهر المعهدان التشكوسلوفاكي والاميركي ، اي المعهد العلمي ببراغ والجمعية الجغرافيــة بنيو يورك (وكان المستر كراين اساس هذا التعاون) في طبع الرحلات باللغة الانكليزية . فظهر في السنة الماضية المجلد الاول منها « البتراء وشمالي الحجاز » وبين يدينا الآن المجلد الثاني « بادية العرب » وسيتبعهما الثالث والرابع .

يقسم هذا الكتاب المطبوع طبعاً جميلاً ، المزين بالرسوم ، المشفوع بعدة خارطات ، الى ثلاثة أقسام : وله ملحق طويل هو كتاب بنفسه . اما الاقسام الثلاثة فأولها وأكبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال . وثانيها حكاية رحلة صغيرة في العراق من عين التمر الى قصر الاخيضر فالنجف . وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ — ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزبيبيات (في قلب الحماد) ومنها الى الجوف ، فحائل ، فالمشهد (النجف) .

وفي الملحق نبذات تاريخية عدة منها نبذة طريفة في عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري . ونبذة عن دومة الجندل (الجوف) قبل الاسلام وبعده . وأُخرى عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة . والنبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق التي سلكها خالد بن الوليد من العراق الى الشام بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري والبلاذري وغيرهم .

في هذا الكتاب إذن بحر من العلوم التي تهم علماء المشرقيات وتفيد المتأدبين من ابناء العرب . وقد برز لنا في ما يؤثر منه امران اولها العذاب الذي يقاسيه الرحالة المستعرب في طلب العلم ، وثانيها التدقيق الذي يجراه في نقده ثم في تسجيله للناس . وطريقة الاستاذ موزيل هي الطريقة العلمية الالمانية التي لا تتعدى المحسوس في مثل

هذه الرحلات ، وقلما تسمح للنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ان تعاون الضمير الذي لا يهمه غير الحقيقة الحسابية ٠

— ٣ —

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب اخبارها ٠ فجاءها الرحالة في اول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عندما أصبح الدستور ساطوراً لضرب أعناق أعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أمست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان ، فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الاخيرة سياسياً او مسخّراً للدعاية الالمانية ٠ ولكن عمله الدائم المحاسن والفوائد هو عمله العلمي الجغرافي ٠ و يعود الفضل الاكبر في تمهيد سبيله وحمايته في البادية الى صديقه الصدوق الامير نوري الشعلان شيخ مشايخ الروَلا ٠ على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فعّالة ٠ ومن اين لها ان تكون كذلك واعداء النوري يومئذ كثيرون في بادية الشمال وفي الجنوب ، فلم يكن للرولا من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولد علي والعمارات ٠

رحل الاستاذ موزيل — الشيخ موسى الرويلي — في خريف سنة ١٩٠٨ الى الميادين على الفرات ، ومنها نزل الحماد ، ورحل منها الى وادي سرحان ، فالجوف ، فالهوجا حيث كان الامير نوري الشعلان مخيماً ، ومن الهوجا عاد شمالاً فوصل الى اللاّهة[1] قرب جبل عنيز (عنزي)[2] جنوباً بشرق منه ٠ ثم رجع جنوباً الى سكاكه وقاره ، فاجتمع بنوري ثانيةً هناك ورافقه شمالاً فمر على قصر الازرق وقصر الحلاّبات وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها ٠

سبعة اشهر في البادية وفي ايام لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها ٠ فلا عجب اذا كانت الأسفار محفوفة بالاخطار ٠ فقد كانت قافلة الشيخ موسى عرضة للصوص

(١) لاهه — وقد جاءت في معجم البلدان الإلاهه — كانت قديماً الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدينون للفرس وبين عرب الشام الذين كانوا يدينون للرومان ٠

(٢) جبل عنزى هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة النجدية ٠

والغزاة ، فوقعت بايديهم مراراً ، ونجت بفضل الكرام الشجعان من العرب ، وفي مقدمتهم الامير نوري وابنه نواف والشيخ رشيد بن سمير من مشايخ ولد علي .

ولم يكن الشيخ موسى موفقاً بخدامه وأدلائه فسلبه احدهم ماله ، وخانه الآخر ، وهجره الثالث ، وكان الصالح منهم « يصلي و يفلّي نفسه » فسرت الى الشيخ « بركاته » والعياذ بالله . ثم أسر وأهين في سكاكه ، ومرض ورفيقه بالحمى . هي المشقات في بادية العرب بعضها ينسيك بعضاً ، و يلزمك بعضها لزام الظل ، فيوماً ترتشف الماء من الموحلات في قعور الآبار ، و يوماً تكاد تهلك من الظماء ، تحرقك في النهار شمس الهاجرة ، وتتألم في الليل من شدة البرد وانت لا تأذن ربعك بشب النار خوف ان يهتدي اليكم اللصوص .

سبعة أشهر من هذه الاخطار والمشقات . ثم عاد الشيخ موسى (موزيل) الى الشام ظافراً بما كان ينشده من العلم — والغنيمة الكبرى السلامة .

وقد ألم هذا العالم بالعلوم التي تختص باماكن المياه التي نزلها والتي سمع بها ، وبمن نزلها من الاقدمين ، وبمن ينزلها اليوم ، و بالطرق اليها القديمة والحديثة — طرق الفاتحين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق الى الغرب — مستشهداً باقوال العرب المؤرخين منهم والشعراء وبما اكتُشف في بابل من آثار الآشوريين في أواخر القرن الماضي — ومصححاً في بعض الاماكن أغلاط ياقوت الجغرافية وأغلاط الطبري وغيره التاريخية .

اما وصفه للبلاد ، جبالها وتلولها وأوديتها وشعابها وآبارها وغدرانها وسبخاتها وخبراتها و براكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم ، فوصف علمي تام اي وصف جيولوجي جغرافي . وهو مع ذلك لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال كوصف الحماد عند الغروب (صفحة ٧٣) والخَبْرة (صفحة ٧٦) والقرَت او القرْت بالتسكين كما يلفظها البدو (صفحة ٤٦٦) والسراب (صفحة ٣٢٧) وشجر الغضى في النفود (صفحة ١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لا غير .

ومن فوائد الكتاب لمن يروم درس القبائل ، او لمن لهم أشغال معها ، ماجاء فيه عن عرب الرولا والعمارات والفدعان وولد علي . فقد ذكر المؤلف أفخاذ كل قبيلة

وبطونها وشيوخها ومضاربها والاماكن التي تصيف وتربع وتشتي فيها . وأهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصليب الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمؤرخين . وتقسم الصليب الى اقسام تدعى بآل كآل ماجد في جوار الكويت ، وآل جميل في القصيم ، وآل بنّاق في جوار حائل ، وآل وذيح وآل راضي في الحماد الخ . وعددهم بأسرهم ثمانية عشر بطناً وعدد خيامهم كلها ١٤٦٠ خيمة . والصليب تدفع الخوة للبدو المجاورة لهم مقابل الحماية . ولكل قبيلة كبيرة شيخ خاص بذلك ، هو ضابط الارتباط بين تلك القبيلة والصليب المقيمين في ديرتها او جوارها .

كأن هؤلاء العربان من غير العرب اصلاً . وقد قيل في ذلك أقوال هي كلها من باب التخمين . فقد يكونون من بقايا الصليبيين في هذه البلاد . او كما قيل للاستاذ موزيل وقيل لنا — وهو الارجح — قد دخلوا البلاد العربية من الحساء فيرجح إذن ان يكونوا من بقايا الصابئين والله أعلم .

ومن محاسن هذا الكتاب ان اسماء الاعلام والاماكن والآبار مضبوطة كلها بقدر مايستطيع الاجنبي ضبطها ، فيمكن القارئ العربي — اذا ماعرف القاعدة ان يردها الى اصلها دون ان تلتبس عليه السين والصاد مثلاً ، او الطاء والتاء ، او الدال والضاد .

على انه من وجهة انكليزية ، يُنتقد على المؤلف انه في الطبعة الانكليزية لم يتبع القاعدة المصطلح عليها في اكسفورد والجمعية الملكية الآسيوية ، والتي أصبحت شائعة بين المستشرقين والادباء الذين يكتبون في المواضيع الشرقية . ومن اكبر شواذه في هذا الباب انه عبر عن الياء بالجيم (J) وهي بالانكليزية لا تؤدي معناها بالالمانية . فالقارئ الاميركي او الانكليزي الذي يقرأ (Dmejr to Al-Mijadin) لا يستطيع ان يلفظ الكلمة الاولى ويقول في الثانية : المجادين لا المياذين . فكان ينبغي للمؤلف او المحرر ان يستعيض عن هذه الجيم (J) بالـ (Y) فيكتب (Jamama) لا (Yamama) و (Zabibiyat) لا (Zabibijjat) .

ومما يزيد في حجم الكتاب ويضجر القارئ التدقيق في بعض الامور التي لا تفيد ولا تهم احداً ، مثال ذلك مما لا تكاد تخلو صفحة منه : « من الساعة ١١/٠٨ الى الساعة ١١/٣٢ استرحنا . وفي الساعة ٢٤٥ بعد الظهر وصلنا الى شعيب الغرّي

شمالي آبار الشُّبَيْشة » . « رعت جمالنا من الساعة ٥٦/٩ الى الساعة ٤٢/١١ أ » .

وهل ينقص الكتاب او العلم شيء نافع اذا أُهمل مثل هذا التدقيق في الاستراحة والرحيل . وفي مرعى الاباعر ؟ .

— ٣ —

في الرحلة الثالثة (١٩١٤ — ١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى الرويلي) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير ، فتوسط لدى الحكومة من دجلة ؟ فأطلقت الحكومة سراح الامير بعد ان تفاهمت واياه على محاربة الانكليز وعدها النوري وعداً كان الشوق الى البادية ، بل الى الفرج ، اكبر مافيه ، وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى .

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ شيوخ الرولا . راح يفتش عليه في البادية ، وظل يطوّف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيمه بخَبْرة الهَجْم جنوبي اللاهة في قلب الصحراء . وقد كان أوفر حظاً في هذه الرحلة منه في الرحلة الاولى . كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب الدول الوسطى في الحرب العظمى ؟ كيف لا وقافلته هي ضعفا ما كانت في السفرة الاولى وفي أحمالها الهدايا لشيوخ البدو ؟ رحلةٌ علمية خيرها جزيل لا يرافقها غير الشقاء . ورحلة سياسية لا خير فيها لاحد ترافقها التجلة والكرامة . هي الحياة حتى في البادية .

وما أجمل ما كان من استقباله في مخيم النوري بخَبْرة الهَجْم . جلس اخو العرب الشيخ موسى الفلاخي (Czech) الى يمين الامير ، وكان في سلامه ، وفي شوقه ، وفي اسئلته كواحد من العرب ، بل كواحد من بيت الشعلان . وقد حزن حزن واحد منهم عندما سأل عن بعض اصدقائه الغائبين وسمع الجواب .

— « وممدوح بن سطّام ، وعذوب بن مجْوِل ، وسعود (ابن الامير نوري) اين هم ؟ » فأجاب الامير بكلمة واحدة : « راحوا » .

ثم أخبر أخاه الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو . « عادت فرسه وحدها ملطخة بالدم » وكيف قُتل ممدوح في غزوه بعض عربان شمّر . « غزاهم بالنفود فغنم جمالهم وغرّب هادباً ورجاله . فكمن له العدو ، ووقع ممدوح بيد الشمامرة في

شعيب العاه . جانا يخبره من نجوا و « حنّا » بِدّل العامود » . وابنه سعود ؟ ذهب فريسة الغدر . « قتله كلاب بن غازي عند ملتقى وادي النعيم بوادي سرحان شمالي قراقر . جاءوه غادرين يقولون انهم بأمرة عودة ابي تايه — وعربان بن غازي يلبسون مثل عربان عودة — فصدقهم سعود وأنزلهم عليه فغدروا به . « ثوروا » البنادق مفاجأة على سعود ورجاله فقتلوه وقتلوا اربعة معه ، وشردوا . ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم ، فأدركوهم صباح اليوم الثاني ، وساقوهم الى المكان الذي سال فيه دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم » .

هي حياة البدو . وقد جاء الشيخ موسى من « ديرة الفلاخ باوربا » ينصحهم بان « يثوروا » بنادقهم على الانكليز بدل ان « يثوروها » بعضهم على بعض . جاء يوفق بين القبائل المتعادية و يستنهضهم في مناصرة الدولة العلية وحليفتيها المانيا والنمسا . وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انه سيسعى والشيخ موسى لإنجاح المشروع . ولكن الحكومات لا ترجم بالغيب ، وقلما يفتح البدو قلوبهم في غير البادية .

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستهما الاولى السياسية : « انت يا اخي تعلم ما بقلبي . انت تعلم اني لا أثق بالحكومة ولا الحكومة تثق بي . لولاك لكنت لا أزال اسيراً في الغوطة .... وهذه الحكومة تطلب مني ان أساعدها في محاربة الانكليز . تطلب مني انا النوري الذي حاولتْ مرةً ان تشنقه ، النوري الذي ظل سنتين في سجنها ، النوري الذي خلصته انت ياشيخ موسى من المشنقة ، تطلب منه هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان يستنفر العربان لمحاربة الانكليز ... وهذه الحكومة والله يا اخي ، تضرنا اذا أرادت وتضر اهلنا وعشائرنا . يلزمنا ثياب . و يلزمنا قمح ويلزمنا شعير لخيلنا . وهذه لا نجدها اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعوننا اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا و يساعدونها علينا . فهل تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة . « سأنطيها » الوعود بالكلام والكتابة .... ولكني أدفع الميرة والله . أساعد الحكومة بمالي . أطعم الملعونة الوالدين من الذهب . سامي باشا (المشير يومئذ » اكل أرطالاً من ذهبي وعندما لجأت اليه حكم عليّ

بالشنق ٠٠٠٠ هي تبغي الرجال والجمال للحرب ٠ وتقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد ٠ والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها » ٠

عند هذا قطع نوّاف عليـه الحديث قائلاً : « هي تكذب يا ابي » وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ ٠٠٠ وهذا الانور هو الذي صالح ابن سعود واعطاه « النيـاشين » ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحارب به ٠٠٠٠ ولولا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهـد الصلح بيننا وبينه وبينه وبين ابن سعود ٠٠٠ اعلم ياشيخ موسى ان ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة و يشتري بماله مايلزمه من السلاح والذخيرة ليحمي عشائره و يحمي رعايا الحكومة في القرى المجاورة للبادية ٠ اما ابن الرشيد فالحكومة « تنطيه » كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية و« تنطيه » كل ماينبغي من السلاح والذخيرة ، فتقويه علينا ، فيسلب « طروشنا » و يقتل رجالنا ٠

الامير نوري : « وما العمل ياابني نواف ؟ هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ واين سلاحنا من سلاحه ؟ اربعـة آلاف بندق على خمسة عشر الف موزر ٠ وخرطوشنا ماينفع ٠ لا ياوليد ٠ خيره لنـا ان نطيع الحكومة وننتظر ٠ لننتظر الى ان تنتهي الحرب ٠ الحكومة تبغي السلم بين العشائر ٠ و« حنا » الرولا نبغي السلم — نحتاج الى السلم » ٠

الشيخ موسى : « الحق مع والدك يانواف ٠ اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد وتخافكم الدولة ٠٠٠٠ وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصالحونكم ٠٠٠ ويجب ان تصالحوا ابن الرشيد » ٠ وكان عودة ابو تايه حاضراً فافصح عما في صدره وكان في ذلك اصرح من النوري وابلغ من النواف ٠ قال عودة : « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ تقول لنا : السلم ٠ وهي تبغينا للحرب ٠ هي لاتثق بنصارى سورية ولاتثق بدروز حوران ، و يلزمها جمال لتمشي الى مصر ٠ وهي تعرف ان مازالت القبـائل متعادية تعتذر كل قبيلة وتحيلهـا على عدوها ٠ اقول انا ابو تايه للدولة : دونك وعبطان [1] ٠ و يقول

(١) وعبطان بن غازي شيخ الحويطات الذين كانوا يومئذ معاونين لحويطات عودة ابي تايه ٠

لها النوري : دونك والفدعان · ويقول لها النواف : دونك وابن الرشيد · وهم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا · النتيجة ؟ كانا نظل في خيامنا ··· اي بالله يلزمنا السلم · يلزمنا لمصلحتنا لا لمصلحة الحكومة · اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اننا نمشي معها بشرط ان تردع اعداءنا وهم في الظاهر اصحابها » ·

الشيخ موسى : « وهل تمشي وعربانك مع الجيش الى مصر » ·

عودة : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات ولكن اذا صالحت عبطان وابن الرشيد واعطتني الحكومة السلاح والذهب — يلزمني ذهب وسلاح — امشي والله ، امشي الى مصر » · وكان في مخيم الامير بعض شيوخ العمارات فقال احدهم مجيباً على كلمة للشيخ موسى في الجهاد : « الجهاد هو ان نحمي خيامنا وطروشنا » ·

وفي لغة المتمدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية فيقول الانكليزي مثلاً : الجهاد هو ان نحمي بريطانيا العظمى وممتلكاتها · لا فرق إذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي · فلما ذا يُكرم هذا في جهاده ويتهم ذاك بالوحشية ؟ ·

« واعلم ياشيخ موسى » — الكلام لشيخ آخر من شيوخ العمارات — « اننا لا نكره الانكليز ولا نحبهم · ولكن اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم · هم الآن يحاربون الدولة فلتحاربهم الدولة بجيشها » ·

الامير نوري : « كلامك زين · ولكن يجب ان نطيع الحكومة · الله ينصر الدولة » · ثم قال للشيخ موسى وهو عائد واياه الى خيمته : « لا بد من الكلام السياسي · فلا يسوّد وجهي احد مع الحكومة » ·

وظل النوري يتدرع بالسياسة — ظل يداوي ويتلون — الى ان ظهر في الحجاز بعد سنة الكرنل لورنس فغلب الخيّال الانكليزي النسر الالماني ·

اجل ، قد ظفر لورنس بما لم يظفر به الشيخ موسى لجمع شمل العربان وفي مقدمتهم الرولا والحويطات وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان الفضل الاكبر في فوزه للذهب الانكليزي ·

ومعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غرشاً ·

ومعلوم — اليوم ! — ان عقليـة اولئك الاحلاف مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال : « الجهاد هو ان نحمي خيامنا وطروشنا » .

فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال ؟ هل يلامون في ما تقاضونه للدفاع عن الانكليز والفرنسيس ونحن نرى اليوم ما يتقاضانا الاجنبي في دفاع اسمي عنا ؟ ! .

قد كشفت لنا الايام بعد تسع سنوات من الهدنة ، عن بواطن الاحلاف ونياتهم فصرنا نعذر العرب لانهم باعوا الدولة العلية بل الدول الوسطى بعشرين فضة . بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومئذ من المزايدة ، والا لا نقلبت الآية وابتاع العرب لورنس والشريف ودول الاحلاف جمعاء بعشرة لا بعشرين فضه .

عضو المجمع العلمي العربي

امين ريحاني

عصر المأمون

« للدكتور احمد فريد رفاعي المجلد الاول ٤٧٢ المجلد الثاني ٤٣٩ المجلد الثالث »

« ٣١٧ طبعت في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »

هذا كتاب مفيد جوده مؤلفه فنال به لقب « دكتور » من الجامعة المصرية بدرجة ممتازة جداً وقد تفضل المؤلف فأطلعني عليه وهاك ما كتبته من الملاحظات بحرفه :

أدخلت السرور على نفسي لتفضلك باطلاعي على كتابك «عصر المأمون» وهو في المخطوطة وذلك لجلالة الموضوع في ذاته ، ولان المأمون نسيج وحده في الخلفاء ، وخير خليفة جمع العلم والعمل ، يحبه ويحب عصره كل من كان له حظ من تاريخ العرب ، وكانت سيرته اجمل سيرة في الملوك الذين عقمت الايام ان تلد شبيهاً لهم ، وحق لكل جيل ان يتغنى بمناقبه ، ويتغزل بمحامده ، وهي القدوة وهي العبرة ، ما دام يدرس تاريخ الخوالف .

أعجبت بتنسيق كتابك وفيه من الامتاع والابداع شيء كثير ، وراقتني سلامة

عبارتك ، ودقة تصرفك ، وحسن مأتاك في البحث ، وصحة حكمك على معظم الحوادث ولقد قربت بهذه العناية منال الاستفادة على الطالبين ، ونفذت الى ظلمات التاريخ فخرجت منها بشهاب قبس ، أنار ناحية كبرى من نواحي عظمتنا الغابرة ، فرأت الوفا من الصفحات فكتبتها في بضع مئات ، مشفوعة بجميل استقرائك وصحيح استنتاجك ، وصورت للناس مدنيسة عصرنا الذهبي حتى كادوا يلمسونه و يحسونه ، فكان حقاً على المنصفين ان يمدحوا غناءك ، و يحمدوا دؤوبك وعناءك ·

لا جرم ان هذه الصفحة الكبيرة من تاريخ العرب خليقة بالدرس والتأمل كل حين ، لانها ثمرة نضج العقل الاسلامي الذي ينادي على وجه الدهر ، بلسان الحال والمقال ، ان الامة التي استطاعت منذ اكثر من الف عام ان تعمل للحضارة هذه الاعمال الجسام ، مستعدة في كل زمن ان تأتي بمثلها او أحسن منها ·

وما رأيت شهد الله في كتابك بجملته وتفصيله ، ما يصح ان تؤاخذ عليه ، الا تصو يرك بعض أدوار الامويين في صورة باهتة استندت في اخذ بعض خطوطها وأشكالها على مؤلفين متعصبين ، كاليعقوبي وابن الطقطقي والمسعودي والاصفهاني ممن لم تكد تسلم نفوسهم من الشعوبية وكان التشيع غالباً عليهم · فكتبوا ما كتبوا مدفوعين بعوامل سياسية ، وجوزوا بث دعوتهم بانواع من التحيل والتلفيق ·

وان من يسبون الشيخين وابنتيهما الطاهرتين سباً قبيحاً ، و يتعبدون الخالق بذلك ، و ينعتون الخليفتين الاولين « بصنمي قريش » وهما ما هما من المكانة المجمع عليها في الاسلام ، يغضون ولا يبالون من بني أمية · وهناك الدماء المطلولة ، والطوائل المتأصلة والملك المستأثر به ، والاهواء التي جعلوا من اركانها الانحاء على كل من لم يشايعهم ·

وان من تجنوا بفشر نحلتهم ، والدافع اليها الدنيا لا الدين ، جنوا واي جناية على الدين والدنيا · ومن أشنع أعمال المنحرفين عن بني أميـة وضع الاحاديث الملفقة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن خلقوا ما قالوا على الدين وصاحبه ، كيف يجدون حرجاً في اختلاق الاكاذيب على الامويين ? وفي يقيني اننا لو حاسبنا الامويين والعلويين حساباً تاريخياً دقيقاً ، لاثبتنا لكل منهم حسنات وسيئات ، [illegible]ما خرجوا كلهم عن البشرية ، يعشقون الدنيا و يقاتلون منافسيهم عليها ، والتفاوت بين الفريقين

في الاثر الذي اثره كل منهم في كيان الامة ، اما العصمة فالشرع والعقل لم يثبتاها لاحد من الناس ، على نحو ما يحاول الطالبون ان يثبتوها لأئمتهم ، و يقولون في غيرهم ما قاله مالك في الخمر .

لا يحكم التاريخ على الناس الا باعمالهم ، واعمال الأمويين التي اعتز بها الاسلام والعرب ماثلة للعيان على الزمان ، فماهي يا ترى أعمال من سوّدوا صحيفتهم ظلماً وعدواناً، و بالغوا فيهم بسبيله حتى خرجوا عما يقول العدو في عدوه ، فأخرجوهم عن الملة، وقضوا بان شيعتهم المغموطة الحق ، المثلوبة التراث ، من عنصر الملائكة الكروبيين اواعلى من ذلك .

وأرى يا صاح ان لا نغتر ايضاً بما نسب لبعض المشاهير مما فيه تنقيص بني أمية . فرسالة الجاحظ التي استشهدت بها وانت شاك في نسبتها اليه ، قد تضمنت اقذاعاً بخلفائهم ، لا تثبت بالنقد الصحيح انها من تأليفه ، وهو امام العقل والعلم ، فقد نسبوا للجاحظ عدة رسائل ومنها رسالة الاخلاق التي نشرتها منذ مدة ، وترجح بعد حين انها ليحيى بن عدي . وقد انتحلها ايضاً محيي الدين بن عربي في فتوحاته .

ومما نحلوه لابي عثمان رسالة مناظرة الربيع والخريف المطبوعة في مطبعة الجوائب بفروق وبأقل تأمل تعرف انها من كتابة القرن الحادي عشر اوالثاني عشر للهجرة . وكم من رسالة او كتاب نحلت للمشهورين من سلف الامة ، وكم نسبت اليهم اقوال ما خطرت لهم ببال . ان رسالة الجاحظ هذه التي وضعها من دسوا كثيراً من الجمل في نهج البلاغة تأييداً لسياستهم قد قصدوا بها شيئين ، ترجيح النغمة التي يضربون على أوتارها ليهزوا بها أوتار قلوب الموافقين والمخالفين ، ثم الحط من مرتبة الجاحظ في نظر العقلاء .

وما قلته في بعض المصادر الشعوبية الشيعية أجهر به ، ولا دهان في الحق ولا هوادة ، عند الحكم على بعض الكتب التي اعتمدت ، وكان الاولى الرجوع الى الاصول المنقولة منها مثل « تاريخ التمدن الاسلامي » و « مجاني الادب » و « مشاهير الخطباء » ثم ان روايات « الاغاني » و «حلية الكميت» و «المستطرف » ليست مما يعتمد عليه في تحليل اخلاق خليفة ، ذلك لان العقل يرد الاقاصيص الموضوعة على يزيد بن عبد الملك واستهتاره بغرام سلامة وحبابة مما رواه الاصفهاني ليسلي قراءه بالغرائب كما روى خبر

تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية وما الى ذلك . والعقل يرد كل الرد ما اتهم به الوليد بن يزيد في خمرياته التي فاقت كما قلت خمريات يزيد بن معاوية .

وقولهم ان يزيد حمل معه كلاباً في الصناديق لما ولي الحج لهشام ، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها عليها ، وحمل معه الخمر وأراد ان ينصب القبة على الكعبة و يشرب فيها الخمر . ولعمري كيف يجرأ الوليد الثاني ، على مافيه من مجون واستهتار بالشعائر ، ان يأتي مثل هذه المنكرات ، ولم يكن هشام بالغرّ الحمّق حتى يوليه الحج ، وهو على هذه الصورة من الاخلاق . اللهم ان هذه التهمة وتهمة يزيد بن معاوية في تعاطي الشراب الى آخر ما اتهموه به ومنها عشقه عمته ، مما اختلقه من لاخلاق لهم . ولو كان يزيد بن معاوية على ماذكرنا ماسكت رجال الدين عنه ، وفيهم بقايا الصحابة والتابعين ، وقد شهدنا الوليد قتل في أقل من هذا ثم تقوّلوا عليه كثيراً وتزيدوا .

وقولك (ج ١ ص ٧٠) ان دولة بني أمية كانت مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة ، مستهترة بالمعاصي والقبائح فيه مبالغة وغلو ، وليت شعري اذا كانت دولة بني أمية مكروهة مذمومة اما كان ذلك عند اعدائها فقط ممن عادوا العباسيين ولعنوهم ايضاً « راجع رسالة ابي بكر الخوارزمي الى شيعته » ، ثم اي دولة رضي الناس كلهم عنها ، وقد شهدنا ثلاثة من الخلفاء الراشدين قتلوا لاختلاف السياسة ، فكيف بعد هذا نستغرب من اشمئزاز بعض الناقمين على الامويين ، حتى رموهم بما هم منه براء ، وهل ننكر محل الدعاية من تأسيس الدول وقيام الممالك ، فاشتهار الأمويين بالمعاصي والقبائح والحكم على دولتهم كلها حكماً عاماً لا يسلم به العقل السليم ، ولا النقل الصحيح .

ومن الروايات المدخولة قصة عريب جارية المأمون وعشقها جعفر بن حامد (ص ٤١١) فانها لا يصح وقوع مثلها من سفلة الناس وناهيك بصيانة المأمون واخلاقه الطاهرة وكرامة بيته ، ولأدنى نظر ندرك انها موضوعة كل الوضع ، وكان الاولى تحليلها او نبذها بدون تحليل .

هذا وان الكلام على لاسفار غير المعتمدة لا يصدق على كتب أخرى من تأليف المعاصرين ، كالبستاني في مقدمة الالياذة وميور في كتاب الخلافة ، والمؤازرين في

المعلمة الاسلامية ، وكتابات نللينو و براون وامثالهما ، ممن كتبوا للعلم على الاغلب وهضموا مادونوا . واذا غلطوا في بعض أحكامهم فلا يكون غلطهم عن قصد ، و يبرؤهم من الملامة اذا عرفنا ان ما كتبوه لم يكن العامل فيه التجارة على اختلاف ألوانها . وقد تطمئن النفس لما كتب هؤلاء في العرب والمسلمين ، اكثر من اطمئنانها الى غيرهم من المعاصرين والغابرين ، ممن مزجوا العلم بالاهواء فارتفعت الثقة من مرو ياتهم ، وحار البصير في أحكامهم فلا يعيرها الا نظر التقزز ، وتسرب الشك الى مصنفاتهم فلم تعد الايدي تتناولها الا بحذر ، لان اهلها أثبتوا في كل عصر انهم من اكثر الاهواء ضراوة على الاسلام والعرب على مافصل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة .

وليتك أوجزت في اخبار بني أمية ، وفي ايراد بعض القصائد المطولة ، وفي نماذج الشخصيات البارزة في عصر المأمون وتوسعت في مقومات الحضارة في القرن الثاني والثالث من مثل الكلام على مجالس العلم والنقل وبيت الحكمة واثر سهل بن هرون فيها ، فان هذا العظيم لم توفه حقه من الوصف ، وهو والجاحظ فرسا رهان ، وكذلك عمرو ابن مسعدة واثره في البلاغة والسياسة ، لا يقل عن احمد بن يوسف الكاتب .

اما وصف ميور للمأمون بانه لا يستطيع مع اعترافه بعدله ان ينزهه من الجنوح في بعض الاحايين الى الجور واستعمال القسوة من غير مبرر ، وانه تصرف في بعض الحوادث تصرف الجبابرة والعتاة من أسلافه ، فقول فيه نظر . لانا رأينا المأمون عفا حتى عن كثير ممن نزعوا الى نزع خلافته وسلطانه ، وما عرفت عنه القسوة ولا الجور . واذا رويت روايات مدخولة في بعض كتب المحاضرات قد تكون قرينة لتأييد هذه النظرية ولو من بعض الوجوه ، فلا يكون منشؤها الا اولئك الذين حلفوا ان لا يمسكوا الأقلام الا اذا نالوا من سلطان الراشدين وبني أمية ، وبني هاشم معاً لانهم استأثروا بالملك دونهم ، وذهبوا بالفضل في نشر كلمة الاسلام وبث العروبة في الشرق والغرب ، فكان جزاؤهم عند من خالفوهم ان يطعنوا في كل كبير ، ليقولوا لخصومهم اما من تطهرت نفوسهم من كل عيب فهم جماعتنا ليس الا .

ولعل فيما عزي الى المأمون من الاعمال ، وعده بعضهم قسوة وجوراً ، هو عند كثير غيرهم حلم وعدل . وما كان لرجل في مثل ملك المأمون الضخم ان يدير شؤون

أمته زمناً ولا يهفو هفوةً ، وفي الحق ان من العنت ان يقال لمن يعدل مئة الف مرة ، ويحلم مئة الف مرة ، ثم يغلط مرة واحدة ، انك ياهذا قاس جائر . وليست القسوة والجور في فطرته ولا فيما ثبت من هديه . ونحن في الواقع لم نستثبت الدواعي التي ادت الى امور لم تتفق مع عقليتنا ، ولا عرفنا منزع المنتقد عليه ومرماه فيما انكرناه . فقد قال غستاف لوبون : اذا كان من الصعب على الفرد ان يكتشف الاسباب الحقيقية التي قدرت عليه افعاله الخاصة ، الا يكون من الصعب ايضاً على مؤرخ ان يدرك الاسباب السرية المستورة بضباب الدهر من الوقائع التي يجهل أصحابها انفسهم مباديها .

هذا رأيي الخاص في سفرك النفيس الذي صنعته وجودته ، فخدمت الآداب العربية بما انتجت خدمة نافعة ، بقي عليَّ ان أهمس في أذنك قائلاً ان هذه الهفوات المعدودة في كتابك لا تقدح فيه بل ترفع من شأنه ، وكل عامل يكبر جهادك وعملك ، ولذلك ادعو لك بحسن التوفيق الى اخراج أمثال « عصر المأمون » للناس ، فتنشر بينهم مادة جيدة منتقاة ، تنير العقل ، وتهذب الروح ، وتسلي الفؤاد ، وتذكرنا ماضياً زاهراً نحن متصلون به على كل حال ، ولا نفتأ وأحفاد أحفادنا على اكمال سلسلته .

والرجاء معقود في هذا الباب على الاستكثار من وضع الكتب المنقحة المحررة على أسلوب العصر ، المشبعة بروح التحقيق ، الحالية بالرشاقة وجمال الفن ، لتخطو الامة العربية خطوة واسعة في سبيل المجد والمدنية ، هذا ومني عليك وعلى ارض طيبة أنبتتك الف تحية وسلام . م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) المجموعة الاقتصادية لغرفة تجارة حلب . السنة الثامنة لسنة ١٩٢٦ طبعت بالمطبعة المارونية بحلب باللغتين العربية والفرنسية .

(٢) مكايد الحب في قصور الملوك تأليف ثورنتن هال وترجمة الاستاذ السيد اسعد خليل داغر عني بنشرها السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر ص ٢٦٧ .

الجزء ٤ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٨ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٦ هـ

محمد والمرأة (١)

مواضيع الخطابة كثيرة . والحفلات الخطابية ايضاً كثيرة . ولكن الحفلة الممتازة بسيداتها وساداتها ، ينبغي ان تكون خطبتها ممتازة بموضوعها ولطيف اشاراتها .

فمن لي ياسادتي بموضوع ممتاز كامتياز حفلتكم هذه ؟

حقاً ان مراعاة التناسب بين الموضوع والحفلة هو موضع الصعوبة في الامر .

فسّرت يوماً كلمة «النسء» أمام فتاة متعلمة وقلت ان معناها الطرد والابعاد والتأخير. ومنه سميت «المنسأة» — وهي العصا — «منسأة» لان الراعي يطرد بها غنمه .

فاحتدمت الفتاة غيظاً وقالت :

إذن سمى العرب النساء نساء لانهن مبعدات مطرودات ؟ ! !

فعجبت من استنتاجها ، وتعوذت بالله من لجاجها ، واجبتها على اعتراضها بما ارضاها في الجملة .

* * *

ولما دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة رأيت الفتاة المذكورة يوماً مهتمة بمطالعة كتاب . فسألتها ما هذا الكتاب ؟

قالت الزبيدي .

والزبيدي ايها السادة كتاب ديني اختصر فيه مؤلفه احاديث البخاري كلها .

---

(١) خطاب ألقاه الاستاذ المغربي في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت مساء الاربعاء ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ .

فشجعتها على قراءته ، وأثنيت عليها لاختيارها هذا الكتاب للمطالعة ، بدل تلك الكتب التي تولع بها الفتيات عادة ·

أكملت الفتاة مطالعة « الزبيدي » ولم تكد تلقيه من يدها حتى التفتت الى من حولها وقالت : « اني لم أجد في جميع الاحاديث التي قرأتها في هذا الكتاب ما يشعر بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتقر المرأة ، بل على العكس رأيته يكرمها و يسوي بينها وبين الرجال في التكاليف والاحكام فمن اين جاءت تهمة شارعنا الاسلامي بانه يحقر المرأة او يعلم بالحط من كرامتها ؟ !! » ·

فلا اكتمكم ايها السادة ان سروري باستنتاجها هذه المرة أنساني اغتمامي باستنتاجها في المرة الاولى · وسررت بالاكثر مذ ظفرت بموضوع الخطاب الذي أرغبه لحفلتكم هذه ، وناديت : وجدته وجدته · كما نادى أرخميدس : وجدتها وجدتها ·

نعم وجدت الموضوع أيها السادة لكنني لم أجد الوقت اللازم لتوفيته حقه ، لان جمعية التهذيب — والشكر لها على كل حال — لم تعطني وقتاً للكلام في حفلة ، وانما أعطتني وقتاً للمخابرة في تلفون · فاعذروني اذا أسرعت او اذا اختصرت ·

* * *

كان العرب بمقتضي طبيعة بلادهم ، وتركيب امزجتهم يرون في المرأة هناءهم وراحة نفوسهم ، فأحبوها وكادوا يعبدونها · كما انهم بمقتضى طبيعة اجتماعهم ونظام الغارات والسبي المتعارف بينهم ، كانوا يرون في المرأة سبباً لمذلتهم ، ولحوق العار بهم · فتشاءموا بها الى حد ان وأدوها ·

فكان العرب بين جاذبين : جاذب من طبيعة اقليمهم وأمزجتهم يجذبهم الى المرأة ، وجاذب من نظام اجتماعهم وحروبهم يبعدهم عنها ·

وقد ولد محمد (ص) في جزيرة العرب وأهلها على ماوصفنا من الحالتين : فأقر الحالة الاولى حالة حب المرأة ، و باركها هاتفاً · « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ·

وفي الحالة الثانية — حالة التشاؤم بالمرأة فرفع قدرها وأرجعها الى عرش سيادتها ونادى قائلا : المرأة سيدة بيتها · المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ؟

فالغرض من نبوة محمد إذن ليس توحيد الله فقط بل والتبشير بالمرأة والاحتفال بارجاعها الى عرش سيادتها ·

قال عمر بن الخطاب : (والله كنا في الجاهلية ما نعد النساء شيئاً ، حتى انزل الله فيهن ما أنزل · وقسم لهن ما قسم) ·

* * *

ومن تتبع سيرة النبي (ص) في أدوار حياته أدرك الاسباب التي جعلت نفسه الشريفة مستعدة لقبول هذا الوحي النسائي · مات ابوه ثم أمه وعمره بضع سنوات فتولت حضانته فتاة حبشية اسمها (بركة) وتكنى (ام ايمن) · وقد عكفت هذه الفتاة على تربيته وخدمته حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره · فكان قرير العين بما كان يراه في حاضنته هذه من العطف والعناية ·

وشعر باول وظيفة من وظائف المرأة في هذا الوجود : المرأة من حيث هي امرأة ، حتى ولو كانت حبشية ومملوكة ، ولم تنتم الى عرق في العرب · اوشرف في النسب ·

ثم شاءت العناية الالآهية ان تنقل محمداً (ص) الى العيش · بقرب أشرف امرأة في قريش · فتزوج (السيدة خديجة بنت خويلد) ·

شيء جديد في حياة محمد : انتقل الى طور آخر من معرفة المرأة واختبار وظائفها · ولم يعد ذلك الشاب الذي تخدمه حاضنة متواضعة فيكرمها · بل الشاب الذي تحبه امرأة شريفة ويحبها · هو شاب في الخامسة والعشرين ، وهي كهلة في الاربعين · كأن العناية الالآهية رأت انه ما زال في شبابه محتاجاً الى عطف امرأة ذات سن وتجربة وثروة فيسرت له الاقتران بخديجة ·

مات زوجها الاول فخطبها أشراف قريش فامتنعت وفضلت الاستقلال بنفسها · والعكوف على اعمال تجارتها · وكانت تبحث عن ثقة من الرجال تكل اليه اشغالها · فما لبثت ان اهتدت الى محمد · فلم تره أميناً على مالها فقط ، بل وعلى قلبها ايضاً ، فأودعته ذلك جميعه ·

كل من رأى محمد (ص) وسمع كلامه شعر بانه سيكون له شأن في نهضة العرب · وانقاذهم من جاهليتهم · ولم يكن هذا ليخفى على خديجة · فكانت تعتقد ان خطيبها سيكون من عظماء الرجال ومربي الامم والأجيال ، فزادت ولوعاً به وحرصاً على محبته ·

قال انس : كان النبي (ص) عند عمه ابي طالب . فاستأذنه في ان يتوجه الى خطبته خديجة فأذن له ، وبعث في اثره جارية له تسمى نبعة وقال لها : انظري ما تقول خديجة لابن اخي محمد .

قالت نبعة : فرأيت عجباً : ما هو الا ان سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فأخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها . ثم قالت له : بابي وأمي لأفعل هذا الشيء (الذي نهيتني عنه) ولكنني ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي يبعثك ان يبعثك لي .

قالت نبعة : فأجابت محمد : والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا انساه ابداً . وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابداً .

لم يكن محمد ذا حظ من مال ونشب . ولم تكن اسباب رغد العيش متوفرة لديه في ماضي حياته وقد توفرت لديه الآن مذ تزوج بخديجة .

فما هو صانع ؟

أيتخذ من مال زوجته ونعمتها وسيلة الى اللهو والدعة والنعيم ؟

كلا . وانما اتخذ محمد الشاب من مال زوجته وسيلة الى فراغ قلبه من هم العائلة . كما اتخذ من حبها وطاعتها له وسيلة الى التفرغ لعبادة خالقه ، والى القيام بالعمل العظيم الذي يشغل باله .

ها هو محمد قد اعتزل الناس ، والتجأ الى غار في جبل حراء . يناجي ربه ، ويسأله ان يهدي شعبه .

وها هي خديجة امرأته تشجعه وتبث الثقة والصبر والثبات في نفسه .

ها هي تهيئ له الزاد ليتقوت به في اثناء عزلته الطويلة .

ها هي مجدلية محمد في سفح الجبل مشرئبة الى الغار الذي اعتزل فيه زوجها ، وقلبها مفعم بالرجاء والايمان والثقة بالمستقبل . وهكذا ترى النبوة ولدت على يد المرأة « خديجة » بينما لم يشهد ولادتها احد من الرجال لا ابوبكر ولا عمر ، ولم يسمع بذكرها علي ولا معاوية . ثم ماتت خديجة ، فشاء ابو بكر اكبر صحابة محمد (صلى الله عليه وسلم) ان يتشرف بمصاهرته فزوجه ابنته « عائشة » .

لم تكن عائشة زوجة فقط بل وتلميذة ايضاً .

وهذا هو الطور الثالث من أطوار محمد مع المرأة : بركة الحبشية تسهر عليه في طفولته . وخديجة الكبرى تحوطه وتشجعه في شبيبته . وعائشة الصديقة تسره وتكون تلميذة له في كهولته .

اختبر محمد (ص) المرأة في جميع ادوار حياته وامتزجت عاطفته بعاطفتها . طفلاً وشاباً وكهلاً . وكان لها من التأثير في حياته ما جعله يرفع منزلتها ويعلن حريتها و يسوي بينها وبين الرجال .

ومن أعجب المصادفات ان ينعقد مجمع « ماكون » في زمن محمد اي في سنة ٥٨٦ للميلاد ويبحث في هل المرأة انسان ؟ ثم قرر انها انسان لكنها انما خلقت لخدمة الرجل .

ولم يكد يصدر قراره هذا في فرنسا حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلا : « انما النساء شقائق الرجال » ، بل قال للرجال : ألستم حريصين على دخول الجنة ؟ هذه الجنة التي تحرصون عليها هي « تحت أقدام الامهات » . وكل امرأة أم ، ان لم يكن بالفعل فبالقوة . ولم يقل احد في تكريم المرأة مثل هذا القول الذي قاله محمد .

واذا كان قوم يحسبون المرأة شيطاناً فان محمد كان يراها تعويذة من الشيطان .

سأل فتى من صحابته وهو « معاذ بن جبل » :

— ألك زوجة يا معاذ ؟

— كلا !

— انت إذن من إخوان الشياطين . (يعني وكان الواجب عليك ان تتعوذ من الشياطين بامرأة تتزوجها) .

وقد أراد محمد (ص) بتكريم المرأة ، ورفع شأنها في عيون الرجال على هذه الصورة إفهامهم ان نهضته الجديدة انما تقوم على سواعد الجنسين معاً ، الرجال والنساء ، شأن النهضات العالمية الكبرى . ولما رأى النساء العربيات هذه النهضة التي نهضها بهن محمد اغتبطن بها ، ونشطن الى الازدياد منها ، حتى انهن لما رأين انفسهن مغبونات في بعض حقوقهن عقدن اجتماعاً منهن ، وقررن فيه ان يرفعوا الى النبي (ص) مطالبهن . فرفعنها بواسطة مندوب منهن واسم مندوبهن « اسماء بنت يزيد » الانصارية .

جاءت اسماء النبي (ص) وقالت له : « اني رسول من ورائي من جماعة النساء وكلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي » ٠

ثم عرضت على النبي مطالب النساء اللواتي ارسلنها فأجابها النبي عليها بما ارضاها وأعلن سروره بحديثها وجرأتها والتفت الى من حوله من الصحابة وقال :

« هل سمعتم مقالة امرأة احسن سؤالاً عن دينها من هذه المرأة ؟ » ٠

وكفى بقوله هذا تنشيطاً للمرأة وتنويهاً بقدرها ٠

* * *

وكان النبي (ص) يحب ان لا يُستبد على المرأة في امر زواجها ، فهو يعطيها الحق في ان تتزوج من تختاره ، ويطيب لها العيش معه بشرط ان لا يحط هذا الزواج من كرامة عشيرتها ٠ هذه الفتاة (بريرة) كانت مملوكة للسيدة « عائشة » فأعتقتها ٠ وكانت (اي بريرة) متزوجة برجل اسمه (مغيث) فلما ملكت حريتها ملكت حق الاختيار في ان تبقى زوجة لمغيث او لا ٠ ويظهر ان (بريرة) ما كانت في راحة من العيش مع (مغيث) فأعلنت انها لم تعد تريده زوجاً لها ٠ فصعب الامر على مغيث وكان يحبها حباً جماً فاسترضاها فلم ترض ٠ ها هي (بريرة) تمشي في سكك المدينة ، ومغيث المسكين يمشي وراءها ودموعه تنحدر على وجنتيه ، والناس ينظرون اليه ٠ وقد أخذتهم الشفقة عليه ، و بريرة لا ترق ولا ترحم ٠ ارحميه يا بريرة ، ارثي لحاله ، اعطفي عليه ٠

— كلا لا أريده ٠

اخبروا النبي (ص) بخبر بريرة ومغيث فدعاها اليه وكلمها بشأنه ٠ فقالت له :

— أتأمرني امراً يا رسول الله ؟

— لا وانما انا اشفع ٠

— لا حاجة لي فيه ٠

فلم يعارضها النبي ولم يلمها في استعمال حريتها مع انها عتيقة زوجته ، وانما التفت الى عمه العباس وقال له : « ياعباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة لمغيث » ؟

وكما كان النبي (ص) يعترف للمرأة بحقها في الاستقلال بمصالحها الخاصة كان يرى لها الحق ايضاً في ان تشارك الرجال في خدمة المصالح العامة ٠ واهم تلك المصالح في

ذلك العهد مسألة تأييد الدعوة الاسلامية ومقاومة الذين يعارضونها . فكان للمرأة المساعي الحسنة في هذا السبيل . وقد توفرت طائفة من نساء الصحابة على مرافقة الجيش وخدمة المحاربين :

قالت ام عطية : كنت أصنع للمحاربين طعامهم واحفظ لهم خيامهم وأداوي جرحاهم وأقوم على مرضاهم .

وقالت ام سنان : لما اراد النبي الذهاب الى خيبر جئته فقلت له :

— أأخرج معك في سفرك هذا اخرز السقاء وأداوي المريض والجريح وأحافظ على الرحال

— اخرجي على بركة الله فان لك صواحب سألنني الخروج معي فأذنت لهن . فكوني مع زوجتي أم سلمة .

اما أم كبشة فلما استأذنته في الخروج معه قال لها لا : فقالت له :

— اني أداوي الجريح واقوم على المريض .

— اجلسي لا يتحدث الناس ان محمداً يغزو بامرأة .

فانظروا ايها السادة كيف ان النبي (ص) علل عدم اخذها معه بالخوف إن يشيع بين القبائل ان محمداً لا رجال عنده ولا ابطال . فهو يحارب بربات الحجال . ولم يقل لها اجلسي فليس الخروج مع الجنود من شأنك .

وقال انس : إنني في وقعة أحُد رأيت زوجة النبي عائشة ومعها أمي (ام سليم) مشمرتين اري خلاخيلها وهما تقفزان قفزاً وعلى ظهورهما قرب الماء تفرغانها في أفواه العطاش ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيآن فتفرغانها في افواههم .

وهنا امرأة أخرى هي « رفيدة » الاسلمية ما كانت ترافق الجيش وانما نصبت خيمة في مسجد النبي (ص) وجعلت تداوي فيها الجرحى وتعالج المرضى .

ولما جرح سيد الانصار (سعد بن معاذ) في وقعة الخندق قال لهم النبي (ص) اجعلوه في خيمة رفيدة . هذه وظيفة (رفيدة) في زمن الحرب اما في زمن السلم فكانت تأتي بالعجزة والبائسين الى خيمتها فتخدمهم وتخفف آلامهم . فنعمت الخيمة خيمة « رفيدة » كانت مستشفى عسكرياً وقت الحرب . وملجأ للعجزة ايام السلم .

وجاء رجل من المشركين المحاربين الى السيدة (ام هانيء) واستجار بها فأجارته .

فعارضها بعض الصحابة وأراد ان لا يعتبر جوارها فاغتاظت منه وشكته الى النبي فقال لها « قد اجرنا من اجرتِ يا ام هاني » . وهذا من ام هاني مداخلة في امور سياسية عسكرية . وقد رأى النبي (ص) ان لها الحق فيما فعلت . ولم يقل لها : انه ليس من شأنكِ فعليكِ بالطبخ والزينة وتربية الاولاد فقط .

* * *

ولكن مع هذا ايتها السيدات كان محمد يرى ان الزينة وادارة المنزل هما اكبر وظائف المرأة . فكما كان يباهي بالمرأة القرشية التي تحفظ مال زوجها وتعكف على تربية اولادها — كان في الوقت نفسه يعجبه ان لا تنسى المرأة انوثتها ، ولا تهجر زينتها ، ولا تعطل بحال من الاحوال امومتها ، حتى انه كان يكره ان لا يرى اثر الخضاب في كفي المرأة (وكان الخضاب اجمل زينة للنساء في العصور الماضية) .

قالت امسنان بايعت النبي على الاسلام فنظر الى يدي وليس فيها اثر للخضاب فقال : « ما على احداكن ان تغير اظفارها وتعصب يدها ولو بسير » فهو يحضها على الخضاب وان يكون في معصمها سوار . ولو سيراً من جلد .

عرف محمد (ص) نفسية المرأة وغرائزها الخاصة بجنسها . فكان يعاملها بمقتضى ما عرفه منها فيكثر من تأنيسها والرفق بها ، والإنة القول لها . وان كثيراً مما كان يعامل به نساءه نراه اليوم غير لائق ولا مناسب . من ذلك انه كان يخرجهن معه في اسفاره . وكانت احداهن اذا ارادت الركوب بسط لها ركبته لتدوس عليها الى هودجها . واذا كان معها في الفلاة سابقها اشواطاً لاجل الرياضة وادخال المسرة عليها . وادخل الحبشة يوم عيد الى المسجد لترى لعبهم بالحراب كما يلعبون اليوم بالسيف والترس .

وكان للنبي (ص) جار من بلاد فارس فدعا هذا الفارسي النبي الى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة . فلم يقبل النبي الدعوة ما لم تكن معه عائشة . فدعاها .

وكأن النبي يرى ان ترك دعوتها إهانة لها ولذا رفض الدعوة مالم تدع هي ايضاً . ونهى الرجل عن ضرب زوجته ونبهه الى ان ضربها لا يلائم طبيعة ما بينهما من العلاقة الزوجية : يضربها العصر ثم لا يلبث في العشي ان يتملقها و يلح في استرضائها فما اغناه عن الحالتين .

وما زالت الشرائع الانكليزية الى عهد قريب تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعصا لا تزيد ثخانتها على الاصبع ·

وكان النبي (ص) يكرم حاضنته (بركة الحبشية) و يقول للصحابة هذه أمي بعد أمي · وكان يمازحها احياناً ·

طلبت منه جملاً تركبه فوعدها بان يهدي اليها ابن الناقة · فصاحت : وما ذا اصنع بابن الناقة هل يطيق ان يحملني ? أريد جملاً ·

فضحك الصحابة وقالوا لها ويحك يا بركة وهل الجمل الا ابن الناقة ·

ورأى النبي (ص) في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من عرس ومعهن صبيانهن فوقف لهن. هتف قائلاً « اللهم انتم من احب الناس الي · اللهم انتم من احب الناس الي » ·

نعم ايها السادة هو يحب النساء ! · لانهن يربين الرجال كما ربته بركة في يتمه و يساعدن الرجال في النهضات الكبرى كما ساعدته خديجة في نهضته · و ينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت عائشة مذ حملت عنه ثقافته وبلغت أمته سنن شريعته ·

تبشير محمد (ص) بالمرأة وتحريره لها من عبوديتها القديمة لم يخف امره على العلماء من كتبة اوربا حتى غير المنصفين منهم ·

فقد قال المستشرق «اندره سرڤيه» في كتابه الذي سماه (الاسلام ونفسية المسلمين) مانصه :

يتحرى محمد (ص) الاسباب التي تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها الا بكل لطف و يجتهد في ان يحسن احوالها · وكان النساء والاولاد قبله لا يرثون · بل الاسوأ من ذلك ان الاقرب نسباً للميت هو الذي كان يرث نساء الميت في جملة مايرث من مال ورقيق · وعندما نهض محمد (ص) اعطى المرأة حق الارث واوجب كل ما كان حسناً في حقها » ·

ثم قال : « ومن اراد التحقق من عناية محمد (ص) بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة التي اوصى فيها بالنساء · فمحمد لا يجهل ان المرأة اذا كانت اسيرة في النهار فهي سيدة في الليل · وان نفوذها ابداً عظيم ? » ·

هذا ما قاله « اندره سرفيه » وهو ، بالرغم من طعنه في محمد لم يتمالك عن التصريح بانه حرر المرأة · بل ان العالم الالماني در يسمان صرح بان اعطاء محمد المرأة

حريتهـا هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم . ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

وقول (اندره سرفيه) « ان محمداً لا يجهل ان المرأة اسيرة في النهـار » فيه لمز وتشنيع بالاسلام يحق لنا ان نعاتبه عليه :

لا نعلم ما هـذه الامور التي جعلت « اندره سرفيه » واضرابه يلهجون بان المرأة المسلمة اسيرة او في حكم الاسير » .

أيريدون بتلك الامور يا ترى الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وتنصيف الارث وتنصيف الشهادة ؟ .

لا يمكننا ان نتكلم على هـذه الامور الخمسة او الكليات الخمس بالتطويل وذلك لضيق الوقت من جهة ولان هذه « الكليات » طال فيهـا الجدل بين المسلمين وغيرهم بحيث اصبح الحديث مملاً . ومع هذا فسأقول فيها كلمات تلفونية .

* * *

اول هذه الامور (الحجاب) وكلمتي فيه ان البشـر من يوم اخذوا هذا التطور الاجتماعي وجد فيهم طبقات ارستوقراطية يرون من مصلحتهم او تميزهم ان يحتجبوا او يقللوا مخالطة غيرهم من الطبقات . وهذا كما يفعل الملوك والملكات بل عظماء الناس ونساؤهم الى يومنا هذا .

ونبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) ليست من الارستوقراطية في شيء . فلم يضرب بينه وبين عامة الناس حجاباً . فكانوا يدخلون بيته لتلقي العلم كما يدخل التلاميذ مدرسة اساتذتهم .

لكن بعض هؤلاء التلاميذ كانوا ثقلاء في حديثهم . ثقلاء في طول زياراتهم .

فأشار عمر على النبي (ص) بمنع الناس من دخول بيته ، فلم يوافقه النبي احتفاظاً بما نسميه اليوم (ديمقراطية) . وتجنباً للمظاهر الملوكية .

ثم اشتدت ثقالة الثقلاء فنزل الوحي بحجاب نساء النبي (ص) وعدم دخول الناس بيته اللهم الا في احوال خاصة . هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر الارستوقراطيـة الذي اضطر اليه النبي محمد (ص) بسائق الحاجة الماسة .

ثم اخذ المسلمون يقلدون نبيهم عملاً بقاعدة (الناس على دين ملوكهم) فحجبوا نساءهم حتى اصبحت كل امرأة مسلمة ملكة محجبة · وكل بيت لمسلم بلاطاً ملوكياً ·

ولكن ما أسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات · وانما كل نسائها ملكات محجبات !

فالحجاب الاسلامي ياسيداتي وسادتي انما هو اثر من آثار ارستوقراطية المرأة وملكيتها في الاسلام · وليس هو اثر من آثار احتقارها او عبوديتها كما يظنه بعض الاقوام ·

* * *

انتهت كلمتي في الحجاب وأنتقل الى الكلمة الثانية في «توريث البنت نصف ارث اخيها»

هذا الحكم الشرعي الاسلامي يجيب عليه الشارع الانكليزي الذي لم يورث البنت بل حصر ثروة الاب في اكبر الابناء · وذلك لان البكر عميد الاسرة ، وحامل لقبها · والمحافظ على تراث مجدها ·

وكذلك شأن الابناء الذكور بالنسبة الى الاسرة في نظر الشارع الاسلامي : فان الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون اباهم في أسرته كانوا في حاجة الى المال اكثر من اخواتهم البنات اللواتي يندمجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة ·

فالمسألة إذن ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة وانما هي مسألة اجتماعية اقتصادية ·

على انه قد ظهر اخيراً لمديري المعامل الصناعية ان متوسط قوة المرأة اقل من نصف متوسط قوة الرجل ومن اجل ذلك ضاعفوا أجرته ·

* * *

والامر الثالث من الامور الخمسة « شهادة المرأة نصف شهادة الرجل » وكلمتي في الجواب عليه ان سر الشرع فيه ليس لكون محمد (ص) يعتقد في المرأة الحقارة او انها تكذب في شهادتها وانما هو يرى ان المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والخادعات معها هي عليه من ضعف ثقتها بنفسها وقلة ضبطها وسرعة انخداعها · حتى انهم قد يخدعونها بقولهم لها يا حسناء · فما بالكم بغيرها من كلمات التمليق والثناء ؟ !

هذه هي نفسية المرأة التي تحققها محمد (ص) فرأى ان تتعزز عند تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منهما صاحبتها وتتعاونان على التثبت من الامر

الذي تشهدان فيه . فتنصيف الشهادة إذن هو اثر من آثار اعتقاد السذاجة الملائكية في المرأة لا اعتقاد الحقارة او خراب الذمة فيها .

على ان محمد (صلى الله عليه وسلم) ميز المرأة على الرجل في بعض مواطن الشهادة : الرجل لا تقبل شهادته وحده اما هي فتقبل شهادتها وحدها في الامور الخاصة بالنساء كالنفاس وما شاكل ذلك . وكفى بهذا دلالة على ثقة الشارع بالمرأة واعتقاد سلامة وجدانها .

* * *

ومن الامور التي يشنع بها العالم المتمدن على محمد (صلى الله عليه وسلم) شريعة الطلاق ، لكن هذه الشناعة عادوا فشاركونا فيها بمقياس اوسع .

محمد يعلم اننا مهما تحرينا ان يكون الزوجان متلائمين في اخلاقهما وطباعهما لا بد ان يقع (سوء استعمال) في هذا التحري ، حتى يؤدي تباين الطباع بين الزوجين احياناً كثيرة الى فساد الحب الزوجي وتنغيص الهناء العائلي . فيضطر اذ ذاك الى التفرقة وكثيراً ما كانت هذه التفرقة في مصلحة الزوجة فتتخلص من زوجها الشرير .

ومع هذا فان محمداً يكره الطلاق . ويأمر بالصبر . ففي القرآن : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

فالوحي المحمدي كابر الرجل في حسه مراعاة للمرأة حتى قال للرجل : انك وان شعرت بكره لامرأتك مايدريك ان يكون في هذا الكره الخير فاصبر عليها إذن .

الى هذا الحد حض محمد (ص) على تجنب الطلاق . لكن اتباعه خالفوا ناموس شريعته فنزل بهم البلاء .

وهذا لا ترجع تبعته عليه . الا ترون ان النواميس الطبيعية نفسها كنواميس الصحة والمرض مثلاً يخالفها الناس فيحل بهم الشقاء . وليس الذنب في ذلك على الاطباء . ولا على العناية الالهية التي خلقت تلك النواميس . وانما الذنب على الذين خالفوها . قال شيشرون : (من كان غير سعيد فالذنب ذنبه) .

افرط المسلمون في الطلاق فطلقوا من دون قيد ولا شرط وفرط النصارى فلم يطلقوا حتى عند وجود الضرورة . ثم في آخر الامر احس الفريقان بالشقاء . فعاد المسلمون في تركيا الى تضييق دائرة الطلاق . وعاد النصارى في اميركا والمانيا وانكلترا

الى توسيع تلك الدائرة وستكون النتيجة الاعتدال والتوسط ومراعاة الحكمة .
وهو ما اراده محمد في تشريع الطلاق .

* * *

وآخر الامور الخمسة التي يعيبون بها المسلمين « تعدد الزوجات » وكأني في هذا الموضوع تحتاج الى شيء من الجرأة في التصريح . ولكنني مع هذا سأعمل جهدي في العدول عنه الى الإشارة والتلميح .

واقول اولاً ان محمداً (ص) لم يخاطب بشرعه طبقة واحدة من مجموعة البشر كما خاطبها غيره من المشترعين وانما هو كان يخاطب الطبقات كلها اوالامم كلها . وفيهم أمة متوحشة . وأمة نصف متمدنة . وأمة متمدنة .

فمحمد (ص) في تعدد الزوجات يقول لكل أمة : خذي من شريعتي المرنة مايناسب محيطك وحالة اجتماعك ، فاذا قالت طبقة من البشر انا لا أعدد قال لها محمد : تحسنين صنعاً ، لان التعدد في شريعتي مباح لا واجب . لكن هناك طائفة أخرى في إفريقية اوالصين مثلاً تضطرها حالةاجتماعها اوامزجة طباعها الى التعدد .

فمحمد اذا دعا هؤلاء الى دينه لا يقسر طباعهم على ما يريد . ولا يكلفهم ترك التعدد . خشيةان يدخل عليهم العنت والمشقة ماداموافي هذاالطور من اطوارهم الاجتماعية . ومن ثم اباح لهم التعدد ولاسيما اذا كان احدالزوجين عقيماً . او كثر عددالنساء بسبب اجتياح الحروب للرجال كما هو واقع اليوم في اوربا او لغير ذلك من الاسباب .

بل نعود فنقول : مالنا وللامم التي يبيح لها محمد (ص) التعدد بسائق من امزجتها او حالة اجتماعها .

هذه الامم المتمدنة نفسها ، تعدد بالفعل . وتنكر بالقول . وتسب الذين يعددون ! !

عرف محمد امزجة البشر . ودرس طبيعة رجولتهم درساً عميقاً ، فهو يكافح هذه الطبيعة وجهاً لوجه ويقول لاصحابها :

« ألستم بالفعل لاتصبرون على طعام واحد ؟ ألستم مدفوعين بسائق من طبيعتكم او أمزجتكم او اسباب أخرى الى ان تعرفوا امرأة ثانية غير امرأتكم الشرعية ؟ امحوا هذه الطبيعة من نفوسكم حتى امحوا انا التعدد من شريعتي . وماذا ينفع الانكار

او تجدي المكابرة في هذه المسألة ؟ ان كنا لا نرى أليس لنا آذان تسمع ؟ هؤلاء الرجال الذين يريدون ان يعرفوا نساء غير زوجاتهم الشرعيات لا يقول لهم محمد اعرفوهن بالحرام . واحشروا سلالتكم الى ملاجئ اللقطا والايتام . بل يقول لهم : اذا كنتم ولا بد فاعلين . فاعرفوا المرأة الثانية عن طريق تسامح الدين . اعرفوها عن يد الشيخ والقسيس . ولا تعرفوها عن يد الشيطان او ابليس .

فإباحة الزوجة الثانية في شرع محمد (ص) إذن انما هو سد لحاجة الطبيعة البشرية المتمردة ، التي لا تقاوم في بعض الاشخاص . على ان كل خطر على العائلة نتوقعه من وراء التعدد ينبغي ان نتوقع مثله من وراء اتخاذ الخلائل .

فالعائلة إذن معرضة للخطر في الاوساط غير الاسلامية . كما هي معرضة للخطر في الاوساط الاسلامية .

وقد بلغنا لهذا العهد ان المشترعين في اوربا اخذوا يفكرون في وضع قانون للتعدد السري يضيق دائرة شره . و ينقذ العائلات من الشقاء الذي يلحقها بسببه .

* * *

هذا هو ايتها السيدات والسادة ما أردت ان اقوله في موضوع «محمد (ص) والمرأة ».

وقد تحققتم منه ان محمداً (ص) انما جاء للتبشير بالمرأة ومنحها حريتها . وان الطلاق وبقية الامور الخمسة لا تشوه تلك الحرية بحال .

ولكن اذا كان محمد (ص) يريد للمرأة ان تكون حرة بالمعنى الحقوقي . فهو في مقابل ذلك يريد منها ان تكون حرة بالمعنى الاخلاقي .

فالحرة غير الحرة . تجعل الحياة مرة .

اما الحرة الحرة ، فهي التي تكون للعين قرة ، وفي جيد المحافل درة ، وفي جبين وطنها غرة .

المغربي

ابو حيان التوحيدي
— ٣ —

نموذج من كتاب المحاضرات

اقتبس ياقوت في ترجمة ابي سعيد السيرافي « شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل » شيخ ابي حيان — المناظرة البديعة التي جرت بين ابي بشر متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي نأخذ بعض فقراتها . قال ابوحيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام ، فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه ، وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ، ينبغي أن يغتنم سماعه ، وتوعى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . وكان في جملة من حضر ذلك المجلس الذي انعقد سنة عشرين وثلاثمائة : الخالدي وابن الإخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمر وقدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان . قال التوحيدي فقال لي الوزير : اين ابو سعيد من ابي علي ، واين علي بن عيسى منهما ، واين ابن المراغي ايضاً من الجماعة . وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن حيويه فكان مني الجواب : ابو سعيد اجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج عن كل طريق ، والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، واروى للحديث ، واقضى في الأحكام ، وافقه في الفتوى . واحضر بركة على المختلفين واظهر اثراً في المقتبسة .

ومما جاء في هذه المناظرة في اللغات والترجمة : ان لغة من اللغات لا تطابق لغة أُخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره . . . فمن اين يجب ان نثق بشيء

ترجم لك على هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى تعرف المعاني اليونانية على ان المعاني لا تكون يونانيـة ولا هندية كما ان اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركيـة ... ومن فقرها قال ابو سعيد : فانت (اي متى) اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لا تعرف لغة يونان ، فكيف صرت تدعونا الى لغة لا تفي بها وقد عفت منذ زمان طويل ، وباد اهلهـا ، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ، ويتفاهمون اغراضهم بتصرفها ، على انك تنقل من السريانية ، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه الى لغة أخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض ، وادت المعاني ، واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت ، وقوّمت وما حرفت ، ووزنت وما جزفت ، وانها ما التاثت ، ولا حافت ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا اخرت ، ولا اخلت بمعنى الخاص والعـام ، ولا باخص الخاص ولا باعم العام . وان كانت هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ، ولا في مقادير المعاني . فكأنك تقول بعد هذا لا حجة الا عقول يونان ، ولا برهان الا ما وضعوه . ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به ، وينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر ، وانتشر ما انتشر ونشأ ما نشأ من انواع العلم واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم مبثوث في العالم . ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليـه مشغلة . ومع هذا فانما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم

والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء و يصدقون في امور و يكذبون في امور ويحسنون في احوال و يسيئون في احوال ....

قال ابوحيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ صالح باملائه وكان ابو سعيد روى لمعاً من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ماقلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : وتقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً وبيضت وجوهاً وحكت طرازاً لاتبليه الايام ولايتطرقه الحدثان قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه [1] .

نموذج من كتاب الامتاع

نقل القفطي ان السبب في تأليف التوحيدي كتاب الإمتاع والمؤانسة انابا سليمان المنطقي أستاذ التوحيدي في الفلسفة — وكانت داره في دار السلام مقيل اصحاب العلوم القديمة — كان لانقطاعه عن الناس ، ولزومه مجلسه ، يشتهي الاطلاع على اخبار الدولة ، وعلم ما يحدث فيها ، بمكان من يغشاه من الاجلاء ، ينقل اليه بعض اخبارها ، وكان ابوحيان من بعض المتعممين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الاخبار ومهما علمه من ذلك نقله اليه ، وحاضره به ، ولاجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس ابي الفضل عبدالله بن العارض الشيرازي عندما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة . قال : وهو كتاب ممتع على التحقيق ، لمن له مشاركة في فنون العلم ، فانه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة . قال القفطي : وما احسن

(١) لهازم ج لهزمة وهما عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين .

ماراًيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض اهل جزيرة صقلية وهو : ابتـدأ ابو حيان كتابه صوفياً ، وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحفاً اه . وفي الكلام الاخير صورة صغيرة مما كان يعاب على اخلاق ابي حيان وقد لا يجد المدافع معذرة يعتذر بها عنه .

واليكم نموذجاً آخر من كتاب الإمتاع قال ابو حيان وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ثم قال : واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين ابيناء ، لانه شاذ وانما اعطيته في هذه الايام صفو الشرح لايساغوجي وقاطيغورياس من تصنيف صديقنـا بالري . وقال الوزير ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام ابي الحسن العامري ، وصححه معي وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد اباسليمان المنطقي ، وليس له فراغ ، لكنه مخبت في هذا الوقت للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل فقال : ياعجباً لرجل صحب ابن العميد وابا الفضل ورأى ماعنده وهذا حظه قلت : قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبه ؛ والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب ابي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق ، والاوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتحترق ، ولقد قطن العامري الري خمس سنين ، ودرس واملى ، وصنف وروى ، فما اخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولاوعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد . ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع باذنه قوارع الندامة من اصدقائه ، حين ماينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو زكي حسن ... نقي اللفظ وان بقي عساه يتوسط هذا الحديث ، وما ارى ذلك مع كلف بالكيمياء وانفاق زمانه ، وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة ، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ، ومفارقته بالعمل .

قلنا وهذا الحكم على ابن مسكويه وهو من الفلاسفة ايضاً فيه من القسوة مافيه ، بل هذا الحكم على معاصريه ، وان كان اكثره صحيحاً يوغر ولاشك الصدور ويوفر الاحقاد

والطوائل ، والنفوس البشرية قد تتأذى بكشف حقائقها . اما هو فمنزعه واحد وهو ما قاله في آخر كتاب اخلاق الوزيرين « ولكن النقص ممن يدعي التمام اشنع ، والحرمان من السعيد المأمول فاقرة ، والجهل من العالم منكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب » . ومن الانصاف ان نقول ان التوحيدي اجاد كل الاجادة في التعريف بالرجال ووقفنا على نفسياتهم ونزائعهم ، وليس هذا بالامر السهل ، وما كل من كتبوا في العرب نظروا الى هذه المظاهر من الناس .

مثال آخر من كتاب الإمتاع

جماعة اخوان الصفا

سأل الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة اباحيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٢ عن اخوان الصفا بقوله : اني لاازال اسمع من زيد بن رفاعة قولاً يريبني ، ومذهباً لاعهد لي به ، وكناية عما لاأحققه ، واشارة الى مالايتوضح شيء منه ، يذكر الحروف ويذكر النقط ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الالسبب والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة والالف لم تُعجم الا لغرض واشباه هذا . واشهد منه في عُرض ذلك دعوى يتعاظم بها وينتفخ بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغني يااباحيان انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وامكن اطلاعه على مستكنّ رأيه وخافي مذهبه . فقلت ايها الوزير : انت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالاختبار والاستخدام وله منك الإمرة القديمة والنسبة المعروفة فقال : دع هذا وصفه لي فقلت : هناك ذكاء غالب وذهن وقاد ومتسع في قول النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة وحفظ ايام الناس وسماع المقالات وتبصر في الآراء والديانات وتصرّف في كل فن امابالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم . قال : فعلى هذا ما مذهبه قلت : لا ينسب الى شيء ولا يعرف برهط لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولاختلاف مايبدو من بسطته ببيانه وسطونه بلسانه وقد اقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي

وابو الحسن علي بن هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم .

وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دُنّست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميها وعمليها وافردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة .

قال الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل قلت : قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات . وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها اياماً وتبحرها طويلاً ثم ردها عليّ وقال : تعبوا وماأغنوا و نصبوا وماأجدوا وحاموا وماأوردوا وغنّوا وماأطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا ظنوا مالا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونه حدد (ممتنع باطل) وقد نورد على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا احدّ انياباً واحضر اسباباً واعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوىً واوثق عرىً فلم يتم لهم ماارادوه ولا بلغوا منه ماأمّلوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات واضحة موحشة وعواقب مخزية فقال له البخاري ابن العباس : ولم ذلك ايها الشيخ فقال : ان الشريعة مأخوذة عن الله عزّ وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي اثنائها مالا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبّه عليه وهناك يسقط « لِمَ » و يبطل « كيف »

و يزول «هلا» و يذهب « لو وليت » في الريح الخ (عن تراجم الحكماء) • هذه حقيقة جمعية اخوان الصفا • وصفها التوحيدي اجمل وصف وابلغ في كلامه على زيد بن رفاعة وكان شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما قال ان زيد بن رفاعة والخليل بن احمد وابا الاسود الدؤلي كانوا من افراد الدنيا وما احلى قول التوحيدي في ابن رفاعة انه تصرف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم •

كتاب تقريظ الجاحظ

هذا الكتاب ينقل عنه ياقوت احياناً ونقل عنه الجرجاني في كنايات الادباء كما نقل ايضاً عن كتاب الذخائر او النظائر قال : قرأت بخط ابي حيان التوحيدي في كتابه الذي الفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكرالعلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم ير مثله قط بلا تقية ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة •

ونقل ياقوت ايضاً جملة من هذا الكتاب فقال : ومنهم (اي من الذين قدمهم التوحيدي على الجاحظ وفضلهم) ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة • افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى اتمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله •

وهذا الكتاب من عجائب التوحيدي ايضاً فانه على ماظهر من هذين النموذجين فيما نرى في وصف السيرافي والرماني انه فضلهما على الجاحظ في هذا الاختصاص وهذا موضع نظر ايضاً

مثال آخر من هذا الكتاب عن طبقات الادباء لياقوت : قال ابو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ ومن خطه الذي لا ارتاب فيه نقلت قال : قلت لابي محمد الاندلسي يعني

عبدالله بن حمود الزبيدي وكان من عدد اصحاب السيرافي وله في هذا الكتاب ذكر . قد اختلف اصحابنا في مجلس ابي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وابي حنيفة صاحب النبات ووقع الرضى بحكمك فما قولك ؟ فقال : انا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما فقال : لا بد من قول . قال : ابوحنيفة اكثر ندارة وابوعثمان اكثر حلاوة ومعاني ابي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ ابي حنيفة اعذب واعرب وادخل في اساليب العرب قال ابوحيان : والذي اقول واعتقده وآخذبه واستهام عليه اني لم اجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم . هذا الشيخ الذي انشأنا له هذه الرسالة وبسببه جشمنا هذه الكلفة اعني اباعثمان عمرو بن بحر والثاني ابوحنيفة الدينوري فانه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم ورُواء وحكم وهذا كلامه في الانواء يدل على حظ وافر من علم النجوم واسرار الفلك فاما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام ابدى بدوي وعلى طباع افصح عربي . ولقد قيل لي ان له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيته وانه ما سبق الى ذلك النمط هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وقد وقف الموفق عليه وسأله وتحفى به . والثالث ابوزيد احمد بن سهل البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في الاعصر الأول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي كتاب اخلاق الامم وفي كتاب نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه ويبده به علم انه بحر البحور وانه عالم العلماء وماروي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه وان القول فيه لكثير ولو تناصرت الينا اخبارهما لكنا نحب ان نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه وكتاباً منسوباً اليه كما فعلت بابي عثمان اهـ .

مثال من مثالب الوزيرين

قال ابوحيان : حدثنا ابوبكر الصيمري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت احمد بن الطيب يقول ان صديقاً لابن ثوابة الكاتب ابي العباس

يكنى اباعبيدة قال له ذات يوم : انك بحمدالله ومنه ذو أدب وفصاحة و براعة فلو اكملت فضائلك بان تضيف اليها معرفة البرهان القياسي وعلم الاشكال الهندسية الدالة على حقائق الاشياء وقرأت اقليدس وتدبرته . فقال له ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو قال : رجل من علماء الروم يسمي بهذا الاسم وضع كتاباً فيه اشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الاشياء المعلومة والمغيبة يشحذ الذهن ويدقق الفهم ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية ومنه افتتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم قال له ابوالعباس بن ثوابة : وكيف ذلك قال : لاتعلم كيف هو حتى تشاهد الاشكال وتعاين البرهان فقال : فافعل ما بدالك . فأتاه برجل يقال له قويري مشهور ولم يعد اليه بعد ذلك . قال احمد بن الطيب : فاستظرفت ذلك وعجبت منه فكتبت الى ابن ثوابة رقعة نسختها . بسم الله الرحمن الرحيم اتصل بي جعلت فداك ان رجلاً من اخوانك اشار عليك بتكميل فضائلك ونقويتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك اليه وانك أصغيت الى قوله وأذنت له فاحضرك رجلاً كان غاية في سوء الادب معدناً من معادن الكفر واماماً من أئمة الشرك لاستغرارك واستغوائك يخادعك عن عقلك الرصين وينازلك في ثقافة فهمك المبين فأبى الله العزيز الا جميل عوائده الحسنة قبلك ومننه السوابق لديك وفضله الدائم عندك بان تأتي على قواعد برهانه من ذروته وتحط عوالي اركانه من اقصى معاقد أسه فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه ولأتلافي الفارط في ذلك بتدبير المشيئة ان شاء الله تعالى .

قال فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فحواها وتدبرت متضمنها والخبر كما اتصل بك والامر كما بلغك وقد لخصته وبينته حتى كأنك معنا وشاهدنا واول مااقول الحمدلله مولى النعم والمتوحد بالقسم اليه يرد علم الساعة واليه المصير وانا اسأل ايزاع الشكر على ذلك وعلى مامنحنا من ودك واتمامه بيننا بمنه .

وهنا ذكر ما وقع له واظهر تأففه من علم الهندسة ولعن الوسيط له الى معلمها على صورة مضحكة تخرج بنا ان اقتبسناها عن الغرض الذي قصدنا . وقد عقب عليها ياقوت

بعد ان نقلها برمتها في ترجمة احمد بن محمد بن ثوابة بقوله : لاشك انا كثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزوّر وماظن برجل مثل ابن ثوابة وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى اليه مقاليد الخلافة فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني و يرتضيه العقلاء والوزراء بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه تولى كتابة الانشاء السنين الكثيرة ان يكون منه هذا كله . ولكن عسى ان يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق ابوحيان خبر ابن ثوابة لاجله وهو ان قال كان ابن عباد يسب اصحاب الهندسة و يقول جاءني بعض هؤلاء الحمقى ورغبني في الهندسة فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين وخط خطاً ووضع شكلاً وطول وزعم انه يعمل برهاناً على ذلك فقلت له : كنت اعرف ان هذا خمسة وعشرون ضرورة وقد شككت الآن فأنا مجتهد حتى اعلم بالاستدلال وهذا هو الخسار . قال ياقوت ومثل هذا لا يبعد ان يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فاما ما تقدم من حديث ابن ثوابة فهو غاية في التخلف والرجل كان اجل من ذلك وانما أتي اما من جهة احمد بن الطيب لانه كان فيلسوفاً وكان ابن ثوابة متجرفاً كما ذكرنا فأخذ يسخر منه ليضحك المعتضد فان احمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد واما ان يكون ابوحيان جرى على عادته في وضع ما اكثر من وضعه من مثل ذلك والله اعلم . وعندنا ان التوجيه الاول اوجه اي حمل هذا الكتاب على اختراع احمد بن الطيب للاضحاك والهزوء والتوحيدي اورد الرسالتين على علاتهما كأن لسان حاله لم آمر بها ولم تسؤني .

مثال من كتابه الصداقة والصديق

قال في مقدمة هذا الكتاب « اللهم خذ بايدينا فقد عثرنا واسترعلينا فقد اعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقى الجيوب حتى نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين آخذين باطراف المروءة آنفين من ملابسة مايقدح في ذات البين متزودين للعاقبة التي لابد من الشخوص اليها ولامحيد عن الاطلاع عليها انك تؤتي من تشاء ما تشاء .

« سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة

وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم مما قدار نفع رسمه بين الناس وعفى اثره عند العام والخاص وسئلت إثباته ففعلت ووصلت ذلك بجملة مما قال اهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد . وسمعت الخُوارزمي ابابكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول : اللهم نفّق سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ، ولا تمتني حتى يبور الجهل ، كما بار العقل ، ويموت النقص كما مات الفهم . وأقول : اللهم اسمع واستجب ، فقد برح الخفاء ، وغلب الجفاء ، وطال الانتظار ، ووقع اليأس ، ومرض الامل ، واشفى الرجاء ، والفرج معدوم ، وأظن ان الداء في هذا الباب قديم ، والبلوى فيه مشهورة ، والتجبيج منه معتاد .

« فأول ذلك اني قلت لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني إني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومؤاتاة خُلُقية . فمن اين هذا وكيف هو ؟ فقال : يابني اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طُمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر ، ولا يحوّلان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب ، مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة ، حتى انا نلتقي كثيراً في الارادات والاختيارات ، والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني باشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بامور حدثت لي في ذلك الاوان ، حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأني هو فيها او هو انا ، وربما حدثته برؤيا فيحدثني باختها ، فنراها في ذلك الوقت اوقبله بقليل او بعده بقليل . قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بانقسامه من قوى الفلك ، وان سهامنا واحدة ، وأنصابنا منها متساوية ، او قريبة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصداقة ، وتوكيد العلاقة . فقلت لابي سليمان كيف يصح هذا ، وانت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وقُتَيْبَتُك [1] مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلانس ، ومخاضة(؟) الظاهر

(١) القُتيبة تصغير القتبة وهي الامعاء .

الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مماعليه السواد الاعظم · فقال : هـذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابداً مخالف للفرع ، لاخلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكان مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زحل ، فظهرت بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن ·

قلت : هذا والله ظريف ، ومما يزيد في طرافتـه انك من سجستان وهو من الصَيْـمَرة فقال : الامكنة في الفلك أشد تضاماً من الخاتم في إصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الارضية ، من بلد الى بلد ، بفراسخ تقطع ، وجبال تعلى ، وبحار تُخرق ، فقلت : هل تجد عليه في شيء او يجد عليك في شيء فقال : وجدي به في الاول ، قد حجبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكتفي مني فيما خالف هواي باللمحة الضئيلة ، واكتفي انا ايضاً منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة · وربما نعاتبنا على حال تُعرض على طريق الكناية عن غيرنا ، كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذاك مقنع ، واليه مفزع · وقلما نجتمع الا ويحدثني عني باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي ، ولا ندّت عن صدري الى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حُمْر النَعم ، ولأجد بها بحياتي ماأجد بحياتي لي واذا كنت اعشق الحياة لاني بها أحيا كذلك أعشق كل ماوصل الحياة بالحياة وجنى لي ثمرتها وجلب اليّ روحها وخلط بي طيبها وحلاوتها ·

وكان ابوسليمان يحدثني عن ابن سيار بعجائب واما انا فما عرفته الا قاضياً جليلاً صاحب جدّ وتفخيم وتوقير وتعظيم وكان مع ذلك بسيط اللسان شريف اللفظ واسع التصرف لطيف المعاني بعيد المرامي يذهب مذهب ابي حنيفة ·

تعريف للصداقة وضروب للاصدقاء

« ثم قال ابو سليمان : الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبـة شديدة الاستحالة وصاحبها من صاحبه في غرور والزلة فيها غيرمأمونة وكسرها غير مجبور · قال :

فاما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ولذلك لا تصح لهم أحكامها ولا توفي بعهودها وانما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستحلاء والاستخفاف واما خدمهم واولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم · ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم (انتشب فيه اعتلق) وانتسابهم اليهم وولوع طورهم بما يصدر عنهم و يردعليهم · واما التناء واصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير · واما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل مايتعلق بالفتوة · واما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم ربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وطلب سلامة العقبي · واما الكتاب واهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل · واما أصحاب المذاب والتطفيف[1] فانها رِجْرِجة[2] بين الناس · لا محاسن لهم فتذكر ولا مساعي فتنشر ولذلك قيل لهم همج ورعاع وأوباش وأوتاش[3] ولغيف[4] وزعانف وداصة[5] وسُقَّاط وانذال وغوغاء لانهم من دقة الهمم وخساسة النفوس ولؤم الطباع على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين وعصابة المشهورين · فلهذه الامور الحائلة عن مقارها الزائغة الى غير جهاتها علل واسباب لو نفَّس الزمان قليلاً لكنا ننشط لشرحها وذكر ما قد اتى النسيان عليه وعفى اثره الاهمال وشغل عنه طلب القوت ومن اين يظفر بالغذاء من كان عاجزاً عن الحاجة و بالعشاء من كان قاصراً عن الكفاية وكيف يختال في حصول طمرين للستر لا للتجمل وكيف يهرب من الشر المقبل وكيف يهرول وراء الخير المدبر وكيف يستعان بمن لا يعين ويشتكي

---

(١) التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل او وزن والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان والمذاب جمع مذبة بكسر الميم مايذب به الذباب وهي هنة تسوى من هلب الفرس و يقال أذنابها مذابها وهو مجاز · (٢) الرِّجْرِجة بقية ماء مختلط بطين في أسفل الحوض و يطلق على الحمقى والمهازيل · (٣) الوتش القليل من كل شيء ورذال الناس ولعلها الأوقاش وهم الأوباش · (٤) اللغيف من يأكل مع اللصوص و يحرس ثيابهم ولا يسرق معهم · (٥) جمع دائص وهو اللص او من يتبع الولاة ·

الى غير رحيم ولكن حال الجريض دون القريض[1] .

ومن العجب والبديع انا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد والومد وكأني بغيرك اذا قرأها تقبضت نفسه عنهـا وامر نقده عليهـا وانكر عليّ التطويل والتهويل بها . وانما اشرت بهذا الى غيرك لانك تبسط من العذر ما لايجود به سواك وذاك لعلمك بحالي واطلاعك على دخلتي واستمراري على هذا الانفاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ونكثا مرتي وأفسدا حياتي وقرناني بالأسى وحجباني عن الأسى لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ومرفق مشفق والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال اوعصار او نداف اوقصاب ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني[2] بصُنانه وأسكرني بنتنه . فقد أمسيت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخُلُق مستأنساً بالوحشة قانعاً بالوَحدة معتاداً للصمت ملازماً للحيرة محتملاً للاذى يائساً من جميع من ترى متوقعاً لما لا بد من حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب ونجم العيش الى افول وظل التلبث الى قلوص اهـ » .

سبب تأليف الصداقة والصديق ومرمى التوحيدي في صنعة الرسائل

وقال التوحيدي بعد ذكر هذه المقدمة ان سبب انشائه هذه الرسالة في الصداقة والصديق انه ذكر « شيئاً منهـا لزيد بن رفاعة ابي الخير فنماه الى ابن سعدان الوزير ابي عبدالله سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله اعباء الدولة وتدبيره امر الوزارة حين كانت الاشغال خفيفة والاحوال على أذلالها[3] جارية » فأشار عليه ابن سعدان

(١) الجريض الغصة من الجرض وهو الريق والقريض الشعر واصل المثل ان رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه ابوه عن ذلك فجـاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك فأذن له ابوه في قول الشعر فقال هذا القول . (٢) أسدرني حيرني ولم نجد هذا الفعل في الكتب التي بين ايدينا . (٣) في المثل : أجرِ الامور على أذلالها اي على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسر ويقال جار به على أذلاله اي على وجهه وواحد الأذلال ذل بالكسر .

ان يدونه فجمع هذه الرسالة وابطأ عن تحريرها فلما مرّ على ذلك بعض سنين عثر على المسودة وبيضها ·

وقد قال في مكان آخر : « قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ومايتصل بالوفاق والخلاف والهجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرياء والنفاق والحيلة والخداع والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار · ولو امكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه واجرى الى الغاية في ضم الشيء الى شكله وحبسه في قالبه فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم · ولو أردنا ايضاً ان نجمع ماقاله كل ناظم في شعره وكل ناثر من لفظه لكان ذلك عسراً بل متعذراً فان أنفاس الناس في هذا الباب طويلة وما من احد الا وله في هذا الفن حصة لانه لا يخلو احد من جار او معامل او حميم او صاحب او رفيق او سكن او حبيب او صديق او أليف او قريب او بعيد او ولي او خليط كما لا يخلو ايضاً من عدو او كاشح اومداج اومكاشف اوحاسد اوشامت او منافق او مؤذٍ او منابذ او معاند او مزل او مضل او مغل · وقد قال الاوائل الانسان مدني بالطبع وبيان هذا انه لا بد له من الاعانة والاستعانة لانه لايكمل وحده لجميع مصالحه ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهر واذا كان مدنياً بالطبع كما قيل فبالواجب مايعرض في أضعاف ذلك من الاخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعاشرة مايكون سبباً لنظام الحال او يكون سبباً لانتشار الامر ولا محالة ان هذه وأشباهها مفضية بالناس الى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم وكتبنا جورهم وانصافهم وذلك اعلى فنون ما قالوه ونظروه وعيون ماذكروه ونشروه ونروي في هذا الموضع بقية أبيات وان عنّ شيء حكيناه ونغلق الرسالة فانها اذاطالت أبغضت واذا أبغضت هجرت اهـ ·

وهذا النموذج الضئيل الذي أوردناه من الصداقة والصديق كافٍ في الحكم على أسلوبها والروح الذي ينزع اليه في تأليفها · وملاحظة التوحيدي على ائتلاف المتضادين في العلم والتمثيل بصداقة أستاذه ابي سليمان المنطقي وصديقه ابن سيار القاضي ووصف ابي سليمان وصفاً دقيقاً للصلات التي عقدت بين قلبهما ثم ابداءه في وصف طبقات الاصدقاء كل ذلك من جميل الوصف والى اليوم ما اختل هـذا التقسيم وان رأيت

الوفاء والصداقة في النادر الشاذ · ومن أبدع الصفحات وصف غُربته في أمته غربة الفكر والاجتماع والنحلة والخُلُق والعادة · ولا بدع فهو من جيد الوصف في نفسية اهل عصره ومنزلة العالم بين جمهور الغاغة والغوغاء · ومن أجمل الاعذار اعتذاره عن طول هذه الرسالة علماً منه ان مكانة الكتاب بمادته لا بسعته ولكن اذا قضت الحال بالتطويل اضطر المؤلف الى اطلاق عنان بيانه ·

مثال من مجالسهم

في كتاب الصداقة والصديق قوله : رأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد انكر شيئاً من بعض الندماء ·

عدو راح في ثوب الصديق شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهراً ويسوء سراً كذاك تكون ابناء الطريق

وانا أسمي لك ندماءه ، وأروي كلاماً له وصفهم به · منهم ابوعلي عيسى بن زرعة النصراني المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج الشاعر ، وابوالوفاء المهندس ، وابن بكر ، ومسكويه ، وابو القاسم الاهوازي ، وابو سعد بهرام بن ازدشير · وكان أوزنهم عنده ، وألصقهم بقلبه ، وابن شاهويه · هؤلاء اهل المجلس سوى الطارئين من اهل الدولة لا فائدة في ذكرهم · قال زيد بن رفاعة وكان قريباً له من جهة الخوف له(؟) : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح ان يكتب على الاحداق ، و يعرض على اهل الآفاق ، ليستفيده الصغير والكبير · قال : اصحابي طرائق قدد ، كما قال عبد الحميد الكاتب : الناس أخياف مختلفون ، وأصناف متباينون ، فمنهم علق مضنة لا يباع ، ومنهم غُل مظنة لا يُبتاع · وكما قال الآخر :

الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

فأما ابن زرعة فكبره بالحكمة ، وخيلاؤه بالثروة قد قدحا في حاق[1] عقله ، وهو لا يحس بذلك القدح ، فليس لنا منه اذا جالسنا الا النفخ والنعظم والتهويل

(١) وسط عقله ·

بارسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تجافي عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلون عن مجالس الشراب ، ياثائم ياغافل ياساهي ، واين انت من هؤلاء الحكماء القدماء أسيرتك سيرتهم ، أحالك حالهم ، انما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحل اسماءهم باللفظ فاذا جاءت الحقيقـة كنت على الشط تلعب بالرمل ولولا انه يكدر هزل جدنا بجد هزله لكان محمولاً مقبولاً ولكنه يأبى الا ماألفه وأفاد لمران عليه .

واما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصـاحة قد طرحه في عمق الج لا مطمع في انتقاذه منه ولاطريق الى صرفه عنه هذا مع حركات غير متناسبة وشمائل غير دمثة ومناظرة مخلوطة بذلة اهل الذمة ودالة اصحاب الحجة .

واما ابن الحجاج فقد جمع بين حد القاضي ابي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة وبين سخف شعره الذي لايجوز ان يكون لراو به مروءة به فكيف لقائله فنحن اذا نظرنا اليه تخيلنـا صورة سخف شوهاء في صورة عقل حسناء ولا تخلص هذه من هذه ولا جرم استماعنا به قاصر عن مرادنا منه ودنوه منـا ناب عن مراده له . اما الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية الا ان لفظه خراساني واشارته ناقصة هذا مع مااستفاده بمقامه الطويل ببغداد والبغدادي اذا «تخرسن» كان أحلى وأظرف من الخراساني اذا « تبغدد » . وان شئت فضع الاعتبار على من أردت فانك تجد هذا القول حقًا وهذه الدعوى مسموعة .

واما مسكويه فانه يسترد بدمامة خلقه ما يتكلفه من تهذيب خُلقه واكره له المشاغبة في كل مايجري لايجد في نفسه من المكانة والقرار مايعلم معه انمضاءه في فن هو فيه طويل الذيل مديد السيل لا يأذن له في تعاطي فن آخر هو فيه قصير الباع بليد الطباع وصاحب هذا الرأي ممكور به مصاب بجيد رأيه وقد أفسده . قال المهلبي قال ابن العميد وفعل ابن العميد : وما ذكره لهذين الا استطالة على الحاضرين والتشيع بذكر الرجال واضع من قدر الرجال .

واما ابن بكر فهو تميمة المجلس ولا بد للـدار وان كانت قوراء من مخرج وهو

بجهله مع خفة روحه وقبح وجهه أدخل في العين وألصق بالقلب من غيره مع علمه وثقل روحه وحسن ظاهره ·

واما الأهوازي ابو القاسم فلا حلاوة ولا مرارة ولا حموضة ولا ملوحة وانما هو كالبصل في القِدر وكالإصبع الزائد في اليد على انا نرعى فيه حقًا قديمًا ونرحمه الآن رحمة حديثة ·

واما سيدي ابو سعد فوالله اني لأجد به وجداً اتهم فيه نفسي وما وجدت ألم سهر معه قط واني ارى حديثه آنق من المُنى اذا أدركت ومن الدنيا اذا ملكت · وإنّ تمازجنا بالعقل والروح والرأي والتدبير والنظر والارادة والاختيار والعادة ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحم وتراضعا من ثدي ونوغيا في مهد وما أخوفني ان يؤتى من جهتي او أُوتى من جهته وان عاقبته موصولة بعاقبتي لاني مأمنه وهو مأمني وما اكثر ما يؤتى الانسان من مأمنه والله المستعان ·

واما ابن شاهويه فشيخ ليس لنا فيه فائدة الا ما يلقي الينا من تجاربه ومشاهداته ولولا زيادته التي تصنع بها من نفسه وبعض من خطراته لكان هدّك (نِعْمَ) من رجل ولكن من لك بالمهذب ألم يقل الاول : اي الرجال المهذب ·

قال زيد بن رفاعة : قلت ايها الوزير ان طلوعك في خبايا ضمائرهم وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالافراج عنهم وقلة الاكتراث بهم قال : لا نفعل والله مالهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير وانهم لاعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل واذا خلا العراق منهم فرقن(1) على الحكمة المروية والادب المتهادَى أتظن ان جميع ندماء المهلبي يفون بواحد من هؤلاء او نقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم · قال : قلت هذا ابن عباد بالريّ وهو من يعرف ويسمع · قال : ويحك وهل عند ابن عباد الأصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم يصيح ويقول قال شيخانا ابو علي وابوهاشم دعنا من حديثه وغثاثته وشعبذته فما احب ان أزيد في وصفه على ما أشرت اليه والله لو تصدى انسان متوسط في العلم والادب

(1) الترقين مواضع في الحُسبانات لئلا يتوهم انها بيضت كي لا يقع فيها حساب ·

والحنكة والانصاف لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كل غريبة ، واتى بكل أعجوبة . الرجل مجدود ، وفي زمرة اهل الفضل معدود .

قال : رويت هذا الخبر على ما اتفق وكنت أطلب له مكاناً منذ زمان فلم اجد الا هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق اه » .

عرفنا بهذا الضرب من التدوين طبقة راقية من العلماء في عصر التوحيدي وما يغمزهم به الغامزون ، وأنى يغتابهم المغتابون ، ولو كتب لنا الاطلاع على جميع ما كتبه ابو حيان في كتبه : المحاضرات والإمتاع والبصائر وماتخلل المجالس التي روى أخبارها مما شهده بنفسه اونقله اليه معاصروه الثقات — لجاءت السلسلة تامة من كل وجه في الحكم على اهل القرن الرابع في بغداد ولتبدل الحكم عليهم وناقضت أحكامه أحكام بعض من نقلوا تراجمهم كأنها حكم مسمط لا ينقض .

« للبحث صلة »

محمد كرد علي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٧ =

من المعلوم ان الشعر ليس هو ألفاظ مجموعة ، تُركَّب على أوزان موضوعة وقواف مصنوعة ، ولكنه صناعة كصناعة الاوتار والألحان ، لا تنال حظها في الآذان ، ما لم تستكمل شروطها من حسن التدرج والتنقل في الابراج بحيث لا يقع بينها تنافر او تناكر ، وان يكون النقر على الأوتار ، او النفخ في المزمار ، نسبياً اي موقعاً ومقطعاً توقيعاً وتقطيعاً يناسبان المقام ، فليست موسيقى الحرب وتحريك الشجاعة في نفوس الجند ، كموسيقى الصفو والهناء بين أحباب قد عكفوا على الراح ، وتبادلوا عتيقها بالطاسات والأقداح ، في روضة قد فُتحت أزهارها ، وترقرق ماء سواقيها وأنهارها ، كما ان حسن الصوت وحده لا يستلذّه السمع ، ما لم يصحبه احسان الصناعة في التلحين ، وهذا لا يستجمع شروط الاجادة ما لم يستكمل حسن اللفظ وفصاحة الالقاء واختيار الشعر العالي الذي يناسب مقام الغناء كما هو معلوم ، وبعد ذلك فاذا اجتمع هذا كله لمغنٍّ ، فخلط النهاوند بالسيكاه والعراق بالدوكاه والحجاز بالنوى والعجم بالرصد والصبا ، لاستنكرت الآذان غناءه ولو سمي ابراهيم او اسحق النديم ·

فاذا كان هذا هو الشأن في فن الموسيقى او الغناء وركنهما حسن الصوت ، فما القول في الشعر وركنه الاول الخيال ؟

ومما تقدم ومما سيأتي ، يتضح لك ان الخلط في الالعوبة الالهية هو عيب من الخش عيوبها ولا يعدّه حسنةً الا من قصر باعه في فن الشعر ، وقل بصره في فن النقد ·

واذا تقرر ان الخيال أعظم أركان الشعر ، وان أعذب الخيال ما اجتمع فيه الحسن والجمال ، اذ كان فيهما سرور النفس وملاذها ، او تسليها وعزاؤها ، فأي سرور لها

في ذكرالوحوش والاحناش ووصف أشكالها القبيحة وشراسة افتراسها ونهشها الاجساد البشرية على ضروب لم تمرّ في بال عاقل ؟ واي تسلية او عزاء في وصف النيران والسموم ولواذع الجليد وئن الرياح الموج وتصوير أناس قطع نصف جسمهم طولاً وبانت أمعاؤهم وقلوبهم وأكبادهم ، تسيل دماؤهم . وسواهم وقد كسيت أجسادهم ثياباً من القروح يكشطونها باظافر نارية ليلاً نهاراً ؟ الخ الخ .

لعمري ان هذا الباب من أبواب الشعر لم يخطر في مخيلة شاعر عربي ، ولا أحسبه يدخل في أبواب الشعر الاعجمية ، وحسبنا برهاناً على ذلك ان الألياذة المنسوبة الى هوميروس وهو المعدود باجماعهم شيخ شعراء الدنيا لم تُعَدّ في الطبقة الاولى من الشعر عندهم ، الا لما اشتملت عليه من وصف الوقائع الحربية وآلاتها ، ومآثر السلف واخبارهم في سلمهم وحروبهم ، وما يتداخل ذلك من مصارع الغرام ، واكرام الضيف الى مثلها من الحالات التي تكاد تلمس في وصفها حقيقة أحوالهم الفطرية .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل وكله شعور لطيف واحساس متناهٍ في الرقة قد بلغ غاية التمام من الاحسان ، حتى لتكاد تشرب به الاذان ولا تملّ من النظر اليه الأعيان .

فاذا عُلم هذا نفرع عنه ان التبويب شرط اساسي من شروط التأليف والانشاء لا في النثر فقط بل في الشعر ايضاً كما أشرنا الى ذلك في منهل الوراد[1] ولذلك عدوا ملحمة هوميروس في رأس الشعر عندهم لانها اشتملت على عموم حادثة تاريخية سرد فيها كل مايتعلق بتلك الحادثة وهي في الشعر من باب الشعر القصصي ، تنتقل فيها من واقعة الى واقعة ومن بلد الى بلد فتشهد الحوادث مصورة باللفظ وليس فيها للشاعر غير الرواية اي سبك الجمل واختيار الالفاظ وإجادة النظم وانسجامه اي خلوّه من التعقيد ، وتصوير المعاني في قوالب من اللفظ بحيث تتمثل أشخاص القصة للعيان وتحلّ أرواحها في ذلك البيان ، وتسيغ النظم في ذهن القارئ او السامع سوغ الماء الزلال في فم الظمآن .

(١) منهل الوراد في علم الانتقاد (كتاب) .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل فانه لا يتباعد عن موضوعه الا بمقدار ما يلجئه التشبيه او الوصف ، بحيث لا يتيه ذهن المطالع في صحاري الاشارات والالغاز ، او يغرق في بحار من قواعد العلوم المختلفة والمسائل المتباينة كتسمية إله النصارى بجوبتر إله اليونانيين ، فيضل الغرض الاصلي وهو موضوع القصة .

ومن العيوب التي عدّها نقادو الافرنج على الشعر العربي ، ان الشاعر الجاهلي هو بطل روايته ، فلا يكاد يخرج عن نفسه ، وهو في ذلك على نقيض مما ذكرناه عن حسنات الياذة هوميروس ، ولعلهم في ذلك على هدى ، فما بالهم تغاضوا عن عدّ هذا العيب الواضح في الاعوبة دانتي عليه ؟ فانه جعل نفسه بطل روايته الطويلة المملة واكثر فيها من مدح ذاته والمفاخرة بنظمها وهو مما عبناه نحن ايضاً على شاعرنا المتنبي وقد كان يفاخر مزاحميه عند سيف الدولة ملك حلب من شعراء عصره ولعل له عذراً في ذلك انه كان يحرص على تلك المنزلة الرفيعة وعلى ما كان يناله من صلات الملك المتناهية في الكرم ، ولم يكن دانتي في مثل تلك الحال عند مباهاته في غير موضع من الاعوبة .

وقال المتنبي مفاخراً :

ما نال اهل الجاهلية كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وهو في شعره هذا ينطق بلغتهم ، وقد جاء بالرشيق من اللفظ والسهل الممتنع في الغزل والنسيب والمدح والوصف والقصة والحكمة والفخر بما لم يأت بمثله شاعر قبله ، اما دانتي فقد جاء بالاعوبة الالهية التي فاخر بها وعدها معجزة المعجزات ، وهي اول ما ينعى عليها انها لم تكن باللغة اللاتينية الفصحى لغة من تقدمه بل كانت يومئذ لغة عامية لغة الاغاني وفيها من الكشفات ما نحن في نقده وتعداده ، وما يفرض على الناقد المنصف ان لا يغضي عليه ، ولسنا نرى وجهاً لتسامح الشراح والنقادين في تعييبه بما يعاب عليه سواه .

ومن عيوب الانشاء الفاضحة تكرار الالفاظ والمعاني ، وقد أجمع على ذلك علماء الفصاحة والبيان في اللغات الاعجمية كعلماء اللغة العربية وتشددوا في ذلك على الشعراء فوق تشددهم على الكتاب لما هو مطلوب في صناعة الشعر من البلاغة والجزالة ،

ولاستقلال بيت الشعر بالمعنى ، وان تجاوزه فالى بيتين والعرب بمحاسن الشعر أبصر الامم بلا مدافع ·

فالتكرار في ألعوبة دانتي مما يملي بالسأم وهو غير قاصر على الالفاظ بل المعنى هو هو في كل أغنية من الاربع والثلاثين أغنية في جهنم ومثل ذلك في المطهر والسماء لا يختلف الا بوصف السرداب اوالدرج اوالقوس المنحنية اوالمظلمة او الوحش الناري الغريب او الشيطان ذي الرؤوس او الافواه المتعددة او امم رجل مجهول من جيرانه او بعض معارفه وكم من ذلك ؟ او حادثة مكانية تافهة ، او قال لي ابي ، وقلت لابي وابي لي ، وانا لابي الى غير ذلك من الحقير المبرم المضجر ·

ومن عيوبها الواضحة انها لم تتجرد عن السفليات ، ولم يظهر لنا صاحبها في مظهر من الاخلاص ، وانما هي مشبعة بالانانية ، فالخائن فيها مَن لا يرى رأي دانتي او من خالف مذهبه ، وعدو الوطن من قومه مَن لم يكن من حزبه ، وعدو الدين من لم يقل بقوله السياسي ولو كان مطراناً بل البابا نفسه ، وساقطو المروءة اولئك الذين لم يعاونوه على نيل مطامعه ، بل يتجاوز الى الطعن على أمة باجمعها وشتمها لان ملكها لم يسعف مطلب اميره او حزبه ، كما شتم الامة الفرنسية في غير موضع من ألعوبته ، وهو لا يأبى إغراء ملك غريب على اكتساح بلاده وإنزال أشد العقوبات باهل وطنه ·

ومن عيوبها الاثيمة ذهاب صاحبها الى أبعد ما يتصوره الفكر الانساني من الحقد والضغينة وحب الانتقام ، فانه لم يكتف باغراء امبراطور المانيا على اكتساح بلاده وصب البلاء على اهل وطنه ، بل تبعهم في جهنم ، ولم يرو غليله احتراقهم بتلك النيران وما كانوا يقاسونه من نهش الافاعي وضرب المقامع النارية على ما وصفها مما ترتعد الفرائص من ذكره ، بل كان يتلذذ بمشاهدتهم (او تصور مشاهدتهم) في تلك العذابات ، و يقول لأبالستهم زيدوهم حرقاً وتعذيباً ، بل يخاطبهم قائلاً ذوقوا لذائذ هذه الجحيم فانكم فيها خالدون ·

ومن أشد عمى تعصبه انه يقذف في جهنمه بكل من يمر في باله او تحت رأس قلمه من مخالفيه في الرأي او في الدين كما ذكرنا ، حتى انه يقذف بنبي دعا الوثنيين

وهداهم الى عبادة الله دانتي نفسه ، وليست دعواه بالنبوءة دون دعاوي سواه من الانبياء .

بقي القول ان دانتي أراد ان يحول رسالة الغفران من رسالة دعاء كما فهمها من ظاهر لفظها العربي او من ترجمتها اللاتينية الى افكوهة شعرية او ألعوبة تمثيلية ولذلك دعاها بالالعوبة .

غير ان تسميتها بالالعوبة (Comedia) لا يعني انه وضعها كما وضع بعده شكسبير وموليار وراسين وغيرهم العوباتهم للتشخيص في دور التمثيل والملاعب لان مراده منها ينافي هذا الغرض كل المنافاة لاسباب :

منها انها مما لا يمكن تمثيلها في ليلة واحدة بل ولا ليلتين وهذه الطريقة اي التشخيص المتتابع على عدة ليال او على ليلتين لتتميم حادثة التشخيص ليست مألوفة عند الفرنجة وان كانت اليوم مألوفة عند اليابان .

ومنها ان كل ما صوّره في جحيمه ومطهره — وهو الجزء الاعظم من الالعوبة — مصوّر في الظلمات المدلهمات والرياح المنتنة وذلك مما يستحيل مشاهدته او تصويره بغير اللفظ ولا يمكن احتمال شمه في مكان محدود .

ومنها وهو الاهم ان دانتي لم يكن ليرضى بتمثيل الفردوس وأرواح القديسين والقديسات والملائكة ، بل الله ذاته ، على مسرح في ملعب ، وقد ذكرنا فرط تحمسه الديني غير مرة فيما تقدم .

« للكلام صلة »

عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

الاستاذ الاب لويس شيخو

التاعت الآداب العربية لفقد احد كبار حَدَمتها ، والواقفين حياتهم على نصرتها ، صديقنا وعضو مجمعنا العلمي العربي الاستاذ المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، منشئ مجلة المشرق الغراء في بيروت ، وصاحب التآليف الكثيرة . ولد في الخامس من شهر شباط سنة ١٨٥٩ في ماردين من الجزيرة ، وجاء الشام يافعاً فاتصل بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في غزير من جبل لبنان ، فدرس العلوم الدينية والمدنية والآداب العربية والفرنسية ، وتذوق غيرها من اللغات الميتة والحية ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب الحياة ومتـ ت والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما اخذ النفس به من خدمة الدين والعلم . ولم يلبث ان ظهرت أمارات أدبه وثمرات تربيته فعدّ مفخرة لمن انضم الى جملتهم وساعدوه فتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في اوربا . فتهيأ له درس طريقة الغربيين في البحث والتأليف ، واطلع على ما في خزائنها من كتب العرب واستنسخ أمهاتها النادرة لحساب كلية بيروت اليسوعية . وحضر في اوقات مختلفة بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب ، وساح كثيراً في أقطار الشرق .

انصرف الاستاذ لاول امره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها مجاني الادب في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ، ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي بحذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلاحظ عليه العارفون ولا سيما علماء المشرقيات هذا العمل فاضطر الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها بعدُ من أسفار السلف .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر للانصاري ،

وكتاب الكتاب لابن درستويه ، وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحماسة البحتري ، وطبقات الامم لصاعد ، وديوان الخنساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق اخت طرفة ، وديوان السموءل ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لارسطو ، والآلات المنغمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لابي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ومجموعة اربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من اهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح والحواشي .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و «معرض الخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائل وكتبه في تزييف الماسونية والحملة على رجالها وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية وتاريخ الرهبانية اليسوعية وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبيروت وآثارها وتاريخها وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية في مجلة المشرق عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها اولاً أمهات تآليفه ثم استخرجها منها وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بكتب الدعايات المذهبية ، منها بكتب علمية مشتركة ، وهو معذور في مشربه لاعتقاده بان عمله هذا قربى الى ربه ، وما خالف قط طريقته الدينية الى مايسمونه الطريقة العلمانية ، ولذلك تستنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيد ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات ايامه

كما كانت لاول عهده نمطاً واحداً لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وعلوم العصر . اي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب ان يظل بعد درس ستين سنة في الانشاء عند حد نظرياته ، على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الاولى في الاداء تتناوشه أحياناً ، ولا يتطاول الا الى الاخذ من الينبوع الذي استقى منه في مدرسته الاولى ، ولعلّ كثرة دراسته للغة الفرنسية وغيرها من لغات الاجانب أدخل الضعف على ملكته العربية . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لادعياء القريض ، كان الاولى ان تطوى على غِرّها ، والف كتاب «اطرب الشعر وأطرب النثر» مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم ، على حين تراهم فيما يخطون أحط مما ينظم او يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما ندري ان كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط او انه مقتنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة أطرب الشعر والنثر ، يجب تخليده وتأبيده في بطون الصحف ، حرصاً على بلاغته وفصاحته .

وقضت عليه الصنعة او البيئة على ما يظهر ان يغمط حق العرب في مدنيتهم وكان على الاغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعوبية بافكاره وتصريحاته ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم . وآخر أثر له من هذا القبيل انه ذكر جملة من ادباء المسلمين — وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين — في الربع الاول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الامة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتآليف ولهم مكانة في الشعر والادب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل اعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهرت بين قراء العربية مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم و يستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم .

و بالنظر الى إكثار مترجمنا من التأليف والنشر قد يضطر في الاحايين الى العجلة فيدوّن ما يعرض له بادئ الرأي فيجيء خداجاً . ولو كان المفروض عليه عمله أقل مما كان ، وكان له من الوقت ما تنضج به موضوعاته ، لعدت كتبه كلها سلسلة جميلة

من البحث والدرس شاهدة على الايام بفضله وجده · ومع هـذا قلَّ من يساميه في المتأخرين بكثرة التواليف وتنوع الموضوعات التي عالجها فعدَّ في المؤلفين من المكثرين · لاجرم انه مثال المجد العامل ليله ونهاره على نشر العلم والادب على طريقة خاصة لا يعتقد في غيرها الخير ، ولا يحفل اذا وافقت الغرض الذي نذر له نفسه أخطأ ام اصاب · وندر مثله في المعاصرين من مؤلفي العرب الذين جمعوا الى العلوم الدنيوية علوم الدين ومزج الطريقتين وخدمها كلتيهما بحسب رأيه واجتهاده ، ونظر الى ما عداهما شزراً لم يعره عند الحاجة الا نظر التقزز والكراهيـة لا نظر عطف وفضل ثقة · وصرف شطراً من حياته وهو واقف بالمرصاد لا تأخذه هوادة في رد الشبه التي ترد على النصرانية ولا سيما مذهب الروم الملكيين ، ونقد ما يرى انه يمس روحه وجوهره ، وتدوين كل نافع وتافه من آثار لبنان وسكانه من الموارنة والكاثوليك فقط ·

كان الاب شيخو مثال الراهب المتبتل المتمسك بدينـه الداعي اليه ، الذاب عن حياضه ، مثالاً واي مثال في جده ودؤوبه ، جمع من مخطوطات الشام والعراق والعجم والهند مجموعة من الكتب العربية والسريانية والفارسية والتركية ، واخذ بالتصوير الشمسي عن نوادر الكتب المحفوظة في خزائن الغرب ، مئات من المجلدات جعلها في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت ودوّن لخزانتهـا الشرقية فهارس ، ووصف الكتب العربية وصف عالم عارف بالعربيـة والفرنسية ، وساعدته على إظهار فضله رهبانيتـه المنظمة القوية ، ومطبعتها المتقنة التي طبعت له كل ما أراد ، فجاءت جريدة كتبـه وما أحياه من تراث الأقدمين وافرة العدد ، دالة على فضل علم ووفرة حزم وعزم ·

والحق نقول انه صاحب القدح المعلى بين رجال رهبانيته من ابناء العرب ، اخذ بايدي تلاميذه وقرائه في السبيل التي اعتقد فيها الخلاص فأشربهم حب الدين وعلمهم من علوم الدنيا · وقد اشتهر بتآليفه بين قراء العربية في الشرق والغرب ، ومن الناس من يقلدون كتبه لجمال طبعها وتنسيقها ، وسرعة الوصول الى الاخذ منها ، لانه حذا حذو المستعربين من الغربيين في طريقتهم يوم نشر التآليف القديمة والحديثة ·

ويعد الفقيد في الدرجة الاولى بين طبقات الرجال الذين اثروا في الافكار ونشلوا طائفتهم من مخالب الجهالة ، واعلوا في البلاد كلمتها ، ولذلك عظمت الرزية به على

جامعته وجماعته وجمعيته خاصة والادب عامة . هذا الى ما كان عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في معضلاتهم . رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه

محمد كرد علي

آراء وافكار

تعاليق رحلة العطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يُؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها مجتازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت تقل اثقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش[1] وان يتوجهوا منه الى آذنة و ينتظروه بها فكان معهم في الحل والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الصرة الذي كان يرافق ركب الحج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكان وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ مانعربه : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاتصلت باليابسة بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والحجارة .

جامعته وجماعته وجمعيته خاصة والادب عامة · هذا الى ما كان عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في معضلاتهم · رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه

محمد كرد علي

آراء وافكار

تعاليق رحلة العطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يُؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها مجتازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت تقل اثقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش[1] وان يتوجهوا منه الى آذنة و ينتظروه بها فكان معهم في الحل والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الصرة الذي كان يرافق ركب الحج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكان وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م ·

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ مانعربه : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاتصلت باليابسة بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والحجارة ·

المفكرات التي تدوّن باختصار دون بحث واستقصاء ولم نعلم اسم كاتبها الا اننا استدللنا ببيت من الشعر له قال فيه انه الشامي العطار وعلمنا من حديثه انه كان في دمشق يحترف التجارة وانه جاء بيت المقدس مرة بعد أخرى لهذا الغرض . وفهمنا من تعليق له في بعض صحف الرحلة انه حفيد او سبط السيد الشيخ محمد العطار المتوفى في شعبان سنة ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م ولكننا لم نعدم وسيلة للتعرف اليه مما كتبه بنفسه . فقد ذكر لنا في أواخر رحلته اسم الشيخ عبدالوهاب خادم الشيخ عبدالغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة چورلېلي علي باشا[1] وقد ترجم السيد محمدخليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م للشيخ عبد الوهاب هذا وقال ان ابناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك على ذكر الفاضل الاديب السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وارسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي[2] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء فيها :

(ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ لجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب)
(أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً من الشـام من ارض مقدسة الترب)

وقد نقلنا عبارة الكاتب الذي لا نشك بعد هذا في انه محمد العطار في آخر هذا البحث لملاقته في الموضوع .

ولم يذكر السيد محمـد العطار جدّ الكاتب بين تراجم المرادي بل ان الذي ترجم

(١) علي باشا الچورلېلي من الوزراء الذين ارتقوا مسند الصدارة في القرن الثاني عشر وبعد احرازها صاهر السلطان مصطفى فتزوج من ابنته سنة ١١١٨ هـ ١٧٠٦ م وبعد ان ظل فيها اربع سنين يدير امور الدولة على أحسن ما يكون وشى به بعض من لاخلاق لهم فأُقيل وأُمر بالخروج الى جزيرة مدللي «متلين» من جزائر البحر المتوسط وقُتل عند قدومه اليها وله في القسطنطينية عدة جوامع ومدارس ومعاهد ودور كتب وغيرها من الخيرات والمبرات الخالدة وترجمته في قاموس الاعلام جزء ٣ صفحة ١٨٨٦ .

(٢) ترجمته في سلك الدرر «ج ١ ص ٣٧» وفيها انه توفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م .

له وذكره في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر هو الشيخ محمد بن عبيد ابن عبد الله بن عسكر القاري الاصل الدمشقي الشهير بالعطار المتوفي سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م [١] .

وقد قصد الكاتب الى عاصمة الملك ليرفع عقيرته بالشكوى على قاضي بيت المقدس الذي لم ينصفه على شريكه النابلسي الذي لم يذكر اسمه ايضاً بل مالأه عليه ولم يصل بنا في رحلته الى ما تم معه لانه وقف فيها في العاصمة او ان بعض اوراقها سقطت فسقطت معها اخباره .

والذي اهمنا من امر الرحلة هو بعض ما فيها من التعاليق التاريخية التي قد تفيد معرفتها فنقلناها فيما يلي :

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جد الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ [٢] .

(٢) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٨ [٣] حضر عندي من اخبرني ان من البدع التي حدثت في هذه الايام انه صار على كل مولود ذكر يولد خمسين فضة وعلى البنت خمسين وانه صار على الجاموس على كل رأس عشرة قروش في السنة وعلى البقر خمسة قروش تؤخذ في كل سنة .

(٣) تاريخ وفاة علامة زمانه وزاهدهم الملا الياس . ومات الياس التقي الزاهد وفي ثبت شيخنا المنيني ان وفاته كانت بعد صلاة عصر الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ١١٣٨ [٤] .

(٤) وفاة شيخنا بل شيخ الدنيا سيدي عبد الغني في اواخر شعبان سنة ١١٤٣ هـ

---

(١) سلك الدرر جزء ٤ صفحة ٦١ . (٢) سنة ١١٧٦ هـ يقابلها سنة ١٧٦٣ م.
(٣) سنة ١٢٠٨ هـ يقابلها سنة ١٧٩٤ م . (٤) لعله اليـاس بن ابراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر « ج ١ ص ٢٧٢ » وقال انه توفي ليلة الثلاثاء في ١٦ شعبان سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦ م وقد قارب المئة او جاوزها .

عن ثلاث وتسعين سنة قدس سره ولشيخنا ومحبنا عبد الرحمن الشهير بالبهلول التركماني وكان حضرة الشيخ سماه قيّم الأبد قصيدة طويلة في رثاء الشيخ ارّخ فيها وفاته بتاريخين في بيت وهو :

(قد أصبنا بشمس هدى التجلّي أوحد القوم قطب هذا الزمان[1])

(٥) توفي الشيخ عبد الرحمن المجلد سنة ١١٤٤ عن اكثر من مئة سنة ودفن بمرج الدحداح[2] .

(٦) الشيخ محمد الخليلي دخل دمشق عام ١١٢٩ ومات في بيت المقدس ودفن لصيق داره في المدرسة القايتبكية من خارجها وهي لصيق الحرم سنة ١١٤٨[3]

(١) تُرجم للشيخ عبد الغني النابلسي في سلك الدرر « ج ٣ ص ٣٠ » وذكر بان وفاته كانت عصر يوم الأحد في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م . اما عبدالرحمن البهلول ولم نجد في نسبته التركماني بل قيل النحلاوي فقد توفي سنة ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م على ما ذكره المرادي في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣١٠ » وقال ان له قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني مؤلفة من تسعة وثمانين بيتاً احتوى كل بيت منها على تاريخين وذلك سنة ١١٣٦ هـ ١٧٢٣ م . (٢) تُرجم له في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣٢٧ » وذكرت وفاته ليلة الجمعة ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٨ م وبين التاريخين فرق كبير قدره اربع سنوات فلعلها سقطت من السلك اثناء النسخ او الطبع . (٣) ترجم له المرادي « ج ٤ ص ٩٥ » وقال ان وفاته كانت سنة ١١٤٧ هـ ١٧٣٤ م ودفن في المدرسة البلدية قلنا وهذه المدرسة كان أنشأها نائب السلطنة بالمملكة الحلبية منكلي بغا وهي اليوم دار لآل الخليلي وفيها مكتبتهم وتقع شمالي المدرسة الاشرفية التي بناها السلطان الملك الاشرف قايتباي التي يكتبها بعضهم وقليل ماهم قايتبك او قايد بك وقد رأيت ان صاحب التعاليق كتبها القائتبكية . اما مكتبة آل الخليلي ففيها الكتب الخطية النادرة وقد كان احد رجالاتهم بنى لها غرفة خاصة بجوار قبة الصخرة قبل اربعين عاماً لينقلها اليها و يقفها على طلاب العلم ففاجأته المنية قبل اتمام العمل فبقيت المكتبة مكانها نتأ كلها الرطوبة وتقرضها الارضة كأ كثر خزائن الكتب الخاصة في هذا الشرق التعس .

« وعام ١١٢٩ هـ يقابله ١٧١٦ م و١١٤٨ هـ يقابله ١٧٣٥ م » .

(٧) وفاة سيدي عبد الله بن سالم البصري شيخ شيوخنا بمكة عام ١١٣٤ [١] « يقابله عام ١٧٢١ م » .

(٨) وفاة شيخ شيوخنا احمد النخلي قدس سره بمكة سنة ١١٣٠ عن نحو تسعين سنة وهو احمد بن محمد بن احمد بن علي[٢] « وسنة ١١٣٠ هـ يقابلها سنة ١٧١٧ م » .

(٩) وفاة شيخنا صاحب المواهب الجزيلة سيدي محمد بن احمد بن سعيد عقيلة بمكة سنة ١١٥٠ [٣] « يقابلها سنة ١٧٣٧ م » .

وجاء في اصل الرحلة — وهو ما اشرنا اليه في اول الكلام لاثبات ان الرحلة لمحمد العطار الدمشقي — وصف لزلزال القسطنطينية الذي حدث في ١٣ ذي الحجة « لعله في سنة ١١٧٩ المذكورة » في الساعة العاشرة والدقيقة عشرين بعد طلوع الشمس ويقول عنه انه كان عظيماً ومخوفاً وشديداً « قال وكنت تلك الليلة عند اخينا الشيخ محمد جار الله زاده في خان تجاه خان الوالدة فخرجنا جميعاً من الغرفة وخرج الناس من اماكنهم يستغيثون الى ان سكنت فتوجهت انا واياه ومعنا الشيخ خليل الضرير الترياقي فلما صرنا في السوق رأينا الهدم والخراب شيئاً يعسر معه الذهاب فتذكرنا اخينا الشيخ عبد الوهاب في مدرسة علي باشا[٤] فسرنا اليه واذنا للشيخ خليل بالرجوع فلما وصلنا المدرسة رأينا قد هدم اكثرها وسقط من أبنيتها على أناس فماتوا بها فدخلنا الى الشيخ عبد الوهاب فرأيناه في الغرفة ملقى وقد كان خرج ليفر فسقط عليه بعض الهدم فكسر رجله وهو في حالة شديدة فحملناه لرجل وحمل رجل آخر متاعه واخذناه الى غرفة الشيخ خليل الترياقي ثم سرنا ننظر ما حصل من

(١) لم يترجم المرادي له في سلك الدرر بل ذكره في ترجمة عيد النمرمي « ج٣ ص ٢٧٣ » وفي ترجمة ابراهيم بن مصطفى الحلبي « ج١ ص٣٨ » ولم يعين تاريخ وفاته

(٢) ترجم له المرادي وقال انه توفي اوائل السنة المذكورة « ج١ ص١٧١ » .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر « ج ٤ ص٣٠ » .

(٤) هي مدرسة چورليلي علي باشا التي مر ذكرها .

الهدم فوجدناه كثيراً لا يمكن حصره وحاصله ان اكثر ابنية اسلامبول التي بنيت من الحجر سقطت مع سقوط أبنية قليلة من الخشب واما المنارات فقد سقطت الا القليل منها ثم صارت الزلزلة تتكرر ساعة بعد أخرى ويوماً بعد يوم ولكن امرها يتلطف حتى صارت في كل عشرة ايام مرة وربما لا تدرك فأمن الناس وجلسوا في اماكنهم الى نهار الثلاثاء ٢٨ صفر في الساعة الخامسة فحصلت زلزلة أخرى بمقدار الاولى زماناً ولكنها أخف حركة فسقط كذلك بها أبنية كثيرة وسقط اكثر ما كان بني من هدم الاولى وصار بها هلاك كثير ثم بعد ايام يسيرة وردت الأخبار من جهات ارض الروم بهدم وخسف كثير حتى سمعنا ان في بعض الأماكن ارتجت الارض وخسفت باهلها وخرج محلها ماء اسود منتن وصارت الزلزلة تتكرر كثيراً في كل يوم وليلة حتى انه كان ليلة الاثنين اثنا عشر شهر ربيع الاول وكان من عادة آل عثمان ان يصنعوا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم في جامع السلطان احمد فشاع ان في نهار الاثنين يحصل زلزلة عظيمة فأخروا المولد الى نهار الثلاثاء وعملوه في جامع الوالدة برأي شيخ الاسلام ولم يحصل بحمد الله نهار الاثنين شيء ثم في ساعة اجتماعهم نهار الثلاثاء في الجامع حصل حركة خفيفة لم يدركها اكثر الناس » .

وممن اجتمع بهم وذكرهم في رحلته الحاج عبد اللطيف نقيب الاشراف (١) وبدرالدين بن جماعة مفتي الديار القدسية ورئيس خطبائها وامام الصخرة (٢) واحمد ابن احمد الموقت (٣) والشيخ محمد التافلاتي (٤) في بيت المقدس والشيخ محيي الدين

(١) هو عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدسي وترجمته في سلك الدرر « ج٣ ص ١٣٢ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

(٢) هو بدرالدين بن محمد بن بدرالدين بن جماعة الكناني الحنفي القدسي وترجمته في السلك « ج٢ ص ٢ » وتوفي سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٣ م . (٣) جاء في ترجمة والده احمد في السلك « ج ١ ص١٧٥ » ان ابنه هذا كان من اعيان القدس وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٤) هو محمد بن محمد الطيب المالكي الحنفي التافلاتي المغربي مفتي القدس وترجمته في السلك « ج٤ ص١٠٢ » وتوفي سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

الخيري مفتي الرملة (١) والحاج مصطفى النجار من أجواد التجار بيافا (٢) والشيخ ضاهر العمر الزيداني شيخ عكا (٣) والشيخ صادق المفتي بعكا (٤) والشيخ عبدالمحسن السعدي الدمشقي في صيدا (٥) والسيد عبدالقادر نقيب الاشراف في طرابلس الشام (٦) وحسين افندي مفتي آذنة (٧) والسيد عبداللطيف (٨) وبدر علي اغا (٩) والسيد حسين القواس الدمشقي (١٠) والشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد الغني النابلسي بمدرسة الشورلي

(١و٢) لم يترجم لهما المرادي ولعل وفاتهما تأخرت عن القرن الثاني عشر ٠

(٣) ترجم له المرادي في السلك وسماه عمر بن صالح الملقب بالظاهر ج٣ ص١٨٤ وقال بوفاته سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م وفي هذه التسمية خطأ فان اسمه ضاهر بن عمر الزيداني وان كان اكثر المؤرخين على انه ظاهر بن عمر وكذلك ذكر في حجة شرعية صادرة من محكمة عكا بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م وبذيلها « وشهدا الشيخ ظاهر بن عمر » ٠ ولكن الرجل نفسه كان يوقع على كتبه بخط يده «ضاهر عمر » وفي دير الكرمل بحيفا كتاب منه أرسله الى رئيسه بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م وقع عليه كذلك ٠ وفي مجموعة منسوبة الى ميخائيل الصباغ المتوفى سنة ١٢٣٢هـ ١٨١٦ م — وهو حفيد ابراهيم الصباغ طبيب الضاهر ومستشاره الذي اورده مورد الهلاك — موجودة في خزانة كتب أسقفية الروم الكاثوليك في عكا ذكر اسمه الضاهر اما صالح الذي اعتبره المرادي والد الضاهر فهو احد اولاده ٠

(٤) لعله صادق بن مصطفى بن عبدالمحسن بن احمد بن محمد بن بطيش الحنفي العكي مفتي عكا المترجم له في السلك ج٢ ص١٩٢ وفيها انه توفي سنة ١١٨٠هـ ١٧٦٦ م ٠

(٥و٦و٧) لم يترجم المرادي في السلك لهؤلاء الثلاثة ولعل وفاتهم تأخرت عن القرن الثاني عشر وكذلك لم نجد ترجمة حسين افندي مفتي آذنة في قاموس الاعلام ٠

(٨) لعله السيد عبد اللطيف بن فتح الله المعروف بالكيلاني الحنفي الحلبي نزيل القسطنطينية واحد المدرسين بها الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٣ ص ١٣٢ توفي ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م ٠

(٩و١٠) لم يترجم لهما في السلك ٠

علي باشا [١١] والشيخ محمد جار الله [١٢] والشيخ خليل الترياقي الضرير [١٣] في القسطنطينية .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله مخلص

(١١) ترجم المرادي في السلك ج٣ ص١٤٤ للشيخ عبد الوهاب بن مصطفى بن ابراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي المشتهر بتلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي وذكر انه كان مقيماً في مدرسة علي باشا المعروف بالجورلي وفي الهامش جورليلي وهو الصواب وقال عنه انه توفي سنة ١١٨٩هـ ١٧٧٥ م .

(١٢) لعله السيد محمد بن عبد الرحيم ابي اللطف المقدسي الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٤ ص ٥٢ وص ٥٨ وفي الترجمتين لم يذكر تاريخ وفاته لانه لم يتحققه وابناء ابي اللطف ينتسبون الى جار الله ايضاً وهو لقبهم المعروف اليوم « راجع ما كتبناه عن ابي اللطف وابنائه في مجلة الزهراء بالقاهرة « م ٢ ص ٥٤٨ » .

(١٣) ليس له ترجمة .

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد لويز ماسنيون طبع في باريز طبعة ثانية سنة ١٩٢٥ »
« في نحو ٤٠٠ صفحة »

Annuaire du Monde Musulman, par M. L. Massignon. Sconde édition (1925) Paris Editions Ernest Leroux, 28, rue Bonaparte.

توسع المؤلف في هذه الطبعة الثانية من كتابه السنوي وزاد كلامه على بلاد الاسلام — احصاءاتها وتاريخها واجتماعياتها واقتصادياتها — تحقيقاً وإمتاعاً. وتعرض لكل بلدفيه ولوحفنة من المسلمين وعرض لاحوالهم ومنازعهم وكل مايفيد القارئ باللغة الفرنسية ورأى ان عددالمسلمين ربما تجاوز في الوقت الحاضرالمائتين والاربعين مليوناً. ونحن لانزال على رأينا في ان في هذا العدد نظراً ، لان المؤلف يستندفقط على الاحصاءات الرسمية والاحصاءات على الاكثر يفوتها العدد الحقيقي . وهذه مصر وهي في الغاية من النظام كانت في احصائها الاخير اربعة عشر مليوناً ونحو ربع مليون مع ان جميع من ذاكرناهم في ذلك قالوا انه دون الحقيقة لان البدو هناك يتشاءمون من الاحصاء وربما لم يسجل نصفهم وهم يبلغون نحو مليون ونصف وكذلك الفلاحون لا بد ان يكتم كل رب عائلة ولداً او ولدين من ابنائه وعلى هذا فتكون مصر اليوم على التحقيق نحو ستة عشر مليون نسمة مع ان المؤلف لم يسجل لها سوى احد عشر مليوناً .

وفي هذه الطبعة فصل جميل ذكر فيه المؤلف جريدة باسماء مراكزالدروس اللغوية والتهذيبية الخاصة بالشعوب الاسلامية مشفوعة باسماء المشاهير من المشتغلين بها ، فكان عددها في اوربا واميركا اكثر من عددها في مهد الاسلام آسيا وافريقية وعددالمراكز التي تقام فيها أسواق الدروس الاسلامية ٢٠ في الهند و٢٣ في المانيا و١٧ في انكلترا و٨ في فرنسا عدا المستعمرات و٨ في الولايات المتحدة الى آخر ماذكره وعدد المراكز كلها ١٥٥ مركزاً في القارات الخمس فلمؤلف الكتاب الشكر على عنايته . م . ك

في المرآة

(مختار المرايا التي نشرت في « السياسة الاسبوعية » وطائفة من القطع)
(الادبية الاخرى جرى بها قلم محرر المرآة)
الطبعة الاولى في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ص ١٩٥
سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

صدّر المؤلف كتابه هذا ببيت من الشعر لشاعر النيل حافظ ابراهيم وهو قوله :

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا وهذي تريك الخلق والنفس والطبعا

وقد حوى هذا الكتاب جماع ما في هذا السفر الممتع من المزايا ، وهو في تصوير ٢٩ رجلاً وامرأة من ارباب الشخصيات الكبرى في مصر ترجم لهم باسلوب جديد مزج فيه الجد بالهزل فأبدع ماشاء الابداع ، وأعطاه البيان العربي قياده ، فتنقل في قرائه بين السهل الممتع والصعب الممتنع ، باسلوب طريف قلّ من يستطيع من كتاب العصر ان يدانيه فيه ، صوّر مترجميه اولاً صورة هزلية بالريشة ، ثم صورهم بقلمه فوصف خَلقهم وخُلقهم ، وعلمهم وعملهم ، وأبرزهم في خلوتهم وجلوتهم ، كأنك تراهم بعينك وتسمع كلامهم باذنك ، بلسان كأنه لسان كتاب العهد العباسي الاول معجوناً بروح العصر ومعرفة خفايا مصر . والكتاب جدير بكل اديب ان يقرأه بامعان فهو متحف أدب وأخلاق من الطراز الاول . م . ك

رحلة الاندلس

« تأليف السيد محمد لبيب البتنوني طبع في مطبعة الكشكول سنة ١٩٢٧ »
« بمصر ص ١٦٧ »

مؤلف هذا السفر من المولعين بالسياحة من المصريين دوّن بعض رحلاته ومنها رحلته البديعة الى الحجاز . وآخر رحلاته هذه الرحلة الاندلسية ذكر فيها وصف أمهات مدن الاندلس اليوم وشيئاً من تاريخها مشفوعاً بالعظة التاريخية التي تستخرج منها مزيناً برسوم آثارها الجميلة وقد اقتبس اشياء ممن رحلوا الى الاندلس قبله من

المعاصرين ، ومنها ما عزاه اليهم ومنهـا ما سكت عن نسبته لاصحابه ولعله لا يفوته ذلك في الطبعات التالية فان بركة العلم اسناده ونثني على همة الرحالة الاديب المفنن .

م . ك

مجموعة خطب

« محمد طلعت حرب بك »

طبعت في مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٢٥٦

صاحب هذه الخطب من أكبر علماء الاقتصاد والمالية في وادي النيل وهو صاحب الفكرة الاولى في إنشاء مصرف مصر الذي بلغ في سبع سنين منزلة سامية بين المصارف وحفظ لمصر جزءاً من ثروتها . وهذه المجموعة هي مما ألقاه المؤلف في العهد الاخير في تعليم المصريين قيمة الاعمال المالية ، تفنن فيها ما شاء علمه واختصاصه . والكتاب مزين بصور جميع من أسسوا بنك مصر من رجال المال والاعمال ومحلى بغير ذلك من الصور .

م . ك

تاريخ اليمن

« المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، تأليف الشيخ »

« عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، طبع في المطبعة السلفية بمصر »

« سنة ١٣٤٦ ص ٤٠٠ »

طبع مؤلف هذا الكتاب عدة أسفار منها مجالات ألفها ، ومنهـا كتب لبعضهم نشرها ، وآخر مؤلفاته هذا السفر ، تكلم فيه عن اليمن وأئمتها ونقودها وصنائعهـا ورجالها ومعادنها وتجارتهـا وما الى ذلك من أحوالها الاخيرة وسياستها ، واتبع كل ذلك بفهرس المواد ثم بفهرس أسماء المواضع والبلدان وأسماء الصحابة والتابعين ورجال هذا القرن . وقد استفدنا منه ان الامام يحيى ايده الله بنى سنة ١٣٤٤ مكتبة عظمى بالجامع الكبير بصنعاء وجمع لها من الكتب النفيسة من كل فن وجمع خزائن كتب

الوقف القديمة التي في صنعاء . وكنا نود لو يعرى هذا الكتاب النافع من القصائد المطولة التي ليست من جيد الشعر ولا تفيد التاريخ ، وان يقلل المؤلف من ذكر الكرامات مثل كرامات الامام يحيى بن حمزة من اهل القرن السابع (ص ٣٦) وقوله انه منذ دفن في ذمار فقدت منها الحيّات والهوام وان التراب الذي فوق قبره اذا وضع في محل لم يبق فيه حية ولا ثعبان الخ . فمثل هذه الامور تضعف الثقة بالكتاب. وللمؤلف الشكر على نشطته في خدمة الآداب . م . ك

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

« تأليف السيد محمود شكري الالوسي وتهذيب الشيخ محمد بهجة الاثري ، »
« طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٦ بنفقة امين عالي بك العباسي »
« وزير الاوقاف ص ١٥٧ »

وهذا ايضاً من الكتب التي أخرجها للناس الاستاذ الاثري الذي عودنا منذ سنين ان يؤلف ويهذب كل نافع من كتب العلم والأدب ويبحث بحث المحقق الجيد . والكتاب كما عرف من اسمه في وصف المساجد رتبه مهذبه ترتيباً مقبولاً لان المؤلف العلامة الألوسي كان لا يتكلف في املاآته وتآليفه ، وقد علق تلميذه مهذب الكتاب تعاليق جميلة أبانت عن مقدرة في فهم تاريخ أمته واخلاص في تجديثها بحقائقه . وقد شفعه بفهارس للاعلام على عادته في معظم ما نشره ، فالشكر له على خدمه الخالصة للآداب والعلم . م . ك

منتخبات التواريخ لدمشق (؟)

« للسيد محمد اديب آل تقي الدين الحصني — الجزء الاول طبع في المطبعة »
« الحديثة بدمشق عام ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ص ٤٠٠ »

دعا جامع هذا الكتاب كتابه في الصفحة الاولى « منتخبات التواريخ لدمشق » وفي المقدمة « غاية المرام في منتخبات تواريخ دمشق الشام » فلم يدر القارئ على اي

التسميتين يعتمد . والاولى ان يقال في الاول « منتخبات تواريخ دمشق » فيصح التركيب ويناسب الكتاب . كانت موضوعات هذا الجزء في اختصار الكتب والطباعة ومبدإ بناء دمشق وسكانها ودخولها في حوزة العرب وما تعاقب عليها الى ساعة طبع الكتاب واستطرد جامعه استطرادات تخرج عن التاريخ وذكر الأبدال والأبطال ! وكنا نود لو عزا صاحب الكتاب كل قول الى قائله ليكون سفره ادنى الى الثقة وأبعث على الطمأنينة . م . ك

خلاصة احصاآت

« وزارة المعارف العامة »

أهدت الينا وزارة معارف الدولة السورية كراسة تتضمن خلاصة الاحصاآت المتعلقة بمدارسها و بسائر المدارس السورية لسنة ١٩٢٦—١٩٢٧ م الدرسية . وقد أدرنا طرفنا في جنبات تلك الاحصاآت فتبين لنا منها ان عدد الطلاب والطالبات المقيدين في المدارس الاميرية عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي بلغ ٢٣١١٧ وهو يفوق عددهم في عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ الذي لم يتجاوز ٢١٧١٥ و يرجع السبب في ذلك الى زيادة عدد الاناث وشدة اقبالهن على الدرس في كل انحاء البلاد . وكان عدد الطالبات المسلمات عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ : ٣١١١ فبلغ في عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ٤٧٦٢ فتكون الزيادة ١٦٥١ طالبة وعلى ذلك القياس في سائر الطوائف غير المسلمة التي يتألف منها سواد الامة . وكان مجموع مدارس الذكور الاميرية عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ : ٢٤٤ مدرسة ومجموع مدارس الاناث ٦١ مدرسة فأصبح في عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ٢٥٠ مدرسة للذكور و٥٩ للاناث فتكون مدارس الذكور قد زادت ستاً ومدارس الاناث نقصت مدرستين وكان هذا النقص من نصيب لواء دمشق كما ان الزيادة في مدارس الذكور نتجت عن تأسيس خمس مدارس للحضانة في ولاية حلب .

و بلغ عدد المدارس الاهلية في المملكة عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ من حضانة بتدائية وتجهيزية ١٣٥ مدرسة منها ١٠٢ للذكور و٣٣ للاناث و بلغ مجموع طلابها

المقيدين ٣٩٢٩ طالباً من الذكور و٦٤٥٣ من الاناث . وبلغ مجموع معلمي المدارس الابتدائية العامة والخاصة في السنة المذكورة ٩٨٣ معلماً و٤٠٦ معلمات . وكان مجموع طلاب وطالبات الصفوف الثانوية في مدارس التجهيز والمعلمين والمعلمات ١١٣٠ طالباً وطالبة كما كان مجموع هيأة التعليم في المدارس المذكورة ٦٢ معلماً ومعلمة .

وبلغ طلاب فرعي الجامعة السورية (الحقوق والطب) في السنة المذكورة ٢٩٩ طالباً و١٢ طالبة منهم ١٨٦ في معهد الحقوق والباقي في شعب الطب المختلفة . ونال شهادة الجامعة في العام المذكور ٥٢ طالباً منهم ٣٤ من الحقوق والباقون من شعب الطب المختلفة . واوفدت وزارة المعارف الى فرنسا عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي ثمانية طلاب للاختصاص في الفنون المختلفة . وأرسلت ايضاً طالبين الى بيروت للدخول في دار الهندسة . هذا عدا الطلاب الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا في العام الماضي والذي قبله للتخصص في الآداب والفنون .

المغربي

الروائع

اسم سلسلة من الأبحاث الأدبية يصدر تباعاً بشكل مجلة لطيفة الحجم حسنة الشكل لصاحبها (فؤاد افرام البستاني) أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت وطريقته في هذه السلسلة الأدبية انه يعمد الى أديب مشهور في العرب فيذكر موجزاً من ترجمته وشخصيته الأدبية ثم يخص بالذكر أشهر مصنفاته وآثاره المطبوعة فيحللها ويعلق عليها عند اللزوم . مثال ذلك : امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكتابه نهج البلاغة . والمتنبي وديوان أشعاره . وابن بطوطة وكتاب رحلته وهكذا . ويظهر للمتصفح لهذه الاجزاء ان المؤلف يرمي من وراء تأليفه الى غرض شريف الا وهو افادة الناشئة العربية الذين يصعب عليهم تناول هذه المباحث الأدبية من معادنها فهو يتناولها لهم ثم يناولهم إياها بحيث تعقلها فهومهم وتهضمها عقولهم ويكون لها الأثر البين في تربيتهم الادبية وما يكتبونه من المقالات والمحاضرات العلمية والتاريخية .

له

كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية

وضعه الدكتور طه حسين بالافرنسية في ختام درسه في جامعة السربون في باريس ليستحق إجازة الدكتوره فحازها سنة ١٩١٧ ، ونقله الى العربية المحامي محمد عبد الله عنان سنة ١٩٢٥ ، وفيها طبع بمطبعة الاعتماد بمصر في مئة وخمس وستين صفحة ، وقد أضيف اليه ترجمة رسالة (فون وسندُنك) عن الالمانية المسماة : (ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربي في القرن الرابع عشر) للمترجم ايضاً ، وهي رسالة قيمة في بضع عشرة صفحة .

للفيلسوف ابن خلدون وللاستاذ طه حسين من الشهرة ما يغني كلاً منهما عن التعريف ، وهذا الكتاب موضوعه تحليل ونقد لفلسفة ابن خلدون ، فهو إذن فلسفة فلسفة ، لذلك يكون المتوسع في الكلام عليه قد زاد السلسلة حلقة أخرى فجاء بفلسفة فلسفة الفلسفة ، وهذا يتجاوز شأن مجلتنا فيما تكتبه عما يهدى اليها من الكتب ، فنحن ندع ذلك الى ارباب هذا الشأن من مؤيدي مذهب ابن خلدون او نقادي مؤلفات الدكتور طه حسين الذين نثق بانه لا يفوتهم ، ونكتفي هنا بالالماع الى ان في هذا الكتاب انظاراً جديرة بالاعتناء ، ومباحث دقيقة لم يطرقها احد ممن تكلم عن ابن خلدون ، وهي مما اقتضاه مذهب الدكتور المعروف في الشكوك ، حتى ان في رسالة (وسندُنك) المارة الذكر ما يخالف نظر الدكتور .

وعلى كل للمؤلف الفضل في فتح هذا الباب ليلجه المحصون فيوفوا ابن خلدون حقه من تحليل ونقد هو بهما جدير لما له من الشأن الخطير .

عضو المجمع العلمي العربي

مسعود الكواكبي

كتاب الزراعة الجافة

« ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل يقع في ٢٦٨ صفحة »
« من القطع المتوسط »

الأرض اليابسة هي التي لا يمكن اسقاؤها والتي يهطل عليها في السنة مطر لا يزيد ارتفاعه على ٥٠٠ مليمتر ولا ينقص عن ٢٥٠ مليمتراً لانه اذا نقص عن ذلك المقدار تعذر استغلالها اقتصادياً بلا ري . وزراعة الارض اليابسة فن يبحث عن خزن أمطار السنة في الارض ، والاحتفاظ بهذه الأمطار ، ومنع انطلاق الماء من التراب على شكل بخار بقدر الإمكان ، ومص النبات المزروع للماء المختزن في جوف التراب وانفضاجه اي اخراج الماء نتحاً او عرقاً ، ثم انتقاء النباتات الصالحة للارض اليابسة وبيان طرائق زرعها الى غير ذلك من أبحاث زراعية وملحوظات مختصة بالبعل من الأرض التي لا ترويها أمطار كافية .

أشهر من ألفوا في هذه الأبحاث أستاذ اميركي يدعى (ودسو) وهو مدير مدرسة زراعية في احدى الولايات المتحدة الاميركيـة . وقد تُرجم كتابه بالفرنسية ولديّ نسخة من طبعة الترجمة الثانية طبعت سنة ١٩١٢ . وقد كنت لخصتها وأضفت اليها ملحوظاتي في بلاد الشام ودرّستها قبل تسع سنين في مدرسة الغوطة الزراعية ثم ذكرت موجزاً في هذا الفن في « كتاب الزراعة العملية الحديثة » المطبوع سنة ١٩٢٢ .

وما كان يجول في خلدي ان يقوم الاستاذ السيد نجيب نصار في سنة ١٩٢٧ وهو غير اخصائي بالزراعة فيترجم كتاب ودسو او بعضـه لانه يستحيل على من لم يتعلم الفنون الزراعية وما يتعلق بها من العلوم ان يبرز لنا ترجمة مفيدة لكتاب كهذا ، والدليل على ذلك انني كنت أفتح بعض صفحاته بدون تعيين فأكاد ارى في كل منها أغلاطاً فنية اولغوية مثاله انه لم يفرق البرسيم (Trifolium Alexandrinum) من الفصفصة (Medicago sativa) (صفحة ١٦١) وانه جعل غاز الكربون مركباً من مواد نباتية وحيوانية ... (صفحة ٢٧) . وقد سمى نباتات الفصيلة القطانية (قرنية ، بقلية) خضراً (صفحة ١٦٣) فهل الحمص والعدس والكرسنة من الخضراوات

او البقول ... ؟ ولم يهتد الى الاسماء التي اصطلح عليها أساتذة الزراعة في ترجمة كثير من الآلات فسمي المحراث ذا المقلب « محراثاً أعقف » والمحراث ذا الصفائح « محراثاً ذا دوائر » والمملسة او الملاسة « مدحلة » ومعزق الخيل « محركاً » الخ . وتكلم على سنابل الشعير فسمي سفاها « شوارب ولحى ... » كما سمى عصافتها «غلفا» (صفحة ١٦٠) .

وقال في الصفحة (١٥) انه لا يوجد في البلاد العربية ومنها بلاد الشام مقاييس للمطر الا في بعض المدن وانه لايمكنه تعيين مقادير المطر في تلك البلاد عن علم حقيقي الخ .. ولو كان الاستاذ ممن يتتبعون هذه الامور لعلم انني أرصد الأحداث الجوية بدمشق منذ عشر سنين متتابعة وان لدينا في حكومة سورية منذ خمس سنين مقاييس للمطر في أهم الأقاليم الزراعية كحوران وسهل حمص وجبل الشومرية وسلمية وشاطئ الفرات وجبل الأحص الخ عدا ان لليسوعيين مرصداً شهيراً في البقاع وآخر في بيروت ناهيك بمرصد الاميركيين وان لليهود مقاييس للأمطار في اهم قراهم في فلسطين .

ولم أعلم لما ذا سمى كتابه « الزراعة الجافة » مع علمه بان الزراعة حرفة وان الحرفة لا تكون جافة او رطبة . وقد ترجم الفرنسيون لفظ (Dry - Farming) بقولهم (Culture des terres sèches) اي زراعة الارض اليابسة وهكذا كنت ترجمته . ولو اطلع على ما كنت كتبته وكتبه غيري في هذا الصدد لرأى ان اجدادنا العرب القدماء كانوا عليمين بكثير من قواعد هذا الفن كما يتضح من جمل كثيرة في كتاب ابن العوام الاشبيلي . وبعد فان للاستاذ السيد نجيب نصار فضلاً كبيراً ولكن في غير الفنون الزراعية فحبذا لو وقف كل امرئ في التأليف عند حد اختصاصه .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

كتاب البقول

« لمؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

ما برح زميلنا الامير مصطفى الشهابي يخدم زراعة البلاد العربية عامة والشامية خاصة باهدائها طريف الأبحاث التي تمس الحاجة اليها وليس عندنا ما يملأ فراغها . ففي سنة ١٩٢٢ أخرج (كتاب الزراعة العملية الحديثة) وفي سنة ١٩٢٣ رسالة (مسك الدفاتر الزراعية) وفي سنة ١٩٢٤ (كتاب الأشجار والانجم المثمرة) واليوم (كتاب البقول) الذي يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها . هذا عدا مقالاته الزراعية في (المقتطف) والزراعية اللغوية في (مجلة المجمع العلمي العربي) .

يذهب بعض من ليس لهم إلمام ببسائط الفنون الزراعية الى ان الكتب الزراعية الصادرة في مصر تفي بحاجتنا وتغنينا عن معاناة التأليف والنشر . وقد فاتهم ان لكل قطر أقاليم وأتربة وحاجات اقتصادية تختلف عما في غيره ولامندوحة عن تنويع العمل الزراعي وتسييره حسب هذا الاختلاف . فالكتب الزراعية المصرية تحصر مباحثها بما يناسب إقليم وادي النيل وحاجاته وهي تبعد كل البعد عما يمكن إتيانه في بلاد الشام ذات الأقاليم والأتربة المتنوعة . ولذا لايمكن للزراعين الشاميين ان يشفوا بالكتب المصرية غليلهم .

فصاحب (كتاب البقول) قد سد في مؤلفه هذا حاجة المشتغلين بزراعة الخضر في بلادنا فاستحق بذلك شكرهم كما شكره من قبل المشتغلون بالزراعة الواسعة ثم المرتزقون بتربية الأشجار وتصدير الثمار .

يقع (كتاب البقول) في ٢١٣ صفحة ويحتوي على ٤٦ شكلاً . ويتناول البحث في قسمه الاول (تعريف وتقسيم البقول وأشكال بساتين البقول واحداثها والآلات والادوات اللازمة لها والأتربة والأسمدة والمصلحات والاسقاء وكيفية تكاثر البقول) ، وفي قسمه الثاني خمسين بقلاً من البقول الثمرية كالباذنجان والبنادورى والبامية والفليفلة والخيار ... الخ والبقول الخضراء كالكراث والخرشوف

والسلق والاسباناخ والملفوف والقنبيط ٠٠٠ الخ والبقول العسقولية كالبطاطا والقلقاس والكرنب والشوندر والجزر واللفت ٠٠٠ الخ ٠

وهو يذكر في بحث كل بقل اصله وتحليته واصنافه الشامية والافرنجية واقليمه وتربته وزمن زرعه وطريقة الزرع وتعهده ومحصوله واستعماله ٠ والكتاب مبوب تبويباً جيداً ، متقن الطبع ، حسن الرسوم والأشكال ، صحيح العبارة ، يدل على ما عاني واضعه من الجهد في تأليفه ٠ فقد استعان بأهم الكتب الفرنسية الباحثة في زرع الخضر ودوّن فيه اختباراته الشخصية ٠ وانتقى من معاجم اللغة أصح الكلمات العربية لاسماء البقول المعروفة وتحرى منشأها فما وجده قديماً معروفاً لدى أسلافنا ذكره وعني بضبط الحركات في تلفظها وكتابتها فقال مثلاً : ان (اللوبياء) كانت تسمى التامر والدّجر والدُّجر و (الكزبرة) الكسبرة والتقرة وان (النعنع) يلفظ بضم النون الاولى والثانية وهو ايضاً النعناع بفتحها ، وان الباذنجان له بضعة اسماء عربية منها الأنب والحيصل والمغد والوغد ٠ ونقل عن كتاب « شفاء الغليل » للخفاجي ان الملوخيا لم تكن معروفة قبلاً وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعز بالقاهرة فأكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا ٠٠٠ وسمى ما يسميه الفرنسيون (Légumes tubéreux) بقولاً عسقولية تبعاً للطبيب العالم امين المعلوف الذي استعار كلمة العسقول وهو الكمء للساق الجذري اوالعرق الذي يسمى (Tuber) وجمع مؤلف (كتاب البقول) تحت عنوان (البقول العسقولية) البطاطا والقلقاس والشوندر والجزر والكرنب والفجل واللفت والبصل والثوم ٠

ومما أعجبني استعماله كلمة (الخاء) لما يسميه الفرنسيون (Culture intercalaire) فقال في (الصفحة ٦٩) : « ان من أصناف الخضرة ما تقحم بين نبتات أصناف أخرى كما تقحم فلاحو كفرسوسة (من قرى دمشق) صغار نبتات الملفوف بين نبتات التبغ الكبار » ٠

غير ان الكتاب مع غزارة مادته وجودة مباحثه لم يخل من بعض نواقص رأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل اليها ٠ فقد سها عن بحث (الاعمال التي تجري في البساتين) كالحرث وأنواعه لاسيما عملية «النقب» التي لها مكانتها الكبرى في البساتين وكالعزق والتمليس (الحدل) وإبادة الأعشاب وتخطيط المساكب ٠ ولا يكفي ان يقال

انه مر ذكرها في كتاب الزراعة العملية الحديثة . لان هذه الأعمال تختلف في البساتين عما هي عليه في الحقول اختلافاً بيناً يدعو المصنفين في زراعة الخضر الى بيانها وشرح طرائق القيام بها . وكنت أتمنى لو أضاف على أبحاث الكتاب نبذة عن (تجارة البقول في بلاد الشام) ليطلع القراء — ولو تقريباً — على أنواع ومقادير البقول التي تصدر من هذه البلاد الى الاقطار المجاورة ومايرد اليها وعلى الطرائق التي يجب اتباعها لتزييد هذه التجارة وتوفير واردها .

وقد جاء في (صفحة ٩) ان الأسرة في سلمية وحماة تستغل نحو ثلاثة هكتارات وفي بساتين المرج (مرج الغوطة) خمسة هكتارات او اكثر . وصحيحه ان فدان البساتين في سلمية وحماة ذو مساحة قدرها ثلاثة هكتارات تقسم بين أسرتين فيصيب الواحدة هكتار ونصف فقط . اما اهل (المرج) فلا نظن انهم يشتغلون بزراعة الخضر واحداث البساتين وهم لتوالي الحميات والوبالة عليهم ينوئون تحت اعباء المحاصيل الشتوية فما بالك بالخضر التي تحتاج الى تعهد وعناء وفيرين . وجاء في (صفحة ١٤) ان الاوربيين يغرسون حول البساتين لاتقاء الارياح صفوفاً من اشجار السرو اوالصنوبر اوالاوكاليبتوس . فاستعمال السرو لاجل الغاية التي ذكرها صحيح . امااستعمال الصنوبر والاوكاليبتوس فلم يسمع به . لان انواع الصنوبر كثيرة ليس منها ماتمتلئ سيقانه من تحت الى فوق باغصان مشتبكة تحجز الرياح كالسرو . والمعروف عن الاوكاليبتوس انه من اشد الاشجار شرهاً لجذب الرطوبة وتجفيف الاراضي المستنقعة فهو إذن مضر جداً ببساتين الخضر المحتاجة الى الرطوبة والري اكثر من جميع النباتات . وجاء في (ص٥٧) عند البحث عن طريقة (البذر نثراً باليد) ان البستاني (يمد يده الى الوراء وينثرها على شكل قوس دائرة ...) وعندي ان هذا الوصف ينطبق على بذر الحبوب كالحنطة والشعير في الحقول الواسعة لا على بزور الخضرة وجلها ذات حجم صغير ووزن خفيف ففي نثر بذور الخضرة لايحتاج البستاني الى مد يده الى الوراء ولا الى تأليف قوس دائرة بل تراه منحنياً بعض الانحناء لايبعد يده عن صدره الا قليلاً وهو يثابر رويداً رويداً على النثر من بين الإبهام والشاهدة على مساحة لاتتجاوز المتر اوالمترين في كل نثرة . وجاء في (ص٢٠٤) ان الأعشاب تقتلع من بين النبتات الحاصلة من زرع بزور البصل بالمنكاش بواسطة نساء يستأجرن لهذا الغرض .

وصحيحه ان هذه النبتات المعروفة في الديار الحموية باسم (الصمدة) تخرج متآصرة جداً كشعر الفرشاة لايمكن للمكاش ان ينفذ بينها ويعمل عمله . وإذن لاتنقى الاعشاب الا باليد . وجاء في (ص١٩٣) ان نبتات الشوندر تقتلع عندما يصير طولها نحو متر . وصحيحه ٢٠ ، ٠ متر وهي هفوة مطبعية .

هذا والكتاب مترع بالفوائد الجليلة و يعد من خير ماوضع في هذا الفن لخريجي المدارس الزراعية وطلابها وللمشتغلين بزراعة الخضر وإحداث البساتين . مما يحملنا على تقدير العمل الجيد الذي قام به مؤلفه الفاضل و يدفعنا الى تهنئته ببروز هذه الحلقة من سلسلته الزراعية التي يخرجها الى عالم العربية بهذه الحلة القشيبة .

المهندس الزراعي

وصفي ذكريا

كتب ورسائل مختلفة

(١) « مرقاة الترجمة » للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية تأليف الأب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٦٧ .

(٢) مرقاة الترجمة ايضاً للاب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) كتاب المعلم طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٩٢ .

(٣) التقرير السنوي عن سير المعارف بالعراق لسنة ١٩٢٦—١٩٢٧ طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٣٦ .

(٤) « الروضة الطبية » لعبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع عني بتصحيحها القس بولس سباط طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٧ ص ٧٣ .

(٥) « الندى الهتان على منظومة روضة الاحسان في بيان مكيّ ومدني القرآن » لمؤلفه الشيخ محمد سعيد حسن السعيد اللاذقي طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ ص ١٠٤ .

الجزء ٥ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٢٨ م الموافق وذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٦ ه

حياة الالفاظ(١)

اذا طرحتك النوى مطارحها ، فكتب لك ان تزور باريز استطعت ان تذوق حلاوة الدنيا ، وتشعر بنضارة الحياة ، ومن محاسن باريز الفتيات العاملات اللواتي ينصرفن في الصباح الى العمل ، انصراف النحل الى اجتناء الزهر ، ثم يفرغن من عملهن ، فيلهون ولا لهو العنادل على ملتف الاغصان ، أطلق الفرنسيون على هذه الفتيات اسم (Midinettes) فالاسم مشتق من كلمة (Midi) ومعناها الظهيرة ، لانهن يفلتن في الظهيرة كما تفلت الطير من الاقفاص ، فيخرجن من المخازن والمعامل ، فيسرحن كما يسرح سرب المها ، فاذا سمعت احاديثهن على الطريق فكأنك قد سمعت دويّ النحل ، فتراهن ذاهبات من الاوبرا الى ساحة الفاندوم ، ومن المادلين الى الشان — اليزه ، وترى الشوارع والمطاعم والمقاهي والملاهي مكتظة بهن ، فاذا رأيتهن رأيت الألوان على مختلفها ، وعرفت كيف تكون الابتسامات على الثغور ، وكيف تكون التخيلات في الخواطر ، شعر قصير ، وشباب ناعم ، وقامة رشيقة ، وخلقة فتانة ، فهن نضارة باريز وغضارتها ، ولولاهن لما كان لباريز رونق وبهجة فكلمة (Midinette) العذبة ترد بطبيعتها على شق القلم وطرف اللسان ، أدمجها كبار الكتّاب في رواياتهم ، فتأصلت في اللغة الا انها عرضت يوم الخميس الماضي على قاعة باريز الفتانة ، اي على

---

(١) محاضرة الاستاذ السيد شفيق جبري القاها في ردهة المجمع العلمي في ١٧ شباط سنة ١٩٢٨ .

الاكادمية الفرنسية وليدة ريشوليو ، وكان لها امل ان تحتفي الاكادمية بها لعذوبتها ونعومة صباها ، ولكن الاكادمية لم تمهد لها سبيلاً في معجمها فقطبت في وجهها واطرحتها .

هذه خلاصة ما قرأته في مقال وقع عليه النظر في جريدة الطان في ٢٩ آذار المنصرم وقد أسف صاحب المقال الاسف كله على اطراح هذه الكلمة ، مبيناً انه ليس من شأن الاكادمية قلب الألفاظ المصطلح عليها واحتقارها وانما مهمتها المحافظة على المصطلحات الكثيرة الدلالة وقد أضاف الكاتب الى كلامه ان من الواجب الاقتداء برابله وموليير في المسامحة والاستئناس بالمصطلحات المستفيضة في طبقات الشعب ثم ختم مقاله بما يلي :

« اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتنضب ، وقد كان كتابنا في عصر التجدد لا يجهلون ذلك فكانوا يفتشون عن أسلوب فيه حياة وخفة وله طعم ولون ويقتبسون استعاراتهم عن مصطلحات الصيادين ، وعن كلام امراء البحر وتعابير اصحاب المطابع ، فكانوا يجدون انه من الضروري ان ينشأ على الجذع اللغوي القديم طعم على شرط ان يكون هذا الطعم سهلاً ، دالاً على شيء قد رآه الاصطلاح ، فلمَ لا نحو نحوهم » .

مالنا ولفتيات باريز ، فالمقصد من هذه المقدمة الموجزة كلمة الكاتب التي أشرت اليها وهذه هي « اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتنضب » .

* * *

هل يتيسر لي قبل ان أخوض في موضوع من اجلّ الموضوعات اللغوية ، هل يتيسر لي قبل ان أبين كيف تغنى اللغة وكيف تفقر ، ان أذكر شيئاً من نشوء اللغة واصلها وماهو مذهب المحافظين على أوضاعها ، والمجددين لأساليبها وماهي علل المحافظة والتجديد واي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في عاملين يتنازعان اللغة . عامل المحافظة وعامل التجديد ، اذا تهيأ لي ان أذكر شيئاً من ذلك كله في محاضرتي هذه استطعت في محاضرة أخرى ان أوضح على قدر الإمكان كيف تولد الألفاظ ، وكيف تحيا ، وكيف تموت .

يقول عنترة في معلقته :

(هل غادر الشعراء من متردم)

و يقول امرؤ القيس :

(عوجا على الطل القديم لعلنـا نبكي الديار كما بكى ابن حزام)

و يقول زهير :

(ما ارانا نقولــ الا معارا او معادا من قولنا مكرورا)

فالذي يستنبط من كلام عنترة وامرئ القيس وزهير انه جاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال ، وحلّقوا في سمائه كل محلّق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين أورثوا عنترة وامرأ القيس وزهيراً وأمثالهم نتائج الخواطر وثمرات القرائح ، وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً ، فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلا ريب في انها قد سبقتها أحقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور وتدرجت الى الكمال حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انتقلت اللغة في خلالها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الأسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادب العرب لاننا لا نعرف كيف تدرجت اللغة العربية تدرجها الطبيعي ، ولا بد في الاحاطة بذلك من الرجوع الى اللغات السامية والتنقيب عن الكتابات القديمة ، على ان لغة العرب لم تنته الينا بحذافيرها فان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير وكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله ، قال ابن فارس : « ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الأقل ولو جاءنا جميع ماقالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

فالذين يظنون ان لغة العرب قد تكاملت فجأة يخالفون في ظنهم اصول العلم الحديث قال رنان (Renan) :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره انتشار اللغة العربيــة فقد كانت هذه اللغة بادئ بدء غير معروفة ، فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي غنى ، كاملة حتى انهــا من ذلك العهد الى يومنا هذا لم تعدّل اقل تعديل ذي

شأن ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول امرها تامة ولا أدري اذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في أطوار مختلفة .

فقول رنان هذا مخالف لقواعد العلم ، لا شيء يكمل فجأة على وجه الارض ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات ، فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت ، فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات .

ما هو اصل اللغة ، وهل هي توقيف ووحي او اصطلاح وتواطؤ ، وما هو رأي العلماء في ذلك ؟ .

قال الاستاذ (دارمستتر — Darmesteter) في كتابه « حياة الألفاظ الذي سأشير اليه في هذه المحاضرة :

« ما هو اصل اللغة ، لم تخرج هذه المسألة الدقيقة عن حد الفرض ، فالعلماء لا يزالون يحدسون فيها ويخمنون ، فقولهم فيها من باب حدس الظن ، فالعلم لا يزال في هذا الموضوع فطيراً ، حتى انك لا تجد في اللغات التي انتقلت الينا آثارها القديمة ، (اللغات المصرية والسامية والهندية — الاوربية) الا صيغاً حديثة وراءها ماض مديد ، جرت فيه تطورات شتى لا يصل تحقيق المحققين مهما أمعنوا فيها الا الى مصادر مشتقة من مصادر اولية ضاعت آثارها ، فاللغة البشرية وحدها لا تمهد سبيلاً الى معرفة اصلها فلا بد من تجاوز أفقها حتى نصل الى معرفة الاصل وربما أدت المقابلة بين لغة البشر ولغة الانواع الحيوانية الى نتائج حديثة في مبحث لا يزال من مباحث ما وراء الطبيعة » .

وقال ابو الحسين احمد بن فارس في فقه اللغة وكان من اهل السنة : ان لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى : « وعلّم آدم الاسماء كلها » وقد ذهب هذا المذهب الكاتب الفيلسوف الفرنسي بونالد (Bonald) فهو يرى ان الرجل عجز عن انشاء لغة له فأوحى الله اليه لغة تامة كاملة وايد مذهبه بهذه الحجج :

(١) لا يستطيع الرجل ان يفكر من دون الكلام .

(٢) اللغات القديمة هي اكمل اللغات .

(٣) اللغات كلها مشتقة من لغة اولية .

بيد ان هذه الآراء قد نقضها العلم الحديث ٠

وقال ابن جني في الخصائص وهو من المعتزلة :

ان اكثر اهل النظر على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، وذلك بان يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الإبانة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً اذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره ، وهذا هو رأي الفيلسوف اليوناني ديموقريطس (Démocrite) فهو يقول بان اصل اللغة انما هو اصطلاح وتواطؤ فقد اخترع اللغة رجل ماهر ثم تواطأ النـاس بعده على قبولهـا ، ولكن هذا المذهب لا أنصار له اليوم ٠

اما علماء التحول فانهم يرون ان اللغة انما هي نتيجة تطور القوى الحيوانية ٠

وقد نسب كل من الفيلسوف ريد (Reid) والفيلسوف جوفروا (Jouffroy) اللفظ الى غريزة خاصة ٠

والمستشرق الانكليزي مولر (Müller) يقول بان البشرية كان لها في الاصل قوة تمكنها من انشاء المصادر ، ثم اضمحلت هذه القوة على الايام ٠

ويرى رنان (Renan) ان من طبيعة الرجل الكلام كما ان من طبيعته التفكير ٠

يعتقد معظم علماء النفس في هذا العصر ان الكلام انما هو نتيجة عمل بطيء تكامل على التدريج ، وهم يجعلون للغة اصلاً طبيعياً ، والظاهر ان تقدم علماء اللغات يؤيد هذا المذهب فقد كانت اللغات القديمة على مايقولون غير كاملة ثم تكاملت شيئاً فشيئاً بنمو قوى الرجل الطبيعية ، وفي استطاعتنا ان نقول ان الرجل قد وهبت له الطبيعة عضواً مرناً ، واذناً دقيقة ، وعقلاً قادراً على التجريد والتعميم ، فاستطاع ان يخترع اللغة ، بدأ قبل كل شيء باللغة الطبيعية ثم استعمل حكاية الاصوات وأدوات التعجب والتأوه ثم تمكن بفضل التجريد والتعميم من استعمال الاشارات ، وقد أشار السيوطي الى شيء من هذا المذهب اشارة خفية فقال :

« وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي

الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي . ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » .

وقد بين أ. الكيا الهراسي في تعليقه في اصول الفقه الحكمة الداعية الى وضع اللغة فقال : ان الانسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه في معاشه ومقيمات معاشه لم يكن له بد من ان يسترفد المعاون من غيره ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا ، وقيل : ان الانسان هو المتمدن بالطبع والتوحش دأب السباع ولهذا المعنى توزعت الصناعات وانقسمت الحرف على الخلق ، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها ، لان كل واحد من الخلق لا يمكنه ان يقوم بجملة مقاصده ، فحينئذ لا يخلو من ان تكون حاجته حاضرة عنده ، او غائبة بعيدة عنه ، فان كانت حاضرة بين يديه أمكنه الاشارة اليها . وان كانت غائبة فلا بد له من ان يدل على محل حاجاته ، وعلى مقصوده وغرضه ، فوضعوا الكلام دلالة ووجدوا اللسان أسرع الاعضاء حركةً وقبولاً للترداد ، وهذا الكلام انما هو حرف وصوت .

هذا اليسير من آراء العلماء في اصل اللغة ولعل البحث عن لغة الطفل أهون امراً ، يألم الطفل وهو يعلم انه اذا صاح وصرخ حمله اهله وعطفوا عليه فيصيح ويصرخ ليحملوه فهذا مبدأ اللغة ، ثم يشعر بحاجته الى الافصاح عما يشعر به ، فيلجأ قبل كل شيء الى اللغة الطبيعية . الاشارات والاصوات ، فاذا أراد الدلالة على الحاجات الحاضرة أشار اليها ، واذا أراد الابانة عن الحاجات الغائبة قلد أصواتها . وهذه هي حكاية الصوت ثم يردد أداة التعجب التي يفصح بها عن هائجة من هوائجه ، اومائجة من موائجه ، وعلى هذا يشتق الكلام شيئاً فشيئاً من الصوت غير الملفوظ ثم يدرك الطفل ان بين الحاجات مناسبات شتى في تلاصقها وتشابهها فيطبق الألفاظ المخترعة على حاجات حديثة ، وأضف الى هذا كله التعليم . فعلى هذا الوجه تنشأ لغة الأطفال .

اما وقد بينت على سبيل الايجاز أصل اللغات وأشرت الى اليسير من آراء العلماء في نشوء اللغة . فلنبحث عن مذهب المحافظين والمجددين في اللغة ، وما هي عوامل المحافظة والتجديد .

اقتنيت من زمن قريب كتاباً اسمه (حياة الالفاظ) وضعه دارمستتر

(Darmesteter) استاذ الادب الفرنسي في القرون الوسطى ، ومدرّس تاريخ اللغة الفرنسية في معهد الآداب في باريز ، يشتمل هذا المؤلف الجليل على خمسة دروس قررها (Darmesteter) في السوربون في أواخر سنة ١٨٨٥ بحث فيها عن خصائص الحياة التي تجعلها أذهاننا للالفاظ في الافصاح عن المعاني ، فهو مبحث فلسفي عن الطرائق المنطقية والعلل الروحية واللغوية التي ينطوي عليها تطور المعاني ، الا ان الكاتب لم يتعرض في كتابه الا للغة الفرنسية دون غيرها من اللغات ، وكأن مقصده تحريك العقول للتطلع وترغيب قومه في التعمق في درس لغتهم وتتبع نموها ، والاحاطة بعبقريتها ، لقد قرأت هذا المؤلف فأبقى في نفسي اثراً بليغاً ، فأحببت ان انقل شيئاً من هذا الاثر الى غيري محتزئاً بالاجمال دون التفصيل ، ومكتفياً بالايجاز من غير تطويل .

* * *

اتى على العلماء حين من الدهر كانوا في خلاله يدرسون اللغة اليونانية واللغة اللاتينية باعتبارهما لغتين ميتتين، فكانوا يتعلمونهما حتى تنفذ مداركهم الى الآيات البينات التي تشتمل عليها هاتان اللغتان ، كانوا يتعلمونهما حتى يتأملوا هذه الآيات ويتدربوا على فن الكتابة الصعب بتقليدهم صوراً من الانشاء منقطعة النظير فكانوا يمعنون في اظهار أسرار المخطوطات ويبحثون في مبانيها النادرة حتى يتكامل فهمهم للغة النسخ الاصلية .

ولما اكتشف (السانسكريت) نشأ علم اللغات فتفرغ العلماء لدرس اللغات درساً مجرداً ، وأصبح تاريخ اللغات غاية يسعى اليها المنقبون فلم يعد اللغوي يقتصر على درس لغات شيشرون ، وفيرجيل ، وسوفوكل ، وديموستن الجميلة فانه جاوز هذه اللغات الى درس اللغة اللاتينية القديمة واللاتينية في عهد الانقراض واللهجات الايطالية المشوّهة ، و يونانية هوميروس ، واليونانية البيزانطية ، واللغات العامية المنتشرة في بلاد اليونان ، فأصبح العلماء يهتمون بدرس اللغات على مختلفها من أرقاها الى أدناها فيملقون عليها ويمعنون في دراستها ، وهم الآن يتتبعون التحقيق حتى يضعوا فهرساً كاملاً يشتمل على كل اللغات التي يتكلم بها البشر اليوم في جميع الارض ، و يعنون بتحديد

اصولها وتبيين نموها وايضاح الصيغ التي تعاقبت على الفاظها ومفرداتها وصرفها ونحوها ويجدّون على قدر الامكان في ان يكتشفوا من وراء تاريخها تاريخ الحضارات .

لا تزال اللغــات تنتقل من طور الى طور وتتدرج من أفق الى أفق على تعاقب السنين ، واذا استعرضتها في اي عصر من عصورها وجدتها يتنازعها حزبان من أبنائها : حزب يحاول ابقاءها على حالتها ، وحزب يذهب بها مذهباً جديداً .

فالطائفة التي تحرص على ابقاء اللغة في حالة ثابتــة لا تتغير ولا تتبدل تحتج بحجج شتى ، منها تعلقها بمذاهب حضارتها وحرصها على تقاليدها ، واعتناؤها بتلفظ اولادها ورغبتها الغريزية في ان يكون لها لغة مصطفاة ثم اذا تعمقت في الأسباب التي من أجلها يحافظ المحافظون على لغتهم وجدت لكتب الدين تأثيراً عظيماً كالتوراة والقرآن ، واذا جاوزت هذا الأفق الى أفق أعلى تجلت لك شدة استمساك المحــافظين بلغتهم بسبب الكتب الأدبية التي أولعوا بها لجمالها وحسنها فهذه هي أعظم الاسباب التي تدفع المحافظين الى التمسك بمحافظتهم ، فهم يريدون صفاء اللغة وقد تجمع هذه الاسباب كلمة واحدة وهي « ثقافة الفكر » .

والحزب الآخر اعني الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً فانه يتوسل الى ذلك بثلاث وسائل : اما بقلب اللفظ واما بقلب الصرف والنحو واما بقلب المفردات .

(١) الخروج على وحدة اللغة بطريق التلفظ .

تغيير التلفظ منشؤه الطفل ، فالطفل بسبب اعضائه الصوتيــة الدقيقــة يفسد الكلمات التي لا يسهل عليه لفظها ، وفي الاغلب فان اهله واساتذته يصلحون خلل لفظه وفي بعض الأحايين فهو الذي يتولى اصــلاح هذا الخطأ ولكنه في الاكثر اذا كبر هذا الطفل وترعرع فانه يحتفظ بمعايب اللفظ التي وقع فيها في حداثة سنه فيبلغ سن الرجولية ولفظه مشوّه ، فيمتد هذا الفساد من الفرد الى الأسرة المعاصرين او القرية او المقاطعة فيتمكن هذا الفساد في اللغة ويعم امره فيحدث حينئذ حادثان : اما ان يمتد تغيير اللفظ الى البيئة التي نشأ فيها فيمتد الى القرية والى جماعة من الناس تربطهم روابط الحياة وفي هذه الحال فان الفساد اللفظي تدرج عليــه الجماعة من دون شعور والناس الذين نسوا اللفظ الاول يستعملون اللفظ الثــاني المشوه ، واما ان لا يعم امر

التغيير اللفظي الا في قسم من الجماعة و يرفضه القسم الآخر فيحدث حينئذ اختلاف اللهجات وقد حدث هذا الاختلاف في لغات العرب · قال الفراء « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ ، من ذلك الكشكشة وهي في ربيعة ومضر والكسكسة والعنعنة وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم ، ومن ذلك الفحفحة في لغة هذيل ، والوكم في لغة ربيعة ، والوهم في لغة كلب ، والعجعجة في لغة قضاعة ، والاستنطا في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس ، والوتم في لغة اليمن ، والشنشنة ايضاً · ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد (الكعبة) ومن ذلك الخزم ، وذكر الثعالبي في فقه اللغة « من ذلك الخلخانية تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان والطمطمانية تعرض في لغة حمير الى غير ذلك من مختلف لغات العرب ولهجاتها ومن أراد الاستزادة فليرجع الى المزهر ·

قلنا ان الخروج على اللغة يكون بالتلفظ ويكون ايضاً بتغيير النحو والصرف وهذا السبب هو أبلغ اثراً لانه يتناول لب اللغة اي النحو والصرف ، وانك لتشاهد في هذا الحادث قوة جديدة بسيكولوجية تنازعها قوة أخرى فيسيولوجية اي قوة التشويه الصوتي وهذا التنازع يوضح لك ان في كل لغة خاصيتين طبيعية ومعنوية فان اللغة باعتبارها أصواتاً تتعلق بالعالم الطبيعي ، و باعتبارها الفاظاً مفصحة عن الفكر تتعلق بالعالم المعنوي ·

انك لتصادف مثلاً في اللغة صيغة من الصيغ النحوية او كلمات أواخرها متشابهة واحدة فتأتي بالقياس فتطبق هذه الصيغة على سلسلة من الكلمات فتنزع عن هذه صيغها وأواخرها الخاصة ونفرغها كلها في قالب واحد فتحدث صيغة واحدة بدلاً من صيغ مختلفة فمرة يحصر القياس في نمط واحد الصيغ الكثيرة فيوحد بهذا العمل قواعد النحو والصرف فالصيغة النحوية التي تكون لطائفة كبيرة من الكلمات المتشابهة بعم امرها و يطلق سلطانها فتذهب بالشذوذ وتقضي عليها ·

ومرة يخلق القياس صيغًا جديدة فتستخدم اللغة القياس لاظهار صيغ حديثة فاذا كان مدار الامر على إنشاء صيغة حديثة في النحو والتركيب فان اللغة تسلب كلمة

او كلمات خصائص لا توجد الا في هذه الكلمة او الكلمات وتطبقها على مجموع من الكلمات من طبيعة واحدة وأضف الى هذه العوامل كلها عامل الدخيل . فان الامة تكتسب كل يوم اموراً وأفكاراً حديثة وانماطاً في الفهم والحس جديدة ، فلا بد من ايجاد اسماء جديدة لمسميات جديدة وهذه الاسماء تؤدي في الأغلب الى انقراض كلمات قديمة لان الافكار الحديثة والألفاظ الدالة عليها تعفي على آثار الألفاظ القديمة .

فاذا عمل حزب من الحزبين على حدة وأعرض عن الحزب الآخر فماذا يحدث ؟ اذا انحصرت اللغة في مركز واحد بطلت حركتها وهلكت ولا ريب في ان الشعوب التي ليس لحضارتها تبديل تستطيع ان تحفظ لغتها على وجه الدهر من دون ان يمس هذه اللغة شيء فاذا كان الفكر ثابتاً لا يتغير فاللفظ الذي يدل على هذا الفكر يثبت ولا يتغير ، ولكن اذا بلغ الحرص على التقاليد مبلغاً يمنع اللغة عن تتبع مذاهب الافكار والمعاني واستحكم التناقض بين أفكار الامة وبين القوالب التي تفرغ فيها هذه الافكار ، نفدت مادة اللغة فكلّت وهلكت واليك مثلاً شهيراً في اللغة اللاتينية المدرسية اي لغة الكتّاب الرومانيين والطبقات العالية فان هذه اللغة امتنعت عن تتبع اللغة العامية في نموّها وتشددت في المحافظة على أسلوب مقدس وفي آخر الامبراطورية هلكت هذه اللغة وتركت المجال للّغة العامية الحية القوية التي انبعثت من آفاقها لغات شتى ولهجات مختلفة مستعدة للاستيلاء على الميراث الذي خلفته اللغة الفصحى .

واذا عمل الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً على حدة دون الاستعانة بمذهب المحافظين فان اللغة تقذف مقاذف مختلفة فتتحول سريعاً فورة تتعاقب عليها عدة بطون فتصل الى حالة مختلفة كثيراً عن الحالة السالفة حتى تكاد تكون لغة جديدة وأحياناً تتشعب الى طائفة من اللغات وهذه اللغات تتشعب ايضاً الى ما لا حدّ له ، فقد قيل ان في جملة اللغات المتوحشة بطناً من الناس يشهد لغات تولد ثم تموت لتولد على شكل آخر الا ان هذا التغير المستمر قد جاوز الحد حتى أصبح مخالفاً لغرض اللغة وغايتها وأضاع على اللغة قسماً من فائدتها ومنفعتها طالما انك سمعت ان في بعض لغات المتوحشين التي ألمعت عليها لا يفهم الشيوخ معاني كلام الأحداث فان في هذا الامر شيئاً غير طبيعي يشبه في علم اللغات عجائب المخلوقات في علم التاريخ الطبيعي . ثم ما هو السبب

الاول في هذا التطور الذي لا نهاية له ان هو الا جهل المتوحشين الذين يتكلمون بهذه اللغات وضعف عقولهم لان اللغة تتأيد بالحضارة ٠

يقولون الآثار الادبية تفسد خصائص اللغات الطبيعية ، ولكنك اذا قبلت هذه الآراء فانك ان تقدم الحضارة التي تنشأ عنها آداب اللغة وأساليبها الفنية انما هو حركة طبيعية لها أسباب مثل أسباب سائر مظاهر أعمال البشر كالفن والدين والاخلاق والمعاهد الاجتماعية والسياسية الخ ٠٠٠٠

يقولون ان العوامل التي تعمل في نمو لغات المتوحشين ولهجاتهم هي أبسط فيسهل تعيينها ، ولكن العوامل التي تعمل العمل نفسه في اللغات الأدبية وان كانت مركبة فانها طبيعية ايضًا ومتى كان تركيب الحوادث علة للحط من العلم الذي ينظر في هذه الحوادث فقد استعار علماء بعض الشعوب العصرية طائفة من الكلمات اللاتينية واليونانية وأدمجوها في اللغة من دون تغيير فوآدوا بذلك في الب مفردات اللغة الطبيعية مفردات حديثة ولكن هذه الاستعارة كانت مطابقة لعلل طبيعية يحددها التاريخ وقد أدى تمازج مفردات العلماء ومفردات العامة الى حوادث جديدة يظهر فيها على وجود مستحدثة نشاط اللغة الذي لا يفتر فاذا كانت اللغة آلة يستعملها الناس ليفضي بعضهم الى بعض بخوالجه ولواعجه فكلما انبسط أفق الفكر بسبب الحضارة وامتدت أفياؤه استفادت اللغة في التعبير عن المعاني الجديدة وازداد شرفها وعظمتها ٠

اي سبيل ينبغي لنا ان نسلكه في المحافظة والتجديد ، أفنبالغ في المحافظة مبالغة ليس فيها شيء من الروية والحكمة على حين تجد الحضارة في كل يوم تخرج من أفق ضيق الى أفق أوسع و ينبسط العلم انبساطاً يستلزم استحداث مصطلحات لا عهد اللغة بها وابتكار أساليب فنية تستوعب مخترعات الحضارة والعلم ام نسير في التجديد سيراً تصبح فيه اللغة كريشة في مهب الريح فتستفيض فيها الفوضى فلا يعرف لها اصل يرجع اليه ، لا ريب في ان وقوف اللغة عند حد لا تتجاوزه يفضي بها الى انقطاع مادتها ونضوب معينها وان الذهاب بها كل مذهب في التبديل والتغيير يقضي عليها على ان لغة العرب لم تجمد في عصر من عصورها اللهم الا في عصر تقلص فيه ظل العرب عن ديارهم ، فقد كانت اللغة تنتقل من حال الى حال ، وتخرج من طور الى طور

في جاهليتها واسلامها وفي أمويتها وعباسيتها ، فكثير مما تراه قديمًا في هذا العصر كان حديثًا في عصره ، وكثير مما نجده حديثًا في هذا الزمن يصبح قديمًا في غير زمننا سنة التطور في الخلق ، نظرة في تاريخ أدب العرب تطلعك على شيء من هذا التطور ، أفلم يكن امرؤ القيس مؤسس الاساس في زمنه كانوا يقولون : أسيلة الخد حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون : طويلة القامة وجيداء وتامة العنق وأشباه هذا حتى قال : بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون في الفرس السابق : يلحق الغزال و يسبق الظلام وأمثال هذا حتى قال بمجرد قيد الاوابد هيكل ومثل هذا له كثير .

أفلم يأت الاسلام بمصطلحات لا عهد للجاهلية بها ، هل كان في الجاهلية للحج والصلاة والزكاة وأمثال ذلك المعاني التي كانت لها في الاسلام ، أفلم يأخذ كلمات كثيرة عن غير العرب .

أفلم يكن بشار بن برد اول المولدين ، أفلم يكن ابو نواس اول الناس في صرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى وجعل الجد هزلاً والصعب سهلاً .

نظرة في تاريخ أدب العرب توقفك على مذاهب الألفاظ والمعاني في كل عصر من عصور اللغة فيتحقق عندك ان اللغة لم تقف في يوم من ايامها ، انها سارت في القديم وانها تسير في الحديث سيرًا مطابقًا للعلل الطبيعية والاسباب الاجتماعية ، لم تقف اللغة ولا ينبغي لها ان تقف في عصر استفحل فيه العمران وانبسطت مذاهب الحضارة وامتدت أفياء العلم فلا بد من مصطلحات حديثة لمعان حديثة ، فحياة اللغة متوقفة على تتبع روح العصر بقدر ما يكون من التمهل ، على ان يكون للغة صلة متينة بماضيها وما يشتمل عليه هذا الماضي من حضارة وتقاليد وآثار فنية وأدبية : لا غلوّ في المحافظة ولا غلو في التجديد ، هذه هي حياة اللغة .

قد مضى القول في اصل اللغة ومذهب المحافظين والمجددين وسأتفرغ في محاضرة ثانية اذا أمكنت مناهز الفرص للكلام عن حياة الألفاظ فأبين كيف تولد هذه الألفاظ و كيف تحيا و كيف تموت اه .

ابو حيان التوحيدي
— ٣ —

كتابه ثمرات العلوم

قال ابو حيان في مقدمة هذا الكتاب : « أطال الله بقاءكم وأدام كرامتكم ، وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وفوائده الكريمة ، وجعل حظ الغريب السلامة بينكم ، اذا فاتته الغنيمة منكم . وقد كان يقال من لم يغضب لنفسه ناصراً ، لم يغضب لبني جنسه منتصراً ، ومن لم يخف (لعلها يقف) عند العظيمة منتصفاً ، لم يرج عند النوائب مسعفا ، ومن لم يأنف من القذع في عرضه آبياً ، لم يبت على الخسف الا راضياً ، والغضب وان كان بمذموماً عند بعض الخلال ، فانه محمود في بعض الأحوال ، وكما ان استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك ايضاً الرضا في جميع الامور ، ضرب من ضروب النفاق . ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما انه لا بد من التردد بين الراحة والتعب .

« وقد كنت أحب لصديقي وجليسي ، ومن يأنس بمكاني ، ان لا يجعل اللجاج مطيته ، والمَحْلَ والمكر طويته ، فان ذلك أحسن له عند الله ، وأزين له عند الناس ، ومن بعد ذلك فاني لم أرد بلادكم من العراق مباهياً لكم ، ولا حضرت مجالسكم طاعناً فيكم ، ولا تأخرت عنكم متطاولاً عليكم ، ولا تتبعت مساويكم شامتاً بكم ، بل وردت مستفيداً ومفيداً ، ومباحثاً ومستزيداً ، فما هذا الذي بلغني عن بعضكم على حسن توفري على صغيركم وكبيركم ، اما انه لو أنصف لعلم اني الى تسمحه ، أحوج مني الى تصفحه ، وهو بمجاملته اسعد مني بمجادلته ، وانا لاحسانه اشكرمني لامتحانه ، وهذا باب باطنه ظاهر ، وشاهده حاضر ، وخفيه جلي ، ولكن ما اصنع والشاعر يقول : « انما للعبد مارزقا » .

« ولعمري ما زال الناس يتبادون التقاذف والتقارف ولكن كانوا يرون التساعف والتناصف ولا يتناسون بينهم التعاون والتوازر والترادف والتناصر

والذي هاجني لهذه الشكوى وأحوجني الى هذه العدوى قول قائل منكم : ليس للمنطق مدخل في الفقه ولا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير في الأحكام وهذا كلام من لو انعم النظر واستقصى الحال لوقف على ما عليه فيه وعرف ماله منه . فكان يستبدل بالخلاف وفاقا وبالمنازعة خلاقا عاب هذا الرجل المنطق وهجن طريقة الأوائل وزرى على الحكمة وفيل رأي الناظر فيها وقبح اختيار الباحث عنها وهذا كله ان لم يكن قله سوء تحصيل فانه يوشك ان يكون ضيق عطن وحرج صدر ومجازفة في القول وانحرافاً عن الصواب وامناً من الاعتقاب الخ . وربما نيل من عرض صاحبها وأنحى باللائمة عليه من اجلها وهو قلم لا يقصد الا الخير ولا اراد الا الرشاد وقد يؤتى الانسان من حيث لا يعلم ويرمى من حيث لا يتقي كما يؤتي من حيث لا يحتسب وينجو وقد اشفى ويدرك وقد غاب الناس » .

وعاد في آخر الرسالة وختمها بقوله يعتذر عن طولها : قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة وكان ظني في اولها انها تكون لطيفة خفيفة يسهل انتساخها وقراءتها فماجت بشجون الحديث وروادف من الطيب والخبيث فاقبل حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته واعدته ونشرته وطويته على انك لو علمت في اي وقت ارتفعت هذه الرسالة وعلى اي حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها يكثر في نفسك وما يصغر منها بنقدك يكبر بعقلك اه ...

وفي الحق ان رسالته في الصداقة والصديق قد حملت من آراء الناس الى عصره كل ما رق وراق من المنظوم والمنثور في موضوعه ولم يقتصر على حكماء الاسلاميين بل تعدى الى ايراد اقوال فلاسفة يونان . وفي الرسالة من رسائل الكتاب في هذا الباب ما هو مفيد على غابر الاحقاب . وقد ذكر ابا سليمان المنطقي وابا سعيد السيرافي غير مرة وروى عنهما ما دل على اعظامه لها شأنه في مقابساته . ولا مراء في ان رسالة الصداقة والصديق مرآة صادقة تمثلت فيها افكار اربعة قرون في هذا النوع الصغير من الأدب . ولغة حوت مثل هذه الافكار وهذه المعاني هي ولا شك أغنى اللغات بادبها .

وهذه الرسالة على ما رأيناها كتبها بباعث لقوم لم يفهموا مقصده من العلم وتأولوا

كلامه فجبههم بما كتب وأجاد . وجميع كتبه على ما ظهر من النظر في المعروف منها مادعا الى وضعه دواع حافزة وامور جاش بها صدره فهي معمولة بالمناسبات لا متعملة ولذلك جاءت عليها هذه الطلاوة التي نحسها ونلمسها .

نموذج من كتاب المقابسات

والمجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع

من جملة كتب ابي حيان التي نجت من مخالب العدم وتناقلها الناس الى عصرنا كتاب المقابسات . واسمه صيغة تفاعل من قبسته او اقبسته علماً وخبراً اي ان كلاً اقبس صاحبه علماً وصاحبه اقبسه من علمه . ذكر فيه ابو حيان واكثره من محفوظه بعض ما وقع اليه من مفاوضات علماء مشهورين كانوا في بغداد يختلفون الى مجلس صديقه وأستاذه ابي سليمان المنطقي محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وعنه اكثر مروياته فيتذاكرون في موضوعات شتى في الفلسفة او ما وراء الطبيعة والادب واكثرها على طريقة السؤال والجواب لرجال جمعت بينهم كلمة العلم والحكمة وهذبت نفوسهم الآداب العالية يتناجون بالافكار الصحيحة والشاذة ولم يفرق بينهم اختلاف نحلهم ومذاهبهم .

والعلم هو الجامعة الكبرى بين البشر . وكان فيهم المجوسي والصابئ واليعقوبي والنسطوري والملحد والمعتزلي والشافعي والشيعي أمثال ابي زكريا يحيى بن عدي وابي الفتح البوشجاني وابي محمد المقدسي العروضي وابي بكر القومسي وعيسى بن ثقيف الرومي وابن مقداد وابي القاسم الانطاكي وكان يعرف بالمجتبى وابي محمد الاندلسي النحوي وابي اسحق الصابي والخوارزمي الكاتب ووهب بن يعيش الرقي وابن سوار وماني المجوسي وابي الحسن محمد بن يوسف العامري وعبيد الكاتب والبديهي وابي اسحق النصيبي وابي علي عيسى بن زرعة المنطقي ومظهر الكاتب وابي الخطاب الكاتب وغيرهم « من كل من هو واحد في شأنه وفرد في صناعته » وكان مذهبهم في الفلسفة على الارجح مذهب ارسطاطاليس شأن معظم فلاسفة الاسلام أمثال ثابت بن قرة وحنين بن اسحق و يعقوب بن اسحق واحمد بن سهل البلخي وابن مسكويه والقمي والسرخسي

والنيسابوري . يطلقون في جلساتهم الخاصة عنان أفكارهم ويخرجون عن القيود الكسبية قاصدين الى هدف واحد وهو معرفة حقائق الاشياء مجردة لا تشوبها المؤثرات شأن علماء العصور الاخيرة من اهل الحضارة الحاضرة . واذا احببت تعريف كتاب المقابسات بمصطلح اهل هذا العصر فقل هو محضر جلسات المجمع العلمي البغدادي في القرن الرابع وكان لا يحضرها الا من يدعى اليها ويوافق من اكثر الوجوه على ما يلقى فيها .

وهذه المجامع مثال ناطق بأفصح بيان بان النصرانية لم تكن مضطهدة في العهد العباسي كما زعم بعضهم بل ان الاسلام كان دين الدولة والبلاد لاهلها فكانت بحكم الطبيعة كلمة المسلمين هي العليا وقد ساووا عامة اهل المذاهب بانفسهم الا قليلاً على صورة لم تصل اليها اكثر دول الحضارة الحديثة اليوم . وعلى ذكر هذه المجالس لا بأس بان نقول ان علماء العرب ما برحوا منذ الاعصر المتطاولة يتألفون ويتعاشرون في أندية لهم خاصة تجمعهم جامعة الاعمال العقلية فيتقاربون وان اختلفوا في مظاهرهم وقد لا يخليهم الزمن من موسع عليه من بينهم يفتح صدر مجلسه لهم يستطلع طلع افكارهم و يأنس بهم و يأنسون به و يعطف عليهم و يعطفون عليه . وقد تكون مجالسهم ذات صبغة لها من اهل الدولة من يحميها اوتكون للسمر واللعب واللهو وتعاطي اللذائذ . ومعظم ما تناهى الينا من اخبارها مفيد جد مفيد .

غلطات الترجمة والفرق بين الشريعة والحكمة وكلام في التصوف

سئل ابو سليمان المنطقي لِمَ لم يصفُ التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الألفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال : انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة أقوال متقدميهم بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلصان الحكمة وفرسان الصناعة . على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية

قد اخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالاً لا يخفى على احد . ولو كانت معاني يونان تهجس في انفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضاً نافعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى والضعف الثابت في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم .

قال ابو حيان لابي سليمان : ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال : ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم وطريقتهم موسسة على مكايلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس او يحكم به العيان اوعلى ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الإلف والعادة والمنشإ وسائر الاعراض التي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع وإسكات الخصم بما اتفق وإتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة تأله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بتحمله والفلسفة ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على انها بحث عن جميعها في العالم : من ظاهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيها على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا إلف تغتفر معه جناية التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبيانا ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة يطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ اقصى مالها من حقها في شرفها .

ثم قال : وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول : اني لأعجب كثيراً من قول اصحابنا

اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ار باب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر وصح وظهر كأن سائر الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل كلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت . اما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي والصوفي . قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعونه محمولاً عليها ومسؤولاً عن عرفها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصدهم أخرى .

قال ابو حيان رويت لابي سليمان كلاماً لبعض المتصوفة فلم يفكه ولم يهش عنده وقال : لو قلت انا في هذه الطريقة شيئاً لقلت : الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن قوي على المسالك أشرف على الممالك شرفاً يوم له الى المالك . قال ابو الخطاب الكاتب : ايها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال : الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مذلة . فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج . واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى قال : هذا حديث قوم ابعد منا على بعض المشاكسة ... الى ان قال : فسبحان من له القدرة وهذه الخليقة وهذه لاسرار في هذه الطريقة اه .

على هذا النحو كانوا يمضون في احاديثهم فقد صرح احدهم بما يراه في التصوف لم يحط منه ولا من المنصرفين اليه وناول آخر المتكلمين في غير ما تدليس وتأدب معهم والمتكلم غير مسلم وعلم الكلام خاص بالاسلام لكن العلم مشاع لاهل كل مذهب ولم يحمل كلامه على غير محمله وقال آخر في الفلسفة وامتدح من معاني اليونان وقال لو كتبت بالبيان العربي لكانت غيرها وهذه هي الحرية المطلقة ولولاها ما عاش علم صالح ولا انبعث عقل راجح ولا كانت حضارة هذه الامة مما ترتفع به الرؤوس ويقال فيها على الدهر لا عطر بعد عروس .

* * *

كتابه الاشارات الالهية ومخاطبته النفس

قال في مقدمة هذا الكتاب : اللهم انا نسألك ما يسأل ، لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك ، وافعالنا معك ، وسوالف إحساننا قِبَلك ، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض ، وطمعاً في رحمتك الواسعة ، نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ، ومعرفة لا يخالطها إنكار ، وان كانت اعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة ، نسألك ان لا ترد علينا هذه الثقة بك ، فتشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة اليك ، يا حافظ الأسرار ، ويا مسبل الأستار ، ويا واهب الأعمار ، ويا منشئ الاخبار ، ويامولج الليل في النهار ، ويامصافي الأخيار ، ويا مداري الأشرار ، ويا منقذ الأبرار من النار والعار ، عدْ علينا بصفحك عن زلاتنا ، وانعشنا عند تتابع صرعاتنا ، وحطة حالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا ، وكِلنا وان لم نكن لانفسنا ، لانك اولى بنا ، واذا خفنا منك فابرح خوفنا منك برجائنا فيك ، واذا غلب علينا بأسنا منك فتلقه بالأمل فيك . . . .

ومن فصوله فيه : أيها المحاور ، والصديق المجاور ، كيف أتكلم والفؤاد هائم في كل واد ، والخاطر خال من كل جاد وهاد ، ام كيف اشكو والسر ظاهر باد ، ام باي شيء أتعلل وكل ما أجده مردد ومعاد ، ام على من أعتمد ، وكل احد اراه فهو لي ضد ومعاد ، انفاسي محترقة بالحسرات ، ودموعي مترقرقة بين النغمات والزفرات ، وكبدي مشتعلة على المناظر والهيئات ، ويقظتي جارية على الرسوم والعادات ، واحلامي عارية من كل ما له حاصل وثبات ، ونفسي رهينة بالسيئات ، مفتونة بالحسنات ، بلسوانح والخطرات ، مغبونة عن الحسنات والصالحات ، الجهات دوني منسدة ، والوجوه أمامي مسودة ، ان قلت قيل هذا زور وبهتان ، وان أشرت قيل هذا غرور وعدوان ، وان سكت قيل هذا سهو ونسيان ، فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به ، رحمني مما لا غنى لي عنه ، او ليت من طردني عن بابه ، اهلني لعتابه ، او ليت من جرّعني مرّ فراقه ، اخطر على بالي حلاوة لقائه ، او ليت من غمسني في بحر البلوى ، طرحني الى ساحل المنى ، او ليت من حطني عن درجة المخدومين رقاني الى مقامات الخدم . . . .

وقال من رسالة ايضاً : حرام على قلب استنار بنور الله ، ان يفكر في غير عظمة الله ، حرام على لسان تعوّد ذكر الله ، ان يذكر غير الله ، حرام على نفس طهرت من أدناس الدنيا لله ، ان تدنس بشيء من مخالفة الله ، حرام على عين نظرت الى مملكة الله ، ان تحدق الى غير الله ، حرام على كبد ابتلّت بالثقة بالله ، ان تطمئن الى غير الله ، حرام على من لم ير الخير الا من الله ، ان يجدد طمعاً في غير الله ، حرام على من شرف بخدمة الله ان يتضع بخدمة غير الله حرام على من الف فناء الله ان يعرج الى غير الله حرام على من تلذذ بمناجاة الله ان يناجي غير الله حرام على من رتع في فقه الله ان يعبد غير الله …

وأعجب من هذا ان يرمى من يقول هذا القول في العزة الالهية بالزندقة ويتهم بالمروق كأن كل هذا الاحسان لايكفر سيئة لإنسان وكل هذا التقديس والتوحيد لا ينجي صاحبه من الوعد والوعيد والبشر غريب باطواره في جميع أعصاره .

وساق ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة فصولاً من كلام ابي حيان وعنون لها بقوله « ومن الدعوات الفصيحة المستحسنة » وها كم نموذجاً منها وهي برهان آخر على توحيده وان نفسه كادت تتجرد من المادة والكثافة البشرية وتلحق بالملائكة وتنزل منازل الأبرار . وهذا هو وجه الغرابة في حياة التوحيدي جمع كل صفات العلماء ولم يفته شيء من فضائل النفس والدرس . قال : « اللهم اني ابرأ من الثقة الا بك ، ومن الأمل الا فيك ومن التسليم الا لك ومن التفويض الا اليك ومن التوكل الا عليك ومن الطلب الا منك ومن الرضا الا عنك ومن الذل الا في طاعتك ومن الصبر الا على بلائك واسألك ان تجعل الإخلاص قرين عقيدتي والشكر على نعمك شعاري ودثاري والنظر الى ملكوتك دأبي وديدني والانقياد لك شأني وشغلي والخوف منك امني وايماني واللياذ بذكرك بهجتي وسروري اللهم تابع برك واتصل خيرك وعظم رفدك وتناهى إحسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك وتمت نوافلك ولم تبق حاجة الا وقد قضيتها او تكفلت بقضائها فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة انك اهل ذلك والقادر عليه والمليّ به .

ومنها اللهم اني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق وعلماً بريئاً من الجهل وعملاً

عرياً من الرياء وقولاً موشحاً بالصواب وحالاً دائرة مع الحق وفطنة عقل مضروبة في سلامة صدر وراحة جسم راجعة إلى روح بال وسكون نفس موصولاً بثبات يقين وصحة حجة بعيدة عن مرض شبهة حتى تكون غايتي في هذه الدنيا موصولة بالأمثل فالأمثل وعاقبتي عندك محمودة بالأفضل فالأفضل من حياة طيبة انت الواعد بها ونعيم دائم انت المبلغ اليه اللهم لاتخيب رجاء هو منوط بك ولا تصفر كفاً هي ممدودة اليك ولا تعذب عيناً فتحتها بنعمتك ولا تذل نفساً هي عزيزة بمعرفتك ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك ولاتخرس لساناً عودته الثناء عليك فكما كنت اولاً بالتفضل فكن آخراً بالاحسان الناصية بيدك والوجه عان لك والخير متوقع منك والمصير على كل حال اليك ألبسني في هذه الحياة البائدة ثوب العصمة وحلني في تلك الدار الباقية بزينة الامن وافطم نفسي عن طلب العاجلة الزائلة وأجرني على العادة الفاضلة ولاتجعلني ممن سها عن باطن مالك عليه بظاهر مالك عنده فالشقي من لم تأخذ بيده ولم تؤمنه من غده والسعيد من آويته الى كنف نعمتك ونقلته حميداً الى منازل رحمتك غير مناقش في الحساب ولاسائق له الى العذاب فانك على ذلك قدير .

مثال من كتاب البصائر

من أهم ما حواه كتاب البصائر مناظرة ابي بكر الصديق مع علي ومبايعته اياه وقد اقتبس العلماء هذه الرسالة ومنهم من غمز التوحيدي واتهمه بانه هو واضعها مثل ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ومنهم من اكتفى بروايتها مثل محيي الدين بن عربي في المسامرات . وبعيد عن العقل عن ان يضع التوحيدي هذه الرسالة وهي بعيدة عن أسلوب كلامه وان أحب ابن ابي الحديد ان يشبهها به . اما التوحيدي فرواها عن رجل معروف كان يحفظها فقال : سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر المروروذي ببغداد بدار ابي حبشان في شارع المازيان فتصرف الحديث بنا كل متصرف وكان ابو حامد معناً مفناً مخلطاً مزيلا (١) غزير الرواية لطيف الدراية له في كل جو

(١) المعن الذي يتصرف في المعاني والمفن الذي يتصرف في كل فن والمزيل

متنفس وفي كل نار مقتبس فجرى حديث السقيفة وشأن الخلافة فركب كل منا مركبًا وقال قولاً وعرض بشيء ونزع الى فن فقال ابو حامد : هل فيكم من يحفظ رسالة ابي بكر الصديق الى علي وجواب علي له ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة فقالت الجماعة التي بين يديه : لا والله فقال : هي من درر الحقاق[٢] المصونة ومخبآت الصناديق في الخزائن المحوطة ومنذ حفظتها ماروبتها الا للمهلبي ابي محمد في وزارته وكتبها عني في خلوة بيده وقال : لا اعرف على وجه الارض رسالة أعقل منها ولا أبين وانها لتدل على علم وحكم وفصاحة وفقاهة ودهاء ودين وبعد غور وشدة غوص . فقال له ابو بكر العباداني : أيها القاضي فلو أتممت المنة علينا بروايتها وسمعناها ورويناها عنك فنحن أوعى لها من المهلبي وأوجب ذمامًا عليك الخ .

وبعد ان أورد التوحيدي هذه الرسالة العجيبة قال : روى لنا هذا كله ابو حامد ثم أخرج لنا اصله فقابلنا به فما كان غادر منه الا ما لا بال له فاما ما رواه لنا ابو منصور الكاتب فانه خالف في احرف في حواشي الكتاب كل حرف بازاء نظيره الذي هو مبدل منه وقد كان ابو منصور بلغة العرب أبصر وفي غرائبها انقد وانما قدمت رواية ابي حامد لانه بشأن الشريعة اعلم ولأعاجيبها أحفظ وفيما أشكل منها أفقه . وبالجملة فالدلائل كلها قائلة بان الرسالة ليست من صنع ابي حيان وانها كانت معروفة قبله واذا ابى بعضهم الا ان يقول انها موضوعة كلها فيكون ذلك قبل عصر التوحيدي بكثير وهي على كل حال لاتخلو من اصل ربما زيد عليه بايدي من أحبوا ان يقابلوا القوة بمثلها من اهل السنة وأرادوا نكاية الشيعة في كثير مما صنعوه فزادوا اموراً في هذه الرسالة وقعت بين الصحابة او تمثلوا وقوعها والبسوها ثياب العصر الذي نسبوها اليه .

والرسالة من جملة مايجب على الأديب ان يستظهره ويعيه لانها حوت من أساليب

بكسر الميم الرجل الكيس اللطيف يقال هو مِخلط مزيل كما يقال هو راتق فاتق والمراد به انه كثير المخالطة للناس والمزايلة لهم . (٢) الحقاق جمع حقة وعاء يحبس فيه الطيب والجوهر .

البلاغة كل جميل وفيها من الأمثال والحكم وضروب الدهاء والخلابة ما يعجب منه ولا تزال عليه مسحة من الحلاوة والطلاوة مهما طال بها العهد . ولولا خشية الاملال لأوردتها برمتها وهي في بضع صفحات عارضتها على الاصول التي ظفرت بها مطبوعة كانت او مخطوطة وعلقت عليها حواشي لغوية تُجلى بها معانيها الدقيقة المعجبة .

وهاك جملة قليلة من الرسالة قال ابوبكر الى ابي عبيدة : امض الى عليّ واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم انه سلالة ابي طالب ، ومكانه ممن فقدنا وبالامس مكانه ، وقل له : البحر مغرقة والبر مفرقة ، والجوُّ أكلف ، والليل أغدف ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل نسوف عصوف ، والعجب مقدحة الشر ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متحيل بيمينه ، نافخ (١) حضنيه لاهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة ، عناداً لله ولرسوله ولدينه ، يوسوس بالفجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني اهل الشرور ، ويوحي الى اوليائه زخرف القول بالباطل ، دأباً له منذ كان على عهد ابينا آدم ، وعادة له منذ اهانه الله عز وجلّ في سالف الدهر ...

ولقد أرشدك من افاء ضالتك ، وصافاك من احيا مودته بعتابك ، واراد لك الخير من آثر البقاء معك ، ما هذا الذي تسوّل لك نفسك ، ويدوي قلبك ، ويلتوي عليه رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويستشري به ضغنك ، ويتراد معه نفَسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، أعجمة بعد إفصاح ، أتلبيس بعد إيضاح ، أدين غير دين الله ، أخُلق غير خلق القرآن ، أهدي غير هدي النبي

(١) الصلعاء لا نبات فيها والجلواء المصحية وأغدف الليل أظلم والأكلف الأغبر والمفرقة من الفَرَق وهو الفزع والمغرقة يغرق فيه والعصوف الريح الشديدة والنسوف الطويل الشاق الذي ينسف صاحبه ومن المجاز بيني وبينه عقبة نسوف طويلة الشاقة والشجار ككتاب خشبة توضع خلف الباب والضغن العداوة والثَقوب ماتشعل به النار من دقاق العيدان ونحوها والنافخ الرافع .

صلى الله عليه وسلم ، أمثلي يمشى له الضراء و يدب له الخمر ، ام مثالك يغص عليه الفضاء ، او يكسف في عينه القمر ، ما هذه القعقعة بالشنان [١] ، وما هذه الوعوعة باللسان ...

والآن قد بلغ الله بك ، وأرهص الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ماتسمع ، فارتقب زمانك ، وقلص أردانك ، ودع التجسس والتعسس ، لمن لا يظلع لك اذا خطى ، ولا يتزحزح عنك اذا عطى ، فالامر غض ، والنفوس فيها مض ، وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا ، وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا ، والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لي : يا ابابكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه و يجاحش عليه ولمن يتضاءل عنه لا لمن يتشمخ اليه ولمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله (ص) في الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت له اين انت من علي فقال اني لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحدة سنه . فقلت : متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بها البركة وأسبغت عليها النعمة مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ماقلت وانا أرى مكان غيرك وأجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لي ولئن كان عرّض بك رسول الله (ص) فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج [٢] في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضي والصواب مسموع والحق مطاع ...

---

(١) أفاء ارجع وتراد مثل تردد والتخاوص غض البصر مع الاحداق كأنه يقوم سهماً و يدوي به قلبك اي يفسد من داء والصعداء النفس العالي في الغضب والهم والضراء الشجر الملتف في الوادي والخمر الشجر الملتف ايضاً يقال للرجل اذا ختل بصاحبه هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر والقعقعة حكاية اصوات السلاح والجلود اليابسة وغيرها والشنان جمع الشن بالكسر وهو الجلد اليابس يُحرك للبعير ليفزع وفي المثل ما يقعقع له بالشنان يضرب لمن لا يخدع ولا يروع . (٢) يقال رهصني في الامر

فذلكة في حياة التوحيدي

أظننا بلغنا حاجة النفس في نقل صورة التوحيدي نقلاً ان لم يكن طابق الاصل فهو قريب منه بعد اقتباسنا درراً من كتبه ورسائله واستنتجنا منهـا ما انطوت عليه نفسه من الخوالج وقلبه من النزوات وما تقلب فيـه من البأساء والضراء وكيف لم تقعـد به الهمة عن الاختلاف الى العظماء والاخذ عن العلماء فقتل المجتمع خبرة وعرف مكنونات الصدور . وعساكم بما سمعتم من كلامه قد تمثلت لكم سلامة الفكر والابداع فيه وسلاسة الانشاء وتجويده . أرأيتم هذا الايجاد الذي تقف عنـده العقول حائرة يكتب صاحبه في العلوم المختلفة فلا تخونه لفظة وتتناسق الجمل في تركيبها تناسق العقد النفيس ويوائم بين ألفاظه ومعانيه اي مؤائمة ويؤثر في قلب السامع فيستميله بما يمليه من مقوله على مسمعه . أرأيتم كيف آضت اللغة في يد التوحيدي كالعجين يرسمه الرسم الذي يشاء او كالقرطاس في يد المصور الحاذق وعنده جماع الاصباغ يصوره بما تهفو اليه نفسه من صور الارض والسماء .

اللغة في نظر التوحيدي واسطة تعبير وتصوير لا أداة لطافة وظرافة كانت على أسلة لسانه وقلمه غزيرة المائية نضيرة الديباجة وكان بيانه الصافي البراق يسيل مطواعاً لبنانه يتصرف به تصرفاً غريباً ويصرفه في ضروب الموضوعات العالية .

استجماني فيه ومن المجاز أرهص الله فلاناً جعله الله معدناً للخير . يقال فلان يعتس الآثار اي يقتصها و يعتس الفجور يتبعه . وقلص اردانك شمر اكمامك . والمض الألم والغض الجديد وظلع عرج وحلِم الاديم والجلد اذا فسد في العمل ووقع فيـه دود فتثقب وفي المثل كدابغة وقد حلِم الاديم يضرب لمن يسعى في اصلاح امر بعد ان اوصله الفساد الى حيث لا يرجى اصلاحه . جاحش حامى ودافع يقـال جاحش عن خيط رقبتـه اي نفسه وهو مثل قال الميداني اصله من الجحش الذي هو سحج الجلد يقال اصابه شيء فجحش وجهه اي قشره فجحش شقه الأيمن . ميعة الشباب اوله . والحوجاء الحاجة ومنه ما كان في نفسه حوجاء ولا لوجاء ولا حويجاء ولا لويجاء اي حاجة . واختلج تلجلج .

وكأن اللغة في عصره أصبحت وقد استقرت علومها لغة حضارة باهرة اخذت الزبدة النافعة من الام القديمة وزادت عليها تجارب قرنين فمرنت الفاظها على التعبير عن كل معنى وصفا رصفها ونسجها فكانت من أجمل صيغ الإفهام والانسجام ولطفت مادتهـا فخرج منهـا الحوشي بقاعدة بقاء الانسب ودرجت بعد ذلك نقية لا شوب فيها ولا تعقيد كأنها خلقت منذ عرفت لغة فلسفة وطبيعة والهيات كما كانت لغة شعر وخطب منذ أقدم عصور الجاهلية .

ذاكر التوحيدي في العلوم المختلفة طبقة عالية من أذكياء العلماء وكانوا في العلم جميعاً وفي مذاهبهم شتى فلم يجمد على نقل كلام اهل فن واحد ولا صمت أذنه عن سماع من خالفوه في معتقده فكأن شأنه شأن عالم في عصرنا فتح بحثاً في مجلة وكتاب يؤلفه وانشأ يجمع في كناشه وجزازاته افكار المتضادين ومراميهم في العلم والتفكر وهذا كان على حصة موفورة في كتب التوحيدي على مارأينا لخص لمعاصر به آراء المتقدمين وخلف لمن بعده صورة صحيحة من آراء من عاشرهم وعاصرهم وتقدمهم في الميلاد فأدركنا بما اسمعناه حقيقة عصره في أساليب التفكير ومبلغـه من الحكمة .

ويحمد قصد التوحيدي في نقل كل مجلس على حقيقته وان كان بعضهم لم يرقه التعرض لتدوين مايخالف معتقدهم اما هو فما كان له ان ينقل كل كلام يرتضيه كل انسان لانه لا يحيط باهواء جميع الناس وتعدد الاهواء كتعدد الأناسي وهو مخالف في طريقته طريقـة كثير من المؤلفين فكيف ينطق بلسان من لا يعتقده على صواب فيما يذهب اليه واذا رأى بعض المتحذلقين في كلامه بعض العهدة فيجـابون واي كلام خلا مما يُتعلَّق عليه بشيء . انــ التوحيدي لقي شيوخ العلم والحكمة فحمل عنهم وجوّد وصفهم واجمل طرازهم وكلما نقل شيئاً لا يوافق نحلةً ومذهبـاً قال خصوم فكره انه يصطنع نقله و يزوّر على رواته فيزوّرون له . كان راوية المجالس العالية والرواية كما قيل العلم المستطيل ومخالفوه يسوءهم هذا و ينوءهم حتى سرت احكامهم الجائرة عليه الى من عُرفوا باعتدالهم من المؤرخين فأقروها وتابعوا على العمياء قائليها .

خالف التوحيدي في طريقته العلمية مألوف كثير من العلماء فبينـه وبينهم بعد باعد وليس من الانصاف ان يأخذوا على النابغة خروجه عن مألوفهم .

الحق ابلج لا يُخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الاحلام

لا جرم ان التوحيدي حار في امره مع من وُسموا بالعلم في عصره وهم محافظون متشددون في تقاليدهم ومصطلحاتهم لا يبالون ان يرموا كل من ابدع طريقة وكشف عن حقيقة بالتفسيق والتبديع والتفكير ومن اسهل الاعمال عليهم ان يتقربوا من ذوي السلطان بضرب عنق من لا يدركون مغازيه ومعانيه ممن بذهم واربى عليهم . ويا لبؤس عالم لم يتخذ له يداً عند صاحب صولة في مثل ذاك المجتمع فان مجرد اتهام بعض المتقدين له بانحلال العقيدة كاف في بترحيل حياته ولا من يرحمه او يتشفع به . اراد المأمون « رضي الله عنه وارضاه » اول المئة الثالثة ان يُخرج الامة من ربقة التقليد الاعمى الى ساحة العقل السليم فرأى ان يسيطر على الدين واللغة والآداب والعلوم بتسامح وتعقل ليس بعدهما غاية ولكن معظم مابناه تهدم بأفول نجمه ويالالاسف فلم ينشأ بعده للامة خليفة في وزنه وعياره يحمي العقل ودعاته ويفسح للباحثين مجال النقد والنظر .

ومن اعظم المصائب في تاريخ هذه الامة ان اقدار البلاد معلقة ابداً على الرأس الذي يدبر امرها خليفةً كان اوسلطاناً اواميراً متى زال تزول معه اوضاعه وتراتيبه وقلّ ان بنى الخلف على اساس السلف او سار المتأخر على قدم المتقدم خصوصاً في المسائل الذهنية والمطالب الاجتماعية والمدنية ولذلك كانت حضارتنا في كل عصر وقطر كالارض البقعة نباتها منقطع او كالواحات المتفرقة في المهمه القفر يختلف شكلها باختلاف البقعة التي نشأت فيها وتلبس ثوباً فُصل على عقل صاحب السلطان الاكبر وكثرة بلائه وغنائه . وقلما عهد ان سار الابن بسير ابيه وجده الا على عهد اوائل العباسيين وفي بعض دور الأمويين في الشرق والأمويين في الاندلس وما عدا ذلك فأفراد من اصحاب السلطان زانوا عصورهم بهممهم فأحالوا القفار جناناً وجعلوا من العلم لسلطانهم سلطانا حتى اذا مضوا لسبيلهم عادت الامة سيرتها الاولى تثبت ان الأمية اعلق بشغاف قلبها لا سيما واكثر الزعماء يعتقدون ان الراحة في ترك العقول جامدة خامدة حتى لا يرتفع عقل عن عقل ولا يمتاز فاضل بعموم الفضل .

فالرجل الذي لم يأبه لما اعترضه من العقبات ومزّق حجب الوهم وحكم سلطان العقل واستعرض كالتوحيدي ما جادت به قرائح اعاظم الملة في القرون الثلاثة قبله وكتب العلوم الحكمية بهذا البيان الرائق حتى لا تلمح فيه اثر الصنعة ولا بشاعة التكلف وتسيغه وتستطيبه على كدورة في شرعته احياناً — فالرجل الذي كان كذلك حاله يعد النابغة المجتهد حقّاً وصدقاً .

كتب التوحيدي فأكثر من الكتابة وتآليفه جمة كما علمتم ومع هذا فانشاؤه طبقة واحدة لم يتمهل فيما يكتب ولا عُني بالتنميق والتحبير والصقل والتطرية . وكان هدفه ابلاغ العقول ما يجول في الخواطر من أقصر الطرق واسهل المسالك تارة ومن اطولها تارة أخرى . اختص بوصف آراء المفكرين والنظار على وجه لم يؤثر عن غيره حاشا الجاحظ واضع هذه الطريقة في ايراد الحقائق وتمثيل طبقات المجتمع ولا سيما اهل الذكر والفكر تمثيلاً يقربه من كل ذهن فكأنه تلقى باليمين ذاك الاسلوب الذي كاد يموت بموت الجاحظ واتمه بما حدث بعد ابي عثمان من فنون القول وضروب المعارف . ولو كانت روح التوحيدي غير معذبة بالاخفاق والإملاق كروح الجاحظ الشفافة البراقة وسلم مما يكدر صفوه وصفاءه واطمأن بما تطمئن به روح من تهنأ العيش لجاء التوحيدي كالجاحظ حذو القذة بالقذة . بيد ان اضطراب عصره كان منه اضطراب فكره وغفلة العظماء عن تعهده وحمايته ادت الى اشتغال قلبه برزقه وجرايته فكان في ذل الفقر وخوف القهر وقيد الأسر طول العمر . واذا قيل ان الجاحظ كان على دهاء لا ينكر محله فاتقى بجر بزته لذعات حساده ومؤلمات مناظريه . وان التوحيدي لم يعرف سياسة العلم ولم يستكمل في حلبة الجهاد العالمي تعاطي الاسباب الى الرزق وإحراز خصل السبق فلا ننس ان الجاحظ كان الخلفاء يرعونه ويُحيونه والوزراء يخادنونه ويُخبُونه والناس يعجبون به ويمجدونه . والتوحيدي يضطرب في حياته اضطراب الأرشية في الطوي البعيد كلما التفت يَمنة جاءت الصدمة يَسرة وكلما قال يسراً قالت الايام عسرا عاش في شظف من العيش وعجف من المال وكلب من الزمان فكان الموتور المفلوك الموجع القلب المعذب الفؤاد . وما المرء الا حيث وضعته بيئته ومهما أوتي من

عقل سليم لا يخرج عن كونه محصولَ مسكنه وهوائه ومدرسته واساتيذه واقرانه وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه وهو زبدة ما اخذه بالفطرة من دم ابويه واكتنهه من اتصاله باجداد قدماء قد لا يعرف اخبارهم على حين اورثوه من حيث لا يشعر أخلاقهم وأطوارهم ·

محمد كرد علي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ اسعاف النشاشيبي

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

هناك ستة أقسام من الألفاظ :

(القسم الاول) الفاظ عرفها أصحاب المعاجم اللغوية فأودعوها معاجمهم ·

(القسم الثاني) الفاظ شردت عن أصحاب المعاجم وقد وردت في كلام العرب الموثوق بعربيتهم ·

(القسم الثالث) الالفاظ المولدة واللغة لغة والناس ناس ·

(القسم الرابع) الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة ·

(القسم الخامس) الالفاظ العلمية في جميع ضروب العلم التي وضعها الاحتياج العلمي ·

(القسم السادس) الفاظ وضعها علماء اللغة في هذا الزمن واستجيدت واستعملت ·

كل ذلك يجب ان يودع المعجم العربي ويعد عربياً محضاً فالقسم الثاني اخو الاول من امه وابيه والاقسام الباقية هي نسل القسمين ·

وارى ان يشار عند الكلمة في المعجم الى نوعها وان استطيع ان يذكر الاصل القديم لكل كلمة عربية فيقال هذه سنسكريتية وهذه إغريقية وهذه حميرية فهذا والله صنع جيد ·

عقل سليم لا يخرج عن كونه محصول مسكنه وهوائه ومدرسته واساتيذه واقرانه وعنوان ما تأثر به روحه منذ وعى على نفسه وهو زبدة ما اخذه بالفطرة من دم ابويه واكتنهه من اتصاله باجداد قدماء قد لا يعرف اخبارهم على حين اورثوه من حيث لا يشعر أخلاقهم وأطوارهم ·

محمد كرد علي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ اسعاف النشاشيبي

على اقتراح الاستاذ «المغربي»

هناك ستة أقسام من الألفاظ :

(القسم الاول) الفاظ عرفها أصحاب المعاجم اللغوية فأودعوها معاجمهم ·

(القسم الثاني) الفاظ شردت عن أصحاب المعاجم وقد وردت في كلام العرب الموثوق بعربيتهم ·

(القسم الثالث) الالفاظ المولدة واللغة لغة والناس ناس ·

(القسم الرابع) الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة ·

(القسم الخامس) الالفاظ العلمية في جميع ضروب العلم التي وضعها الاحتياج العلمي ·

(القسم السادس) الفاظ وضعها علماء اللغة في هذا الزمن واستجيدت واستعملت ·

كل ذلك يجب ان يودع المعجم العربي ويعد عربياً محضاً فالقسم الثاني اخو الاول من امه وابيه والاقسام الباقية هي نسل القسمين ·

وارى ان يشار عند الكلمة في المعجم الى نوعها وان استطيع ان يذكر الاصل القديم لكل كلمة عربية فيقال هذه سنسكريتية وهذه إغريقية وهذه حميرية فهذا والله صنع جيد ·

واما الألفاظ المولدة في العصور السخيفة والألفاظ العامية فنبذها فرض . وفرض ايضاً اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولا يهتدي الى المقصود القارئ ولكل لسان أسلوب والتسامح في هذا الشأن الآن فيه الهلاك ومبتغانا ان نحيا والتركيب لايدخل معجماً ثم هناك عندالعرب وعند سائر الامم لغتان اوأسلوبان في الكتابة لغة علم ولغة أدب والاولى ذريعة والثانية عندي غاية ، فإساءة الى العربية وإساءة الى الفن الا يكون الا أسلوب واحد والا تعد اللغة الا ذريعة . وقد بينت هذا الرأي في مقالتي في ردي على رسول الحرية والفكر في العرب الاستاذ امين الريحاني وفي خطبتي في العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي . فأعظم بمجم يكون في هذا الوقت وقد اشتمل على تلك الأقسام الستة وان وجوده اليوم لواجب . وواجب وجوده قبل المعلمة العربية التي ينوي القوم في مصر انشاءها فالمعلمة اللغوية قبل المعلمة العلمية والاولى اكبر عدة للثانية .

وقد ذكرت هذا القول في شأن المعلمتين لرئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر الشيخ احمد امين أستاذ اللغة في الجامعة المصرية ولغيره من الفضلاء في القاهرة فما لاقيت الا الموافق عليه .

عضو المجمع العلمي العربي

اسعاف النشاشيبي

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٨ =

اما تسميته إياها بالالعوبة (Comedia) فهو مأخوذ من الاشتقاق الاصلي اللاتيني لهذا اللفظ ومعناه أغنية او أغان باليونانية ولعلهم اشتقوا من هذا اللفظ ايضاً لفظ (Comique) مضحك او مضحكات وهذا مشتق من الاصل اليوناني (Comus) وهو اسم اله الولائم عند اليونان ٠

ومن هذا الاشتقاق الاصلي يتضح لنا ان غرض دانتي لم يكن نظم ألعوبة للتفكه او التشخيص بل أغنيات يُتَغنّى بها في البيوت والكنائس ايام الاحاد والاعياد على مثال تغنيهم بزبور داود او نشيد الانشاد وان يبجل اسم ناظمها و يعد في جماعة القديسين لانه عرج قبل موته (في دعواه) على جهنم والمطهر والفردوس وخاطب الله بل حلت فيه روح الله القدوس ٠

ومن أظهر عيوبها بعدها عن المعقولات اي مخالفتها للمنطق ولا ينفي ذلك ماقدمناه من ان اعظم اركان الشعر هو الخيال لاننا اذا جردنا الخيال من المعقول لا يبقى ثمت خيال ولا شيء يسمى بشيء مثال ذلك ان يتخيل الشاعر فيقول : ان جسم محبوبته او الحسناء الموصوفة شفّافاً تركّب من عنصر الهواء وحاز من المحاسن اشكالاً تعجز عن وصفها ألسن الشعراء فهذا التخييل لا يخرج عن المعقول بجملته وان خرج ببعضه اذ اول ما يتبادر الى ذهن السامع من هذا الوصف ان جسم هذه الحسناء بض لطيف ذو بشرة تحاكي الشمع الشفّاف او اللؤلؤ المكنون وان اعطافها قد لانت حتى كادت تكون من الأوهام والظنون وان محاسن قسماتها مما كان شاهده مرة في بعض الصور او عاين مثله في بعض الدُمى من العاج او المرمر وان الناظر الي

جملة محاسنها ينادي حاشا لله ما هذا بشر و ينصرف الفكر عن قوله تركّب من عنصر الهواء لان السامع او القاريُ يستطيع ان يتصور حال سمعه هذا الوصف صورةً وجسماً وبعكس هذا مافي الالعوبة فان كل مافيها من التخييل يفر من المعقول البشري اذ انه اول ما يصوّر لنا حكايته يصوّرها في ظلمة مدلهمّة ومن اين لنا ان نعاين المنظورات في تلك الظلمات بل انى لنا ان نشاهد الموهومات ؟ كقوله بحيرات ذوات مياه نارية او نيران مائية قائمة ثم يصف لنا أناساً عرفهم وعرفوه وآخرين ممن سمعنا باسمائهم في التواريخ ولكنه عاينهم ارواحاً لا أجسام لهم وذلك كله في تلك الظلمات الحالكات وانت لم تبصر حياتك كلها روحاً بل ان الروح التي يقال لك انها فيك لا تُنظر ولا تكيّف ولا تحدّد ولا تعرَف وانما هي لفظ موضوع يردّد ولا يُدرَك ثم انه كان يجول في تلك النيران الجهنمية بلحمه وعظامه وثيابه بل تراه يقف مخاطباً هذا ومحادثاً ذاك كأنه في رائعة النهار في شارع من شوارع بلدته ولا نطيل بهذا فالالعوبة كلها على هذا النحو ·

واذا نظرنا الى مابين المعري ودانتي من التباين في التخيل نجد في تخيل المعري شيئاً من شبه الامكان وآخراً من شبه المعقول واما في تخيل دانتي فاننا لا نستطيع له تصوراً او تخيلاً مع انه يكتب منظوماً ولكننا نشعر انه يموّه اكاذيب يلفقها وغرائب ننظمها قريحته و يصورها قلمه ليظهر براعة اختراع الموهومات ·

وان قلت ان كليهما يصف اي يلفق اوهاماً وخيالات قلنا من شروط التصنيف ان لا يكون بعيداً عن المعقول كل البعد اي ممتنع الادراك كقولنا زيد حديد البصر شديد العمى او انه كان يذوب جسمه احتراقاً في الماء البارد او انه كان يفر من برده في اتون النار وهذا او نحوه عين ما ورد في اكثر الالعوبة ·

نعم قد جاء في كلام ابي العلاء شيء مما يخالف المعقول كقوله تنشق كل جوزة عن اربع جوار ··· وامثال هذا الا انه في ذكره ذلك يردد ما كان شائعاً بين بعض اهل عصره لا انه يعتقده و يقرره كقاعدة علمية او مسألة حسابية بل بالعكس من ذلك فان في معاريض كلامه بل في كل صفحة من رسالته ما يشعر

باستبعاده امكان ما يشير اليه من الغرائب بل في كثير من جمله ما لا يترك لدى القارئ البصير سبيلاً للريب في هزله هذا وممازحته ٠

واين دانتي منه فان اللعنات التي رشق بها خصومه واعداءه حتى بعض الاساقفة والباباوات لم تكن عقيدة من عقائد اهل عصره وان ما عقده في جهنم من الجسور والقناطر وما تنطّس بذكره من الزوايا والمربعات الهندسية بل القصور ذوات الابواب السبعة لم يكن من معتقدات اهل عصره الى كثير جداً من مثله وانه طوّف بجهنم ذلك التطواف وعرّج على الفردوس ذلك التعريج ورأى ما ذكره وفصّله لم يكن الا دعوى منه بل زعمه ان روح الله حلت فيه كل ذلك يصفه لنا وصفاً دقيقاً ويذكره لا كمتهكم او مستبعدٍ امكان ذلك بل كواصف يروي حقائق لا يخامرها مزحٌ او شك ٠

وهب ان بعضها او اكثرها من معتقدات اهل عصره فهو يرويها على علاتها متيقناً كل اليقين منها ويزيدها من عنده كما تقدم البيان تفاصيل واختراعات ٠

وقد سبق لنا بيان شيءٍ مما ذكرناه هنا للدلالة على مخالفته للخيال الشعري وافضنا هنا في ذكر ما تقدم للبرهان على مخالفته للمعقول والمنطق واليك مقابلة تظهر لك البون الشاسع بين لطف تصور الأعمى وذكائه وبعد مداركه وبين خشونة تصور دانتي ونظره المحدود مع مخالفته للمنطق والمعقول ٠

صوّر ابو العلاء جهنم صورة لا تتجاوز معقول القراء فجعل ابن القارح ينظر من علٍ الى أسفل جهنم عند تلاعنه وابليس كما مرّ بك وقول الزبانية لابليس حينما امرهم بجذب ابن القارح — لا سبيل الى ذلك يا ابازوبعة — اي لا نستطيع الصعود الى مقام ابن القارح فانه المقام الاعلى مقام الصالحين في الفردوس وهو جواب مقبول معقول عند من يتصور ان جهنم هي في وادٍ متناهٍ في العمق وان الفردوس فوق أرفع ما تراه الابصار من الأفق وهو تصوّر الجمهور ٠

ثم انه لما صوّر لنا ابن القارح يتنادم في الفردوس مع جماعة من الشعراء قال بعد وصفه خمور الجنة وذكره الآنية الذهبية ٠٠٠ وتهشُّ نفوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق ٠٠٠ ثم انه لما ذكر عربدة النابغة والاعشى قال ويثب

نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول (الضمير لابن القارح) أصلح الله به وعلى يديه لا عربدة في الجنان انما يُعرف ذلك في الدار الفانية بين السَفِلة والهجاج وانك يا ابا ليلى لمترّع ·

فاذا نظر الناقد البصير في لطف هذا الوصف يراه لا يخرج في شيء عن المشهور والمفهوم عند عامة الخلق فضلاً عن خاصتهم فانه لم يجعل شراب اهل الفردوس شراباً موهوماً بل خمراً سائلاً ورحيقاً مشموماً وجعله أنهاراً لشغف العرب به وأجراها في الفردوس أمام المتنادمين وذكر الطاسات والاكواز والاباريق وهي مألوفة عند العرب ولاسيما عند وصف الشراب وصورها من الذهب وذلك لايخرج عن المألوف المعروف عند الامراء والاكابر في الدار العاجلة فلا بدع ان تكون في الفردوس كذلك او أبهى وأغلى ولما ختم الوصف بعربدة النابغة على الشراب كعادته المشهورة في حياته قال فضربه بكوز من ذهب · وكل ذلك معقول يشربه الذهن دون تكلف او اجهاد ·

اما دانتي فانه لما أغار على هذا الوصف وسرق معانيه عمد اول شيء الى التخليط لاخفاء مواضع المسروق ومنابعه واقصاء نظر الناقد عن مشارعه ومطالعه فصوّر لعبة بين أناس من اهل لومبارديا وتوسكانا على بحيرة نارية وبينهم من يمسك بساعدي احد الشياطين ليوقفه عن جلد رفيقه ثم يهرب من وجه الأبالسة فيلحقونه ثم يعترضهم آخر ليحول بينهم وبين رفيقه الهارب الى آخر هذه القصة الخبيثة · (الاغنية الثانية والعشرون) ·

أيكون في جهنم لعب بين المغضوب عليهم والشياطين ؟ وتكون هناك بحيرة نارية (مظلمة كريهة الرائحة ولا ريب) ويلعب حولها اهل النار او هي تلك الارواح (التي تُرى ولا تُرى) واين اللعب من أناس يحترقون ويعذّبون على النحو الشنيع الفظيع الذي يصفه لنا هو نفسه ؟ وكيف يقوى المعذّب المحترق الضعيف على قوة الشيطان الرجيم سلطان الجحيم فيمسك بساعديه ؟ وكيف يهرب من وجهه والى اين ؟ ·

ان في الالعوبة كثيراً من امثال هذه الحكاية التافهة مما يخالف المعقول والمفهوم فان قيل انها وضعت شعراً لانها للخاصة من الناس قلنا كيف تكون للخاصة ممالا يسلك

في عقول صغار الاولاد فضلاً عن مخالفتها للمنطق من جميع وجوهها وان قيل انها للعامة على ما كان شائعاً بينهم يومئذ قلنا انه لم يشع في عصر من عصور الجهل المظلمة أمثال هذه الخرافات التي أطال وأشبع فيها التفصيل والتدقيق وهي كما علمت من الشعر الذي انحنت لديه رؤوس شعراء الامم الفرنجية لما اشتمل عليه من الفصاحة والتنميق ومثل هذا لا يكون نظمه للعامة على انه اذا تجرد من الفصاحة الشعرية عندهم وبعبارة اجلى اذا حللناه الى كلام وجدناه غير معقول ولا مفهوم وانما هو خلط موسوس او هذيان محموم ·

وان قيل كيف تجتمع البلاغة الشعرية و براعة الوصف اللتين ملك بهما دانتي ثالث عرش لملوك الشعر عند الامم الافرنجية مع ما اوضحناه هنا من عيوب الاعوبة نجيب عن ذلك بمثال بل ببرهان يدفع عنا تهمة التعصب لفيلسوفنا العربي بالحط من منزلة دانتي العالية فما علوّ قدره بمنزل اباالعلاء عن مرتبته السامية عند عارفيه ولا شمس المعري كاسفة أنوار دانتي عند أقوامه ومريديه ومعاذ الله ان نقف غير موقف الانصاف في الموازنة والنقد او ان تكون خدمتنا غير الحقيقة ورائدنا غير الاخلاص في القصد · « للبحث صلة » عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

اعضاء المجمع العلمي

حياتي

ابي مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي وهو كردي ينتسب الى امراء السليمانية البابان وهؤلاء ينتمون الى خالد بن الوليد وشهرته بالزهاوي هي لان اباه الملا احمد هاجر الى زهاو وسكنها سنين وتزوج بسيدة زهاوية ولدت له ابي فلما رجع الى السليمانية مع نجله ابي اشتهر ابي بالزهاوي ٠

وأمي السيدة فيروزج من أسرة وجيهة كردية ٠ وقد وُلدتُ في بغداد يوم الاربعاء آخر يوم ذي الحجة سنة ١٢٧٩ ه الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ م ٠

وكنت في صباي أسمى المجنون لحركاتي غير المألوفة وفي شبابي الطائش لخفتي وايغالي في اللهو وفي كهولتي الجريئة لمقاومتي الاستبداد وفي شيخوختي الزنديق لمجاهرتي بآرائي الفلسفية ٠

تعلمت كثيراً من علوم الاولين والآخرين اما الثانية فولعت بها ونشرت لي المجلات والصحف في مصر وبيروت وبغداد مقالات كثيرة وقصائد وطبعت لي ثلاث كتب اثنان منها فلسفيان والثالث في الرد على الوهابية وسبب تأليفي لهذا سياسي ٠ ونشرت لي في المجلات رسائل مختلفة معظمها فلسفي وطبع لي اول ديوان في بيروت باسم (الكلم المنظوم » وهو مغلوط فيه وقد هذبته اخيراً وحذفت منه ما لم أستجده وأدمجت الباقي في ديواني العام وجعلت مجموع ما نظمته اربعة أجزاء أسميت الثلاثة الاولى « ديوان الزهاوي » وأسميت الرابع منها « رباعيات الزهاوي » وهو يحتوي على الف ومائتين من الرباعيات ومجموع ابيات دواويني الاربعة هو احد عشر الف بيت ٠ ولي رسائل

(١) وافانا الاستاذ الزهاوي بترجمته هذه تلبيةً لنداء المجمع الذي طلب من أعضائه تراجمهم باقلامهم فننشر بعضها ٠ وها نحن اولاء ننشر الآن ترجمة الاستاذ المومأ اليه ٠

لم تطبع بعد منها رسالتان في النور والبصر ورسالة في لعب الداما أودعتها الفاً وخمسمائة لعبة · الف منها من مستنبطاتي · وسميتها « اشراك الداما » ·

وعُينت في شبابي عضواً لمجلس المعارف في بغداد ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً عربياً للزوراء الرسمية ثم عضواً لمحكمة الاستئناف وسافرت في اوائل كهولتي الى الآستانة فأُبلغ جلالة السلطان عبد الحميد اني ضد حكومته فبثّ عليّ جواسيسه ثم أرسلني بصحبة البعثة الاصلاحية واعظاً عاماً لبلاد اليمن ثم أرجعت بعد احد عشر شهراً الى الآستانة فأنعم علي جلالته برتبة « بلاد الخمس الموصلة » ووسام مجيدي من الدرجة الثالثة ·

واتصلت باحرارها فزاد جلالته عدد الجواسيس عليّ ثم سجنت وسفرت الى بغداد مخفوراً على ان لا أبرحها وعين لي راتب شهري قدره خمس عشر ليرة واكثر الشعر في ديواني « الكلم المنظوم » هو ما نظمته في بغداد ايام انا مأمور بالاقامة فيها ·

ولما أُعلن الدستور عدت الى الآستانة فعينت بعد وصولي بقليل أُستاذاً للفلسفة الاسلامية في الجامعة الملكية وأُستاذاً للآداب العربية في دار الفنون وقد نشرت مجموعة دار الفنون دروسي التي كنت القيها في الجامعة الملكية باسم « حكمت اسلاميه درسلري » ثم اشتدّ مرضي الذي كان قد نشب بي أظفاره في شبابي فرجعت الى بغداد معلماً للمجلة في مدرسة الحقوق ونُشر لي بعد برهة في المؤيد مقال دافعت فيه عن المرأة فأثار عليّ الشعب بايغار اعدائي وأرادوا اهانتي او هلاكي ولم أخرج من بيتي اسبوعاً وسعى احدهم الى ناظم باشا وهو يومئذ والي بغداد ليعزلني عن وظيفتي ففعل ودافع عني كبار الكتاب في مصر وسورية وأعادني جمال باشا « والي بغداد بعد ناظم باشا » الى وظيفتي ثم انتخبت نائباً عن المنتفق ثم عن بغداد فذهبت مراراً الى الآستانة وحضرت جلسات البرلمان العثماني وخطبت فيه مرات كثيرة · ولم أبرح يوم سقوطها في الحرب الكبرى وقدّم عدوّ لي تقريراً الى السلطة المحتلة يحسّن فيه ابعادي عن بغداد مع عدد من وجوهها ولكني نجوت ساعة قبضوا عليّ باراءتي ايام بطاقة فيها اني مكاتب للقطم اما الباقون فأخذوا أسرى الى بلاد الهند القاصية ·

وكنت أجامل الحكومة المحتلة في خطبي واذكّرها بوعودها مطالباً باستقلال

البلاد فكانت مجاملتي تغضب الأهلين ومطالبتي ترضيهم . وعُينت في اشهر الاحتلال الاولى عضواً لمجلس المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين العثمانية فعربت سبعة عشر قانوناً بين صغير وكبير .

وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم أشترك فيها لعلمي بوخامة عاقبتها فساء ذلك الاهلين ثم لما استفحل الامر جمع فخامة الحاكم العام السر ولسن مندوبي الشعب الذين انتخبهم في ثورته وجمع معهم نفراً من وجوه بغداد وكنت احدهم وفي ختام المحاورة قمت وصرّحت باشتراكي مع مندوبي الشعب في طلب الاستقلال التام . ولم تنتج المحاورة وفاقاً . ثم قبض على قسم من المندوبين ونفوا وفرّ قسم منهم وبقي قسم مطمئناً في بغداد من غير ان تمسهم يد السيطرة وظن البعض نجاة هؤلاء لان ضلعهم معها .

وجاء فخامة المندوب السامي السر برسي كوكس فوعد وأوعد وخطبت يوم استقباله فطلبت ان يرأف بالناس وقد أخمد فخامته الثورة بالقوة ووعد الاستقلال .

وجمع فخامته النواب السابقين عن العراق مع عدد من وجوه العاصمة والف منهم لجنة لسنّ نظام انتخاب المؤتمر العراقي وكنت عضواً فيها وصححت النظام بقلمي . ثم الف وزارة برئاسة سماحة النقيب وهو الشيخ المحترم يتراوح سنه بين الثمانين والتسعين فما وسعه الا ان يأتمر بما يشار اليه .

وبعد قدوم جلالة الملك فيصل بغداد بشهرين ألغيت وظيفتي في العدلية وقطع راتبي وعلمت ان سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي وبقيت بلا راتب بعد ان كنت أتسلّم سبع مائة وخمسين ربية في كل شهر . يا لها من نكبة على من ليس له مال او عقار واستدعيت حق التقاعد فطلبت دائرة الرواتب ان أبرز اوراقي الرسمية المبينة لوظائفي السابقة فقدمتها وبعد ايام مضين على فحصها أفهمني ان ما استحقه هو مائة وخمسون ربية في الشهر فرفضتها لاني وجدتها دون استحقاقي .

واخذت جريدة العراق تنشر لي كل يوم في صدرها احد الرباعيات وفي كثير منها نقد لما كان يجري يومئذ .

وكنت قبل قدوم جلالة الملك والغاء وظائفي قد استدعيت ان يسمح لي بالذهاب الى مصر للتداوي مدة سنة فأقر مجلس الوزراء اعطاء رواتبي تماماً في المدة المذكورة

وصدّق فخامة المندوب السامي قراره بعد ان اشار الى اضافة مئة وخمسين ربية في الشهر لمدة السنة في مقابلة مصروف الطريق ذهاباً واياباً فكان ما تعين اعطائي اياه لمدة سنة تسعمئة ربية في الشهر وقد بلغني سكرتير المجلس ذلك شفهياً وهنأني كثير من اعضائه . ولكن فرحتي لم تدم فانهم لم يبلغوني شيئاً من ذلك رسمياً ثم جاء الملك وألغيت رواتبي كما قدمت . وبعد أشهر من الغاء وظائفي وصلني مغلف من البلاط الملكي يبلغني في داخله رئيس الامناء ان قد صدرت ارادة جلالة الملك بتعييني شاعراً له براتب شهري قدره ستمائة ربية أعطاها من صندوقه الخاص فكتبت اليه اني أرفض هذه الوظيفة فلا أريد ان اكون مداحاً تلقاء اجرة أعطاها واني اذا شاهدت ان جلالته يخدم بلادي امدحه على خدماته بدون اجرة وحينئذ يكون لكلماتي تأثير اكبر مما اذا مدحته وانا اجير . وأتذكر اني بعد التصريح بالرفض كتبت اليه مانصه : « ومع ذلك فاني لا ازال ذلك العصفور الذي يغرّد بمآثر جلالته إعجاباً بها لا طمعاً بحبات تلقى اليه » .

وقابلني بعد شهور وجيهان من وجوه البلد يقولان اننا مرسلان من البلاط لمفاوضتك فان جلالة الملك يريد اذا وافقتَ ان يصدر ارادته هذه المرة بتعيينك شاعراً له ومؤرخاً للعراق معاً براتب شهري قدره ثمانمائة ربية على ان تتسلم هذا الراتب من تاريخ التكليف الاول « وكان قد مضى عليه اكثر من ستة اشهر » فأجبتهما اما المؤرخية فأقبلها واما الشاعرية لجلالته فلا . فقالا لا يريد جلالته فصلهما واصرّا وأوعداني احدهما فلم اخضع .

وصممت الرحيل الى مصر وتهيأت للسفر وعزمت على ان ابيع خربة لي اوارهنها فما تيسر لي ذلك وكنت قد اقتصدت قدراً من الدراهم من راتبي لما كنت ذا راتب يكفيني الوصول الى مصر فراجعت دائرة الپسابور وحصلت على جواز السفر وصدقته من القنصلية الفرنسية لاني كنت عازماً على الرحيل من طريق سورية أريد قضاء ايام الصيف الحارّة في لبنان على ان اذهب في الخريف الى مصر التي طالما غنيت باسمها في شعري . غير ان الاضطرابات الاخيرة التي حدثت في سورية (سنة ١٩٢٢) قد سدّت الطريق في وجهي فثبّطت عزمي وما استطعت مضياً وبقيت الصيف كله في

بغداد مؤملاً ان تزول في الخريف فتنفتح الطرق فلما زالت وانفتح الطريق في الخريف قلت قد حان الوقت واذا برجلي قد زلت وانا أتمشى في داري فسقطت على الآجر المرصوف وكُسر عظمان من قدمي اليسرى فلزمت فراشي مدة خمسة اشهر لااستطيع الوقوف عليها ·

وقد عادني في مرضي هذا كثير من الاصدقاء والاعداء ، اما الاصدقاء فكانوا متألمين لمرضي يتمنون لي الشفاء العاجل والمشي على الرجل كالاول ·

(وقـد أُحاول ان اسعى فتمنعني رِجل رمتها يد الايام بالشلل)

واما الاعداء فقد كنت أقرأ في عيونهم الفرح لما أصابني ولم يكن مجيئهم الي الا ليعلموا درجة الكسر وهل أقوم بعده ·

(انَّ الربيع كثـيرة أوراده فاذا انقضى لم يبق من أوراد)
(انمتُ تحزن في العراق أحبة حيناً وتفرح في العراق أعادي)

« رباعياتي »

اما رباعياتي التي جعلتهـا جزءاً رابعاً لديواني العام فعددها ١٢٠٠ رباعي وقد نظمت اكثر من الف منها في سنة ١٩٢٢ ايام نكبتي في شيخوختي ، ايام أشكو الحياة والعوز والأوجاع المبرحة ، ايام حرمت من خير بلادي التي خدمتهـا بصدق اكثر من ثلث عصر في وقت انا في اشد الحاجة الى ذلك الخير ، ايام خُيِّرت بين العوز والعار فرجحت العوز على العار ·

(رب مال هو لو شئـ ـت اقتناء تحت لمسي)
(انما تمنعني عنـ ـيـله عزة نفسي)

* * *

(قد أرادوا ان يسيل الـ ـدمع من عيني فسالا)
(ولقـد ينبت في تأ ريخهم دمعي سؤالا)

* * *

زعموا انهم ان أجاعوني ذللت · ولكنني صبرت على الضيم · وما شكوت الى احد

ما بي . ولما رأوني اني لا أُطأطئ رأسي أوعزوا الى بعض الجرائد ان تسبني وتحط من كرامتي .

(انما الشعر سيد ليس يغضي على القذى)
(حبذا ذلك الإبا ء من الشعر حبذا)

* * *

(انت يا شعر خالد انا يا شعر هالك)
(انت يا شعر كلما انا في الكون مالك)

* * *

(انا للشعر في العرا ق أديب مجدّد)
(انا في جنب دجلة عندليب يغرّد)

* * *

وقد كان ما لحقني من الاذى وحرماني من الوظائف من الدواعي لنظم هذه الرباعيات وانك لتسمع فيها شكاتي صارخة وتقرأ دموعي مكتوبة وترى بؤسي وشقائي متمثلين . وما ليلى التي أُغني باسمها في كثير من رباعياتي سوى وطني العزيز الذي احببته فوق كل حب وحاربت من اجله الاستبداد طول تلك السنين .

وقد نظمت كل رباعي مستقلاً بنفسه غير مرتبط بما قبله او ما بعده كما فعل عمر الخيام في رباعياته الفارسية الا بعض القطع تراها في خلالها على وزن واحد وقافية واحدة وهي مع ذلك لم تفقد مزية الاستقلال فهذه استخرجتها من دواويني الثلاثة وأَلحقتها بها . ثم حسّن لي بعض أصحابي ان اجمع الشيء الى ما يناسبه ففعلت في مدة مرضي وقسمتها الى عشرة اقسام الاول « مشاهد الغرام » والثاني « الواح البؤس والشقاء » والثالث « الشعروالشعراء » والرابع « الهزّ والايقاظ » والخامس «الاخلاق والسجايا» والسادس «السياسة والاجتماع» والسابع «الكون والحياة» والثامن «الوصف والخيال» والتاسع « الشك واليقين » والعاشر « الجدّ والهزل » .

وقد اخذت طرفاً من الدساتير الاجتماعية لجستاف لبون متصرفاً فيه تصرفاً يقربه من النظم وعدد هذا لا يتجاوز الاربعين رباعياً وهو متفرق في الاقسام .

وكررت بعض المضامين في اكثر من رباعي حرصاً مني عليه وزيادة ايقاظ للشعب الذي غنيت له او رغبة مني في صوغه في قالب احسن مما صغته قبلاً وهل يضر بالحسناء اذا غيرت آونة بعد أخرى ثيابها للزينة ، او بالروض اذا أنبت من الزهر قسماً يختلف لونه . ويتشابه عرفه .

وترى في رباعياتي هذه روحي الكئيبة وفلسفتي بارزتين فتفهم منها عني مالا تفهمه من التراجم المطولة وعن بلادي مالا تطلع عليه في تاريخها . ويسرني اني اموت ويموت الذين ضاموني وتبقى هي خالدة على كرّ العصور تشهد بما لاقيته من ظلم الظالمين في حياتي .

بغداد : **جميل صدقي الزهاوي**

آراء وافكار

قبعة و CHAPEAU

« ما هي النسبة بينهما »

سألني بعض الفضلاء عن كلمة (قبعة) هل هي عربيـة وان كلمة (chapeau) الافرنسية اخذت منها . او ان الامر على العكس ؟ وقد أحببت ان أجيب السائل الفاضل بما يلي :

القبّعة بتشديد الباء فسرها علماء اللغة العربية بانها خرقة تخاط على شكل القلنسوة الطويلة يلبسها الصبيان . كذا قالوا في تفسيرها ولم يصرحوا بانهـا أعجمية الاصل . فدل ذلك على عروبتها . ولا سيما ان وزنها على وزن الكلمات العربية كسكّرة وقبّرة ومما يدل على عروبتها ايضاً مناسبة معناها لمعنى مادة (قبع) التي اشتقت منها : اذ يقال قبع الرجل اذا أدخل رأسه في ثوبه . و (القبيعة) قطعة من فضة يحلّى بها مقبض السيف بحيث يُدخل رأس المقبض اي طرفه الاعلى في تلك القطعة فهي له كالقبعة التي يُدخل فيها رأس لابسها . وفي (التاج) « ان صاحب القُبيع هو لقب الشريف عمر بن احمـد الاهدل : لقب به لانه كان يلبس القُبيع دائماً على رأسه والقُبيع

وكررت بعض المضامين فيا كثر من رباعي حرصاً مني عليه وزيادة ايقاظ للشعب الذي غنيت له او رغبة مني في صوغه في قالب احسن مما صغته قبلاً وهل يضر بالحسناء اذا غيرت آونة بعد أخرى ثيابها للزينة ، او بالروض اذا أنبت من الزهر قسماً يختلف لونه . ويتشابه عرفه .

وترى في رباعياتي هذه روحي الكئيبة وفلسفتي بارزتين فتفهم منها عني ما لا تفهمه من التراجم المطوّلة وعن بلادي ما لا تطّلع عليه في تاريخها . و يسرني اني اموت ويموت الذين ضاموني وتبقى هي خالدة على كرّ العصور تشهد بما لاقيته من ظلم الظالمين في حياتي .

بغداد : **جميل صدقي الزهاوي**

آراء وافكار

قبعة و CHAPEAU

« ما هي النسبة بينهما »

سألني بعض الفضلاء عن كلمة (قبعة) هل هي عربيــة وان كلمة (chapeau) الافرنسية اخذت منها . او ان الامر على العكس ؟ وقد أحببت ان أجيب السائل الفاضل بما يلي :

القبّعة بتشديد الباء فسرها علماء اللغة العربية بانها خرقة تخاط على شكل القلنسوة الطويلة يلبسها الصبيان . كذا قالوا في تفسيرها ولم يصرحوا بانهــا أعجمية الاصل . فدل ذلك على عروبتها . ولا سيما ان وزنها على وزن الكلمات العربية كسكّرة وقبّرة ومما يدل على عروبتها ايضاً مناسبة معناها لمعنى مادة (قبع) التي اشتقت منها : اذ يقال قبع الرجل اذا أدخل رأسه في ثوبه . و (القبيعة) قطعة من فضة يحلّى بها مقبض السيف بحيث يُدخل رأس المقبض اي طرفه الاعلى في تلك القطعة فهي له كالقبعة التي يُدخل فيها رأس لابسها . وفي (التاج) « ان صاحب القُبيع هو لقب الشريف عمر بن احمــد الاهدل : لقب به لانه كان يلبس القُبيع دائماً على رأسه والقُبيع

(مصغراً) مثل القلنسوة يُتَّخذ من خوص النخل اه • فلم نبق شبهة في ان مادة (قبع) تلتحم جداً مع معنى (القبّعة) فالقبّعة إذن عربية لا شائبة للعجمة فيها •

ويريد قوم ان يشككوا في كلمة (قبّعة) ويجعلوها من اصل أعجمي • وأذكر ان من هؤلاء المرحوم صاحب المقتطف فقد رجح انها معربة وانها دخلت الى لغتنا العربية في اثناء الحروب الصليبية • والذي روّج هذه الدعوى وجود كلمات في اللغة اللاتينية تشبه بحروفها ومعناها حروف كلمة (قبعة) ومعناها ثم قالوا ان كلمة (chapeau) الافرنسية مشتقة من الاصل اللاتيني وان عرب سوريا في العهد الصليبي او عرب اسبانيا في العهد الاندلسي اخذوا كلمة (قبعة) منها اي من كلمة (ehapcau) الافرنسية بعد ان أفرغوها في قوالب لغتهم •

ولكن (قبّعة) و (قَبيعة) و (قُبيع) وجدت في لغتنا قبل العهدين المذكورين بل ما يدرينا ان الصليبيين والاسبانيين هم الذين أخذوا كلمتهم (ehapeau) من كلمة (قبعة) العربية في خلال ذينك العهدين • ويؤيد هذا الاحتمال ما قاله لي بعض فضلاء شباننا المتعلمين نقلاً عن بعض الالمان فقد أثبت له هذا الفاضل الالماني ان كلمة (chapeau) الاوربية مضطربة الاصل مجهولة النسب وان المعول عليه اليوم لدى الباحثين الاوربيين انها من اصل عربي وان الافرنج اخذوها من عرب الاندلس من كلمة (قبعة) •

ومن راجع (لاروس) وجد شيئاً من هذا الاضطراب والتردد في نسب كلمة (chapeau) فقد قال انها مأخوذة من (chape) و (chape) مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية ثم فسر (لاروس) معنى الكلمة اللاتينية الاصل بانه ضرب من الملابس التي تلبس من فوق الثياب (manteau) وهو لا يلبس الا في الاحتفالات الدينية •

فكيف يصح ان تكون (cappa) اللاتينية التي هي لبوس البدن كله عدا الرأس اصلاً لكلمة (chapeau) التي هي لبوس للرأس وحده عدا البدن ؟ ؟ •

والحاصل ان اخذ كلمة (chapeau) من كلمة (قبعة) العربية اقرب تعقلاً من ان تكون مأخوذة من كلمة (cappa) اللاتينية •

ومن المستبعد جداً ان تكون (قبعة) العربية مأخوذة من الكلمة اللاتينية لما ذكرنا من أصالتها في العروبة . نعم انها تشبه في حروفها ومعناها بعض الكلمات اللاتينية لكن هذا من قبيل توارد اللغات وتشابه ألفاظها . وله شواهد كثيرة .

وكان اهل الأمصار الشامية والمصرية قديماً يستعملون كلمة (قبع) بضم فسكون و يطلقونها على نوع من لبوس الرأس ربما كان خاصاً باولاد الامراء والعظماء : فقد ذكر صديقنا احمد تيمور باشا في مقال له نشره في مجلة الزهراء ان (جواداً اللخمي) كان حاذقاً في الخط وصناعة اليد وانه صنع زر قبع لابن الامير تنكز امير دمشق في اوائل القرن الثامن للهجرة . فالقبع هو القبعة التي قام مقامها (الطربوش) وزر القبع هو قطعة زينة توضع في وسطه . والزر هذا هو الذي خلفتــه الشرابة او الطرة . وما زال بعض اهل بلادنا الى اليوم يسميها (زراً) فيقولون زر الطربوش كما يقولون شرابته وطرته . وعامة بلادنا اليوم حرفوا كلمة (قبعــة) و (قبع) الى (قَبُّوعة) . ومن مستحسن ما قرأته لبعض الكتاب المعاصرين ان (التقبيع) وهي اللفظة العاميــة التي كان يطلقها اهل بلادنا من عهد قريب على حلت شعر الولد الاقرع ثم معالجتــه بالذرورات وضروب الأدوية وان تسميتهم لهــذه المعالجة والمداواة تقبيعاً — مأخوذ من كلمة (القبُّوعة) الخاصة التي كانوا يلزمون الأقرع بلبسها وقت ان كان داء القرع متفشياً بكثرة في بلادنا في القرن الماضي . فالتقبيع في اصل معناه إلباس القبوعة ثم توسعوا به فأطلقوه على المعالجة والمداواة التي يلازمها لبس القَبّوعة عادة .

و يقول العامة في بعض البلاد العربية إقبع المسمار من الحائط وإقبع الحشيش من الارض فهل (إقبع) بهذا المعنى محرفة عن فعل (إقلع) ؟ او ان لها علاقة بتقبيع الاقرع من حيث ان شعره كان يُنتف نتفاً أحياناً كما ينتف ويستخرج المسمار من الحائط والحشيش من الارض ؟ وانما قلنا ان (قبَع) المسمار هو من هذا او ذاك لانه لا يوجد في اللغة العربية (قبَع) بمعنى قلَع الشيء واستخرجه بعنف من محله فقولهم (إقبع المسمار) عاميّ محض .

المغربي

الاوتوموبيل أو السيارة ؟

نشر الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في (السياسة الاسبوعية) مقالاً جاء فيه كلمة (اوتموبيل) فكتب احد طلاب (الجامعة المصرية) اليه سؤالاً يعاتبه فيه على استعمال هذه الكلمة الأعجمية واهمال الكلمة العربية التي تقوم مقامها في استعمال كتاب هذا العصر وهي سيارة · فأجابه الاستاذ هيكل بما يلي نقلاً عن (السياسة الاسبوعية :

فاما استعمال كلة (اوتموبيل) بدل كلة (سيارة) التي درج العرف في الاعوام الاخيرة على وضعها مقابلاً للكلة الأجنبية فلم يكن اعتباطاً ولا كان مجرد حرص على اللفظ الغربي · ولئن كنت أعلم ان كلمة سيارة قد سارت في أدبنا حتى استعملها امير الشعراء شوقي بك في بعض قصائده فاني ارى هذا الاستعمال يفسد الكلة و يقضي على صورة معينة منها ترجع الى الماضي وما تزال لها مظاهرها في عصرنا الحاضر : فقد جاء في سورة يوسف قوله تعالى « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام » والسيارة هنا معناها الرَكب وهذا المعنى للكلة ما يزال معروفاً لم تنكره الحياة الحاضرة ولم يندثر بعد · فالذين يعرفون شيئاً عن الحياة الصوفية يعرفون السيارة بمعنى الطائفة تسير وأمامها علمها · فاذا نحن أطلقنا لفظ السيارة على الاتموبيل جنينا على هذا المعنى وتخطيناه الى معنى لا يؤديه لفظ السيارة العربي أداءً صحيحاً · على انا لو استعملنا كلة السيارة للاتومبيل وكلمة الدراجة للبسكليت مما درج به التعبير في الأعوام الأخيرة فما ذا عسى يكون اللفظ الذي نطلقه على (الموتوسيكل) مثلا ؟ وهلا ترى يا صديقي الطالب انا اذا جنحنا الى اخراج الكلمات العربية عن معانيها المعروفة في المعجم الى معانٍ جديدة اضطررنا لإكراهها على ما لا تطيقه طبيعتها اللغوية فأفسدنا اللغة على حين ترى انا نحاول الاصلاح فيها ·

ثم ان لي رأياً أريد ابداءه ليكون موضع المناقشة و بخاصة في هذه الفترة التي تتحرك فيها مسألة المعجم اللغوي · وذلك ان نوضع اسماء المكتشفات الغربية في اللغة العربية باسمائها او مع التحوير اللفظي الذي تقتضيه أوزان اللغة · وما أحسبني جئت

في هذا بجديد . وقد اخذ به العرب في لغتهم من قبل . والافرنج يأخذون به اليوم بوجه عام : اذ ترى اللفظ الواحد هو هو في الالمانية والانكليزية والافرنسية والايطالية مع تحوير فيه ليتناسق مع اللغة وانغامها . ويدفعني الى ابداء هذا الرأي سببان فضلاً عن انه الرأي الذي اخذ به العرب في الماضي والذي وجد من الانصار متطرفين تراهم بين الذين ترجموا كتب اليونان في عصر المأمون يأخذون الألفاظ اليونانية كما هي من غير تحوير يسبغ عليها الطابع العربي : أشعر انا بان للمكتشف اوللمخترع من الفضل على الانسانية ما يجعل اهل الامم المختلفة مدينين له بما يقتضيهم ان يضعوا الاسم الذي اختاره لاختراعه او اكتشافه — كما أشعر ان للآخذ بهذا الرأي خلا الاعتراف بالجميل لمن يجب الاعتراف بجميله — مزية التقريب بين وسائل التفاهم الانساني في انحاء العالم كله مما يوجبه ازدياد اتصال الامم بعضها ببعض في العصر الحاضر . هذه يا سيدي هي الاعتبارات التي أدت الى استعمال كلمة (الاتومبيل) وتفضيلها على لفظ (السيارة) ولست ادعي انها جديرة بانعقاد الاجماع عليها لكنني أحسبها تستحق شيئاً من النظر والاعتبار اه .

نظرة في « الملاحظات اللغوية »

قرأت في الجزء الثاني من المجلد الثامن مقالاً للكاتب الفاضل السيد سالم خليل رزق عنوانه « ملاحظات لغوية » ذكر فيه ألفاظاً قال انها فاتتني في المقالة الثالثة من سلسلة مقالاتي التي عنوانها « ألفاظ عربية لمعانٍ زراعية » وقد رأيت من الضروري ان أبين لحضرة الكاتب وجه الفائدة من هذه المقالات بل الغاية من كتابتها . وأظن انني اكشف فيما سأقول عما في ضمير العالم الطبيب السيد امين المعلوف لان الكاتب المومأ اليه تناوله ايضاً في مقاله .

ليست الغاية مما اكتبه او يكتبه الطبيب امين المعلوف سرد ألفاظ مترادفة لمسميات مألوفة او لمعانٍ مهجورة . واذا كان يفيد اللغة العربية ان يتاح لها افراد عليمون باستخراج هذه المترادفات من كتب اللغة ورسائلها المعروفة فان أعظم ما هي بحاجة اليه

أناس من ابنائها حذقوا العلوم والفنون الحديثة واطلعوا على أسرار لغة العرب ثم راحوا ينتقون أجود الألفاظ العربية للمعاني العلمية او الفنية المذكورة خصوصاً اذا كانت المعاجم العربية الأعجمية او الأعجمية العربية خلواً من هذه الألفاظ مع مايقابلها . ورب كلمة واحدة سواء أكانت اصلية او مشتقة او منحوتة اومعربة اذا أحكم وضعها لمسمى حديث علمي او فني تكون اعظم فائدة من بضع صفحات في مترادفات لاتحيي اللغة العربية باحيائها ولا تموت باماتتها . وان من يتخصص بعلم من علوم القرن العشرين و يقف على المئات والالوف من الألفاظ العلمية التي أضافها الاوربيون الى لغاتهم يبكي لشدة حاجتنا الى امثال هذه الألفاظ بالعربية ويضحك ممن لم يطلعوا على العلوم الحديثة بلغات الافرنج و يظنون ان الاقتصار على معرفة كتب اللغة العربية وسرد الألفاظ وما يرادفها هو شيء يذكر في سبيل إحياء هذه اللغة . نحن اذا أجللنا اللغويين المذكورين فلكونهم حفظة ثروتنا القديمة — وهم لهذا جديرون بالإجلال — اما الذين يمكنهم ان يحيوا هذه اللغة ويقربوها من مصاف اللغات الاوربية الحية فلا بد لكل منهم ان يجمع بين امور ثلاثة وهي الاختصاص بعلم او بفن والتغلغل بسرائر اللغة العربية وإتقان لغة واحدة على الأقل من لغات اوربا الغنية بالعلوم والفنون . واذا فقد شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة فقدت معه معظم الفوائد التي ترجى ممن يود إصلاح لغة الضاد والعمل في إحيائها باضافة الألفاظ اللازمة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

أعود بعد هذه المقدمة الى ما ذكره الكاتب الفاضل خليل رزق في مقالته فأقول انني (مع الطبيب معلوف) وضعنا كلمات عربية لمعان زراعية او نباتية وانتقينا لكل معنى اصلح لفظة عربية في رأينا . وكثير مما وضعناه لا يوجد في المعاجم الأعجمية العربية المعروفة . فاذا كان السيد خليل رزق يريد ان يكون انتقاده مفيداً فعليه اولاً بان يتعلم التعريف العلمي المضبوط لكل معنى من المعاني المذكورة ثانياً ان يذكر ان اللفظة الفلانية هي أصلح من التي وضعناها للمعنى الفلاني . مثاله انني استعملت لفظة المُطُط والسلاجم للدواجن (ومنها الخيل) التي سماها الفرنسيون (Longilignes) فمعني ذلك ان هاتين اللفظتين هما أصلح من غيرهما للدلالة على هذا المعني وليس معناه

انه فاتني وجود ألفاظ أخرى عربية للخيل الطوال . ولو كان الكاتب يعرف تعريف اللفظة الفرنسية المذكورة علمياً لرأى ان لفظتي المطط والسلاجم ترجمان من كل وجه على الألفاظ التي ذكرها كالقوق والمشذب والشفاصية والمزلول والأشق والأمق لأسباب يطول شرحها . وقد أصاب في لفظة واحدة وهي السلاهب لكونها مألوفة .

ثم لو كانت الغاية مما اكتب ذكر مترادفات لا طائل تحتها لذكرت بضع لفظات تفيد الطول في الخيل مما يراه الانسان في كثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة ولقلت ان لفظة العمشوش (عرموش) يرادفها الشفروق ايضاً مما فات حضرة المنتقد ، لكن الوقت أثمن من ان يضيع في أبحاث كهذه . عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

مختارات ابن الشجري

قرأت ما كتبتموه عن كتابي « مختارات ابن الشجري » في مجلة المجمع العلمي . غير اني ألاحظ بعض ملاحظات بسيطة على ما كتبتموه : ذلك هي انكم ذكرتم في رأس الكلمة هبةالله الشجري وهو هبة الله بن الشجري . وص٤٠ وهوص١٤٠ باعتبار انالكتاب ثلاثة اقسام في مجلد واحد كناية عن١٨ ملزمة . وذكرتم انه طبع عن نسخة مخطوطة في دار الكتب والواقع انها نسخة ابن الشجري نفسه بخطه . ومطبعة الاتحاد وهي مطبعة الاعتماد . القاهرة : محمود حسن الزناتي

مطبوعات حديثة

ادب وتاريخ

« تأليف الاستاذ محمد صبري بك أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم »

« بمصر الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ »

« ص ٣٤٠ »

اشتهر مؤلف هذا الكتاب بكتابيه (تاريخ مصر الحديث) من محمدعلي الى اليوم وكتاب (القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية ونابوليون) وكتابه هذا قسمه الى قسمين : قسم الأدب وهو بحث في شعر شاعري مصر الكبيرين المرحومين محمود سامي باشا واسماعيل صبري باشا ٠ وقسم التاريخ تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر ٠ وغير ذلك من المقالات ٠ وقد جود في كلامه على الشعر العصري ومارزق الشاعران العظيمان من قريحة ونبوغ وتجديد في الشعر ٠ ومقالات المؤلف كلها جيدة فيها روح جديد اقتبسه من أدب الافرنج وطبقه على أدب العرب ٠ وعلى الجملة فان الكتاب من أجمل الأبحاث الطريفة يستحق ثناء الآداب على ابي عذره ٠ م ٠ ك

الجمل

« للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ صححه وشرح أبياته الاستاذ الشيخ محمد بن »

« ابي شنب وطبعته كلية الادب في الجزائر سنة ١٩٢٧ بمطبعة جول »

« كربونل ص ٤٠٢ »

يظهر الحين بعد الآخر اثر جديد او قديم للعلامة ابن ابي شنب عضو مجمعنا العلمي وأستاذ الآداب في جامعة الجزائر ولا يفتأ يكتب ويؤلف وينشر باللغتين العربية والفرنسية على أرقى أسلوب عرف للغرب في عهدنا ٠ وهذا الكتاب آخر ما عني بنشره من آثار السلف وهو كتاب في النحو والتصريف والاملاء ، كمعظم ما كتبه أئمة هذا الشأن من المتقدمين فيه السلامة والوضوح وجمال البيان ، بحيث يفهمه المبتدئ اذا

قرأه . وحبذا لو وقع الاعتماد على مثل هذه المصنفات للأقدمين في تدريس قواعد لغتنا ، فانها لا تزعج ذهن الطالب وتقتصر له المسافات . وأحسن الطابع بطبعه في قطع صغير يحمل في الجيب ، وأجاد الناشر بتعليقاته اللغوية والتاريخية وفهارسه الجميلة . م . ك

حوليات مصر السياسية

« تأليف الاستاذ احمد شفيق باشا ، الجزء الاول ص ٨٧٢ محلى برسوم »
« ومصورات طبع بمطبعة شفيق باشا بمصر سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٦ »

مؤلف هذا الكتاب من الذين استعدوا للعلوم السياسية وعانوها زمناً طويلاً بالعلم والعمل وقد كتب مذكراته وهو واقف كل الوقوف على حالة السياسة والقائمين بها في مصر فجاءت كتاباته في هذه المفكرات مما يصح الاعتماد عليه وقد جرى في تدوينها على اصول غربي يدوّن فيه الحوادث الجديدة التي لا تعنى بها غير الجرائد لتكون للمؤرخ مرجعاً ، وقد افتتح كتابه بنبذة تاريخية في استيلاء محمد علي الكبير على مصر وما تعاقب على القطر من الحوادث في ايام أخلافه الى يومنا هذا وأهم ما عني فيه حوادث سنة ١٩٢٤ وهو عهد انعقاد مجلس النواب المصري الاول ولا شك ان حوليات الاستاذ المؤلف ستكون مرجعاً لمن يكتب تاريخ مصر الحديث فانه كله مادة لا يكاد يعثر عليها الا في متفرق الصحف ناهيك برأي المؤلف الذي يركن اليه فعسى ان تتم له أمنيته وأمنية التاريخ من إصدار مجلد في كل سنة على هذا الطراز البديع الذي سيخلد اسمه بحق في صفحات العاملين على نشر الحقائق التاريخية في هذا العصر . م . ك

اصول الفلسفه

« تأليف الاستاذ امين بك واصف الطبعة الاولى وما بعدها بطبعة »
« المعارف بمصر الجزء الاول والثاني والثالث والرابع »

هذا موجز في علوم الفلسفة الخمسة نشر منها المؤلف علم النفس وعلم الجمال وعلم المنطق وعلم الأدب وبقي عليه علم ما وراء الطبيعة . وقد كتب المؤلف كتابه بسلاسة وحسن تنسيق دلا على علو كعبه في الفلسفة وجمعه بين القديم والحديث فان كانت اكثر مصادره عصرية فما غفل ايضاً عن الرجوع الى معارضة أبحاثه بما قاله القدماء . وقد شفع المؤلف الجزء الرابع وهو في الأخلاق بمعجم في مصطلحات علوم الفلسفة التي وردت في كتابه . حوى مصطلحات الافرنج بالفرنسية او بالانكليزية او بكلتيهما معاً مع وضع الاصطلاح العربي لكل لفظة ، وشرحه شرحاً خفيفاً يبين المقصود منه فجاء هذا المعجم الصغير في ٤٦ صفحة وشهادة ناطقة بعناء المؤلف في نقل مصطلحات علمٍ زهد المتأخرون منا فيه بعد ان كان من أجدادنا أعاظم المشتغلين به . وانا نلفت نظر قرائنا لاقتناء هذا الكتاب ومدارسته فهو يغنيهم عن المطولات في هذا الفن الجليل . ويا حبذا لو جرّد صديقنا المؤلف وهو من النابهين من رجال العلم والعمل في مصر هذا المعجم الصغير وأضاف اليه كل المصطلحات الفلسفية وطبعه على حدة ليكون معجماً جامعاً للمصطلحات الفلسفية فمثله من يضطلع بهذا الشأن . ونحن هنا لا يسعنا الا ان ندعو له بدوام التوفيق لاخراج ماينفع الناس من ثمرات علمه الناضج وبحثه المستفيض .

م . ك

تذكرة ابن حمدون

« نشرتها مكتبة الخانجي بمصر طبعة اولى سنة ١٣٤٥ — ١٩٢٧ »
« في مطبعة النهضة ص ١١٨ »

ابن حمدون بهاء الدين محمد بن ابي سعد البغدادي المتوفى سنة ٥٦٢ كان أديباً كاتباً معدوداً في عصره ، كتب تذكرة اشتهرت في عصره وبعده جملها في

خمسين باباً ، وهذه الرسالة هي الباب الثاني اوالقسم الثاني من تذكرته فهي اذاً نموذج من هذا الكتاب النفيس ، وهذا الجزء في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملوك والرعية قسمها الى ستة اقسام وضمنها حكماً قديمة وحديثة وأشعاراً جيدة تناسب المقام فهو كتاب أدب جميل لست تعثر فيه على ما لم يسطر في دواوين الأدب المطبوعة بل هو منسق مجموع بعضه الى بعضه وحبذا لو عُني الأدباء انجال الخانجي طابعو هذه الرسائل بالضبط أكثر من عنايتهم هذه . وان يكملوا طبع ما تفرق من هذه الرسائل مما هو محفوظ في دار الكتب المصرية وخزانة الفاضل نور الدين بك مصطفى ولو كان فيه نقص . م . ك

ابو العلاء وما اليه

« تأليف الاستاذ السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي الاثري أستاذ »
« جامعة علي كره في الهند وطبع على نفقة دار المصنفين في اعظم كره ، »
« واشرف على طبعهِ الاستاذ السيد محب الدين الخطيب وطبع في المطبعة »
« السلفية ص ٣١٩ وألحق به رسالة الملائكة للمعري في ٣٠ ص ونبذة »
« في فائت شعر المعري في ١٥ ص . القاهرة سنة ١٣٤٤ »

هذا كتاب ممتع حافل بكل ما له صلة بتاريخ ابي العلاء المعري وحياته وكتبه ونثره ونظمه وعظمته جمع فيه العلامة مؤلفه أسلوب الرواية والدراية على ارقى الاصول الغربية الحديثة . وحقق مسائل فاتت غيره او كان فيها على رأي آخر ممن كتب على ابي العلاء مثل الاستاذين مرجليوث والدكتور طه حسين وقد صور ابا العلاء فأحسن صورته ، وجمع من المواد لهذه الصورة ما جاء تامًا في الجملة الآن ودل في ذلك على براعة فائقة في معرفة اللغة العربية . وليس في كتابه البديع ما يلاحظ عليه غير ما لاحظه الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وهو قوله في تقريظ الكتاب : اما لغة الكتاب فنقية محكمة ولا آخذ عليه فيها الا انه يساوي ابا العلاء في أسلوبه وسجعه . وفي سجع ابي العلاء بعض الصنعة والتعمل ولو ان المؤلف أطلق قلمه من ذلك القيد لكان اجمل

به . من ذلك قوله في صفحة ٦٥ « ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرج وهو ممن على أقران خالويه تخرج » وفي صفحة ٩٩ « وهي من غرر المراثي وحسناتها ، ودرر التأبين لا خرزاتها » وعلى كل فان الاستاذ المؤلف من خير من حقق وابعد في التحقيق ، جمع بين طريقة المحدثين والاقدمين ، وهو من خير من يمسكون القلم العربي من الغرباء عن العربية ويجودون كتابتها كابنائها العريقين فيها اكثر الله أمثال هذا المؤلف بالعربية من المحققين المبدعين . م . ك

علم الاخلاق الى نيقوماخوس
« تأليف اريسطوطاليس »

ترجمه عن اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتهلير) ونقله الى العربية احمد لطفي السيد جزوان طبعا بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٩٢٤)

مؤلف هذا الكتاب هو الفيلسوف اريسطوطاليس بن نيقوماخوس تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر . وقد نقله من اليونانية الى الفرنسية (بارتلي سانتهلير) وترجمه عن الفرنسية (احمد لطفي السيد) بعبارة بليغة مطابقة للاصل ، قل ان يتأتى لغيره الإتيان بمثلها . وقد صدّر الكتاب بمقدمة ضمها الى مقدمة المترجم الاول ، فجاء في مجلدين من القطع الكبير . والكتاب حسن الطبع جيد الورق لا يمل القارئ من مطالعته . ولم يهمل المعرب نقل تعليقات المترجم الفرنسي فجاءت متممة لمعانيه . فالكتاب يحتوي إذن على قسمين : كتاب اريسطو وتعليقات بارتلي سانتهلير عليه هذا فضلاً عن المقدمة الطويلة التي صدّر بها المترجم الفرنسي كتاب الأخلاق ففند فيها آراء فيلسوف (اسطاجيرا) بعد ذكر مذهب أفلاطون وقابل بينه وبين الرواقيين و (كانت) ففضل فلسفة الأكاديميا على فلسفة المشائين .

ليت المعرب كان يعرف اليونانية فينقل الينا كتاب الأخلاق عن اللغة التي كتب فيها ، فكان يغنينا بذلك عن مقدمة (بارتلي سانتهلير) وترجمته للفرنسية ، فان آراء هذا الفيلسوف ليست عمدة في عالم الفلسفة اليوم ، أضف الى ذلك ان في

ترجمته شيئاً من الابهام الذي يشوش الفكر ، فاذا نقل ذلك من لغة الى لغة كان باعثاً الى الابتعاد عن الأصل . وقد أسف المعرب في تصديره لعدم معرفته اللغة اليونانية وبين ان الأخذ عن اليونانية «ادعى الى الضبط في النقل ، وادنى الى الوقوف على مرامي ارسطو» ونحن نكتفي هنا بترديد ذلك معه شاكرين للغة الفرنسية توسطها بيننا وبين اللغة اليونانية .

واللغة العربية اليوم اكثر اللغات حاجة الى الآثار الفلسفية ، فانك لا تجد فيها كتاباً جامعاً للفلسفة الحديثة كلها . ولعل السبب في ذلك عدم اهتمام البلاد العربية بهذه العلوم في المدارس الثانوية . وقد يكون السبب ايضاً حداثة النهضة العلمية في بلادنا ، وهذا ما يجعل للآثار المترجمة في هذا الدور قيمة خاصة .

واذا تذكرنا ان النهضة الاوربية في أواخر القرن الخامس عشر ، وفي القرن السادس عشر عمدت الى درس الفلسفة اليونانية لتقتبس منها حرية التفكير ، علمنا قيمة تعريب كتب آرسطو وغيره من اساطين الحكمة . وقد عرف العرب كتب آرسطو في الأخلاق ولكنهم لم يهتموا بها اهتمامهم بكتبه الاخرى . فقد ذكر ابن النديم في جملة كتب آرسطو كتابه في الأخلاق ، نسخ من خط يحيى بن عدي وفسره فرفوريوس . وهو نقل اسحق بن حنين في اثني عشرة مقالة . (الفهرست ، المقالة السابعة ، ص ٢٥٢) وقد وضع الكندي ايضاً رسالة في الأخلاق وفسر الفارابي قطعة من كتاب الأخلاق لآرسطو ، على ان هذه الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كانت مبهمة كثيرة التعقيد ، لا يتوصل القارئ فيها الى استنباط المعاني المقصودة الا بعد قراءتها مرات عديدة . فقد حكي عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لآرسطو مائتي مرة ، وكذلك ابن سينا فقد قال : « قرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته اربعين مرة ، وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا افهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي ، وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذ انا في يوم من الايام ، حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعكه بثلاثة

دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه . فاشتريته فاذا هو كتاب (ابي نصر الفارابي) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة . ورجعت الى بيتي ، وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب ، بسبب انه كان لي محفوظاً على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء ، شكراً لله تعالى(١) »

فاذا صح ما رواه ابن سينا وما نقل عن الفارابي فان السبب في عدم اطلاع فلاسفة العرب على أغراض آر يسطو بسهولة ليس غموض مقاصده فقط بل سوء الترجمة ايضاً . انظر مثلاً الى كتاب قاطيغور ياس (Catégories) الذي ترجمه اسحق بن حنين ، تجد في فهم معانيه حاجة الى قراءته مرات عديدة . وقد يكون تعدد قراءة الفارابي لكتاب النفس منبعثاً عن شدة إعجابه به . ومن قابل بين هذه الترجمة الحديثة التي أتحفنا بها الاستاذ احمد لطفي السيد وبين لغة المترجمين القدماء شكر للمترجم الحديث اعتناءه ومتانة أسلوبه .

اما مقدمة المعرب فهي طافحة بالآراء الثاقبة والنظريات الصادقة ، فقد ذكر فيها حياة آر يسطو وحلاها بنبذة عن تاريخ الفلسفة العربية واسباب انقراضها . و ياليته بين اثر الغزالي في هذا الانقراض ، لان حجة الاسلام قضى على الفلسفة في الشرق بكتابه تهافت الفلاسفة ، فانتقلت الى المغرب وانحطت بعد نكبة ابن رشد ، فأصبحت بعد ذلك منسية من العرب انفسهم ، حتى صار الغربيون اليوم يعرفون الفلسفة العربية اكثر مما نعرفه نحن . ولكنهم لا يدرسون هذه الفلسفة ليكتشفوا فيها بعض المبادئ التي يبنون عليها فلسفتهم الحديثة بل يقرأونها كما يقرأ التاريخ القديم منبعثين اليها بحب الاطلاع فقط .

قال المعرب : « اذا شئنا ان تكون لنا فلسفة مصرية تأتلف ومعلوماتنا ، وجب علينا ان نجدد الفلسفة العربية التي فقدت أعيانها ولم تبق الا آثارها ، او بطريقة أقرب ان ندرس فلسفة آر يسطوطاليس ، فان الفلسفة العربية في مجموعها هي فلسفة آر يسطوطاليس(٢) »

(١) نقلاً عن ابن ابي أصيبعة وابن خلكان . (٢) علم الاخلاق الى نيقوماخوس ص ١٤٠ .

لاجرم ان البلاد العربية محتاجة الى فلسفة تسير عليها في هذا العصر · ولا خلاف في ان هذه الفلسفة يجب ان تكون مبنية على حاجاتنا وميولنا ، لان الحاضر كما قال (لايبنيتز) مثقل بالماضي ومتليء من المستقبل · على انا نظن ان المنفعة من تجديد الفلسفة العربية القديمة تاريخية محضة ، وان تأسيس فلسفة عربية حديثة يجب ان لا يكتفي بآثار هذه الفلسفة القديمة ، بل يجب ان يأخذ من أفكار فلاسفة العصر الحاضر كديكارت ولوك ولايبنيتز وسپينوزا وهوم وكانت وسبنسر ما يستطيع توفيقه مع شرائط المحيط · ولسنا نظن حضرة الناقل مخالفاً لنا في ذلك · ولكننا نظن ان الفلسفة العربية بمجموعها ليست فلسفة آرسطو فقط · فقد بينا في كتابنا في ما وراء الطبيعة عند ابن سينا ما لأفلاطون من الأثر في فلسفة العرب وبين (غوتيه) في كتابه على فلسفة ابن رشد ان التوفيق بين مبادئ آرسطو والعقائد الاسلامية كان هم فلاسفة العرب جميعهم من ابن سينا الى ابن رشد · يظهر ذلك في نظرية العقل الفعال وفي نظرية الفيض التي اخذها العرب عن فلاسفة الاسكندرية ، يظهر ذلك ايضاً في كتاب ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) حيث بين ان الغرض من كتابه هو الفحص « على جهة النظر الشرعي ، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح ، ام محظور ، ام مأمور به » · ان فلسفة ابن سينا ممتلئة من التصوف وكتاب حي بن يقظان الذي وضعه ابن طفيل يشهد بذلك · وهنالك طائفة من الفلاسفة مثل علماء الكلام ، كانت على ضد رأي آرسطو لانها كانت تقول بنظرية الاجزاء الفردية التي لا تتجزأ ، فاذا أدخلنا هؤلاء في مجموع فلاسفة العرب ، كانت فلسفة العرب أعم من فلسفة آرسطو · وكل ما ينبغي ان يقال في ذلك هو ان فلسفة آرسطو جزء من فلسفة العرب لا غير ·

وقد اجتنب المعرب في ترجمته الاشارة الى اصول الاصطلاحات التي استعملها ، فلو فعل ذلك لأضاف الى كتاب آرسطوطاليس معجماً في الاصطلاحات الفلسفية التي نحن في حاجة اليها اليوم ·

* * *

اما كتاب الأخلاق فهو في عشرة كتب لخص فيها آرسطو نظرية الخير والسعادة ،

ونظرية الفضيلة ، وحلل الفضائل المختلفة ، واتى على ذكر نظرية العدل ، ونظرية الفضائل العقلية ، ونظرية عدم الاعتدال واللذة ، ونظرية الصداقة ، وآرسطو في مذهبه الأخلاقي أقرب الى الحقيقة من معلمه ، لانه لا يبتعد عن العالم المحسوس . وقد كان سقراط قبل أفلاطون يقرر انالفضيلة علم ، وانه لافرق بين العلم والعمل ، لان العلم بالخير يدعو الى الرغبة فيه ، ولا تستطيع الارادة انتعاكس العقل فيما يراه نافعاً ، واذا كان الخير هو النافع فغاية علم الأخلاق هي السعادة .

على ان آرسطو لا يخالف سقراط في ان الفضيلة علم ، ولكنه « لا يطلب التحقيق والضبط في كل نوع من الموضوعات الا بمقدار ما تقتضيه نفس طبيعة الشيء الذي يعالج » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٧) . وقد قسم آرسطو العقل الى قسمين : العقل النظري والعقل العملي ، فاذا صح انه يمكن الوصول الى الضبط التام في مواضيع العقل النظري فانه « لا ينبغي ان يتحتم الضبط في كل مؤلفات العقل بقدر سواء » (ك ١ ، ب ١ ، ف ١٤) « و بالنسبة للاشياء غير المعينة يجب ان يبقى القانون مثلها غير معين » (ك ٥ ، ب ١٠ ، ف ٧) . ومن قابل هذا الرأي برأي اوغوست كومت وجد فكرة فيلسوف اسطاجير غير بعيدة عن فكرة الفيلسوف الوضعي في تصانيف العلوم ، فان الشيء الذي يبعد العلوم الاجتماعية عن الضبط التام هو كثرة تعقدها وتركبها . وفي كلام اوغوست كومت دليل على ما نقوله ، فانه وضع آرسطو في جملة الذين اخذ عنهم فقال في (دروس الفلسفة الوضعية جزؤ ٤ ص ٢٤٠) : « لكن أرى مع ذلك من الواجب عليّ ان أنوه باديء بدء باسم آرسطوطاليس العظيم ، فان « سياسته » الخالدة هي ، بلاشك احدى النتائج الباهرة للزمن القديم » . وقد اخذ اوغوست كومت عن مونتسكيو و كوندورسه وسن سيمون ، على انه كان شديد الإعجاب « بالتحليل المحكم الذي فند به آرسطو الأحلام التي قامت بافلاطون ومقلديه فيما يتعلق بشيوعية الأموال » فآرسطو إذن من أقرب فلاسفة العهد القديم الى الوضعية لانه كان ميالاً الى المشاهدة اكثر من معلمه افلاطون ، فقرر ان الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليعيش مع امثاله (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٢) وقال : « ان المبدأ الحق في كل شيء انما هو الواقع » (ك ١ ، ب ٢ ، ف ٩) . وان علم الأخلاق يتبع علم

السياسة — العلم العملي الأعلى ، الذي يستخدم جميع العلوم الاخرى (ك ا ، ب ا ، ف ٩، ١٠٤) . فالسياسة بالنسبة الى آرسطو تتكلم على الخير الحقيقي الذي هو صيانة المملكة وسعادتها ، ولا غرو فان حياة الدولة اكبر شأناً من حياة الشخص ، وإسعاد أمة أجمل من إسعاد فرد واحد ، أضف الى ذلك ان موضوع السياسة أسمى وأعلى من موضوع الأخلاق ، لان السياسة علم كلي به تمام فلسفة الاشياء الانسانيـة ، وقد انتقد المترجم الافرنسي هذا الرأي وقال ان أفلاطون في كتاب الجمهورية هو الذي دعا آرسطو الى هذا الخطأ ، لانه قال ان درس العدل في الممالك أسهل منه في الأفراد ، فانخدع آرسطو بظاهر رأي أستاذه وخفي عليه مقصده . على ان آرسطو لم يجعل حياة الامة اكبر مكانة من حياة الفرد الا لأن شروط الحياة الاجتماعية اليونانية كانت تقضي بذلك . فقد كان الفرد فيها تابعاً للدولة ولم تكن له قيمة شخصية ، فافلاطون يتعزّى بسعادة الدولة عنـد بؤس الافراد ، وآرسطو يجعل سعادة الامة اعظم من سعادة الشخص . وبديهي ان تقـدم علم السياسة على علم الأخلاق ناشيء عن تعلق الحوادث الأخلاقية بالحوادث الاجتماعية ، لان البيئة تكيف الشخص وتؤثر فيه ، يدلك على ذلك اختلاف الحقائق الأخلاقيـة بحسب الزمان والمكان . وقد بين لنا دوركهايم وليفي بروول واصحابهما ان لعلم الاجتماع اثراً في علم الاخلاق لا يقل شأنه عن اثر علم الاخلاق فيه ، لان العلة تؤثر في المعلول ، والمعلول يؤثر في العلة .

يقول آرسطو في بداية الكتاب الاول ان جميع افعالنا ومقاصدنا تدل على ان غرضنا الاسمى في الوجود هو شيء من الخير نرغب في بلوغه . والخير في كل فعل هو الغاية التي يبتغيها الفاعل ، والخير الاعلى هو الكامل والتام والنهـائي الذي لا يطلب الا لذاته ، وهو اسمى من تلك الخيرات المطلوبة لاجل خير آخر . ثم ان غاية الانسان الأخيرة هي السعادة ، وهي بلا معارض اكبر الخيرات ، الخير الأعلى ، لانها شيء نهـائي كامل ، مكتف بنفسه . ولذلك فان السعادة هي « احسن ما يكون ، واجمل ما يكون ، والذّ ما يكون » .

لقد زعم بعض الناس ان اللذّة هي الخير (ك ١٠ ، ب ١ ، ف ٢) وقال آخرون ايضاً انها الخير الأعلى . ولكن كل ماتثبته أدلتهم هو ان اللذّة شيء من الخير . ولقد

أجاد أفلاطون حين قال : « ان عيشة اللذّة مرغوب فيها مع الحكمة اكثر منهـا بدون الحكمة ، ولكن اذا كان هذا المزيج من الحكمة ومن اللذّة هو احسن من اللذّة فنتج منه ان اللذّة وحدها ليست هي الخير الحق » . اللذّة تتم الفعل وتنضم اليه « كما ان زهرة الشباب تنضم الى السن السعيدة التي تنعشها » (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٤) والحياة كلها ضرب من الفعل ، فاذا كان الانسان يحب الحياة فهو بالنتيجة يحب اللذّة غير ان اللذة لا تقوم الفعل بل تنضم اليه .

على ان الخير او الكمال يختلف في كل شيء بالنسبة الى الفضيلة الخاصة به ، ولذلك فان خير الانسان الخاص او سعادته هو في فاعلية النفس المطابقة للفضيلة : « زد على ذلك ان هذه الشروط يجب ان تحقق طول حياة تامة باسرها ، لان خطافة واحدة لا تدل على الربيع ، لا هي ولا يوم صحو واحد ، فلا يمكن ان يقـال : ان يوم سعادة واحد ، بل ولا بعض زمن من السعادة يكفي لجعل الانسان سعيداً محظوظاً » (ك ١ ، ب ٤ ، ف ١٦) .

وقد اعاد آرسطو في الكتاب العاشر ذكر نظرية اللذة والسعادة الحقة ، وبين مكانتهما في الحياة والتربية ، وفند النظريات السابقة على طبيعة اللذة وأضاف الى ذلك قوله ان اللذّة في الفعل وان لكل فعل لذة خاصة به . ولكن لماذا لا تكون اللذة مستمرة ؟ ذلك لان جميع الملكات الانسانيـة عاجزة عن الفعل بالاستمرار (ك ١٠ ، ب ٤ ، ف ٥) . ولو سألت آرسطو لماذا تنقلب اللذة الى الألم بعد استمرار الفعل لقال لك ان اللذة تتراخى وتنتهي بانتهاء الفعل ، لان الفعل شيء والافراط في الفعل شيء آخر . فاللذة هي كما قال هاميلتون وغروت وسبنسر في الفعل المعتدل .

والانسان وحده بين جميع المخلوقات هو الذي يمكن ان يكون سعيداً ، لانه هو وحده جدير بالفضيلة « فلا نستطيع ان نقول سعيداً على حصـان وعلى ثور ولا على حيوان آخر اياً كان ، لانه ولا واحد منها جدير بهذه الفاعليـة الشريفة التي تخص بها الانسان » (ك ١ ، ب ٧ ، ف ٩) واذا كانت السعادة هي في الفعل المطابق للفضيلة فانه من الضروري ان تكون في الفعل المطابق للفضيلة العليا اي في فعل التفكر والتأمل . واللذات التي تجلبها الفلسفة عظيمة في طهارتها ، وهذا هو السبب في ان

العلم سعادة اكثر من طلب العلم · والاستقلال الذي تقتضيه السعادة يوجد في الحياة العقلية ، والحكيم هو اكثر الناس استقلالاً واشدهم اكتفاءً بنفسه · والتفكر والتأمل خاص بالانسان والنطق هو الفصل الذي تتقوم به ذاته · وكذلك فان حيـاة الفهم هي ، كما يقول آرسطو « اسعد حياة يمكن المرء ان يحياها » (ك ١٠ ، ب ٧ ، ف ٩) ومع ذلك فانـ المثل الأعلى والخير والغاية والفضيلة هي اشياء متقـاربة متماثلة ، والسعادة هي مبدأ الفعل وغايته لانها تتولد من الكمال وتتحد مع الفضيلة · ولكن هل يستطيع الانسان الفاضل ان يكون سعيداً اذا كان فاقداً للخيرات الخارجية ؟ انـ السعيد هو ذلك الذي « يتمتع او سيتمتع » بجميع الخيرات التي نعلمهـا · فالحكمـة لا تغني عن لذة الصداقة ومحبة العائلة والقوة والثروة ، لان هذه الامور زينة الحياة الدنيا وهي متممة للفضيلة في تحقيق السعادة ·

ان نظرية الفضيلة تشغل في الأخلاق الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي النظرية التي تبنى عليها السعادة · وقد قسم آرسطو الفضائل في الكتاب الثاني الى فضـائل عقلية وفضائل أخلاقية ، وبين ان الفضائل الأخلاقية لا تحصل فينا بالطبع وانـ الحال فيها كالحال في الفنون الأخرى اذ لا نصبح فضلاء الا بالاكتساب والعادة · والفضيلة اكثر استقلالاً من السعادة ، لان السعادة لا تستطيع ان تستغني عنـ الخيرات الخارجيـة (ك ١ ، ب ٦ ، ف ١٤) مع ان الفضيلة هي عادة مبدؤها الارادة وهي واسطة للوصول الى السعادة · ان الفضـائل ليست بمعنى الكلمة انفعالات ولا خواص بل هي عادات وملكات · وقد عرّفهـا آرسطو بقوله انهـا نوع وسط بين الإفراط والتفريط ، والحال فيها كالحال بالنسبة الى صحة البدن ، فانـ الافراط والتفريط في التمرينات البدنية كلاهما يودي بالقوة · وكذلك فانـ العفة والشجاعة تعدمان على السواء اما بالافراط واما بالتفريط ولا تبقيان الا بالتوسط (ك ٢ ، ب ٢ ، ف ٧) · ومن هذه الجهة يكون الشر لانهائياً كما قال الفيثاغوريون ، وتكون الفضيلة منحصرة في هذا الحد الوسط · وعلى ذلك لا يمكن حسن السلوك الا بطريقة واحدة · فالشر سهل والخير صعب « لانه في الواقع من السهل ان تخطئ الغرض ، ومن الصعب ان تصيبه » (ك ٣ ، ب ٦ ، ف ١٤) · ينتج من ذلك ان الفضائل بالنسبة الى آرسطو

خاضعة للظروف الخارجية ، لان الرجل لا يكون سخياً وجواداً الا اذا كان عنده من المال ما يستطيع انفاقه ، ولا يكون عادلاً الا اذا قابل الخير بالخير . على ان هذا النوع الوسط ليس واحداً بالنسبة الى جميع الناس فستة أرطال من الغذاء قليلة جداً بالنسبة الى (ميلون) وكثيرة بالنسبة الى رجل مبتدئ في لعب الجمباز . ولذلك فان اعتدال المرأة غير اعتدال الرجل والواجبات تختلف بالنسبة الى الجميع (السياسة : ١ ، ٥) . فمن الأفعال والإنفعالات ما هو رذيلة بالذات ، لا سبيل فيه الى حسن الفعل ، وليس يوجد فيه وسط ولا إفراط ولا تفريط ، والانسان دائماً مجرم بارتكابها .

ولسنا نستطيع في هذا المقام ان نذكر جميع الفضائل التي يعددها آرسطو ولكن نقول بالنسبة الى القاعدة السابقة ان الشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والاعتدال وسط بين الفجور والخمود ، والسخاء وسط بين الإسراف والبخل ، والأريحية وسط بين الوقاحة والضعة ، والبشاشة وسط بين السخرية والاظاظة .

وبديهي ان الفضائل لا تنمو الا في وسط اجتماعي — لان الانسان اجتماعي بالذات ، فلا يمكن تحقيق الفضائل العالية والتامة الا بالاضافة الى الغير . ولقد أجاد آرسطو في وصف العدل اذ قال : « فما شروق الشمس ولا غروبها احق منه بالاعجاب » (ك٥ ، ب ١ ، ف ٥) . وتمثل بقول الشاعر (تيوغنيس) « ان كل فضيلة توجد في طي العدل » . فالعدل هو خير الأغيار ، والسلطان محك الانسان . وقد قال ابن سينا في كتاب الشفاء (مقا ١٠ فصل ٥) « ان رؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد » . فالعدل التوزيعي اوالسيامي يشتبه بالمساواة كتقسيم الثروة بالاستحقاق بين الأشخاص ، والعدل القانوني والمعوض هو ايضاً نوع من المساواة ، كالحال في الجرائم فان القاضي يعامل الاشخاص كأنهم على أتم ما يكون من المساواة . على ان العدل التوزيعي يمكن تمثيله بنسبة هندسية مع ان العدل القانوني لا يمكن تمثيله الا بنسبة عددية .

ومن الفضائل الاجتماعية العالية التي حللها آرسطو في الكتاب الثامن فضيلة

الصداقة ، فاذا كان العدل هو الذي يربط الممالك فالصداقة هي الباعثة الى وفاق الاهالي . وقد تمتد الصداقة فتشمل كل الناس فتسمى عند ذلك انسانية وتصبح أعم من العدل ، لان الناس مهما عدلوا فانهم لا غنى لهم عن الصداقة ، ومتى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد حاجة الى العدل (ك٨ ، ب ١ ، ف ٤) . وقد وحد آرسطو في هذه النظرية بين السياسة والأخلاق وبين الاجتماع والفضيلة على ان الصداقة تنحصر في ان الانسان يجب ان يُحِب اكثر من ان يكون محبوباً . وقد تدعو هذه الحال الى الشعور باللذة ، الا ان الصداقة تبنى على الفضيلة لا على اللذة والمنفعة . والصديق المخلص هو الذي يريد باخلاص خير صديقه لاجل هذا الصديق نفسه ، لا يبتغي من وراء ذلك غاية فيذهب فضله . اما الصداقة المبنية على المنفعة فانها سريعة الزوال معرضة في الغالب الى الشكاوي والملامات . والصداقة ضرورية للانسان في السعادة والشقاء معاً . قال آرسطو : « من السخف جعل الرجل السعيد منفرداً بمعزل عن سائر الناس . من ذا الذي يريد ان يملك جميع خيرات الدنيا على شريطة ان لا يستعملها فيها الا لنفسه وحده ؟ الانسان موجود اجتماعي وقد جعلته الطبيعة ليعيش مع أمثاله ، وهذا القانون ينطبق ايضاً على الانسان السعيد » (ك ٩ ، ب ٩ ، ف ٢) .

ان موضوع الحياة العملية هو شيء من الخير خاص بالانسان . مع ان الحياة الفكرية هي التي تجلب لنا السعادة وتجردنا من طبائعنا الحسية . ولا قيمة للفضائل الاخلاقية الا اذا نسبت الى الفضائل العقلية ، لان النفس التي تخضع للعقل دائماً تتصل بالآلهة . والحكيم كما ذكرنا مكتف بنفسه والسعادة العالية هي في تعاطي الحكمة والعلم . قال آرسطو : « لا ينبغي تصديق اولئك الذين ينصحون للانسان ان لا يفكر الا في اشياء انسانية ، وينصحون للكائن الفاني ان لا يفكر الا في اشياء فانية مثله ، والحق عن ذلك بعيد بل يلزم الانسان ان يخلد نفسه بقدر مايمكن » (ك١٠ ، ب٧ ، ف٨) وكأني به قد تذكر هنا تعاليم أستاذه افلاطون ، فقرر بانه يجب على الانسان ان يحيا بحسب اصله الشريف ولكن خلود النفس الذي ينوه به لا يدل على اعتقاده الصريح ببقاء النفس بعد الجسد ، بل هو يعتقد بان النفس صورة الجسد ، وان الخلود شيء

غير شخصي . والآلهة هي اسعد الكائنات واوفاها حظاً واذا كانت السعادة الكاملة هي في التأمل المحض فان فعل الآلهة هو إذن فعل تأملي . وبقدر ما يكون التأمل عميقاً تكون السعادة عظيمة .

هذا بعض ما استطعنا تحليله من كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، فتارة تجد آرسطو يقول فيه ان الرجل الفاضل هو مقياس الفضيلة ، وتارة تجده يقول ان الفضيلة في التأمل وفي الاتصال بالارباب . على انه لا يوجد تناقض في هذا الرأي لان للعقل اثراً في جميع الفضائل . ونظرية آرسطو في الأخلاق مرتبطة بما ذكره في كتاب النفس عندما تكلم على العقل الفاعل والعقل المنفعل ، وبين كيفية اتحاد الروح بالجسد . نعم انه يوجد في كل انسان اله وحيوان ولكن الحيوان يتبع الاله ويهتدي بنوره . فاللذة بالمحسوسات هي الشعور بالملائم واللذة بالمعقولات هي الشعور بالكمال . وعلى ذلك فان آرسطو قد جعل الخير الأعلى في السعادة . وقد اتبعه في ذلك ديكارت ومالبرانش ولايبنيتز وسپينوزا الذين قرروا ايضاً ان الخير الأعلى والسعادة شيء واحد .

غير ان خطأ آرسطو في ذلك هو عدم تجرده في كثير من المواضيع عن الاعتبارات « المتافيزيكية » كالقوة والفعل والمادة والصورة وغير ذلك هذا فضلاً عن ان طريقته في الأخلاق لا تزال غير موضوعيــة . ومن قرأ هذا الكتاب فانه سيكون شديد الإعجاب بالتحليل المحكم الذي بين فيه آرسطو انواع الفضائل العملية . وسيكون ايضاً شديد الإعجــاب بالمعرب . فان الإعجاب بالشيء يكون بقدر المشقة اللازمة لانجازه .

دكتور في الفلسفة والاجتماع من جامعة الصوربون

جميل صليبا

الجزء ٦ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٢٨م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٦ ومحرم سنة ١٣٤٧هـ

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

جاءني بعد نشر مقالتي الماضية كتاب من الدكتور داود بك الچلبي فيه بعض ما خطر له في شأن الألفاظ التي ذكرتها فرأيت ان انشر شيئاً من كتابه واعقّبه بما لا يخرج عن بحثنا قال :

« ان الاتيان بكلمة تصلح لان تكون مقابل كلمة انبريون قد شغل فكري كثيراً قبل الآن كما دفعكم في مقالتكم الى الكتابة عنه وعن الفيتس سطوراً كثيرة . اما كون مقابل فيتس هو الجنين فما لا يتردد فيه احد واما اطلاق كلمة جنين على الفيتس والانبريون معاً فليس مستحسناً لان علماء الطبيعة لم يفرقوا بينهما عبثاً ولان تشكلات مهمة في الاعضاء تفرق بينهما فاكتفاء مؤلفي كتاب الطب الشرعي المصري بكلمة جنين للاثنين لا يعد حجة على الاستغناء عن كلمة للانبريون بل هو دليل على العجز عن الاتيان بكلمة صالحة . واری ان جميع الكلمات المقترحة او المستعملة حتى الآن غير صالحة للاسباب الآتية :

« العلقة » نحتاج اليها لاداء معنى الدم الجامد ولا يمكن استعمالها في النبات . « والمضغة » لا تفيد الا معنى قطعة اللحم ولا يمكن استعمالها لانبريون النبات . « والفوف » هو الفتيل او القِطمير وهو غلاف النواة وقد صرحت به جميع كتب اللغة بصورة واضحة ولم يقل انه انبريون النبات سوى الجوهري وحده ولا يمكن تسمية انبريون الحيوان به « والرَشَم والرُشَيم » شيء آخر « والنَمَرة » جنين الحيوان لا غير .

فهذه الكلمات لا تخلو من نقيصة او نقائص من كل جهة والمطلوب لفظة تفيد معنى الانبريون في الحيوان والنبات معاً او يمكن ان تستعمل بهذا المعنى . واظنني عثرت على كلمة صالحة لهذا الغرض وهي الملقوح او الملقوحة جمعهـا ملاقيح كما يتضح من مراجعة مادة لقح في التاج ، وان الانبريون في النبات والحيوان لا يحصل طبعاً الا بالالقاح فكلاهما ملقوح . نعم ان الملقوح في كتب اللغة هو الجنين لا اكثر ولا اقل ، ولكن اذا قلنا الملقوح الا نكون قد اخذنا معنى وقوع الالقـاح حديثاً . ولم يمكن للغويين القدماء ان يفرقوا بين الانبريون والجنين ولو امكنهم لعبروا عن الاول بالملقوح وتركوا الثاني للفيتس . ومما يزيد في استحسان كلمة ملقوح كونها هي والانبريون اليونانية تفيد المعنى عينه لان الانبريون كما قلتم مشتقة من فعل معناه لَقِحَت او عَلِقَت واني لا ارى احسن من هذه الكلمة ولا اتوقع الاتيان باحسن منهـا ونسمي الانبريولوجية اذ ذاك بعلم الملاقيح او ان شئتم بعلم الملقوحات » .

قلت ولا اصلح من الملقوح او الملقوحة بمعنى الانبريون وعلم الملقوحات لعلم الأجنة وقد كنت أجهل ورود الملقوح بمعنى الجنين فاللفظة مستحسنة جداً لسدّ هذا النقص وأظن سائر الاطباء يوافقون عليها ويعممون استعمالها . اما الفوف فقد ذكرها غير الجوهري بهذا المعنى اي معنى ملقوح النبات ووردت بهذا المعنى في القاموس وفي المحكم ولعله نقلاً عن الجوهري .

وقال « ان خَضُور ترجمة نوعاً ما على خَضُوب وخَضير وغَضير للكلوروفل »

قلت قد يكون ذَكرها الشيخ ابراهيم والاب انستاس فيما ذكراه فاني اعتمدت على ذاكرتي في نقل هذه الالفاظ وقلت اني لا اذكر عندي المشرق والضياء اللذين ورد فيهما ذكرها .

وقال كُمَّة التي ذكرتموها سماها الترك قَلَنسوة وأرجح كُمَّة . وقال جُذير ترجمة نَدَش فهذه غير مأنوسة والجذير تطابق المعنى الافرنجي تماماً » .

وقال « ساق الشجر اما جِذل لذوات الفلقتين او جِذع لذوات الفلقة الواحدة » .

قلت انه مصيب بعض الاصـابة في هذا فالساق عامة لجميع النبـات (Stem . tige) ويطلق على ساق ذوات الفلقـة الواحدة وذوات الفلقتين وذوات

الفلقات المتعددة على السواء اما الجذل فهو ما كان خشبياً (Trunk. Tronc) سواء كان لذوات الفلقة الواحدة كالنخل او الفلقتين كالمشمش او الفلقات المتعددة كالصنوبر . فالقمح مثلاً من ذوات الفلقة الواحدة وله ساق ولكننا لانقدر ان نسميها جذعاً بل قصبة او قلماً او يراعة والخس والرجلة مثلاً من ذوات الفلقتين فلا نقدر ان نسمي ساقها جذلاً بل نسميها ساقاً فقط . وقد فاتني ذكر الجذل وانما ذكرت الجذع بهذا المعنى وعلى كلٍّ فان علماء النبات لم يفرقوا بين اسماء الساق بالنظر الى عدد الفلقات بل فرقوا في اسمائها بالنظر الى بنائها .

وقال لم تذكروا اليقطين وهو كل نبات مفترش على الارض كالقرع والبطيخ والحنظل واحسن كلمة هنا هي السُطَّاح ولم تذكروها . قلت لم اذكر اليقطين لانه شاع استعماله لنبات خاص هو القرع وقد ذكرت المفترش واخواتها اما السُطاح فعدم ذكرها سهو مني .

وقال « الرزوم » هو الساق الممتدة تحت الارض في اعلاه غصون واوراق تظهر فوق التراب وفي أسفله جذور تغوص في الارض ولا أعلم له اسماً عربياً ولكن يقتضي تفريقه علمياً عن العرق او الجذر فلا يمكن تسميته بالعرق وان خلطه الاقدمون بالعرق وقد سمته الترك الساق تحت التراب واني استحسن هذه التسمية .

قلت للافرنج معين لا ينضب وهم يستمدّون منه الفاظهم العلمية كلما شاؤوا فيستعيرون اللفظة من اليونانية او اللاتينية او ينحتون من لفظتين او اكثر كلمة واحدة فالجذر باللاتينية هو رادكس و باليونانية رزوم فاستعملوا رادكس وما اشتق منها للتعبير عن الجذر وما اشتق منه واستعاروا الرزوم للساق التي تكون تحت الارض اما نحن فليس لنا هذا المورد ولكن لنا موارد أخرى منها لغات العرب والاشتقاق والاستعارة وربما النحت ايضاً وعندنا اللغة السريانية وهي اخت العربية والقبطية وهي على ما اجمع عليه المحققون شبيهة جداً بالعربية وعندنا الفارسية وهي جارتنا وقد اخذ العرب كثيراً من هذه اللغات فما ضرنا لو حذونا حذوهم وتخيَّرنا من اللغات العربية ولا سيما الغريب والمهجور منها الفاظاً علمية تصلح للمزيد التعبير عنه ولذلك اخترت للرزوم العرق والأرومة والجِذمار والجُذمور وربما كان الجذمور أصلحها . اما العرق فكما يقول الزميل فان القدماء خلطوه بالجذر

وهو فضلاً عن ذلك شائع بمعانٍ أخرى . اما الساق تحت التراب فليست مستحسنة لانها ثلاثة الفاظ وهي غير عربية التركيب واذا عربناها يكون معناها شيئاً آخر غير الذي نريده .

وقال ما قولكم في دَرَن عوضاً عن عسقل التي ذكرتموها وقد كثر استعمالها وان كانت لغةً غلطاً . قلت فكرت كثيراً في هذه المسألة ولكنني لا اظن لفظة درن تصلح لهذا المعنى فهي بلغة العامة العقدة الصغيرة وقد استعملها الاطباء لهذا المرض المعروف وشاعت بهذا المعنى . اما استعمالها للبطاطس والقلقاس فلا استحسنه لان البطاطس والقلقاس اكبر من الدرن كثيراً ولان الدرن في اللغة هو الوسخ وعند الاطباء هو الداء المعروف فما ضرنا لو استعرنا لفظة العسقل او العسقول لهذا المعنى كما استعار الافرنج اللفظة اللاتينية التي هي بمعنى عسقل للمعنى عينه ولاسيما لان العسقل لفظة غريبة واني اذكر ان اهل زحلة بلبنان يسمون البطاطس بالقلقاس لانهم لما رأوا البطاطس وكانوا يجهلونه استعاروا له لفظة القلقاس وكانوا يعرفونه .

وقال ألا يمكن استعمال بَجْلة عوضاً عن جَنْبة كما فعل الترك واستعمال عشب عوضاً عن بقل وترك كلمة بقل لما يسمى (Légume) او (Herbe potagère) أقول يمكن استعمال البجلة وانما الجنبة أصلح لانها تؤدي المعنى المطلوب كل التأدية اما البجلة ومثلها الجُدَّادة فهي الشجرة الصغيرة مثل الشجيرة اي يحتمل ان يكون معناها الصغيرة في السن . اما الجنبة فلا تحتمل الا المعنى الذي يريده النباتيون ثم ان البَجَل او البَجْلة عند البياطرة داءٌ معروف في الخيل وقد ذكره صاحب كامل الصناعتين وهو الحَاَق المسمى دورين (Durine) عند الافرنج واستعارها بعض العامة في الشام لمرض في الناس شبيه به . اما العشب فانه يمكن استعماله عوض البقل لكنني فضلت البقل لانه أصلح لهذا المعنى ولان العشب هو الكَلأ او الرَّطب منه كما ان الحشيش هو اليابس منه اما البقل فلا خلاف فيه ولا هو مقيد بالرطوبة او الجفاف وقد أجمع اللغويون على ان النبات اما شجر او جنبة او بقل . واذا اردنا البقول التي تؤكل فلنا البقل والخُضْرة كما تقول العامة وهي فصيحة بهذا المعنى .

وقال قلتم ان الخشب الحقيقي الصلب هو الجلب والجلبة ولم ار هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة ·

قلت اخذت ذلك عن المخصص في السفر الحادي عشر الصفحة ٩٠ قال « اذا ما عسا العِضاه وصارت خضرته مظلمة سمي الجلبة كذلك اذا غلظت قصبته فصارت عوداً وغلظ شوكها يقال جلبة من سَمُرَة ويسمى العرفج والقَتَاد جلبة ايضاً انتهى · ومن معاني الجلب في اللغة الرحل وخشبة فيه يعبَّر عنها بالحطب وسواد الليل · والجلبة السنة الشديدة وشدة الزمان والحجارة المتراكمة لم يبق فيها طريق · لذلك استنتجت ان الجلب او الجلبة يمكن استعارتها لهذا النوع من الخشب · وهو قول فيه تعسف ظاهر ولكنني لم اعثر على لفظة غيرها ·

وقال قُلب النخلة وجُمَّارها وكَثَرها القسم الرخو في اعلاها وليس طبقة بين خشبها وقشرها · قلت هذا صحيح وقد ذكرت لك فما ضرنا لو استعرنا لفظة من هذه الالفاظ للكنبيون ولا سيما القُلب بضم اوله فانها كالكنبيون لفظاً ومعنىً · وقد مر ان الكنبيون من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكمبيو او الحوالة عند التجار · وقد فاتني ان اقول قلَب وقلَّب وتقلَّب فاذا حذفنا الزيادة في كنبيون ورددناها الى اصلها صارت كنب او قنب ولا يخفى ان النون واللام تتبادلان فاذا ابدلنا اللام من النون بقي قلب · وهذا كثير في اللغات ولا أريد بذلك ان كنبيون هي من قلب بالعربية او بالعكس ولكن اصلها واحد كما ان الشِعْرى بالعربية وسيريوس باليونانية وهو نجم معروف اصلها من مادة سعر او شعر وكله يدل على الحرارة كما يتضح من مراجعة هاتين المادتين وما اشتق منها · وليس لليونان ما يقابل العين فقالوا في شعرى شيرى ثم جعلوا الشين المعجمة سيناً مهملة لان ليس في لغتهم ما يقابل المعجمة فصارت سيري فأضافوا اليها حروف الاعراب عندهم فصارت سيريوس ولا بد ان اسمها عند قدماء المصر بين شبيه بهذا · اما تسميتها بذلك فلانها تطلع في ايام الباحور المعروفة عند الافرنج بايام الشعرى واليها أشار المتنبي في قوله « وشُزَّب احمت الشعرى شكائمها » ومثلها إيا وهو احد الثالوث عند البابليين ويقابلها عند العرب إيا وأياء وأياة اي ضوء الشمس (عن الاب انستاس) وعند اليونان أيوس او آوس اي الفجر وربة الفجر

وقد نحت منهـا الجولوجيون ايوقين او ايوسين اي الحديث او الحِدثاني والكيماويون ايوسين ومعناها الصبغ الشَفَقي او الوردي · ومثل ذلك زفس وديانة وداي ومعناه يوم بالانكليزية وكلها من مادة ضياء (عن الاب انستاس) ومثل ذلك ادونيس اي تموز ومعناها في الاصل السيد او الرب من مادة دان يدين ومنه ادوناي عندالعبرانيين ومعناها ربي ولما كانت هذه اللفظة متعلقة ببحثنا فلا بأس بذكر شيء عنهـا · فقد زعموا ان تموز قتله خنزير وربما كان ذلك عند مغارة أفقة بلبنـان فاحمر نهر ابراهيم من دمه او في الحيرة في العراق فنبت من دمه الشَقيق النُعماني او دم النَّعمان لذلك نسبوا الشقيق اليه وليس لان الملك النعمان كان يحميه · والنعمان عند العرب هو تموز وفي اللغة اسم من أسماء الدم ولقب كل من ملك الحيرة · ثم ان الشقيق باليونانية هو انيموني ومثله بالفرنسية والانكليزية وهي من النعمان هذا ولا أظنها من أنيموس اي الريح باليونانية · اما حكاية الغريين كما رواها العرب فهي أقدم كثيراً من النعمان ونديميه ويوم البؤس هو ذكرى اليوم الذي قتل فيــه النعمان اي الاله تموز لا الملك النعمان ويوم النعيم هو ذكرى يوم بعثه او إحيائه او انتقاله الى جنات النعيم · ولما كان ملوك الحيرة على الوثنية فانهم كانوا يقيمون عيداً في هذين اليومين وكان الملك النعمان وهو منهم يقيم يوماً للبؤس ويوماً للنعيم فدعاه حنظلة او نصراني آخر الى النصرانيـة فتنصر وهدم الغريين · هذه حقيقة رواية الغريين على ماأظن ·

* * *

ونعود الآن الى متابعة البحث في اصطلاحات النبات فأقول : وفي النبات الورق وهو معروف · والورقة ثلاثة أجزاء الغمد اوالقاعدة ، والعلاقة اوالمِلاق ، والصفيحة وهو الجزء العريض المنبسط · ويقال للعلاقة الرُجَيلة اي الرجل الصغيرة وهي ترجمة اسمها اللاتيني والذُنيب والزند والعنق والعرجون والشمراخ والشمروخ وأظن أصلحها العلاقة جمعها علائق والمِعلاق جمعها معاليق وقد استعملها اللغويون كثيراً بهذا المعنى لذلك فضلتها على الألفاظ الاخرى · ويقال للصفيحة من الورقة الشفرة والنصل وقال اللغويون الحاشية وأصلحها بهذا المعنى الصفيحة على ما أظن · واذا كانت الورقة لا علاقة لها سميت لاطئة ولاصقة ومقعـدة وأصلحهـا اللاطئة وأظن اول من

استعملها بهذا المعنى الشيخ ابراهيم اليازجي واذا كانت ذات علاقة قيل لها طَرُوح وهي من النخل الطويلة العراجين ولا بأس باستعارتها للورق والزهر والثمر · وقد يكون للورقة أُذَنه او زَنَمه او زَمَعه على كل من جانبيها وأصلحها الاولى وهاك بعض هذه الأسماء بالانكليزية وما أظنه أصلح تعبير لها بالعربية :

علاقة ومعلاق	Petiole
لا طِيّ	Sessile
طَرُوح	Petiolate
أُذَنة	Stipule
صفيحة	Lamina

وقد تكون الورقة ملتفة على الساق او مثقوبة و يقال مخروبة وذلك اذا كانت الساق تنفذها · او متحدة و يقال ملتحمة اذا كان حول الساق ورقتان التحمت حواشيهما · وقد تكون قنفاء اذا كان معلاقها ملتصقاً بالساق وهي على ما أظن من أوضاع المرحوم الحجاري بك استعارها من الاذن القنفاء · وفي القمح ونحوه لسان او أُسَيْن في قاعدة شرنافه فاذا كانت الورقة كذلك سميت لَسِنة ·

وقد يكون انتظام الاوراق لولبيًا او دُوَّارياً او متعاقباً او متقابلاً او حلقياً او متقاطعاً ·

وفي الورق العروق او الاعصاب او الاوردة والاولى أصلحها في هذا المقام و يقال للعرق الناشز في وسط الورقة العَيْر والضِلع · وما يأتي ترجمة بعض هذه الالفاظ :

ملتفة على الساق	Amplexicaul
مثقوبة او مخروبة	Perpoliate
متحدة او ملتحمة	Connate
قنفاء	Decurrent
درقية	Peltate
لَسِنة · ذات لسان	Ligulate
انتظام الاوراق	Phyllotaxis

لوابي	Spiral
دُوَّاري	Cyclic
متعاقب	Alternate
متقابل	Opposite
حَلَقي	Verticillate
متقاطع	Decussate
ذو عَيْرٍ واحد · ذو ضلع واحدة	Unicostate
كثير الاعيار · كثير الضلوع	Multicostate

والورقة اما ضيقة صلبة تستدق من قاعدتها الى قمتها كورق الشربين او الارز فيقال لها مخرزية · او طويلة دقيقة حديدة الرأس كورق الصنوبر فيقال لها ابرية · او ضيقة كورق القمح فيقال لها خطية · او تكون هَدَبة او قَتْلة او عَبَلة كورق الاثل والطرفاء (المخصص ١٠ : ٢١٣) وهذه لا أعرف لها اسماً خاصاً بلغة الافرنج او مستطيلة مستدقة الطرفين كالحربة فيقال لها سِنانية او حربية وأفضّل الاولى · وقد تكون اهليلجية او مستطيلة او بيضية ولا يقال لها بيضوية او بيضاوية لانها منسوبة الى البيضة او تكون بيضية عكساً ، او مستديرة ، او قلبية ، اوقلبية عكساً ، او كلوية كالكلية ، او مِلْوَقية و يقال ملعقية ، اواسفينية وهذه يونانية ولامناص من استعمالها فان وتدية لا تصلح لهذا المعنى، اوسهمية ، اوطبرزينية وربما يصلح تسمية هذه بالصُبَاحية والطبرزين هو الفأس ذات الحدين يستعمل في الحروب والصُباحي هو الرمح العريض قال ابن سيده لا أدري ما أصلها · وكان عند الافرنج في العصور الوسطى جند يسمونهم هلبرديه وهم حملة مزاريق قصيرة عريضة ذات حدين كالحِدَأة وهي الفأس ذات الحدين وكانوا يسمونها هلبرد ومعناها في الاصل فأس الخوذة اي الفأس الفالقة للخوذة فنسبوا هذا الشكل من الورق اليها وأظنها الطبرزين او شبيهة به وكان بمصر في زمن المماليك غلمان يحملون الطبر يسمونهم الطبردارية ، ولعلهم الهلبردية عند الافرنج · ثم ان الصُباحي اي الرمح العريض محتمل انه من سباهي وهي فارسية الاصل والسباهية من فرسان الترك قديماً · واني لم أعثر على لفظة أخرى يصلح استعمالها غير

هاتين اللفظتين وربما كانت لفظة طبرزينية أصلحها · وقد قالوا رمحيــة ومزراقيــة وكلاهما على ما أظن لا يصلح لهذا المعنى ·

وهاك بعض هذه الاسماء وترجمتها :

مخرزية	Subulate
ابرية	Acicular
خطية او ضيقة	Linear
سنانية	Lanceolate
اهليلجية	Oval
مستطيلة	Oblong
بيضية	Ovate
بيضية منعكسة	Obovate
ملوقية	Spathulate
اسفينية	Cuneate
سهمية	Sagittate
طبرزينية	Hastate

وقد تكون الحاشية صحيحة و يقال تامة او كاملة وأظن الاولى أصلح في هـذا المقام · وقد تكون مفرّضة او محزّزة او مؤشّرة وجميع هذه الألفـاظ متشابهة المعنى والنباتيون يريدون بالمفرّضة ما كان في تحزيزها استدارة وربما قيل مشرّفة اي فيها شُرَف كشُرُفات القصر المعروفة في مصر بالشراريف واحدها شُرّافة · و يريد النباتيون بالمحزّزة ما كان تحزيزها مستقيماً وربما قيل مسنّنة على ان هـذه لم ترد في اللغة بهذا المعنى في ما أعلم · وهم يريدون بالمؤشّرة ما كان في تحزيزها ميَل كاسنان المنشار او كأشَر الجرادة وهو الشوك في ساقها وربما سميت المؤشرة بالمنشارية اوالمنشارية · وللنباتيين ثلاثة الفاظ مختلفة لتأدية هذهالمعاني فينبغي نفر يقهابالعربية · وقالوا المشرشرة في المعاني الثلاثة وأظن المشرشرة أصلح لمعنى آخر سيجيء ·

وقد تكون الورقة متجعّدة كورق الهندباء و يقال ايضـاً متكرّشة وجعداء وقد

يكون في حاشيتها فروض مختلفة العمق كما في القرصعنة وناب الاسد فيقال لها متلوّية او متمعّجة • وهاك ترجمة هذه الألفاظ :

صحيحه	Entire
مفرّضه • مشرّفه	Crenate
محزّزة	Dantate
مؤشرة	Serrate
متجعّدة • جعداء • متكرّشه	Crisped
متلوّيه • متمعّجه	Sinuate

وللورقة ذُبابها و يقال طرفهـا ورأسها وقمتهـا فاذا استدق الذباب سمي محدّداً وحاداً وحديداً واذا كانت حدته قليلة سمي مؤنّفاً • وقد يكون مقطوعاً بالعرض كالقلم فيسمى مقطوطاً وقد يكون رُهابيًا وذلك اذا كان كالرُهابة اي طرف القص وربما قيل رَهْبي نسبةً الى الرَهْب وهو السهم الدقيق • واذا كان في وسط الذباب انخفاض مستدير سمي مُقوراً او مُقَوَّراً فاذا كان هذا الانخفاض حاداً سمي مُفَوَّقاً اي مثل فُوق السهم وقد قالوا في هذا مقوّراً ولكن أظن المقوّر هو ماقبله فان التقوير يقتضي الاستدارة وهذا قطعة حاد مثل فُوق السهم •

وقد يكون في حاشية الورقة شقوق أعمق من التفريض او التحزيز فاذا لم تبلغ الشقوق نصف المسافة الى العَيْر سميت الورقة مخرّمة واذا بلغتها سميت مشرّمة واذا بلغت العَيْر او كادت سميت مفلّقة وقد تكون في هذه الأحوال ريشية مخرّمة اومشرّمة او مفلّقة او كفّية مخرّمة الخ •

واذا كانت الورقة ذات العَيْر الواحد مشققة والجزء الاعلى منها مستديراً سميت رَبابية او شَلْيافية وهي فارسيه او أُورِيَّة وهي يونانية على ان المنجمين ذكروا الاثنين وسموا بهما النسر الواقع •

واذا كانت مشققة والاجزاء السفلى منها أصغر من أعلاها كورق القرصعنة وناب الاسد سميت فأرية نسبةً الى فأرة النجارين اي الرندج وان شئنا قلنا نسبةً الى الفأر المعروف فالنجارون سموا هذه الآلة فأرة تشبيهًا لها بهذا الحيوان ولكنهـا عند النباتيين نسبة

الى فأرة النجارين اي الرندج ، واذا كانت الورقة مشرَّمة شروماً متفاوتة العمق فهي مشرشرة ، واذا كانت مثل رجل الطائر سميت بُرثُنية وهاك ترجمة بعضها :

Acute	محدَّد
Acuminate	مؤنَّف
Truncate	مقطوط
Mucronate	رُهابي او رَهْي
Retuse	مقوَّر
Emarginate	مفوَّق
Bifid, Trifid	ثنائية التخريم ثلاثية التخريم
Bipartite, Tri	ثنائية التشريم ثلاثية التشريم
Lyrate	ربابيَّه ، شليافيه ، أُوْريه
Runcinate	فأريه
Lacineate	مشرشره
Pedate	برثنيه

ويقال للأوراق رقّية او جلدية اذا كانت جافّة كالرَقّ وأفضل الاولى في هذا المقام ، اورطبة ويقال مائية وريّانة وأفضلها الثالثة ، اوشحمية اي ثخينة ريانة ، او منتثرة اذا سقطت باكراً ، او مُعْزِلة اذا سقطت في الشتاء ، او دائمة اذا كانت لا تسقط في الشتاء ، فاذا كان الشجر معبلاً قيل له عُرْوَة وأعروات وخالع ودائم الخضرة وهاك ترجمة هذه الألفاظ :

Corcations	رقيَّه
Succulate	ريَّانه
Ileshy	شحميه
Caducons	منتثره
Deciduons	مُعْزِلة

دائمه	Persistent
ودائم الخضرة وعُروة وأُعروات وخالع	Evergreen

عضو المجمع العلمي العربي

امين المعلوف

الاصطياف في ربوع الشام (1)

توطئة

أيها السادة : لقد تطورت مسألة الاصطياف في الصيف المنصرم تطوراً غريباً في بلادنا السورية وخصوصاً في جبل لبنان وتألفت لجنة خصوصية عضدتها المفوضية السامية للدولة المنتدبة وشدت أزرها ، دأبت في العام الماضي دأباً جدياً واهتمت اهتماماً كلياً في امر توسيع منطقة الاصطياف في لبنان وسورية وجلب نظر العالم اليه ، كما انها اجتهدت اجتهاداً محموداً في تمهيد السبل لاستجلاب المصطافين المصريين والعراقيين الى ربوع بلادنا الطيبة المناخ ، وسعت ولا تزال تسعى السعي المشكور لدى الحكومات السورية من اجل تحسين الطرق وتأمين السلام ووضع الانظمة الملائمة ولدى الاهلين من اجل تشويقهم الى بناء المنازل والفنادق والملاهي والمقاهي وكل ماله علاقة براحة هؤلاء الزوار المفيدين وحملهم على حسن معاملة المصطافين الغرباء والقناعة منهم بالاجور العادلة والارباح المشروعة ، حتى يحسنوا الظن بهم ويعيدوا الكرة الى ربوعهم ويحملوا عنهم من جميل الاحدوثة ما يشجع سواهم على المجيء معهم في المواسم الآتية . وفي ذلك ما به كما تعلمون من وسائل الربح ووسائط الرزق التي تغدق على اصحاب المصايف الفوائد الجزيلة وتحرك دولاب الاقتصاديات في عموم البلاد .

(1) المحاضرة التي ألقاها عضو المجمع العلمي العربي السيد عبد الله رعد في ردهة المجمع بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ .

دائمه Persistent

ودائم الخضرة وعُروة وأُعروات وخالع Evergreen

عضو المجمع العلمي العربي

امين المعلوف

الاصطياف في ربوع الشام (١)

توطئة

أيها السادة : لقد تطورت مسألة الاصطياف في الصيف المنصرم تطوراً غريباً في بلادنا السورية وخصوصاً في جبل لبنان وتألفت لجنة خصوصية عضدتها المفوضية السامية للدولة المنتدبة وشدت أزرها ، دأبت في العام الماضي دأباً جدياً واهتمت اهتماماً كلياً في امر توسيع منطقة الاصطياف في لبنان وسورية وجلب نظر العالم اليه ، كما انها اجتهدت اجتهاداً محموداً في تمهيد السبل لاستجلاب المصطافين المصريين والعراقيين الى ربوع بلادنا الطيبة المناخ ، وسعت ولا تزال تسعى السعي المشكور لدى الحكومات السورية من اجل تحسين الطرق وتأمين السلام ووضع الانظمة الملائمة ولدى الاهلين من اجل تشويقهم الى بناء المنازل والفنادق والملاهي والمقاهي وكل ماله علاقة براحة هؤلاء الزوار المفيدين وحملهم على حسن معاملة المصطافين الغرباء والقناعة منهم بالاجور العادلة والارباح المشروعة ، حتى يحسنوا الظن بهم ويعيدوا الكرة الى ربوعهم ويحملوا عنهم من جميل الاحدوثة ما يشجع سواهم على المجيء معهم في المواسم الآتية . وفي ذلك ما به كما تعلمون من وسائل الربح ووسائط الرزق التي تغدق على اصحاب المصايف الفوائد الجزيلة وتحرك دولاب الاقتصاديات في عموم البلاد .

---

(١) المحاضرة التي ألقاها عضو المجمع العلمي العربي السيد عبدالله رعد في ردهة المجمع بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ .

ولقد استفاد اخواننا اللبنانيون في موسم الصيف المنقضي من موارد الاصطياف فائدة تذكر عوضوا بهـا أضعاف الأضعاف عن محل جبلهم وقلة مزروعاتهم وضعف تجارتهم وصناعاتهم ، ولقد قدر الذين أموا لبنان من المصريين للاصطياف في ربوعه في هذا العام بخمس وعشرين الف نسمة ، وقدر المال الذي انفقوه في هذا السبيل على اقل تقديره فاذا به يبلغ مليوناً ونصف المليون من الدنانير وهو مبلغ والحق يقال لا يستهان به .

لم ينفرد لبنان ايها السادة بهذا الموردالجديد في الارتزاق بل كان لدمشق وار باضها وضواحيها نصيب يذكر وان صغر بالنسبة لوفرة حظ لبنان ، فقد أمها الكثيرون من المصطافين العراقيين وبعض المصريين ولعل الغيرة تأخذ المتمولين من سكان دمشق وضواحيها فيفيقوا من غفلتهم التقليدية ويهتموا بامر هذا المورد الجديد من الرزق ، بعد ان نضبت موارد كثيرة كانت غزيرة من ذي قبل فيجتهدوا كما اجتهد جيرانهم اللبنانيون ولكل امرىء من دهره ما سعى . كما ان لنا املاً وطيداً بحكومتنا الرشيدة ان تنظر الى هذا الامر بما يستحقه من الاعتبار وان ترينا من همتها في تمهيد الطرق وتحسين المواصلات وتوطيد الامن وترويج المصالح ما رآه اخواننا اللبنـانيون من همة حكومتهم فبلادنا كلها مصايف ومقاصف طبيعية خلابة ، مناخها طيب واديها صاف وهواؤها عليل وماؤها سلسبيل ، يكاد لبنان مع مافيه من مناظر فتانة وهواء بليل ان لا يجاريها فيها اذا هي نالت مانالته من التحسين العملي لانها تفوقه بغزارة مياهها و كثرة بساتينها ووفرة خيراتها .

هذه ايها السادة نقطة جزيلة الأهمية ليس فقط من الوجهة الاقتصادية بل ومن الوجهة الصحية ايضاً كما سأبين لكم ذلك في لب المحاضرة . واذا مانالت البلاد هذه الامنية كانت الفائدة للاهالي والحكومة على السواء لكل منها حظه فيها كما لا تجهلون .

تلك هي الاعتبارات الاقتصادية في الاصطياف ، زد عليها ما رأيته من اهتمام الحكومة ابان مرور البعثة الطبية المصرية في ربوعنا وزيارتها بعض مصايفنا الكائنة في إقليمي الزبداني والقلمون ، وما نشرته الجرائد البيروتية عن تقارير هذه البعثة الطبية ، حدت بي اليوم ان أحدثكم ايها السادة في هذه المحاضرة ببعض الشذرات

عن الاصطياف وتاريخ المصايف عند الامم الغابرة • وقد خصصت فيها البحث عن إقليم الزبداني وتاريخه ووصف أشهر أمكنة الاصطياف فيه ، راجياً من اخواني ان يتمموا هذا الموضوع في مصايف الاقاليم الاخرى كالقلمون ووادي العجم وسواهما من ملحقات دمشق •

(الاصطياف) = الاصطياف لغةً الإقامة في فصل الصيف • وقد عم اليوم استعمال هذه الكلمة في الاصطلاح من اجل الدلالة على اقامة موقتة في القرى المرتفعة إبان فصل القيظ من اجل الراحة والتمتع بالهواء العليل والرجوع الى الطبيعة ، وفيه ضرب من الرياضة الجسمية والعقلية ، وإراحة الاعصاب من ضوضاء المدن ومربكاتها والبعد عن كثرة انفاس الناس وغبار طرقات المدن ، وكلاهما مملوء بانواع الجراثيم المرضية ، وعن الهواء المشبع بالغازات المضرة الناتجة عن دخان المعامل والمطابخ والمواقد وسيارات النقل وغير ذلك • وقد أصبحت كلمة الاصطياف في اصطلاح المدنية الحديثة وضعاً عربياً يدل تمام الدلالة على ما يعنيه الافرنج بكلمة (Villégiature) •

الاصطياف ايها السادة عادة لم تأتنا بها المدنية الحديثة بل هي عريقة في القدم فتاريخ المصايف — اي قصور الاصطياف — عند الرومان والفرس والعرب وسواهم من الامم العظيمة الدائرة جلي واضح وفيه مؤلفات كثيرة • وقد كان المصيف يدعى عند الرومان (Villa) وهو لا يزال يدعى به عند الافرنج الى يومنا هذا • وقد زادوا عليها اليوم كلمة (palace) وهي تفيد نفس المعنى الا ان الكلمة اللاتينية الاولى (أعني villa) لا تزال الاعم والافصح عندهم • وكان المصيف في عهدهم (اي الرومان) يقسم الى نوعين اولها مصيف الارباض (villa urbana) وهي القصور التي كانت تشاد في أطراف المدن وفي ارباضها ، معرضة للهواء النقي ولأشعة الشمس • وثانيها مصيف المرتفعات او الصرود — اي الجرود (villa suburbana) وهي المصايف التي كانت تبنى بعيداً عن المدن اي في القرى والجبال حيث المناخ الطيب البليل والهواء الناشف العليل والماء البارد السلسبيل •

ومن مصايف الرومان ماظلت شهرته التاريخية الى اليوم اذكر لكم بعضها كمصيف

ادريانوس الذي كان مبنيًا قرب مدينة (Tivoli) وهو انموذج المصايف الفخمة ، ذات الأبنية الضخمة ، والجنات الواسعة ، والابراج الشاهقة ، والبوابات الفنية ، والحمامات الجميلة ، وأمكنة الألعاب الرياضية ، ومسارح قتال الوحوش البرية ، ومضامير عدو الخيل المطهمة ، وشتى أنواع الترف ، والزهو في النقوش والرسوم والفسيفساء والدمى ، الى غير ذلك مما يرويه التاريخ عن وصف هذا المصيف القيصري من المحاسن والعظمة . ومنها مصيف سيبيون الافريقي الذي ابقى التاريخ ذكره كنموذج للمصايف المحصنة ذات الأبنية التي تشبه القلاع محاطة بالخنادق والاسوار المنيعة ، وفيها الحمامات المظلمة والدهاليز الضيقة ، كأنما أنشئت للدفاع والحصار لا للأفراح والانشراح . وبين هذا وذاك من الطرفين المتباينين يذكر التاريخ نماذج متوسطة من المصايف البسيطة البناء ، ومعظمها لطيف الهندسة معرض للنسيم الناعم ولأشعة الشمس ، يرتاح البصر منها الى مناظر خلابة كالجبال وأحراجها ، والسهول و بساتينها والاودية ورياضها ، والسفوح وكرومها ، والانهار وجداولها ، والبحار وأمواجها . فمن هذه مصيف شيشرون الذي كان في بلد (Tusculum) والمصيف الذي اكتشفت آثاره على ابواب مدينة (Pompéi) التي كانت مدفونة برمتها تحت الارض . والمصيف الذي لا تزال بقاياه أطلالاً قائمة في مدينة روما العظمى على حافة نهر الـ (Tibre) في حدائق (Farnèsines) ومنها اخيراً مصايف جهات توسكانا (في ايطاليا) التي وصفها المؤرخ (Pline le yeune) في كتابه وصفاً وافيًا ، واني اكتفي بهذا القليل عن ايراد ذكر الكثير الذي يطول شرحه وهو شهير في تاريخ مصايف الرومان .

وقد اخذت العرب ايضًا عن الفرس والرومان عادة الاصطياف في المصايف واتبعوها في جميع أدوار ممالكهم مقلدين بذلك أكاسرة العجم وبذخهم وقياصرة الرومان وترفهم . قال في ذلك ابو دلف الشاعر العربي :

وإني امرؤٌ كسروي الفعال   أصيف الجبال واشتو العراق

وقال الاستاذ العلاّمة محمد افندي كرد علي رئيس مجمعنا العلمي في مخطوط له عن تاريخ الشام لم يفرغ بعد في قالب الطبع : « لما دخل العرب مصر والشام والعراق

ورأوا نعيمها وخيراتها عزّ عليهم ان تأخذ منهم وتزيل صفات الخشونة ونشأة البادية اخذوا يعمدون في الشتاء والصيف الى اماكن معينة ينزلونها . وهكذا كان شأن بني أمية فان اكثرهم استأثر بقرى معينة في غوطة دمشق ومنهم من نزل البلقاء وآخرون نزلوا بارض تدمر وغيرهم صعدوا الى الجبال بحيث كانوا يتخلفون الى المدن لقضاء مصالحهم ثم يفزعون الى خلواتهم في مصايفهم ومشاتيهم حتى لا تنزع المدن من نفوسهم قوة الاجسام و يبعدوا بهم وبذراريهم عن رطوبات المدن المشبوعة بانوف الناس . ولو استقرينا تاريخ الشام لرأينا لكل خليفة وامير من امراء الدول العربية وخصوصاً الدولة الأموية مصيفاً ومشتى . ومن أشهر مصايف الأمويين قصر الرصافة على الفرات وقصر الموقر في البلقاء اه» .

ولقد عمّ ايها السادة الاصطياف في عصرنا طبقات الناس بعد ان كان محصوراً فيما سلف في الامراء والاكابر والمترين . ذلك لما رأوا فيه من تجديد القوى وانتجاع العافية . قال العالم الفرنسوي ريغو (Rigault) « ان عادة الاصطياف أضحت متأصلة فينا » . اما امكنة الاصطياف في عهدنا فكثيرة أشهرها بلاد سويسرا وايطاليا في اوربا وبلاد الشام وخصوصاً جبل لبنان في الشرق .

ومن أهم شروط مكان الاصطياف الصحية ان يكون مرتفعاً عن سطح البحر بحيث يكون فيه الهواء خفيفاً جافاً بارداً . وان يكون بعيداً عن المستنقعات الغيلية والبطائح الوبلة . وان يكون ماؤه طيباً لذيذ الطعم سهل الهضم . وان يمتع النظر فيه بمناظر الطبيعة البهية . تزاد على ذلك شرائط اقتصادية لا بد منها واولها ان تتوفر فيه اسباب المعيشة وتسهل اليه طرق التنقل .

ولقد استوفت امكنة كثيرة من اراضي دولة دمشق شروط الاصطياف المطلوبة فهي بذلك مصايف فتانة طيبة المناخ ، جيدة المياه ، عليلة النسيم ، جميلة المناظر ، كثيرة الخيرات ، سهلة الطرقات ، قليلة الامراض . أذكر منها اولاً دمشقنا نفسها بما اليها من جميل المقاصف والمصايف الكائنة حواليها وفي اراضيها وأخص بالذكر منها مصايف المزة والربوة ودمر والهامة وقدسيا والجديدة والقابون . ولقد امّ دمشق في هذا العام الكثيرون من بغداد ومدن العراق قصد الاصطياف فطابت فيها نفوسهم

وانشرحت صدورهم وصمموا على العودة الينا بعد الاياب . ثم أذكر إقليم الزبداني بقراه ودساكره التامة الشروط كبلودان وبقين ومضايا وعين حور ويحفوفا وسرغايا وعين الفيجة وغيرها ، وإقليم وادي العجم بقراه الجبلية القائمة على سفح حرمون كعرنة وبيت سابر وسحيتا وبيت جن وحينة ودربل (التي ينسب اليها الزبيب الدربلي الطائر الشهرة) وعين الشعرة وكفرحور وقلعة جندل . وجهات القلمون بقراها معربا والمعرة وصيدنايا وتلفيتا ومنين والتل وحلبون ومعلولا وعين التينة ويبرود والنبك وعسال الورد . فكل هذه القرى مصايف حسنة وصحية يصطاف فيها الدمشقيون منذ زمن بعيد العهد . على اني ادع التفصيل عن هذه المصايف الاخيرة مكتفياً بذكرها لابسط الكلام على لب المحاضرة وزبدتها أعني بذلك الاصطياف في ربوع إقليم الزبداني وهو الاشهر اليوم عند حضراتكم فأقول :

« إقليم الزبداني » — ويدعى بلسان الإدارة قضاء الزبداني وهذا التعريف تقسيم تركي بقي لنا في جملة ما بقي من تراث الاتراك . قلت تركياً وان تكن كلمة القضاء عربية محضة الا انها في غير وضعها . فالاتراك كانوا يسمون قضاءً كل إقليم او جزء إقليم يرأس ادارة الحكومة فيه قائممقام ، ولعل السبب في ذلك وجود قاضي ومحكمة شرعية فيه . فإقليم الزبداني إذن من هذا النوع قائمية مقام مرتبطة ادارياً بمركز دمشق وفيه قاض ومحكمة شرعية ومحاكم نظامية ابتدائية . وهذا الإقليم قائم في غرب دمشق يشقه خط سكة حديد « شام — حماة وتمديداتها » من شرقه الى غربه كما يشقه نهر بردى من قرب كورة الزبداني الى حدود دمشق .

« تاريخه » — أهمل المؤرخون العرب الجزء القديم من هذا الإقليم ولم يدونوا عنه في كتبهم الا ما كان من بعد الفتح الاسلامي . ماعدا ابن القلانسي الذي نوّه بالقليل عما سبق ذلك العهد فقال عن وادي بردى انه (اسمه القديم ابيلينة وكانت مملكة بحسب تعريف الاقدمين واقعة شمالي جيدور وغربي دمشق وقاعدتها ابيلة وهي اليوم سوق وادي بردى) . وقال في موضع آخر عن الزبداني انه (في سنة ٥٢٠ هجرية أقطع ظهير الدين اتابك صاحب دمشق مقاطعة الزبداني واعمالها لفخر الملك بن عمار صاحب طرابلس) .

ولم يقل مشاهير مؤرخي الشام كابن عساكر وشيخ الربوة عن الزبداني في مؤلفاتهم الا انها مدينة حسنة كثيرة الخيرات وانها لا سور لها ·

اما ياقوت المؤرخ العربي الذي يُعوَّل عليه كثيراً في تاريخ الشام وجغرافيته فاليكم ما جاء في كتابه « معجم البلدان » عن الزبداني قال : « الزبداني كورة معروفة بين دمشق وبعلبك منها يخرج نهر دمشق واليها ينسب العدل الزبداني الذي كان يسترسل بين صلاح الدين الايوبي والفرنج فلم يكن محموداً في طريقه » وقد نقل البستاني هذه العبارة عن ياقوت الى قاموسه المشهور بدائرة المعارف العربية وذلك في المجلد التاسع بعد ان عرّف الزبداني تعريفاً قليلاً لا يروي غليلاً ·

ولقد حُملتْ عبارة ياقوت (واليها ينسب العدل الزبداني الذي كان يسترسل بين صلاح الدين الايوبي والافرنج) على غير محملها عند بعض المحدّثين فقالوا ان صلاح الدين بن ايوب الذي اشتهر بعدله بين رعيته الاعراب والدخيلين الاغراب حتى لقب بالملك العادل عقد مع امراء الصليبيين في الزبداني ميثاق صلح تجلت فيه آيات العدل بابهى حللها · وما تلك الا حكاية ملفقة لا تقوم على أساس تاريخي · فالعدل الذي قاله ياقوت انه ينسب الى الزبداني انما كان رجلاً من اهل هذه الكورة اسمه العدل دخل في خدمة صلاح الدين فكان يبعثه رسولاً الى الافرنج فلم يحسن وظيفته او ربما خان مولاه بدليل قول ياقوت (فلم يكن محموداً في طريقه) وبدليل ابيات لفتيان الشاغوري الدمشقي وهو من شعراء القرن السابع للهجرة يهجو بها العدل الزبداني قال :

بالعدل تزدان الملوك وما شان ابن ايوب سوى العدل
هو دلو دولته بلا سبب فمتى ارى ذا الدلو في حبل

اما اذا استقرينا التواريخ الغربية وخصوصاً تواريخ الرومان فاننا نجد الكثير من الاخبار عن ماضي هذا الإقليم · يكفي ان نتصفح المعاجم المطولة فنقرأ في دائرة معارف لاروس ما ترجمته بالحرف الواحد « ابيلا اوآبل مدينة قديمة في سورية المجوفة تبعد عن دمشق عشرة كيلومترات منها الى الغرب موقعها في اسفل جبل سنير[1] وهي

(١) هو جبل الانتي لبنان او جبل الشيخ و يدعى ايضاً لبنان الشرقي ·

اليوم قرية تدعى سوق وادي بردى كانت هذه المدينة قاعدة مملكة صغيرة برأسها ليسانيوس وقد دعا الرومان هذه المملكة ابيلينية . وكانت ابيلا أُخرى في فلسطين تدعى اليوم آبل » . ونقرأُ في دائرة المعارف الافرنسية الكبرى ما تعريبه حرفيًا : « ابيلا او آبل مدينة في سورية المجوفة بين دمشق ومدينة الشمس [١] كانت تحت ملك لرؤساء الارباع (Tétrarques) أصحاب امارة ابيلينية ومن هؤلاء ليسانيوس وكان يلحق بامارته في ذلك العهد شمال لبنان حتى طرابلس وجنوب فلسطين حتى البثنية وتراكونية ثم آلت من بعد وفاة ليسانيوس الى ابنه هيرودس اغريبا ولا تزال آثار آبل قرب النبي هابيل وقد كانت ابيلا أُخرى غير هذه في فلسطين وتدعى اليوم آبل» .

نستخلص من هذه النصوص :

اولاً — ان آبل هذه اي سوق وادي بردى اليوم احدى قرى إقليم الزبداني ، كانت مدينة عامرة في عهد اليونان السلوقيين ثم صارت امارة من بعدهم في عهد الرومان فدعوها ابيلينية . يؤيد ذلك كتابات في سوق وادي بردى ونقود كثيرة منفوقة في متاحف العاديات في اوربا .

ثانيًا — ان ليسانيوس كان ملك ربع عليها ثم آلت من بعده الى ابنه هيرودس اغريبا ثم الى غيره بالتسلسل . فمن هو ليسانيوس هذا الذي اتت على ذكره دائرتا المعارف الافرنسيتان اللتان ذكرناهما وزادت احداهما — وهي دائرة المعارف الكبرى — انه مذكور في انجيل لوقا ؟

الجواب في نص انجيل لوقا . الفصل الثالث الآية الاولى

« في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر كان بيلاطس البنطي واليًا على اليهودية وهيرودس انتيباس رئيس ربع على الجليل وفلبس رئيس ربع على ايطورية [٢] وبلاد تراكونيتيس [٣] وارشلاوس رئيس ربع على السامرة واليهودية وليسانيوس رئيس ربع على ابيلينية » .

(١) اي بعلبك . (٢) ايطورية هي اليوم إقليم جيدور في حوران .
(٣) تراكونيتيس هي اليوم إقليم آخر من حوران يسمى اللجا .

ولدى الامعان بهذا النص خطرت لي خطرات أستميح السامعين الكرام عرضها وان تكن معارضة خارجة عن موضوع المحاضرة :

قيل ايها السادة ان التاريخ يعيد نفسه وهي حقيقة أيدتها الحوادث في كل زمان ومكان وحوادث زماننا ومكاننا تؤيدها اليوم ايضاً . فلنقارن بلادنا في هذا الزمان الحاضر بما كانت عليه في زمن الرومان نجد ان التاريخ قد أعاد نفسه : فقد كانت في ذلك العهد تحت سيطرة الرومان وها هي في هذا العهد تحت انتداب حفيداتهم الدول الاوربية المسيطرة علينا . كانت في عهد طيباريوس قيصر كما روى الانجيل الكريم دويلات متعددة يحكمها امراء وحكام وها قد صارت كذلك في عهدنا . كانت يوم ذاك الحكومة وطنية في كل مقاطعة وها هي كذلك اليوم . كان اكثر الامراء والحكام روماني المحتد او المولد ولكنهم كانوا يرأسون الحكومات بصفة وطنية وها ان حكام اكثر مقاطعاتنا اوربيون كحكام المقاطعات الفلسطينية تحت الانتداب الانكليزي وحكام لبنان الكبير ومقاطعتي جبل العلويين وجبل الدروز تحت الانتداب الافرنسي وهؤلاء نظير أسلافهم الرومانيين يرأسون هذه الحكومات الوطنية كحكام وطنيين .

كان لتلك الحكومات الوطنية في عهد الرومان مراجع عالية رومانية مندوبة من لدن القيصر الروماني وكانوا يسمونهم ولاة وكانت سلطتهم فوق سلطة الملوك والامراء في الحكومات الوطنية ومن هؤلاء بيلاطس البنطي والي اليهودية الذي يذكره لوقا الانجيلي بعد ذكر اسم القيصر وقبل ذكر اسماء الامراء أصحاب المقاطعات وفي ذلك دلالة على تسلسل الحكم والسلطة ، ولحكوماتنا اليوم مثل ذلك مراجع سامية تمثل رؤساء السلطات المنتدبة وملوكها وتعمل بالوكالة عنهم ولهم نواب ومندوبون ودواوين ورؤساء مصالح وهم المفوضون السامون أصحاب السلطات العليا . فانظروا إذن ايها السادة الى هذه الغرابة ! كيف ان سورية اليوم عادت بادارتها الحكومية الى النظام الذي يروي التاريخ انها كانت تسير عليه منذ الفي سنة ! .

وبعد هذا الخروج عن ملاك الموضوع فلنعودن اليه :

أوردنا نص الآية الانجيلية التي عرفنا اسماء الامراء الاربعة الذين في عهد القيصر طيباريوس والوالي بيلاطس البنطي مفوضه السامي كانوا رؤساء ارباع على

دويلات المقاطعة الرومانيــة التي كانت تسمى اذ ذاك مملكة اليهودية ووجدنا في جملتهم اسم ليسانيوس الذي كان صاحب امارة ابيلينية وكانت عاصمته سوق وادي بردى ٠

دعي هؤلاء الامراء الاربعة رؤساء او ملوك ارباع لان هيرودس الكبير اباهم ملك اليهودية كان له اربعة اولاد وهم الذين ذكرهم الانجيل فقسمت مملكته عليهم أرباعاً بعد وفاته ، فكان كل منهم ملك ربع او رئيس ربع حسب ترجمة الكلمة من النص اليوناني الاصلي « تيتر ارخون » « ومنهــا اشتقت كلة (Tétrarque) الفرنسوية » يحكم في حصته من ميراث ابيه ٠

إذن فمملكة آبل التي نحن في صددها هي ربع مملكة هيرودس الكبير صارت من بعد وفاته الى ليسانيوس احد اولاده الاربعة ٠

ولكن في اية سنة أسست الرومان إقليم الزبداني امارةً وأقامت عليها ليسانيوس ابن هيرودس ملك ربع ، وكان هذا اول عامل عليها كما ورد في دائرة المعارف الفرنسية ؟ يقول لوقا الانجيلي ان ذلك حدث في السنة الخامسة عشرة للملك طيباريوس قيصر ٠

في ذلك الزمان ايها السادة لم يكن للتاريخ مبدأ معلوم مثل ما هو في زماننا هذا بل كانت للامم تواريخ مختلفة ومتعددة مبدأ كل عقد منها يوم جلوس احد ملوكهم على العرش ومنتهاه يوم موت ذلك العاهل ، لذلك افاد لوقا الانجيلي بقوله « في السنة الخامسة عشرة للملك طيباريوس قيصر » على اننا لا نُعدم وسيلة نستنتج منها ما نصبو اليه من معرفة الزمان بواسطة مقابلة التواريخ القديمة بعضها ببعض مستندين الى رواية صحيحة تكون لنا بمثابة اساس لهذه المقارنات ٠ فاذا طرقنـا باب هذه الطريقة في القضية التاريخية التي نحن في صددها وجدنا عوامل ثلاثة : اولها ان ليسانيوس واخوته وهم اولاد هيرودس ، والثاني انهم كانوا في عهد طيباريوس قيصر ، والثالث انهم لما قُسم عليهم ميراث ابيهم ارباعاً وولتهم دولة الرومان هـذه الايالات الاربع كانت السنة الخامسة عشرة للملك القيصر طيباريوس ، إذن جرى هذا الحادث التاريخي في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً قبل يوم الناس هذا ٠ واننا نستند في

هذا الاستنتاج على رواية صحيحة ، وأصح ما يمكن التعويل عليه هي الكتب المنزلة ، فقد ورد صريحاً في انجيل متى ، الفصل الثاني الآية الاولى هذا النص « ولد المسيح في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك » .

فالنتيجة التاريخية إذن ان اقليم الزبداني هو نفس مملكة ابيلينية التي أسسها الرومان في عهد المسيح اي منذ عشرين قرناً . وان اول ملك قام عليها ليسانيوس بن هيرودس ثم صارت الى خلفائه من بعده . وان قاعدة تلك المملكة كانت مدينة آبل التي هي اليوم قرية سوق وادي بردى التي تعرفونها جميعكم .

اما آبل الاخرى التي قالت دائرتا المعارف الافرنسيتان انها غير آبل هذه وانها في فلسطين فانما هي احدى المدن العشر التي كانت يطلق عليها اسم « ذيكابوليس » وبالافرنسية (la Décapole) وهي التي غلب الظن فيها انها تنسب الى هابيل بن آدم ابي البشر الذي قتله اخوه قايين حسب ضبط التوراة العبرانية الكريمة اوقابيل حسب ضبط القرآن العربي الكريم .

وقد خلط بعض المؤرخين في هذه النسبة بين آبل قاعدة ابيلينية — اي سوق وادي بردى في اقليم الزبداني — وآبل فلسطين — احدى المدن العشر — بلد هابيل لوحدة الاسم ، ولكنه وهمٌ لا دليل عليه الا قرب الصيغة بين كلمتي آبل وهابيل . وزادوا على ذلك ان نوحاً عليه السلام سكن هذه البلاد وقد اصطنع الخمر . وهو اول مصطنع لها من كرمة اراضي الزبداني ، ثم سكر واتى وهو سكران على ما يستنكره الحياء البشري كما روى عنه الكتاب . واستنتجوا من هذه الأوهام ان اقليم الزبداني هو جنة عدن التي برأ الله سبحانه فيها آدم الانسان الاول ، وان الثمرة التي طغت بها الحية حواء هي تفاحة من تفاح الزبداني المشهور .

وعلى هذا الوهم ايضاً استند الكاتب الافرنسي المشهور موريس بارس فدوّن في كتابه الذي عنوانه (تحقيق عن بلاد الشرق) عبارة يشتم منها رائحة الاستخفاف اذ قال : « ..... وشاهدت على مقربة من دمشق وتحت غسق الليل مزاراً يؤيد المكان الذي دفن فيه هابيل الذي قتله اخوه قايين . فيا لها من بلاد تمتّ بنسبها الى تاريخ اول جريمة في العالم ! فليهنأ اهلوها بهذا الاصل والحسب ! ..... »

اجل لقد وهم الكاتب الأديب وليس الذنب ذنبه بل هو خطأ اوقعه به وهمٌ مطوفيه . وانا لنردّ هذه الفرية ونذكر الواهمين في التاريخ ان ذلك الدم الذي قال الكتاب الكريم عنه انه صرخ الى الله يطلب الانتقام انما لطّخ ارض فلسطين ، وان كورة آبل الفلسطينية احدى المدن العشر هي مكان تلك اللطخة التي يوصمون بها ارضنا .

ومن رأي البحاثة المدقق الاستاذ عيسى افندي المعلوف احد اعضاء مجمعنا العلمي في كتابه المخطوط (تاريخ سورية المجوفة) ان اسم ابيلا منسوب الى الاله « بيل » احد معبودات الاشور بين والبابليين الذي كان له هيكل باسمه على القمة المرتفعة فوق سوق وادي بردى ، حُوّل كنيسة في زمن الملكة هيلانة ثم حُوّل مزاراً في زمن الاسلام باسم قبر النبي هابيل لقرب الصيغة ، وهذا هو الاثر الذي تشير اليه دائرة المعارف الافرنسية كما سبق القول . وتوجد ايضاً أخربة أخرى في تلك الضواحي تؤيد هذا الرأي وتدل دلالة واضحة على اصل هذا الاسم وهي المعروفة اليوم بخربة بتبيل وهذه الكلمة منحوتة من (بيت بيل) اي هيكل الاله بيل .

ولقد ميز فيما بعد الرومانيون بين آبل الزبداني — اي سوق وادي بردى — وآبل فلسطين احد المدن العشر بان عرّفوا الاولى باضافة تنسب اليها فقالوا (آبل السيق) . والسيق كلمة يونانية معناها المنسك لانه كان بقربها دير للرهبان شهير يعرف باليونانية بدير قونن — اي الدير القانوني — ومن حوله مغاور كانت مناسك للرهبان الزهاد . ولايزال اسم دير قونن الى عهدنا تسمى به اليوم قرية دير قانون بين سوق وادي بردى وعين الفيجة، وعلى مقربة منها ايضاً قرية دير مقرّن وهي تحريف دير مكرون الذي كان ايضاً في تلك البقعة على اسم مكرون احد النساك ، ولعله كان ديراً او مدرسة للطلاب المبتدئين تابعاً لسيق قونن .

واسم آبل السيق مذكور بهذا التعريف الاضافي في مخطوط يوناني قديم محفوظ عند غبطة السيد غريغوريوس بطريرك الروم الارثوذكس فيه ذكر الكراسي الاسقفية التي كانت يومئذ تابعة للكرسي البطريركي الانطاكي وفي جملتها ذكر كرسي أسقفية آبل السيق التي أوردت المجامع الاقليمية اسماء اساقفتها في القرنين الخامس والسادس .

وقد حرفت كلمة السيق فقيل بعد ذلك آبل السوق ، ثم أهملت كلمة آبل القديمة فدعيت البلدة باسم (السوق) فقط اما لهذا التحريف او لانها كانت سوقاً لحاصلات وادي بردى الغربية . ولما سقطت اهمية هذه الكورة وتحولت الى كورة أخرى من الاقليم وهي كورة الزبداني دعيت السوق سوق وادي بردى تعريفاً لها وتمييزاً .

اما الزبداني التي هي اليوم قاعدة الاقليم ومركز حكومة قائمية المقام فيظهر ان اسمها قديم العهد ايضاً اخذه اليونان والرومان عن الامم العبراني (زَبدا) اي مكان الخصب ، فتوهم المسيحيون في عهد الرومان انها منسوبة الى (زبدى) ابي الانجيلي يوحنا فدعوها وقتاً ما (يوانّو بوليس) اي مدينة يوحنا . وقد وجدت في بعض المجامع الاقليمية تواقيع أساقفة الزبداني في القرن السابع بتعريف (اساقفة يوانو بوليس) وذلك بعد انتقال الكرسي الاسقفي من آبل السيق الى الزبداني في اوائل ذلك القرن ، اي بعد خمول آبل وترقي يوانوبوليس . ثم عادت في عهد العرب الى اسمها القديم زبدا فنسبوا الاقليم اليها فقالوا (الاقليم الزبداني) كما نسبه الرومان من قبلهم الى آبل فقالوا (ابيلينية) وبه دعيت البلدة نفسها من باب تسمية الجزء باسم الكل كقولكم (مصر) في القاهرة عاصمة مصر و (الشام) في دمشق عاصمة الشام .

ولرصيفنا الاستاذ المعلوف رأي آخر في الزبداني — بتسكين الباء كما يلفظها البعض — انه نسبة الى زبدا قائد زينب ملكة تدمر ، وقد وجد هذا الاسم منقوشاً مع تعريف اقبه (قائد زينب ملكة تدمر) على حجر اقتلع من اخربة قرب الزبداني ونقل الى التحفة الدمشقية التابعة للمجمع العلمي ، وربما كان ذلك المكان مخفراً عسكرياً لحفظ الطرق فنسب اسمه الى ذلك القائد رئيس المخفر فقيل زبداني بتسكين الباء .

ولاصل الزبداني تعليل عربي ايضاً وهو انه نسبة الى الزبادنة او الزبديين وهم قوم كانوا غير خاضعين للرومان . هذا تعليل صحيح ، ولكن لا بالزبداني وكانت في زمن الرومان مقر معسكر ، بل باصل اسم قرية (كفر زبد) المعروفة اليوم في منعطف الجبل بارض البقاع . فان كلمة كفر آرامية ومعناها بلد وهي كثيرة الى اليوم في اسماء البلاد مثل كفر عاصر ، وكفر العواميد ، وكفر شيما ، وكفر بطنا ، وكفر الزيت الخ فيكون اسم هذه القرية (بلدزبد) التي ينسب اليها الزبديون اوالزبادنة .

وان لتعليل اسم بلودان اخيراً وهي قرية أخرى من اقليم الزبدان وجهان اوردهما الاستاذ المعلوف في مخطوطه (تاريخ سورية المجوفة) الاول ان يكون اصلها كلمتين هما (بل‌دان) من الآرامية اي محل الاله بل لهيكل كان هناك ايضاً ، فصارت بعد النحت بلودان . والثاني ان تكون منحوتة من كلمتين غيرهما آراميتين ايضاً وهما (بيت لودان) ولودان جمع لود وهم شعب من سلالة لود بن سام اخ آرام كان قبله وأدغم فيه فنوسي ، وهو الذي تدعوه الآثار المصرية (ر يتان) ومنه اسم (بر يتان) اي بيت ر يتان باللغة المصرية القديمة قرية في سورية المجوفة ملكها المصريون ولا تزال تعرف بهذا الاسم قرب بعلبك ، وهي التي رددت الجرائد اسمها في المدة الاخيرة بمناسبة حوادث ملحم قاسم ورجاله .

« وصف اقليم الزبداني وقراه » = اقليم الزبداني، و يقال له ايضاً الغوطة الغربية ، جنة من جنان الشام بل هي على رأي البعض كما سبق القول ، بقايا جنة الفردوس الارضي لما فيه من الينابيع المتدفقة بالمياه العذبة الرائقة ، والبساتين الملأى بالاشجار المثمرة ، تحيط بها أسوار من اشجار الحور الباسقة والجوز ذات الظل الوارف والأثمار الشهية ، تتخللها الرياض بزهورها العبقرية ، وثمارها العطرية ، والحقول والسهول السندسية ، ويخترقها نهر بردى الجميل فتتلألأ مياهه الزرقاء في بقاع هي من اطيب بقاع الدنيا تربة وهواء . فصولها الاربعة منتظمة ولها في كل موسم من السنة حسن يتناسب مع الفصل ، حتى شتاؤها جميل وقد اخذ جماله بقلب شاعر القرن السابع للهجرة فتيان الشاغوري الدمشقي الذي أوردنا له ابياتاً قبل هذا وكان يختلف كثيراً الى وادي الزبداني ، فقال في وصفه شتاءً ابياتاً ثلاثة بديعة النظم والتورية والوصف تذكرها التواريخ العربية كلما اتت على ذكر الزبداني قال :

قد اجمد الخمر كانون بكل قدح   واخمد الجمر في الكانون حين قدح
يا جنة الزبداني انت مسفرة   بكل وجهٍ اذ وجه الزمان كلح
فالثلج قطن عليك السحب تندفه   والجو يحلجه والقوس قوس قزح

اذا صعدت الى اعلى ذروة في جبل بلودان تشاهد قسماً من الغوطة الشرقية والمرج كما تشاهد بلاد بعلبك والبقاع ، ومن جهة أخرى تشرف على جبال حرمون

الجميلة المكللة بالثلوج المعروفة عند المحدثين بجبل الشيخ وعند القدماء بجبل الثلج وهي قطعة من سلسلة انتي‌لبنان المسمى عند العرب بجبل سنير . ومناظر بلودان ومضايا وبقين وهما القريتان المجاورتان لبلودان من أجمل مناظر سورية الوسطى لانها مشرفة على نبع بردى ووادي الزبداني البهيج الذي امتاز منذ القدم بتفاحه وأثماره المتنوعة وبطيخه . ولقد كان هذا الوادي منذ امد بعيد ممايننابه الناس للاصطياف لجودة مائه وصحة هوائه واعتدال نسيمه وانتظام موسمه ، و بالنظر الى توسطه بين البلاد ، بين لبنان وما تشعب من لبنان وبين دمشق عاصمة الشام القديمة وثغرها الباسم بيروت ، كان لوادي الزبداني موقع ممتاز . ثم ان الهواء هنا غير مشبع بالرطوبات كما في بعض الانحاء الساحلية بل هو بليل عليل ناعم نافع في الاجسام .

وتمتاز بلاد هذا الاقليم بخيراتها الكثيرة حتى ان المصطاف فيها اذا كان صاحب عيلة ينفق فيها مع الراحة نصف ما يقتضي له في المصايف الاخرى المعروفة وهذا امتياز له وقعه في الامور الاقتصادية . وكذلك العيون التي تنبجس من جبال الزبداني ان هي الا عصارة ثلوجها الكثيرة ولها موقعها من الصحة كعين حور وعين النسور وعين حل جرابك وعين حزير وعين بقين وعين الجرجانية وعين عطيب وغيرها من العيون الجميلة ، ما يمكن ان يتألف من كل عين منها متنزه من اجمل متنزهات العالم لا يقل عن متنزهات الغرب المشهورة .

واذا اردنا ان ندرس بعض مواد الغذاء فيها نجد اللحم بالغًا غايته من الجودة بالنظر الى حسن المراعي في جبالها ، وهناك الالبان والاجبان التي قل مثيلها في معظم اصقاع الشام ، خاصية تميزبها هذا الجبل وما اليه من السهول . فقد اثر هذا الهواء الجيد في الانسان تأثيره في الحيوان والنبات .

ومعلوم ان المصايف يجب ان تكون الى السكون اقرب منها الى الحركة . فاذا قلنا ان ابن القاهرة مثلاً يصطاف في مدينة تشبه حركتها حركة المدن الكبرى ووسائل الراحة فيها كوسائل الراحة في المدن كانت الفائدة من مصيفه اقل ولا شك من مكان فيه سكون ودعة واخذ بالنفس الى السذاجة والطمأنينة ، فجبال الزبداني فيها شروط الراحة ورجوع الى الطبيعة والرجوع الى الطبيعة فيه نوع من الرياضة

الجسمية والعقلية لا يمكن تأثيره . فابن المدن الكبرى محتاج إذن في مصيفه ان ينزل القرى و يرجع ولو اياماً قليلة في السنة الى امه الطبيعة يناغيها ، وان يريح اعصابه من ضوضاء المدن و يبتعد عن اضطرابات المدنية المعربسة ومشاكلها . وكما قلت في بلد انفاس الناس كانت الى الصحة اقرب . ولا شك ان الاقبال اذا زاد على هذا الوادي وكثر مصطافوه انه يعمر بعد سنتين او ثلاث عمراناً يناسب المتمدنين ولا يبعد كثيراً عن المصايف الطبيعية .

« قرى الاصطياف في الزبداني » == اما قرى الزبداني التي تصلح للمصايف وقد مهدت اليها الطرقات بحيث أصبحت السيارات تسير تواً اليها فهي :

الزبداني — كورة الاقليم على مسافة ٤٨ كيلومتراً من دمشق ، علوها ١٣٠٦ أمتار عن سطح البحر ، يقطنها اكثر من ٢٥٠٠ نفس ، تمر عليها قطر السكة الحديدية ولها بها محطة جميلة مهمة وبقربها دوائر الحكومة ، فيها ينابيع عديدة ويكثر فيها التفاح والسفرجل وبقية الاثمار والبقول ولها شهرة خاصة بتفاحها السكارجي المعروف بتفاح الزبداني او بالتفاح الزبداني او بالتفاح الجناني وهو تفاح ذو رائحة زكية يباع منه في أسواق دمشق ويحمل الى جميع جهات سورية والى مصر ايضاً ، ينادي عليه الباعة بدمشق « بخّر الشورة » — والشورة في كلام العامة هي المنديل — وتضعه النساء في خزائن الثياب وصناديقها فتفوح من الثوب عند لبسه رائحة تنعش الفؤاد . وقد جاء في مأثور الامثال الشامية « من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح » تروي اراضيها مياه النهر المسمى بنهر الزبداني وهي تنبع من قرية عين حور و ينضم اليها في طريقها ينابيع الفراسكين والدلّة وشمركا والنابوع وعين البق ، ثم تتوزع مياه هذا النهر بصورة منتظمة و باوقات معينة على الاراضي والحقول والبساتين والرياض بحيث لا يبقى منه شيء في الصيف يشكل مستنقعاً يفسد الهواء . من اجل ذلك كانت غزارة المياه وانتظام سيرها وضبط قنواتها في الري باعثاً على جعل الاراضي خصبة والفواكه والبقول جميلة المنظر ، كما ان برودة الماء ونوع التربة وخاصية المناخ جعلتها شهية الطعم لذيذة المأكل .

وعلى مقربة من الزبداني نبع نهر بردى بسفح الجبل الغربي ، يبعث في القلب

اضطراباً داخلياً اذ يشاهد الناظر اليه هوة عميقة يخرج منها الماء بكل سكون وهدوء وبجوانب هذه البجة ينابيع صغيرة تسيل دمعاً رائقاً بحيث لا يسمع لهـذا النهر خرير ولا ضجة كما هو المعتاد في اكثر العيون والينابيع الكبيرة . ثم يسير هذا الماء سيراً بطيئاً وهو ينساب كالأفعى ذات اليمين وذات الشمال بين سهول الزبداني حتى التكية وهي رأس الوادي وبها معمل الكهرباء لانارة دمشق وجر حافلاتها وتحريك آلات مصانعها ، ومن هناك تبدأ الشلالات العديدة وتنكسر مياه النهر على الصخور فتزيد بذلك خفة ونقاء الى ان تلتقي بمياه نبع عين الفيجة العجيب فيختلط الماآن ويسيران نهراً مزبداً عرماً الى دمشق وغوطتهـا . هذا هو « ابانة » العبرانيين و « خر يزو رواس » اليونان والرومان الذي يروي الارضين فتنبت الخيرات التي تقـدر مواردها بالملايين من الدنانير الوضاحة .

« بلودان » = بيت القصيد وأهم مصايف إقليم الزبداني وأبردها هواء وأعذبهـا ماء وأنقاها مناخاً . انتخبتهـا قيادة جيش الشرق الفرنسوي مصيفاً يتنـاوبه الضباط والجنود ايام فصل القيظ فيبلّون من سقامهم ويجددون قواهم ويستردون عافيتهم ، وما انتخبت القيادة هذا المصيف من بين المصايف الكثيرة الا بعـد درس طويل وفني من جميع وجوهه . بلودان مبنية بسفح الجبل الشرقي تحاذي الزبداني موقعاً وتبعد عنهـا مقدار ثلاثة كيلومترات . ارتفاعها عن سطح البحر ١٤٠٠ متر ، ذات مناظر خلاّبة . يقطنها اكثر من ٦٠٠ نفس . وفيها عيون ماء عذبة باردة أهمها عين (حل جرابك) وعين (حزير) .

« بقين » = محرفة عن بوقين اي ملوء الفم مرتين . وقد سميت بهذا الاسم اشتهاراً بجودة الماء النابع فيهـا . بقين قرية واقعة بالجنوب الشرقي من الزبداني على بعد ستة كيلومترات منها وأمامها موقف اختياري لقطار السكة الحديدية من اجل نزول المصطافين وركوبهم . ارتفاعها عن سطح البحر ١٣٥٠ متراً ويقطنها من السكان ٢٥٠ نسمة كلهم متمتعون بصحة نضرة .

« مضايا » = واقعة حذاء بقين وبجنوبهـا على مسافة كيلو مترين منها هذه القرية ذات مشاهد فتانة يسرح فيهـا خيال الشاعر مياهها غزيرة تنبع ضمن حدود

الابنية وهي عين الحديد وعين الجديدة وعين امين مما يزيد ارباب الذوق رغبة في الاصطياف بها ·

« كفر عامر » = قرية خربة اليوم قيل انها كانت من عهد ليس بالبعيد مركزاً لحكومة الزبداني وهي على سفح الجبل بقربة من كورة الزبداني ذات مناظر بديعة ومياه عذبة هدمت على اثر نزاع قام بين السكان وعسى ان نصير في المستقبل مطمح أنظار المصطافين فتبنى فيها الفنادق والبيوت ويعود اليها عزها السابق ·

« عين حور » = سميت كذلك اما نسبة لاشجار الحور الكثيرة فيها او الى من كان يؤمها لكونها مصيفاً جميلاً من ذوات الاعين الحور لتكتسب من جمال الطبيعة · وعين حور قرية بشمال الزبداني على بعد سبعة كيلو مترات منها · ينبع فيها ماء عذب يجري منها الى الزبداني كما سبق القول ·

« سرغايا » = قرية واقعة بشمال الزبداني وعين حور علوها عن سطح البحر ١٣٧٢ متراً ويقطنها ٧٥٠ نفساً فيها محطة لقطار السكة الحديدية وبها نبعان رائقان هما عين سرده وعين الموقد ذات هواء نقي جبلي مناظرها من جهة الشمال جبلية ومن الجهة الجنوبية فسحة من الرياض السندسية كأنما هي قطعة فردوس ·

« عين الفيجة » = قرية اشتهرت بجودة النبع السائل منها شهداً ذكياً وقد أُخذ منها قسم بانابيت فولاذية لإرواء مدينة دمشق وعلى اثر ذلك زال كثير من الاوبئة والامراض السارية التي كانت تداهم السكان بسبب شرب ماء بردى بعد ان يكون قد تلوث بانواع الأقذار في طريقه الى دمشق ، والناظر الى رأس ذلك النبع الفخم في فصل الربيع يراه والماء الغزير يتدفق منه بضجة وخرير ثم يجري بلون سماوي رائق على تلك الأحجار الفضية الغائصة في أسفله كالدرر فيلذ له سماع تلك النغمات الطبيعية يساوقها تغريد الطيور من فوقها وتحيط بها الأشجار الخضراء منتصبة القامات ورافة الظلال تفديه بذاتها لتقيه حر الغزالة فيحسب نفسه في دار الخلد او في جنة النعيم لذلك ترى سكان تلك القرية ذوي وجوه نضرة ودم قوي لا ينقصهم سوى منابع علم تروي منهم الافكار فتثمر آراء نضرة تشبه نضارة جنتهم الارضية ·

« الخاتمة » = هذا ايها السادة برض من عدّ وساقية من بحر اسلفت اليه

انظار اخواني الادباء ليتموا محاضرتي هذه بمحاضرات منهم يصفون لنا بلاد دولة دمشق إقليماً بعد إقليم فكلها ملأى بالتواريخ المهمة والمقاصف الجميلة والمياه العذبة والمناخ النقي الذي يجعلها في مصف المصايف الحسنة ٠

الموازنة

بين الاعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٩ =

ودونك برهان البلاغة الشعرية مع فقدان سواها قال الشاعر :

(وجازوا ارسناساً معصمينَ به قبل الجوس الى ذا اليوم تضطرم)
(دُهمٌ فوارسها رُكّابُ أبطنها ومهريته سيف وجهه عَلمُ)
(تناج رأيك في وقتٍ على عجلٍ قد أفسدَ القول حتى أحمدَ الصممُ)
(عبرتَ تقدمهم فيه وفي بلدٍ ان الكرام باسخاهم يداً ختموا)

او كقوله :

(والماء بين عجاجتين مخلّص تحت الحسان مرابض الغزلانِ)
(بحرٌ تعوّد ان يذمّ لاهله تتفرقان به وتلتقيانِ)
(وحشاه عادية بغير قوائمٍ من دهره وطوارق الحدثانِ)
(تأتي بما سبت الخيول كأنها عُقمَ البطونِ حوالكَ الالوانِ)

فهذا الشعر هو من أعلى طبقات الشعر ، والوصف فيه معجز المباراة ، غيرانه تنقصه حلقات الاتصال لتأتلف مبانيه ، وتظهر لنا معانيه ، ولكننا اذا حللناه الى نثر بدا لنا خلط موسوسٍ او هذيان محموم٠

انظار اخواني الادباء ليتموا محاضرتي هذه بمحاضرات منهم يصفون لنا بلاد دولة دمشق إقليماً بعد إقليم فكلها ملأى بالتواريخ المهمة والمقاصف الجميلة والمياه العذبة والمناخ النقي الذي يجعلها في مصف المصايف الحسنة ·

الموازنة

بين الاعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٩ =

ودونك برهان البلاغة الشعرية مع فقدان سواها قال الشاعر :

(وجاوزوا ارسناساً معصمين به قبل المجوس الى ذا اليوم تضطرم)
(دُهمٌ فوارسها رُكّابُ أبطنها ومهرتة في وجهه عَلمُ)
(تناج رأيك في وقتٍ على عجلٍ قد أفسدَ القول حتى أحمدَ الصممُ)
(عبرتَ تقدمهم فيه وفي بلدٍ ان الكرام باسخاهم يداً ختموا)

او كقوله :

(والماء بين عجاجتين مخلّص تحت الحسان مرابض الغزلانِ)
(بحرٌ تعوّد ان يذمّ لاهله تتفرقان به وتلتقيانِ)
(وحشاه عادية بغير قوائمٍ من دهره وطوارق الحدثانِ)
(تأتي بما سبت الخيول كأنها عُقمَ البطونِ حوالكَ الالوانِ)

فهذا الشعر هو من أعلى طبقات الشعر ، والوصف فيه معجز المباراة ، غيرانه تنقصه حلقات الاتصال لتأتلف مبانيه ، وتظهر لنا معانيه ، ولكننا اذا حللناه الي نثر بدا لنا خلط موسوسٍ او هذيان محموم·

وعندنا ان دانتي عند نظمه الألعوبة كان قد اعتراه الوسواس او الصرع لما توالى عليه من مصائب الدهر ، وأولها خذلان حزبه ، ثم ضيعة مطامعه ، ثم خيبة آماله ، ثم نفيه من بلدته والحكم عليه اخيراً بالقتل ، فخرج من وطنه طريداً شريداً لا يملك فلساً كما تقدم اجمال ذلك معنا في ترجمته ·

ولا عجب بعد هذا اذا بلي بداء الصرع او الوسواس ولا سيما اذا كان في طبعه استعداد لذلك ·

واذا صح زعمنا هذا ولا نراه الا صحيحاً ، زال الاشكال في وقوع الخلط الكثير الذي رأيناه في الالعوبة عند الجمل الكثيرة التي لا يستخرج لها معنى ، ثم اللعنات التي صبها على الأساقفة والباباوات وإقرارهم في جهنم ، مع صلابته في دينه ، ثم استدعائه ملكاً غريباً لاكتساح بلاده مع شدة وطنيته ، ثم فيما يرويه عن مشهوداته في جهنم والمطهر والفردوس ، روايةً صادرةً عن يقين تام برؤية ذلك كله رأي العين وأخيراً تصريحه بان روح الله حلت فيه · على ان الظلمات التي يردد ذكرها كثيراً ليست عندنا الا نتيجة طبيعية للسوداء التي كانت تصاحبه ·

وما دانتي باول موسوس نظم فعجّب سامعيه ، فالروايات عن موسوسي الشعراء عند العرب كثيرة وأشهرهم الموسوس الذي يقول :

(حجبوها عن الرياح لاني قلت يا ريحُ بلغيها السلاما)
(لورضوا بالحجاب هان ولكن منعوها لكيدهم ان تناما)

ثم الملقب بالمجنون مجنون ليلى ، وممن يقال انه بلي بالصرع او الوسواس الشيخ عمر الفارضي وقالوا دخل عليه بعض أصحابه فرأوه يدور حول بركة الجامع ويقول :

(ستّي متّي من حقّا إي والله حقّاً حقا)

ويصفق بيديه ، وفي بعض ابيات تائيته الكبرى من الخلط ما يرجّح هذه الرواية ·

ولا نطيل في تعداد الموسوسين او المصابين بالصرع من الشعراء والكتاب والعلماء فهم عند جميع الامم وحسبك انباسكال وهو احد افراد الدنيا ذكاءً وعلماً ، قد اعتراه الوسواس كما أثبت ذلك غير واحد من مترجميه ، بل زعم بعض المحققين من الناقدين

ان بعض الانبياء كان مصاباً بالصرع او بالوسواس و يسمي الموسوسون بالفرنسوية (Les Hallucinés) .

ومن أعجب العجب بل مما يحار له الناقد اذ يرى اكثر الذين قلّبوا الطرف في الالعوبة الالهية من الشرّاح العلماء والنقّاد الالباء أجمعوا على انها آية الايات فيما تضمنته من الفصاحة والفنون ، وانها معجزة لم يدرك شأوها من جاء بعده من الشعراء .

نعم أشار بعض الشراح من الناقدين الى ان دانتي لم يكن من المبتدعين بل من المقلدين ، غير ان الجماهير وفيهم اكثر شراحه ونافديه من جميع الامم كانوا ينظرون الى الالعوبة الالهية بعيون اكأنها الرضى عن نقدالعيوب ، او ان رهبتهم مما ذكره في جحيمه ملكت عليهم أنفاسهم فلم تجر أقلامهم بغير الاطراء والإعجاب ، وجل اولئك ممن كانوا ينظرون اليها بطرف الخشوع كأنها من الكتب السماوية لفرط تحمسهم الديني وهو كما تعلم قد يعمي و يصم ، حتى انهم اذا مروا بجملة تنافي تعليم الكنيسة نفسها ، قالوا ان فيها انظراً ، كأنهم يرددون ان من الكلام لحكمة .

ولعل ذلك يرجع الى أسباب : منها شدة تعصبهم الديني ، ومنها التيار الجرّاف تيار الرأي العمي ، وقد مرّ قبل هذا في ترجمة دانتي ما كان من ظهور دعاة له بعد موته بمدة طويلة وكيف انه كلما طالت المدة على زمن وفاته ، زادها الراوون خرافات سموها معجزات (عجائب) ألصقوها به وزادت في عدد أشياعه ، وجلهم من جهلاء العامة وما اكثرهم في كل مصر وفي كل عصر ولا سيما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

ومنها ان الالعوبة وهي أغنيات كانت باللغة العامية يومئذ كما علمت ، واين من هؤلاء لغة فيرجيل وهم لا يفقهون منها لفظاً . ومنها انها تبتدئ في جهنم والتفصيل عن سراديبها ومغاورها ، وسلاليمها وكهوفها ، واعوجاجاتها ودياميسها ، وأبالستها وظلماتها ، ونيرانها القائمة ووحوشها الغريبة وعذاباتها التي لم تخطر على قلب عاقل الى تهويل بالوصف ينزل الهلع والرهبة على أعظم القلوب شجاعة ، وينشر الغم والكآبة على أوضح الوجوه بشراً ، يوم كانت سيوف محاكم التفتيش مجردة فوق الاعناق في هاتيك الاقطار ، ورسل تلك المحاكم الظالمة البربرية تجوس خلال الديار ، لاستراق لفظ

يشف عن راحة او هناء ، ومسارقة شفة تبتسم عن رجاء ، وو يل يومئذ للمتهمين ، اذ لا طهور لهم من تلك الأوزار ، في شرع تلك المحاكم بغير الزيت والنار .

فهل يعقل ان يغنّى في مثل تلك البلاد الشقية بغير هذه الاغاني ? ولا سيما ان الحكام فيها لم يكن يروق لهم سماع سواها ، وهم وعمالهم المسيطرون يومئذ على أعمال الناس وحركاتهم ، والناشرون فوق الرؤوس سحب التهويل والكآبة والارهاب ، فلا بدع في انتشار الالعوبة انتشاراً يضمن لها هذا الاثر الخالد بين قوم كانوا لا يرون الحياة في هذه الدنيا سوى النوح وقرع الصدور ، لنيل الغفران او للنجاة من أئمة ظالمة تناهوا في الفحشاء والشرور .

ومنها ان هوى الجمهور مع المظلوم في كل حين ، او مع من ادعى المظلمة وان كان هو البادئ ، فهم ينظرون اليه في حال شقائه وذله و يسدّدون سهام قدحهم نحو خصمه ، وقد مرّ بك ما نزل بدانتي من البلاء ، فلا بدع ان يكون ذلك من اعظم البواعث على الشفقة عليه وبُعد شهرته ، وهذا في التاريخ ولا سيما تاريخ الآداب أكثر من ان نقيم عليه الدليل ، وحسبك ما ذكره اكثر نقادي و يكتور هوجو ، من ان نفيه بامر الامبراطور نابوليون الثالث ، كان من أجلّ الاسباب في زيادة شهرته ، وادعاء مريديه له بالزعامة الشعرية في عصره ، بل غلوّ بعضهم الى أبعد من ذلك .

ونعود الآن الى ذكر الرأي العمي ّ (١) فهو يجرف الرأي القصري ّ ، كما تجرف الامواج عند اشتدادها كل ما أمامها ، وقد وقع في التاريخ وغيره من العلوم أغلاط لجماعة من كبار العلماء كان منشأها تيار الرأي العمي ّ ، فمنهم من تنبّه الى غلطه فأصلحه بعد حين ، اي بعد السكوت . ومنهم من سُجّل عليه غلطه اذ عاجلته قبل التنبه عليه المنون . وتفصيل ما يعرض لامثال هؤلاء من عقلاء الناس حتى تراهم عند تلاطم التيار ينقادون للرأي العمي ّ بغير انتقاد ، فيضيع الحازم حزمه والحليم رزانته ، مما تكلم فيه كثير من الفلاسفة ولا سيما فلاسفة علم النفس ، وليس هذا محل الإفاضة فيه فنقتصر على الاشارة اليه ، للبرهان على ما كان من تهافت كثير من العلماء والناقدين

(١) الرأي العمي ّ نسبة ٌ الى العامة والقصري ّ نسبة ٌ الى الخاصة .

في رفع دانتي الى المنزلة التي احلته فيها العامة ، وكان من حقهم او من حق النقد عليهم ان يكونوا اكثر تثبتاً ، وأوفر انتقاداً .

ومن أظهر الاسباب في شيوع الالعوبة الالهية ، ورفع صاحبها الى العرش الثالث لملوك الشعر عند جميع الامم الافرنجية ، هو موت اللغة اللاتينية وانتشار اللغة العامية بين سائر طبقات الامة الطليانية ، فلما بدأت هذه تنتبه من رقادها ، وتتحرر من قيود الاستبداد ، وتنظر الى نفسها جماعات جماعات ، وتتوثب الى الاتحاد ، شأن الامم في أوائل انتباهها تجمعها لغة واحدة ، نظرت الى قديمها في العلوم والآداب فلم تجد لها شاعراً غير دانتي طبع بطابع اللغة الطليانية كثيراً من أحداثها ؛ بل جعل تلك اللغة العامية ذات قواعد مكّنته من نظم تلك القصيدة الطويلة الشاملة (الالعوبة) . فكان في عيون الامة الطليانية يومئذ محيي آثارها ومؤسس لغتها وركن فخارها ، وطالعت ما انتابه من الويلات وما عاناه في سبيل الرجوع الى وطنه ، فانصرفت الانظار عن جملة ما في الالعوبة من العيوب ، ونظرت اليه نظر المحب الى المحبوب ، فقالت مع شاعرنا ومن اين للوجه المليح ذنوب .

وآخر القول اذا كانت انشاء المرء مرآة عقله ، واختيار اللبيب دليل ذوقه ، فلا ريب انها مرآة قلبه وصورة عواطفه ومتجلى أخلاقه وآدابه ، واذا رمنا ان نستشف من انتقاد رسالة الغفران والالعوبة الالهية ، مدى عقلي صاحبيهما ، ومتجلى عواطفهما وأخلاقهما ، لنفي هذه الموازنة حقها من الانصاف ، نرى البون شاسعاً بينهما فان رجاحة عقل المعري واضحة على كل صفحة من صفحات الرسالة ، ولما كانت رسالة ابن القارح في تقيل الشرع والتزام حدوده ليست من معتقده ، وكان تقريظها حتماً عليه ، اذ انتقاد الشعر وكتب الادب وتقريظها عادة قديمة في الامم نرى حديثها في تواريخ اليونان والرومان ، واما عندنا نحن العرب فيصعد ذلك على ما وصل الينا ، الى حكاية حوليات زهير والمعلقات ، ثم الى مساجلات ابي نواس وصريع الغواني وابن الجهم ، ثم بعدهم الى بشار بن برد وابي العتاهية وجماعتهما ، ثم الرواية عن قول ابي تمام للبحتري عندما قرأ عليه شعره ، نعيتَ اليّ نفسي يا فتى ، ومثل ذلك اليوم عند الفرنسيين وغيرهم من الفرنجة ، فانه قلّ ان يوجد بين أدبائهم بل علمائهم ، من

يؤلف كتاباً دون ان يطلع عليه احد أصدقائه من العلماء ، واكثر تلك الكتب تطبع مصدرة بمقدمة ممن طالع ذلك التأليف هي في تقريظ الكتاب .

قلنا ولما كان تقريظ رسالة ابن القارح حتماً على ابي العلاء ، صوّره حلماً رآه كأنه يقول لابن القارح ولطالبي رسالته ، ان جزاء من يلتزم هذه الحدود كما قال صاحبي ، هو هذا الحلم الذهبي ، ثم لم يشأ ان يجعل هذا التقريظ كله مزاحاً او مداعبةً وهو الفيلسوف الزاهد المتقشف ، فملأه فوائد وتحقيقات شعرية كانت هي محور آداب القوم في عصره ، وبعض اشارات وتلميحات علمية كقوله : « وبيني وبينه مسيرة الوف أعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة » والاشارة بها الى القياس بسرعة النور في علم الهيأة .

وكقوله : « ويفترق اهل ذلك المجلس بعد ان أقاموا فيه كعمر الدنيا أضعافاً كثيرة » فهل من وصف لطول ذلك الوقت وسرعة مروره بالمقايسة مع لفظ «الابدية» أبدع من هذا الوصف .

وكقوله : « وهل يعرف البشر من علم النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيأة ومساحة الارض » الى غير ذلك من اللطائف .

اما ركن رسالة الغفران ، فهو الرحمة والحلم والحنان ، وهي عواطف صاحبها وأخلاقه التي هي كلها تسامح وعقل وفلسفة فانه لما ألقى نظر حلمه على ذلك الفردوس الموعود . فكّك بل طحن بحكمته تلك الأقفال والقيود ، وفتّح ابوابه وفسّح رحابه ، ووسّع فيه الاماكن لجميع البشر بل للحيوان ايضاً ، اما لفعل خير ولو طفيف ، او للفظة صدق ، فلم يدع جاحداً مشهوراً الا أنزله بذلك النعيم ، ولا وثنياً الا سلسل في حلقه ذلك التسنيم ، وسقاهم كلهم ذلك الشراب الطهور القديم ، ومتعهم كلهم بالحور والقصور والشباب المقيم ، ولسان حاله يقول : ما ضرّ ربك ان يسكن مخلوقاته كلها هذه الجنات ، وهل تسعكم وحدكم وتضيق عنهم هذه السموات ، يا ضيقي العطن وناشري الإحن ومعلمي أفانين العداوات ، ثم غمزهم غمزةً فألقى الأخطل وبشار بن برد في النار لعينيهم والاول نصراني والثاني مسلم كما تعلم . ليحكم في ذلك العقلاء وبضدها تتميز الاشياء .

على اننا ما خطر ببالنا مرةً ابو العلاء الا حرنا في امره ، ذلك انه على ماأوضحنا اول هذه الموازنة كان من الفلاسفة الزنادقة الذين يهزأون بالبعث ، الا انه ملأ شعره مواعظ بالزهد في الدنيا والبعد عن مسراتها واجتناب سائر لذاتها حتى الخمر والنساء ونادى بقصر العمر وما يعقبه من الفناء وهذا كله عين ما يقول به اهل الاديان كقوله وهو اقصى ما يقول به المتقشفون منهم ·

(ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة ان يبكوا)
(تحطمنا الايام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعادله سبك)

وكقوله :

(رويدك قد غررتَ وانت غرٌّ بصاحب حيلةٍ يعظ النساءَ)
(يحرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مساءَ)
(يقول لكم غدوت بلا كساءٍ وفي لذاتها رهن الكساءَ)
(اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهةٍ اساءَ)

وغير ذلك من أمثاله كثير جداً وفي مراجعة لزومياته غنىً عن الاضافة فيه ·

وكنا كما قلنا في حيرةٍ الى هذه الساعة من امر ابي العلاء لما نراه من التناقض بين مذهبه ومقاله فهو شديد على النساء في الحجاب ووجوب الاستقرار بالبيوت مع علمه بانهن في طبيعتهن البشرية لا يختلفن عن الرجال بل عن سائر الحيوان ، من النزاع الى الشمس والهواء ، والاستمتاع بكل ما في الكون مما تجيش اليه النفس وتستلذه الحواس الخمس ·

وهو شديد عليهن في ترك التبرج مع انه يحسب عند بعض علماء الطبائع من أخلاق الانثى حتى في بعض الحيوان ومع انه لم ير امرأة قط (سوى أمه في طفولته) ولم يتزوج ولم يعرف أنثى لقوله وهو القائل الصادق :

(هـذا جناه ابي عليَّ وما جنيت على احد)

وهو شديد على شاربي الخمرة مع انها قديمة جداً وقد أحبها البشر في كل عصر بل عبدها كثير من الامم كاليونان والفينيقيين وغيرهم ونحتوا آلهةً لعبادتها وتفننوا في تصويرها والعرب قبل الاسلام وبعده ممن اوغلوا في ذكر لذتها ومنافعها وتصوير

شتى محاسنها ، ولم يحرمها من الاديان سوى دين الاسلام وفيلسوفنا كما علمت ليس من الاسلام في شيء ٠

وهو شديد على اهل اللهو وسائر اللذات الجسدية يأمرهم بقهر الجسد ومحاربة أميال الجسم الطبيعية ويتهددهم بقصر العمر و ينذرهم بالفناء مع انه القائل :

(تعبٌ كلها الحياة فما أعـ ـجب الا من راغب في ازدياد)

وان كل حيّ مصيره كمصير النبات ، فما ضرهم — ان كان كما يزعم — انتهاب هذه اللذات ، والتمتع بما أباحته لهم الطبيعة من المسرات ؟ وما الذي يجب ان يتوقاه المرء اذا هو لم يعتد على احد من المخلوقات ؟

نقول ان في نواهي ابي العلاء وتشدده برهاناً لمع الساعة أمامنا وحل لغزاً طالما امتنع علينا حله ، وذلك ما أوردناه آنفاً من جرف الرأي العمي كل ما أمامه ، واستدراج أعقل الناس اليه من حيث لا يشعر ، حتى ليضيع الحازم حزمه والبصير رشده ، وتخلف نتيجة المنطق عن مقدمته ، وهو التناقض الذي أشرنا اليه كما رأيت٠

فان عصر ابي العلاء كان عصر تشدد في الدين لما انتاب الدولة العباسية العظيمة من خسارتها كل ما كان بيدها الا اسم الخلافة والدين ، وانت تعلم ان المرء حريص على ما بيده من ملك او سلطان او جاه او مال حتى اذا ما فقد شيئاً منها تمسك بسواه واذا أُصيب بفقدان جميعها نظر الى ما حوله وفتش عما يستطيع امتلاكه والتباهي به ولو كان ذلك الملك شيئاً معنوياً كالدين فيقبض عليه بكلتا يديه حاسباً انه القوة التي بها يغلب الاعداء و يسترد المسلوب و يستعيد المجد والملك او انه هو يغني عن كل ذلك وهذا ما أصاب غير أمة من الامم كالبيزنطيين في آخر دولتهم ٠

فلا بدع والامر على ما ذكرنا ان يكون الرأي العمي لعهد ابي العلاء محصوراً في الزهد والتقشف والصلاة والحجاب والنهي عن الخمر واللهو وسائر اللذات وان يجرف تيار هذا الرأي حصافة فيلسوفنا فتناقض نصائحه صريح مذهبه وتخالف نتيجته عن مقدمته في بعض أقواله ٠

وفي الختام فلننظر في مرآة دانتي وهي الالعوبة الالهية ، اما من حيث العقل وإصابة الرأي ، فيصعب جداً على الناقد المنصف ان يرى لها في هذه المرآة شكلاً

و خيالاً فالخلط فيها أضاع الاصابة وغشى على العقل بستر كثيف حتى ظهر فيها رجل أوهام وخرافات كان حفظ في صغره شتى كتب التاريخ والعلوم ثم أصيب في كبره بحمى شديدة غادرته يردد في هذيانه اكثر ما حفظه متداخلاً بعضه في بعض حتى ظهر بهذا الخلط العجيب فنحن لا نرى عن رأينا تبديلاً فيما بدا لنا من وسواسه ٠

اما أمياله وعواطفه فقد بدت لنا غريبةً عن مواطن اللطف بعيدةً عن العفو والرحمة ، لا تعرف للتسامح معنىً ، ولا تقيم للحنان والاعتذار وزناً ، او هو سواد انسان لكنه قُدَّ من حجر ، ومع انه كان زوجاً واباً فلم نسمع منه حرفاً باسم زوجته او اولاده بل لم نسمع منه شكوى فراق او صوت اشتياق او عبارة يشعر منها بانه يفكر لحظةً بهم ونرى حب المجد والاثرة ظاهراً في كثير من أسطرها الى الغاية القصوى ٠

اما أخلاقه فعبوس وكآبة وحقد وشراسة وحب انتقام وقصر نظر لا يعرف من الحلم ورحابة الصدر الا اسميها وعنده ان كل مخلوق عاقل على الارض منذ وجدت حتى آخر الدهر يجب ان يزجّ في نيران جهنم السوداء او انه محكوم عليه بها ان لم يؤمن بكل ما يؤمن به دانتي لا عفو ولا سماح ولا شفاعة ولا رأفة ولا غفران وانت ترى مابين المعري ودانتي من البون الشاسع في العقل والاخلاق ٠ وان رسالة الغفران التي تنطوي على أقصى مزايا التسامح والرحمة والحلم بتحويلها عن موضوعها السامي باتت في فم دانتي رسالة لعنات وانتقام وكأن شاعرنا العربي نظر اليها فقال :

(تقول هذا مُجاج النحل تمدحه وان تذمّ تقل قيءُ الزنابير)

وترينا تلك المرآة صفحات كثيرة من علوم عصره وحوادثه مخلوطةً خلطاً عجيباً فلاهوت القديس اغوسطينوس باساطير اليونان ، وهوميرس وفيرجيل وصلاح الدين وأفلاطون باجتماع واحاديث الصبابة والهيام وما يعانيه دانتي من نار الشوق والغرام مع الغبطة او العزة الالهية أي الله ذاته ٠٠٠ وليس في كل ذلك اي فيما يعرض به من العلوم رأي لراويها او اعتراض او بيان او شرح ، فكأنها صورة كتاب ميت لا صوت لسان حيّ ٠

هذا ما وصل اليه بحثنا وتمحيصنا ونرجو ان نكون قد أصبنا فيه شاكلة الصواب ، وأمطنا به منيع النقاب ، عن مخدرات نزلت عليها آية الحجاب ، وتوارت وراء مغالقات الأحقاب .

عضو المجمع العلمي العربي

قسطاكي الحمصي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ مصطفى الغلاييني

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(١) ان ما شاع على السنة الكتاب الفصحاء من الكلمات (غير القاموسية) وكان له اصل في السماع او القياس قبلناه . من ذلك كلمة «تبدّى» التي ذكرها الاستاذ فانها مسموعة ، والقياس لا يأباها . وهناك كلمات كثيرة شاعت على أقلام الفصحاء ، وهي تلتئم مع القياس فأرى ان يجيزها المجمع الموقر : كالتطوُّر والتشرع (بمعنى تعلُّم الشريعة كالتفقه من الفقه) والتشريع (بمعنى شرع الاحكام وسنها) والمكانفة (بالتاء) وداهمه العدو والمُواطن ومان عليه يمون ودَوَى الصوت يَدْوِي (بالتخفيف والمسموع دوّى يُدَوّي تَدْوِيةً بالتشديد) وغيرها من الألفاظ التي درج عليها خواص الكتّاب ، ولها أصل ترجع اليه في لغتنا الكريمة . وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي « نظرات في اللغة والادب » (ص ٤٥ و٤٧ و٤٨ و١٠٦ و١٢٦) .

(٢) كلمة « أُقصصت » لا حاجة اليها لان « قصصت » المجردة تغني عنها . ولعل « أُقصصت » من تحريف النسخ او الطبع . وربما كانت بضم الهمزة للمجهول ، فيكون معنى قوله « فأتيته فأُقْصِصْتُ قصته » حُملت على ان أقصّها ، او طلب اليّ قصُّها .

اما كلمة «نخيم» ومثلها وفير فلا أرى تَجَوُّزَ استعمالها رجوعاً الى الاصل . لان وَفْراً وَنَخْماً اصلها وفير ونخيم . وقد أفضت في الكلام عليهما في (ص ٣٤) من كتابي المذكور .

هذا ما وصل اليه بحثنا وتمحيصنا ونرجو ان نكون قد أصبنا فيه شاكلة الصواب ، وأمطنا به منيع النقاب ، عن مخدرات نزلت عليها آية الحجاب ، وتوارت وراء مغالقلات الأحقاب .

عضو المجمع العلمي العربي

قسطاكي الحمصي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ مصطفى الغلاييني

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(١) ان ما شاع على السنة الكتاب الفصحاء من الكلمات (غير القاموسية) وكان له اصل في السماع او القياس قبلناه . من ذلك كلمة «تبدّى» التي ذكرها الاستاذ فانها مسموعة ، والقياس لا يأباها . وهناك كلمات كثيرة شاعت على أقلام الفصحاء ، وهي تلتئم مع القياس فأرى ان يجيزها المجمع الموقر : كالتطوُّر والتشرع (بمعنى تعلُّم الشريعة كالتفقه من الفقه) والتشريع (بمعنى شرع الاحكام وسنها) والمكانفة (بالتاء) وداهمه العدو والمُواطن ومان عليه يمون ودَوَى الصوتُ يَدْوِي (بالتخفيف والمسموع دوّى يُدَوِّي تَدْوِيةً بالتشديد) وغيرها من الألفاظ التي درج عليها خواص الكتّاب ، ولها أصل ترجع اليه في لغتنا الكريمة . وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي « نظرات في اللغة والادب » (ص ٤٥ و٤٧ و٤٨ و١٠٦ و١٢٦) .

(٢) كلمة « أُقصصت » لا حاجة اليها لان « قصصت » المجردة تغني عنها . ولعل « أُقصصت » من تحريف النسخ او الطبع . وربما كانت بضم الهمزة للمجهول ، فيكون معنى قوله « فأتيته فأُقصِصْتُ قصته » حُملت على ان أقصَّها ، او طلب اليَّ قصُّها .

اما كلمة «نخيم» ومثلها وفير فلا أرى حَجْرَ استعمالها رجوعاً الى الاصل . لان وَفْراً وَفخْماً اصلها وفير ونخيم . وقد أفضت في الكلام عليهما في (ص ٣٤) من كتابي المذكور .

واما « صدفة » فأرى ان شيوعها كافٍ لان يحملنا على قبولها وعدّها اسماً بمعنى المصادفة ، كنظائرها الكثيرة .

(٣) « هيئة المحكمة » جائزة . قال في النهاية : « والهيئة : صورة الشيء وشكله وحاله » اه ومثله في اللسان وتاج العروس . وهل هيئة المحكمة الا صورتها وشكلها مجتمعة ؟

واما تشكيل المحاكم ، فان أريد به انتخاب رجال لها فالتعبير صحيح ، وكذا ان أريد به التئام اعضائها . وان أريد به اصلاحها فكلمات « اصلاح وترتيب وتنظيم وتهذيب » أليق . والدليل على ماتقدم مستوفىً في كتابي السابق ذكره (ص ١٩) .

واما الميزانية والكمية والكيفية ، فقد أصبحت من الكلمات المألوفة . والأخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديماً . ومثل ذلك لايجوز ان يُصادَم .

(٤) لا أرى مانعاً من استعمال « خابره » بمعنى راسله ، لان القياس لا يأباها مع شيوعها على ألسنة الكتاب الخواص ، ولا ينصرف الذهن اليوم الى غير معناها الذي ألفه الناس .

واما « تفرّج على الشيء » فلا أرى استعمالها ، لانها لم تجر على أقلام الفصحاء من الكتّاب ، وانما درج عليها العامة وعوام الكتبة . على انه يمكننا ارجاعها الى اصل لغوي بضرب من المجاز .

واما « احتار » فالقياس لا يأباها ، وقد أصبحت من الكلمات المألوفة . وقد أوضحت هذا المقام في كتابي المذكور (ص ٢٠) .

واما « تنزّه في البستان » فجائز : قال الجوهري : « خرجنا نتنزه في الرياض . واصله من البعد » .

(٥) ما عُرّب من الكلمات الدخيلة الأعجمية الاصل او ترجم بالعربية ودرج عليه الكتّاب ، فأرى استعماله معرباً او مترجماً : كالسيارة والطيارة والغواصة والمنطاد والمناورة وغيرها . وما لم يُعرّب او يُترجم فان أمكننا ايجاد لفظ عربي له فذاك ، والا عربناه . وقد بسطت الكلام على ذلك بعض البسط في كتابي السابق (ص ١٩٩) .

(٦) ما لا يضر باساليب العربية من الاساليب والتراكيب الاعجمية جاز استعماله وما ذكره الاستاذ المقترح من الأمثلة ليس مما فيه ضرر ·

(٧) اما الصنف السابع فقد كفانا الاستاذ مؤونة البحث فيه · ولا ارى احداً يغار على لغته يقول بجوازه ·

* * *

جواب الاستاذ عبد الحميد[1] الجابري على الاقتراح المذكور

ان ما تجتمع شعوب الامة على التفاهم به هو لغتها كيفما كان حدوثه ومحدثه فاللغة لا تحد بقوم او زمن بل كل لغة لا بد ان تزداد مادتها بامتداد تاريخها ·

فعلى ذلك يكون مادوّن في المعاجم العربية التي يرجع اليها كل شعوب الامة هو من اللغة العربية ويصح ان يطلق عليه انه منها سواء كان في الاصل مبتدعاً او من اصطلاح شعب دون آخر او كان أعجمياً منقولاً واما ما لم يدوّن ولم يشع استعماله لدى الجميع فلا يصح ان يطلق عليه انه من اللغة العربية الجامعة التي تتوحد فيها الشعوب فلا ينبغي تدوينه الآن ولا استعماله وان سمع اذ لعله ان يكون من اصطلاح شعب خاص لم تدرج عليه بقية الشعوب او انه لحن من قائله ويستثني من ذلك ما كان مشتقاً تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم واما الألفاظ العامية فالمحرّف والمصحف منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي لا ينبغي ان يرتضى تحريفه او تصحيفه او اشتقاقه واما المحدث المخترع من أسماء لاعيان او مواد الافعال اي مصادر اشتقاقها فهو اذا اختلف باختلاف الأقطار التي اصطلحت عليه ، فكذلك لا ينبغي اعتباره حيث لا يمكن جمع الكلمة عليه ، واما ما اتفقت عليه اهل الاقطار من كل الشعوب او عرفته فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وادخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة ·

---

(١) هو احد أعيان حلب ومن أعضاء مجمعنا العلمي فيها ·

واما الألفاظ الأعجمية فان كانت مدلولاتها معروفة عند العرب رجعنا في ذلك الى الألفاظ العربية التي تنص على تلك المدلولات وليس لنا حينئذ ان ندوّن او نستعمل تلك الألفاظ الأعجمية لاستغنائنا باسمائنا العربية عنها وان كانت مدلولاتها حادثة لم تكن العرب تعرفها فيحتاج هجر الأسماء الأعجمية الموضوعة لها الى وضع اسماء مجددة لها فلا ينبغي ان نأبى تلك الألفاظ الأعجمية ونتكلف لوضع اسماء جديدة لها بل علينا ان نستعملها على علاتهــا مطلقاً فأسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والاوتوموبيل ليس قلبها الى اسماء أُخرى نتحلهــا الا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . ها نحن قد سمينــا التلغراف بالبرق فهل هي الا تسميــة مجازية على التشبيه لا تنص صريحاً على المسمى . وسمينا الاوتوموبيل بالسيارة التي هي لفظ أعم يدخل في شموله غير الاوتوموبيل وكذلك الهاتف للتلفون وكذلك الطيارة . عفى الله عما مضى فانه يقتضي هذه التسميات شيوع قبولها بين شعوب الامة العربية او أكثرها وتفاهمهم بها لكن لا يمكننا ان نتخذ هذا التبديل قاعدة في اسماء المخترعات ولا يتمشى معنا اتفــاق الكلمة على قبوله كل حين على ان دخول اسماء تلك المحدثات الجديدة على لغتنا العربية لا يمس بحفظ كيانها وحفظ شرفها مهما كثرت تلك الاسماء بل تزداد رونقاً بموافقتها للغات أصحاب تلك المخترعات . ولنذكر ههنا امرين الاول ان الالفاظ الأعجمية التى استعملها العرب محرفة لم يكن هذا التحريف فيهــا متعمداً لاجل صحة تعريبها بل انما كان ذلك لأن الراوي لها نقلها محرفة لعدم الفقه ضبط حروفها فتعمدنا نحن الآن تحريف ما نقل الينــا على اصله هو بدعة غير مبررة الا ما كان منها مشتملاً على حرف غير عربي فبالطبع ان عامة المتكلمين به يبدلونه بما يقارب به في المخرج من الحروف العربيــة بدون تكلف لتقرير هيأة المجمع . الامر الثاني ان الاسماء التي وضعناها للمخترعات الحادثة عوضاً عن اسمائها الأعجمية لم يشع قبولها بين العامة حتى الآن فالأكثر منهم يفهم قولنا الاوتوموبيل والتلغراف والتلفون دون قولنا السيارة والبرق والهاتف .

اعضاء المجمع العلمي

ترجمة العلامة احمد تيمور باشا المصري (١)

(نشأته) : هو السيد احمد بن اسماعيل تيمور باشا بن محمد تيمور كاشف بن محمد ابن اسماعيل بن علي كرد الكردي الموصلي وأسرته من كردستان جاء جده محمد تيمور كاشف الى مصر مع الجنود التي قدمت مصر على اثر نزوح الفرنسيين عنها فاتصل بمحمد علي باشا جد الأسرة الخديوية فاتخذه عوناً له وجعله من كبار قواده وولاه أعمالاً كثيرة منها (الكشوفية) فلقب بالكاشف ونفذت كلمته عنده وكذلك ولده اسماعيل باشا ٠

ولد احمد باشا سنة ١٢٨٨ هـ وربي يتيماً من صغره فدرس في داره العربية والفرنسية والتركية وبعض الفارسية ودخل المدارس المصرية فأتقن الفرنسية ثم العربية على بعض مشايخ عصره المشهورين وأهمهم الشيخ حسن الطويل وصحب الامام الشنقيطي الشهير والشيخ محمد عبده المعروف ولازم صحبة الشيخين طاهر الجزائري وابراهيم اليازجي ٠

فاتقن العربية بجميع فروعها ونال الحظوة لدى الخديويين وأنعموا عليه بالرتب العالية آخرها رتبة الباشا ٠

وخدم العلم خدمة عظيمة فكان عضواً في المجلس العالي للنظر في شؤون دار الكتب الخديوية والإشراف على إحياء الآداب العربية ٠ وعضواً في المجمع العلمي المصري وعضواً في المجمع العلمي العربي ٠ وعضواً لمجلس الشيوخ ومصححاً في المكتبة السلطانية ٠

واشتهر بغيرته على المشاريع العلمية وخدمة الآداب العربية فصرف معظم أوقاته مع وفرة أشغاله في إدارة مزارعه بقويسنا منفرداً في بيته مطالعاً في خزانة كتبه

(١) ملخصة من كتاب (الدر الثمين في أدباء القرن العشرين) للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ٠

الثمينة الحاوية أمهات نادرة وهي آية في الترتيب والتنسيق وجمع النوادر وقد مر وصفها في مجلتنا هذه (المجلد الثالث صفحة ٢٢٥ و٣٣٧ و٣٦٠) فهي اكبر خزانة في مصر بعد داري الكتب السلطانية والازهرية فيها ولكن ما فيها من النفائس قد لا يوجد فيها . ولقد تكرم عليَّ بفهرسها بخطه وهو كريم بمعارفه جليل المباحث كبير الهمة كثير الجلد في البحث والمراجعة يطالع كل كتاب ويرتب له الفهارس والتعاليق ويصفه في البرنامج الكبير الذي وضعه لخزانته بتفصيل غريب وتحقيق عجيب . ويحض على طبع نوادر الكتب ويساعد ناشريها .

فتراه دائماً يشتغل في الموضوعات المفيدة ويستدرك في مقالاته ما يراه لغيره من المباحث فيعدّلها بما وقف عليه من المخطوطات النفيسة التي لم يقف عليها غيره . وكل من طلب منه شيئاً أفاده عنه باريحية نادرة . فيبعث بالكتب التي يطلبها السائلون مع نفاستها وندرتها في البريد ليطالعها او ينسخها له على نفقته أحياناً كل ذلك خدمة للادب . وقلما ظهرت مجلة مهمة ولم يكن له فيها أبحاث رائعة وتحقيقات مفيدة . ولقد تكرم باعارتي كثيراً من كتبه واستنساخ بعضها . وكذلك فعل بالمجمع العلمي العربي فانه آزره بمنسوخات مفيدة لمباحثه . فضلاً عن مقالاته المتواصلة لمجلته . وله في الأدب والتاريخ واللغة آثار مهمة تشهد له بطول الباع والتعمق في المباحث النادرة وجمع الشوارد والفكاهات التي قلما ينتبه اليها غيره من زار باب العلم وغواة الكتب .

وفوق ذلك فان خزانته جامعة لنوادر المطبوعات في البلدان الاوربية والشرقية . وهو واقف على أسرارها مطلع على أبحاثها ومع انه حفظه الله منحرف الصحة لكثرة اجتهاده فهو دائم العمل متفرغ (مع كثرة أشغاله وادارة بيته الكبير وتربية أسرته التي نشأ منها نوابغ كشقيقته المرحومة عائشة تيمور وبنيه حفظهم الله وأقر عينيه بهم) لمتابعة أبحاثه حتى ملأ الصحف فوائد واستدراكات وله علاقة كبيرة مع كبار العلماء والمستشرقين في الشرق والغرب ومراسلات ومناقشات تدل كلها على سمو مداركه وعلو منزلته وطيب أخلاقه النادرة فهو جامع بين العلم ورقة الطباع ولطف الذوق وحسن المحاضرة وجودة الخط ودقة البحث والأوضاع اللغوية الكثيرة .

* * *

(آثار أقلامه العسّالة) : من مؤلفاته التي عرفتها (معجم الألفاظ العامية المصرية) في بيان اصولها واشتقاقها وردّها الى لغتها الاصلية وذكر ما يرادفها من العربي الفصيح وهو كبير الحجم جزيل النفع لا يزال مخطوطاً ٠

وله رسالتان مهمتان في (تصحيح القاموس المحيط) و (تصحيح لسان العرب) وقد طبعهما وفيهما من دقة النظر والامعان في البحث وحسن الروية ولطف النقد ما لا يوصف ٠ وقد كان نشر في (مجلة الآثار) الكاتبة قسماً صالحاً من نقد (اللسان) وكذلك في بعض الصحف قسماً آخر أضافه الى ما كتبه صديقه اليازجي في مجلته (الضياء)

وله رسالة بديعة في (الرتب والألقاب) اقترحتها عليه جريدة (القبلة) في مكة المكرمة واتصلت بمجمعنا العلمي فطبعها على نفقته في اول عهده ثم استدرك مؤلفها عليها أشياء كثيرة ارسلها اليّ على نسخة منها بخطه وهو يريد إعادة طبعها بقالب جديد خالٍ من الشوائب ٠

اما ما دبجته يراعته في الصحف والمجلات فانه كتب في (المؤيد) نحو ١٥ مقالة منها (تاريخ امراء تونس الحالبين) و (المجتمع اللغوي المصري) و (اللغة والدخيل) و (أغلاط لسان العرب) و (المعرّي) و (والخلافة والسلطنة) ٠

وفي (مجلة الضياء) منها (أغلاط لسان العرب) و (ديوان ماماي الرومي) ٠

وفي (مجلة المقتبس) منها وصف (الطالع السعيد للادفوي) وقد طبعه اخيراً و (اللغة والدخيل) و (أبيات العادات) ٠

وفي (مجلة المقتطف) منها (المناقشة مع الشرتوني في الفصاحة وكتاب العصر) و (المكاحل والمدافع عند العرب) و (اليزيدية ومعتقدهم) و (اسماء الكلاب عند العرب) ٠

وفي (مجلة الهلال) منها (التصوير والعرب) و(العيون الزجاجية) و (نوادر المخطوطات وأماكن وجودها) و(المترجم : الشفرة) و (أرجوزة أخبار الاعيان) ٠

وفي (المجلة السلفية) منها (الطباق اي التبغ) و (الألعاب عند العرب) ٠

وفي (مجلة الآثار) منها (وصف الاعلان بالتوبيخ للسخاوي) ٠ و (أغلاط لسان العرب) ٠

وفي (جريدة الاهرام) منها (مناقشة صديقه احمد زكي باشا بشأن البراءة والتقليد) و (العَلَم عند المصريين) ٠

وفي (مجلة مجمعنا العلمي) مقالات رائقة راجعها في (٢ : ٧٣ و١٤٧ و٢٨٩ و٣٢١) و (٣ : ٩ و٤٣ و٥٦ و٧٣ و١٠١ و١٢١ و١٣٧ و١٦٩ و٢٠٣ و٢٤٣ و٢٦٨ و٢٨٠ و٣٢٧) و (٤ : ١٤٧ و١٩٥ و٢٧٠ و٣٨٨) ٠

آراء وافكار

كلفة (Revient)

جاء في الكتاب الآتي من احد اساتذة التعليم في حماه ونصه بعد المقدمة :

« لم أعثر في المعاجم على كلمة عربية تفيد ثمن الشراء مع المصروف عوضاً عن الكلمة العامية وهي (كالف) بحيث تقابل كلمة (Revient) في اللغة الافرنسية ٠ وستكون هذه الكلمة عنواناً لبحث في (الحساب) كما يأتي :

ثمن الشراء	Prix d'achat
ثمن ٠٠٠	Prix de revient
ثمن البيع	Prix de vente

ارجو ان تتكرموا بافادتي ولحضرتكم الشكر ٠ (ص٠ ع)

فأجبته بما يلي :

لا ارى مانعاً من استعمال كلمة (كلفة) مقابل كلمة (Revient) الافرنسية وهي التي يُراد بها الكلفة الأصلية للمتاع او الأداة المصنوعين في المعمل ٠ اما مقابل كلمة (Prix de vente) الافرنسية فتستعمل كلمة (كلفة البيع) المركبة او كلمة (السعر) المفردة : فان السلعة مادامت في السوق ولم يشترها المستهلك فقيمتها (سعر) يصعد ويهبط حتى اذا اشتراها المستهلك كان ما أداه الى البائع هو (الثمن) ٠

إذن لنا ثلاث كلمات مركبات ومفردات وافرنسيات فلنعرضها على هذه الصورة ٠

وفي (جريدة الاهرام) منها (مناقشة صديقه احمد زكي باشا بشأن البراءة والتقليد) و (العَلَم عند المصريين) .

وفي (مجلة مجمعنا العلمي) مقالات رائقة راجعها في (٢ : ٧٣ و١٤٧ و٢٨٩ و٣٢١) و (٣ : ٩ و٤٣ و٥٦ و٧٣ و١٠١ و١٢١ و١٣٧ و١٦٩ و٢٠٣ و٢٤٣ و٢٦٨ و٢٨٠ و٣٢٧) و (٤ : ١٤٧ و١٩٥ و٢٧٠ و٣٨٨) .

آراء وافكار

كلفة (Revient)

جاء في الكتاب الآتي من احد اساتذة التعليم في حماه ونصه بعد المقدمة :

« لم أعثر في المعاجم على كلمة عربية تفيد ثمن الشراء مع المصروف عوضاً عن الكلمة العامية وهي (كالْف) بحيث تقابل كلمة (Revient) في اللغة الافرنسية . وستكون هذه الكلمة عنواناً لبحث في (الحساب) كما يأتي :

ثمن الشراء	Prix d'achat
ثمن ...	Prix de revient
ثمن البيع	Prix de vente

ارجو ان تتكرموا بافادتي ولحضرتكم الشكر . (ص . ع)

فأجبته بما يلي :

لا ارى مانعاً من استعمال كلمة (كلفة) مقابل كلمة (Revient) الافرنسية وهي التي يُراد بها الكلفة الأصلية للمتاع او الأداة المصنوعين في المعمل . اما مقابل كلمة (Prix de vente) الافرنسية فتستعمل كلمة (كلفة البيع) المركبة او كلمة (السعر) المفردة : فان السلعة مادامت في السوق ولم يشترها المستهلك فقيمتها (سعر) يصعد ويهبط حتى اذا اشتراها المستهلك كان ما أداه الى البائع هو (الثمن) .

إذن لنا ثلاث كلمات مركبات ومفردات وافرنسيات فلنعرضها على هذه الصورة .

Prix de revient تقابلها (الكلفة) مفردة او (الكلفة الأصلية) مركبة
Prix de vente يقابلها (سعر) مفردة او (كلفة البيع) مركبة
Prix d'achat يقابلها (ثمن) مفردة او (كلفة الشراء) مركبة

وكلمة (كُلفة) ليست عامية محضة كما يظن بل لها اصل في العربية . فان معناها فيها هو (ما تكلفته من نائبةٍ اوحق) اي ما أديته الى غيرك بحق او بغير حق : كأن يكون المؤدى ضريبة اوغرامة وهذا هوالمراد بالنائبة لغةً .

وبالجملة فان كلمة (كلفة) تصلح لان تستعمل مكان (Prix de revient) — لأنها عربية الأصل — ولأنها مفردة فهي أخف وأحق بالاستعمال — ولأنها شائعة بين الناس وهذا مما يشفع بها .

وفوق ذلك كله فان لها مشتقات وسُلالة : يقال (كأّفه) (يكلفه) (تكليفاً) و (مكاّ ِف) و (مكاَّف) الخ .

هذا رأيي في هذه الكلمة فان أعجبتك فأثبتها في (الحساب) والا فانبذها وراء الأبواب .

المغربي

حول كتاب (تتمة اليتيمة)

كتب الينا الاستاذ عبد العزيز الميمني عضو مجمعنا العلمي وأستاذ الآداب العربية بجامعة عليكره في الهند ما يلي :

اطلعت في الجزئين الأخيرين من مجلة المجمع على ما كتبه الخوري جرجس منش بشأن كتاب (تتمة اليتيمة) وأزيد عليه انه يوجد منه نسخة جميلة كاملة في خزانة باريز . وان الدكتور محمد اقبال الاستاذ بجامعة بنجاب في لاهور ومصحح كتاب (راحة الصدور) تاريخ السلاجقة الذي نشرته لجنة (تذكار جيب) بلندره — كتب نسخة من كتاب (تتمة اليتيمة) المحفوظ في خزانة باريز وهو يريد ان يصححها ثم يطبعها ولكنه فيما علمت لا يمكنه انجاز ذلك بسرعة وقد أحلت على هذه النسخة في هوامش مصنفي الجديد (ابي العلاء) .

قال : وأزيد على مقال السيد عبدالله مخلص المنشور في مجلة المجمع (ص ٥٥٢ — ٥٥٣ مجلد ٧) ما يلي : « نعم طبع طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي عن نسخة خزانة مصر المحفوظ أصلها بالمدينة المنورة — لا عن طبعة مصر وقد كان ذلك بليدن سنة ١٩١٣ وبعناية المستشرق يوسف هيل والموجود في خزانة الآباء اليسوعيين ببيروت ليس الاطبقات ابن قتيبة لا طبقات ابي عبيدة كما وهم المرحوم جرجي زيدان ·

قال : « وجاء في حاشية ص ٥٣٢ ما نصه : (وروى في مجلة المجمع : المداني) وصوابه الداني لا غير وانظر ترجمته في حاشية كتابنا (ابي العلاء) ص ٥٥ ·

قال : وطبع الاستاذ محمد بهجة الاثري البغدادي كتاب ابن الجوزي في مناقب بغداد عن نسخة العلامة احمد تيمور باشا وكتب في مقدمته ما نصه :

« هذا وان نسبة هذه الرسالة الى الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي لست بواثق بها ولا جازم بصحتها فقد راجعت ما بين يدي من الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكر ان فيها ما ينيف على مائة كتاب فلم أر بينها لهذه الرسالة ذكراً وقد يجوز ان يكون من ترجمه لم يقف عليها او لم يسمع بها فأغفلها والله أعلم » · أقول وقد وقفت على ان نسبتها الى ابن الجوزي صحيحة وذلك في (رقم الحلل) للوزير لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٨ حيث ذكر ولاية المقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي · وقال : « وولي المقتفي محمد بن المستظهر وقارب الاستبداد وقد مات التركي امير الجيوش سنجير وأظهر العدل حكى ذلك ابو الفرج الجوزي في مناقب بغداد » · ولكني لم أجد هذا في هذا المطبوع ولعل في النسخة نقصاً · وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (الجزء المطبوع في شيكاغو ص ٣١٢) ايضاً حيث عدد صاحبه تآليف جده قال وهو مجلد · ولم أر لابن الجوزي ترجمة أوفى من ترجمة سبطه له فقد أفاض فيها القول وأطلق عنان القلم من ص ٣١٠ الى ص ٣٢٦ اهـ ·

نفائس التكية الاخلاصية بحلب

من جملة المكاتب التي وقفت عليها في مدينة حلب مكتبة التكية الاخلاصية الكائنة في محلة البياضة عند بني الشيخ محمد بهاء الدين الرفاعي فرأيت فيها كثيراً من الكتب النفيسة والنادرة الوجود فأحببت ان أتحف مجلة المجمع بما وقع عليه اختياري من هذه المكتبة وذلك :

« في علم التفسير »

(١) = النصف الثاني من تفسير الثعلبي من سورة الكهف الى الآخر مجلد فرغ كاتبه من نسخه بمكة سنة ٥٥١ وهو ابراهيم بن ميخا بن ابراهيم ·

« في علم الحديث ورجاله »

(٢) = الاول من معالم السنن للخطابي بخط البخشي احد مشايخ التكية الاخلاصية ·

(٣) = الاحكام لأحاديث الالمام تأليف ابي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي والاصل لابن دقيق العيد ·

(٤) = مختصر موضوعات ابن الجوزي للبدر بن سلامة بخط العلامة ابي ذر ابن الحافظ البرهان الحلبي ·

(٥) = تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ·

(٦) = المعرفة والمدخل في علم الحديث للحاكم · محرر سنة ٨١١ ومن هذا الكتاب نسخة في الظاهرية بدمشق ·

(٧) = الكاشف في معرفة من له ذكر في الكتب الستة للحافظ الذهبي · محرر سنة ٨٨٩ جزء تام ·

(٨) = ثبت الشيخ محمد بن عقيلة المكي وعليه خطه مجيزاً به للشيخ عبد الله البخشي ·

(٩) = ثبت الشيخ حسن العجيمي ·

(١٠) = كتاب الفاصل بين الراوي والواعي للحافظ الرامهرمزي والنسخة نفيسة جداً عليها خطوط كثير من العلماء منهم الامام ابو الوليد بن الشحنة والحافظ البرهان الحلبي ·

(١١) = الجزء الاول من كتاب مشتبه النسبة في رجال الحديث تأليف الحافظ

عبد الغني بن سعيد الأزدي ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق ٠

(١٢) = كتاب التقييد والايضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح في علم مصطلح الحديث تأليف الحافظ العراقي بخط الحافظ بن حجر العسقلاني حرره في عدن سنة ٨٠٦ ٠

(١٣) = غاية السول في خصائص الرسول تأليف ابي الحسن علي الاندلسي الشهير بابن الملقف ومعه الامتاع بحكم السماع للعلامة الخيضري وغير ذلك ٠

(١٤) = ذيل الكاشف للذهبي الحافظ العراقي بخطه كتب سنة ٨٠٥ ذكر فيه من تركه الذهبي من كتاب التهذيب للمزي ٠

(١٥) = الجزء الثاني والثالث من مختصر تهذيب الكمال اختصار الشيخ الخطيب القرصي والجزء الثاني انخرم منه الصحيفة الاولى ٠

« في علم الاصول والكلام »

(١٦) = شرح معالم اصول الفقه لابن الخطيب الشارح ابو محمد عبد الله بن محمد الفهري التلمساني محرر سنة ٦٦٤ وهي نسخة نفيسة جداً ٠

(١٧) = شرح لمع الأدلة في قواعد اهل السنة لشرف الدين ابي محمد عبد الله الفهري التلمساني ٠

(١٨) = كتاب لمع الأدلة في أصول الدين لامام الحرمين ٠

(١٩) = المستصفى في الاصول لحجة الاسلام الغزالي ٠ (مطبوع)

(٢٠) = قواعد الامام الزركشي مجلد ضخم نسخة نفيسة جداً ٠

(٢١) = معالم أصول الدين للفخر الرازي ٠

(٢٢) = مجموع فيه رسالة الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري للشيخ عبد الغني النابلسي في (٨) ورقات وغير ذلك ٠

(٢٣) مجموع فيه الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (مطبوع) وكتاب قواصم شبه الملاحدة ومسألة في الرد على المجبرة ٠

(٢٤) = رسائل العلامة محمد الديباجي بخطه وهي ١٣ رسالة اولها البيان الجميل لمحاسن القرآن الجليل ٠

(٢٥) = شرح جمع الجوامع للمحلي بخط الحسين بن محمد الشحنة محرر سنة ٨٩٢

« في الفقه الحنفي والشافعي »

(٢٦) = المجموع المذهب في قواعد المذهب لصلاح الدين ابي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي مجلد ضخم محرر سنة ٨٦٠ .

(٢٧) = نصاب الاحتساب لعمر بن عوض .

(٢٨) = شرح منظومة النسفي في الخلافيات لمحمد بن محمد اللؤلؤي .

(٢٩) = الجزء الثاني والثالث والرابع من الفتاوى التاتارخانيه . (حنفي)

(٣٠) = الاول والثاني من بدائع الصنائع . (حنفي)

(٣١) = منظومة ابن الشحنة في الفقه .

(٣٢) = سيف النصر في فتاوى أئمة العصر للشيخ ابراهيم بن احمد الملا الحلبي بخطه .

« في النحو والأدب والتصوف وغير ذلك »

(٣٣) = شرح المفصل لمظهر الدين محمد كتب في آخره انه فرغ من تأليفه سنة ٦٥٩ .

(٣٤) = شرح تائية ابن الفارض لعز الدين محمود الكاشي نسخة نفيسة .

(٣٥) = فاتحة العلوم للغزالي .

(٣٦) = مجموع فيه أرجوزة تشتمل على الظاء والضاد نظمت في عون الدين بن هبيرة الوزير — كنت كتبت عنها — وفيه مثلثات قطرب ، مثلثات الازهري ، مثلثات العجلوني ، تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر ، التبيين لاسماء المدلسين ، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال انه مخضرم ، الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ، الثلاثة للحافظ البرهان الحلبي بخط ابن النصيبي .

« في التاريخ »

(٣٧) = كتاب القصد والامم في التعريف بانساب العرب والعجم للحافظ بن عبد البر كتاب صغير .

(٣٨) = اللباب في معرفة الانساب تأليف النسابة ابي الحسن بن ابراهيم الاشعري .

(٣٩) = لب اللباب في معرفة الأنساب للحافظ السيوطي . (مطبوع)

(٤٠) = طبقات الحنفية المسماة (تاج التراجم) لابن قطلوبغا • (مطبوع)

(٤١) = طبقات القراء للحافظ الذهبي كتب في القرن التاسع •

(٤٢) = الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية •

(٤٣) = تذكرة الصحابة في شعراء الصحابة للشيخ عبدالله بن محمد البخشي بخط مصنفه اخترمته المنية قبل اتمامه وبقي في المسودة •

عضو المجمع العلمي العربي

محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

دروس في صناعة الانشاء

« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ عز الدين علم الدين وقد طبع في مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٧ م وصفحاته ١٦٦ صفحة

مصنف هذا الكتاب عضو من أعضاء مجمعنا العلمي ومن شبان العرب الذين ضربوا بسهم في توفير أسباب نهضتنا السياسية والعلمية • وهو اليوم مكبٌ على التعليم في مدارس بغداد العالية • ومع هذا نراه لا يألو في وضع المصنفات في الفنون المختلفة مما يرى الطلاب في حاجة اليه : صنف في السنة الماضية كتابه المشهور في الطبيعيات الذي سماه (الفيزياء) ثم لما وُكل اليه امر تدريس الآداب العربية والانشاء في مدرسة دار المعلمين وضع هذا الكتاب الجديد وسماه (دروس في صناعة الانشاء) •

والتأليف في هذا الفن حديث النشأة في بلادنا العربية • وأشهر طرائق أسلافنا في تعليم هذا الفن انهم يروّون الطلاب كلام البلغاء نظماً ونثراً و يشربون قلوبهم معنى مارووا وحفظوا ثم هم بعد ذلك يحملونهم على التحدي والكتابة والنظم عملاً حتى يهتدي الى الاجادة فيهما من ركّب الله فيه استعداداً لها • وأشهر المؤلفين على هذه الطريقة ضياء الدين بن الأثير • وأشهر آثاره فيها كتاباه المتمان احدهما كبير وهو الذي

(٤٠) = طبقات الحنفية المسماة (تاج التراجم) لابن قطلوبغا . (مطبوع)

(٤١) = طبقات القراء للحافظ الذهبي كتب في القرن التاسع .

(٤٢) = الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية .

(٤٣) = تذكرة الصحابة في شعراء الصحابة للشيخ عبدالله بن محمد البخشي بخط مصنفه اخترمته المنية قبل اتمامه وبقي في المسودة .

عضو المجمع العلمي العربي

محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

دروس في صناعة الانشاء

« الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ عز الدين علم الدين وقد طبع في مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٧ م وصفحاته ١٦٦ صفحة

مصنف هذا الكتاب عضو من أعضاء مجمعنا العلمي ومن شبان العرب الذين ضربوا بسهم في توفير أسباب نهضتنا السياسية والعلمية . وهو اليوم مكب على التعليم في مدارس بغداد العالية . ومع هذا نراه لا يألو في وضع المصنفات في الفنون المختلفة مما يرى الطلاب في حاجة اليه : صنف في السنة الماضية كتابه المشهور في الطبيعيات الذي سماه (الفيزياء) ثم لما وُكل اليه امر تدريس الآداب العربية والانشاء في مدرسة دار المعلمين وضع هذا الكتاب الجديد وسماه (دروس في صناعة الانشاء) .

والتأليف في هذا الفن حديث النشأة في بلادنا العربية . وأشهر طرائق أسلافنا في تعليم هذا الفن انهم يروّون الطلاب كلام البلغاء نظماً ونثراً و يشربون قلوبهم معنى ما رووا وحفظوا ثم هم بعد ذلك يحملونهم على التحدي والكتابة والنظم عملاً حتى يهتدي الى الاجادة فيهما من ركّب الله فيه استعداداً لها . وأشهر المؤلفين على هذه الطريقة ضياء الدين بن الأثير . وأشهر آثاره فيها كتاباه الممتعان احدهما كبير وهو الذي

سماه (المثل السائر) والآخر صغير وقد سماه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) .

وقد انتبه أساتذة الآداب العربية في مصر الى وجوب التصنيف في فن الانشاء على طريقة حديثة عملية تشبه في تنسيقها وترتيبها وتمارينها كتب التدريس في الفنون المصرية المختلفة . وقد رأينا بعضهم وضعوا كتبهم هذه من عند أنفسهم غير معوّلين على ماألفه كتبة الافرنج في هذا الموضوع . اما الاستاذ عزالدين مصنف هذا الكتاب فقد رأى ان يستعين بما كتبه الافرنج فظفر بكتاب لمؤلف كبير معدود في قومه من أساتذة الأدب والانشاء فجعله عمدته في وضع كتابه العربي وقد قال في هذا الصدد ما نصه : « فاتخذته قدوتي في إنشاء أبحاث هذا التصنيف وترتيب فصوله وفقراته . واقتبست من آرائه الصحيحة ونصائحه الهادية ما يتفق مع بلاغتنا او يمت اليهـا بسبب » .

وقدوفى المصنف ماوعد به فكان يقتبس من كتاب (المثل السائر) وغيره من أمهات كتب الأدب العربي أطواقاً وقلائد حلى بها جيد ماترجمه من كتاب (مور يس غوريس) وقد أصبح كتابه بذلك مجمع البحرين . وملتقى الأدبين . الفائز بالحسنيين .

ومن تصفح هذا الكتاب والكتب التي صنفها الاساتذة المصريون في هذا الفن قد يلاحظ ان مصنفينا الجدد فريقان : فريق يرى ان إنشاءنا العربي وطرائقه والاركان التي يبني عليها — مغايرة في الجملة للانشاء في اللغات الافرنجية . فالواجب إذن ان نضع كتباً مستأنفة في لغتنا العربية نعتمد فيها على ذوقنا الخاص غير معوّلين على ما كتبه الافرنج . وفريق آخر ومنهم على ما يظهر مصنف (دروس في الإنشاء) يرى ان نعتمد في بادئ الامر على ما كتبه الافرنج في هذا الفن : فنسلك مسالكهم . ونتحدّى طرائقهم . ونقتبس اصطلاحاتهم وتقسيماتهم . وهو ما صنعـه الاستاذ عزالدين في كتابه مذ اعتمد على ماصنفه (مور يس غور يس) .

فبهذا الاعتبار كان كتاب (دروس في الانشاء) اول كتاب صنف في هذا الفن بلغتنا العربيـة على ما أظن . ومن ثم كان فيه عناوين جديدة واصطلاحات جديدة وتقاسيم جديدة وطرائق في إحكام ملكة الإنشاء جديدة : فالذي لا يعرف لغةاجنبية من أساتذة هذا الفن قد يصعب عليه في اول الامر فهم اصطلاحات هذا الكتاب .

وتعقل طرائقه . حتى اذا أطال نظره فيه أنس بها . وتفتحت له مغالقها . وكان له ما شاء من مادة للتدريس غزيرة . وفائدة في هذا الفن بالقبول جديرة .

وقد ركّب المصنف هذا الجزء الاول من كتابه على جزئين ايضاً : (الجزء الاول) في (الاستعداد العام) وينطوي تحته من المباحث (فائدة عمل الانشاء) (الأصول العامة للانشاء) (الاستعداد بالمطالعة) (الثقافة الأدبية بالمطالعة) الخ . وعنون (الجزء الثاني) بقوله : (نصائح عامة) وطوى تحته من الأبحاث ما يلي :

(تحرّي المعاني) (طريقة العثور على الخواطر) (استنباط المعاني والخطة) (البسط) (بناء الجملة) (تصحيح المنشآت) الخ . وكل بحث من أبحاث الجزئين يحتوي على مباحث فرعية ومسائل جزئية وهو لا يدع مبحثاً مالم يعقبه باسئلة ثم تمارين تزيد البحث وضوحاً . والطلاب تبصراً ورسوخاً . إذ ان مجرد حفظ القواعد لا يفيد كما قال الفيلسوف (كانت) : — « اذا حفظ الانسان قواعد علم من العلوم وعجز عن تطبيقها لا يكون عالماً بذلك العلم » وهذا ما راعاه المؤلف في مصنفه الجديد فهو قد اكثر من سرد الاسئلة والتمارين لما ذكرنا من السبب .

واذ كان هذا الفن حديث النشأة كما قلنا وكان مصنف هذا الكتاب قد احتذي مثال (موريس غوريس) في كتابه كان مضطراً بالطبع الى وضع او ترجمة كلمات جديدة في لغتنا العربية مما يتعلق بفن الانشاء . فوضع :

كلمة (الحرث) ردفاً لكلمة (الثقافة) الشائعة .

وكلمة (السليقي والسليقيّة) مكان (الطبَعي والطبَعية) او (الطّبيعي والطبيعية) .

و (الانطباعات) مكان الانفعالات : Impressions

و (الأُوَينات) بالتصغير ترجمة لكلمة : Nuances

و (رتيبة) لكلمة : Monotones

و (الكفالة والكفيل) لكلمتي : Pension, Pensionnaire

و (الاستخطار) بمعنى تداعي الخواطر او اشتراك الخواطر .

و (النصيبة) مكان (ورقة اليانصيب) .

وغير ذلك مما لا يحلو بعضه في ذوق الكثيرين في اول الأمر ويرون غيره

جدر بالاستعمال منه . ولكن الزمان كفيل بالغربلة والتمحيص واختيار ما هو الأليق والأنسب . هذا وانا انرحب بهذا المصنف الجديد شاكرين لمؤلفه الفاضل جهوده في خدمة الأدب. ونهضة العرب .

المغربي

اردشير وحياة النفوس

« اوبرا خيالية للدكتور احمد زكي ابوشادي طبعت في المطبعة السلفية »
« بمصر ص ١٥٢ »

ناظم هذه الاوبرا الاستاذ احمد زكي ابو شادي بك من شعراء مصر الذين تشبعوا بالأدب الانكليزي ، واخذوا يطرسون على آثاره بلغتنا . وقد نظم في موضوعات كثيرة يستملحها ويتذوقها شباب العرب . و«الاوبرا» ضرب من ضروب التطور في الموسيقى ولذلك كانت « آخر أنواع التآليف المسرحية في الظهور في مصر لاعتمادها على فن آخر لاقيام لها بدونه » . وقد اخذ الشاعر موضوع هذه القصة من أسطورة وردت في كتاب الف ليلة وليلة . وشكا من كون الملحنين يرزقون في مصر لتلحين مثل هذه الاوبرا الخمسمائة جنيه ، ولا يكافأ واضعها عشر مايقبضون . ولعل الزمن الذي يوسع فيه على المؤلفين في هذا الشأن ، لايطول كثيراً خصوصاً اذا جوّدوا كما يجود أقرانهم في الغرب . وكان الكتاب والمؤلفون بالعربية قبل عهدنا هذا يتضورون جوعاً ، وقد ارتاش اليوم المجيدون منهم ، ولا يزالون على ارتقاء وكما رقيت الامة رقوا هم برقيها ، فلا يشقن ذلك على البادئين . وقد أحسن الشاعر باهداء هذه الاوبرا الى روح المرحوم الشيخ سعيد درويش نابغة الموسيقى المصرية .

م . ك

وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية

« عن افريقية الشرقية »

تأليف المسيو جيان نقله الى العربية ملخصاً الامير يوسف كمال . الطبعة الاولى بالقاهرة في سنة ١٣٤٥ هجرية (سنة ١٩٢٧) ص ٥١٩

معرب هذا الكتاب لا يحتاج الى تعريف عند المصريين وغير المصريين بحسناته على العلم والفنون الجميلة وهو اليوم آخذ بنشر مصنفه البديع الذي أسماه « المجموعة الكمالية في جغرافية مصر والقارة الافريقية » يطبعه في ليدن من بلاد القاع . وقد صدر الجزء الاول على طريقة تأخذ بمجامع القلوب . وسيطرد طبع الاجزاء الاخرى فتدخل مجموعته في عشرة مجلدات ضخمة بحجمها وكثرة تحقيقها ولم يطبع منه سوى مئة نسخة . والمؤلف لا يقتنع برؤية النصوص ونقلها على ماجرت عليه عادة معظم الباحثين بل يسيح بنفسه الى البلاد التي يريد تحقيق جغرافيتها وتاريخها وحيوانهـا ونباتهـا . وما نظن عربياً يعرف قارة إفريقية مثله . فقد توغل في أقطارها النائية الى اماكن لم يكد يبلغها احد من الجنس الابيض . ووثائقه هذه التي نحن في صدد الكلام عليها ، نموذج من علمه وعمله . ولا عجب اذا غبطه على ماوفق اليه أعاظم سياح العصر وأفاضل علمائها اهل الاخصاء .

ألف المؤلف الفرنسي كتابه في سنة ١٨٥٦ م في ثلاثة مجلدات كبار وكان من ربابنة البحار وتكلم عن علم على عصر ما قبل التاريخ وعلى العرب واليهود والفينيقيين في سواحل إفريقية الشرقية ورحلة هانون السائح القرطاجي ثم على العصر الروماني اليوناني ويدخل فيه صلات الملاحين اليونان والرومان بسواحل شرق إفريقيـة وجاء بعد الى الدور الاسلامي فأفاض في انشـاء العرب ممالك مستقلة صغيرة على سواحل إفريقية الشرقية وانتقل بعد ذلك الى العهد البرتغالي وكيف أقاموا حكمهم على تلك السواحل ثم كيف انتزع عرب عمان الحكم من البرتغاليين من رأس دلجادو الى غردفون. نقل المعرب كل هذا بعبارة منجاس خلال الديار وعرف منها الغامر والعامر في هذه الأعصار . ولا برهان على هذا القول اصدق من تلك التمـاليق التي

وشح بها اواخر الكتاب وذكر الامصار التي ورد ذكرها في المتن وارجعها الى اصولها العربية ببحث دل على طول نفس وتلذذ بخدمة العلم . و يا حبذا لواعتمد كتاب الصحف على رسم الأعلام عين الصورة التي اختارها الناقل الباحث لها من كتب العرب والافرنج . فيقول « المعبر » لما نعرفه باسم « مليبار » « ملعقة » بدلاً من « ملقا » « سمطرة » او « شمطرة » اكبر جزيرة من مجموعة جزر « السوندة » « سفالة » لا « سوفالا » «موسامبيق» لا «موزنبيق» « سبية » بوزن ظبية قرية بالرملة من ارض فلسطين وهي بلد قديم ولعلها كانت في موقع بئر سبع وكانت في العهد القديم مزدهرة بتجارتها والنسبة اليها سبي ورد ذكرها في التوراة و يقال لاها السبييون (Sabéens) ومنها منبسة بدلاً مومبازا . ملايو بدل ماليزيا . ملوقة (Les Moluques) مدغشقر = مدغسكر . وشمطره = سمطره . بنقالة = بنغال . كمران = قمران . وهناك عشرات من اعلام المدن والأشخاص التي حلها في آخر الكتاب احسن حل .

والكتاب على مافيه من الوثائق العلمية يُسلي القارئ بما فيه من الوقائع التاريخية المملوءة بالعبر مما لم يكن معروفاً بالعربية قبل ان تصح عزيمة حفيد محمد علي الكبير على نقله . ولمثل هذا فليعمل الامراء بدون ضجة ولا ضوضاء .

محمد كرد علي

الدين والتعصب

« بقلم السيد أسبر الفريّب صاحب مجلة الشمس الجزء الاول ص ١٧٨ »

هذا كتاب من كتب الثورة على رجال الدين توخى فيه الاستاذ مؤلفه اسداء النصح لبعض العابثين بالدين وهو « لا نعارض الدين ولا نعاكسه بل ندعو الناس الى التمسك بجوهره والعمل بشرائعه ليصير المسيحي مسيحياً بالفعل والمسلم مسلماً بالفعل» وقد تعرض المؤلف للارض وتكوينها واصل الرجل وتحول الحيوان وللحياة والجاذبية وللافلاك وخلق العالم ثم انتقل الى بيان حالة المذهب البابوي مما سيكون له تأثير في نفوس بعض رجال الدين لانهم لا يوافقون على بعض مبادئه فله الشكر على همته وحريته .

م . ك

مجلة التربية والتعليم

« مؤسسها ابو خلدون السيد ساطع الحصري تطبع في مطبعة دار السلام »
« ببغداد وتصدر كل شهر في ٦٤ ص مصورة ومعها ملحق عملي في ٢٤ »

مؤسس هذه المجلة من أعظم الاخصائيين في فن التربية والتعليم ، وقد كتب فيه كثيراً باللغة التركية ، ومنذ خرجت البلاد العربية عن حكم الترك اخذ يكتب بالعربية لغته الاصلية ، وقد قرأنا في مجلته هذه أبحاثاً وأخباراً وأفكاراً في هذا الفن الجليل لا يسع من يتعاطى التعليم او يمتّ للعلم بسبب الا ان يستفيد منها ، وممن يعاون الاستاذ مؤسس هذه الصحيفة رصيفانا وصديقانا الاستاذان السيدان معروف الرصافي وعز الدين علم الدين التنوخي فعساهما يعنيان بلغة المجلة اكثر من ذلك حتى تخرج نقية جميلة من كل وجه ·   م · ك

مهاتما غاندي

« تأليف رومن رولان ، ترجمة السيد عمر فاخوري ، أهدته مجلة الكشاف »
« البيروتية لقرائها سنة ١٩٢٧ طبع في (مطبعة وزنكوغراف) طبارة »
« في بيروت ص ١٥٣ »

مؤلف هذا الكتاب رومن رولان من كبار كتاب فرنسا « من اولئك الاوربيين الأخيار الذين أطلقوا نفوسهم من رق التعصب القومي وجعلوها خالصة لخدمة الانسانية جمعاء » وهذا السفر في حياة فيلسوف الهند المعاصر غاندي ، مما ينمّ عليه و يرفع منزلته بين الغربيين والشرقيين ، لم يترك شيئاً من حياة هذا العظيم الا وفاه حقه من الوصف مشفوعاً بآراء مترجمه وأقواله مما يلذ القارئ ويتعلم به حكمة وعظة وادباً · وقد أجاد رصيفنا الاستاذ فاخوري في تعريبه الكتاب ، وكنا نود لو نظر في الاعلام الهندية وأرجعها الى أصلها كما يرسمها الهنود أنفسهم وعساه يفعل في الطبعة الثانية ·

م · ك

الثورة الافرنسية

« طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »

هو كتاب بقطع الثمن نظيف الطبع سلس العبارة حسن التبويب متين التركيب محلى بعدد من الرسوم الموافقة للموضوع · وضعه السيد حسن جلال رئيس ديوان وزارة الحربية المصرية واحد أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ·

لم يقف المؤلف عند حد جمع حوادث الثورة الافرنسية بل راعى في كتابه هذا جملة اعتبارات أهمها انه جعله وحدة مستقلة لا تستدعي ممن يطالعه ان يراجع غيره ليستوضح غموضاً او يكمل نقصاً · وهذا التأليف اول حلقة من سلسلة كتب تتناول مختلف الموضوعات التي قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية ان تخرجها تباعاً بعد ان عنيت باخراج عدة كتب مدرسية محضة · بدأ المؤلف بتعريف الثورة وشرح أنواعها حتى تخلص الى ذكر الثورات الافرنسية الثلاث واهمها ثورة ١٤ تموز ١٧٨٩ وهي المقصودة بالذات في هذا الكتاب ، فأبان منشأها وأسبابها وقارن بين حالة فرنسا في ذلك العهد وما كانت عليه من الفوضى في الحكم والبؤس في العامة وبين حالة انكلترا التي كانت تعيش في رخاء وحرية ومساواة بين طبقات الشعب · وشاء ان يبرأ الافرنسيين من حكم الانكليز والالمان عليهم بان ثورتهم « صنف من الجنون تحولت معه فرنسا الى مارستان » فنسب النوبة المغناطيسية التي انتابتهم في هذه الثورة الى النفسية اللاتينية التي وصفها بالخفة وسرعة التأثر وقال انهم ارادوا ان يحكموا على أعمال افرنسية بعقلية انكليزية مع ما هو معروف من البعد بين نفسية الشعوب اللاتينية والشعوب الانكلوسكسونية والتفاوت في عقليتيهما ·

ولكن مع التسليم بهذا التفاوت النفسي لا ينكر حكيم على الانكليز والالمان حكمهم الذي ينطبق على العقل والمنطق · على ان ما انتشر بعد الثورة الافرنسية و بسببها من المبادئ والاصلاحات في العالم أجمع والتي أضحت فيما بعد اساساً لكثير مما حدث بعدها في عموم جهات العالم من حروب وثورات جدير بان يبرّر نوعاً ما ذلك الجنون ولو ان الغاية لا تبرّر الواسطة ·

ويظهر ان المؤلف قرأ تاريخ الثورة الافرنسية في كتب انكليزية حتى دوّن بعض الاعلام الافرنسية على لفظها الانكليزي ، من ذلك تسمية (صفحة ٤٩) أرملة هنري الثاني ملك فرنسا كاترين دي مديشي بدل دي مديسيس . وقوله (في الصفحة نفسها) سانت برثليو بدل سن بارتيلمي . وكامي (ص ١١٠) بدل كاميل . وفلاندرز (ص ١٤٥) بدل فلاندر . وماليشرب (ص ٢٠٣) بدل مالزب . وغير ذلك كثير من هذا النحو نأمل بان يعنى باصلاحه في طبعة ثانية ، اللهم الا اذا اعتذر المؤلف بان هذه الأعلام قد شاعت في بلاد مصر باللفظ الانكليزي .

والكتاب بالاجمال جدير بالقراءة والحفظ في الخزائن الخاصة والعامة لما فيه من الأمثولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المفيدة .

عضو المجمع العلمي العربي
عبد الله رعد

تاريخ الديون العامة العثمانية

هو كتاب نفيس بهذا الموضوع جمعه الشاب الأديب السيد اديب روماني باللغة الافرنسية وجعله أُطروحته لنيل رتبة العالية (الدكتوراه) في الحقوق من جامعة باريس . يحتوي على ٣٣٠ صفحة بطبع جيد تناول فيه وصف حالة الدولة عند نشوء الديون العامة في أواسط القرن التاسع عشر ، ثم تتبع القروض التي عقدتها الواحد تلو الآخر الى مبدإ الحرب العامة مع بيان شرائط كل قرض منها وقواعد توحيد الدين وأساليب الوفاء . وقد استند في مآخذه على ما كتبه المؤلفون والماليون الاوربيون في هذا الباب بدون رجوع الى أقوال علماء العثمانيين انفسهم . ويا ليت شباننا الدارسين في اوربا يجعلون أطروحاتهم في مواضيع شرقية مجهولة عند الافرنج يستخرجون موادها من المؤلفات والمآخذ العربية والتركية ليوقفوا قراء الافرنسية على ما عندنا من اصول الفقه وتاريخ السياسة وأحكام الشرع وأساليب الادارة وبهذه الوسيلة يعرّفون الغربيين ما في الشرق من علم وعرفان والمباحث المرغوب بها في هذا

الباب كثيرة يمكنهم طرقها ووضع المؤلفات فيها باللغة الافرنسية مثل أحكام الوقف ، والوصية ، والحجر ، والنفقـة ، وحقوق الزوجات ، واحكام الطلاق ، والوصي ، والفرائض ، وخراج الارض ، وبيت المال ، والقضاء وأمثال ذلك من الأبحاث التي يصلح كل منها ان يفرد له كتاب خاص تكون له قيمته عند الغربيين بما يوقفهم على مبلغ الشرقيين من المدنيـة والعلم والعدل : وعلى كل حال فان جهود المؤلف السيد اديب مقدورة قدرها في هذا السفر القيم بما جمعه من الحقائق التي يجدر بمن يهمهم الامر ان يطلعوا عليها . (ف)

ديوان

« شمس الدين محمد حافظ ترجمـه الى الافرنسية نظماً الاستاذ ارتوركي »
« قنصل فرنسا العام وعضو المجمع العلمي العربي طبع بباريز سنة ١٩٢٧ »
« وعدد صفحاته ٢٧٨ »

Arthur Guy : Ghazels de Chems ed Din Mohammed Hafiz T.I (Paris 1927)

ان علماء المشرقيات في الغرب يأتون كل يوم بعمل صالح يقدمونه الى ابناء جلدتهم وفي طليعة هؤلاء الاستاذ (ارتوركي) مترجم ديوان الشاعر الفارسي شمس الدين محمد حافظ المتوفى سنة ٧٩١ هـ في شيراز . ترجمه نظماً الى الافرنسية وافتتحه بمقدمة مسهبة ذكر فيها زبدة ما وقف عليه من ترجمة الحافظ والبيئة التي عاش فيها واستفاد الاستاذ من النسخة التركية لمترجمها (سودي) وقد أثبت بعض هذه الترجمة في حاشية كتابه . فيكون الاستاذ اول من نقل الى الافرنسية شيئاً عن هـذا الأديب الشرقي الذي قدره الغرب منذ سنة ١٦٨٠ حين ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية ثم الى الانكليزية والالمانيـة ، فلا عجب اذا قام الاستاذ بهذا العمل الشـاق ليتحف قومه بما فات اسلافهم من بليغ الشعر الفارسي الذي كان له التأثير العظيم على الادب الغربي وخصوصاً على الشاعر الالماني غوته (Gœthe) . جعفر الحسني

كتب ورسائل مختلفة

(١) الكافي في اللغة الفرنسوية تأليف الاستاذ احمد ابو الخضر منسى (الجزء الاول ص ٣٣٦) و (الجزء الثاني ص ١٧٥) طبعا في مطبعة الاعتماد في مصر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٣ و١٣٤٤ — ١٩٢٦ ٠

(٢) المستغرب للمؤلف المو ما اليه طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ص ١٦٦ ٠

(٣) اربع محاضرات في التربية في انجلترا واميركا ومقارنتها بالتربية عند الامم اللاتينية القاها الاستاذ احمد فهمي بك العمروسي الطبعة الثانية في مطبعة مصر ص ١٣٣ ٠

(٤) محاضرة في تربية الذوق السليم واثر الفنون الجميلة فيها للاستاذ احمد فهمي العمروسي بك مصورة ص٣٢ بمطبعة النهضة بمصر ٠

(٥) نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر تأليف الاستاذ السيد توفيق اسكاروس ٠ جزآن طبعا في مطبعة التوفيق الاول سنة ١٩١٠ والثاني سنة ١٩١٣ الاول في ٣٦٨ ص والثاني في ٣٥٢ ٠

(٦) الفنون الجميلة قديمًا وحديثًا — التصوير ، تأليف الاستاذ السيد احمد يوسف طبع بمطبعة المعاهد سنة ١٣٤١ — ١٩٢٢ ص٢٨٧ ٠

(٧) تاريخ الموصل لمؤلفه القس سليمان صائغ الموصلي الجزء الاول طبع بالمطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢ — ١٩٢٣ ص ٣٦١ ٠

(٨) حديث المائدة كتاب اجتماعي اخلاقي ادبي فلسفي عربه عن الانجليزية السيد توفيق زهرة ونشرته مجلة الزهرة في حيفا وطبع بمطبعتها ص ١٧١ ٠

(٩) رواية سجين القصر بقلم السيد جميل البحري طبعة ثانية في مطبعة الزهرة بحيفا ص ٧٨ ٠

(١٠) القانون الاساسي لجمعية الشبان المسلمين الطبعة الثانية بالقاهرة في سنة ١٣٤٦ طبع بالمطبعة السلفية ٠

(١١) حساب الخزينة العام لخزينة دولة سورية لسنة ١٩٢٥ ص ٧٤ ٠

(١٢) مجموعة مراثي جان بك مراد الحلبي فيها حياته وأعماله والمراثي التي قيلت فيه ص ٦٧ بالعربية و٥٠ بالفرنسية ·

(١٣) قائمة مكتبة السيد يوسف اليان سركيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٨ طبعت بمطبعة سركيس بمصر ·

(١٤) ضابط البوليس ، بحث في حالته الحاضرة وفي اوجه الاصلاح المنشود للسيدين علي حلمي ومحمود علي طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ·

(١٥) « النقد والتزييف » تأليف السيد محمد سعيد الجابي طبع بمطبعة الاصلاح بحماة سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٨ ص ١٩٢ ·

(١٦) مذكرات التاريخ القديم وهي خلاصة الدروس التي ألقاها تأليف السيد متى عقراوي طبعت بمطبعة السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٣٣ ·

(١٧) الهندسة المجسمة تأليف زورز ونتوورث وداويد اوترون سميث نقله الى العربية السيدان علي وجلال امين زريق طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٧ ص ٢١٩ ·

(١٨) الهندسة المستوية تأليف جورج ونتوورث ودافيد اوجين سميث نقله الى العربية السيد علي مدرس الرياضيات في ثانوية بغداد — الجزء الاول طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ١٩٦ ·

(١٩) مبادئ علم الهيأة تصنيف السيد جلال امين زريق طبع بمطبعة دارالسلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٢٧٠ ·

(٢٠) الاناشيد المدرسية الجزء الاول ٣٦ ص الجزء الثاني في ٣١ ص مع تلحينها طبعت بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ·

(٢١) وراء الحقيقة وهو بحث في مطابقة العلم لروح الأديان ومماشاتها لها للسيد نجيب اشعيا طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ص ١٢٠ ·

(٢٢) تاريخ الشيخ ظاهر عمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد تأليف المرحوم مخائيل نقولا الصباغ العكاوي عني بنشره وتعليق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي طبع بمطبعة القديس بولص في حريصا (لبنان) الجزء الثاني ص ١٨٤ ·

الجزء ٧ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٢٨ م الموافق محرم وصفر ١٣٤٧ سنه هـ ٩١

تاريخ نشوء الرجز وتطوره

« أرجوزة ابي النجم العجلي »

لابي النجم العجليّ احد عظماء الرُّجّاز أرجوزة دعاها رؤبة « ام الرجز » نسمع باسمها ولا نرى رسمها . وقد أظفرني بهـا البحث ايام الطلب مكتوبةً على ظهر نسخة من أدب الكاتب لابن قتيبة بخط السيد عمر رمضان الهيتيّ احد اعيان الشعراء في القرن الثالث عشر الهجري ببغداد فكان سروري — يومئذ — بهـا عظيماً فبادرت الى تدوينها في كناشي على نيـة نشرها ... وقد مضى على ذلك زهاء سبع سنين وانا مشغول عنها وعن أمثالها لا أجد في وقتي فراغًا فأعاود النظر فيها وأعلق عليها حتى تفضل أستاذنا العلامة الرئيس الجليل السيد محمد كرد علي فحفزني الى كتابة موضوع يليق نشره في مجلة المجمع العلمي العربي فلم أر شيئًا أجدر بالنشر من هذه الأرجوزة فانهـا طرفة من طرف الأدب العربي الخالد وعلق نفيس يضن به اخو الادب ... وقد بدا لي ان أضع بين يديها بحثًا في تاريخ نشوء الرجز وتطوره ، وتعريفًا لابي النجم : ليكون ذلك أوفى بالغرض الذي أشير به عليّ ، واليك :

***

الشعر معدود من « الآداب الرفيعة » او « الفنون الجميلة » وهو أقدم عهداً لصلته بالشعور والخيال ولعدم احتياجه الى التعمق في العلم والارتقاء في معارج الحضارة . و يرى الباحثون انه هو والموسيقى صنوان من اصل واحد نشآ معًا ونميا معًا

ثم استقل الشعر عن الموسيقى وظلت الموسيقى محتاجة الى الشعر في الغناء ، غير انهم قد اختلفوا في نشأة أوزانه وقوافيه وأقرب ما يسوغ من آرائهم في العقل ان العرب بدأوا بالنثر المرسل وتوصلوا منه الى السجع ومن السجع الى (الرجز) ومنه الى القصيد. وتفصيل ذلك : ان السنة الطبيعية في الاشياء ان تنشأ ناقصة ثم تتكامل و بسيطة ثم تتركب وكلام البشر لم يخرج في تكوّنه عن هذا الناموس . فقد مرت عليه ثلاثة أدوار تدرج فيها بتداول الزمن من حال الى حال حتى ارتقى الى ما هو عليه اليوم : نشأ بسيطاً ساذجاً ملائماً للفطرة الغضة ثم خطا الى السجع ، وهو قطع يكون في آخر كل فقرتين منها او اكثر قافية واحدة ، وبظن ان متغنياً وقعت له قرينتان متواطئتان على حرف واحد فراقه ذلك ومضى فيه حتى تمت له قطعة وقعت في نفوس سامعيها فقلدوه في النطق بما يماثلها وتغنوا بها — والغناء عادة يورث الكلام لحناً خاصاً و يجريه على تقاطيع وتواقيع خاصة — فكان من ذلك (الرجز) يحدون به الابل الرازحة ، و يذكرون به الأوطان النازحة ، وهم على متون العيس يقذفهم فدفد و يتلقفهم فدفد ، ثم توفرت فيهم ملكة الوزن فتعددت الأوزان بتعدد الألحان وأطالوا القوافي وقصدوا القصيد في كل غرض من الأغراض ...

إذن فالرجز هو ولد الوزن البكر : ابوه السجع ، وامه الغناء . و يؤيد ذلك قول الرواة : ان الرجز أقدم الشعر . وفي الحق انه لكذلك : لانه أبسط الأوزان وأخفها على اللسان ، وأجراها مع الطبع وأقربها الى الكلام المنثور واولها انطلاقاً على لسان كل من يبدأ بالنظم حتى لقد سماه الادباء « حمار الشعر » لذلك ...

وكانت العرب تطلق على ما عدا الرجز من الأوزان كلمة (القصيد) يدل على ذلك قول الأغلب العجلي — وقد استنشده المغيرة بن شعبة عامل عمر الفاروق ، رضي الله عنه ، بالكوفة — :

أرجزاً تريد ام قصيدا لقد طلبت هيناً موجودا

وهي لا تعرف شيئاً يقال له الطويل والمديد والوافر والكامل والبسيط والخفيف والهزج والسريع والمضارع والمجتث ... الخ وانما تلك أسماء اصطلح عليها أديب العرب الاكبر الخليل بن احمد حينما استقرى الشعر العربي ووضع فن العروض ، وقد

سأله تلميذه الأخفش بعد ذلك[1] : لمَ سميت الطويل طويلاً ؟ قال : لانه طال بتمام أجزائه . قال : فالبسيط ، قال : لانه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعِلُنْ وآخره فعلن . قال : فالمديد ، قال : لتمدد سباعيّه حول خماسيّه . قال : فالوافر ، قال : لوفور أجزائه وتداً بوتد . قال : فالكامل ، قال : لان فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر . قال : فالهزج ، قال : لانه يضطرب شبه بهزج الصوت . قال : فالرجز ، قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام ! قال : فالرمل ، قال : لانه شبه برمل الحصير لضم بعضه الى بعض . قال : فالسريع ، قال : لانه يسرع على اللسان . قال : فالمنسرح ، قال : لانسراحه وسهولته . قال : فالخفيف ، قال : لانه أخف السباعيات . قال : فالمقتضب ، قال : لانه اقتضب من السريع . قال : فالمضارع ، قال : لانه ضارع المقتضب . قال : فالمجتث ، قال : لانه اجتث اي قُطِعَ من طويل دائرته . قال: فالمتقارب ، قال : لتقارب أجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

وللرواة في ان اول من قال الرجز اقوال متضاربة لا يقرها العقل . فهم يقولون : اول من قاله مضر بن نزار حين سقط من متن الجمل كما نقله عنهم جرجي زيدان وآمن به على علاته[2] ، ثم يعودون فينسبون شيئاً كثيراً من القصيد الى آدم بل الى الملائكة بل الى ابليس والجن . . !

وهذا كما ترى خبط لا يقام له وزن بل هو جدير ان يرمى في سفط السقط او يحشر في جملة الأساطير واحاديث خرافة . والحق الذي لا يمترى فيه ان تعيين اولية الشعر واول الناطقين به امر متعذر لا يستطيع الباحث المحقق ان يقول فيه شيئاً يطمئن اليه ولكن شهادة الحس والوجدان تستطيع ان نقرر ان الرجز هو اول مولود من بحور الشعر العربي دون تعيين زمن او قائل . نقرر شهادة الحس ذلك ونقرره معها حتى ينهض دليل يفندها و يثبت رأياً آخر يقول به . . .

(١) العمدة م ١ ص ٨٩ . (٢) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (ج ١ ص ٨٦) « . . . ولم أعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها . . » .

والمرويّ ان العرب لم يقل احدهم من الرجز في اول عهدها الذي تعرض له التاريخ الا البيتين والثلاثة لا يزيد على ذلك الا نادراً ، وان الشعراء اصحاب القصيد ما كانوا ليعتدّوا بالرجاز و يحفلوا بالرجز حتى نبغ الأغلب العجلي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فطوّله وجعله كالقصيد شيئاً يسيراً ، ثم اتى العجاج ورؤبة وابو النجم ، وهم أمراء الرجز ، فافتنّوا فيه وذهبوا به كل ذهب حتى رفعوا من شأنه وشغفوا النفوس به حباً . عن ابي عبيدة قال[1] : ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال ابو النجم « الحمد لله العلي الأجلل[2] » وقال العجاج « قد جبر الدين الاله فجبر » وقال رؤبة وقاتم الأعماق خاوي المخترق » فانتصفوا منهم .

وقد رأيت للعلماء قديماً وحديثاً عنايةً بالرجز لا تقل عن عنايتهم بالقصيد فقد دوّنوا أراجيز هؤلاء الفحول واضرابهم وحرصوا عليها حرصهم على أنفس الاعلاق بيد ان عوادي الايام لم تبق على كثير من ذلك ، فليس لدينا اليوم الا ديوان العجاج وقد طبع في فينا سنة ١٨٩٦ م ، وديوان رؤبة بن العجاج ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الخديوية في القاهرة ...

وقد نشط احد أدباء مصر المعاصرين لجمع بعض ما تيسر له في كتيب سماه (أراجيز العرب) وطبع سنة ١٣١٢ هـ ، وقرأت في مجلة الزهراء ان للمستشرق رودلف جاير مجموعةً من أراجيز العجاج ورؤبة وذي الرُّمة وجرير وغيرهم دعاها (مشارف الاقاويز) وطبعت في ليبسك سنة ١٩٠٨ م . ولا اعرف غير ذلك .

اما صاحبنا ابو النجم احد الثلاثة الذين انتصفوا للرجاز من الشعراء بلاميته التي نعتها رؤبة «ام الرجز» فلم نجد من مطوّلاته ولا سيما هذه اللامية الا نتفاً في تضاعيف

(١) الأغاني (ج ٩ ص ٧٣) ومعاهد التنصيص (ج ١ ص ٨) .

(٢) من الغريب ان الشيخ (احمد رضا) في مقالته (الغريب الفصيح في العامي) المنشورة في مجلة المجمع العلمي (م ٦ ص ٤٣٤) يعزو هذا المطلع الشهير من ارجوزة ابي النجم العجلي الى رؤبة ... ولعله وقف على شيء لا نعلمه ولا علمه ابو الفرج وعبد الرحيم العباسي بل العشرات المئات من العلماء ، وفوق كل ذي علمٍ عليم !

أخباره في كتب الأدب والتاريخ كالأغاني ، والشعر والشعراء ، وطبقات الشعراء ، والموشح ، وخزانة الأدب ، ومعاهد التنصيص وغيرها ... إذن فعنايتنا بنشر « ام الرجز » التي عقها الزمان ، وأهملها في زوايا النسيان — هي أفضل ما يخدم به « نسب الرجز » وبجاره . وبعد هذا فمن الخير ايضاً ان تعرف شيئاً عن « والد » هذه «الام» وسبب إنتاجه إياها ، والنقمة التي جلبتها عليه ، وبعض عيوبها المعنوية . فان لك في ذلك فائدة ولذة وتسلية كما ستحقق ...

* * *

من هو ابو النجم ؟

ابو النجم هو الفضل بن قدامة من بني عجل بن لجيم من بكر وائل . يعد في الطبقة الاولى من رجاز الاسلام الفحول المقدمين . وكلامه حجة في اللغة . وابو عمرو بن العلاء يفضل نعته على نعت العجاج . والأصمعي يشهد بان رجزه أجود من رجز غيره على مايروي صاحب الأغاني ولكن المرزباني في الموشح يروي عن ابي حاتم انه قال : رأيت الأصمعي يستجيد بعض رجز ابي النجم ويضعّف بعضاً لان له رديئاً كثيراً . قال : وقال لي مرةً في شيء لا يجيء لابجني شاعر اسمه الفضل بن قدامة يعني اباالنجم العجلي . ورآه رؤبة مرةً ينشد :

اذا أصطبحت اربعاً عرفتني ثم تجشمت الذي جشمتني

فأعظمه وقام له عن مكانه وقال : هـذا رجّاز العرب . على ان ابا النجم ربما قصّد فأجاد ولم يكن كغيره من الرجاز يعجز عن نظم القصيد : كان يوماً عندعبدالملك ابن مروان ويقال عند سليمان بن عبد الملك ، وعنده جماعة من الشعراء وكان فيهم الفرزدق ، وجارية واقفة على رأس عبدالملك اوسليمان تذب عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في فخره فله هذه الجارية ، فقاموا على ذلك . ثم قالوا : ان اباالنجم يغلبنـا بقطعاته يعنون بالرجز ! قال : فاني لا أقول الا قصيدة . فقال من ليلته همزية روى طرفاً منها ابو عبدالله الجمحي في طبقات الشعراء (ص ٢٢٠) ومطلعها :

علق الهوى بحبائل الشعثاء والموت بعض حبائل الأهواء

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده حتى اذا بلغ الى قوله :

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يُعَدّ في الاحياء

قال : أشهد ان كنت صادقاً انك لصاحب الجارية . فقال الفرزدق : اما انا فأعرف منهم ستة عشر ومن ولد ولده اربعة كلهم قد ربع . فقال : ولد ولده هم ولده إدفع اليه الجارية يا غلام ! فغلب ابو النجم الشعراء يومئذ .

وجرت بينه وبين العجّاج مراجزة فظهرعليه بها وهزمه ، وذلك ان العجاج خرج محتفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له وقد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم قوله « قد جبر الدين الاله فجبر » فذكر فيها ربيعة وهجاهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى ابي النجم وهو في بيته فقال له : انت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس ! قال : صف لي حاله وزيه الذي هو فيه ! فوصف له ، فقال : ابغني جملاً طحاناً قد اكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجمل اليه فأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى اتى المربد فلما دنا من العجّاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه ، وأنشد : « تذكر القلب وجهلاً ما ذكر » فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها و يتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله « شيطانه أنثى وشيطاني ذكر » تعلق الناس هذا البيت وهرب العجّاج عنه .

* * *

« سبب نظمه ارجوزته اللامية وما جلبته عليه من النقمة والنعمة »

كان ابو النجم كسائر الرجاز والشعراء يفد على الملوك والامراء مسترفداً ومستدراً نائلهم وجوائزهم . فمدح الحجاج وسأله ان يقطعه وادياً في بلاد بني عجل فكتب له به ، واتصل بعبد الملك بن مروان و بهشام بن عبدالملك فنال منهما خيراً كثيراً . وورد يوماً على هشام في الشعراء فاقترح ان يصفوا له إبلاً فيقيّضوها و يوردوها و يصدروها حتى كأنه ينظر اليها فقال ابوالنجم أرجوزته اللامية مؤملاً ان ينال بهـا جائزة فاخرة ، فأنشدها إياه حتى اتى الى شطر يصف به الغزالة اي الشمس فقال :

« وهي على الأفق كعين ... » وأراد ان يقول « الأحول » فتذكر حولة هشام فلم يتم البيت وارتج عليه ، فقال هشام : أجز البيت ، فقال : كعين الأحول وأتم الارجوزة . فأمر بوجء عنقه واخراجه من الرصافة ونفيه . فتوسطله القوم فأقره لكنه عاش مرذولاً يصيب من فضول أطعمة النـاس ويأوي الى المساجد ، وهكذا خسر المسكين صفقته وضاع مأمله وعاش عيشة الفقراء شأن اكثر شعراء العرب .
ولكن ادبه الذي كان هشـام من جملة المشغوفين به كان خير شفيع له عنده ولم يحرم العودة اليه والتفيّوء تحت ظلاله ثانيةً . وذلك ان هشاماً اهتم ليلةً وامسى لقس النفس[1] ، وأراد محدثاً يحدثه ، فقال لخادمه : أبغني محدثاً أعرابياً اهوج شاعراً يروي الشعر . فخرج الخادم الى المسجد فاذا هو بابي النجم فضربه برجله وقال له : قم أجب امير المؤمنين . قال : اني رجل اعرابي غريب . قال : إياك ابغي ، فهل تروي الشعر ؟ قال : نعم واقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب ، فأيقن ابو النجم بالشر ، ثم مضي به فأدخله على هشام في بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع بين يديه تزهر ، فلما دخل قال له هشام : ابوالنجم ؟ قال : نعم ياامير المؤمنين طريدك !! قال : إجلس ! فسأله وقال له : اين كنت تأوي ومن كان ينزلك ؟ فأخبره الخبر . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عندهذا وأتعشى عند هذا . قال : واين كنت تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قال : اما المال فلا مال لي واما الولد فلي ثلاث بنات وبنيّ يقال له شيبان ! فقال : هل اخرجت من بنـاتك احداً ؟ قال : نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز[2] في أبياتنا كأنها نعامة ! قال : وما وصيت به الاولى وكانت تسمي برة — ؟ فقال :

أوصيت من برةَ قلباً حرّا — بالكلب خيراً والحماة شرا
لا تسأمي ضرباً لها وجرّا — حتى ترى حلو الحياة مرا

---

(١) اقِست نفسه : غثت وخبثت . (٢) الجمز : العدو دون الحضر الشديد وفوق العنق .

وان كستك ذهباً ودرا   والحيّ عميّهم بشرّ طرا

فضحك هشام وقال : فما قلت للاخرى ؟ قال : قلت :

سبّي الحماة وابهتي عليهـا   وان دنت فازدلفي اليهـا
وأوجعي بالفهر ركبتيها   ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهري النذر لها عليها   لا تخبر الدهر به ابنتيهـا

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفـاه فقال : ويحك ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما انا كيعقوب يا امير المؤمنين . قال : فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا ابنتي فاني ذاهب   أوصيك ان تحمدك القرائب
والجاروالضيفالكريمالساغب   لا ترجعي المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاهب   منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج ان الزوج بئس الصاحب

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ واي شيء قلت في تأخير تزويجهـا ؟ قال : قلت فيها :

كأن ظلامة أخت شيبان   يتيمـة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان   وليس في الساقين الا خيطان
تلك التي يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه ، وقال للخصي : كم بقي من نفقتك ؟ قال : ثلاثمائة دينار . قال : اعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين !

وكانت وفاة ابي النجم آخر دولة بني أمية .

* * *

« ما أخذ عليه من الخطإ المعنوي في لاميته »

قلنـا فيما تقدم ان الاصمعي يشهد بان رجز ابي النجم أجود من رجز غيره (على رواية الأغاني) وان المرزباني يروي في الموشح (ص٢١٣) عن ابي حاتم انه قال :

رأيت الأصمعي يستجيد بعض رجز ابي النجم ويضعف بعضاً لان له رديئاً كثيراً . قال وقال لي مرة في شيء : لا يعجبني شاعر اسمه الفضل بن قدامة ...

ومها يكن في هذين الروايتين ، رواية الاصبهاني ورواية المرزباني من الاضطراب البيّن ، فان ابا النجم من الفحول الذين انصفوا للرجاز من الشعراء وجعلوا للرجز المقام الاسمى ولرجزه من التأثير ما لشعر أعشى قيس منه . وقد ذكرت له مرةً بنت اسمها نفيسة أدركت ولم يخطبها احد وطلب اليه ان يذكرها في الشعر ففعل ووفد الى الشام فلما رجع سمع الزمر والجلبة فقال ماهذا ؟ فقالوا نفيسة تزوجت . وليس ادل من لاميته على شاعريته وامتلاكه زمام الفصاحة واخذه بنواصي المعاني ... بله شهادات زيد وعمرو !

واذا اخذ عليه الأصمعي او غيره بعض الاخطاء فليس ذلك بضائره ولا بمقال من شأنه . ومن ذا الذي لا يعاب ولا ينتقد ؟

ومن جملة ما اخذوه عليه ما رواه صاحب الموشح (ص٢١٤) عن ابيه قال : جلس هشام بن عبد الملك يوماً في صحن داره وفتح بابها وأذن للناس إذناً عاماً فدخلت العامة فأخذوا مجالسهم من الدار وجلس تجاه وجهه اسود مقنع بكسائه وامر ابا النجم ان ينشد وكان مشغوفاً بشعره فأنشد قصيدته اللامية حتى اذا بلغ هذا الموضع منها وهو يصف ابله بالغزر فذكر الضرع فقال « كالسقاء المسثل » فصاح الاسود أتاك والله بها يا امير المؤمنين نزراً غير غُزْر ، قد استجفت ضروعها ، وذهبت البانها ، حين شبهها بالمسمل . قال : فكيف ينبغي ان يقول ؟ قال كما قلت وأنشده :

كنا اذا عام ألحت أزَمُهْ وجعل المطحون تغلو قيمه
لا يشبع المرضع منه درهمه جادت بمطحون لها لا تأجمه
لا ينفخ البطن ولا يورّمه تطبخها ضروعها وتأدمه

فقال هشام : من انت ويلك ؟ قال انا ابو نعامة مولى بني سعد .

وفي الأغاني (ج٩ ص٧٨) « قال الاصمعي أخطأ ابو النجم في اشياء أُخذت عليه منها قوله :

وهي على عذب رويّ المنهل دحل ابي المرقال خير الأدحل
من نحت عادٍ في الزمان الأول

قال الأصمعي الدحل لا تورده الابل انما تورد الركايا وقد عيب بهذا وعيب بقوله في البيت الذي يليه ان هذا الدحل من نحت عاد · قال والدحلان لاتحفر ولا تنحت انما هي خروق وشعاب في الارض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه وهي هوة في الارض يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء » ·

هذا ما أخذ عليه في أرجوزته ، وقد طال بنا نفس الكلام ، ولعلك ايضاً قد اشتقت اليها ، فلنكتف بهذا القدر من حديثه وحديثها ، ولنقدمها اليك في الجزء التالي من مجلة المجمع فشأنك وشأنها ·

بهجة الاثري

تأثير الطرق

« في هواء المدن[1] »

سادتي

سمعتم في الاسبوع الماضي محاضرةً بيّن المحاضر بهـا ما للعادة حسنة كانت ام سيئة من التأثير الشديد في الفرد والأسرة والجماعة والشعب والعالم بامره وعرفتم منه نقطةً اوجه انظاركم الكريمة اليهـا ولا ارى بداً من اعادتهـا على مسامعكم وهي تحكيم العقل في انتخاب العادات وتفريق حسنها من سيئها ولا يحكم العقل أيها السادة في امر كهذا تتوقف عليه سعادة حيوة الفرد والمجموع او شقاؤهما الا من أناره نبراس العلم لان عقل الرجل الجاهل لا يخول هذه السلطة النافذة واذا خولها سار بنفسه وبمن يخلط خطواته الى شقاء مقرر فالعلم الصحيح اذاً واسطة من الوسائط الاساسية اذا لم اقل الواسطة الوحيدة التي ترشد الانسان الى العادات الحسنة ولما كان علم الصحة علماً يتوقف على معرفته التفريق بين العادات الصحية النافعة والمضرة كان تعلمه والوقوف عليه شرطاً لازماً في اصلاح عاداتنا القديمة المضرة التي لاتزال مستولية على السواد الاعظم من بني وطننا وليس مصدرها الا الجهل. فلو عرف الخباز مثلاً ان ماء النهر مضر حامل لجراثيم مرضية كثيرة منهـا الوباء الاصفر والتيفية والزحار (اي الدوسنطاريا) وغيرها وان درجة الحرارة التي يبلغ اليها لب الخبز لا تكفي لقتل هذه الجراثيم وانه يجني جناية لا تغتفر اذا عجن عجينه بماء النهر لاقلع عن هذه العادة ، ولو عرف الاولاد والآباء والامهات ان ماء النهر لا يجب ان يشرب للسبب نفسه لما شربوه ، ولو عرف الحلاق ان داء الافرنج وكثيراً من الأمراض الجلدية تنقل بالموسى والمقص وآلات الحلاقة وتعود ان يطهر آلاته بعد كل حلاقة لوقى كثيرين من هذه الأمراض ، ولو عرف أصحاب المطاعم العامة ان امراضاً كثيرة تنقل باوانيهم وتعودوا تعقيمهـا حسب الفن لما تفشى السل هذا التفشي

(١) المحاضرة التي ألقاها الحكيم الاستاذ مرشد خاطر في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق في ٩ آذار سنة ١٩٢٣ .

الهائل ، ولو عرفت الامهات ان اطعام اولادهن في طبق واحد مضر لتعودن سوى هذه العادة . ولست اقصد بهذه الملاحظة الموجزة ان أعدد جميع عاداتنا الصحية المضرة التي يجب علينا اقتلاعها واستبدالها بسواها من العادات المفيدة بل أريد فقط ان أبين ان المواضيع الصحية لها درجتها من المقام والفائدة وان على كل رجل اختصاصي في اي فرع كان من الفروع ان يأتينا بمحاضرات متعلقة بفرعه فينير عقولنا للاقلاع عن عادات نظنها حسنة ورثناها عن آبائنا مع انها سيئة مضرة . وان العاقل الحكيم من عرف الحد الذي يصل اليه عقله فلم يدّع معرفة كل علم وفن لئلا يكون ذلك دليلاً على جهله . هذا ما حدا بي سادتي الى اختيار المحاضرات الصحية لانني ارى ولعلكم ترون نظيري ان الانسان اعرف باختصاصه مما هو عليه بالامور الاخرى .

سادتي : أبنت لكم في محاضرة سلفت بعض العوامل التي تؤثر في هواء المدن فتفسده اذا فسدت وتصلحه اذا صلحت وجئت على ذكر الموقع الجغرافي وما ينطوي تحته من الامور وأظهرت ما لغرس الأشجار في الشوارع ووجود الساحات الكبيرة والحدائق الفسيحة في قلب المدينة وما للغبار المختلط بالهواء المستنشق من التأثيرات الحسنة والسيئة وعددت الامراض التي تنتقل بالهواء وذكرت طرق انتقالها ووقفت عند هذا الحد نظراً لضيق الوقت ووعدتكم عندئذ والوعد دين لا تجوز الماطلة فيه ان أخصص محاضرة ثانية للكلام عن العوامل الاخرى التي تفسد الهواء او تصلحه . ولما كانت الطرق العامة أهم العوامل الباقية فقد احببت في هذه المحاضرة ان أبين لحضرتكم ما لها من التأثير في جودة الهواء او فساده وكيف ان كل حكومة راقية تسعى في ايامنا الحاضرة الى إتقان هذه الطرق ورصفها وتنظيفها مغالية في الاعتناء بها غير مهملة أصغر الامور فيها وهي حالة ان لم نجدها في مدينتنا العزيزة فان بوادرها قد بدت لانكم اذا قابلتم بين حالة المدينة الحاضرة والماضية وجدتم فرقاً محسوساً يدلكم على ان المجلس البلدي يسعى جهده لسد هذه الثلمة الكبيرة التي تتناول المدينة جميعها ولنا الأمل الكبير ان هذا السعي المتواصل سيوصل بلدنا الى درجة حسنة اذا بقيت الهمة مبذولة .

وقد قسمت محاضرتي هذه ثلاثة أقسام اولها المواد التي تلوث الطرق العامة

وما هو السبيل الى ملافاة ضررها · وثانيها كيف يجب ان ترصف الطرق والارصفة وثالثها كيف تنظف الطرق العامة ·

(١) تلوث الطرق العامة = تتلوث الطرق العامة بثلاثة اشياء ، الاوحال الجافة او الغبار ومفرزات الانسان والحيوان وبقايا المواد الغذائية · وهذه الاشياء الثلاثة تفسد الهواء وتجعله مضراً ·

(أ) اما الغبار فقد ذكرت ضرره في المحاضرة الماضية وأبنت ما في ذراته من المواد المضرة والجراثيم المرضية ولهذا أضرب عنه صفحاً في محاضرتي ·

(ب) واما مفرزات الانسان والحيوان فهي ما تطرحه المثانة او الانبوب الهضمي من البول او المواد الغائطة وان لكل من مفرزات الانسان والحيوان ضرراً لا ينكر فبول الناقه من الحمى التيفية مثلاً يحتوي على عامل أبرت اي عامل الحمى المرضي مدةً طويلة بعد الشفاء ، وبول المسلولين ايضاً ولا سيما اذا استقر السل في الجهاز البولي كما في الكلية او المثانة يكون مشبعاً اكثر الأحيان بعصيات كوخ او العامل السلي · وبول المصاب بالبلهرزيا هذا المرض الشديد الوطأة في مصر والذي لا نشاهده في بلادنا الا في القادمين من ذلك القطر يحتوي على كميات كبيرة من بيوض هذه الدودة وبول المصابين بالسيلان (اي بحرقة البول) فيه ملايين من المكورات البنيــة (اي الغونوكوك عامل هذا الداء) وكثيرون هم المصابون في ايامنا الحاضرة بهذا المرض وبول المصابين بالتعفنات البوليــة الاخرى العادية مشبع بالجراثيم الكثيرة الأنواع · فاذا أفرز ذلك البول في الطرقات العامة بقيت تلك العوامل المرضية بعد جفافه ملقاة في الشوارع فتنقل بالهواء متى نفخت الريح او باحذية المارين الى المساكن وتنقل معها العدوى ·

وليس لبول المرضى فقط الضرر الذي اوضحته ولكن بول الأصحــاء ايضاً مضر لانه بعد ان يتخمر ينشر في الهواء رائحة نشادرية تخرش الانوف وتضر الضرر الجسيم ·

واما المواد الغائطة فان ضررها يفوق ضرر البول لانها عدا رائحتهــا الكريهــة تحتوي على جراثيم عديدة كجراثيم الحمى التيفية وشبه التيفية والزحار اي الدوسنطاريا والسل وكثير غيرها من الامراض القتالة ولاسيما الوباء الأصفر ولعلكم توجهون اليّ

هذا الاعتراض قائلين ان المصابين بالحميات التي ذكرتها ولا سيما بالوباء الاصفر يكون ملازماً فراشه فلا يتمكن من السير في الأزقة لقضاء حاجاته فيها ، لاانكر ذلك غيرانه قد ثبت بعد التحريات الجرثومية على المواد الغائطة المختلفة المأخوذة من الاصحاء والناقهين حين تفشي الاوبئة ان هذه العوامل تكون موجودة فيها دون انتضر بحامليها ولكن لها خاصة الضرر متى انتقلت الى أشخاص غيرهم ضعيفي البنية او مستعدين لقبولها وقد سمي اولئك الأشخاص الناقلون للعوامل المرضية دون ان يصابوا بها حَمَلة الجراثيم وقد اخذت مسألتهم دوراً مهماً في ايامنا الاخيرة وجلت لنا كثيراً من الامور المغلقة في انتشارالاوبئة من بلاد الى أخرى على الرغم من جعل البلادالموبوءة تحت نطاق صحي فهذه المواد الغائطة اذا طرحت على الطرقات العامة كان ضررها جسيماً . ولا تحتوي المواد الغائطة على الجراثيم المرضية فقط بل فيها كثير من بيوض الديدان ومن الديدان البالغة وأخص بالذكر منها الشريطية الوحيدة وتعرف عندنا بالدودة الوحيدة والحُبليل (اوخراطين المعي) وهي الديدان الكثيرة الانتشار في دمشق وتعرف عندنا بالدود الاحمر وذات الفم المنحرف وغيرها .

اما الشريطية الوحيدة (او التانيا) فانها تلقى مع المواد الغائطة بعد بلوغها فينفسخ جسمها الا ان بيوضها تبقى محافظة على الحيوة فتنقل بالماء او بالعشب الى الحيوان ولا سيما الى البقر فتفقس في امعائه وتخترق غشاءها المخاطي مارة الى عضلاته حيث تبلغ دورها المضغي فمتى اكلنا اللحم الملوث نيّاً او قليل الاستواء او متى هاجنا الشوق الى طعامنا الوطني الذي اشتهرنا به وهوالمدققة النية (اي الكبة) مرت مضغة تلك الدودة الى امعائنا فأصبحت بالغة وكبرت وبلغ طولها ستة الى سبعة أمتار .

واما الحُبليل (الاسكاريد) فان بيوضه تطرح مع المواد الغائطة فتمر الى المياه فتلوثها فاذا شربنا تلك المياه الملوثة فقست تلك البيوض وأصبحت ديداناً مزعجة . ومياه دمشق ملوثة بهذه البيوض لان الحبليل كثير في مدينتنا حتى انه لا يخلو منه ساكن من سكانها او زائر يمكث فيها بضعة ايام و يرحل عنها مستصحباً معه منها اثراً يذكره بها .

واما ذات الفم المنحرف (اوالانكيلوستوم) فهي أشد الديدان المعوية وطأةً وخطراً

لانها تولد في حاملهـا فقراً دموياً عميقاً وهي تنتقل بالمواد الغائطة المطروحة في ارض بنقبها العملة ولاسيما المعدنون او تمر الى الانسان بالماء ومتى وصلت الامعاء غرزت فيها محاجنها الرأسية فتتقلص الامعاء بشدة لتنجو من هذه الديدان القوية الناشبة مخالبهـا ولا تتوصل الى إلقائها الا بعد ان تقتلع تلك الديدان القسم المعوي التي كانت غارزة فيه ولما كان عدد هذه الديدان يبلغ بضعة الوف عند شخص واحد كانت الجروح والخدوش التي تسببها عديدة تستنزف دم المريض وتلقيه في فقر دموي الا ان هذه الدودة نادرة لله الحمد في سورية ·

فللافاة لهذه الامراض الجسيمة يجب ان تبنى في الطرق العامة ولاسيما في الشوارع التي تطرقها الأرجل الكثيرة مباول وبيوت خلاء يقضي فيها المارون حاجاتهم فلا يضطرهم الامر الى قضائها في المنعطفات والأزقة ·

اما المباول فيشترط فيها ان تكون ارضها مبلطة ببلاط صلد متقن النحت لا ينفذه البول والا كان ضررها جسيماً لان ارضها تصبح مستنبتاً للجراثيم وبيئة للعوامل المرضية و يصعب اذ ذاك إزالة رائحتها النشادرية مهما اعتني في تنظيفها وغسلها ·

واما بيوت الخلاء فيشترط ان يكون جريان الماء فيها دائماً لكي تغسل المواد الغائطة وتقذف حين إفرازها فلا تنبعث منهـا روائح نتنة تزعج المارين وما يجاورها من المخازن ·

غير انا في دمشق و باللاسف لم نوفق الى إقامة هذه المباول وبيوت الخلاء مع ان المياه لدينا غزيرة والنفقات التي يستدعيهـا هذا البناء قليلة لا توقع صندوق المجلس البلدي في أزمة كبيرة ولهذا نرى المواد الغائطة هنا وهناك في الأزقة الضيقة والمنعطفات والزوايا ولست أغالي اذا قلت ان الشوارع الكبيرة لا تخلو منهـا ايضاً — اما الأمكنة التي يبال فيها فحدث عنها ولا حرج لانها تعمّ المدينة جميعها فهي على حد سواء في الطرق العـامة والشوارع الكبيرة او الصغيرة وقرب النوافذ اوالأبواب او أعمـدة الأسلاك البرقية وليس الذنب في ذلك على البائل لان الحاجة التي يشعر بها لا يُتغلب عليها وانما الذنب على من لا يوجد له محلاً يقضي به حاجته دون ان ينتج منها ضرر نظنه طفيفاً مع انه جسيم ·

واما مفرزات الحيوانات فهي اشدّ ضرراً من مفرزات الانسان لانه عدا الاضرار التي ذكرتها تنقل مرضين من اشدّ الامراض وطأةً وخطراً وهما الكزاز الذي ينتقل باقذار الحيوانات جميعها والكيس الدودي الذي سببه اقذار الكلاب لان هذه الحيوانات الاخيرة تحمل في امعائها دودة شبيهة بالشريطية لوحيدة في الانسان وتسمى (شريطة المكورات المقنفذة) فمتى طرحها الكلب في الأزقة تصبح بيوضها حرة وتنتقل الى الانسان بالماء او الى الأولاد بملاعبتهم للكلاب ولاسيما في اثناء تناولهم الطعام وتولد في الكبد اوالطحال اوالرئة اوالخلب (اي البارتيوان) اكياساً كبيرة تستدعي عملية جراحية لا تخلو من الخطر ٠

ولهذا وجب ان تنزع هذه المواد جميعها حين إلقائها وان يحذر على العجال والعربات الوقوف في الطرق العامة مدة طويلة وان يخصص مكان لمواقفها على ان تكون الشروط متوفرة فيه وأريد بهذه الشروط ان يكون المكان مبلطاً تبليطاً محكماً ببلاط صلد وان تسدّ كل الخصاص بالملاط سداً محكماً كي لا ينفذ شيء من المواد الصلبة او المائعة التي تفرزها تلك الحيوانات بل يسهل غسل ذلك المكان غسلاً حسناً بالماء الجاري وبموادّ مضادةٍ للفساد ٠ فاذا رعينا الشرطين الاول والثاني بان منعنا الأعجال والعربات عن الوقوف في الطرق العامة وخصصنا لها مواقف فاننا لم نرع الشرط الثالث مع انه الكل بالكل فلو القينا نظرة على القسم الذي خُص في ساحة الشهداء بوقوف العربات لوجدناه حفراً واخاديد كأنها احتفرت خصيصاً لاختزان المواد القذرة المفرزة ولم نر فيها اثراً لما ذكرته من الشروط التي تجب مراعاتها فيها فلماذا لا نسد هذه الثلمة مع ان ضررها جسيم ونفقات سدّها ليست كبيرة ٠

(ج) واما بقايا المواد الغذائية وهي فضالات المطابخ فانها خليط من المواد الحيوانية والنباتية والمعدنية قابل للاختمار وسريع التفسخ ويخمن احد علماء الصحة المدققين ان كل نسمة تلقي من بقايا المواد الغذائية من المطابخ مايعادل كيلوغراماً واحداً في اليوم فاذا عددنا في دمشق اربعمائة الف نسمة كان ماتطرحه البيوت في صباح كل يوم اربعمائة الف كيلوغرام وما تطرحه في السنة مائة واربعة واربعين مليون كيلو غرام او مائة واربعة واربعين الف طن ٠

فمتى اختمرت هذه الفضلات واختمارها سهل لا يستغرق الا اياماً قلائل انتشرت في الهواء روائح نتنة وغازات مضرة بالصحة العامة ولهذا يترتب علينا اولاً الا نبقي هذه الفضلات مدة طويلة في البيوت كي تختمر فتضر . وثانياً الا نلقيها على الطرق العامة مبعثرة فنلوثها بها بل يجب ان تحصر في صناديق مقفلة يوضع عليها رقم المسكن تُصنع لهذه الغاية وتوضع على الرصيف ولا تُفتح الا حين طرح الفضلات فيها ثم تنقل في صبيحة كل يوم وهي مغلقة الى خارج البلدة حيث تلقى منها هذه الفضلات فتحرق او تعالج معالجة خاصة فيحصل منها سماد عظيم الفائدة ثم تعاد الصناديق بعد ان تغسل جيداً الى أمكنتها — لست ارى في السير على هذه الخطة صعوبة عظيمة فاذا روعيت هذه القاعدة في نقل الفضلات نجت المدينة من أمراض واوبئة كثيرة كان الفضل في ملافاتها عائداً الى المجلس البلدي الساهر .

(٢) بعد ان ذكرت الاشياء الثلاثة التي تلوث الطرق العامة وأظهرت الوسائل لملافاة ضررها امرّ الى القسم الثاني من المحاضرة وهو رصف الطرق والأرصفة .

ان رصف الطرق العامة والأرصفة رصفاً حسناً شرط من الشروط الأساسية في اتقاء الغبار الذي يتطاير في اثناء الكناسة ومرور العربات والاعجال ويختلط بالهواء وخير الطرق في الرصف ما اجتمعت فيه الشروط الآتية :

١ — ما كانت مواده شديدة الصلابة لا يسهل سحنها اومرنة لا تسهل استحالتها الى غبار .

٢ — ما كان في مواده بعض الليان فلايولد جعجعةً شديدة تزعج السكان حين مرور العربات والأعجال والسيارات .

٣ — ما كانت اجزاؤه مستوية ليسهل تنظيفها وغسلها .

٤ — ما كانت هيأتها العامة مائلة فلا تجتمع فيها مياه الأمطار والمياه القذرة .

٥ — ما كانت قليلة النفقات لا تستنفد مال الخزينة .

وان جميع الطرق المستعملة في ايامنا الحاضرة لا تتوفر فيها الشروط جميعها لان ما هو حسن منها كبير النفقات وما هو رخيص لا يفي بالغاية المرادة . واشهر الوسائط المستعملة في رصف الطرق اربع :

١ً البلاط ٢ً الخشب ٣ً الاسفلت ٤ً الحصى المكسرة بسيطة كانت او مُقيَّرة اي مزفتة ٠

اما البلاط : فاما ان يرتكز على اسٍ مرن او صلب وأُريد بالاس المرن طبقةً رملية يتراوح علوها بين خمسة عشر وعشرين سانتيمتراً وبالاسّ الصلب طبقة من البتون علوها خمسة عشر سانتيمتراً ايضاً فاذ كانت الطريق التي ترصف مطروقة بكثرة كانت قاعدة البتون أفضل من القاعدة الرملية وأثبت ، واما اذا كانت لا تمر بها العجلات الكبيرة فان القاعدة الرملية تفضل تلك ، ومهما يكن فان للبلاط من الوجهة الصحية أضراراً لا بد من ذكرها ، فلو فرضنا ان البلاط كان متقن النحت محكم الرصف وان الخصاص سُدَّت جيداً بالملاط وان القاعدة التي يرتكز عليها هذا البلاط صلبة متينة لاتغور في نقطة دون الاخرى ولا تولد حفراً تجتمع المياه والاقذار والغبار فيهـا فتلوث الهواء وتفسده مع ان ذلك كثير الوقوع مهما اعتني بالرصف فان البلاط مضرّ بالانسان لانه يتعب قدميه و بالحيوانات لانه صلب يذيب حوافرها و يرضهـا وعدا ذلك فان الجعجعة الكبيرة التي يولدها في اثناء سير العجلات تزعج الانسان حتى انه لا يقوى على احتمالها ، ولا يجب ان ننسى ان الارتجاجات نفسها تؤثر في العصبي المزاج فتولد فيهم تشوشات عصبية مستعصية لا تزول الا بابتعـادهم عن السبب وسكنهم في بيت هادىء معتزل ولهذا قد اهمل الرصف بالبلاط ولم يعد مستعملاً الا في بعض الساحات الكبرى التي تطرقهـا العجلات ليلاً نهاراً لان البلاط أصلب ما يستعمل في الرصف ٠

واما الخشب : فقد بديء باستعماله منذ سنة الف وثمانمائة واحدى وسبعين في باريس ثم عمّ استعماله اكثر المدن ٠ وطريقته ان تصنع قاعدة من البتون ثخانتها خمسة عشر سانتيمتراً وان تركز عليها قطع خشب طولها خمسة عشر سانتيمتراً ايضاً وعرض احدى جهتيها اثنان وعشرون سانتيمتراً وعرض الجهة الثانية ثمانية سانتيمترات وان تتلازق هذه الأخشاب وتملأ الخصاص التي تفصلها بالملاط واما الخشب المستعمل فهو السنديان والزان والصنوبر وغيرها ٠ غير ان الخشب لا يلبث ان يتخزّ بتـأثير الرطوبة فلا تطول مدته اذا استعمل دون ان يعالج معالجة خاصة ولهذا كانت توضع

وقد نسخ علماء الصحة هذه الطريقة في الرصف نسخاً باتاً ولا سيما الالمانيون منهم في اجتماعهم الصحي الذي عقدوه سنة الف وتسعمائة واثنين ٠

وتحولت الافكار منذ زمن طويل الى ملافاة هذه المحاذير الموجودة في الرصف بالحصى واول محذور سعي الى اجتنابه الغبار وهو الأهم فأزالوه برش الماء غير ان الماء اذا كان قليلاً تبخر سريعاً واذا كان غزيراً حول الغبار الى أوحال مضرة فهو لا يفي بالمراد ولهذا أهمل بعد استعماله بقليل واستعملوا الماء الملح فأعطى بعض الفوائد وهذا متيسر في المدن البحرية ومتعذر في المدن الداخلية فان ماء البحر باحتوائه على كمية وافية من كلورور الصوديوم والمناز يا اي الملح يكتسب خاصة الالصاق فلا يبلل ذرات الغبار فقط ولكنه يلصق بعضها ببعض ايضاً وقد استعمل في انكلترا في المدن البعيدة عن الشاطيء كلورور الكلسيوم مذاباً بالماء الا انه لم يكن ذا فائدة حسنة واستعملت ايضاً مواد أخرى منها الزيوت الكثيفة المستحلبة غير ان هذه الوسائط جميعها لم تفد الا فائدة موقتة فأهملت ٠ واستعيض عنها بالقار اي بالزفت وطرق استعماله متعددة وأنواعه كثيرة أضرب عنها صفحاً لضيق الوقت ٠ واول من وضع هذه الطريقة واستعملها المهندس الفرنسوي كريستوف سنة الف وثمانمائة وثمانين ثم عمَّ استعمالها اوربة جميعها ومنها انتقلت الى اميركا فمصر الا اننا لانزال عنها معرضين مع انها عظيمة الفائدة لانها تزيل المحاذير التي للحصى المكسرة وحدها وتلائم مدينتنا اشد الملاءمة ٠

وتوجد طرق أخرى في الرصف لا اذكرها لان ذكرها وحدها يؤلم نفوسنا ويرينا التباين العظيم الموجود بين بلاد قد بلغت اوج الرقي وبلاد أخرى لم تطأ ذلك الطريق فان بعض الشوارع في لوندرا وجميع شوارع مدينة باناما الحديثة مرصوفة بالطبرخي اي بالغوتاباركا وهي تستحصل من عصير شجرة تنبت في آسيا وتشابه المطاط في صفاتها الخارجية ولست أشك وأظنكم مشاركين لي في الرأي ان هذه الطريقة أفضل الطرق وأجودها لان الانسان والحيوان والعربات والاعجال والسيارات تسير عليها كأنها تسير على المطاط فلا يسمع صوت لها لمرونتها وتغدو وتمشي عليها دون ان تزعج قدم انسان او ترض حافر حيوان لليانها الذي يكسبها مقاومة لا توجد في المواد الصلبة التي تتفتت فلا اثر للغبار والأوحال في مدن كهذه واما تنظيفها فسهل للغاية

فهي تمسح بالزيت مرتين في اليوم فتصبح لامعة براقة نظيفة .

فيستنتج مما تقدم اننا في دمشق لانستعمل من طرق الرصف الا طريقتين ليس غير البلاط والحصى المكسرة البسيطة فالبلاط صلد يضرّ باقدام الانسان وحوافر الحيوان فيتعب السير عليه كلاً منهما و يضرّ بالبيوت المجاورة لانه يولد في ساكنيها حالات عصبية مزعجة بالارتجاجات التي يسببها سير العربات والأعجال الثقيلة و بالاصوات التي تصم الأذان هذا فضلاً عن غوره وتوليده حفراً تجتمع فيها الاقذار والماء وعن وجود خصاص كبيرة بين قطعه ممتلئة بالتراب والأوحال ومولدة للغبار الذي يفسد الهواء .

واما الحصى فانها اشد ضرراً من البلاط لانها اكثر توليداً للغبار والاوحال وهما الامران اللذان نخشاهما . فمتى نعدل عن هاتين الطريقتين في إصلاح طرقنا فيصلح هواء مدينتنا ؟ سؤال ادع الجواب عليه الى من بيدهم مقاليد الامور .

(٣) امرّ الآن الى القسم الثالث من المحاضرة وهو تنظيف الطرق العامة :

اذا بقي الغبار ومفرزات الحيوانات والأوحال مدة طويلة على الطرق يتفاقم ضررها وتؤثر في الطرق نفسها فتخربها وفي الهواء فتفسده ولهذا وجب ان تنظف الطرق العامة تنظيفاً حسناً مرات عديدة في اليوم وتنحصر وسائط التنظيف باربع : الكناسة ونزع الأوحال والرش والغسل .

ان الكناسة ونزع الاوحال لم يكن يقصد منه حتى ايامنا الأخيرة الا تنظيف الطرق والمحافظة على سلامتها غير انه بعد ان زاد عدد السيارات في بلادنا ولا سيما في بيروت أصبحت الكناسة ونزع الأوحال من الامور الضرورية لملافاة الاخطار التي تنتج من السيارات فاذا كان الغبار كثيراً وكانت السيارات عديدة تذهب وتجيء بسرعة البرق كما يحدث في ايام الصيف على الطريق الممتدة بين بيروت ولبنان فان ذلك الضباب يحجب الطريق والمارين معاً فتحدث اصطدامات عديدة ودهس وشرود وتدهور وان الحوادث تعد بالعشرات اسبوعياً اذا لم اقل يومياً وليس الذنب في ذلك الا على الغبار الذي يتطاير في الهواء فيعمي السائق ولا يعود قادراً على ملافاة الأخطار التي تهدده في الأمام ولا اتقاء الصدمات التي تأتيه من الوراء ، واما في فصل الشتاء حينما تكسو الأوحال الطرق فان الدواليب تنزلق متى كانت الطرق مائلة و كثيرة الانحدار كما

تتزلق الأقدام على طرق دمشق في يوم مطره رذاذ لا يحوّل الغبار أوحالاً مائعة بل يحولها معجوناً لزجاً مزلقاً ولست أظن ان قد نجا من تلك المشية الشبيهة بمشية الثمل احد منكم بل كان يستند الى ذراع من يصادفه متوكئاً عليه ليتقي شر العربات والعجال والسيارات والحيوانات التي تهاجمه من اليمين واليسار والأمام والوراء وهو لا يستطيع الإسراع خشية التزلق ولا الوقوف خيفة ان يذهب ضحية تلك الحيوانات ، فليست الكناسة ونزع الاوحال اذاً مفيدين من الوجهة الصحية فقط ولكنهما ضروريان ايضاً لاتقاء الأخطار الجمة .

وليس عليّ بهذه المناسبة الا كلمة شكر أوجهها الى المجلس البلدي المحترم لانه قد أظهر في هذه السنوات الاخيرة همة وجداً ونشاطاً فحسن حالة الطرقات بالكناسة ونزع الاوحال تحسيناً محسوساً ، أجل انه لم يتوصل الى الآن الى الغاية المطلوبة ولن يدركها مازال رصف الطرق في دمشق مصنوعاً من الحصى المكسرة والبلاط ومازالت السطوح كما هي عليه الآن مطلية بالطين وما فتئت القنوات ضيقة غير محكمة البناء لان ما يسعى الى إزالته بيوم تعيده الطبيعة ببضع دقائق .

وان للكناسة من الوجهة الصحية منافع ومضارّ فكما انها تجمع التراب ولا تتركه مبذوراً على الطريق فيتطاير في الهواء ويختلط به متى نفخت الريح وسارت العربات والعجال فيضر وينشر الاوبئة فان ضررها جسيم للغاية اذا لم تراع فيها بعض الشروط وأهمها الاّ تكنس الطرق قبل ان ترش جيداً وان يكون الزمن المختار للكناسة بعد انصراف الناس من أشغالهم وقبل عودتهم اليها اي مابين الساعة الحادية عشرة زوالية مساءً والسادسة صباحاً والا كان ضررها معادلاً لنفعها اذا لم يفقه . اما أقذار الحيوانات فيجب ان تكنس مرات عديدة في اليوم دون ان تترك مدة طويلة على الطرق .

غير ان الكناسة ونزع الاوحال ليسا كافيين وحدهما لإزالة العناصر التي يتألف منها الغبار فانهما ان خففا متى اجريا حسناً كثيراً من محاذيره يحتاجان في محلات الازدحام الكثير وفي الطرق المطروقة بكثرة ولا سيما في المتنزهات الى العامل الثالث من عوامل التنظيف وهو الرش خاصة في ايام الصيف المحرقة فانه وحده يكتل ذرات

التراب والبقايا التي تتركها الكناسة وعدا ذلك فانه يولد رطوبة تلطف الهواء وتخفف من حرارته غير ان فائدة الرش و يا للأسف قصيرة المدة نظراً للعوامل الكثيرة التي تبخر الماء سريعاً وأهمها حرارة الشمس والأرياح وحالة الطرق نفسها التي تمتص قسماً كبيراً من الماء . ومع ذلك فان نفع الرش يمتد الى أبعد من الوقت الذي يخيل به ان الطرق قد عادت الى الجفاف .

وان الرش يفيد الطرق نفسها لانه يحفظها مدة طويلة ولاسيما اذا كانت مرصوفة بالحصى المكسرة البسيطة فانه اذا أحسن استعماله يولد في الطرق مقاومة شديدة بالصاقه العناصر التي تتألف منها الطريق و يجعلها مرنة بعض المرونة و يجب ان يكون الرش معتدل الغزارة لانه اذا كان قليلاً لم تحصل منه الفائدة المطلوبة وهي إلصاق ذرات التراب بعضها ببعض او كان غزيراً حوّل ذلك التراب الى مصل . وقد خمن احد علماء الصحة ان ما يرشّ به متر مربع في طرق يكثر التراب بها كطرق دمشق يجب ان يكون ليتراً من الماء لا أكثر ، واما عدد المرات فذو علاقة بموقع الطريق وتعرضه للشمس وكثرة المرور به ، فان شارع النصر مثلاً يجب ن يرش في الايام الحارة كل ساعتين مرة واحدة لانه فسيح معرض للشمس والارياح ، واما سوق البزورية فمرة واحدة او مرتين في اليوم لان الشمس والريح لا تدخلانه فتبخران فيه الماء سريعاً .

لقد أرانا المجلس البلدي في هذه السنة همة يشكر عليها بالكناسة ونزع الاوحال فعسى ان يرينا في الرش هذه الهمة نفسها وان يأتينا بسيارات راشة تسير في الطرق المتسعة فيجعل الرش منتظماً وسريعاً ويحارب الغبار محاربة شديدة فيتغلب عليه الا انه اذا اكتفي بالقرب تحمل على اكتاف البشر وبعض العجال تسير سير السلحفاة فلا نفضل هذه السنة السنة الماضية .

اما الغسل بالماء الغزير الجاري فهو الوسيلة الأخيرة المستعملة في التنظيف والشديدة الفائدة في الطرق المرصوفة بالخشب والبلاط والاسفلت والزفت ومضرة فقط في الطرق المرصوفة بالحصى المكسرة فهو وحده كاف لتجريد الطرق من المواد التي ستستحيل غباراً متى جفت او أوحالاً متى رطبت فهو اذاً كبير الفائدة حتى ان

وايل الاختصاصي الكبير في علم صحة المدن لم يحجم عن التصريح في الاجتماع الصحي الالماني العام الذي عقد سنة ١٩٠٢ ان تطهير الطرق العامة بالمواد المضادة للتعفن امر نظري بحت لا فائدة منه البتة في الاستعمال وان التنظيف الحقيقي يقوم بالغسل الغزير بالماء الجاري فلماذا لا يستعمل مجلسنا البلدي هذه الواسطة في الطرق المرصوفة بالبلاط وهي كثيرة في دمشق والمياه غزيرة فيها لا تكلف نفقات كبيرة انها وحدها تكفل الطرق المبلطة بالنظافة الحقيقية المرادة ٠

هذه هي الملاحظات التي رأيت التنبيه اليها ضرورياً والسعي وراء تتميمها ممكناً فعسى ان يصل صوتي الى حيث أريد ايصاله فيكون من كلامي الفائدة التي أتوخاها لهذه المدينة وسأكنيها ويكون لهم من موضوعاتي خير مرشد الى العادات الصحية الحسنة المفيدة فتخف الامراض وتختنق الاوبئة وتقوى الأبدان فتثوي فيها عقول كبيرة مفكرة لان العقل السليم لا يلج هيكلاً متداعياً ٠

الدكتور مرشد خاطر
عضو المجمع العلمي العربي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ محمد الخضر حسين

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

لم يبق اليوم من يخالف في ان اللغة العربية في حاجة الى مجمع علمي يسير بها مع مقتضيات العصر ، و يضع للمعاني المتجددة الفاظاً لائقة . والذي يمكن ان تختلف فيه الآراء انما هو الطريق الذي نذهب منه الى سد الحاجة ورفع الحرج حتى لا تفقد اللغة حياتها . وحتى لا يقف الكاتب او الخطيب او الشاعر امام هذه المعاني الطارئة مبهوتاً .

يكاد علماء اللغة فيما سلف يجمعون على ان الناطق بكلمة لم ترو عن العرب الخلص مخطئ الا ان تكون على قياس لغتهم . واذا جرى الخلاف في صحة استعمال كلمة او تركيب لم ينقل عن العرب فأساسه اختلاف النظر في ان هذا الاستعمال موافق لمقاييس اللغة او غير موافق لها .

واذا وجد الباحث في مواقع اختلاف علماء العربية سعة فيما يأخذ به من قبول بعض الكلمات او التراكيب فان مخالفتهم فيما يجمعون على انه غير مطابق للقياس ليست من السهولة بحيث يجهر به الكاتب اوالخطيب غير مستند الى شيء سوى الحرص على اللغة وإطلاق الألسنة من ان تتقيد بنظمها .

ولا أذهب الى ان خرق اجماعهم في نفسه خطأ . وان قول خارقه مردود على كل حال . وانما أود من الكاتب او الخطيب ان يدخل البحث على طريقة يثبت بها ان استعمال الكلمة او التركيب على الوجه الذي يختاره موافق لمقاييس اللغة او يذكر وجه الحاجة الداعية الى هذا الاستعمال و يبين ان اللغة تبقى من دونه في قصور يقف بها دون هذه اللغات النامية .

ضبط علماء اللغة قواعد العربية ومازوا بين ما جاء على وجه الشذوذ فينطق به كما ورد وبين ما يصلح لان يكون قياساً مطرداً . فرموا بهذا الى غرضين شريفين :

(احدهما) المحافظة على لهجة العرب وطرز خطابهم .

(ثانيها) فتح السبل الى ان تستمر اللغة نامية على وجه يلائم روحها يوم وصلت في بلاغتها وحسن بيانها الى ذروة لا تطمح العين الى ما وراءها .

« لم يزل ولد اسماعيل على مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض و يضعون للاشياء اسماء كثيرة بحسب حدوث الاشياء الموجودات وظهورها[1] » .

وهـذا النوع من التصرف لا يختص بالعرب الخلص بل هو حق باقـ لكل من ينشأون على النطق بهذه اللغة الفضلى . واذا لم تسر هذه اللغة فيما سلف على مقتضيات العصور فليست علة ذلك ان آراء علمائها وقفت في سبيل تقدمها ، وانما فات علماءها ان يقوموا بهذا الاصلاح العلمي على طريقة منتظمة دائمة .

طرأت على اللغة علل سرت من ألسنة غير فصيحة ، وترجع هذه العلل الى أضـرب :

(احدها) تغيير نظم الكلام كتقديم ما التزم العرب تأخيره والفصـل بين كلمتين التزموا فيهما الاتصال . وهذا النوع من التغير لا يصح ان تجارى فيه العامة البتة . لان الاغماض فيه يفضي الى انقلاب اللغة الفصحى الى لغة او لغات لا تدري كيف تكون منزلتها في الانحطاط والبعد عن هذه الاساليب المحكمة .

(ثانيها) ترك هذه الحلية المسماة بحركات الاعراب ، والاخذ في هذا بما تفعله العامة مُذهِب لبهاء اللغة ، وملق للكلام في ضروب من الابهام ، وقد كانت وجوه الاعراب تصونه عنها لاول مايلفظ به من غير احتياج في رفع هذا الابهام الى قرينة زائدة عن نفس الخطاب .

(ثالثها) مفردات أصلها عربية فتغيرها العامة بنحو الحذف او الزيادة اوالقلب . مثل كلمة (بدي) أفعل ، فالظاهر ان اصلها (بِوُدّي) ومثل (تحركش) بفلان فالظاهر ان اصلها (تحرش) وهذا من أمراض اللغة التي يجب ان نحمي السنتنا واقلامنا من ان تحوم حولها .

والاستاذ المغربي يوافق على ان هذا الصنف مما يتحاشى من النطق به و يجب العمل على تقليص ظله . ولا أحسبه يخالف في تحامي الصنفين الاولين ووجوب العمل على تنقية اللغة من أقذائهما .

---

(١) فهرست ابن النديم : م ٥

ونحن نوافق الاستاذ في صحة استعمال ما سماه صنفاً اول وهو « كلمات عربية قحة لم تذكرها الاعاجم ، ولكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم مثل فعل (تبدى) بمعنى ظهر » حيث ورد في بيت لعمرو بن معدي كرب مروي في ديوان الحماسة ، ومن الذي يعارضه في صحة استعمال كلمة جاءت في شعر عربي احتواه كتاب يوثق به ككتاب ديوان الحماسة .

ويجري على هذا السبيل كلمة (معتمد) للذي عمده الوجع فقد وردت في شعر عزاه صاحب الاغاني لسعدي بن زيد (من لقلب دنف اومعتمد) والقافية وتفسير صاحب الاغاني لها بقوله (المعتمد الذي قد عمده الوجع) ينفيان احتمال ان تكون هذه الكلمة قد أُصيبت بتحريف . فعدُّ مثل هذه الكلمة في لغة العرب مما يجد في القبول مساغاً وان لم ترد في كتب المعاجم ، ومن هذا القبيل لفظ (يسوّف) مضعف ساف اي شم ، فانا لم نجده في مثل القاموس واللسان ولكنه ورد في قول أُمية بن ابي عائذ : (فظل يسوّف أبوالها) وفسره ابو سعيد السكري في شرح أشعار الهذليين بقوله : « يسوف » يشم .

ونوافق الاستاذ «المغربي» بما سماه صنفاً سادساً . وهواساليب اوتراكيب أعجمية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا يعرفها العرب الاقدمون ، ونحن لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هذا الصنف ما دام التركيب موافقاً للنظم المألوفة في علم النحو كهذه الامثلة التي ضربها الاستاذ : (ذرالرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (لاجديد تحت الشمس) (سادالامن في البلاد) وهذا الصنف يرجع في الواقع الى اقتباس صور من معاني لغة أُخرى . واقتباس المعاني من اللغات الاجنبية شيء يتسع به أدب اللغة . ولا أعرف احداً في القدماء او المحدثين من يلاقيه بانكار الا ان يكون شيئاً تنبو عنه الاذواق السليمة .

واما ما سماه الاستاذ صنفاً ثالثاً وهو « كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها في معان أُخرى وهي كلمات اصطلاحية فنية اوادارية » فهذا النوع مما تدعو الحاجة اليه ولمثله تؤسس المجامع اللغوية . والوقوف في سبيله وقوف في سبيل

حياة اللغة . ولا شرط له الا ان يجيء على قياس لغة العرب ويصاغ على وجه يقع من ذوق الاديب العربي موقع القبول .

واما ما سماه الاستاذ صنفاً خامساً وهي كلمات وأخيلة أعجمية الاصل نحو (اوتوموبيل) و (بالون) فأرى ان واجب المجمع اللغوي ان يضع لهذه المعاني الحديثة الفاظاً عربية والمجال أمامه فسيح . ففي المجاز والاشتقاق القائم على القياس سعة . ولاسيما الكلمات الخفيفة المهجورة فان إحياءها واستعمالها فيما يشبه معناها الاصلي او يكون له به صلة غير المشابهة خير من جلب كلمة غير عربية وأدعى الى تناسب الكلمات وائتلافها . ولا نعد المجمع اللغوي مضطراً الى إباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يغني غناءها .

واما ما سماه الاستاذ صنفاً رابعاً وهو « كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون ولم ينطق بها الفحول المقرمون . وضرب له المثل بنحو (تفرج) و (تنزه) و (احتار) فان قبوله يطلق لكل احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس كأن يقول احتار في معنى حار واعتلم في معنى علم كما قال غيره احتار في موضع حار واقتطف في موضع قطف .

واما ما سماه الاستاذ صنفاً ثانياً وهو « كلمات عربية خالصة لم تذكره المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين لا يحتج باقوالهم » ومثل له بقوله (اقصصنا) الواردة في تاريخ ابن جرير و (نخيم) الواردة في كلام اليازجي و (صدفة) الواردة في كلام الشيخ محمد عبده . فنحن لانفهم الا ان اليازجي والشيخ محمد عبده استعملا هاتين الكلمتين على توهم انهما من العربي الفصيح . ولسنا على ثقة من ان ابن جرير الطبري قال (فأقصصنا) ومجيئها في بعض النسخ من تاريخه لايكفي دليلاً على انه لفظها بفمه او كتبها بقلمه . ولو سلمنا ان يكون الشيخ محمد عبده واليازجي قد استعملا الكلمتين مع العلم بانهما لم يردا في كلام العرب الخلص لكان تصرفهما هذا إطلاقاً لكل ناطق بالضاد ان يلقي الكلمات كيف يشاء . فنقول في الوصف من صعب مثلاً صعيباً ومن سهل سهيلا كما قال اليازجي في الوصف من نخم (نخيماً) ويقول مكان قتل (اقتل) ومكان ضرب (اضرب) كما جاء في بعض النسخ من تاريخ ابن جرير (اقصصت) ويقول كلمة

(شفهة) بدل كلمة (مشافهة) كما قال الشيخ محمد عبده (صدفة) بدل مصادفة ولسنا في حاجة الى ايقاظ هذه الفوضى وهي نائمة ، ولسنا في حاجة الى ان ندع اللغة تمشي في غير نظام ·

الانسان العاجز

عنوان كتاب ظهر حديثاً للاستاذ شارل ريشه والاستاذ شارل ريشه من شيوخ العلم في فرنسا بل أغزرهم مادةً وأوسعهم بحثاً وأطولهم نفَساً وقد جمع بين الطب والفلسفة والشعر والرواية والتاريخ وله في مختلف هذه الفروع مؤلفات وآراء يخرج في كثير منها عن المألوف ، وقد كان في طليعة من عني بالطيران ووضع للطيران خططاً ورسوماً · وهومكتشف الانافيلاكسي[1] والحائز جائزة نوبل واحد أرهاط علم « ما وراء الروح — Metapsychive » وقد أظهر شجاعة محمودة يوم قال ان اكثر الحوادث المتعلقة بهذا العلم كالأشباح الشفافة (Te toplasme) التي تخرج من جسم الوسيط يجب ان تدخل الى المخبر وتخضع لنواميس المراقبة والامتحان · ان رجلاً مثل هذا بلغ من العلم والتفكير مابلغ وأتم طوافه حول المعرفة البشرية لخليق ان يجمع في أخريات ايامه شتى التعاليم التي استفادها بالبحث والتنقيب وان يعرض على الناس فلسفته التي انتهى اليها · وقد نشر من قبل كتاباً عنوانه : « الانسان الأحمق اوالبليد » وهو احتجاج وشكوى على الانسانية التي تُغفل فتوحات العلم وتعيش بالتقاليد والعقائد الكاذبة وتتفانى في اختراع وسائل التدمير والهلاك

(١) كلمة يونانية معناها ضد الحماية والمراد بها حالة استعداد خصوصية يكتسبها الجسم فيصير سريع الاحساس والتأثر مثلاً من السموم او العقاقير الطبية ما يتعود الانسان اخذه دون ضرر ففي حالة الانافيلاكسي يزول هذا التعود فيصبح الانسان حساساً حتى ان جرعة صغيرة من هذا السم او الدواء تفعل فيه فعلاً هائلاً وربما قتلته في حين كانت الجرعة الكبيرة لا تؤثر · (انظر خواطر في الصحة والادب في باب الاستعداد والمناعة) ·

(شفهة) بدل كلة (مشافهة) كما قال الشيخ محمد عبده (صدفة) بدل مصادفة ولسنا في حاجة الى ايقاظ هذه الفوضى وهي نائمة ، ولسنا في حاجة الى ان ندع اللغة تمشي في غير نظام .

الانسان العاجز

عنوان كتاب ظهر حديثاً للاستاذ شارل ريشه والاستاذ شارل ريشه من شيوخ العلم في فرنسا بل أغزرهم مادةً وأوسعهم بحثاً وأطولهم نفَساً وقد جمع بين الطب والفلسفة والشعر والرواية والتاريخ وله في مختلف هذه الفروع مؤلفات وآراء يخرج في كثير منها عن المألوف ، وقد كان في طليعة من عني بالطيران ووضع للطيران خططاً ورسوماً . وهومكتشف الانافيلاكسي[1] والحائز جائزة نوبل واحد أرهاط علم « ما وراء الروح — Metapsychive » وقد أظهر شجاعة محمودة يوم قال ان اكثر الحوادث المتعلقة بهذا العلم كالأشباح الشفافة (Te toplasme) التي تخرج من جسم الوسيط يجب ان تدخل الى المخبر وتخضع لنواميس المراقبة والامتحان . ان رجلاً مثل هذا بلغ من العلم والتفكير مابلغ وأتم طوافه حول المعرفة البشرية لخليق ان يجمع في أخريات ايامه شتى التعاليم التي استفادها بالبحث والتنقيب وان يعرض على الناس فلسفته التي انتهى اليها . وقد نشر من قبل كتاباً عنوانه : « الانسان الأحمق اوالبليد » وهو احتجاج وشكوى على الانسانية التي تُغفل فتوحات العلم وتعيش بالتقاليد والعقائد الكاذبة وتتفانى في اختراع وسائل التدمير والهلاك

(١) كلة يونانية معناها ضد الحماية والمراد بها حالة استعداد خصوصية يكتسبها الجسم فيصير سريع الاحساس والتأثر مثلاً من السموم او العقاقير الطبية ما يتعود الانسان اخذه دون ضرر ففي حالة الانافيلاكسي يزول هذا التعود فيصبح الانسان حساساً حتى ان جرعة صغيرة من هذا السم او الدواء تفعل فيه فعلاً هائلاً وربما قتلته في حين كانت الجرعة الكبيرة لا تؤثر . (انظر خواطر في الصحة والادب في باب الاستعداد والمناعة) .

بدلاً من ان تسعى الى تخفيف ويلاتها لتعيش بسلام في حضن طمأنينة لا يصعب عليها ايجادها . وكتابه الاخير « الانسان العاجز » هو نفثة ثانية من ذلك اليراع الجريء الا انه يتجلى لنا في مظهر آخر وهو ما أردت ان ألمّ به في هذه الرسالة .

يقسم المؤلف عجز الانسان الى أقسام : فالاول عجزه الطبيعي او الكوني اي قصوره عن معرفة العالم الذي يحيط به وارتباطه بجاذبية هذه الارض لا يعلم ما يجري في غيرها من العوالم فهو مضطر الى الخضوع لا قبل له بتغيير شيء من الحوادث التي تمر أمام عينيه .

والثاني عجزه الفردي فان كل ما أخرجه الناس علماء كانوا او شعراء وأصحاب صناعة او فن لا قيمة له إزاء العالم . وكم من الكتب التي استغرقت عمر أصحابها وهي اليوم مكدسة كالحصيد في الخزائن على غير جدوى . تمر أمواج البشر سراعاً فلا تترك للفرد عملاً ذا تأثير .

والثالث عجزه الفكري : من اين والى اين ؟ سؤال أزلي لم نتقدم خطوة في حل رموزه منذ كان البشر وكان الفكر . لماذا وجدت الحياة ؟ لا نعلم ، وجل ما وصلنا اليه تعاليل مضحكة وآراء صبيانية . نحن لا نعلم ولن نعلم كيف تتجزأ البيضة باجتماع مادتي الذكر والانثى . ولا كيف تحفظ الخلية العصبية التذكار وتنقله من جيل الى جيل . ليس ثمت حاضر ولا ماض ولا مستقبل والذكاء الانساني لم يتغير من ايام بركلس . وما الفائدة من هذا الذكاء اذا لم يكن منه الا ان يرينا جهلنا الكامل دون ان يساعدنا على الخروج منه (١) .

والرابع عجزه الفسيولوجي اي ان ذكاء الانسان موصول بصحة جسده فهو تحت رحمة هذا البدن لا يستطيع تغييراً فيه ولا تبديلاً ولا سبيل الى تأخير الهرم او الموت ولا تحديد جنس المولود قبل ان تقع عليه جناية الوجود .

والخامس عجزه الاجتماعي فهو لم يوفق حتى اليوم الى انشاء اتحاد يتفق مع احواله وأمياله ليخفف خصامه ونقل آلامه .

---

(١) يقول مترلنك ان الذكاء هو الخاصة التي تنتهي بها الى ادراك اننا لا ندرك شيئاً . (عن كتاب مملكة الظلام) .

والسادس عجزه الادبي فلا تزال الشهوات متحكمة به والاهواء متسلطة عليه فهو عبد لها مأمور تقوده بالزمام حيث تشاء الاهواء لا حيث يشاء ·

هذا موجز ما في الانسان العاجز وقد تعمد المؤلف الصراحة كما ترى فجاء كتابه مراً قاسياً الا انه لا يخلو من جاذبية لانه ضم بين دفتيه نتائج أبحاث هذا العلامة وكلها تنطبق انطباقاً تاماً على ما نشعر به كلما ولينا الفكر شطر هذه المسائل الغامضة ·

وعلى الرغم من ان المؤلف لم يقصد من ورائه الى تثبيط الهمم وعلى الرغم من انه ليسدينا النصح و يشير الى تربية « انا » لانه التربية الوحيدة التي يمكن ان تخرج شيئاً صالحاً — لا يسعنا الا الاقرار ان هذا الكتاب يسوق الى اليأس المطلق وهذه الصفحات صراخ نفس متألمة وعقل حائر وأمل خائب لا تنفتح الطريق الا الى احدامرين: الانتحار او الاستسلام للايمان الاعمى وكلاهما غير قمين بانسان اليوم الذي اوطأت له الارض مهادها و باح له الوجود بكثير من أسراره ·

لا جرم ان الانسان أعزل امام قوى الوجود وهو يشعر ان حيـاته وميض برق بين لا نهايتين اذا شئت بين عدم سابق وعدم لاحق ولكن الحياة التي قبلها على الرغم منه صارت عزيزة عليه · وماذا يهمه ان كان لا يستطيع الافلات من جاذبية الارض فهو يحب هذه الام التي دب على جنبها وحسبه ان يعرف استثمارها وان يطيل حياته عليهـا ويحيطها بكل ما يستطيع من جمال ولذة · ولقد ظفر ببعض ما أراد ولا يزال المجال رحيباً أمامه فهو يسعى الى الاكثار من معارفه الجوية والارضية آخذاً الى تخفيف نظام الاجتماع بقدر ما يستطاع مداوياً حالات عجزه بما يحاوله من السيطرة على العناصر المحيطة به واذا أمعنا النظر وجدنا ان العجز الفكري هو أم هذه الحالات ولكنه ليس أصعبها معالجة كما سترى ·

من المعلوم ان العلم لم يجلب السعادة لبشر ولا أزال أذكر الضجة التي ارتفعت منذ سنوات قائلة بافلاس المعارف البشرية وكان حامل لوائها « برونتيار » محرر مجلة العالمين غير ان هناك من المنافع التي جاءت عن طريق الرقي ما لا ينكر الا اذا عددنا من الامور التافهة تخفيف وطأة الالم وتقلص ظل الاوبئة ولم يكن في نظرنا احتفاء شبح المجاعات عن وجه الارض شيئاً مذكوراً ·

ثم اننا لم نبلغ من التقدم في المعرفة مايحملنا على الحكم اننا وقفنا عند الحد الاقصى فلا سبيل بعد اليوم ان نعرف اكثر مما عرفنا و(ريشه) نفسه يقول في كتابه ما وراء الروح : « ان من الحماقة ان نرفض الاعتقاد بامكان الشيء لمجرد ان العقل لم يألفه » ويقول ايضاً : « لما ذا نفترض ان حواسنا الخمس هي حدود العالم وانه لا يوجد قوى أخرى خارجة عنها » . ولو ان رجلاً قام في عصر لويس الرابع عشر وقال ان في الامكان ان نسمع في رومه صوت المتكلم في باريس او ان يُرى مافي باطن الجسم الحي او ان تُحفظ جراثيم الامراض في زجاجة او ان يحمل الهواء ٥٠٠ مدفع تنقل بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة . لو ان رجلاً قال هذا القول لذلك العهد لعد مجنوناً وكان مأواه المستشفى او السجن على ان هذه الامور أصبحت اليوم من الحقائق الملموسة واسمها التلفون والاشعة المجهولة والبكتريولوجيا والطيارات .

لا يجهل احد اليوم ان التيار الكهربائي السريع التهادي (Courant de Haute fréquence) يمر بجسم الانسان دون ان يشعر به فمن يدري اذا لم يكن يمر بنا كل حين اهتزازات مختلفة لا نشعر بها من مثل الامواج الهرتزية (١) وسواها ؟ وقد حكى هكسلي عن نفسه انه وضع رأسه بين ذراعي المغناطيس فما أحس بشيء ومع هذا فان للمغناطيس قوة ترفع عن الارض من الحديد مازنته ٢٠٠ كيلوغرام فتأمل .

مثل هذه القوى التي نعرف بها ولا نعرف ماهي لادليل اننا لن نصل يوماً الى فض أسرارها . كنا بالامس لا نعرف السبب الذي من أجله يحوم الفراش حول النور و يهواه ولو كان فيه هلاكه فقام احد العلماء واسمه (ستفان لدوك) واجرى تجارب مهدت السبيل الى إزاحة الستار عنه وذلك انه وضع مذوّب الملح في الماء في زجاجة وعرض نصفها للنور وأبقى النصف الآخر في الظلمة ثم سكب في الزجاجة قطرة من الماء الملون بالحبر الاسود فكانت دقائق المادة السوداء تتحاشى المكان المضيء وتسرع نحو القسم المظلم متجمعة فيه وهذا ما يسمونه (الفوتوتروبيسم — Phototropisme) اي الدورة نحو النور فهذا الحادث اي الدورة نحو النور تجده ايضاً في عالم النبات كما

(١) نسبة الى العالم هرتز .

نرى في بعض الازهار التي تميل الى جهة الشمس ونجده في عالم الحيوان وهو ايجابي وسلبي اي ان الدورة قد تكون انجذاباً الى النور وقد تكون ابتعاداً عنه وعليه بنى (لوب) رأيه في الغرائز فقال : ان السبب في انجذاب الفراش نحو النور هو وجود مادة في عيونه تتأثر بالنور مثلما تتأثر مادة الحبر الاسود ولكن تأثرها ايجابي وهو الذي يفعل بالمركز العصبي فينقل اثره الى العضلات . فما الغريزة في نظره الا تفاعل كيمي وكل آمال الانسان وأحلامه ويأسه وآلامه وما فيه من آداب وفضائل وعيوب ورذائل أصله في غريزة تشبه الفوتوتروبيسم . وسواء صح هذا الرأي ام لا فان هذه التجارب وغيرها دليل على ان العقل الانساني لم يكتب له الجمود فيظل قاصراً عن تناول الاشياء البعيدة عنه وإدراك الحقائق المجهولة منه .

نعم هذا كله لايحل اللغز الاعظم الذي هو مسألة المسائل ولكن هل نكون أقدر على حله يوم نصل الى زيارة المريخ او الى التمليل عن تجزإ البيضة او الى تخفيف سرعة النور مثلاً ؟ واذا عرفنا يوماً من اين اتى الانسان والى اين يذهب فمن يؤكد لنا ان كشف هذا السر ملائم لمصلحة البشر .

عاجز هو الانسان ولاريب لانه انسان لا آله ، ولكنه لم يقف مكتوف اليدين أمام هذا العجز وهؤلاء هم المصلحون والابطال والمخترعون لم تذهب حياتهم سدى . واني من الذين يؤمنون بمستقبل البشرية وينظرون اليه نظرة رجاء ويقين . انا لااجهل ان البغض والرياء والطمع أخلاق راسخة فينا وأعلم ان النزاع بين الافراد والجموع سيبقى الى أجل لايعلمه الا الله ولكن هذا لايمنع الفكر ان يزيد إشراقه والعلم ان يتسع نطاقه حتى تتعدى الانسانية طورها الحاضر بما تملك من زمام العناصر . واذا صح ان يقال عن الدنيا ما يقال عن الحب وهو انها كبعض الفنادق الاسبانية لاتقدم للزائر غيرمايجلبه معه فالانسان الآتي اليها لايجد الراحة الا فيمايحمله بين برديه من جميل التربية ليعرف ان يتمتع بملذات الحياة مع المحافظة على نظام الادب الاجتماعي الذي هو أساس سعادته .

وعلى ذكر الادب الاجتماعي أقول ان هذا الادب ليس لفظة فارغة كما يعتقد البعض او حالة وهمية يختلف مفادها باختلاف السلائل والامم والبلدان ، واتفاقاً

موضوعاً على اعتبار هذا الشيء حسناً وذاك قبيحاً ، وان مايحرم في المدن يحلل في القرى او ما يمنع في الصغر يباح للانسان في كبره . كلا ان هذا الاعتقاد فاسد لان الشرعة الادبية واحدة لاتتغير . خذ حجراً حيث كنت في الشام او مصر او اميركا ودعه يسقط من يدك فانه يهوي الى الارض بناموس الجاذبية . وانظر الى السيل ايان انهمر تجده منحدراً من المكان العالي لاصاعداً اليه . فالسرقة شيء محرم والكذب امر مكروه لا لانه يوجد وصايا دينية او أحكام مدنية تعاقب السارق والكاذب بل لان السرقة والكذب من الاعمال التي تفكك عرى الحياة وتقلقل أساس الاجتماع . الشرعة الادبية ليست في قبضة المرء وطوع اختياره كما انه ليس في اختياره ان خبزاً كان طعامه لاحصى . ولكن الخبرة علمته ان بعض حالات المعيشة صواب وبعضها خطأ تخرج من خلال اختبارات العصور حكمة تتناقلها الاجيال وهذه الحكمة هي المشكاة التي يجب ان نستنير بها في ظلام المعترك الحيوي وهي تتناول تصرفات الانسان بالنسبة الى نفسه والى الآخرين فكما انك اذا أهديت عصفوراً وبطة لاتضع البطة في القفص والعصفور في الماء فالحكمة تعلمك ان تضع كل شيء في مكانه لتحفظ التوازن في حياتك ولاتكون من الخائبين .

وما يقال عن العجز الفكري والادبي يقال عن العجز الفسيولوجي وغيره فان مكتشفات الطب الحديثة وما وصل اليه علم الحياة (البيولوجي) وما أميط عنه الحجاب من أسرار الجسم ووظائف الغدد وغير ذلك شعاع نافذ في دياجي العقول وكوة مفتوحة على عالم المجهول .

هذه هي الخطرات التي عرضت لي عندما وقعت على « الانسان العاجز » . فما كدت أطبق الكتاب حتى تجلى لي العنوان محرّفاً فاذا بي أقرأ : الانسان القادر .

الدكتور نقولا فياض

خطاب تقديم

احد اعضاء المجمع العلمي (١)

سادتي :

عرفت صديقنا الطبيب اسعد الحكيم الذي نحتفل به اليوم منذ عشرين عاماً وقد سبرت في خلالها غوره وعجمت عوده ، فرأيت فيه من جميل الشمائل وجمال الدخائل مايعز وجوده في كثير من أبناء هذا الجيل ، وعرفت فيه من الغيرة على أمته ولغته والحرص على اعلاء شأنهما مايجب ان يكون في كل عربي خلص دمه من كل أشب وقشب ، وسلم جوهره من كل شوب وروب .

ذلك ماحدا بي الى ان أقترح على حضراتكم ضم هذا العضو الصحيح الى زملائه من رجال المجمع الكرام ولا يسعني في هذا المقام الى ان أرتل لكم آيات الشكر والثناء على إحلالكم هذا الاقتراح محله من القبول والرضا .

ويجدر بي ان ألمّ بذكر شيء من نسبه ومولده وتخرجه في العلم والادب ليكون التعارف على اوضح من الضرح وأبين من الصبح واليكم بيان ذلك :

ولد صديقنا هذا في مدينة دمشق سنة ١٣٠٥ هجرية ونشأ فيها نشأة صالحة في حجر والده السيد احمد بن السيد رشيد وهو من أسرة يرتقي نسبها الى السيد حسين قضيب البان الحسيني وهو اول من هاجر منها من حلب واستوطن هذا البلد الطيب وقد تلقى التعليم الابتدائي باديء بدء في المدرسة الريحانية ثم في مدرسة الملك الظاهر .

وفي سنة ١٩٠٠ دخل المدرسة العازارية وأتم التحصيل فيها الى ان أخذ الشهادة النهائية منها سنة ١٩٠٦ وقد أحرز في الفحص الاخير درجة (علي الاعلى) في اللغة العربية والعلوم الطبيعية ودرجة (أعلى) في اللغة الافرنسية وآدابها .

(١) خطاب ألقاه الاستاذ سليم الجندي عند الاحتفال بقبول الدكتور اسعد بك الحكيم عضواً بمجمعنا العلمي في ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٣ .

وفي سنة ١٩٠٧ دخل المدرسة الطبية الافرنسية في بيروت وتخرج في علوم الطب فيها وقد كان في طليعة المبرزين من زملائه ، وانتهى من التحصيل فيها سنة ١٩١١ وأخذ الشهادة الطبية الافرنسية والعثمانية ·

وفي سنة ١٩١٢ ذهب الى صامسون من بلاد الترك ولبث فيها الى ان شبت الحرب العامة فدخل في الجيش التركي برتبة رئيس وذهب مع اول جيش شخص الى بلاد القفقاس وعاد بعد قليل من الزمن الى دمشق ثم شخص الى الحجاز وأسر فيها سنة ١٩١٩ وقد أخلي سبيله سنة ١٩٢٠ فعاد الى وطنه دمشق والقى فيها عصاه الى هذا اليوم ، وقد كان في غرة شبابه مغرى باللغة العربية نزاعًا الى التشبع بآدابها والاطلاع على غريبها ونوادرها ، ثم ولد اشتغاله بالطب ميلاً في نفسه الى التعمق في استقراء مباحث هذا العلم واستقصاء دقائقه والتنقيب عما اهتدى اليه البشر في العهد الاخير من الاختراع والكشف عن أسراره وغوامضه مما لم يهتد الاولون الى إماطة النقاب عنه ولكن ذلك لم يستأصل من نفسه الملكة الادبية ولم ينتزع منها حب اللغة والحرص على اعلاء كلمتها بل كلما عرضت له فرصة انتهزها على الرغم مما كان يعتوره من العقبات في هذا السبيل ·

وقد وضع رواية دمنة الهندي سنة ١٩١٠ ومثلت في المدرسة العثمانية في تلك السنة ثم أعقبها برواية زهير الاندلسي وهذه مثلت فيها سنة ١٩١١ وقد كان لهاتين الروايتين أحسن أثر وأجمل وقع في نفوس القوم الذين لم تقرع أسماعهم من قبل كلمة تنم عن شعور قومي اوحماسة وطنية ولم تألف نفوسهم مواجهة الامراء والكبراء بالتنديد بهم والتصريح بمساويهم ومثالبهم بمرأى ومسمع منهم ·

ثم وضع رسالة اسد القيرواني سنة ١٩١٢ ورواية أذينة التدمري سنة ١٩١٣ وهاتان الروايتان لم تسمح الايام بتمثيلهما ·

وقد بلغت هذه الروايات الغاية القصوى من الاحكام والإجادة واشتملت على ضروب من النظم والنثر تشف عن ملكة راسخة في الأدب وذوق سليم في الشعر وحذق في ابتكار الموضوع وترتيبه وانتقاء الأسلوب وتهذيبه وسيتلو الآن علي

حضراتكم كلمة[1] طبية يعرب فيها عما رآه من العلل والأمراض التي نهكت جسم اللغة وأوهنت قواها وعما يراه من الأدوية النافعة لعلاجها واستئصال شأفتها عما أرشده اليه التتبع والاقتراء ، فأسترعي أسماعكم الى ما جاء فيها من الحقائق الملمعة والأدلة القاطعة فقد قتل ارضًا عالمها ولا ينبئك مثل خبير والسلام عليكم .

تراجم اعضاء المجمع

« الاستاذ عبد الباسط فتح الله »

هو ابن حسن بن مصطفى بن فتح الله الشيخ وأمه سعدى بنت حسن بلوز . وكلا والديه من أسر بيروت القديمة ولنسبهما صلة باهل البيت النبوي .

(نشأته) — ولد عام ١٢٨٨ هـ وتعلم القراءة والخط واوليات الحساب في مدرسة المرحوم الشيخ حسن البنّا .

ثم في سنة ١٣٠٠ دخل المدرسة السلطانية التي فتحت في بيروت فتعلم فيها العربية والتركية والافرنسية وما اليها من الفنون . وكان من أساتذته فيها الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده وعنه اخذ علوم البيان والمنطق والتوحيد والأحكام العدلية (مجلّة) . وكانت له به عناية خاصة فقرأ له في بيته اثناء العطلة المدرسية وليالي رمضان فصولاً من متن التهذيب في علم الكلام والسيرة النبوية .

ولما اضطرب نظام المدرسة بتدخل السلطة العسكرية في إدارتها برحها الاستاذ الامام فتبعه المترجم ولزم مجلسه حتى أشار عليه بدخول الكلية البطريركية لاتمام ما كان حصّله في المدرسة السلطانية من اللغة الافرنسية والفنون . فدخلها عام ١٨٨٨ وحضر فيها درس إمام اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي ودروس غبطة الحبر العلاّمة البطريرك ديمتريوس القاضي (ابونا يوسف لذلك العهد) في الآداب الافرنسية والتاريخ القديم والحكمة الطبيعية واكتسب من ميل هذا الحبر ورعايته ما لا يقلّ عن

(١) نشرت هذه الكلمة في المجلد الخامس (ص ٤٥٦) .

حضراتكم كلمة(١) طبية يعرب فيها عما رآه من العلل والأمراض التي نهكت جسم اللغة وأوهنت قواها وعما يراه من الأدوية النافعة لعلاجها واستئصال شأفتها مما أرشده اليه التتبع والاقتراء ، فأسترعي أسماعكم الى ما جاء فيها من الحقائق الملمعة والأدلة القاطعة فقد قتل ارضاً عالمها ولا ينبئك مثل خبير والسلام عليكم .

تراجم اعضاء المجمع

« الاستاذ عبد الباسط فتح الله »

هو ابن حسن بن مصطفى بن فتح الله الشيخ وأمه سعدى بنت حسن بلوز . وكلا والديه من أسر بيروت القديمة ولنسبهما صلة باهل البيت النبوي .

(نشأته) — ولد عام ١٢٨٨ هـ وتعلم القراءة والخط واوليات الحساب في مدرسة المرحوم الشيخ حسن البنّا .

ثم في سنة ١٣٠٠ دخل المدرسة السلطانية التي فتحت في بيروت فتعلم فيها العربية والتركية والافرنسية وما اليها من الفنون . وكان من أساتذته فيها الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده وعنه اخذ علوم البيان والمنطق والتوحيد والأحكام العدلية (مجلة) . وكانت له به عناية خاصة فقرأ له في بيته اثناء العطلة المدرسية وليالي رمضان فصولاً من متن التهذيب في علم الكلام والسيرة النبوية .

ولما اضطرب نظام المدرسة بتدخل السلطة العسكرية في إدارتها برحها الاستاذ الامام فتبعه المترجم ولزم مجلسه حتى أشار عليه بدخول الكلية البطريركية لاتمام ما كان حصّله في المدرسة السلطانية من اللغة الافرنسية والفنون . فدخلها عام ١٨٨٨ وحضر فيها درس إمام اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي ودروس غبطة الحبر العلاّمة البطريرك ديمتريوس القاضي (ابونا يوسف لذلك العهد) في الآداب الافرنسية والتاريخ القديم والحكمة الطبيعية واكتسب من ميل هذا الحبر ورعايته ما لا يقلُّ عن

(١) نشرت هذه الكلمة في المجلد الخامس (ص ٤٥٦) .

اهتمام الاستاذ وعنايته · ثم خرج من هذه الكلية وقد نال شهادتها العلمية مع جائزة الشرف في العلوم العربية ·

وكان يختلف اثناء العطلات المدرسية وفي أوقات الفراغ بعدها الى مجلس الاستاذ المحدّث الشهير الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت السابق رحمه الله فسمع منه مع فريق من طلبة العلم جملةً صالحة من صحيح البخاري ·

(حياته العملية) — لما برز الى ميدان العمل كان من رأي ذويه ان يمارس الكتابة الافرنسية في نظارة انحصار التبغ (رجي) لكي يسهل عليه امر المعاملات التجارية والمراسلة في هذه اللغة · فدخلها بصفة ملازم ومكث فيها نحو السنتين واتفق ان انتخب سنة ٣٠٩ مالية المرحوم السيد محمد عبدالله بيهم لرياسة المجلس البلدي فدعي المترجم الى القيام بوظيفة محاسب البلدية فأبى باديء ذي بدء اذ لم يكن من رأيه منذ حداثة سنه ان ينتظم في سلك الموظفين بل كان ينفر بطبعه عن الوظائف حذر قيودها والريبة التي تشوّه سمعة السواد الاعظم من أربابها ولكنه لم يجد سبيلاً الى الخلاص من إلحاح السيد المخلص فحمل الوظيفة المذكورة كرهاً ·

الا انه مازال ينزع الى تركها حتى تم له ذلك اذ استقال وانضم الى اخيه الاكبر في أعماله التجارية ·

ولما نسّقت المحاكم تعين بالرأي العام عضواً لمحكمة الاستئناف فلبث فيها برهةً قليلة ·

وكذلك سمي عضواً في الهيأة البلدية التي تألفت برياسة فقيد الوطن المرحوم احمد مختار بيهم وبعد ذلك بقليل وقعت الحرب العالمية واشتدت الأزمة التجارية وعمت الدعوة الى الجندية فاضطر لتصفية محله التجاري وكان قد توفي أخوه واصبح مفرداً بغير معاون ·

(خدمته للعلم) — بيد ان مشاغله الادارية والتجارية لم تكن لتمنعه مما يهوى اليه فؤاده من خدمة العلم ونشره · فقد دعاه الاستاذ الشيخ احمد عباس الى معاونته على تأسيس مدرسته الشهيرة (بالمدرسة العثمانية) فلبى الدعوة ونشط للخدمة اذ وجد فيها متسعاً لتحقيق أمانيه في الاصلاح وظل يتبرّع بمشاطرة الاستاذ المشار اليه تدبير مدرسته وتنظيمها ويلقي فيها المحاضرات الادبية ويعطي الدروس في الجغرافيا

والطبيعيات والتعريب الى ان فضت السياسة باقفالها أوائل ايام الحرب ٠

على ان سعيه نحو غايته من بث العلم لم يكن لينحصر في سبيل تعليم البنين وتربيتهم بل كان لتثقيف البنات والوفاء لهن بحقهن من العلم والتهذيب مناط همه الاكبر٠ فبالرغم من المصاعب الجمّة التي كانت تعترض الساعين في تنوير الامة (خصوصاً العربية) ايام عبد الحميد قد توفق مع طائفة من المفكرين الناهضين لتأسيس (جمعية ثمرة الاحسان) بغية تحسين حالة الانثى المسلمة وأنشأوا لها مدرسة حوت العدد الجم من البنات ومن تلميذاتها اليوم من تدير احدى مدارس الحكومة ٠ واشترك كذلك مع فريق آخر من الشبيبة في تأسيس (جمعية مآثر التربية) التي غايتها معاونة الطلبة المعوزين على تحصيل العلم العالي او الاخصاء في احد فروعه في كليات بيروت او جامعات اوربا ٠ ومن أبنائها من هم اليوم في عداد الاطباء والمحامين واهل القضاء ٠

وانتخب لعضوية (جمعية المقاصد الخيرية) ولا يزال حتى اليوم يدأب في خدمة مدارسها على نحو خدمته للمدرسة العثمانية ومدرسة ثمرة الإحسان من قبل ٠ كما انه قائم بتدريس الديانة والتهذيب للصنوف المؤلفة من البنات المسلمات (في المدرسة السورية الاهلية) ٠

(أثر قلمه) — تراه وهو في غضون تلك الاعمال يغتنم الفرصة و يفترص المناسبة لبث الافكار الصحيحة والمبادئ السليمة و يلفت الانظار الى حقائق الامور وتعرف المصلحة العامة والاعتدال في الاخذ بالجديد والمحافظة على القديم عاملاً بسنة أستاذه في الدعوة الى ترك الجمود على التقليد الضارّ وخلط الدين في كل شأن من شؤون الدنيا ٠

تلك المقاصد والموضوعات تراها منبثةً في مقالاته وخطبه جارية من بيانه مجرى الدم من جثمانه ٠

ومما يناسب ان يخصّ بالذكر في هذا المقام دلالةً على شعوره الادبي ما كتبه بعيد خروجه من المدرسة في بيان حاجة العربية الى تأسيس مجمع علمي ينقسم الى شعب تتفرغ كل منها للعمل في سد جانب من عوز اللغة ٠ (الامر الذي لم يتم لنا الا بعد ثلاثين سنة) ٠

وعدا الفصول الادبية والمقالات الاجتماعية فقد عني بتعريب (كتاب التدريس العلمي) لپول برت احد نظار المعارف الافرنسية • وكتاب فلسفة السياسة لكوستاف لوبون • وكتاب الرين ووستفاليا لجول هورة • ورسالة (مسألة النساء) لارنست لوكوفي • غير ان الثلاثة الاولى لم تتم وعسى ان يتيسر له اتمامها •

الاستاذ سليمان الظاهر

(مولده ونشأته) = هو سليمان بن محمد بن علي بن ابراهيم بن حمود بن ظاهر زين الدين العاملي النبطي ، ولد بالنبطية في اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢٩٠ ودخل مكتب بعض شيوخها في السنة العاشرة من عمره فقرأ القرآن الكريم وشدا شيئاً من الخط والاملاء وهو كل ما كان يحويه مكتب ذلك الزمان من علم وتعليم وخرج منه بعد سنة وفي نفسه نزوع للتعليم غرسه فيها والده ولما كانت وسائله مفقودة من بلده في ذلك الحين والرحلة الى غيره خارجة عن حدود طاقته وقد امتلأ قلبه من حب العلم وهو بعد لم يعرف له حداً ولا رسماً ولهج به وبتلمس وجوه طلبه لسانه رأى والده ان يلتمس من صديقه السيد محمد نور الدين الموسوي المقيم بقرية النبطية الفوقا على بعد نصف ساعة من النبطية منحه جزءاً من وقته يلقنه به بعض الدروس النحوية فأجابه الى ماالتمسه فأخذ يتردد عليه صبيحة كل يوم ويقرأ عليه بعض المتون في علم النحو حفظاً وثابر على ذلك مدة من الزمن الى ان تهيأت له الرحلة الى مدرسة العلامة السيد حسن آل ابراهيم بقرية النميرية على بعد ستة أميال من النبطية فمكث فيها بضعة أشهر يدرس مبادئ علمي النحو والصرف ثم أقفلت تلك المدرسة لاسباب لا محل لذكرها فرجع الى بلده وعاود الدرس على أستاذه الاول مع بعض رفاقه الى سنة ١٣٠٣ التي قدم فيها النبطية عن دعوة من أهلها السيد محمد آل ابراهيم فلازمه وقرأ عليه شطراً من العلوم العربية وآدابها وشيئاً من الفلسفة القديمة والالهيات والكلام ، وفي تلك الايام نبه شأن مدرسة بنت جبيل لمؤسسها الشيخ موسى شرارة فارتحل اليها وأقام بها بضعة اشهر وعاد في ايام عطلتها

وكان آخر عهده بها لوفاة مؤسسها · وفي سنة ١٣٠٦ جدد اول أساتذته السيد محمد نور الدين مدرسة آبائه في النبطية الفوقا ونسل اليها الطلاب من كل حدب وصوب فانتقل اليها ودرس فيها على الاستاذ الفاضل الشيخ جواد السبيتي بعض شرح الشمسية للقطب في المنطق وشرح التلخيص للسعد في المعاني والبيان الى سنة ١٣٠٩ التي قدم فيها النبطية من النجف الاشرف عن دعوة من سكانها السيد حسن يوسف وأنشأ فيها مدرسة حفلت بالطلاب فكانت من خيرة المدارس العاملية وأمها الكثيرون من الافاضل وكان من جملة الوافدين عليها الاستاذ الشيخ احمد آل مروة فدرس عليه تتمة شرحي الشمسية والتلخيص ومقدمة معالم الدين في اصول الفقه وبعض كتب الكلام ودرس رسائل الفقيه الاصولي الشيخ مرتضى الانصاري في الاصول وكتابيه المكاسب والطهارة في الفقه والقوانين في علم الاصول للميرزا القمي وشرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني على رئيس المدرسة · وكان مع ذلك يلقي على الطلاب دروس المعاني والبيان والمنطق والفقه والاصول والكلام الى سنة ١٣٢٤ وهي السنة التي توفي فيها آخر اساتذته فتفرق شمل الطلاب وكان ذلك آخر عهده بتلقي دروس العلم ولكنه عكف على المراجعة ومطالعة الكتب العصرية والمجلات العلمية فكانت له في ذلك قدم صالحة ·

(نشأته الأدبية) = نما فيه الميل الى مزاولة الادب العربي وممارسة الكتابة والتمرن على أساليبها العصرية نابذاً الطريقة القديمة العقيمة التي كانت متبعة في جبل عامل فلم ينتقص حظه من اجتهاده وتحرى طريقة الكرام الكاتبين من أبناء عصره وراسل بعض الصحف البيروتية واللبنانية والدمشقية وتولى كتابة المقالات الافتتاحية في جريدة المرج التي أنشأها في أوائل الانقلاب العثماني في الجديدة صديقه الحميم الطبيب أسعد ذياب رحال الى ان حجبتها الحرب العامة وكتب في مجلة العرفان لصديقه الشيخ احمد عارف الزين وفي جريدته جبل عامل المحتجبة أبحاثاً في السياسة والاجتماع والاخلاق والتاريخ ·

أولع بنظم الشعر وهو ابن خمس عشرة سنة ولكنه نهج فيه مناهج شعراء العصر ونبذ الطريقة القديمة التي كانت وما زالت متبعة في بلاده ، وجل منظوماته في

الأخلاق والاجتماع والوصف وذم مساويء المدنيـة الحاضرة ، والمنشور بالطبع من قصائده قليل والكثير منها ولا سيما ما كان في الحرب العامة وما بعدها لا يزال مطوياً وهو قليل الرغبة بنشر شعره ·

له بعض المؤلفات ولم يطبع منها شيء ، منها رسالة في أحوال ابي الاسود الدؤلي وأخرى في نقض مذهب دارون وكتاب الشعر العاملي المنسي خرج منه ثلاث مجلدات وهو احد جامعي ديوان العراقيات وله ديوان شعره وهو ولوع باقتناء الكتب في مختلف الفنون وما جمعه في مكتبته يبلغ زهاء الف كتاب ·

(حياته السياسية) = عني بالسياسة منذ الصغر ولا سيما ما يتعلق منهـا بوطنه ونكب في سبيلها نكبات في الحرب العامة وكان في القافلة الاولى بين مسجوني عاليه سنة ١٣٣٣ وبعد سجنه ثلاثة وخمسين يوماً خرج مبرءاً من التهم السياسية وكان لصديقيه الامير شكيب أرسلان ورئيس المجمع العلمي السيد محمد كرد علي يد بيضاء في المدافعة عن مسجوني تلك القافلة · وبعد الحرب أصابه سهام من أذى السياسة · وتجنب اليوم كل عمل سياسي لما جرته عليه السياسة من النكبات ·

(في الجمعيات) = دخل سنة ١٣١٦ عضواً في جمعية التعاون الخيري العام · وهو احد مؤسسي المحفل العلمي العاملي في العهد الحميدي ولكنه لم يكتب له البقاء وكان عضواً في الهيأة المركزية بفرع جمعية الاتحاد والترقي الذي تأسس في بلده في أوائل الانقلاب العثماني وعضواً في الجمعية الخيرية العاملية التي تأسست في النبطية سنة ١٢٣١ وعضواً في جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بلده منذ تأسيسها الى سنة ١٣٤٢ وهو من عمدة المدرسة الدينية العلمية التي جددها الحاج حسين الزين واخوه يوسف بك الزين وتولى بعد الحرب رئاسة جمعية نشر العلم في صيدا ·

(في التجارة) = اعطي التجارة بعضه فلم تنقد اليـه وما كان للمرء ان يصرف مواهبه الى غير وجهتها ولم يخلق تاجراً (وكل ميسر لما خلق له) ولكن الضرورة وقلة موارد الرزق مع العفة قضت عليه ان يعمل عملاً يبلغ به الكفاف والعفاف وكان نصيبه من كل عمل اقتصادي مارسه نصيب الأديب الشـرقي ، ولم يفلح في عمل تجاري ·

(في الوظائف) = ندب سنة ١٣٣٨ على أثر الاحتلال وتشكيل حكومة صيدا الوطنية برئاسة رياض بك الصلح — قاضي تحقيق (مستنطق) في محكمة صيدا البدائية فلم يسعه الرد وبعد اربعة أشهر استقال منها لاسباب لا يتسع المقام لبسطها وسنة ١٣٤٢ ندب عضواً لمحكمة كسروان البدائية وبعد اربعة أشهر ندب حاكم صلح في الهرمل ثم حاكم صلح في النبطية عند تأسيس المحكمة الصلحية فيها الى هذا اليوم . والوظائف من الاعمال التي ينبو عنها طبعه ولاسيما مثل هذه الوظيفة التي هي مزلة للأقدام ومتعبة للوجدان وحسبها ان قيل فيها :

ان نصف الناس اعداء لمن   ولي الاحكام هذا ان عدل

ولكنها الضرورة وللضرورة أحكام قضت عليه ان يليها على غير رضى ولله الامر من قبل ومن بعد .

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٤ —

نشرت في المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي العربي مقالاً في ألوان الخيل وشياتها مع مايقابلها في الفرنسيه وفاتني ان أذكر انه قد يكون في شعور الدواجن نكات تسمى دوائر يختلف اتجاهها عن اتجاه سائر الشعر فيكون (الاتجاه) اما الى داخل الدائرة او الى خارجها . وهذه الدوائر هي بالفرنسية (Epis) وأشهرها في الخيل دائرة المحيا باسفل الناصية ودائرة اللطمة في وسط الجبهة ودائرة السمّامة في وسط العنق والمعوّذ في موضع القلادة الخ .

وارباب الخيل المغرمون بالجياد العربية الاصيلة لايجهلون مالقوائمها من الشأن فاذا درسوا في كتب الزرطقة الفرنجية شيئاً في حالة القوائم وعللها فانه يفيدهم الاطلاع على الفاظ عربية تقابل بعض مايرونه في تلك الكتب ، مثاله اذا تباعد مابين العرقوبين فهو الفَحَج و بالفرنسية (Jarret cambré) . واصطكاك الكعبين (ادب الكاتب) او التقاء العرقوبين (كتاب الخيل للاصمعي) هو الصَكَك و بالفرنسية (Jarret clos) . والبَدَد تباعد مابين اليدين والحصان الأبدّ هو بالفرنسية (Animal ouvert) .

وجاء في كتب اللغة ان الصَدَف تداني الفخذين وتباعد الحافرين في التواء من الرسغين . وهذه صفات الحيوان الذي يسمى بالفرنسية (AnImal panard) اي الذي يلتوي سنبكاه (مقدم حافريه) الى الخارج . فاذا التوى الى الداخل فهو أقْفَد (A. Cagneux) والفعل القَفَد .

وللتسافد طرائق خمس : فاذا كان الذكر والانثى من نوع واحد ورسٍّ (عرق) واحد سميت وسيلة الضراب الانتخاب (Selection) مثاله حمل حصان عربي على سفاد فرس عربية . وقد شاعت هذه اللفظة لهذا المعنى ولا أدري من هو واضعها . واذا كان الذكر والانثي من نوع ورس وأُسرة واحدة كأن يكون الذكر خال الانثى اوابن عمها فذلك هوالاصطفاء و بالفرنسية (Consanguinité) . وقد ترجمها بعضهم

لاسيما مؤلفو الترك بلفظ « القرابة الدموية » وهو لا يفيد المرام لانه لا يدل على عمل . والاصطفاء أخص من الانتخاب كذلك مدلول لفظة (Cousanguinité) بالنسبة الى مدلول لفظة (Selection) .

واذا كان الذكر والانثى من نوع واحد لكن كلاً منهما ينتسب الى رس فطريقة الضراب هي التهجين (Croisement) . مثاله حمل حصان عربي على سفاد فرس انكليزية او بالعكس . والولد الذي ينتج عن هذا الشكل من السفاد يسمى بالفرنسية (Métis) وله بالعربية اسمان فان كان الأب من عرق كريم والام من عرق خسيس يراد تجويده سمي الولد هجيناً وفي عكس ذلك يسمى مقرفا . وجميع الشاميين الذين درسوا الزراعة في مدارس الترك يستعملون لفظة التصالب عوضاً عن التهجين مع ان هذه فصيحة وقديمة وهي تقابل لفظة (Croisement) تماماً .

واذا جعل الهجين ينزو على هجين فهو بالفرنسية (Métissage) . ورأيت ان اسميه التخليط لما في هذا العمل من اختلاط الدم في حيوانات تنتسب الى عروق مختلفة .

ولست أرى بأساً في استعمال كلمة التبغيل لما يسمى بالفرنسية (Hybridation) اي طريقة السفاد التي يكون فيها الذكر من نوع حيواني والانثى من نوع آخر كسفاد الحصان للأتان او الحمار للفرس . وحاصل الضراب في هذه الحال يسمى بغلاً لكنه من الضروري ايجاد كلمة لما ينتج عن هذا الشكل من السفاد عندما يكون الابوان من غير نوع الخيل والحمر كأن يكون الاب ذئباً والام كلبة مثلاً ففي هذه الحال أرى ان نتوسع بلفظة « البغل » فنطلقها على ما يسميه الفرنسيون (Hybride) عموماً اي على كل حيوان ابوه من نوع فسيولوجي وأمه من نوع آخر الا اذا كانت ثمة لفظة أصلح لم أهتد اليها .

والدواجن على قسمين ذوات الرأس القصير او المدور (Brachycéphales) وذوات الرأس الطويل او المصفح (Dolichocéphales) فالخيل والضأن ذوات الرؤوس القصار هي التي يكون فيها عرض النقرة اي المسافة بين قاعدتي الأذنين أطول من المسافة بين قاعدة الاذن وزاوية العين الخارجية . اما في ذوات الرؤوس الطوال فالمسافة الاولى تكون أقصر من الثانية دائماً .

والدواجن من حيث شكل جباهها على ثلاثة اقسام : ذوات الجبهة المستقيمة (Rectilignes) وذوات الجبهة الحدبة (Convexes) ثم ذوات الجبهة المقعرة (Concaves) وهي من حيث قدها ووزنها على ثلاثة اقسام ايضاً : الربعات (Eumétriques) والأقزام (Ellipométriques) والجبابرة (Hypermétriques) .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

اراء وافكار

اللغة العربية ومأمورو الطابو

جاءني من احد وجهاء دمشق كتاب قال فيه : « لنا دار صغيرة في (دمر) تحتوي على ثلاث غرف احداهن تستعمل للحطب وأحياناً للدابة . فجاءت هيأة من قبل دائرة الطابو للكشف على الدار ثم نظمت تقريراً قالت فيه انه يوجد في الطابق السفلي من الدار غرفتان ومرأب » فلم افهم المراد من كلمة (المرأب) فراجعت كتب اللغة فلم أجد علاقة مابين مادة (رأب) وبين غرفة الدابة والحطب . لكنني كنت في السنة الماضية رأيت في ميزانية الحكومة بعض نفقات باسم (المرأب) فسألت ما هو (المرأب ؟) فقيل لي انه محل لتصليح سيارات الحكومة . وهي كلمة وضعها (المجمع العلمي) . فأرجو تعريفي لاي شيء وضع المجمع كلمة (المرأب) وهل يجوز استعمالها للغرفة المذكورة التي نطلق عليها احياناً كلمة آخور انتهى كلام الوجيه الموما اليه .

ولا ريب ان ملاحظته في محلها لكن الذنب ليس على المجمع بل على المأمور الذي سها عن باله ان يستعمل (المرأب) في محله .

فالمجمع العلمي انما وضع (المرأب) لمستودع السيارات : فقد كان طُلب منه كلمة تدل على ذلك المستودع الذي يسمى بالفرنجية (كاراج) وقد تحققنا ان كلمة (كاراج) تطلق على المستودع مطلقاً سواء أكان لتبييت السيارات فيه او لاصلاحها فيه .

والدواجن من حيث شكل جباهها على ثلاثة اقسام : ذوات الجبهة المستقيمة (Rectilignes) وذوات الجبهة المحدبة (Convexes) ثم ذوات الجبهة المقعرة (Concaves) وهي من حيث قدّها ووزنها على ثلاثة اقسام ايضاً : الربعات (Eumétriques) والأقزام (Ellipométriques) والجبابرة (Hypermétriques) ·

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

اراء وافكار

اللغة العربية ومأمورو الطابو

جاءني من احد وجهاء دمشق كتاب قال فيه : « لنا دار صغيرة في (دمر) تحتوي على ثلاث غرف احداهن تستعمل للحطب وأحياناً للدابة · فجاءت هيأة من قبل دائرة الطابو للكشف على الدار ثم نظمت تقريراً قالت فيه انه يوجد في الطابق السفلي من الدار غرفتان ومرأب » فلم افهم المراد من كلمة (المرأب) فراجعت كتب اللغة فلم أجد علاقة مابين مادة (رأب) وبين غرفة الدابة والحطب · لكنني كنت في السنة الماضية رأيت في ميزانية الحكومة بعض نفقات باسم (المرأب) فسألت ما هو (المرأب ؟) فقيل لي انه محل لتصليح سيارات الحكومة · وهي كلمة وضعها (المجمع العلمي) · فأرجو تعريفي لاي شيء وضع المجمع كلمة (المرأب) وهل يجوز استعمالها للغرفة المذكورة التي نطلق عليها احياناً كلمة آخور انتهى كلام الوجيه الموما اليه ·

ولا ريب ان ملاحظته في محلها لكن الذنب ليس على المجمع بل على المأمور الذي سها عن باله ان يستعمل (المرأب) في محله ·

فالمجمع العلمي انما وضع (المرأب) لمستودع السيارات : فقد كان طُلب منه كلمة تدل على ذلك المستودع الذي يسمى بالفرنجية (كاراج) وقد تحققنا ان كلمة (كاراج) تطلق على المستودع مطلقاً سواء أكان لتبييت السيارات فيه او لاصلاحها فيه ·

وقيل لنا انه قلما يخلو مستودع من عمليات التصليح فيكون التصليح داخلاً في مفهوم كلمة (كاراج) . و (الرأب) في اللغة العربية معناه ان يكون في الشيء خلل اوصدوع فتصلح . والذي يصلح الخلل يسمى (رءّاباً) . فوضعنا نحن كلمة (مرأب) للمكان الذي يقع فيه الرأب والتصليح . فالمرأب انما وضعه المجمع لمأوى السيارات .

وهنا يُعترض علينا بان مأوى السيارات قد لا يجري فيه تصليح فكيف سميتموه (مرأباً) ؟ ويعترض علينا ايضاً بان (مرأب) لم يسمع في كلام العرب وان سمعت مادة (الرأب) وبعضُ مشتقات منها .

والجواب على ذلك ان اشتقاق (مرأب) من (الرأب) قياس فلا يحتاج فيه الى السماع من العرب . اما اطلاقنا (المرأب) على مأوى السيارات التي لايجري فيه تصليح فهذا منا تسامح وتوسع لا بد منه في وضع الكلمات الجديدة للمعاني المستحدثة . والا فاننا اذا تشددنا في وضع الكلمات بحيث لانضع كلمةً جديدة حتى تدل على المعنى الجديد من كل الوجوه و بجميع الاعتبارات فاننا اذ ذاك نجمد ونتعطل عن الوضع تماماً ، فالتسامح في الاستعمال والوضع لا بد منه لكن بشرط ان نقف عند حد محدود في التسامح ولا نفعل كما فعل اخواننا مأمورو الطابو مذ تسامحوا جد التسامح فأطلقوا (المرأب) على مانسميه القبو او الآخور اوالاصطبل فانه لايجري فيها تصليح كمالايخفى . والحاصل ان (المرأب) اسم لمأوى السيارات فقط .

« المغربي »

رسالتان لغويتان

في المدرسة المنصورية بحلب بقية كتب مخطوطة من مكتبة وقفها على هذه المدرسة بانيها الشيخ منصور السرميني المتوفى سنة ١٢٠٧ من جملتها شرح العلامة المناوي الكبير على الجامع الصغير للحافظ السيوطي .

تصفحت هذا الكتاب فوجدت في آخره ورقتين كتب فيهما قصيدتان مهمتان في اللغة يجدر بكل عالم واديب ان يطلع عليهما لما فيهما من الفوائد اللغوية التي لا يتأتى

الوقوف عليها الا بعد عناء كثير وتتبع طويل . احداهما قصيدة في المقصور والممدود للامام اللغوي ابي بكر بن دريد صاحب المقصورة الدريدية المشهورة .

كانت هذه القصيدة طبعت في مصر في ذيل الشرح المسمى اعجب العجب في شرح لامية العرب للامام الزمخشري سنة ١٣٢٤ الا انها لم تطبع بتمامها ولا شرح هناك لكلماتها ولا عنوان على فصولها . وفي النسخة التي عثرت عليها زيادات من قوله باب ما يكسر اوله فيقصر الخ ولكل فصل عنوان كما ستراه .

ثانيتهما قصيدة جامعة لما يكتب بالواو والياء للعالم الاديب ابي المحاسن يوسف ابن اسماعيل بن علي المعروف بالشواء الحلبي المتوفى سنة ٦٣٥ وقد شرح هذه القصيدة محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨ وسماه هدي أمهات المؤمنين توجد نسخة منه في مكتبة كوبريلي في الاستانة ورقمها ١٤٩٩ ان كانت هذه المكتبة باقية الى الآن . والامامان المذكوران مترجمان في الجزء الرابع من تاريخي (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) .

وفي حواشي القصيدتين شرح لها لا ادري لمن ؟ وخطها سقيم جداً لا يقرأ الا بعد تأمل طويل وهاتان هما :

« الرسالة الاولى »

« باب مايفتح اوله فيمد ويقصر والمعنى مختلف »

لا تركنَنّ الى الهوى ... واذكر مفارقة الهواء [1]
يوماً تصير الى الثرى ... ويفوز غيرك بالثراء [2]
كم من صغير في رجا ... بير لمنقطع الرجاء [3]
غطى عليه بالصفا ... اهل المودة والصفاء [4]

(١) الهوى المقصور هوى النفس والممدود مابين السماء والارض . (٢) الثرى المقصور هو التراب والممدود المال . (٣) الرجا المقصور جانب البئر والممدود معروف (٤) الصفا المقصور الحجارة والممدود معروف .

ذهب الفتى عن اهله اين الفتيُّ من الفتاء (٥)
زال السَّنا عن ناظريْه وزال عن شرف السَّناء (٦)
ما زال يلتمس الخلا حتى توحد في الخلاء (٧)
قطع النَّسا منه الزمان فلم يمتع بالنَّساء (٨)
واري العشا في العين اكثر ما يكون من العشاء (٩)
واري الخوا يُذكي عقول ذوي التفكر في الخواء (١٠)
ولرُبَّ ممنوع العرا ولذوف ينبذُ بالعراء (١١)
من خاف من ألم الحفا فليجتنب مشيَ الحفاء (١٢)
كم من توارى بالنقا بعد النظافة والنقاء (١٣)
واخو الغرا من لا يزا ل بما يضرّ اخا غراء (١٤)
ان الحياة مع الحيا وارى البهاء مع الحياء (١٥)
عقل الكبير من الورى في الصالحات من الوراء (١٦)
لو نعلم الشاة النجا منها لجدت في النجاء (١٧)
واري الدوا طول السقا م فلا تفرط في الدواء (١٨)

(٥) الفتى المقصور واحد الفتيان والممدود واحد الفتوة . (٦) المقصور النور والممدود المجد والشرف . (٧) الخلا المقصور الحشيش والممدود من الخلوة . (٨) النسا المقصور عرق والممدود التأخير . (٩) العشا المقصور داء في العين والممدود الاكل عشيًا . (١٠) الخوى المقصور الجوع والممدود الهواء اي الفراغ . (١١) العرى المقصور ماحول الدور والممدود المكان الخالي . (١٢) الحفا المقصور مصدر حفي والممدود مشي بغير نعل . (١٣) النقا المقصور الحجارة الرقاق والممدود مصدر من النقا وفي الصحاح والنقاء ممدود النظافة والنقا مقصور الكثيب من الرمل . (١٤) الغرا المقصور ولد البقر والممدود الولوع بالشيء . (١٥) الحيا المقصور الغيث والممدود الاستحيا (١٦) الورى المقصور من الخلق والممدود من الخلف . (١٧) النجا المقصور سلخها والممدود السرعة في الهرب . (١٨) الدوى المقصور طول المرض والممدود مايتداوى به .

واذا سمعت وحي الزما ... ن فلا تقصر في الوحاء [19]
فلربما ودّى السّفا ... الى السّفا اهل السّفاء [20]
ياابن البرى ان الاحبـ ... ـة يؤذنونك بالبراء [21]
فكل الفنا ان لم تجد ... حلاً فانك في الفناء [22]
واراك قد حال العمي ... ما بين عينك والعماء [23]
فانظر لعينك في الجلا ... ان خفت من يوم الجلاء [24]
فلربما ودّى الغضا ... مُتَزَوّديه الى الغضاء [25]
فاهدأ هديت الى الذكا ... ان كنت من اهل الذكاء [26]
فالمرء نبّه بالعفا ... فلم يفكر في العفاء [27]
سيضيق متّسع الملا ... بالخرجين من الملاء [28]
فارغب لربك في الجدا ... ما انت عنه ذو جداء [29]
توصي وعقلك ذو بدا ... فلذاك رايك ذو بداء [30]
فكأنما ريح الصبا ... تجري بطلاب الصباء [31]
باعوا التيقظ بالكرا ... فعقولهم بذوي كراء [32]
فكأنهم معز الأبا ... وكالحطام من الأباء [33]

(١٩) الوحا بالقصر الصوت وبالمد السرعه . (٢٠) السفا المقصور تراب القبر والممدود الطيش ودّى اي ساق . (٢١) البرا المقصور التراب والممدود مصدر بريء . (٢٢) الفنا عنب الثعلب . (٢٣) العمى المقصور عمى العين والممدود السحاب الرقيق . (٢٤) الجلا المقصور الكحل والممدود الخروج من المنزل . (٢٥) الغضا المقصور البلغة والممدود من السعة . (٢٦) الذكا المقصور اشتعال النار والممدود الفهم . (٢٧) العفا المقصور الأغما والممدود الهلاك . (٢٨) الملا المقصور الارض الواسعة والممدود الغنى . (٢٩) الجدا المقصور العطاء والممدود الغنى وفي الصحاح الجدى بالقصر الجدوى وهما العطية وفلان قليل الجداء عنك بالمد اي قليل الغنا والنفع . (٣٠) البدا المقصور موضع والممدود نقيض الرأي . (٣١) الصبا المقصور الريح الشرقية والممدود مصدر صبا . (٣٢) الكرا المقصور النوم والممدود بيت بالطائف . (٣٣) الأبا المقصود داء يأخذ المعز والممدود اطراف القصب .

«باب ما يكسر اوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف»

كم من عظام باللوى قد فارقت خفق اللواء (١)
وارى الغنى يدعو الغنيّ الى الملاهي والغناء (٢)
يمضي الإنا بعد الإنا ومناه في ملء الإناء (٣)
فلربما فضح الرجا ل ذوي اللحا كشف اللحاء (٤)
ولربما صاد العدا ذا السبق في صيد العداء (٥)
ولربّ مهجور البنا بعد التأنق في البناء (٦)
وليستوي اهل الكبا وذوي التعطر في الكباء (٧)
ولربّ ماء ذي روىً يحتاج فيه الى الرواء (٨)

«باب ما يكسر اوله فيقصر ويفتح ويمد والمعنى واحد»

وارى البلا يبلي الجديـ ـد وكل شيء للبلاء (٩)
كم من إناً يفني الليالي ثم يفنى بالأناء (١٠)
وارى القرا ما لا يدو م على الزمان لذي قراء (١١)
وذوي السوا يرث الفتى واينزعنّ من السواء (١٢)
حب النساء الى قلا وارى الصلاح مع القلاء (١٣)
ماء الحياة روىً واي للحبلات من الرواء (١٤)

---

(١) اللوا المقصور الرمل والممدود لواء الامير . (٢) الغنى المقصور ضد الفقر والممدود من الصوت الذي يطرب به . (٣) الانا المقصور واحد الآناء وهي الساعات والممدود واحد الآنية . (٤) اللحا المقصور جمع لحية والممدود الشتم . (٥) العدا المقصور الأعداء والممدود الموالاة بين التيسين . (٦) البنا المقصور جمع بنية والممدود من البناء . (٧) الكبا المقصور الكناسة والممدود ضرب من العود . (٨) الروا المقصور الماء الكثير والممدود حبل يشد فيه الخيل . (٩) البلا بالقصر والمد اسم لما يبلى . (١٠) الإنا والأناء ... (١١) القرى والقراء قرى الضيف . (١٢) السوا والسواء الغير . (١٣) القلا والقلاء البغض . (١٤) والروى والرواء الكثير (هكذا هذا البيت ولم يظهر لها) .

كم من إيَا شمسٍ رأيـ ـت ولا ترى مثل الإِياء (١٥)

« باب ما يضم اوله فيقصر و بكسر فيمد والمعنى واحد »

تهوى أُقـا ما لا يحل وبعدَه يوم اللِقاء (١٦)

« باب ما يفتح اوله فيقصر و يكسر فيمد والمعنى واحد »

وسكنت بيتـاً ذا غمىً وليخرجن من الغِماء (١٧)

فانظر لسهمك في غرا لا تستقيم بلا غراء (١٨)

واحذَرْ صَلَى نار الجحيم فانه شـرُّ الصِّلاء (١٩)

فجَرَى الشباب يزول عنـ ـك وقلّ ماغنى الجراء (٢٠)

واري الغَذَى لا يستطا ع فَمَنْ لنفسك بالغذاء (٢١)

كم قد وردْتَ عن الإِضا وصدرْت عن ذاك الاضاء (٢٢)

« باب ما يفتح اوله فيقصر و بكسر فيمد والمعنى مختلف »

واراك تنظر في السِّحا لاضير في نظر السِّحاء (٢٣)

« باب ما يضم اوله فيقصر وبفتح فيمد والمعنى مختلف »

شمس الضحى طلعت عليك ولا ترى شمس الضحاء (٢٤)

* * *

(١٥) الأَيا والإِيا نور الشمس ، (١٦) اللُقا واللِقـاء مصدر لقي ، (١٧) الغمى والغِماء المتاع وقيل سقف البيت ، (١٨) الغرا والغراء ما يغرى به السهم ، (١٩) الصُلا والصِلاء حر النار ، (٢٠) الجَرى والِجراء مصـدر جري الشباب ، (٢١) الغَذى والغِذاء مايغتذى به ، (٢٢) الأَضا والإِضاء الغدير ، (٢٣) السِّحا المقصور القرطاس والممدود الخفاش ، (٢٤) الضُحى بالضم صدر النهار وبالفتح النهار ممدوداً ،

« الرسالة الثانية »

قل ان نسبتَ عزوته وعزيته	وكنوتُ احمد كنية وكنيته
وطغوتُ في معنى طغيت ومن قنا	شيئًا يقول قنوته وقنيته
ولحَوت عودي قاشراً كلحيته	وحنوته عوجته كحنيته
وقلوته بالنار مثل قليته	ورثوتُ خلاً مات مثل رثيته
وصغوتُ مثل صغيت نحو محدثي	وحَلوته بالحَلْي مثل حليته
ورقوتُ مثل رقيت قلة راهب	ومحوت خط الطِرس مثل محيته
احثو لحثي الترب قل بهما معاً	وسحيت ذاك الطين مثل سحيته
وكذا طلوت طلاءه كطليته	ونقوت مخ عظامه كنقيته
والسيف أجلوه وأجليه معاً	وغطوته بالشيء مثل غطيته
وحنوت مثل حنيت عند تعطف	ودأوته كختلته ودأيته
ودنوتُ مثل دنيت قد حكيا معاً	وكذلك يحكى في شكوت شكيته
وسأوتُ ثوبي قل سأيت مددته	وسروت عني الثوب مثل سريته
والضحْو والضحي البروز لشمسنا	وعثوته المأكول مثل عثيته
ظبو وظبي غيَّرته النار او	شمس كذا بهما مضوت رويته
والله بطحو الارض بطحيها معاً	وطحوته كدفعته وطحيته
عجواً وعجياً أرضعت في مهلة	وفلَوته من قملة وفليته
ونسوتُ ناقتنا كذاك نسيتها	واذا قصدت نحوته ونحيته
وثنوتُ مثل ثنيت نشر حديثهم	وكذا الصبي غذوته وغذيته
لغوٌ ولغيٌ للكلام وهكذا	مغوٌ ومغيٌ فادرِ ما أبديته

حلب : محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

كتاب الرد

= على الزنديق اللعين ابن المقفع =

« تأليف القاسم بن ابراهيم ضبط متنه وترجمه الى اللغة الايطالية وعلق »
« عليه الحواشي الاستاذ السنيور ميكائيل انجلو جويدي الاستاذ بجامعة »
« رومية و بالجامعة المصرية ، طبع بمطبعة اكاديمية لنچاي الملكية في »
« رومية سنة ١٩٢٧ ص ٥٥ »

هذا كتاب ادعى فيه القاسم بن ابراهيم من اهل القرن الثالث انه يرد فيه على أصحاب ماني وعبارة الكتاب لاتشعر بذلك وفيه مر السباب والقذع مما لم يجر به قلم المؤلفين في ذلك العصر . وكنا نود لو أخر ناشره المستعرب العالم نشر هذا الكتاب فليس فيه على مانرى الفائدة المطلوبة من المخطوطات القديمة وفي خزائن كتب ايطاليا ولاسيما خزانة الامبروز يانية في ميلانو عشرات من الأسفار المخطوطة العربية كانت أحق بالتقديم للطبع . وقد قدّم صديقنا جويدي للترجمة الايطالية مقدمة مطولة ذكر فيها ما يذكر في مثل هذا المقام . م . ك

غاية الحكيم

= وأحق النتيجتين بالتقديم =

« المنسوب الى ابي القاسم مسلمة بن احمد المجريطي بتحقيق الاستاذ السيد »
« ه . ريتر ، طبع بمطبعة آو كوستين في كليقشتاط وهامبورك سنة ١٩٢٧ »
« ص ٤١٦ »

ناشر هذا الكتاب من علماء المشرقيات المستعربين في المانيا ومؤلفه مشهور في رجال الاندلس اخصائي في هذا العلم تكلم فيه على حركات الأفلاك والكواكب وحقيقة السحر وصور وجوه البروج وصور الدرجانات وأفعالها وتأثيراتها على مذهب

الهند وكيفية استجلاب الروحانية بجميع المشاكلة الكوكبية ومذاهب القدماء فيها الى غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن وقد أثبت العلم الجديد خلافه · ولا بأس بنشر مثله ليوقفنا على آراء الأقدمين في هذه المسائل ونستفيد من تراكيبهم والفاظهم ، وسيتبع الناشر تأليفه بمقدمة مفصلة لغرضه ولكن باللغة الالمانية وحبذا لو نشرها بالعربية ليستفيد من علمه وتحقيقه قراء العربية · وعلماء المشرقيات الذين تهمهم هذه الأبحاث يفهمون اللغة العربية ايضاً · م · ك

كتاب الدلائل والاعتبار

= على الخلق والتدبير =

« تأليف الامام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ ، طبعه »
« الشيخ محمدراغب الطباخ الحلبي في مطبعته بحلب سنة ١٣٤٦—١٩٢٨ »
« ص ٧٨ »

ليس في جريدة تآليف الجاحظ كتاب بهذا الاسم بل ذكروا له كتاب « التفكير والاعتبار » وفي آخر صفحة من هذا الكتاب المطبوع « الدلائل على الخلق والتدبير » ونظن ان هذا هو الصحيح وان لفظة «الاعتبار» في اسم الكتاب مقحمة · اما الكتاب فهو في تعليل الاشياء الطبيعية وما في الكائنات جمادها وحيوانها وانسانها من الدلائل على وجود الصانع ، وعبارة الكتاب من السهل الممتنع لا يصدر مثلها الا عن الجاحظ او من كان في طبقته في العلم والبيان وفيه ردود على الثنانية او المانوية أصحاب ماني · واستشهاد باقوال الفلاسفة اليونان في حكمة الخليقة · وقد ظفر الاستاذ ناشر هذا السفر الممتع بنسخة منه مخطوطة في المدرسة العثمانية في حلب فاستحق على نشره ثناء المولعين باحياء آثار السلف · وكنا نود لو قدم له مقدمة في وصف الاصل الذي طبع عنه وان يضاعف العناية بالتصحيح والتعليق على الطريقة التي يجري عليها علماء المشرقيات من الغربيين عندما يتوفرون على نشر احد كتبنا القيمة · م · ك

حديث عيسى بن هشام

= او فترة من الزمن =

« لمنشئه الاستاذ محمد بك المويلحي ، الطبعة الرابعة مع الرحلة الثانية »

« التزمت طبعه مطبعة مصر ص ٤٦٥ »

قلَّ في الادباء والمتأدبين من لا يعرف منشئ هذا الكتاب وقلمه العذب السيال ، وقلَّ منهم من لم يقرأ كتابه حديث عيسى بن هشام ، وهو في وصف أخلاق المصريين ونقدها على صورة فيها الابداع والتجدد ، وحبذا لو خلا كتاب الاستاذ من السجع أحياناً ، فان قلم ناسج برده بعباراته المرسلة أمتع بكثير من جمله المسجعة المنمقة . وفي الحق ان هذا الكتاب من أسفارنا الادبية الراقية التي لا يملُّ القارئ معاودة قراءتها ، وتحلو في المذاق كلما كررت فلابي عذره الشكر .

م . ك

العربية السورية المحكية

اسم هذا الكتاب بالافرنسية (Arabe Parlé Syrien) ، تأليف الضابطين الفاضلين الكاتبين ليه (Lemée) وابراهيم السمراني ، وقد طبع في المطبعة الحديثة بدمشق ، وفيه خلاصة من النحو العربي ومحاورات ومعجم افرنسي عربي على أسلوب يتأتى به لمن لا يحسن الا الافرنسية ان يدرس من العربية الدارجة في هذه الديار ما ينفعه في تمشية اموره اليومية من أيسر السبيل ، فللمؤلفين الشكر على هذه التحفة .

م . ك

الاعلام

« تأليف السيد خيرالدين الزركلي الجزء الثاني طبع في المطبعة العربية »

« بمصر سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م »

هذا هو الجزء الثاني من هذا القاموس في التراجم « لأشهر الرجال والنساء من

العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر » بدأ بحرف « شا » في صفحة ٤٠٣ وانتهى بحرفي « قي » في صفحة ٨٠٣ ، وسيبدأ الجزء الثالث بحرف الكاف والجزء الذي أمامنا كأخيه السالف فيه تراجم مفيدة لمن يريد ان يكشف عليها بسرعة واكثر ماراقنا منه ان الاستاذ المؤلف يشكل في الجملة مواضع الشبهة من اسماء الأعلام ويضع تاريخ الوفيات بمعارضة التاريخ الهجري بالميلادي ويعنى بذكر مصنفات المصنفين . ومما زاده إمتاعاً انه ترجم للمعاصرين وتوسع في الكلام على الشاميين اكثر من غيرهم فيما رأينا في هذا الجزء . وعسى ان تراعى النسبة في الرجال والأقطار . ونرجو للمؤلف حسن التوفيق لاتمام هذه التحفة الجميلة التي أتحف بها الأدب . ونحث كل أديب على اقتناء « الأعلام » فانه قنية نافعة لكل أديب ومتأدب . م . ك

المصباح

هذه مجلة جديدة صدرت في دمشق وهي علمية ادبية تاريخية اجتماعية لمنشئها الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان ، وفي الجزء الاول منها عدة مقالات أدبية وتاريخية منها . ومنها مقالة في ارصاد الفلك في الشرق ومقالة في قوانين العرب في المدنية واصول عمارة البلدان وفيها قصائد وأبيات لطيفة من أقلام ناشئة دمشق في الادب وبالنظر لفضل منشئها نرجو ان يكتب لها طول البقاء . م . ك

النكبات

« تأليف السيد امين الريحاني طبع بالمطبعة العلمية في بيروت »

« سنة ١٩٢٨ ص ١١٢ »

لخص المؤلف عن كتابنا « خطط الشام » خلاصة تاريخ سورية منذ العهد الاول الى عهد الجمهورية بلبنان بأسلوب هزلي جدي غريب ، واقتصر على المساوي من تاريخ هذه الديار ولم يكد يذكر احداً بالخير حتى ولا صلاح الدين يوسف بن ايوب

ولا نور الدين محمود بن زنكي ولا الأمويين وأعاظم خلفائهم وانكر نسبة الحلم الى معاوية مع اعتراف اعدائه له بذلك ، وبالجملة فقد خالف الناس في الاسلوب والفكر وخرق الاجماع في المقرر المعروف ليأتي بالجديد . وكتابة التاريخ غير كتابة القصص المضحكة والخطابيات التي تحلو في بعض الأذواق . ومع ان صديقنا الاستاذ المؤلف اقتصر على ايراد السيئات فقط قال في(ص ٣٦) : « ولا شك ان العرب كانوا أرحم ممن سبقهم من الفاتحين وأعدل بالناس » . وقال (ص ٥٩) : « وكان الصليبيون أشد ظلماً وتوحشاً من اولئك الامراء الاسيو بين ذوي الاسماء العجيبة » وختم كتابه بهذه الفلسفة الرائعة ! : « فهل تصغو نية السوري فينسى الاجداد الذين يشيد على الدوام بمفاخرهم وينسى الدول الاسلامية التي يتغنى على الدوام بامجادها وقد عرف من هذا التاريخ حقيقتها وحقيقتهم ... » (ص ١١٠) وفاته ان في الأجداد من حمدت سيرته وقلّ ان نبغ في الامم مثله . وانا لنجل المؤلف عن نسبة الغرض اليه في نقل مثل هذا الموضوع لان أسلوبه فيه لا يفسر الا بانه عابث بتاريخ هذه الامة ، كأن مثل هذه المساوئ التي وقعت على عهد الاسلام واستطار لبه فرحاً بالعثور عليها لا اثر لأمثالها في تاريخ أرقى أمم الارض اليوم ، وما عهدنا عاقلاً يدعو أمة الى تناسي تاريخها لتضع يدها في يد من أظهروا لها الكراهة في كل دور وكانوا عوناً للغريب عليها ولكن هي فلسفة (خالف تعرف) . م . ك

تاريخ نجد الحديث وملحقاته

« تأليف السيد امين الريحاني الطبعة الاولى في المطبعة العلمية في بيروت »
« سنة ١٩٢٨ ص ٤٣٢ »

هذا الكتاب يشتمل على نبذات ثلاث في نواحي نجد ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية وآل سعود منذ نشأتهم وسيرة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك نجد والحجاز وما اليها ، جوّد المؤلف في وصفها معتمداً على بعض المصادر العربية والانكليزية ، وأهم ما فيه ما تلقطه المؤلف بنفسه من انباء نجد

الأخيرة ولاسيما من لسان جلاله الملك ، وفي هذا السفر فصول بديعة عمد كاتبها الى الاسلوب القصصي الهزلي أحياناً ليسترعي انتباه القارئ . ومن الانصاف ان يقال ان الاستاذ المؤلف قد خدم التاريخ بصنفه هذا ، فاستحق الثناء الاطيب كما استحق من قبل ثناء العارفين بتأليفه كتاب « ملوك العرب » ، وكنا نود لو سلمت عبارة المؤلف من الهفوات النحوية والصرفية واللغوية فان كل مطبوع يجب ان يكون سالماً من هذه الهنات . وقد حلى المؤلف سفره ببعض صور آل سعود وصور غيرهم ممن لهم صلة بكتابه ، وجعل له فهرساً للاعلام واتبعه بالعهود والمواثيق التي لها ارتباط بموضوعه .

م . ك

المنتخبات العصرية

« لدرس الآداب العربية »

كنا قرأنا في مجلة الهلال مقالاً ممتعاً في الأخلاق والاجتماع بتوقيع سيدة فلسطينية وهي (كلثوم نصر عودة) وقد افتتحت تلك المقالة بترجمة نفسها وانها من القدس تزوجت برجل روسي اسمه (فاسيليفا) وذهبت معه الى الروسية واشتغلت بالعلم وتعليم اللغة العربية وآدابها ، وكان من أساتذتها في ذلك المستشرق الروسي المشهور (اغناطيوس كراتشقوفسكي) احد أعضاء مجمعنا العلمي العربي . هذا ماعلق في الذاكرة من ترجمة السيدة المذكورة وهي في الغالب مسلمة وعهدنا انه يوجد في دمشق عائلة بهذا الاسم . فهل في القدس ايضاً كذلك ؟ وحبذا لو أنار لنا الاستاذ عبد الله مخلص السبيل الى معرفة حقيقة هذه السيدة الفاضلة .

ثم لم نفجأ امس الا و بريد لينينغراد يحمل الينا الجزء الاول من الكتاب الذي ذكرنا اسمه في فاتحة المقال وعلى الغلاف ما نصه : « اعتنت بجمع تلك المنتخبات وترتيبها (كلثوم نصر عوده فاسيليفا) معلمة اللغة العربية في الكلية الشرقية في لينينغراد وأتبعها بمقدمة مراقب نشرها أغناطيوس كراتشقوفسكي أستاذ تاريخ الآداب العربية في الكلية المذكورة » اهـ . والمقدمة المذكورة كتبها الاستاذ المومااليه باللغة

الروسية و ياليته قرنها بترجمتها العربية فان لنا في ذلك فائدة عظمى لنا معشر المشتغلين بالآداب العربية في الشرق من حيث تدلنا على مبلغ تأثير هذه الآداب في إخواننا المستشرقين وتلامذتهم في الغرب ·

اما (المنتخبات العصرية) التي هي مادة الكتاب فهي مقالات في اللغة العربية مختلفة المواضيع لأشهر كتاب مصر وسورية أمثال المرحوم الشيخ محمد عبده والافغاني والكواكبي وأديب اسحق وجرجي زيدان والمنفلوطي والريحاني وجبران جبران والعقاد ومي وغيرهم وتربي صفحاته على ٢٥٠ صفحة بالقطع المتوسط · فنشكر لجامعة تلك المقالات عنايتها واهتمامها بخدمة لغتنا الشريفة في تلك الديار القصية · كما نشكر لأستاذها زميلنا كراتشقوفسكي مساعيه الحسنة في ذلك · «المغربي»

محاضرة طبية

عنوان لكراس نشر فيه الدكتور عبد الغني شهبندر بالطبع محاضرة له ألقاها في نادي جمعية الأطباء والصيادلة في بيروت ، وموضوعها علاج جديد لمرض السل يدعى (سانوكريزين) وهو ملح من املاح الذهب اختبر صاحب المحاضرة بذاته خواصه الطبية وتأثيره في المسلولين وفي الأصحاء فوجده شافياً ووافياً للآخرين · وقد دعم تؤكيده بايراد مشاهدات ثمان أثبت فيها حسن النتائج التي نالها من استعمال هذا العلاج الجديد ·

عبد الله رعد
عضو المجمع العلمي

الكتب المهداة الى مكتبة المجمع

أهدى الدكتور سعيد ابوجمرة عضو المجمع العلمي العربي في سان باولو (البرازيل) من المطبوعات التي ظهرت في تلك الأقطار كتاب :

(١) « المنهل النمير في المعجم الصغير » وهو معجم باللغتين العربية والبرتغالية : من هذه الى تلك ومن تلك الى هذه ، طبع هذا المعجم سنة ١٩٢٤ م ومؤلفه (بوستنيوس

مندمي) وهو كاهن برازيلي مولع بالعربية وبتاريخ العرب وربما كان وحده الذي يعدُّ مستشرقاً في البرازيل ·

و (٢) الجزء الاول من ديوان الرشيديات نظم السيد رشيد سليم خوري (البربارة — لبنان) طبع سنة ١٩١٦ م في ١٥٣ صفحة ·

و (٣) ديوان القرويات من نظم صاحب ديوان الرشيديات المذكور · كان ينشرها بتوقيع الشاعر القروي طبع سنة ١٩٢٢ م في ١٣٢ صفحة ·

و (٤) (رباعيات فرحات) من نظم الشاعر المشهور الياس فرحات وهذه الرباعيات مطبوع لطيف الحجم في ١٧٣ صفحة ·

وأهدى الينا السيد نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر :

(١) كتاب يتضمن مباحث ثلاثة : (العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي) · و (اللغة العربية والاستاذ الريحاني) · و (العربية في المدارس) · المباحث الثلاثة من إنشاء السيد اسعاف النشاشيبي عضو مجمعنا العلمي والمفتش العام للغة العربية في ادارة معارف فلسطين · والكتاب في نحو (٥٢) صفحة مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد ، اما الفائدة اللغوية والأدبية التي ترجى من مطالعة هذا الكتاب فيعرفها كل من سمع باسم كاتبها الموما اليه وقرأ آثاره النفيسة ·

(٢) رسالة في فلسفة التربية الحديثة ملخصة من آراء العلامة الاستاذ (چون ديوي) عربتها الكاتبة المصرية المشهورة (احسان احمد القوصي) احدى طالبات الجامعة الاميركية في بيروت وعدد صفحاته نحو (٧٠ص) حسنة الورق والطبع ·

(٣) (صفحة ذهبية : آراء الدولة المصرية في البغاء · وآراء رجال مسؤولين وامير من كبار الامراء) بقلم الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون المفتش بالجامع الازهر والمعاهد الدينية · وموضوع الكتاب يدور حول ما كان ينشره الاستاذ في موضوع ضرر البغاء وتأييد العقلاء له ، ونبلغ صفحات الكتاب نحو (٨٧) ·

(٤) رواية ملك النور تعريب المرحوم طانيوس عبده في ٢٨٠ صفحة ·

(٥) رواية ابنة المركيز ، تعريب الكاتب الموما اليه في ١٤٦ صفحة ·

(٦) فهرست عام لما طبع في مطبعته (مطبعة المعارف) ولما يباع في مكتبته

(مكتبة المعارف) باول شارع الفجالة بمصر وهو في نحو ١٢٠ ص تضمن وصف الكتب المختلفة والمطبوعات المتنوعة مبوباً أحسن تبويب في أجمل طبع وأكمل ترتيب ·

وأهدى الينا الفاضل السيد حسام الدين القدسي الدمشقي كتابين :

(١) كتاب (التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم) لمؤلفه الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ) فالمؤلف من أشهر علماء التاريخ والاخبار ، وموضوع الكتاب من أفكه المواضيع وأمتعها · وقد انضم الى ذلك عناية ناشر الكتاب السيد حسام الدين المذكور واهتمامه بالتعليق عليه وتصحيحه ومعارضته بنسخة الخزانة التيمورية — كل ذلك جعل للكتاب قيمة ومنزلة تستدعي الاستشراف اليه ومطالعة فصوله وهو في اكثر من مئة صفحة حسن الطبع والورق ·

(٢) كتاب (شروط الائمة الخمسة : البخاري، مسلم، ابي داود ، الترمذي، النسائي) تأليف ابي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى سنة (٥٨٤هـ) والمراد بشروطهم الشرائط التي راعوها في مصنفاتهم المشهورة في الحديث · فالكتاب مفيد جداً للعلماء وخاصة المشتغلين منهم بعلوم السنة والحديث وهو في زهاء ٦٠ صفحة حسنة الطبع والورق وعليها تعليقات جليلة لصاحب النسخة الاصلية التي طبع الكتاب عنها وهو الشيخ محمد زاهد الكوثري نزيل القاهرة ·

وأهدى الينا ايضاً الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب :

(١) كتاب (كلمات جبران خليل جبران) جمعها من مؤلفاته المختلفه الارشمندريت انطونيوس بشير وهو في (١٧٠ ص) متوسط القطع حسن الحرف والطبع وشهرة صاحب الكلمات وسمو أفكاره مما لا يحتاج الى ايضاح ·

(٢) فهرست عام عن السنة التاسعة عشرة (١٩٢٨ م) لما يباع في مكتبته (مكتبة العرب) بشارع الفجالة بمصر من الكتب والمطبوعات المختلفه ·

وأهدى الينا السيد عيسى البابي الحلبي الكتبي المشهور بمصر :

« تفسير سورة الفاتحة وحل مشكلاتها القرآنيه » لمؤلفه الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري وهو في اكثر من (٦٠ ص) متوسط القطع · وقد اشتهر المؤلف المومأ اليه بسعة

الجزء ٨ المجلد ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٢٨ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٧ هـ

٩٢

خزائن الكتب العربية

« بقية مؤلفات الأسرة السويدية العباسية »

الأسرة السويدية من أقدم أسر العلم والشرف ببغداد ، تنتمي الى عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبدالله بن العباس تقطن الكرخ وهي منازل الخلفاء العباسيين ويتبين المتوسم من وجوه رجال هذه الأسرة اليوم بقية الصيد والنبل العباسي ، وقد ظهر من آبائهم علماء محققون خدموا العلم والأدب ولغة العرب بما ألفوه من الكتب النفيسة في العلوم المختلفة ، وما منهم الا من كان له في تدريس العلوم مقام معلوم .

يتألم الباحث في بغداد اليوم عن تركة سلفنا الصالح من الكتب والآثار وقد كانت لا تحصى كثرة فيجدها كباقي الوشم في ظاهر اليد والبقية الباقية مبعثرة في بعض البيوتات القديمة والمساجد او المدارس الدارسة ، وتلك البقيـة مدفونة في مدافن خاصة في الموصل وبغداد وكربلاء والنجف ولا يهتدي الى كنوزها الا بعض العلماء الالباء ، وقد اغتنمت فرصة مجاورتي لهذه الأسرة السويدية النبيلة ان اكتب شيئاً عن كتب علمائها المخطوطة الباقية ، وقد تفرق كثير من نفائسها في بلاد العرب كحديقة الزوراء في تاريخ بغداد للسيد عبد الرحمن السويدي فانها اليوم في المدينة المنورة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ومنها له كتاب الكتيبة في السير وكتاب المحاكمة بين شرّاح مغني اللبيب لوالده الشيخ عبد الله وغيرها .

الجمانة في الاستعارات = تأليف ابي البركات الشيخ عبد الله السويدي (١١٠٤

— ١١٧٤) اوله نحمدك اللهم على توافر نعائك وتواتر آلائك . وقد شرح هذه الجمانة ابنه الشيخ عبد الرحمن في كتاب سماه (الجمان في المعاني والبيان) .

اتحاف الحبيب حاشية على مغني اللبيب = للشيخ عبد الله ايضاً أوله الحمد لله الذي امر بالعدل والانصاف ، ونهى عن الزيغ والانحراف . وقد جعل حاشيته هذه على سبيل المحاكمة بين شراح المغني : الدماميني والشمني وابن الملا . ولا يعرف اليوم مستقر هذه الحاشية المخطوطة التي تصبو ولا ريب اليها قلوب النحاة لما تنطوي عليه المحاكمة من النقد والتمحيص .

النفحة المسكية في الرحلة المكية = لابي البركات ايضاً جمعت من المراسلات والمحاورات وفنون الأدب شيئاً كثيراً وذكر فيها قصته مع نادر شاه وما جرى له من المناظرة مع علماء ايران مما نشر خلاصته رصيفي الفاضل السيد خليل المردمي في مجلة المجمع العلمي .

زينة الأملاك شرح تشريح الأفلاك = تشريح الأفلاك للعلامة بهاء الدين العاملي الفنان المشهور صاحب الكشكول وشرحه السيد عبد الله الفخري الموصلي ووضع حاشية على الشرح صديقه السيد عبد الرحمن السويدي واستشهد فيها باقوال مشاهير علماء الفلك عند العرب ، فالكتاب بشرحه وحاشيته يهم الباحثين عن فلك العرب .

إرواء المحتسي من كؤوس الشبراملسي = وهي حاشية تحرير وتهذيب للشيخ عبد الرحمن السويدي على حواشي ابي الضياء نور الدين الشبراملسي التي علقها على نهاية المحتاج شرح المنهاج وهو كتاب يعتمد في فقه الامام الشافعي عليه و يدرس في الجامعة الازهرية فيحتاج الى مثل هذا الكتاب المتمذهبون بالمذهب الشافعي من طلابها اذ فيه تحقيق وتدقيق كثير . وله حاشية أخرى على شرح الحضرمية في فقه الامام الشافعي . والحاشيتان مخطوطتان .

نزهة الأدباء = رسالة للشيخ احمد بن ابي البركات الشيخ عبد الله عالم العراق في عصره شرح فيها المحبة وميزها عن الإلفة والصحبة وضمنها بعض لطائف الأخبار وظرائف الآثار وهي مخطوطة مؤلفة من عشرة اوراق ومما له علاقة من أخبارها

بالدماشقة والمدرسة العادلية)دار المجمع العلمي العربي) خبر عشق ابن خلكان للملك المسعود بن الملك الظاهر حكى عنه ابو بكر بن حجة الحنفي قال : كان يهوى الملك المسعود وله فيه الأشعار الرائقة يقال ان اول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ما عندي أعز من هذه طأ عليها ولما فشى امرهما وعلم به اهله منعوه من الركوب فكتب اليه يقول :

يا سادتي اني قنعت وحقكم في حبكم منكم بايسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا ورأيتموا هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة ان ترى يوم الخميس جمالكم في الموكب

ومنها : قسماً بوجهك وهو بدر طالع وبليل طرتك التي كالغيهب
لو لم اكن في رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذلي خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

قال القاضي جمال الدين بن عبد القاهر التبريزي كنت اياماً عنده بالعادلية فتحدثنا في بعض الليالي الى ان ذهب الناس فقال لي : نم انت ههنا والقي علي فروة وقام يدور حول بركة العادلية و يكرر هذين البيتين :

انا والله ميت آيس من سلامتي
او ارى القامة التي قد اقامت قيامتي

وفيها غير ذلك من أخبار المحبين من العلماء العاملين .

كشف الحالك في شرح عمدة السالك = للشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن السويدي العباسي ، وعمدة السالك كتاب في فقه الامام الشافعي لابي العباس احمد بن النقيب الشافعي . وهذه المخطوطة تتألف من نحو ٤٠٠ صفحة كتب المتن بالمداد الأحمر والشرح بالأسود ، اولها باب الطهارة وآخرها باب النذر .

قلائد الدرر شرح رسالة بن حجر = تأليف ابي الفوز الشيخ محمد امين بن الشيخ علي السويدي وهو فتى الأسرة السويدية في عصره ضرب بسهم في كل علم وله مصنفات جمة الفوائد وهذا الشرح الكبير يشتمل على فنون ثلاثة الاصول والعقائد والتصوف

والمخطوطة صقيلة الورق جميلة الخط لم ترقم صفحاتها وتشتمل على نحو ٤٠٠ صفحة ٠

الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت = للشيخ محمد امين ايضاً رتبه على ثمانية أبواب : الاول في معرفة الشهور العربية واوائلها ، الثاني في معرفة الشهور الرومية واوائلها ، الثالث في معرفة اوقات الصلاة ، الرابع في معرفة القبلة ، الخامس في حلول الشمس في البروج ودرجتها من المنازل ، السادس في معرفة القمر في البروج ، السابع في تعريف ما وقع في هذه الرسالة من الكواكب ، والثامن في الأحكام الواقعة في الاشهر الرومية وفيه اثنا عشر فصلاً ٠

سبائك الذهب في أنساب العرب = له كذلك وهو ترتيب جديد لكتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لشهاب الدين النويري لم يرتبه على حروف المعجم وصل به أواخر القبائل باوائلها بخطوط تمتد من الآباء الى أبنائها واضعاً كل اسم في دائرة تحيط به وما ذكره عن القبائل على سبيل المشجرات حذف من النهاية يسيراً وزاد عليها كلاماً كثيراً فهو كما رأيته جد نفيس لا يستغني عنه عربي أديب ٠ وقد طبع لاول مرة في دار السلام سنة ١٢٨٠ هجرية فهو لقدم عهد طبعه في حكم المخطوطات وحبذا لو يعيد طبعه الطابعون ٠

قلائد الفرائد شرح المقاصد = للامام النووي للسيد امين كذلك وهذا الكتاب يحتوي على ثلاثة فنون : الاول في اصول الفقه والعقائد والثاني في الفروع والثالث في التصوف ٠

ولهذا الفنان البارع كتب ورسائل جمة منها المواهب اللدنية شرح القصيدة البوصيرية مع تخميسها لوالده الشيخ علي ، ومنها مختصر التحفة الاثني عشرية للحافظ غلام حليم الدهلوي ، ورسالة على عبارة الامام البغوي في بحث الحمد ، ورسالة في حل عبارة في القاموس في بحث ورود الابل ، وله السهم الصائب رداً على من طعن في الشيخ خالد النقشبندي الدمشقي ، ورسائل أخرى في الفقه والتصوف وغيرذلك٠ ومن أهم كتبه كتاب الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد في الرد على طائفة الشيعة الاثني عشرية وهو في مجلدتين ضخمتين ، وصاحب سلاسل الحديد في تقييد ابن ابي الحديد هو يوسف بن احمد بن ابراهيم الاوالي الف كتابه هذا رداً على

ابن ابي الحديد المعتزلي التفضيلي لاثباته خلافة الخلفاء الراشدين • قال المؤلف السويدي ان الاوالي هذا أظهر لاخوانه انه برده على ابن الحديد يكون قد ردّ على اهل السنة ، وقد أثار هذا الاوالي البحراني الأحقاد بين طائفتين من المسلمين فرقت السياسة بينهما وكان ظهوره سنة ١١٦٠ هجرية ولولا ذلك واعتداؤه على فريق اهل السنة لما رد السيد امين عليه وهو من أسرة عرفت بالسعي لتوحيد فرق التوحيد منذ ايام جده الشيخ عبد الله الذي جمع بحكمته وعلمه وسياسته قلوب الطائفتين في عهد نادرشاه وما زالت تفرقنا الأشرار حتى عاقبنا الله بعقاب الاستعمار بجاس العلوج خلال الديار •

كشف الحالك شرح عمدة السالك في فقه الامام الشافعي = للشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله السويدي والمتن لابي العباس احمد بن النقيب الشافعي وهذا الشرح مجلدة مخطوطة كتب المتن بالأحمر والشرح بالأسود وهو في العبادات يفيد فقهاء الشافعية الاطلاع عليه وللمؤلف حاشية على شرح القطر في النحو لابن هشام مطبوعة وكانت وفاته سنة ١٢٣٧ بدار السلام •

الفرائد السنية في شرح مختلطات أشكال الشمسية = تأليف الشيخ سليمان بن محمد بن ابي الخير عبد الرحمن بن عبد الله السويدي وذكر انه عرض كتابه هذا الذي حل به من اشكال الشمسية المشكلات على أستاذه الملا رسول بن الملا احمد الحريري الشهير بالشوكي • قال : وهو ذو التآليف الباهرة والتصانيف المتكاثرة نظره بنظره الصائب فوافق ارادته وطابق بغيته • وذكر المؤلف إدبار دولة العلم في زمنه بكلام مرجع • منه أن العالم فيه مطروح على الطرق • والجاهل محمول على الحدق • عد فيه الفضل من المعايب • والعلم من المصائب • وقد توفي ببغداد سنة ١٢٣٠ هجرية •

وهناك طائفة من الرسائل المتبادلة بين علماء الأسرة السويدية ومعاصريهم ولعلّ الوقت يتسع لي فأقتطف ما يفيد التاريخ منها •

بغداد : عزالدين علم الدين

عضو المجمع العلمي العربي

استخراج حساب

« السنين والاشهر والايام في التاريخ الشعري »

انقضى على التاريخ الشعري العربي الى الآن نحو اربعة قرون وهو مقتصر فيه على حساب السنين وقد فكرت في إدخال اصطلاحات عليه يستخرج بها مع حساب السنة حساب الشهر واليوم ، حتى اذا أراد ناظم التاريخ او المنظوم له التاريخ الاشارة الى شهر الحادثة المطلوبة او الى شهرها ويومها أمكنه ذلك باتباع الاصطلاحات المذكورة التي أعرضها في ما يلي على أنظار أدبائنا وعلمائنا لاني أعلم ان كثيراً من الحوادث المنظوم فيها تاريخ شعري يشتهي من تعنيهم او من يطلعون على خبرها ان يعرفوا شهر وقوعها ويومه او شهره على الأقل ·

هذا مع اني في مقدمة المعترفين بان التاريخ الشعري ليس فناً عالياً من فنون الأدب فهو من الملحقات الثانوية · ولكنه في بعض الأحوال مستحب لا بأس فيه اذا اشتمل على رشاقة ولم يكن ضعيف التركيب ظاهراً فيه وجه التكلف ظهوراً قبيحاً · ثم ان هذا الفن موجود في أدبنا العربي بصورة ناقصة فمن الصواب إزالة موضع النقص منه بجعله قادراً على ابراز تاريخ الحادث مدققاً لا الاكتفاء بسنة حدوثه · والسنة مجال واسع من الوقت يؤبه له كثيراً في بعض الأحوال ، والفرق بين مبتداها ومنتهاها ٣٦٤ يوماً فلمَ لا نخرج من الغموض الى الجلاء في ذكر الجزء المراد من السنة اذا مكنتنا وسيلة من ذلك ·

***

ان الطريقة التي وضعتها تقسم الى قسمين القسم الاول يراد به استخراج حساب الشهر مع السنة وقد سميته تدويناً لان الناظم يستخدم فيه فعل دوّنَ ومشتقاته (يدون ، مدوّن ، تدوين ، دوّنْ الخ) عوض أرّخَ ومشتقاته · والقسم الثاني يراد به حساب اليوم مع الشهر والسنة وقد سميته تسجيلاً لانه يستعمل فيه عوض ارّخ ومشتقاته فعل سجّلَ ومشتقاته مثل يسجلُ ، سجّلْ ، تسجيل ، مسجل الخ ·

وركن هذه الطريقة في قسميها ان يلاحظ الحركة والسكون من الحرف الأخير

من التدوين ومشتقاته اي النون . والحرف الأخير من التسجيل ومشتقاته اي حرف اللام . فحسب سكون ذلك الحرف او تحركه بضمة او فتحة او كسرة توزع على حساب الشهور والسنين حروف الكلمات الواقعة بعد لفظ التدوين . وعلى حساب الايام والشهور والسنين في التسجيل . والجدول الآتي يوضح تفصيل ما ذكر :

« في التدوين »

= المراد به استخراج الشهر والسنة =

للضم : { حرف واحد لحساب الشهر « بعد لفظ التدوين مباشرةً وسائر الحروف الى آخر البيت لحساب السنة حسب الطريقة القديمة » .

للكسر : حرفان للشهر والباقي للسنة .

للفتح : ثلاثة أحرف للشهر والباقي للسنة .

للسكون : اربعة أحرف للشهر والباقي للسنة .

* * *

« في التسجيل »

= المراد به استخراج اليوم والشهر والسنة =

	لحساب اليوم	لحساب الشهر	
للضم :	حرف ١	ثم حرف ١	وبقية حروف البيت لحساب السنة
للكسر :	حرف ٢	ثم حرف ١	وبقية الحروف للسنة
للفتح :	حرف ٢	ثم حرف ٢	وبقية الحروف للسنة
للسكون :	حرف ٣	ثم حرف ٢	وبقية الحروف للسنة

فاذا خرج معنا في حساب التسجيل مثلاً رقم ٢ ثم رقم ٩ كان المقصود اليوم التاسع من الشهر الثاني وهو شباط في السنة الميلادية . وصفر في السنة الهجرية حسبما اختاره الناظم من التاريخين .

عضو المجمع العلمي

اللاذقية : ادوارد مرقص

اقتراح(١)

« في الحروف الدخيلة والحركات الفرعية »

« للاب المفضال (أ . س . مرمرجي) الدومينيكي احد أساتذة المعهد »
« الكتابي والأثري في القدس الشريف »

« ١ً الحروف الدخيلة »

غير خافٍ على ذي معرفة باللغة العربيـة ان أبجديتنا استعارها العرب من الأمم السامية المجاورة لهم كالأنباط والسريان ، كما ان هؤلاء الأقوام وغيرهم تناولوها عن الفينيقيين الذين كانوا قد وضعوا هـذه الأبجدية (ولا أقل من انهم كانوا اول من ذكر التاريخ انهم استعملوها) . وغير خافٍ ايضـاً ان الأبجدية الفينيقية مؤلفة من ٢٢ حرفاً . فلما تلقاها العرب من السريان والأنباط وكانت حروف لغتهم (اي العرب) اكثر عدداً من حروف هذه الابجدية عمدوا الى وسيلة ايجاد صور للحروف الناقصة فيها .

وكما صنع العرب بأبجدية الفينيقيين او السريان صنع الفرس والترك بابجـدية العرب اي انهم زادوا عليها حروفاً لم يعرفها الناطقون بالضاد او بالاحرى كانت في لسان القبائل المختلفة كما هي اليوم ولم تكن لها علامات مصورة . فجاؤوا لها بصور غير منافرة لاشكال الحروف العربية وهذه الاحرف هي التالية : الباء والجيم والزاي والكاف والفاء العربية عينها جعلوا فوق او تحت او في وسط كل منها ثلاث نقط .

فاذا تحققت هذا فاعلم ان إدخال هـذه الحروف على أبجديتنا ، أبجدية العربية الفصحى ، ضروري لسد خلل طالما شكونا منه في معالجتنا كثيراً من المواضيع ولا سيما في هذه الآونة حيث زدنا احتكاكاً بالاجانب وبلغاتهم وآدابهم ، فإذن الحاجة اليه ماسة ودونك دواعي ذلك :

١ً — لنقل الاعلام الأجنبية وغيرها من الألفاظ والعبارات بصورة عربيـة ، اذ ان اكثر اللغات الاوربية لا بل كلها تحوي هذه الحروف التي لا صورة تقابلها في

أبجديتنا ، واهل الجرائد أدري بهذا من غيرهم لكثرة ما يعرض لهم يومياً من هذه الألفاظ والتعابير مما يقفون أمامه عاجزين عن أدائه حق الاداء .

ودونك جدولاً لهذه الأحرف وما يقابلها من الاحروف الافرنجية :

باء مثلثة النقط « پ » = p

جيم ذات نقطتين[1] = j الافرنسية

جيم مثلثة النقط « چ » = ch الانكليزية

كاف مثلثة النقط « ڭ » = ga

فاء مثلثة النقط « ڤ » = v

٢ — تلزم ايضاً لنقل الحروف المقابلة لجميعها او لبعضها في اللغات السامية الاخرى ومن هذا القبيل تفيد المتفرغين لدرس المقابلة بين الالسنة السامية (Philologie sémitique) مما يضطرون معه الى نقل ألفاظ وعبارات من تلك اللغات الى العربية و يصعب عليهم عمله دون هذه الحروف الدخيلة .

٣ — تفيدنا عند كتاباتنا باللهجات الدارجة او غيرها . ونحن نعلم ان القوم المنتشرين في جميع الأصقاع العربية اللسان اخذوا ينشئون باللغة الدارجة تآليف مختلفة كالروايات او القصص او الزجليات او انهم يدوّنون شيئاً قليلاً ام كثيراً عن صرف هذه اللغات ونحوها كما يفعل في هذه الايام الشاعر العراقي معروف الرصافي في مجلة « لغة العرب » . على ان كل من يطالع مقالاته الممتعة في بابها لا يعتم ان يقف على خال حسي الا وهو عجز أبجدية اللغة الفصحى عن اداء كل الاصوات التي في اللغة الدارجة .

فهذه الاحوال وغيرها تدلك على ضرورة إدخال هذه الحروف في أبجديتنا ولهذا ندعوها « الحروف الدخيلة » . هذا ولا نقول انها لم تستعمل قط في الكتابة العربية بل ان ما نقترحه هو ان يتم استعمالها فيهون الأمر على الكتّاب .

---

(١) ان الترك يدلون على j الافرنسية بالزاي المثلثة الا اننا نقترح ان تكون بصورة الجيم ذات النقطتين لقرب صورتها ولفظها من الجيم عينها .

« ٢ً الحركات الفرعية »

المشهور ان حركات العربية الفصحى ثلاث وهي : الضم والفتح والكسر · الا ان هذا القول مردود في نظر اهل التحقيق اللغوي اذ ان أرباب الصرف والنحو قد ذكروا في مطولاتهم ان هناك حركات ندعوها « فرعية » وهي المتوسطة بين حركة وحركة من الحركات الأصلية وكانت متداولة على ألسن العرب منذ الازمان السابقة للاسلام · وقد لخص حضرة الاستاذ الكرملي المدقق ما يعود الى هذا الموضوع في مقالة ممتعة نشرها في الجزء الثالث من السنة الخامسة من مجلة « لغة العرب » وجه ١٢٩ وما يليها وعنوان المقالة « الحركات العربيــة المجهولة » · وأهم هذه الحركات الفرعية هي التالية :

١ حركة بين الضمة والفتحة وتدعى في العربية (التفخيم) ويقابلها في الفرنسية حرف o

٢ حركة بين الفتحة والكسرة وتسمى في العربية (الامالة) و بازائها في الفرنسية حرف é

٣ حرف بين الكسرة والسكون واسمها (الاشمام) ومقابلها في الافرنجية e muet اي e خرساء ·

٤ حركة اشمام الضم ويطلق عليها اسم (الرَّوْم) وشبيهها في الفرنسية حرف u

على ان هذه الحركات وان كان لها وجود عند القدماء من اهل الضاد وكان لبعضها أثر في تجويد القرآن الا انها كانت ولا تزال محصورة في اللفظ دون الكتابة ، اي ان اللغة الفصحى خلو من علامات تدل عليها ·

وقد نشأ عن ذلك خلل يتحتم تلافيه للاسباب الثلاثة التي قدمناها تبياناً لوجوب استعمال الحروف الدخيلة · وتلافي هــذا النقص لا يمكن الا باستنباط علامات او حركات فرعية تضاف الى الحركات الاصلية ·

على اننا قبل زيادة التقدم في البحث يحسن بنا ان نلقي نظرة على الكتابة العربية المشابهة في هذا الشأن لكتابة أخواتها السامية كلها و بالا كثر الابجدية الفينيقية أصل كل الابجديات ، التي لا تحوي سوى الحروف الصــامتة المعروفة عند الفرنج باسم (Consonnes) · وقد بقيت على حالها هذه عند أغلب الشعوب السامية التي

اتخذتها ، ومنهم العرب والسريان والعبريون . اما اليونان الذين كانوا اول من استعملها ونقلها الى بقية الامم الآرية فانهم أسرعوا فسدّوا هذا الخلل بنظمهم في سلك الابجدية الحروف الصائتة وهي التي يسمونها (voyelles) واستعملوها في الكتابة متخللة الحروف الصامتة . اما الساميون فأكثرهم لم يتخذوا في القديم شيئاً يدل عليها في الكتابة . ولما اضطروا الى وضع علامات لهذه الغاية ، لم يقحموها بين الحروف الصامتة بل اكتفوا بان يلقوها فوق الحرف اوتحته . زد على ذلك ان هذه الوسيلة بقيت ولا تزال عقيمة لعدم تداولها في الكتابة والطبع ، ما خلا بعض أحوال خاصة نادرة . وهذا ما جعل القراءة في ألسن بني سام ولا سيما اللسان العربي من أصعب الامور حتى انه يمكننا القول — وهو ما يقر بصوابه وواقعيته العلماء فضلاً عن الجهلاء — ان أضلع عالم في الصرف والنحو واللغة لا يسوغ له الادعاء باتقان قراءة اي نص من النصوص غير المشكلة دون ان يزل لسانه اما سهواً او جهلاً .

اما اختراع هذه العلامات والحركات الخارجة عن مادة الكلم ، فقد شرع فيه العبريون والسريان قبل غيرهم . ولما دخل العرب هذه البلاد تأثروا أثرهم ، فوضعوا الإعجام والإشكال . وقد فطن السريان لذلك بمجاورتهم اليونان واختلاطهم بهم واطلاعهم على لغتهم وعلومهم ، ومن الذين عنوا بذلك اكثر من غيرهم الملفان السرياني الكبير يعقوب الرهاوي الذي عاش في القرن السابع . فقد سعى في ان يضع على مثال اليونان حروفاً صائتة تقحم في مادة الكلمة ، لكنه لم يفلح ، فأهملت طريقته واستعيض عنها بالحركات الخارجة . وسبب ذلك الفشل سواء كان في زمانه او ما تبعه من العصور حتى يومنا ، خشية تبدل الكتابة وضياع الكثير من الكتب القديمة فضلاً عن ان ذلك كان في نظر اليهود وغيرهم مدعاة الى تشويه نص الأسفار المقدسة .

اما نظام الحركات فقد وضعه السريان والعبريون كاملاً في بابه او يكاد ، خلافاً للعرب فانهم اجتزؤوا بايجاد ثلاث علامات للحركات الثلاث الاصلية ، وابقوا الحركات الفرعية دون علامة في الكتابة . و يحتمل ان سبب ذلك ندور ورودها في الاستعمال . فجاء نظامهم غير واف بالمرام واستمر على تلك الحال حتى هذه الازمان ،

مما حمل العامة فضلاً عن بعض الخاصة على الظن بان الحركات في العربية الفصحى ثلاث لا غير .

فتجاه هذه النقائص في الكتابة المخلة بالقراءة وبمعرفة اللغة والمثبطة لهمم الاجانب فضلاً عن ابناء العربية ، ما كان يا ترى موقف ذوي الشأن من اهل هذه النهضة الأدبية العصرية ؟ .

الجواب على هذا : هو ان القوم قد افترقوا فرقاً أخصها فرقتان :

١ = فرقة المحافظين وهم القائلون ، كما قال سلفاؤهم من علماء العصور المختلفة كلما وقع البحث في ذا الشأن : « الا ياناس ، لا تمسوا الابجدية ، فهي تراث الاجداد وشيء من المقدسات . ان شئتم ، فاستعملوا الحركات في الكتابة والنشر ، بعد ان تتقنوا اللغة اتقاناً صحيحاً » .

٢ = فرقة المجددين بل قل الهدامين القائلين : « ما لنا للخروج من هذا المأزق الا ان نهجر الأبجدية الحالية هجراً ، ونتخذ الأبجدية اللاتينية الحاوية الصنفين من الحروف . وبذلك نكفي نفوسنا مؤونة الجهد والعناء . واما ما سبق من الكتب فسوف ينشر بالطبع رويداً رويداً بهذه الأبجدية الجديدة » .

على ان هذه المبادئ والنظريات لم تزل على الحالة التي تركها عليها يعقوب الرهاوي قبل ١٣ قرناً . اذ لا يزال العرب والسريان والعبريون يكتبون دون حركات ، اللهم الا كتبهم المقدسة وشيئاً من المؤلفات المدرسية .

اما نحن فلا نريد ان نقبض على الماء او نبني في الهواء ، بل نكتفي بالامور العملية والاصلاحات الجزئية ، مما يسد به بعض الخلل ، فينتج عنه فائدة من الفوائد مستندين في عملنا هذا الى المثل السائر : « ما لا ينال كله لا يهمل جله » . اذ ليس من قصدنا حمل القوم على تشكيل كل ما يكتبون او ينشرون ، او على نبذ الابجدية العربية والاستعاضة عنها بالابجدية اللاتينية . انما غايتنا الاقتراح وعرض الوسيلة التي بها يتم نظام الحركات الناقص في اللغة ، وهي زيادة حركات فرعية على الحركات الاصلية يستعملها الكتاب عند الافتقار اليها .

وعلى ظننا ان اول من فكر في وضع علامات للحركات الفرعية من أبناء العربية القدماء هو ابن خلدون . واما في عصرنا الحالي فهما العلامتان ابراهيم اليازجي والاب انستاس الكرملي . الا ان اختراعهم لم ينتشر بين الكتّاب لاسباب كثيرة .

اما طريقة ابن خلدون فقد استأنفها بعض العصريين فلم يفلحوا لكثرة ما فيها من الابهام الناتج عن ازدواج الحروف وقابلية لفظها على غير ما يرام . وكذا كان حظ طريقة اليازجي لصعوبتها .

على ان العلامات المستنبطة التي يرجى انتشارها بين القوم ينبغي ان تتصف بجملة من الصفات ان خلت منها فاقرأ عليها السلام . ومن هذه الخواص ان تكون هذه العلامات سهلة الكتابة لا تعقد فيها خلافاً لما كانت عليه علامات اليازجي المركبة كل واحدة منها من حركتين وهو امر يستثقل عمله . ومنها امكان استحضارها بسرعة في الذاكرة ، وهذا يهون اذا كانت صورتها مشابهة بعض المشابهة لما بين يدينا من الحركات . ومنها ايضاً ان لا يعسر صب قوالبها في المطابع وهو الامر الأهم بين الامور . ويتخيل لنا ان العلامات التي وضعها او كان اول مستعمل لها حضرة الاب انستاس الكرملي في مقالات نشرها في المشرق قبل ما يربو على العشرين سنة ، من العلامات المستوفاة هذه الشروط المذكورة . فقد استعمل للتفخيم ضمة مقلوبة (ٮِ) وللإمالة فتحة مقلوبة (ٖ) والإشمام نصف دائرة قائمة (ٍ) وللرَّوْم نصف دائرة قاعدة (ٮِ) او صورة (ٮِ) الفرنسية بحجم صغير .

اما نحن فنوافق حضرة الاب على كل العلامات الا علامة الإشمام ، فنراها صعبة وبعيدة الشبه لما يقاربها من الحركة ، ونفضل عليها علامة كسرة مقلوبة (ـ) هذا في شأن صور الحركات الفرعية .

اما اسماؤها فلنا ايضاً كلمة فيها . وانت ترى ان القدماء قد وضعوها وتابعهم في ذلك أساتذتنا . على اننا اذ كان قصدنا في كل هذه المسائل تبيان الطرق العملية التي بها يتم تذليل العقبات في وجه القوم ، نرى من الأفضل ان تكون اسماء الحركات الفرعية على وزن اسماء الحركات الأصلية اي على وزن (فَعْلة) . واذ

كان الاشمام والتفخيم والامالة لا يجوز ان يصاغ منها شيء على وزن (فعلة) لكونهـا من المصادر المزيدة ، كان على ظننا من الأصلح ان نضع لها اسماء جديدة على وزن (فَعْلة) لان اول المتلقّين لهذه الحركات والمعتمد عليهم في نشرها في المستقبل هم صبيان المدارس ، وهؤلاء يسهل عليهم حفظهـا اذا كانت كلها على وزن واحد ، اي وزن (فَعْلة) . وعليه نقترح ان يسمى التفخيم (رَوْحة) باسم الحركة المقابلة له في السريانية — والإمالة (رَبْصة) وهي اسم ما يقابلها في اللغة المذكورة ، والإشمام (خَرْسة) لان مقابله في الفرنسية هو e خرساء . والرَوْم (لَمّة) لان هذه الحركة تلفظ بلمّ الشفتين .

وبقي هناك شيء وهو ما يدعونه « الابتداء بالساكن » وهو لا يشبه السكون العربي ولا يجوز العمل به في اللغة الفصحى . الا ان استعماله كثير في اللغات السامية أخوات العربية ، وفي اللغات الدارجة والالسن الاجنبية . فلزم إذن ان نأتي له بعلامة . ونحن نرى الاوفق ان يستعمل له السكون العربي عينه مع هذا الفرق وهو ن نفتح دائرته بعض الفتح من الجهة اليمنى ويسمى (خَلْسة) لكونه كالحركة المختلسة المباينة للمشبعة .

والسكون العادي ندعوه (سَكْنة) وهكذا تكون اسماء جميع الحركات اصلية وفرعية على وزن (فَعْلة) .

وهاك الآن جدولاً للحركات الاصلية والفرعية مع أسمائها وما يقابلها في اللغات الفرنجية من العلامات :

« ا َ = الحركات الاصلية »

اسم	علامة	مقابلها في الفرنجية
ضمة	ُ	ou
فتحة	َ	a
كسرة	ِ	i

* * *

« ٢ = الحركات الفرعية »

رَوْحة	ـٜ	o
رَأْصة	ـٰ	ó
خَرْسة	ـٍ	e
لَمّة	ـٚ	u
خلسة	ـْ	في بدء الكلمة (Spasme)
سكنة	ـ؞	في وسط الكلمة وآخرها مثلاً اُقتل

هذه هي الطريقة التي نقترحها على من ذكرناهم في بدء المقال في شأن الحروف الاصلية والحركات الفرعية · على ان كل اقتراح مهما كان مهماً مفيداً ومهما استحسنه ارباب الشأن يبقى عقيماً طالما لا تتنـاوله ايدي اصحاب العمل فيخرجوه من حيز النظريات الى ميدان الفعليات · فمن هم الخليقون لا بل الملتزمون بالقيام باعباء هذه الخدمة الجلى للعلم واللغة وأبنائهـا ؟ هم ، دون ريب ، انتم الذين وجهنا اليكم الكلام يا أرباب المطابع والنشر والتعليم ولا سيما اذا كان الواحد منكم صاحب جريدة ومطبعة معاً في وقت واحد ، فبصفة كونكم أصحاب مطابع تسعون في ايجاد القوالب لصب هذه الحركات الفرعية والحروف الدخيلة وهو امر ، وان ظهر شاقاً ، يهون على هممكم الشماء · ومتى تهيأت لكم اللوازم في المطبعة تأخذون باستعمال هذه الحروف والحركات · والفرصة لكم سانحة بل الضرورة تلجئكم اليه كل يوم في ما تنشرونه من البرقيات والمقالات والاعلانات الضافية باسماء وكلمات وعبارات أجنبية او دارجة ، تسهل غاية السهولة قراءتهـا على الجمهور اذا كانت مكتوبة عند الاقتضاء بهذه الحروف ومحركة بهذه الحركات · ولكي يتعوّد القراء ذلك ينبغي ان تضعوا مدة طويلة من الزمان في ذيل صفحة من صفحات كل عدد من جريدتكم جدول هذه الحروف والحركات وحين يطلع الكتاب بفضل سعيكم المبرور على سهولة هـذه الطريقة وقرب منالها في المطابع ، فلا ريب انهم يعمدون الى استعمالها في مقالاتهم وكتبهم · واذا انتشرت بين الكبار يلزم نشرها بين الصغار تأميناً لمستقبلهـا · هذا

الامر من مهام ارباب المدارس · وعليه يخلق بناشري كتب القراءة · لا بل يتحتم عليهم ان يدرجوا فيها هذه الحروف وهذه الحركات ، فيلحقوا بالابجدية الحروف الدخيلة مع اسمائها ، والحركات الفرعية مع اسمائها بالحركات الاصلية ، وعلى المعلمين اذ ذاك ان يلقنوها الصبيان ، فتطبع في ذاكرتهم وتتداولها السنتهم فينشؤون وقد الفوها واذا كتبوا او نشروا استعملوها ·

هذا اقتراحنا القيناه على ذوي الفكر والهمة ونحن على يقين انه من الاهمية بمكان في نظر من يقدرون الامور حق قدرها ·

على اننا لا نشك في انه سيصادف بين القراء موافقين ومخالفين · ولذا فبكل ارتياح نتلقى ما يعن لغيرنا من الرأي في ذا الشأن ، ولا سيما لكم يا اهل المطابع والجرائد والتعليم الكرام · اذ اننا عالمون حق العلم ان الحقيقة بنت البحث وان وميضها لا يبرق الا باحتكاك الآراء « النزيهة » والسلام ·

بحث

في بعض اصطلاحات النبات

— ٣ —

يقال لخروج الزهر في النبات إزهار وازهرار وازهيرار وتنوير وتوريد وللتفتح تفتّح وتفقيح ، ويقال للزهر أُقحاح ونَوْر ونُوّار وورد . لواحدة زَهرة وأُقحاحة ونَوْرة ونُوّارة ووردة وجميع ما تقدم وارد في اللغة . وعند الافرنج ثلاث كلمات من أصل واحد معناها واحد في الاصل لكنهم خصصوا كلاً منها لمعنى ، فالاولى يراد بها خروج الزهر مطلقاً ، والثانية انتظامه ؛ والثالثة زوال الماء من بلورات الملح ونحوه . ولما كان باب الاشتقاق واسعاً عندنا وكانت هذه الالفاظ واردة في اللغة فلا ارى مانعاً من تخصيص كل منها لمعنى خاص في العلوم فنعبر عن هذه الكلمات الثلاث على ما وردت في معجم وبستر كما يأتي :

Florescence or Anthesis — إزهار وازهرار وازهيرار وتنوير وتوريد وأفضلها الاولى بهذا المعنى

Inflorescence — ١ . ازهار وازهرار الخ كما في الكلمة السابقة

٢ . (علم النبات) أ . تنوير ويراد به انتظام الزهر ووضعه

ب . زَهْر ونَوْر ونُوّار وهي اسماء جمع

Efflorescence — ١ . (علم النبات) إزهار اي خروج الزهر مطلقاً كما في الكلمة الاولى والمعنى الاول في الكلمة الثانية

٢ . (الطب) توريد ويراد به احمرار الجلد او ظهور الطفح كما في الحصبة والجدري ونحوهما ومعنى ورّد في اللغة أزهر

٣ . (الكيمياء) أ . ازهرار اي زوال الماء من بلورات الملح ونحوه وهو عكس التميّع

ب . زَهْرة . مثل زهرة الملح وزهرة النحاس وقد ذكرهما ابن البيطار بهذا اللفظ وبهذا المعنى .

وقالوا في الكلمات الثلاث وفي جميع المعاني التي مرّ ذكرها تارةً تزهّراً وتارةً تزهيراً على انهما لم يردا في كتب اللغة فيما أعلم . ولا بأس بالاشتقاق قياساً اذا كنا في حاجة اليه ، اما في المعاني المتقدمة فان ما ورد في كتب اللغة من الألفاظ ما يغني عنه . وقالوا في المعنى الكيماوي من اللفظة الثالثة التكرّج والتجوهر لكنهما ليستا بهذا المعنى وربما يصلح له الاسباخ من أسبخت الارض اي كانت سَبِخَة ، وعامة أهل الموصل يقولون زنّخت الارض وزنّخ الجدار ، والبغاددة يقولون شوّر من الشُورج او الشُورة وهي لفظة فارسية شائعة في العراق ومعناها النَطْرون . اما التوريد فقد اقترحتها للمعنى الطبي لان التوريد هو الازهار والورد في العراق هو الزهر مطلقاً كما في كتب اللغة وما نسميه الورد في مصر والشام يسمونه الجُنْبُذ والورد الجوري والورد الاشرفي حسب أنواعه .

والتنوير اما محدود ويقال معيّن ونازل ومتباعد عن المركز او غير محدود ويقال صاعد ومتقارب من المركز . وكل من هذين الصنفين أنواع وضروب . فمن التنوير غير المحدود السُنبلة ويقال سَبَلة وسَبُولة وسُبُولة . ويقال لسنبلة الذرة المُطر ولا يخفى ان الذرة في كتب اللغة هي الذرة البلدية او البيضاء اما الصفراء ويقال لها الشامية في مصر والعراق فلم تكن معروفة عند العرب والعامة في الشام والعراق تسمي سنبلتها عرنوساً . ومنه العنقود وهو معروف وله أسماء كثيرة ذكرها ابن سيده في باب الكرم والنخل . ومنه الكُعْبرة والكُعْبورة وهما في اللغة كل مجتمع وقد ذكرهما المخصص لنوع من التنوير (١١ : ١٦١و١٦٩) . وربما كان الرؤيس تصغير رأس اصلح منهما وهو ترجمة الاسم الافرنجي . ثم ان اللفظة الافرنجية واردة في التشريح والحيوان والنبات ويستحسن استعمال الألفاظ عينها في العلوم فاننا اذا قلنا كعبرة في التشريح يفهم منها العظم الوحشي من الذراع وهو ليس المقصود كذلك في الحيوان فالكعبرة لا تصلح لما يراد باللفظة الافرنجية . اما الرؤيس فتؤدي المعنى في التشريح والحيوان والنبات على السواء . ومن التنوير غير المحدود الخيمة ويقال صيوان وهي فارسية وربما كانت الاولى أصلح لعروبتها والثانية أصلح لتأدية المعنى وكلاهما شائع في كتب النبات ومعنى اللفظة الافرنجية مِظلّة لكنها لا تصلح لهذا المعنى لان

علينا ان ننسب اليها ونسمي بها احدى الفصائل وقد اعتدنا ان نقول الفصيلة الخيمية او الصيوانية و يصعب علينا ان نقول المظلية ·

والسنبلة أنواع منهـا الجُمَّاحة (المخصص ١١ : ١٧٧) وهي سنبلة القصب والنَّصِيّ ونحوهما ولا أعرف لها اسمًا خاصاً عند الافرنج · ومنهـا الهُرَيْرة تصغير هِرَّة كما في الصَّفصاف وهي ترجمة اسمها الافرنجي وأصلح من قولنا تزهُّر هِرِّي · وسماها أستاذنا الدكتور بوست رحمه الله بالقِدَّة وهي ترجمة اسمهـا الآخر · ومن أنواع السنبلة الطَّلع والطَّلْعة والطَّليمة كما في النخل واللوف · وللطلع أسماء أخرى ذكرها ابن سيده في باب النخل على ان الطلع والطلعة أشهرها وأخفها لفظاً · ومنهـا الصَّنَوبرة والتَّنُّوبة ومعناهما واحد ولها لفظتان مختلفتان عند الافرنج وهما في الاصل بمعنى الصنوبرة لذلك اقترح تخصيص كل منهما لنوع من التنوير · ولا يخفى انـ الصنوبرة في اللغة هي جوز الصنوبر او كوزه لا حبة الصنوبر لذلك قالوا القلب عضو صنوبري اي مخروط كما قال الافرنج فان اللفظة الافرنجية معناها مخروط وصنوبرة والنسبة اليها مخروطي او صنوبري ·

والعنقود عند النباتيين أنواع كثيرة واسماؤه بالعربية كثيرة ولا بأس باستعارة بعضها للتخصيص فمن أنواعه ما يسمى بالتزهُّر الخيمي الكاذب وربما يصلح له العِذْق ومنها العنقود المركَّب وربما يصلح له العُثكول او العِثكال ومنها العنقود الهَرَمي وربما يصلح له الشمروخ والشمراخ ·

وعند النباتيين نوع من الرُّوَيس او الكعبرة كما في التين والجمَّيز يسمى تينة او بَلَسة (المخصص ١١ : ١٣٧) · وهاك ما أراه أصلح ترجمةً لما ذكر ولا بأس بايراده ولو كان معروفاً عند القراء :

* * *

سُنبلة	Spike
سُنيبلة	Spikelet
عنقود	Raceme
رُؤيس	capitulum
خيمة او صيوان	Umbel
هُريرة	catkin or Omentum
طلعة	Spadix
صنوبرة	cone
تنوبة	Strobile
عِذق	corymb
عُثكول	Panicle
شِمراخ	Thyrsus
تِباسة	Syconium

ومن أنواع النور المحدود السنمة و يقابله بالافرنجية لفظة معناها في الاصل فرخ الكرنب اوكل شيء منتفخ اومرتفع كالموجة ولم أر أصلح من السنمة لهذا النوع من النور فقد وردت في اللغة لنوع من السنبل (المخصص ١١ : ١٤٧ و ١٥١ و ١٨٣) واللفظة تؤدي معنى الارتفاع او الانتفاخ كاللفظة الافرنجية كما يتضح من مادة سنم في كتب اللغة ولا أرى بأساً بتخصيصها لهذا النوع من النور . وقد عربوها بلفظة سيم فاذا أريد تعريبها حقها ان تكون قمة فهي أقرب اليها لفظاً ومعنى على ان السنمة أصلح على ما أظن .

ومنه الخصلة وهي في اللغة العنقود وعند العامة الشعبة منه وربما يصلح لها الجمة . ومن أنواع النور المحدود الكبة والكوكب . والكلمات الثلاث الاخيرة ترجمة مايقابلها عند النباتيين من الافرنج او ما يقارب ذلك :

سنمة	Cyme
خصلة او جمّة	Fascicle
كُبّة	Glomerulus
كوكب او دُوّارة	Verticillaster

و يقال للورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل والثمر والزهر العَصف والعَصيفة والعُصافة والقِناب والقُناب والقُنّابة وهذا لا خلاف فيه . ولكن ما هي الورقة الواحدة منه وهي التي سماها النباتيون الورقة الزهرية ونحن نريد كلمة واحدة لا كلمتين وعند الافرنج كلمة معناها في الاصل رُقاقة الذهب ونحوه وهي التي تسميها العامة بَرْقة وبَرّاقة وهي تشبه الكلمة اللاتينية في اللفظ ولا أرى أصلح من تسميتها بالعَصْفة وتسمية الورق المجتمع الذي يكون حول الزهر بالقُنّابة كما جاء في كتب اللغة وتسمية العصفة الحرشفية التي يكون فيها الحب بالخِبّاء وهو في اللغة غِشاء البُرّة والشعيرة في السنبلة وتسمية الخباء الخارجي بالقُنْبعة . اما العصفة اي الورقة الزهرية فقد سماها أستاذنا الدكتور بوست رحمه الله بالفَلْس وهي تكاد تكون ترجمتها على انني أفضل العصفة ولعلها سميت كذلك في الزرع لرقتها ولان الريح تعصفها . واما العصفة اوالورقة الزهرية التي تنفتح عن الطَلْعة كما في اللوف والنخل فتسمى الكافور والكُفُرّى ولها اسماء أخرى (المخصص ١١ : ١٢٠) على ان الكافور والكُفُرّى أصلحها على ما أظن :

عَصْفة	Bract
عُصَيفة	Bracteole
قِناب وقُناب وقُنّابة	Involucre
خِباء وخفاء	Pale
قُنْبُعة	Glume
كافور	Spathe

وفي أطراف الاخبية من السنبل زوائد شائكة يقال لها السَفَا والشماع والمروق والافرنج يسمونها اللحية وعامة اهل الشام تسمي اللينة منها التي في الذرة الصفراء الشوشة

وهي عندهم شعر الرأس · ويقال لواحدة السفا والشُعاع والمروق سَفَاة وَشعَاعة ومُرْق · وقد ذكر السفا بهذا المعنى العالم المحقق الامير مصطفى الشهابي في انتقاده كتاب الزراعة الجافة · وهاك ما يقابل ذلك عند النباتيين :

سَفاة وَشعَاعة ومُرْق	Awn
سَفا وشُعاع ومُروق	Beard

واذا كانت الزهرة كاملة كان فيها اربعة أجزاء الكأس والتُوَيج والأسْدية والمِدَقَّة وكلها مترجمة ترجمة حسنة جداً ترجمها علماء النبات بمصر في القرن الماضي · وللكاس الفاظ أخرى عربية معروفة عند الادباء منها الِكمّ والِكمامة والقُنبعة والقمع الخ (المخصص ١٠ : ٢١٩ و ١١ : ٥١) ولكن الكأس أصلح ولا سيما ان اللفظة الافرنجية عينها واردة في التشريح والحيوان فيقال كؤوس الكلية وكؤوس السوسن البحري· ولكن لا يصلح ان يقال اكمّة الكلية او قنابعها وربما يصلح ان يقال اقماع الكلية ولكن الاقماع ترجمة لفظة أخرى غير هذه · وما قيل عن الكأس يقال عن التويج فهو بالعربية النَوْرة والنُوّارة والقُقّاحة وأظن التويج أصلح · اما اقسام الكاس فعربوها بالسبلات واحدها سَبَلة وأذكر انه ورد ذكر هذه اللفظة في مجلس لنا في دمشق فاقترحت القَص· فقال الاستاذ حبيب اسطفان على الفور هي من كذا وكذا باللاتينية اي من فعل معناه فصل واقترح الفِصْل والإِصْلة فدهشنا لقوة عارضته وعلمه الواسع وذكائه المفرط ووافقنا على اقتراحه · ثم خطر لي بعد ذلك ان الفِصْلة كالسَبَلة اذا قلبت حروفها اي انها من اصل واحد · اما أجزاء التويج فقد عربوها بالبَتَلات واصل معناها اللاتيني وُرَيْقات ولا بأس بالبتلات واحدها بَتْلة وأصلح منها البتْلات واحدتها بِتْلة وهي تؤدي بالعربية معنى الفصل وقد سماها الاب أنستاس الكرملي والامير مصطفى الشهابي بالقُعالة وهي حسنة جدا ·

اما الانثير فأبقاه بعضهم على لفظه الافرنجي وسماه آخرون بالحشَفَة وغيرهم بالمُتْك ونحن في غنى عن الحشفة والمتك في هذا المقام وان كنا في حاجة اليهما في موضع آخر كالتشريح مثلاً · وأرى ان المِئْبَر والمِئبار والمَأْبَر أصلح وهي في

اللغة ما يلقّح به النخل وقد ترجمها لاين بالانثير واللَقَاح (انظر مادة أَبَر في لاين)
وهاك ترجمة ما تقدّم او تعريبه :

لِفافة ويراد بها الكاس والتويج معاً	Periänth
كأس	Calyx
قمع	Infundibulum
تويج	Corolle
أسدية واحدتها سَداة	Stamens
مِدَقَّة	Piotil
مِيَمَة	Stigma
فِصلة	Sepal
بتلة او قُمَالة	Petal
لَقاح ولَقَح	Pollen
مِئبر ومِئبار ومَأبِر	Anther

امين المعلوف

ام الرجز (١)

الحمد لله الوهوب المجزل (٢) أعطى فلم يبخل ولم يبخّل (٣)
كوم الذرى (٤) من خول المخوّل (٥) تبقّلت (٦) في اول التبقّل
بين رماحي مالك ونهشل يدفع عنها العزُّ جهل الجُهّل
حتى تراعت في النعاج الخُذّل تحت أهاضيب الغيوث الهُطّل (٧)
منها المطافيل وغير المُطفل وراعت الربداء أمّ الارؤل (٨)
والنّغض مثل الأجرب المُدجّل حدائق الارض التي لم تُحلل (٩)
حتى تحتّى وهو لمّا يذبل مستأسداً ذبّانه في غيطل (١٠)
يقلن للرائد : أعشبت انزل لعباً كتغريد النشاوى المُثّل (١١)

---

(١) هي أرجوزة ابي النجم العجلي الموعود بها في آخر مقالة (تاريخ نشوء الرجز) راجع ص ٣٩٤ ·

(٢) الذي رواه اهل اللغة والادب : الحمد لله العلي الأجلل

الواهب الفضل الوهوب المجزل اعطى فلم يبخل ولم يبخل الخ

و يستشهد بقوله «الأجلل» على مخالفة القياس اللغوي · انظر كتب اللغة وشرح شواهد التلخيص ج ١ ص ٧ و ٨ · (٣) بخّله تبخيلاً : رماه بالبخل · (٤) اي إبلاً عظام الاسنمة · (٥) اي مما اعطى الله تعالى من النعم · (٦) رعت البقل · (٧) الخذل : المتخلفات عن القطيع · وتراعت : رعت معها · والاهاضيب : جمع هضاب وواحد الهضاب هضب وهي حلبات القطر بعد القطر · (٨) راعت : رعت معها · والربداء : من المعز السوداء المنقطة بحمرة · والأرؤل : جمع رأل وهو فرخ النعام · (٩) النغض : الظليم وهو ذكر النعام · والمدجل : المطلي بالقطران · (١٠) الغيطول والغيطلة : اختلاط الاصوات والظلمة والغيطل من الضحى حيث تكون الشمس من مشرقها كهيأتها من مغربها وقت الظهر · (١١) قوله يقلن اي كأنها تدعو الى رعيها · والرائد : المرسل في طلب الكلاء ·

اذ جاوبوا ذا وَتَرٍ مشكّل يضرب به الضارب للتأمل
حتى اذا ما أبيضّ جُزْءُ النُّقُل وبُدّلت والدهر ذو تبدّل (١)
هيفاً دَبوراً بالصّبا والشّمأل وقد حملْن الشحم كل محمل (٢)
وقام جنيُّ السَّنام الأميل وامتهد الغارب فعل الدمّل (٣)
يجفلها كلٌّ سنام مجفل لأياً بلأيٍ في المراغ المُسْهِل (٤)
وقمن بعد النوء والتحلحل وقد طوتْ ماء الفَنيق المرسَل (٥)
بين الكلا منها وبين المَنْهل في حاق ذات رتاجٍ مُقفَل (٦)
ضمّتْ على مخلوقة لم تكمل مستشعرات في كنين معقل (٧)
حمراً كعصب اليمنة المنخّل يسفن عطفيْ سنمٍ همرْجل (٨)
لم يرع مهزولاً ولم يستمهل (٩) سوف المعاصير خزامى الختلي (١٠)

(١) ذاوتر اي عود والنُّقل: الثعلب والنُّقل مايبس من العشب اوشجر اونبات أخضر
(٢) الهيف: ريح حارة تأتي من نحو اليمن نكباء بين الجنوب والدبور تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه . والدبور: ريح تقابل الصبا . وقوله كل محمل اي في كل بدنها . (٣) امتهد: انبسط . والغارب: السنام . والدمل: الخُراج . (٤) المجفل كمنبر الثقيل . واللأي: الجهد والشدة . والمراغ: موضع تمرغ الدابة . اي يقلبها سنامها من ثقله اذا تمرغت فلا تنهض . (٥) النوء: النهوض بجهد ومشقة والفنيق: الفحل المكرم لايؤذي لكرامته على اهله ولا يركب . (٦) المهبل كمنزل الرحم او اقصاها او موضع الولد منها . ويعني بالحلق حلق الرحم . والرتاج ككتاب الباب المغلق وعليه باب صغير . (٧) الكنين: موضع يحفظ ما استودع فيه . (٨) العصب: ضرب من البرود اليمنية يعصب غزله اي يدرج ثم يحاك . والسوف: الشم . والعطف: الجانب . والسنم: العظيم السنام . والهمرجل: السريع . (٩) في التاج مادة (الهمرجل): «لم يرع مأزِلاً ولم يستمهل» . (١٠) المعصور: اللسان اليابس عطشاً . والخزامى: نبت زهره أطيب الازهار نفحةً . واختلى الخلى: جزّه وقطعه وهو الرطب من النبات .

فخل تلاد ليس بالمستفحل ... مبرنس في لبد مسربل (1)
يرفُلُ في مثل الدثار المخمل ... لم يدرِ ما قيدٌ ولما يعقل
ينحط من ذِفراه مثل الفلفل ... يذبُّ عنه بأثيثٍ مسبل (2)
مثل إزار الشارب المذيَّل ... ترى بيبس البول دون الموصل (3)
منه بعجز كصفات الجيحل (4) ... كشائط الرُبِّ عليه الأشكل (5)
يدير عينيْ مصعب مستفيل ... تحت حجاجيْ هامةٍ لم تعجل (6)
قبضاء لم تطفح ولم تكتَّل ... ململومة لمّاً كظهر الجُنبُل (7)
يرعد ان يرعد قلب الأعزل (8) ... الا امرءاً يعتدُّ خيطَ الجلجُل (9)
يرسنُها من روعة التجفُّل ... بذلت اثناء خريق الأسفل
توازن العثنون (10) ان لم نفضل ... بين مهاريسَ ونابٍ مقصل
كأنه وهو به كالأفكل ... مبرقع في كُرسُفٍ لم يغزل (11)
من زبد الغيرة والتدلُّل ... حتى اذا الآل أجرى بالأميل (12)
وخبَّ تَخباب الذئاب العُسَّل ... وكانت البهمي كنبل الصيقل (13)
واحتازت الريح بيبس القلقل (14) ... وفارق الجزء ذوو التأبُّل (15)

(١) المبرنس لابس البُرنس وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به • والتلاد: القديم • ومعنى ليس بالمستفحل: ليس مستعاراً للضراب • (٢) الذفرى من القفا الموضع الذي يعرق منه البعير • والأثيث المسبل: الذنب الطويل الكثير الشعر • (٣) الموصل: المفصل وموصل البعير ما بين العجز والفخذ • (٤) الجيحل: الصخرة العظيمة • (٥) يصف عرقه وسواده في حمرة وهي الشكلة • (٦) الحجاج: العظم الذي ينبت عليه الحاجب • (٧) القدح الغليظ • (٨) الأعزل: الذي لا سلاح معه وضده الرامح • (٩) مثل يضرب لمن يقدم على الجسيم • (١٠) شعيرات تحت حنك البعير • (١١) الافكل: الرعدة • والكرسف: القطن المحلوج يعني لغامه • (١٢) الآل: السراب • والاميل جمع ميل وهو المسمى مد البصر • (١٣) العسل جمع عاسل وهو الذئب الذي يضطرب في عدْوه • والبهمي: نبت • والصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها • (١٤) نبت له حب اسود • (١٥) تأبَّل ابلاً: اتخذها •

ومات دُعْموص الغدير المثمل ... وأنساب حيات الكثيب الأهيل (١)
وانعدل الفحل ولما يعدل (٢) ... يهيجها بادي الشقا لم يغمل (٣)
ليس بملتاث ولا عميثل ... وليس بالفيّادة المقصمل (٤)
لم يقطع الشدوة بالتزمّل ... يُحدّب عرياناً من التبذّل
ذو خِرَقٍ طلسٍ وشخص مذئل ... أشعث سامي الطرف كالمسلسل (٥)
ليس بمعقوص ولا مُرَجّل ... يزِفّ أحياناً اذا لم يرمل (٦)
تفلي له الريح ولما يقمل ... لمّةً فقرٍ كشعاع السنبل
يأتي لها من أيمن وأشمل ... وهي حيال الفرقدين تفتلي (٧)
تغادر الصّمْد كظهر الاجزل ... حتى اذا ما بلن مثل الخردل (٨)
كأن في أذنابهن الشُوّل ... من عبس الصيف قرونَ الأيّل (٩)
ظلت بنيران الحَرور تصطلي ... في حبة جرف وحمض هيكل
يخض ملاحاً كذاوي القَرمل (١٠) ... فهبطت والشمس لم ترّجل (١١)
حتى اذا الشمس بدت للقُيّل ... بالنصف من حيث غدت والمنزل
جاءت تسامى في الرعيل الاول ... والظلّ عن اخفافها لم يفضل (١٢)

(١) الدعموص : دويبة تغوص في الرمل · والمثمل : الذي فيه بقية ماء · (٢) انعدل : ترك الضراب · (٣) يصف الراعي · (٤) الملتاث : المريض · والعميثل : الطويل الضعيف · والفيادة المتبختر كبراً وعجباً · والمقصمل : الشديد العصا من الرعاء · (٥) الطلسة : الغبرة · والمذئل : الخفيف · (٦) العقص : شد الشعر في القفا · والترجيل : تسريح الشعر · والزفيف والرملان : ضربان من المشي · (٧) الفرقدان : نجمان · (٨) الصمد : الارض المرتفعة والصلبة والغليظة · (٩) الشوّل : جمع شائل وهو المرتفع · والعبس ما يتعلق باذناب الابل من أبوالها وأبعارها فيجف عليها في الصيف ، وقد شبه ما تعلق من ذلك بقرون الأيّل و يروى الأجّل بالابدال · (١٠) شجر ضعيف بلا شوك · (١١) اي لم تنزل · (١٢) الرعيل : القطعة من الخيل ونحوها · يصف الهاجرة وقت اشتداد الحر ·

ثائرة الايدي طوال الارجل يهدى بها كل نيافٍ عندل (١)
طاوية جنبيْ فراغ عثجل (٢) يُخبِّط الزائد ان لم يرحل
تغشي العصا والزجر ان قال حَل يرسلها التغميض ان لم ترسل
خوصاء ترمي باليتيم المحثل اذا دنت من عضد لم يشغل (٣)
عنها فلو كان بضيق مأزل لو كان دفع النيل لم تحلحل
تدفي من الجدول مثل الجدول أجوف في غلصمة كالمرجل
تنزو بعثنون كظهر الفرعل تسمع للماء كصوت المسحل (٤)
بين وريديها وبين الجحفل تلقيه في طرق أتتها من عل (٥)
قذف لها جوف وشدق أهدل كأن صوت جرعها المستعجل (٦)
جندلة دهديتها من جندل ميّاسة كالفالج الجلجل (٧)
تزبن يحيى لاهج مخلل عن ذي قراميص لها محجّل (٨)
خيفه كأثناء السقاء المسمل كأن اهدامَ النسيل المنسل (٩)
على يديها والشراع الأطول اهدام خرقاء تلاحى رعبل (١٠)
شُقّقَ عنها درعُ عام اول عن درع ديباج عليها مدخل
تثير ايديها عجاج القسطل اذ عصبت بالعطن المغربل (١١)

(١) النياف ككتاب الطويل في ارتفاع ، والعندل : البعير اشتد عصبه .
(٢) عظيم البطن . (٣) أحثله الدهر : أساء حاله . (٤) العثنون : شعيرات تحت الحنك ، والفرعل ولد الضبع ، والمسحل المبرد . (٥) الجحفل لذي الحافر كالشفة للانسان . (٦) الشدق : جانب الفم ، والأهدل : المسترخي المتدلي . (٧) الجندلة : الصخرة العظيمة . والمياسة المتبخترة . والفالج : الجمل الضخم ذوالسنامين . (٨) تزبن : تدفع . والقراميص : جمع قرماص وهو العش يبيض فيه الحمام . وحفرة واسع الجوف ضيقة الفم . (٩) الخيف : ماانحدر من غليظ الجبل وانحدر من مسيل الماء . والنسال والنسيل : ما تساقط من وبر البعير . (١٠) ثوب رعبل : ممزق ، وامرأة رعبل ذات خلقان من الثياب . (١١) القسطل : غبار الحرب . وعصبت الابل بالماء دارت حوله . والعطن : مبرك الابل حول الحوض . والمغربل : المدقق ترابه .

تدافع الشيب وان لم تقتل | في لجة إملأ فلان عن فل (١)
لو جرّ شن وسطها لم يجفل | من شهوة الماء ورزّ معضل (٢)
وهي على عذب رواء المنهل | دحل ابي المرقال خير الادحل (٣)
من تحت عادٍ في الزمان الاول | على جواب وخليج مرسل (٤)
وحبل جلد من جلود البزّل | أملس لارثّ ولا موصّل (٥)
على دموك أمرها للأعجل | نئط أحياناً اذا لم تصهل (٦)
فهم حصان الروضة المطوّل | في مسك ثور سحبله كالاسجل (٧)
موثّق الصنع قوي سبحل | يقصر من خطو المثل الحرجل (٨)
بدفي اذا ناهزه قال اقبل | للأرض من ام القراد الاطحل
وقد جعلنا في وضين الاحبل | جوز خفاف قلبه مثقل (٩)
أحزم لاقوق ولا حزنبل | موثّق الاعلى امين الاسفل (١٠)
أقبّ من تحت عريض من علِ | معاود كرّة أدبر أقبل (١١)
يسمو فيستد اذا لم يرقل | في لحمه بالغرب كالتزيل (١٢)
يماز عنه دخّل عن دخّل | كالجندل المنضود فوق الجندل

(١) فل لغة في فلان وليس بترخيمه . (٢) الشن القربة البالية ، وفي المثل الجبان يقعقع له بالشنان . والرز الصوت يسمع من بعيد . (٣) مضى الكلام على هذا البيت عند ذكر ما أخذ على هذه الارجوزة من الخطإ المعنوي . (٤) الجوابي الحياض . والمرسل المسلط . (٥) البزل جمع بازل وهو البعير المسن . والرث العتيق . والموصّل المرقع . (٦) نئط تصوّت ونئن تعباً . (٧) المسك الجلد . والسجل الدلو العظيمة . (٨) السبحل الطويل الجسيم . المثل المسرع . والحرجل الطويل . (٩) اي قلبه خفيف وبدنه ثقيل . (١٠) القوق الطويل . والحزنبل المشرف من كل شيء . والامين القوي .

(١١) يصفه بمواصلة العمل جائياً وذاهباً .

(١٢) يستد يقوى . والارقال الاسراع والغرب الدلو الكبيرة والتزيل التفرق .

يأوي الى ملطٍ له وكلكل (١) وكاهل ضخم وعرق عرطل (٢)
صلاخم مفصله في مفصل سام كجذع النخلة الشمردل (٣)
شذّب عنه الليف هذّ المنجل ركّب في ضخم الذفارى قندل (٤)
يفترّ عن مكنونة لم تعصل عن كل ذي حرفين لم يفلل
أخضر صرّاف كحدّ المعول أفطح قد كاد ولما ينحل (٥)
نحّى السديس فانتحى للمدل عزل الأمير للأمير المُبْدَل
حتى اذا الشمس جلاها المجتلي بين سماطيْ شفق مُهوّل
فهي على الأفق كعين الاحول صغواء قد مالت ولما تفعل (٦)
نشّطها ذو لمّة لم تُغْسَل صلب العصاجاف عن التغزل (٧)
مختلط المفرق جشب المأكل (٨) الا من القارص والمُمَحّل (٩)
يحلف بالله سوى التحلّل ماذاق ثفلاً منذ عام اول (١٠)
يمر بين الغانيات الجهّل كالصقر يجفو عن طراد الدخل (١١)
فصدرت بين الاصيل الموصل تمشي من الردّة مشي الحفّل (١٢)

---

(١) الملط الجنب وبعض الزور • (٢) في التاج في مادة (عرطل) : « في مسرطم هادٍ وعنق عرطل » والعرطل الفاحش الطول المضطرب • (٣) الصلاخم الصلب الشديد والشمردل الطويل • (٤) القندل العظيم الرأس من الابل والدواب • (٥) المعول بالعين المهملة الفأس العظيمة ، و بالغين سيف دقيق له قفا • (٦) الصغواء المائلة • (٧) في التاج في مادة (محل) : « عن التغزل » • (٨) اي خشن المأكل • (٩) القارص اللبن الحامض • والممحل من اللبن الآخذ طعم حموضة او ما حقن فلم يترك يأخذ الطعم •

(١٠) الثفل طعام اهل القرى من التمر والزبيب ونحوهما • وتحلل في يمينه اذا حلف ثم استثنى استثناء متصلاً •

(١١) الدخّل طائر صغير أغبر يسقط على رؤوس الشجر والنخل فيدخل بينها •

(١٢) الردة امتلاء الضرع من اللبن قبل النتاج • والحفّل النوق الممتلئة ضروعها لبناً •

مشيَ الروايا بالمزاد المثقل يرقلن بين الأدم المُعَدَّل (١)
والحشو من خذّانها كالحنظل تُثير صبفيَّ الظبـاء الغُفَّل
عن كل دمّاع الثرى مظلّل من أين القرنة ذات الأجحل
مكانس العُفْر بوادٍ مربل قفر كلون الحَجَل المكلَّل (٢)
طار القطا عنـه بوادٍ بجهل لينـة الريش عظام الحوصل
تظل حفراه من التهدّل في روض ذفراء ورُغل مخجل(٣)
تعدله الأرواح (٤) كل معدل كأنْ ريح المسك والقرنفل
نباته بين التلاع (٥) السُّيَّل

بغداد : بهجة الاثري

(١) الروايا جمع راوية وهي المزادة فيهـا الماء ويسمى البعير والبغل والحمار يستقى عليه راويةً على تسمية الشيء باسم ضده لقربه منه ٠ والارقال الاسراع ٠ (٢) المكانس بيوت الظباء ٠ والعفر الظباء الحمر في بياض ٠ والمربل المخضر بعد اليبس ٠ والحجل الذكر من القبج ٠ (٣) الرغل نبت ٠ (٤) جمع ريح ٠ (٥) جمع تلعة المكان المرتفع ٠

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ راغب الطباخ :

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(الصنف الاول) كلمات غير « قاموسية » لكنها عربية قحة وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم مثل (تبدى) بمعنى ظهر : وردت هذه الكلمة في شعر عمرو بن معدي كرب حيث يقول :

وبدت لميس كأنها بدر السما اذا تبدى

أقول كلمة تبدى بمعنى ظهر وماماثلها من الكلمات التي سكتت عنها معاجم اللغة — يجوز عندي استعمالها بلا تردد اذا كانت واردة في كلام عربي خالص فصيح كعمرو بن معدي كرب ؟ ولا يصدنا عن قبولها انفراد ذلك العربي بذكرها بمعنى سكتت عنه معاجم اللغة : فقد قال أئمة اللغة يقبل نقل اللغة من الواحد العربي العدل سواء كان من النساء ام كان من الرجال . قال ابو زيد في نوادره — قلت لاعرابية بالعيون ابنة مائة سنة « مالك لاتأتيني اهل الزقة . فقالت اخزى ان أمشي في الزقاق اي استحي » وقال زعموا ان امرأةً قالت لابنتها : « احفظي بيتك ممن لاتنشرين اي لا تعرفين — وذكر في الجمهرة ان عبد الرحمن روى عن عمه انه سمع امرأة تقول لابنتها هممي اصابعك في رأسي اي حركي ، الى غير ذلك من الكلمات المنقولة عن النسوة كما حكاه الجلال السيوطي في كتابه المزهر .

فاذا كان أئمة اللغة قبلوا تلك الكلمات من نسوة سن احداهن مائة سنة فاولى بنا ان نقبل كلمة تبدى بمعنى ظهر وما ضارعها من الكلمات التي ينفرد بذكرها عمرو بن معدي كرب وأمثاله من العرب الخلص الذين لهم المكانة الرفيعة في عالم النظم والنثر — هذه الكلمة (تبدى) التابعة لثلاثيها (بدا) بمعناها الذي هو ظهر — لها نظائر وأشباه كثيرة كقولك (دنا) وتدنى وجنى وتجنى وحلا وتحلى مما رباعيه تابع لثلاثيه بمعناه وليس من المعقول ان يكون الثلاثي بمعنىً ورباعيه المشتق منه منسلخ بمعناه عنه .

(الصنف الثاني) كلمات عربية سكتت عنها معاجم اللغة لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين لا يحتج بكلامهم ؟ وهذه كفعل « افص الخبر » رباعياً بمعنى قص ثلاثياً — لم تذكره معاجم اللغة لكنه جاء في كلام الامام الطبري : وربما عد من هذا النوع كلمة (نخيم) التي أقرها العلامة اليازجي وكلمة (صدفة) مكان مصادفة التي استعملها الاستاذ الشيخ محمد عبده ·

أقول لا أرى بأساً من استعمال (افص) الرباعية مكان (قص) ولا باستعمال كلمة (صدفة) مكان (مصادفة) لورود الاولى في كلام الطبري وورود الثانية في كلام الشيخ محمد عبده فان كل واحد منهما ثقة فيما يقوله واذا علمنا ما أسلفنا بيانه نقلاً عن ابي زيد من ان أئمة اللغة قبلوا كلمة لغوية من نسوة سن احداهن مائة سنة فأحرى بنا ان نقبل من الامام الطبري والشيخ محمد عبده كلمات عدة لا كلمة واحدة اذ كان لكل واحد منهما المقام الاول في سعة الاطلاع وطول الباع في لغة العرب فهو اولى من تلك المرأة العجوز بان يقبل منه ما ارتضاه من اللغة ورصنه في بنيان عبارته ونظمه في سلك مؤلفاته : اما كلمة (نخيم) فاني ارى استعمالها مما لا يأباه القياس لان الصفة المشبهة التي تأتي على فعيل — قياس مطرد لفعُل على ما ذهب اليه الجمهور من أئمة النحو غير ابن مالك القائل في الفيته :

وفَعْل اولى وفعيل بفعُل   كالضخم والجميل والفعل جمل

قال الصبان في حاشيته على الأشموني (قوله وفعل اولى الخ) لعله لم يصرح بالقياس لانهما لم يكثرا في المضموم كثرة تقطع بقياسهما فيه عنده · قال الشاطبي وغير المصنف (ابن مالك) يرى قياسية فعيل لا فعْل اه · فالمفهوم من كلام الشاطبي ان الصفة المشبهة لفعُل تطرد قياسياً في فعيل دون فعْل عند أئمة النحو غير ابن مالك · وعلى هذا تكون كلمة (نخيم) هي الصفة المشبهة القياسية لفخُم — وان فخْم صفة مشبهة لفخُم غير قياسية بل هي سماعية ·

ولعل سكوت أصحاب المعاجم عن (نخيم) مسبب عن عدم اعتمادهم على مذهب ابن مالك القائل بان فعيل غير قياسي لفعل بل اعتمدوا على مذهب غيره من أئمة النحو القائلين بان فعيل قياس مطرد لفعل فسكتوا عنها في معاجمهم اعتماداً على انها مقيس

معلوم واقتصروا على ذكر نخم السماعي · فصار المفهوم من ذلك ان الصفة المشبهة لنخم يجوز فيها الوجهان القياسي وهو نخيم والسماعي وهو نخم — لهذه الكلمة نظائر وأشباه من جهة ان لصفتها المشبهة صيغتين او اكثر احداها قياسي والأخر سماعية وذلك مثل كرم فهو كريم وكُرام وكُرّام وعظم فهو عظيم وعُظام وعُظّام وسمج فهو سميج وسمج وسمْج وخبث فهو خبيث وخابث الخ ·

الكلمات التي سبق بيانهـا وهي (تبدى) و (اقص) و (صدفة) مكان مصادفة — هن من جملة الوف كلمات سكتت عنها المعاجم لا لانها غير واردة في كلام العرب بل ربما كان سكوتهم عنها (والله أعلم) لعدم اطلاعهم عليهـا اذ الاحاطة بكلام العرب فوق إمكان أصحاب المعاجم ولهذا ترى معاجم اللغة التي بين ايدينا يتفاضل بعضها على بعض بعدد موادها فترى قاموس المجـد الفيروز بادي قد استدرك على الجوهري صاحب الصحاح عشرين الف مادة ولسان العرب لابن منظور الافريقي قد زاد على القاموس عشر بن الف مادة فان كل واحد من هؤلاء المؤلفين جمع في كتابه ماسمحت له به قدرته وساعده جده على الاطلاع وجمع المؤلفات في اللغة · ولعل هنـاك معاجم لغوية أخرى مطرحة كاللّقى في زوايا مكتبات الممالك الغربية او غيرها تنتظر من يعثر عليها فتزيد منها على كتاب لسان العرب الوفاً من المواد ·

قالـ الامام الشـافعي — لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا واكثرها الفاظاً ولا نعلم ان يحيط بجميع علمه انسان غير نبي ولكن لا يذهب منه شيءٌ على عامتهـا حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه اه ·

فالمفهوم منهذا ان لغة العرب واسعة تتعذر الإحاطة بها على الفرد لكنها لا يضيع منها شيءٌ على عامة اهلها بل تبقى متنادة فيما بينهم فلا تعدم الدنيا من يعرف منهـا الشوارد والأوابد ·

أقول تصديقاً لما افادته كلمات لامام الشافعي — كم من كلمة سمعتها من اعراب باديتنا عربية الصيغة لامجال لانكار عربيتها غير ان معاجم اللغة التي بين أيدينا لم تذكرها بالمعاني التي يقصدها منها اولئك الأعراب من ذلك كلمة (سُحت) يطلقهـا الأعراب على عامة الانعام ذوات الظلف والحافر · يقولون فلان غني صاحب سحت

كثير . ومنها قولهم (جَلَدٌ ورغدٌ) يريدون بجلد الغنم والابل والمعزى التي لا صغار لها و برغد نقيض ذلك ، الكلمة الاولى ذكرتها المعاجم بالمعنى الذي يريده منها الاعراب اما الثانية فقد ذكرتها المعاجم ولكن بغير المعنى الذي يقصده الاعراب وما ذلك الا لانها من جملة الكلمات النادة عن اطلاع أصحاب المعاجم فان الجلد لا بد وان يكون له نقيض يقابله .

ومن ذلك ايضاً كلمة (الطرش) يريد الاعراب منها سرح الابل متفرقة في مراعيها وكلمة(طارش) يطلقها اهل حوران على الوفد والضيف والمخبر بخبرما وكلمة (قواق) ينطق بها أعراب البادية في جهاتنا بكافين بدل القافين و يشددون الواو فيقولون (كواك) يعنون بها مجرى ماء المطر الذي يجف في الصيف ، واهل حوران يسمونه السحيلة الى غير ذلك من الكلمات العربية المهملة الذكر في معاجم اللغة التي لو تفرغت لاستقصائها من أفواه بدونا لجمعت منها مجلداً على حدته .

(الصنف الثالث) كلمات عربية المادة لا يعرفها العرب او يعرفونها في معان أخر : وهي كلمات اصطلاحية فنية او إدارية كقولهم (هيأة المحكمة ، تشكيل المحاكم ، انعقدت الجلسة ، تعريفة الرسوم ، ميزانية ، كيفية ، كمية) الخ .

أقول يمكننا ان نقسم هذا الصنف الى نوعين :

النوع الاول مؤلف من كلمتين او اكثر كالأمثلة المذكورة وكقولهم (مخالف للوجدان ، رسم التمتع ، ملتزم الاعشار ، مفتش العدليـة ، مدير الناحية ، بيان المطالعة ، إرادة سنية ، سحبت يده من الشغل ، بناءً عليه ، مدعي العموم ، بما ان كذا ، حيث ان كذا ، اي استعمال هاتين الكلمتين أداة تعليل) الى غير ذلك من الكلمات المركبة التي لا يعرفها العرب بالمعاني التي يقصدها منها مستعملوها في هذه الايام وما قبلها — أرى في الكلمات التي تتألف منها هذه الجمل ان يستبدل المغلوط منها بغيره من الكلمات اللغوية الصحيحة على شرط ان تكون الكلمة التي تحل محل الكلمة المغلوطة دالة على مدلول الكلمة المستبدلة وانه اذا فقد هذا الشرط فلا بأس ببقاء تلك الكلمة على حالها معتبرين إياها من نوع المولد المصطلح عليه .

النوع الثاني من هذا الصنف (الصنف الثالث) كلمات مفردة كقول الاستاذ (كنه) (كيفية) وكقولهم (اكتناه) (ماهية) (هوية) (هيولى) الخ .

هذه كلمات ولدها من اللغة العربية المترجمون الاولون لكتب الاعاجم الموضوعة في فن المنطق والكلام والفلسفة والطب والطبيعيات وآداب البحث والمناظرة والهيأة والهندسة وغير هذه الفنون مما اختاره المترجمون من الكلمات للدلالة على ما تدل عليه الكلمات المترجمة . وقد رضي بها علماء تلك الفنون وتمّ اصطلاحهم عليها فصارت بحكم مفردات اللغة المصطلح عليها وحق لنا ان نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية اعتماداً على القول بان مآخذ اللغة كلها اصطلاح وتواطؤ على ان استعمال كتّاب العرب الاولين هذه الكلمات وأمثالها في غير كتب الفن كان قليلاً جداً ثم توسع الكتّاب المتأخرون باستعمالها في غير كتب الفن أسوة بكتّاب الاتراك الذين يستعملونها في كتب الفن وغيرها دون تفريق بينها وبين غيرها من الكلمات اللغوية .

(الصنف الرابع) كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الأمصار الاسلامية لا يعرفها الاولون مثل فعل (خابره) بمعنى راسله وفعل (تفرج) على الشيء و (احتار في أمره) و (تنزه في البستان) الخ .

أقول : الكلمات التي ولدها في لغتنا المتأخرون كثيرة شائعة الاستعمال بين قطان الأصقاع العربية — شيوعاً يستحيل وقفه حتى أصبح الكثير منه كالمصطلح عليه . وقد علمت مما أسلفنا بيانه في الصنف الثالث ان مآخذ اللغة هو الاصطلاح والتواطؤ ولذا أرى المولد من هذا الصنف اذا لم نجد في اللغة ما يغني عنه فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه .

الذي يظهر لي في سبب تسمية هذه الكلمات مولدة — انتزاعها من اصل عربي اذ قلما تجد منها كلمة لا أصل لها في اللغة فهي كالمولدة بين العرب حكمها حكم العربي جرياً على قاعدة إلحاق المولود بوالده . وهل يمكنك ان تشبه كلماتنا المولدة بغير نبعات متفرعة من دوحة عربية الاصل . ولست أحجم عن القول بان استعمال المولد في جميع اللغات ولا سيما في لغتنا — امر ضروري لنعتاض به عن الوف من الكلمات الحوشية المهجورة الاستعمال المطرحة في معاجمنا اطراح الرمم البالية في لحودها لايلوي

عليها كاتب فصيح الا ليتفهم معناها اذا وردت في شعر غير صريح • فليست الكلمات المولدة سوى خلف لها تحيي دارسها وتجبر عدد ما نقصه الاهمال من موادها على ان الكثير من الالفاظ المولدة مما لا تجد عنه بديلاً يؤدي تمام معناه الذي يقصده منه المولدون •

اما الكلمات التي مثل بها أستاذنا السيد المغربي في هذا الصنف فان البعض منها وهو (احتار) مما له بديل لغوي فصيح يغني عنه ويؤدي تمام معناه وهو (حار) و (تحير) و (استحار) فينبغي اطراحه وعدم استعماله • واما كلمة (خابره) بمعنى راسله فلا أرى بأساً من استعمالها لانها مما ليس لها بديل في معناها المولد الذي هو تداول الاخبار بين اثنين ، وقد وردت هذه اللفظة في اللغة بمعنى المشاركة في المنفعة بان يزرع الشريك الارض على النصف ونحوه بينه وبين شريكه ، فلا بأس بان تستعمل مجازاً بمعنى المشاركة في الاخبار •

اما كلمة (تفرّج) فلست أتردد في جواز استعمالها لانها مأخوذة من انفراج الغم وانكشافه كما قاله النووي في كتاب التنبيه •

وكلمة (تنزه) وما تصرف منها والاسم (النزهة) فمعناها في اصل اللغة تباعد فقولهم خرجنا نتنزه اي خرجنا متباعدين عما يكدر صفونا وينغص عيشنا على ما تنعم به عيوننا وتنشرح له صدورنا وتطيب منه قلوبنا ونجلو به صدأ أحزاننا ، ولا ريب ان هذا لا يكون الا بمقارفة الحياض والرياض حيث تلتف الأشجار وتجري الأنهار وتنعم بالخضر الابصار وتحلى الأسماع بتغريد الأطيار وغير ذلك مما لا يكون في ارض بعيدة عن الريف وغمق المياه ، بل لا يكون الا في البساتين ذوات الخضرة الناضرة والمياه المتدفقة والظلال الوارفة — قال الشهاب الخفاجي في هذه الكلمة « لا يخفى ان العادة كون البساتين في خارج القرية غالباً ولا شك ان الخروج اليها تباعد فغاية ما يلزم كونه حقيقة عرفية قاصرة فالعجب من التغليط في ذلك مع التسليم كون التنزه التباعد ، على ان المصنف (صاحب القاموس) فسر التنزه بالتباعد مطلقاً ولم يقيده كما ترى فتغليطه الناس امر عجيب » اه •

قلت : كلمة تنزه ونزهة وما تصرف منهما قد تغلغل ذكرها في كثير من كتب

العلماء والادباء المؤلفة في التاريخ والأدب وغيرهما بل الكثيرون من اهل زماننا جعلوا كلمة نزهة علماً على أشخاص من ذكور واناث وعنون بهـا الجم الغفير من العلماء مؤلفاتهم فقالوا (نزهة المجالس ، نزهة النفوس ، نزهة العيون ، نزهة المشتاق) الخ فأسموا بها المئين من الكتب المؤلفة في فنون شتى وأرادوا منها مختلف المعاني المبهجة كالزينة واسترواح النفس وتنعيم العين وانشراح الصدر حتى أصبح منع شيوعها بهذه المعاني امراً مستحيلاً .

(الصنف الخامس) كلمات أعجمية الأصل وهي : منها ما هو ثقيل على اللسان (اوتوموبيل) ومنها ما هو خفيف في السمع مثل (بالون) الخ . أقول هذا النوع من الكلمات يعرف بالمعرب . ولست أرى حاجة الى ابداء رأيي في جواز استعماله اوعدم جوازه ، بل حسبي ان أسير في هذه الناحية على سنن من مضى من قبلنا ممن عني باللغة العربية وحرص عليها وصرف نقد حياته في مباحثها وخاض البحار وقطع المفاوز والقفار لاستقرائها وأخذها من أفواه الأعراب اكلة العلهز والضباب فلم ينكر على من تلقى عنهم اللغـة استعمالهم المعرب ولا أحجم عن نقله عنهم لا سيما وقد رأى من فرائد قلائده الكثير الوافر منتظماً في سموط ذلك الكتاب العربي المبين الذي أقر بلغاء العرب بعجزهم عن ان يأتوا (بعدتحديهم) بسورة من مثـله — كان استعمال القسم الاعظم من المعرب في اللغة العربية إبان النهضة العلمية العربية الاولى فيالعصر العباسي الذي أشـرقت سماؤه بنجوم العلماء والفلاسفة والادباء وأئمة اللغـة والنحو كسيبويه والكسائي والجاحظ وابي عبيد والأصمعي فلم ينكروا استعمال المعرب بل مضوا عليـه قُدُماً في أشعارهم ومراسلاتهم ومؤلفاتهم لاسيما فيماالفوه في الفنون المعقولة المنقوله عن اللغات الأعجمية كالهندسة والفلسفة والطب والحساب والصيدلة .

« أنواع المعرب وأقسامه وبعض أحكامه »

قال علماء اللغة : ما أخذه العرب من اللغات الأعجمية وأقحموه في لغتهم على أنواع نوع اضطروا لاخذه وتعريبه لانه مما انفردت به اللغة الأعجمية دون لغة العرب كالكوز والجرة والطشت والخوان ، ونوع اختاروا اخذه وتعريبه من لغة أعجمية مع وجود مرادف له في لغتهم اخذوه توسيعاً للغتهم او لانه أخف على السنتهم

او لانه غلب استعماله عليهسا وذلك كالأشنان والميزاب والسكرجة — عربية الاولى (الحرض) والثانية (المثقب) والثالثة (الثقوة) ٠

ونوع مستعمل في اللغة الأعجمية لمعنى عربه العرب لمعنى آخر وذلك كالياسمين فارسية اسم للزهر المعلوم وهو اسم عربي للنمط يطرح على الهودج والورد للمشموم وهو اسم عربي من أسماء الأسد ٠

وقالوا ما غيرته العرب من الكلمات الأعجمية وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الاصل والزائد والوزن — حكم ابنية الأسماء العربية نحو درهم و بهرج وقسم غيرته ولم تلحقه بابنية كلامها فلا يعتبر فيه مايعتبر في القسم الذي قبله نحو (آجر) و (سيسنبر) وهو الريحان المعروف بالنمام ، ونوع تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بابنيـة كلامهم لم يعد منها وما ألحقوه بها عد منها ٠ مثال الاول (خراسان) لا يثبت به فعالان ، ومثال الثاني (خرّم) ألحق بسلم و(كركم) ألحق بقمقم ٠

وقالوا — المعرب قد تبدل فيه بعض الحروف وقد تبقى على ما هي عليه فالحروف التي تبدل فيه عشرة منها خمسة يطرد ابدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء وخمسة لا يطرد ابدالها وهي السين والشين والعين والغين واللام والزاي فالمبدل المطرد هو كل حرف ليس من حروفهم كقولهم (كُرْبج) وهي الحانوت اومتاع حانوت البقال — الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف او القاف نحو (قربق) وهو لغة في (كربج) او الجيم نحو (جروب) كذلك (فرند) هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء واما ما لا يطرد فيه الابدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة واصله اشمائيل ٠ وكذلك (قفشليل) وهو المغرفة ، أبدلوا فيـه الشين من الجيم واللام من الزاي واصله (كفچليز) وكثيراً ما يأخذ العرب كلمة أعجمية ويعربونها بعد ان يتصرفوا فيها بالقلب والابدال والتحريف والتصحيف — ما شاؤا ان يتصرفوا وذلك مثل كلمة (كرانپشت) فارسية معناها القوي الظهر وثقيله وعظيمه ٠ اخذ العرب هذه الكلمة وتصرفوا بها تصرفاً عجيباً فقالوا (جرنفس) و (جرافس) و (جرفاس)

و (جرنفش) و (جرافش) و (جوافز) و (جرافض) و(جراصية) الخ ما ذكره السيد ادي شير في كتابه الالفاظ الفارسية المعربة ·

« اشتقاق بعض المعرب عند العرب »

ولم يكتف العرب باخذهم كلمات أعجمية وإقحامها في لغتهم باقية على جمودها بل تصرفوا في بعضها وألبسوه حلة الاسماء العربية المشتقة واجروا عليهـا وعلى ما اشتقوه منها احكام الاعراب وذلك مثل كلمة (لجام) فارسية اصلها (لغام) فقالوا فيه ألجمه يلجمه الجاماً فهو مُلجِم وملجَم و كلمة (ديوان) فقالوا فيه دونه يدونه تدويناً فهو مدوِّن مدوَّن ·

قلت وقد اقتفى العامة في زماننا أثر العرب في بعض كلمات افرنجية وأجروا عليها حكم المشتق فقالوا في كلمة (جبرو) جبره يجبره تجبيراً فهو مُجبِر ومجبَر وفي كلمة (سوكرتا) سوكره يسوكره مسوكرة فهو مسوكِر ومسوكَر ·

« الدخيل في لغتنا اثناء الجيلين الاخيرين »

الكلمات الأعجمية الداخلة في لغتنا اثناء الجيلين الاخيرين — كثيرة جداً يصعب على الواحد استقصاؤها وحصرها في معجم لان ذلك يتطلب منه ان يكون علمه محيطاً بجميع الكلم المعربة المفردة والمركبة المنتشرة في طي الكتب المؤلفة في الجيلين المذكورين المنقولة عن اللغات الغربية الموضوعة في فنون شتى كفن الهندسة والكيميا والهيأة والطب والصيدلة والتشريح والموسيقى والتاريخ والمعادن والجغرافيا والجراحة والفلاحة والمساحة والملاحة وأسماء الآلات والادوات المستعملة في حرفة النجـارة والحدادة والبناء والنسج والتصوير وأسماء اثاث المنزل والاطعمة وما اصطلح عليه من الكلمات المبعثرة في كتب الانظمة والقوانين المسنونة في احكام السياسة والحقوق والتجارة والجنايات وغير ذلك من الاشياء الحديثة المكتشفة التي لا تعرفها الامة العربية ولا عهد لها بها لانها مما لم يخلق في ارضها ولا سطع له نجم في سمائها مما لو جمع في صعيد سفر واحد لأربى عدد كلماته أضعافاً مضاعفة على عدد الكلم التي عربها وولدها مترجمو كتب الاعاجم الموضوعة في فنون شتى ايام النهضة العلمية العربية الاولى في العصر العباسي ، فهيهات للواحد الفرد ان ينهض بهذا العبء وحده و يحيط به علماً

و يحمي عده ، تلك كلمات زحفت منها على لغتنا جيوش جرارة انصبت عليها انصباب السيل الجارف لا يقف أمامها سد ولا يقي منها واق . حتى أصبح من الصعب على العربي ان يتحاماه او يتنزه عنه لانه صار يجري في ميادين بنانه وبيانه جري العتاق في حلبات السباق لا يحلو بذوقه سواه ولا يجد عنه ما يغني غناه .

« رأيي في التعريب والمعرب »

لا أرى ان يكون باب استعمال الدخيل في لغتنا مفتوحاً على مصراعيه نستقبل به كل كلمة أعجمية دون شرط ولا قيد وفاقاً لما تراه طائفة من ذوي التجدد الذين يرحبون بكل جديد غثاً كان او ثميناً .

بل الذي أراه في الكلمات الاعجمية التي تحوم حول لغتنا لتحتل منها الرحاب وتتبوأ منها الباب والمحراب — ان نقاومها جهد استطاعتنا ولا نفسح لها مجالاً تجول فيه بين صفوف سطور معاجمنا الا بشروط تصون شرفها وتحفظ نقاءها من الالتياث وكيانها من الاضمحلال .

اري في الكلمة الاعجمية التي تهجم على لغتنا ان نقسمها الى نوعين :

النوع الاول كلمات اعجمية لها مرادف في اللغة العربية يجب العدول عنها الى مرادفها العربي بحيث لا يمكن ترجمته بغير الكلمة الاعجمية المعدول عنها اليه . مثاله كلمة (سوكرتا) يرادفها في اللغة العربية (مضمون) وكلمة(اسبيتال) يرادفها (مستشفى) وكلمة (استمانور) يرادفها (مخمن) هذه الكلمات الثلاث المرادفة لو رآها الاعجمي في معجم عربي وحاول ترجمتها الى لغته لما استطاع ان يترجم الاولى منها بغير كلمة (سوكرتا) والثانية بغير كلمة (اسبيتال) والثالثة بغير كلمة (مخمن) .

هذا النوع من الكلمات الاعجمية لا اري جواز تعريبه وان كانت أئمة اللغة اجازوه فأني اعد ذلك منهم تهاوناً باللغة ووضعاً لها في موضع الحاجة والافتقار الى الغير مع انها في غنى عنه .

النوع الثاني كلمات أعجمية ليس لها مرادف في لغتنا بل هي مما انفردت به اللغة الاعجمية دون اللغة العربية . منها ما هو خفيف على لسان العربي مثل كلمة (گرام ، فرنك ، سانتيم ، كيلو) الخ . ومنها ماهو ثقيل كلمة (اوتوموبيل ، طونولاتو) الخ .

فما كان منها خفيفاً جاز لنا استعماله باقياً على عجمته بعد ان نستبدل ما فيه من الحروف الاعجمية بحروف تقارِبها من الحروف العربية ، وما كان منها ثقيلاً . فلنا في تعريبه طريقتان : الاولى ان نستعمله لكن لا مع بقائه على صيغته ان كانت مما لا نظير لها في الابنية العربية بل نحوله الى صيغة عربية بحذف شيء من حروفه واستبدال بعضها بما يقاربها من حروف اللغة العربيـة فنقول في مثل (اوتوموبيل) (تنبيل) بوزن تميم او جرجير وفي مثل (طونولاتو) (طن) والطريقة الثانيـة ان نستبدله بكلمة عربية نصطلح عليها اعتماداً على القول بان اللغات كلها موضوعة بالاصطلاح والتواطؤ فنصطلح مثلاً على تسمية (اوتوموبيل) بسيارة وعلى تسمية (طونولاتو) بطن او بقنطار على ان الكلمة المصطلح عليها يجب ان تتبع حين استعمالها بالكلمة الاصلية التي حلت محلها تكتب بين معترضتين وتبقى كذلك مدة من الزمن حتى يشتهر استعمالها وتصقلها الالسن وتألفها الأذواق .

ويجب ان يكون الاصطلاح على هكذا كلمات مختصاً بالمجامع العلميـة اللغوية العربية دون سواها .

(الصنف السادس) أساليب وتراكيب أعجمية تسربت الى لغتنـا مترجمة من اللغات الاوربية وهي مما لا يعرفه العرب الأقدمون . وهذا كقولهم (ذر الرماد في العيون ، عاش ستةعشر ربيعاً ، وضع المسألة على بساط البحث ، لاجديد تحت الشمس ، ساد الأمن في البلاد) وكقولهم (تخدير أعصاب ، تلبد جو السياسة بالغيوم) الخ .

أقول : هذه التراكيب والاساليب وماماثلها لاأرتاب في جواز استعمالها لان لنا ان نعتبرها اما من نوع المركبات الاسنادية او من نوع المجاز .

سندنا على صحة اعتبارها من النوع الاول — ماذهب اليه الرازي وابن الحاجب وابن مالك وغيرهم من ان الجمل والمركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل عن العرب كالمفردات . قال سعدالدين معللاً ماذهب اليه هؤلاء الاعلام — لان واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات بل ترك الجمل الى اختيار المتكلم وان حال الجمل لو كان حال المفردات لكان استعمال الجمل وفهم معانيها متوقفاً على نقلها عن العرب كما كانت المفردات كذلك ولوجب على اهل اللغة ان يتتبعوا الجمل ويودعوها كتبهم كما

فعلوا ذلك بالمفردات — وسندنا على صحة عتبارها من النوع الثاني اي من أنواع المجاز اتساع اللغة العربية للمجاز اتساعاً لا يضاهيها فيه غيرها من اللغات حتى عد ذلك من جملة خواصها ومحاسنها . وقد ذكر علماء البيان ان الحقيقة ما أقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك ، قالوا وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاث وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فان عدمت الثلاثة تعينت الحقيقة — قلت لا مراء في ان الأمثلة التي ذكرت في هذا الصنف حرية بان تعتبر من نوع المجاز لان كل واحد منها لا يخلو عن واحدة من تلك المعاني الثلاث . ففي المثال الاول شبه الرماد بكحل سام يورث العمى . وفي المثال الثاني توسع في اللغة لانه زاد في اسماء السنة وهي سنة وعام وحول وحجة وخريف وربيع . وفي المثال الثالث شبه فيه الشأن المحتاج للتمحيص بشيء مجهول الغاية نشر على بساط ليرى كل واحد من الجالسين عليه رأيه فيه . وفي المثال الرابع شبه كل شيء جديد بمثله قديماً . وفي المثال الخامس شبه الأمن بسلطان نافذ الحكم في البلاد . وفي المثال السادس شبه البهلقة بدواء يخدر الاعصاب فيسكن وجعها ويخلد صاحبها الى السكوت عن لغطه ولو وقتاً . وفي المثال السابع شبه الخطر السياسي المجهول العقبى بغيوم تشبه اللبد الكثيفة لا يدري ما وراءها .

وهكذا قل في كل عبارة شاكلت هذه الأمثلة في جملها وتراكيبها المجازية على شرط ان تكون مما افاضته قريحة صحيحة سليمة لا قريحة جريحة سقيمة تسيل على قراء سخافاتها عصارة تستقذرها النفس وتتشنج لها المعدة اذ يقول صاحبها « هذه عصارة عقلي » وربما قال « عصارة دماغي » .

(الصنف السابع) من الكلمات (غير القاموسية) كلمات لا يستعملها احد من الفصحاء وهو ما نسميه (العاميّ) مثل كلمة (بدي) اذهب (جيب) الكتاب (لحشه) على الارض (تعربش) على الشجرة (تحركش) بفلان . فهذا الصنف يجب تقليص ظله تدريجاً وتعويد ابنائنا على استعمال غيره من الصحيح الذي يغني عنه .

اقول : الكلمات العامية المستعملة في البلاد العربية نوعان :

اولها = ما جهل اصله او علم ان اصله اعجمي فيجب على كلتا الحالتين اطراحه بتاتاً

واستبداله بمرادف له في اللغة العربية ان وجد له فيها مرادف والا عومل بمثل مايعامل به الاعجمي المعرب الذي تكلمنا عليه في الفاصلة التي سبق تحريرها تحت عنوان « رأيي في التعريب والمعرب » ·

ثانيها = ماعلم ان اصله عربي محرف عنه فيجب اطراحه واستبداله باصله المحرف عنه ومن هذا النوع الكلمات التي مثل بها أستاذنا المغربي وهي كلمة (بدي) تحريف بودي وكلمة (جيب) الكتاب تحريف (جيء بـ) الكتاب حذف العامي همزتها فاتصلت الباء بالياء فصارت (جيب الكتاب) وكلمة (لحشه) على الارض اي رماه على الارض بعنف وشدة تحريف (لحجه) اي ضربه وكلمة (تعربش على الشجرة) اي تسلق عليها تحريف (تعروش) بمعنى تعلق بالامر ومنه اعترش العنب علا على العريش · وكلمة (تحركش بفلان) تحريف تحرش ·

ومن هذا النوع كلمات عامية تدور في كلام الحلبيين · منها كلمة (طس) اي رأى وابصر تحريف (جسه) بعينه احدّ النظر اليه بتثبته وكلمة (شاف) اي رأى ونظر محرفة عن اشتاف وتشوف بمعنى تطاول ونظر وأشرف · وكلمة (هودر) عليه اي جعله يصدق بمفترياته بما زينه له من القول المزخرف تحريف (هتر) التي معناها الكذب والداهية والامر العجيب · وكلمة (دشّر) اي ترك تحريف جشّر بمعناها الخ ·

وفي الختام لا بد لي من القول ان القائمين بالدعاية الى لزوم استعمال اللغة العامية — ليس لهم ما يبرر دعايتهم فليتقوا الله في لغتهم التي تنبعها قوميتهم بالفساد ان فسدت والصلاح ان صلحت والله يعلم المفسد من المصلح ·

تراجم اعضاء المجمع العلمي

« الشيخ كامل بن حسين الحلبي الشهير بالغزي »

[ترجمته بقلمه]

ولدت في مدينة حلب سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م ، ولما بلغت الثامنة من العمر حفظت القرآن وبعض المتون في العلوم العربية ، ولما بلغت الحادية عشرة شرعت أتردد على المدارس العلمية في حلب وأتلقى العلوم عن أساتذتها وأحفظ المتون في النحو والمنطق والفرائض والفلك وعلوم البلاغة ، وتلقيت بعض الرسائل في كيمياء الطب على الاستاذ السيد ابي بكر الشهير بابن زبيدة احد تلامذة الدكتور يوحنا وارتبات ، ولما كانت سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م حضر الى حلب والياً عليها الصدر الاسبق محمد باشا الشيرواني فبقي في حلب مدة يسيرة ثم تحول منها الى ولاية الحجاز فصحبني معه اماماً الى ان توفي في الطائف فعدت الى حلب وجاورت في المدرسة الرضائية وانقطعت الى طلب العلوم العقلية والنقلية وأحرزت منها قسطاً وافراً .

وفي سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م اضطررت الى ترك المجاورة وسلوك طريقة الاستخدام في الحكومة فتقلبت في عدة وظائف منها ترجمة مطبعة الولاية في حلب و كتابة الضبط في محكمة التجارة ثم انتخبت لها عضواً ثم عينت رئيس كتاب المحكمة الشرعية ونائباً عن الحاكم في الحكم ورؤية الدعاوي ، وبعد سنتين استقلت من هذه الوظيفة لسوء احوال القضاة فعُينت مديراً ومؤسساً لمكتب الصنائع في حلب فقمت بواجباته مدة اربع سنوات ثم عينت ثانية الى رئاسة كتاب المحكمة الشرعية وبعد سنتين استقلت منها وانتخبت عضواً لغرفة التجارة ثم انتخبت رئيساً لها ولمجلس المصرف الزراعي في حلب فبقيت في هاتين الرئاستين مدة اربع سنوات ثم عولت على ترك الاستخدام وعلى ان أعيش حراً قانعاً بما يتسنى لي اقتصاده من تعاطي تجارة بسيطة احتكر بها بعض البضائع الوطنية كالسمن والشمع في اوقات مواسمها ورخصها .

وصرفت معظم اوقاتي في الاشتغال بالعلم وتأليف تاريخ لحلب سميته « نهر الذهب في تاريخ حلب » وفي هذه الايام انتهى تأليفه وهو يبلغ اربع مجلدات كل مجلدة منها

يستوعب نحو ٧٠٠ صفحة · ولي من المؤلفات التي سودتها ايام مجاورتي في المدرسة كتاب سميته (جلاء الظلمة في حقوق اهل الذمة) وكتاب آخر سميته (الروضة الغناء في حقوق النساء) كل كتاب منهما لا يقل عن ٤٠٠ صفحة ولي غير ذلك من الرسائل في النحو والصرف والأدب مما لم يزل مطروحاً في زوايا الاهمال حتى يأذن الله بطبعه ونشره · وفي سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م انتخبت عضواً في المجلس الملي وكلما انتهت مدة عضويتي أعيد انتخابي الى ان كانت سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م انتهت مدة عضويتي ولم أرغب في تجديد انتخابي وبقيت حراً مطلق السراح ·

بيد ان مديرية الاوقاف في حلب لما عزمت على تأسيس مكتبة عامة في المدرسة الخسروية اوعزت الي بان أعني باتمام تأسيسها وترتيب أسفارها ووضع برنامج لها · ثم عينني المجمع العلمي العربي مديراً لشؤون فرع المجمع في حلب ومشرفاً على خزانة كتبه ·

كنت في زمن الصبا عنيت بنظم الشعر فلي فيه ما لو جمع لبلغ مجلداً كبيراً غير اني لم احفل بجمعه ولا يوجد منه لدي سوى بعض قصائد ومقطعات بقيت في مسوداتها محفوظة بطريق الصدفة ·

« ترجمة السيد محمد رضى الشبيبي »

ولدت في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦ ودرست فيها العلوم العربية على الطريقة المألوفة في كتبها المعروفة ، وعلى هذا النحو تلقيت ما تلقيته من المسائل العقلية والشرعية وقد أدركت في أوان الطلب والتحصيل ما في تلك الطريقة من التقليد والجمود ، فملت الى الدرس الحرّ والتفكير المجرد من تأثير المعلم والمربي ، واخذت نفسي بما كانت تميل اليه من درس الفلسفة ومذاهب اهلها ، وجاريت فطرتي في التمرُّس بالفنون والآداب ودروس البلاغة خاصة ، وقد مرّت عليّ أطوار كثيرة وعانيت شدائد خطيرة اثناء تقلبي في مجاهل الافكار وتأملي في بدائع الآثار ·

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

ولي عدة مؤلفات لم يخرج اكثرها الى المبيضة وانا أرى من دواعي الغبطة عدم

انتشار شيء منها بالطبع الى الآن بعد ان تحققت ان اكثر ما يتعجله و ينشره هذا الانسان الجاهل المغرور انما هو من جنس التزيد والفضول ، ولي عدا ذلك شعر غير قليل ومقالات نشرت في المجلات والصحف السيارة ، وانا اعتقد الآن بان لهذه الحياة معنىً لم يتذوقه اهل هذه الأجيال الجاحدة الافرنجيـة ولها سرٌّ حيل بينهم وبين ان يكتشفوه فضلّوا وأضلّوا كثيراً ، نعم ان الساميين وعمار الصحراء من الآدميين لاسيما العرب هم الذين اكتشفوا ذلك السرّ المحجوب ، وهم الذين نظروا الى الحياة من الوجهة التي يجب ان ينظر اليها الناس في كل زمان ومكان ، واما فيما يعود الى اسعاف الشرقيين والعرب والمسلمين وانقاذهم مما هم فيه من الجهد والبلاء ، فأرى ان ذلك يتوقف على الرجوع الى سيرة السلف الصالح في عامة الشؤون الدينية والدنيوية بدلاً من تقليد الافرنج والتهالك على ما ابتكروه من طرق الهلاك . وان لهذه الامة اولاً ولها آخر ولا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها ولا تنجو الا اذا استعذبت الموت الزؤام كما يستعذب الحياة الفانية شبان هذا العصر المتفرنجون .

« ترجمة حياة المستشرق جان ارنوركي »

ولد في ١٠ نيسان سنة ١٨٧٤ في مدينة بيزانسون وهو تلميذ هارتويغ درنبورغ وهوداس و باربيه دي مينار وشيفر في مدرسة اللغات الشرقية الحية وفي مدرسة العلوم العالية (في السوربون) وفي كولليج دي فرانس في اللغات العربية والتركية والفارسية . وهو من قدماء تراجمة قنصلاتات فرنسا في دمشق (١٨٩٦ — ١٨٩٨) وفي طرابلس الغرب (١٨٩٨ — ١٩٠١) وزنجبار (١٩٠١ — ١٩٠٣) وفي سفارة فرنسا في الاستانة (١٩٠٤ — ١٩٠٥) وفي سفارة فرنسا في القاهرة (١٩٠٥ — ١٩١٠) وقنصل لفرنسا في حيفا (١٩١٠ — ١٩١٤) وقنصل فرنسا في زنجبار (١٩١٤ = ١٩١٩) وقنصل في طرابلس الغرب وقنصل عام في ازمير وهو عضو في الجمعية الآسياوية .

أعماله = كتب مقالات في دائرة المعارف الكبرى في الجغرافية والتاريخ والآداب في بلاد الشرق . تراجم المستشرقين . مقالات بالعربيـة باسم مستعار . الشيخ يحيى

الدبقي في مجلة المقتبس · كتاب الاشربة لابن قتيبة · مقالات في اللغات الافرنسية باسم پرتوحقي في جريدة الاتحاد بمصر · وملحق لكتاب دوزي في الاسلام وفصول في الاسلام خلال الاربعين سنة التي مضت على نشر كتاب دوزي الى تاريخ ترجمة هذا الكتاب في مصر الى اللغة التركية سنة ١٩٠٩ الى غير ذلك من كتبه ورسائله بالافرنسية اهـ ·

اراء وأفكار

المعلمة العربية (١)

نشر معلمة عربية نضم شتات ما انتجه العقل البشري في كتاب واحد ، اعظم عمل علمي قام حتى الآن لخدمة الجامعة العربية ، واكبر مفخرة لمصر ولرجال مصر في هذا العصر · ولذا كان من الواجب بذل اقصى المجهود لاخراج هذا السفر للناس · تام الادوات ، جميل النظام والرواء ، ينم عن بحث ودرس وتمحيص ، يجمع ما تفرق من علم الاسلاف الى جملة علوم الأخلاف ، و يكون ينبوعاً صافياً يستقي من موارده العذبة القريبة التناول كل عالم ومتعلم ، و يغدو به العلم من يد الطالب على طرف الثُّمام ، فتدخل الامة العربية في طور الامم الممدنة العالمة ·

يعهد بادئ بدء الى بضعة علماء مدربين يؤلفون لجنة تدعى اللجنة العليا ، وهذه تندب جماعة لوضع اساس مالية هذا العمل وادارته · ثم تشرع اللجنة العليا بالنظر في الموضوعات التي يتحتم البحث فيها ، فتقسم العلوم الى خمس سلاسل على مثال المجامع العلمية الخمسة في باريز ، فيضم كل فرع الى ما يماثله في الجملة ، و يضع رئيس كل قسم وهو احد اعضاء اللجنة العليا المواد التي يجب ان يكتب فيها من اول المعلمة الى

(١) تقرير رفعه السيد محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق الى صاحب الدولة والفضل السيد عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق ·

الدبق في مجلة المقتبس · كتاب الاشربة لابن قتيبة · مقالات في اللغات الافرنسية باسم پرتوحقي في جريدة الاتحاد بمصر · وملحق لكتاب دوزي في الاسلام وفصول في الاسلام خلال الاربعين سنة التي مضت على نشر كتاب دوزي الى تاريخ ترجمة هذا الكتاب في مصر الى اللغة التركية سنة ١٩٠٩ الى غير ذلك من كتبه ورسائله بالافرنسية اه ·

اراء وافكار

المعلمة العربية (١)

نشر معلمة عربية تضم شتات ما انتجه العقل البشري في كتاب واحد ، اعظم عمل علمي قام حتى الآن لخدمة الجامعة العربية ، واكبر مفخرة لمصر ولرجال مصر في هذا العصر · ولذا كان من الواجب بذل اقصى المجهود لاخراج هذا السفر للناس · تام الادوات ، جميل النظام والرواء ، ينم عن بحث ودرس وتمحيص ، يجمع ما تفرق من علم الاسلاف الى جملة علوم الأخلاف ، و يكون ينبوعاً صافياً يستقي من موارده العذبة القريبة التناول كل عالم ومتعلم ، و يغدو به العلم من يد الطالب على طرف الثُّمام ، فتدخل الامة العربية في طور الامم الممدنة العالمة ·

يعهد باديء بدء الى بضعة علماء مدربين يؤلفون لجنة تدعى اللجنة العليا ، وهذه تنتدب جماعة لوضع اساس مالية هذا العمل وادارته · ثم تشرع اللجنة العليا بالنظر في الموضوعات التي يحتم البحث فيها ، فتقسم العلوم الى خمس سلاسل على مثال المجامع العلمية الخمسة في باريز ، فيضم كل فرع الى ما يماثله في الجملة ، و يضع رئيس كل قسم وهو احد اعضاء اللجنة العليا المواد التي يجب ان يكتب فيها من اول المعلمة الى

(١) تقرير رفعه السيد محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق الى صاحب الدولة والفضل السيد عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق ·

آخرها كما فعل رئيس انشاء معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) في هولاندة (ومع هذا نسخة من المقاولة التي كتبتها فيها في الجزء السادس من مجلة المجمع في سنتها السادسة الصادر في يونيو ١٩٢٦ فان بين عملنا هذا وعمل علماء المشرقيات تشابهاً كثيراً في بعض الاقسام) . او تكتفي اللجنة لاول مرة بالشروع بحرفي الالف والباء ، وتوزع المقالات على زمرة من الاخصائيين وهؤلاء يتوزعونها بينهم و يختارون لها من شاؤا من المؤازرين . والاولى ان يختار الاخصائيون ما يريدون ان يختصوا به من أبحاث المعلمة على ان تعتقد اللجنة العليا انهم يجيدون فيما تخيروه لانفسهم من الموضوعات و يحدد ميعاد معين لانجاز المقالات لا يتعداه المؤلفون بحال ، وكلما انتهى العمل بحرفين او ثلاثة يشرع بالحروف التي تليها .

لا جرم ان من يوسد اليهم البحث في العلوم المادية سيلقون عنتاً في اعداد الاسماء التي تجب الكتابة فيها لقلة المصطلحات العلميـة التي وضعت حتى اليوم ، ولان ما وضع منها لم يجمع العارفون على استحسانه في مختلف الاقطار ، ولكن اللجنة العليا ومؤازريها يتغلبون على هذه المصاعب باطالة البحث وإجادة النظر ، ثم يقرون ما لا مناص من ذكره من الاشياء العلمية والأوضاع الفنية ، بما لا يخرجون فيه عن روح اللغة . و يختار للمؤازرة في هذه العلوم خاصة من درسوها زمناً وعرفوا شيئاً من مصطلحاتها وعانوها بالعمل والنظر . و يرجح من سبق لهم ان ألفوا فيها ، وأثبتوا كفاءتهم بخوضهم غمارها طائفة من أعمارهم ، واذا عمد بعضهم الى الترجمة عن اللغات الحيـة فيجب ان يجلوا موضوعاته في حلة عربية ، و باسلوب لا تظهر عليه آثار النقل والاحتذاء ، فتكتب كأنها مؤلفة مباشرة بسلاسة يحبب مطالعتها الى من لم يحظه الحظ بتعلمها .

اما ما يتعلق بالبلاد والرجال والتاريخ والشعوب فهذا يقسم الى قسمين : قسم يتوخى فيه الايجاز ما أمكن ، وهو ما كان خاصاً بامة بعيدة ، وقسم خاص ببلاد العرب والاسلام ورجاله ، وهذا يتوسع فيه ، وان كان بعضـه لم يدوّن ولم يحرر . وتجزأ البلاد العربية والاسلامية الى مناطق ، يتولى رئيس كل منطقة النظر في عامة ما له علاقة بمنطقته ويعاونه أناس يختارهم . فمصر والسودان والشام والعراق والهند وتونس والجزائر يعهد بالكلام على بلدانها ورجالها الى رجالات معروفين من ابنائها .

والخطب سهل في الاقطار التي كثر التدوين والتأليف فيها اكثر من غيرها ، لايحتاج الا الى نظر سديد ، ومعرفة ماهو أحق بالتدوين لانتفاع القارئ به على وجه الدهر. اما سائر الاقطار كالحجاز واليمن ونجد والجزيرة وامارات سواحل شبه جزيرة العرب كعمان ومسقط ولحج وحضرموت والبحرين والكويت بل ومراكش وطرابلس وبرقة واواسط إفريقية وزنجبار والحبشة والصومال وجاوة وصومطرا والاندلس وصقلية الخ فهذه يندب للبحث في كل قطر او اقطار منها عالم يبحث فيما تشتد الحاجة الى معرفته من أحوالها ، كتاريخها وتقويمها وزراعتها وصنائعها وتجارتها وآثارها وسكانها وحيوانها ونباتها وجيولجيتها ومعادنها واقتصادياتها واخلاقها واديانها وغير ذلك . فان ما كتبه الافرنج والعرب الاقدمون فيها قد لا ينقع غلة ، ولكن يستأنس به بعض الشيء ، ولا يؤخذ من كل ما دوّن الا ما وافق نقطة نظر المعلمة .

وللكلام على تركيا وفارس ينتخب أناس لهم نوع وقوف عليها ، يستعينون بالباحثين من اهل العلم فيها . اما سائر البلاد كافغانستان وبخارى والقفقاس وبلوجستان والصين والتبت فيعتمد على الترجمة مما كتب فيها باللغات المختلفة مع الاستعانة بنبهاء مفكريها . وكذلك يقال عن جميع بلاد الشرق ، فان الاخذ من معلمات الغربيين قد يكفينا المؤونة بقليل من التعديل حسب حاجتنا . وحاجتنا ماسة الى التفصيل عن العرب وبلاد الاسلام ، والاختصار ماامكن في وصف بلدان الغرب ورجاله ، على ما تجري عليه كل أمة في معلماتها : نُعنى بالنابهين والخاملين من بنيها ، نترجم لهم ونفيض ونستقصي اكثر من عنايتها بالتوسع في الكلام على اعظم عظماء الشرق ممن أثروا أثراً مذكوراً في العلم والاجتماع ، فنحن نطيل اذاً فيما له صلة بالامة العربية ونوجز فيما هو قصيٌّ عنها .

لا يباشر بالطبع الا متى الف ونقح كل ما له مساس بالحرفين الاولين من حروف المعجم ، وذلك بعد ان تعرض عامة المقالات والابحاث على اللجنة العليا ، لتقر ما تقره منها وتنتقد ما فيه وجوه للنقد ، ولها الحق ان تحذف ما شاءت . واذا رأت نقصاً في البحث ترجع في تقويمه الى رئيس ذلك الفرع . وتنشر المقالات بتواقيع كتابها ليمسوا مسؤولين عما حوت . وبديهي انها لا تحوي الا ما يشرف اسماءهم ، ويخلد في

الناس ذكرهم . ولا بأس باصدار مجلة شهرية تدعى « مجلة المعلمة العربية » تنشر نموذجات من مقالات المعلمة قبل صدورها . وبذلك تعرض أبحاث هذا الكتاب على أنظار العارفين والناقدين . وتكون تلك النشرة بمثابة اعلان عن المعلمة وما يلزمها و يرد عليها من النقد والاخذ والرد ، وتغدو اداة صالحة لنشر المعارف والآداب الصادرة من أقلام باحثين ناضجين . وتزين بصور من صور المعلمة على غاية من الاتقان تجلب النظر وترسم أشكالاً قد لا يتأتى للبيان ان يوفيها حقها . حتى اذا انتهت المعلمة بحول الله يطّرد اصدار هذه المجلة كما كانت . ولكن تنقلب أبحاثها الى موضوعات حديثة تساير العلم في ترقيه شهراً فشهراً . اي تنشر ما حدث في فروع العلم والآداب على مثال مجلة لاروس المصورة الشهرية (Larousse Mensuel illustré) التي تصدر في باريز ، وتستدرك ما عساه فات المعلمة في طبعتها الاولى من الابحاث . و يتألف من اعداد كل سنتين او ثلاث مجلد ملحقاً للمعلمة .

أرجح ان تكون المعلمة في بناية خاصة خالدة تستوعب ادارتها ومستودعاتها ومكاتبها وخزانة كتبها ، وهذه تجهز باهم كتب المراجعة وأحدث أسفار العلم بالعربية والانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والاسبانية والبرتقالية واليونانية واللاتينية والفارسية والتركية وغيرها . والاولى ان يشاد معهد المعلمة بالقرب من دار الكتب المصرية لتكون على مقربة من مخطوطاتها النادرة وأمهات أسفارها ومصادرها . ويمكن طبع المجلة في مطبعة دار الكتب المذكورة على ان تخصص لها بقعة خاصة بحروفها وادواتها .

أرى ان يكون الموظفون في المعلمة من أمناء السر والكتاب والمصححين والمحاسبين قليلاً عددهم ما أمكن ، اما المؤازرون ورؤساء الاقسام ومنهم أعضاء اللجنة العليا فتدفع لهم مكافآت تعينها اللجنة ، او يوظف بعضهم على مثال موظفي الدولة ، والاولى ان يربط رؤساء الفروع اعضاء اللجنة العليا بعقود رسمية لمدة ثلاث او اربع سنين .

ينظر في الابحاث الى جلالة موضوعها ، فالتأليف البسيط الذي يكتفى فيه بالرجوع الى المدونات ، لا يكافأ صاحبه كالتأليف الصعب الذي قد يضطر الباحث فيه الى الرحلة للبحث بنفسه ، والترجمة والتعريب أقل اجراً من الوضع والتأليف ، ولا يعتبر في اختيار المؤازرين الا الاثر الذي اثروه في خدمة الادب ، والتجته قرائحهم من

الثمرات ، وعانوا التأليف والوضع زمناً . لا جرم ان المشتغلين بالعلم على اختلاف ضروبه يعرف بعضهم بعضاً حق المعرفة ، فليس من مصلحة الكفاة الممتازين الا ان يحشروا في زمرتهم أقرانهم لخدمة هذا العمل الشريف .

وما أخال انه يقل حجم هذه المعلمة عن خمسين مجلداً يكسر كل واحد منها على الف صفحة بالقطع الكامل ، لان تاريخ هذه الامة طويل وأعمالها كثيرة ، وبلادها او الاقطار التي خفق عليها علمها تحسب مساحتها بمئات الالوف من الأميال ، و يعد رجالها بالالوف . وما يخيل لي ان عدد المؤازرين فيها ينقص عن مئتي عالم وأديب .

هذا مايراه خادمكم العاجز يامولاي ، وهناك تفصيلات لاتعرف اولا يتأتى البت فيها الا بعد الدخول في الموضوع . والصعوبة تبدو اولاً في ترتيب العمل ، ومتى جرى توزيعه على الاصول يسير سيراً متساوقاً لا يدخله الخلل . واذا فرض انه تعذر نشر المجلد الاول من المعلمة قبل سنة او سنتين فان مجلداتها بعد ذلك تتابع بحيث ينشر كل سنة مجلدان على الاقل . واني على مثل اليقين ان مصر لاتحمل سوى ثلاثة ارباع هذا العبء في نشر هذه المعلمة ، والربع الباقي تعاون في تأليفه وماديانه سائر الأقطار العربية . وربما جاز ان يطبع منها عشرون الف نسخة .

هذا والمسؤول تعالى ان يوفقكم الى مافيه خير مصر والامة العربية سيدي المعظم .

دمشق في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧ اهـ

ومجلة المجمع العلمي العربي تقول : ان من الأسف ان أصبح هذا العمل الجليل في خدمة العلم واللغة في خبر كان بعد سقوط الوزارة الثروتية ، وعسى ان يتسع الوقت للوزارة الحاضرة فتعود الى التفكير في إخراج هذا الكتاب الضخم . خصوصاً وبين أعضائها العلامة الاستاذ احمد لطفي السيد بك رئيس الجامعة السورية وهو من القائلين بنشر معلمة عربية يعتمد فيها على الترجمة عن اللغات الافرنجية فقط .

مطبوعات حديثة

﴿ كتاب السفور والحجاب ﴾

« ألفته الآنسة نظيرة زين الدين وقد طبع في مطبعة قوزما ببيروت »
« سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م في ٤٢٠ صفحة »

قرأت هذا الكتاب لمؤلفتـه الآنسة نظيرة زين الدين فوجدته أشبه بمجلة (انسكلوبيديه) أحاطت بهذا الموضوع من جميع أطرافه وتضمنت كل ما يمكن ان يوجه اليه من الاعتراضات ثم الرد عليها من طريق العقل تارة ، والنقل أخرى ، و بالقضايا الخطابية أو الشعرية أحياناً كثيرة .

والكتاب عدا ما فيه من تحقيق مسألة الحجاب والسفور قد أتحفنا بفائدتين جليلتين . أحببت قبل الشروع في تقريظه ان لا يفوتني التنبيه اليهما ، وشكر المؤلفة عليهما .

الفائدة الاولى ان المؤلفة في عكوفها على دراسة القرآن والحديث . واستدلالها بنصوصهما . ونزولها في مسألة السفور على حكمهما ، كانت كأنها تقول :

ان طائفتي (الدرزية) مهما كان لها من تقاليد تاريخيـة تميزها عن غيرها من الفرق الاسلامية ما زالت ولن تزال تستمسك مع اخوانها المسلمين بعروة الاسلام ، وتهتدي بهديه ، وتنضوي الى جامعته .

وعندي ان إعلانها هذا الامر في مثل هذه (الظروف) التي تعمل على التحليل والتركيب السياسيين — هو أهم بكثير من تحقيق مسألة الحجاب والسفور .

اما الامر الثاني او (الفائدة الثانية) التي لمحتها من خلال سطور كتاب الحجاب والسفور ، فهي لا تقل عن الفائدة الاولى شأناً وتنبيهاً لنا معشر المسلمين الذين يهمهم ان يقع إصلاحهم الاجتماعي من طريق دينهم الحنيف : ذلك ان المؤلفة الفاضلة في كتابها المذكور كانت كأنها تخاطب أنصار السفور من جهة ثم تلتفت فتخاطب العلماء أنصار الحجاب من جهة ثانية .

فتهتف بالاولين السفور بين قائلة :

انه لا ينبغي لنا ان نستقل بالنظر في هذه المسألة الاجتماعية الدقيقة من دون التفات الى نصوص الدين . ومن دون تحكيم شريعتنا السمحة بالامر .

ثم تلتفت الى السادة العلماء فتقول :

ان السفور بين والسفوريات ياسادتي كثروا في العالم الاسلامي كثرة مطردة . وان المسألة أصبحت عملية بعد ان كانت نظرية . وان معظم الذين ينصرونها و يؤيدونها هم طبقة المسلمين المتعلمين الذين أصبح بيدهم الحل والعقد تقريباً ، والذين يعتقدون ان فكرة السفور في المسلمين ليست في الحقيقة اثراً من آثار تشهّي أشخاص بل هي أثر من آثار نواميس اجتماعية وثقافية تعمل عملها قسراً .

وان من نظر في تاريخ هذه المسألة وتطورها :

من يوم أن كتب عنها قاسم امين ما كتب .

وما كان من الأتراك الكماليين .

وما كان و يكون من اخواننا المصر بين الذين يزورون سورية بنسائهم السافرات . وبعد أن رفع زعيم مصر المطاع (سعد زغلول) النقاب بيده عن وجوه المسلمات اللواتي احتفلن بقدومه من منفاه .

وما فعله جلالة ملك الافغان وزوجته (ثريا) .

من نظر الى ذلك كله وما شابهه من الوقائع والشواهد علم ان الامر جد . وان سكوت علمائنا عنه ، وعدم مبالاتهم به ليس من مصلحة المسلمين ولا من سداد الرأي في شيء .

اننا أصبحنا معشر المسلمين مع مسألة السفور تجاه امر واقع . وهذا الامر الواقع هو مظهر من مظاهر القضاء والقدر الذي اعتدنا ان نقول حين توقع حلوله : « اللهم انا لا نسألك دفع القدر ولكن نسألك اللطف به » . واللطف في مسألة السفور يكون بالاقتصار فيه على ما رضيه لنا الوحي وسنه لنا السلف الصالح .

ثم كأني أسمع المؤلفة تقول :

وها أناذا ياسادتي كان يمكنني ان أسفر وأبقى صامتة كما صمت غيري ، لكنني رأيت ان أسن لنفسي ولاخواتي المسلمات هذه السنة الحسنة وهي :

ان نرجع في أمورنا الدينية والاجتماعية اليكم ايها العلماء فتعالجوها بحصافة عقل ، وإخلاص قلب ، وهدوء أعصاب . تعالجوها ولو بواسطة اجتماع ملي يؤلف منكم على اختلاف مشاربكم . فتحللوا ما أحله الله . وتحرموا ما حرمه الله ، بعد ان تتذاكروا في المسألة مذاكرة برلمانية منظمة . بحيث يكون لها نتيجة عملية يمكن تطبيقها والتعويل عليها .
واني أخشى يا سادتي العلماء — وقد بلغ الامر من الجرأة على السفور ما بلغ — ان يعم و ينتشر بين المسلمين كافة . وعندها يقول بعض الناس : ان السفور وقع بالرغم من دين الاسلام : بدليل ان علماءه يقاومونه ، و يكفرون أشياعه .

واني اخشى ان يقف علماء بلادنا موقفاً سلبياً إزاء مسألة السفور كما فعل علماء الاتراك . حتى آل الامر اخيراً الى انتزاع حق التكلم في هذه المسألة من ايديهم وانتقاله الى ايدي الكمالين الذين أضجرهم الجمود ، فأصبحوا على قاب قوسين من الجحود .

لا جرم ان مجرد شعور السفور بين والسفوريات بان صنيعهم يجعلهم في حيدة عن سائر اخوانهم يزيدهم جرأة على ممارسة مخالفات أخرى قد تكون أقبح في نظركم وأنكر من مسألة السفور .

بل ان كان النقاب رُفع عن وجه التركيات بيد وطنية مسلمة في الجملة . فاني يعلم الله أخشى ان يرفع ذلك النقاب عن وجه التلميذات السوريات بيد لا تريدونها .
بيد ترفعه ثم تعمل بالسر على رفع غيره .
بيد ترفعه وتودعه بكلمات السخرية والهزء .
فالآنسة نظيرة كأنها في كتابها هذا تضرع الى علماء الاسلام قائلة :
ان السفور اذا كان ولا بد من وقوعه بين المسلمين كما تدل عليه القرائن الكثيرة فليقع بايديكم ايها السادة :
فليقع بايدي المتعممين . لا المطربشين ولا المقلنسين .
فليقع بالقدر الذين تشاؤون ، لا الغلو الذي تكرهون .
فليقع مقيداً بالشرائط والتحفظات المستندة الى نصوص الدين الصريحة . وقواعد الشرع السمحة المبيحة .

وإلا فاني أخشى أن يقع كما وقع لدى الكاتبين من دون مراعاة نص · ثم يعقبه على الاثر التبرج والخلاعة وفاحش (الدنس) ·

ان السافرات أيها السادة انما يسفرن باذن اوليائهن · فمعارضتهن إذن عبث بل فضول · واذا اقترنت المعارضة بالتعبير والقذع ، سوف تؤدي الى التفرقة والصدع ، وتكون النتيجة انهيار البناء بالطبع ·

هذا ما تخيلت اني أسمعه من الآنسة نظيرة زين الدين مذ حاولت تقريظ كتابها · وها أناذا الآن أرجع الى المقصود من تقريظه ووصفه · وبيان ما توخته مؤلفته في تنسيقه ورصفه فأقول :

بنت المؤلفة كتابها على اربعة اقسام :

(القسم الاول) ضمّنته جولات عامة في الحريّات على أنواعها · والدفاع عن هذه الحريات · واستنكار الحجر على العقول · وبيان ان الدين والعقل متآزران · والمقارنة بين جنسي الرجال والنساء · وغير ذلك مما هو تمهيد بين يدي موضوع الكتاب ·

(القسم الثاني) يتضمن الأدلة العقلية على ان سفور المرأة (والمراد من السفور إبداء وجه المرأة فقط) ليس مما يكرهه الاسلام وانما هو أباحه لها ·

(القسم الثالث) يتضمن الأدلة الشرعية على الإباحة المذكورة ·

(القسم الرابع) معارضات المؤلفة لاربعة من العلماء كتبوا في موضوع المرأة وحجابها : فهي تنقل قولهم وتسهب في الرد عليهم ·

اما أسلوب الكتاب فسهل الفهم · قريب التناول · ولا يخلو أحياناً من ضعف في تأليف الكلام · وخطأ او تسامح في استعمال بعض الكلمات · لاسيما العاميّ منها كقولها في ص ٢٦٣ (مضروب على قلبه) ·

وتكثر المؤلفة في كلامها من الاستفهام والتعجيب والاستعطاف والاستشهاد باقوال الآخرين · ولا تدع التهكم والتهويل أحياناً كثيرة ·

وهكذا تتفنن في تلوين الخطاب وايراد مسائل الحِجاج بحيث لا يستكمل القارئ بحثاً حتى يتشوّف لما بعده · ولا يتذوّق فائدة حتى يتلمّظ الى أخرى تليها · ثم لا يعتم

ان يرى نفسه قد بلغ آخر الكتاب من دون شعور بملل او سآمة .

ومن قارن بين فوائد الكتاب ومختلف أبحاثه الدينية والاجتماعية والأخلاقية واللغوية — وبين ماهي عليه المؤلفة من السن التي لم تتجاوز العشرين لا سيما أن دراستها كانت في مدارس علمانية محضة — شك — ويحق له الشك — في ان تكون هي مؤلفة الكتاب .

وليست براهينها سواء في الوضوح والقوة وحسن الدلالة . وكثيراً ما تلجأ الى الأساليب الشعرية في مناقشاتها . كما انها أحياناً تغفل فتستدل بما لا يصلح للاستدلال . وكتاب مثله في كبر حجمه ووفرة مادته قلما يخلو من ضعف في بعض مواطن الاستشهاد . ولو اقتصرت المؤلفة على براهينها القاطعة — وما أكثرها في كتابها — لكان اجدى نفعاً . وأشد في النفوس وقعاً .

ويظهر من مطاوي كلام المؤلفة في كتابها انها انما تدعو الى سفور شرعي لا تبرج معه ولا ابتذال ، من ذلك قولها في ص ١٤٩ : « انهم اصحاب حق في نفورهم من ذلك الرقص الذي أسمع به ولم أره : فهو لا يوافق أخلاقنا بل يخالف آدابنا » الى ان قالت : « ننبذ الحريات الشاذة مثل حرية الرقص . مثل كشف العورات من صدور وأعضاد . وتقصير الأثواب بدرجة عائبة والتبرج المنافي الرصانة . والخلوة بالرجال وما شاكل ذلك . ونتخذ ما يوافق تربيتنا وأخلاقنا » اه .

وأشارت في ص ١٤٥ الى ما لاصطحاب الرجل نساءه معه خارج البيت من التأثير في أخلاق الرجال فقالت : « . ليت شعري هل يخطر في البال ان في العالم سافلاً ينظر الى محارم غيره نظرة سوء ومحارمه الى جانبه ؟ او لا يخطر ببال الرجل حينئذ مهما كان دنيئاً ان نظرته السيئة الى محارم غيره إذن ضمني لغيره في ان ينظر الى محارمه مثل نظرته تلك ؟ » .

ومن أدلتها المعقولة ان الشرع يهمه جداً ان يكون هناك فارق بين النساء الحرائر وغيرهن وبذلك يهاب الاشرار التعرض للحرائر : ففي القرآن الكريم « ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » علّق عدم الايذاء بالمعرفة فاذا لم تكن معرفة حصل الايذاء . وكان عمر (رضي الله عنه) يستعرض الإماء اللواتي يتشبهن بالحرائر في لبسهن

فيمنعهن من التشبه بهن . والنساء المسلمات اليوم تشابهن كلهن في اللبس والنقاب . فاذا سفرت المسلمة عن وجهها وحده كما سمح لها الشارع عُرفت فاحترمت . وان بقيت محجوبة الوجه لم تعرف فتصبح عرضةً للاذى والامتهان وهو ما يأباه الشارع لها .

ومن أدلتها على ان عقل المرأة لا ينقص عن عقل الرجل ان الرجل والمرأة متساويان في التكليف الشرعي ومتساويان ايضاً في درجة العقاب الاخروي وهذا دليل على تساوي العقل الذي هو مناط التكليف في الجنسين .

وتقول المؤلفة : انه اذا كان هناك نقص في عقول النساء فسببه حجبهن وعدم تربيتهن وتعليمهن ، بل ذهبت الى أن في الشرع ما يدل على ان المرأة اكمل عقلاً من الرجل : ذلك ان الرجل يكلف في سن ١٢ من عمره ؛ اما المرأة فتكلف في السنة التاسعة من عمرها .

أقول ولكن حديث البخاري صريح في نقص عقل النساء ودينهن . فكان على المؤلفة — وقد تعرضت الى هذا الموضوع — ان تفسر الحديث بما ينطبق على دعواها .

وكثيراً ما عمدت المؤلفة في استدلالاتها الى النكتة مثال ذلك ما في ص ٦٢ من ان الدين أمر الرجل بستر وجهه باللحية فهو لم يستر وجهه بها كما أمر بل حلقها والزم المرأة بستر وجهها الذي أباح الشارع كشفه لها .

ومن ذلك قولها في ص ١٣٥ « يا سيدي الرجل القوّام ! ماهذه الحياة حياتك وفي بيتك إدارة عرفية دائمة أعلنتها ضد أمك وابنتك وزوجتك وأختك خائفاً من خيانة منهن » .

ومن أساليبها التي تعمدت بها الترقيق والاستعطاف قولها في ص ١٣٦ « هي أمك التي أرتك النور وانت تحرمها إياه ... هي التي ولدتك حراً تتمتع بالشمس والهواء وانت تلقيها في أسر الحجاب فتمنعها منهما ... هي التي الخ »

وفي ص ١٣٩ « وهل يجوز لك ان تعوّق نماء التكمل العقلي والادبي في جنس النساء كله لانك آنست فساداً في بعضهن ؟ او لم تأنس مثله في بعض الرجال ؟ فلمَ لا تعامل الجنسين معاملة واحدة ؟ » .

وخلاصة ما حققته المؤلفة في كتابها واستدلت عليه عقلاً ونقلاً ان وجه المرأة ليس بعورة ولا دليل على وجوب ستره في الشرع وقد سردت النصوص التي يحتج بها

قوم على وجوب ستر الوجه فحققت انهـا لا تدل على ستره وانما هي تدل على ستر باقي الجسد . اما ستر الوجه فان العلماء رأوا ستره نظراً لفساد الزمان : فمن يقل بجواز كشفه كما هو الأصل يذهب الى ان الزمان اليوم اشد أمناً على الاعراض من الزمن القـديم . ومن يقل بوجوب ستره يذهب الى ان الزمن أصبح اليوم اشدّ فساداً وأقل أمناً من ذي قبل ؟ .

وانا على الكتاب ملاحظات نحب ان لا يفوتنا التنبيه الى بعضها . من ذلك ماجاء في ص ٣٤٤ مذنقلت المؤلفة عبارة (ابن عابدين) وعلقت عليها ، فقدكان الأليق بالمقام عدم ذكرها كما كان الأليق عدم التعرض للاستنجاد بالسلطات . ومن ذلك ما في ص ٢٠٦ فقد نقلت عبارة علي بن ابي طالب رضي الله عنـه وهي « ما اشتبه عليك علمه فالفظه . وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه » مستشهدة بهـا على وجوب اطراح ما لا دليل عليه من مسائل العلم والاخذ باليقين الذي عليه دليل . مع ان الامام (علياً) يريد بقوله المذكور النصح لعـامله (ابن حنيف) الذي دعي الى وليمة خصبة فأسرع اليها . فهو ينهاه عن تناول ما فيه شبهة من الطعام . و يأمره بما كان حلالاً طيباً . ومن غلط المؤلفة او مغالطاتهـا ما جاء في ص ٣٦٢ من ان بعض المشايخ يقول « اذا خرج النساء من بيوتهن كان عليهن ان يخرجن في حفش ثيابهن » اي رذلها . وقد قال شيخ آخر « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه ان لا تهجر المرأة زينتهـا » فزعمت المؤلفة ان بين القولين تناقضاً ثم قالت « مسكينة المرأة انها حائرة بين أقوال المشايخ » مع انه لا تناقض ولا حيرة : اذ ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يعجبه من المرأة أن تتزين في داخل بيتها اما في خارجه فلا يعجبه ذلك منها وانما يعجبه ان تلبس من الثياب ما لا يلفت الانظار اليها .

وفي ص ٢١٨ أوردت المؤلفة ما قاله النسفي في تفسير قوله تعالى « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » وهذا هو قوله : « كانت جيوب النساء واسعة تبدو منهـا صدورهن وكن يسدلن الخُمُر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأُمرن ان يسدلنهـا من قدامهن » فسلّقت المؤلفة نحو صفحتين على عبارة النسفي هذه وزعمت انه غيّر وبدل في تفسير الآية ولم يوضحها . مع ان عبارته على ايجازها واضحة جلية المعنى . فان

الجيب شق الثوب على الصدر وكانت النساء يلففن رؤوسهن بالخُمُر فتنسدل أطرافها على ظهورهن وتبقى صدورهن مكشوفة تتراءى من خلال الجيوب فنبههن الوحي الالآهي الى ان يجعلن انسدال الخمر مما يلي الصدر لا مما يلي الظهر . ولا نعلم ماذافهمت المؤلفة من كلام النسفي حتى أطالت فيما لا طائل تحته .

ومن أغلاطها اللغوية زعمها ان الكوع هو المرفق فيكون الساعد داخلاً في مسمى الكف فلا يكون عورة . مع انه عورة اذ الكوع في اللغة اسم للعظم الناتئ في منتهى الساعد مما يلي إبهام الكف .

هذا ومع ما في الكتاب من سهو وخطأ فان فيه من الفوائد والحقائق ما يحله المحل الأرفع من نفوس ذوي الانصاف . « المغربي »

— الصكوك الحقوقية —

« وهو يشتمل على الدروس الحقوقية التي القاها في معهد الحقوق في الشام »
« الاستاذ الفاضل محمد مصباح محرم رئيس محكمة التمييز العليا في سورية »
« سابقاً ومعلم الصك الحقوقي في المعهد المذكور حالاً »

الاستاذ الجليل السيد مصباح محرم مؤلف هـذا الكتاب هو زعيم المحققين غير مدافع وشيخ الحقوقيين غير منازع اذ ليس بين الاحياء من الذين اشتغلوا بالفقه والقانون على طريق عملية اصولية من هو أقدم منه لذلك كانت حياته الممتعة — أمدالله بها — تاريخاً للقضاء في بلاد الشام . اتصل بالعدلية لاوائل عهد تنظيمها في هذا البلد وهو الى اليوم لا يزال يعمل في سبيلها ومن اجلها جامعاً بين حنكة الشيوخ وهمة الشباب .

ولقد دفعته همته وحرصه على فائدة طلابه بل سائر المشتغلين بالحقوق ان اخرج لهم هذا الكتاب (الصكوك الحقوقية) فسد به ثلمة كانت في هذا الفن .

وليس غريباً ان يجيء كتاب الاستاذ جامعاً شاملاً وهو نتيجة علم عميق وتجارب طويلة واخلاص حق، ومما يحمد للمؤلف المفضال انه رد كثيراً من العقود الحاضرة الى اصول ابتكرها الشرع العربي الاسلامي او اقرها . فألم الاستاذ بمصدرها ونشأتها

وتاريخها وجميع ما وضع لها من قيود وشروط في الصدر الاول وما بعده ، وذكر ما طرأ عليها من تبديل او تعديل اقتضاه الزمن الحاضر .

والكتاب يقع في مائتين وثلاثين صفحة مملوءة بالفوائد الفرائد مما لا يستغني عنه مشتغل بالحقوق .

وفق الله أستاذنا الكبير الى ما فيه الخير العام واعانه في عمله العلمي ليخدم هذه الامة العربية عن طريق التأليف شيخاً كما خدمها عن طريق القضاء فتىً وكهلا .

عضو المجمع العلمي
عارف النكدي

— النبي محمد —

Muhammad the Prophet

أهديت الى المجمع العلمي نسخة انكليزية من كتاب بهذ العنوان صفحاته ٢٨٦ وطبعه ملقن ! مترجم للانكليزية بقلم محمد يعقوب خان احد أئمة الهند عن الاصل الذي وضعه باللغة الاوردية مولانا محمد علي احد علماء الهند مترجم القرآن الكريم للانكليزية واحد علماء جمعية التبشير الاسلامي في المانيا وسائر الاقطار الاوربية . تصفحناه فوجدناه سيرة نبوية سرد فيها المؤلف ما اخذه عن السير المعروفة بالعربية والتركية والانكليزية ، وقد اعتمد بالاكثر على السر (وليم مو ير) احد مستشرقي الانكليز صاحب المؤلف المعروف (حياة محمد) .

افتتح الكتاب بوصف جغرافي موجز لجزيرة العرب وسكانها الأقدمين اخذه من الأساطير الشائعة عن عاد وثمود وطسم وجديس . وقسم العرب كما كان يقسمهم غيره الى بائدة وعاربة ومستعربة واشباه ذلك مما يرتاب بصحته المحققون في هذا الزمان . وقال ان تأسيس مكة كان سنة ٢٥٠٠ ق.م وتأسيس يثرب كان سنة ١٦٠٠ ق.م ولا نعلم ما هو المأخذ الذي اعتمد عليه في هذا التحديد .

ثم انتقل لوصف العهد الجاهلي الذي سماه العصر المظلم واسهب في وصف ما كان عليه العرب قبل الاسلام من الجهل والغباوة وعبادة الاحجار وشظف العيش ومبادلة

الغارات والغزوات . وخصّ المرأة باشنع الأوصاف فقال انها كانت لا تفرق عن العجماوات في شيء ، تباع وتشرى وتوهب وينتقل امتلاكها من المورث الى الوارث وادعى ان تعدّد الازواج كان شائعاً عند العرب فيكون للمرأة عدة ازواج في وقت واحد وان البغاء كانت حرفة غير معيبة حتى ان الاسيرة كانت تجبر على الاكتساب بعرضها لسيدها وكان الزوج يسمح لزوجته ان تباضع رجلاً آخر لاجل تحسين النسل وانهم كانوا يسمون هذا العمل الاستبضاع وهو جارٍ بين بعض قبائل الهند الى اليوم ولم يذكر المؤلف المراجع التي اخذ عنها هذه الأقوال . وغرضه من هذه الاوصاف ان يجعل صفحتي الطباق ذات فرق عظيم ليدل به على عظم الفوائد التي جاء بها النبي (ص) في إصلاح النظام الاجتماعي وإخراج العرب من الظلمة الى النور بما رفعه من شأن المرأة وماازاله من السكر الشنيع والمقامرة والامية وسائر المساوئ التي عجز اصحاب الاديان الاخرى عن التغلب عليها . فقال : « ان الحكم على الانسان يكون بالنسبة الى النتائج التي بلغتها جهوده فان النبي محمداً عليه سلام الله و بركاته قد فعل في نحو عشرين سنة ما عجز عنه دعاة اليهودية والنصرانية في قرون كثيرة ، فهو قد محا عبادة الاصنام والجهل والترهات والخرافات والبغـاء والمقامرة وشرب الخمر وظلم الضعفاء وحروب القبائل ومئات غيرها من الشرور التي كانت شائعة بين العرب ، واذا تحرينا مزيته الراجحة وجدناها في عنايته بالايتام وعطفه على الارامل ونصرته للضعيف وسرعته لاغاثة الملهوف » .

ثم ذكر الانبياء الذين سبقوا محمداً في جزيرة العرب وسائر بلاد الشرق واسهب في استخراج الأدلة من التوراة والانجيل مؤيداً ان الانبياء السابقين اشاروا للنبي محمد في نبوءاتهم واستشهد لذلك بما جاء في سفر التكوين ص ١٧ : ٧ — ٨ وسفر التثنية ص ١٨ : ١٨ واشعيا ٢١ : ١٣—١٥ عن النبي الموعود به و يوحنا ١٤ : ١٥ —١٧ — ٢٦ و١٦ : ١٢ — ١٣ — ١٧ عن الروح المعزي ، وقد راجعنـا تفسير هذه النصوص عند اليهود والنصارى فوجدناهم يزعمون ان ما جاء في التوراة عن النبي المنتظر يشير الى المسيح وما جاء في الانجيل عن الروح المعزّي يشير الى الروح

القدس . ولا يخفى ان كلام النبوة عن المستقبل بما فيه من غموض يفسح مجالاً للتأويل والاستنباط .

وقد صرّح المؤلف ان الاصل في الزواج وحدة الزوجة وان النبي لم يعدل عن هذا الاصل الا بدافع الشفقة والحنان او لمصلحة المسلمين .

والخلاصة ان هذا الكتاب المنبعث عن قلب مفعم بالايمان والعقيدة الراسخة والمفرغ في قالب الوعظ والاعجاب هو جزيل الفائدة لقراء اللغة الانكليزية ليصححوا ما عساه ان يكون علق في اذهانهم من قراءة السير التي نشرها غير المنصفين عن نشأة الاسلام ومزايا النبي العظيم .

عضو المجمع العلمي
فارس الخوري

النشوء السياسي

« في الشام على عهد الانتداب »

تأليف السيد ادمون رباط طبع في مطبعة مارسيل ريفير بباريز
سنة ١٩٢٨ ص ٢٧٧

هذا كتاب كتبه مؤلفه الفاضل الوطني باللغة الافرنسية وسماه :
L. évolution politique de la Syrie sous mandat

وهي أطروحة قدمها لنيل الشهادة العالية الباحث الحلبي المدقق وقد نال « الدكتوراه » بالحقوق وشهادة الآداب وشهادة مدرسة العلوم السياسية بباريز . تبسط ببيان رائق في البحث عن الانتداب واصله وما تقدمه على العهد العثماني من الاصلاحات وعن جمعية الامم وعلاقتها بالانتداب وعن مصادر القوة المنتدبة في البلاد الشامية وكيفية ادارتها ثم انتقل الى الدول السورية وذكر منشأ كل دولة منها بالتفصيل ، وبعد ذلك أشار الى النُظُم الادارية والى تنظيم القوة الاجرائية والسلطة التمثيليـة والسلطة القضائية ، وانتقل بعدئذ الى الحريات العامة كحرية الوجدان والعبادات والحرية السياسية وحرية الاجتماع وحرية العمل وختم كتابه بفصل في طريقة حكم البدو الرحالة وغيرهم . وقد قدم العلامة الاستاذ الامير شكيب ارسلان

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٢٨ م الموافق ربيع الاول والثاني سنه ١٣٤٧ هـ ٩٣

تحقيق لغوي

— في —

ورد الابل

الحمد لله واضع اللغات ، ومحدث الموضوعات ، والصلاة والسلام على القاموس المحيط بجميع المعلومات ، محمد الفائق كل الانبياء في جميع الجهات ، وعلى آله أولي الفضل والكرامات ، واصحابه الراقين به أعلى الدرجات ، وعلى من تبعهم باحسان من المؤمنين والمؤمنات ، صلاةً وسلاماً دائمين مادامت الارض والسموات . وبعدفيقول العبد المفتقر الى لطف مولاه الابدي ، ابو الفوز محمد امين السويدي . قد عرض عليّ ، بعض الأحبة لديّ [1] ، ممن تضلع [2] بالعلم ، وتوقد ذهنه في الفهم ، عبارةً من كتاب القاموس المنسوب [3] للامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي ، عليه رحمة الاله الهادي ، ظاهرها الاختلال في المبنى ، والمعارضة لكلام غيره من اهل اللغة في المعنى ، ما لفظها : « والعِشر بالكسر ورد الإبل اليوم العاشر او التاسع ولهذا لم يقل عِشرَين وقالوا عِشرين جعلوا ثمانية عشر يوماً عِشرَين ، والتاسعة عشر والعشرين طائفة من الورد الثالث فقالوا عشرين جمعوه بذلك والإبل عواشر . » انتهت . فرأيت ان اشرحها شرحاً يزيل إشكالها ، ويذهب احتلالها .

(١) ليته ذكر اسمه افادة للتاريخ . (٢) لعل في النسخة الاصلية تضلع من .

(٣) لعل في الاصل المنسوب الى .

ولما كان الاصح من اقوال اهل الاصول[1] : « ان العمل بالمتعـارضين ولو من وجه اولى من إلغاء احدهما بترجيح الآخر عليه » أحببت ان اجمعها مع غيرها من عبارات اللغويين ، التي ترى مخالفتها في اول نظر الناظرين ، فأقول و بالله التوفيق ، وبيده ازمة التحقيق .

قال صاحب القاموس : (والعِشر بالكسر) للعين مع سكون الشين (ورد الإبل) ، اي اشرفهـا على الماء للشرب (اليوم العاشر) او الـ م (التاسع) ولما كان بيانـ ذلك يستدعي الكلام على اوراد الابل التي اصطلحت العرب على اسمائها ليتضح هذا المقام ، احببت ان أبين ذلك فأقول : اعلم انـ العرب اذا اوردوا الإبل الماء كل يوم يقولونـ : سقيناها رِفهـاً بالكسر ، واذا اوردوها يوماً وتركوها في المرعى ترعى منـ غير ورد يوماً آخر ثم اوردوها بعد ذلك اليوم الذي تركت فيه يقولون : سقيناها غِبّاً فالغب بالكسر ورد يوم وظمء آخر ، واذا اقاموا بها في المرعي بعد يوم الشرب يومين لم ترد فيها الماء ثم اوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقيناها رِبعاً بالكسر ، واذاأظمأوها ثمانية ايام وذلك تمام ظمئها في الاغلب ثم اوردوها في اليوم التاسع يقولون : سقيناها عِشراً . فالعشر على هذا تسعة ايام ابداً . قال صاحب مقياس اللغة[2] : يقال للإبل عواشر اذا اوردت الماء عشرا ، ويثنى و يجمع فيقال عشران وعشرون فكل عشر من ذلك تسعة ايام انتهى . فان قلت هذا مخـالف لما ذكره صاحب القاموس فانه اورد العشر بين اليوم العاشر والتاسع وصاحب المقيـاس جزم بانه تسعة ايام ، قلت : لا مخالفة بينهما فان صاحب القـاموس اراد بقوله اليوم

(١) كان رحمه الله سلفياً في مذهبه وادبه ، يقدس الأسلاف ، ويمحو ما بدر لحرية الفكر منهم من الخلاف ، والا فقول الاصوليين مما يستأنس به ، ولا يؤخذ في علم اللغة والاشتقاق به ، كيف وفيهـا القوي والاقوى واللغة واللغيّة ، فالترجيح واجب لتمحيص المطالب ، وليس منـ تعارض في عبارة اللغويين التي وردت بل ثمت غموض وابهام ازالها بشريف تحقيقه . (٢) هذا من مسخ النسخ والا فاسم الكتاب مقاييس اللغة لابن فارس وهو مخطوط في خزانة المحقق الاب انستاس الكرملي .

العاشر اي بالنسبة الى يوم الشرب الاول ، وباليوم التاسع اي بالنسبة الى اول ايام الظماْ فاوفى كلامه للتخيير في العبارة ، اي ان نظرت الى اول يوم الظماء عبرت عنه باليوم التاسع . واما صاحب المقياس لماراْى ان يوم الشرب الاول من العشر السابق في الواقع لا من هذا العشر حتى يكون عشرة ايام . قال : العشر تسعة ايام بطريق الجزم ، فان قلت : ان الجوهري في صحاحه قال ان العشر ثمانية ايام حيث قال فيه ما لفظه : والعشر مابين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر انتهى ، وذلك مخالف لما تقدم . قلت : لا مخالفة في ذلك ايضاً لانه اراد به ايام الظمء فقط كما صرح بذلك بقوله مابين الوردين . وقوله لانها ترد اليوم العاشر اي بالنسبة الى يوم الشرب الاول . قال صاحب القاموس : (ولهذا [1]) اي ولكون العشر عبارة عن تلك الايام التسعة التي هي ايام الظماْ الثمانيــة مع يوم الشرب الاخير (لم يقل) وفي نسخة لم يقولوا اي اهل اللغة في تثنية العشر (عشرين) اي بصيغة الجمع بناءً على ان كلاً منهما عشرة ايام ، لان يوم الشرب الاول في الواقع من العشر الاول كما تحقق . (وقالوا) في تثنية عشرين بصيغة التثنية بناءً على ان كل عشر تسعة ايام كما يدل عليه قوله (جعلوا ثمانية عشر يوماً ،عشرين) فهوتثنية لعشر كمالايخفى ، وجعلوا اليوم (التاسع عشر) واليوم (العشرين طائفــة) اي بعضاً (من الورد الثالث) ولم يجعلوهما من الوردين المتقدمين عليهما (فقالوا) في ضم اليومين المذكورين الى العشرين اللذين هما ثمانية عشر يوماً (،عشرين) بصيغة الجمع (جمعوه) اي العشر (بذلك) اي بضم اليومين الى الثمانية عشر ليحصل التوافق بين الجمع والعدد ، وتسميتهم لذلك بالجمع مجازاً اذ هو من تسمية الجزء باسم كله[2] ، فان قلت جعلك لذلك من المجاز مناف لما ذكره الاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني حيث قال : لا مجاز في لغة العرب ، قلت :

---

(١) ما بين الفواصل من كلام المجد والباقي شرح ابي الفوز السويدي .

(٢) الكتب العربيــة طافحة بالمجاز فتعليله هذا وجيه ولا حاجة للاستشهاد على اللغة بكلام اهل الاصول . و يستقيم المعنى باعتبار الجمع ما زاد على الواحد على مذهب بعض العلماء .

لا عبرة بما قاله الاستاذ بعدما تبين بطلانه في كتب اهل الاصول ، وكيف ينكر ذلك وقد تواتر النقل عن العرب بانهم يتكلمون بالمجاز باشياء كثيرة لا يمكن حصرها فمنكر المجاز في اللغة جاحد للضرورة ومبطل محاسن لغة العرب قال امرؤ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازاً وناء بكلكل

وليس لليل صلب ولا ارداف ، حتى قال ابن جني في الخصائص : واعلم ان اللغة مع تامله مجازاً لا حقيقة ، وذكر في ذلك كلاماً طويلاً تركناه لئلا يطول الكلام. وقال ابن برهان في كتابه في اصول اللغة انها مشتملة على الحقيقة والمجاز . وقال ابن السبكي : من انكر المجاز في اللغة واراد ان العرب لم تنطق مثل قولك للشجاع انه اسد فذلك مكابرة وعناد . وقال القاضي في مختصر التقريب : ان ذلك مراغمة للحقائق فانا نعلم ان العرب ما وضعت اسم الحمار للبليد انتهى . فان قلت هل لذلك المجاز الذي ذكرته حقيقة ام لا ؟ قلت : حقيقته ان العرب اذا اوردوا ابلهم ثلاثة اعشار متعاقبة قالوا : سقيناها عشرين ، فيكون الجمع الحقيقي عبارة عن سبعة وعشرين يوماً لان كل عشر تسعة ايام كما تقدم ذلك في كلام صاحب المقياس حيث قال : ويثنى ويجمع فيقال عشران وعشرون فكل عشر من ذلك تسعة ايام انتهى . فانه اطلق الجمع والجمع اذا أطلق يتبادر منه الجمع الحقيقي وذلك صادق بسبعة وعشرين كما لا يخفى ، فان قلت هذا مناف لما ذكره الجوهري في صحاحه حيث قال : فاذا جاوزت العشرين فليس لها تسمية وانما هي جوازي[1] ، قلت : لا منافاة في ذلك ، فان مراده بالعشرين الذي هو جمع لعشر لا اسم العدد ، حقيقياً كان ذلك الجمع وهو ماصدق بسبعة وعشرين يوماً ، او مجازياً وهو ما صدق بدون ذلك ، اي فاذا جاوزت الجمع الحقيقي اذ ذلك غاية المجاوزة فلا تسمى باسم آخر وانما هي جوازي ، ولو سلمنا ان مراده بالعشرين اسم العدد لا الجمع فما ذكره صاحب المقياس مقدم على ما ذكره ، اذ المثبت مقدم على النافي ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ كما تحقق ذلك في علم الاصول . فان قلت : هل هو مقدم عند اهل اللغة ايضاً ؟ قلت نعم . فقد ذكر الامام السيوطي

(١) كذا قد وردت والا فهي جوازئ .

في كتابه المزهر : ان من انفرد بروايته احد من اهل اللغة ولم ينقل احد غيره ، حكمه القبول ، ان كان المنفرد به من اهل الضبط والاتقان ، وقد مثل امثلة كثيرة لذلك . وهنا انفرد صاحب المقياس بان ما زاد على العشرين يسمى بذلك اي بمقتضى اطلاقه للجمع اللغوي ، فيقبل ما انفرد به وان لم يطلع عليه غيره فنفاه لعدم اطلاعه ، اذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود . فان قلت : حكي عن الخليل بن احمد الفراهيدي الأزدي ما هو صريح في ان الجمع لايراد به الا ضم اليومين المذكورين الى الثمانية عشر ، وذلك انه قيل له : زعمت ان عشرين جمع عشر والعشر تسعة ايام ، فكان ينبغي ان تكون العشرون سبعة وعشرين يوماً لتستكمل ثلاثة اتساع . فقال : ثمانية عشر يوماً عشران ، ضممت اليها يومين من العشر الثالث فجمعتها بذلك الاعتبار . ثم قيل له : هل يجوز ان نقول للدرهمين مع دانقين ثلاثة دراهم ؟ قال : لا اقيس على هذا ، وانما اقيس على قول ابي حنيفة : طلقها تطليقتين وعشر تطليقة ، وقع ثلاث تطليقات[1] ، فكما جاز له ان يعتد بعشر تطليقة ويجعله تطليقة كاملة ، جاز لي ان اعتد بيومي عشر ، واعدهما عشراً كاملاً . قلت : يمكن ان يكون الخليل اراد بما حكي عنه بيان ان لفظ عشرين كما هو صالح للعدد المعلوم كذلك صالح لجمع عشر ، لكن بهذا الاعتبار . ولما كان ذلك منافياً للجمع الحقيقي المعلوم لكل احد بينه لئلا يبعد فهمه عن الاذهان ولم يبين الجمع الحقيقي كما بين الجمع المجازي ، اذ لا كلام فيه لاحد ، وكذلك لا محذور فيه بوجه من الوجوه حتى يرتكب غيره دونه ، وكيف ينكر الجمع الحقيقي والكلام فيه لا في اسم العدد ، وجمع العشر بذلك صحيح وان ادى الى ان ايامه سبعة وعشرون لان المقصود منه انه جمع افراده ثلاثة اعشار ، وسلمنا انه نفاه فمن اثبته مقدم عليه كما تحقق ، على ان في كلامه المحكي عنه نظراً ؛ لان في قياسه ذلك على قول الامام ابي حنيفة فيما ذكر اثبات اللغة بالقياس[2] وهو غير جائز على ما هو الصحيح عند الاصوليين ، وعلى ذلك القاضي ابوبكر الباقلاني وامام الحرمين والغزالي والآمدي ، ولو تنزلنا وقلنا بجواز ذلك فهو

(١) تلك نكتة فقهية لغوية مستملحة . (٢) و بالحري اثباتها بالفقه .

قياس مع الفارق ، فان التطليقة عند الامام ابي حنيفة لا تتجزى[1] كما صرح بذلك فقهاء مذهبه وذكر جزء ما لا يتجزى كذكر كله بخلاف ما نحن فيه فان له اجزاء مسماة باسماء كما تقدم ، فيصح لنا ان نقول : إذ ضممنا يومين الى الثمانية عشر يوماً ، سقيناها عشرين اي بصيغة التثنيـة ولو سلمنا عدم الفرق بينهما فنقول فكما انه على قول الامام ابي حنيفة : تقع التطليقة بالتلفظ بكلها كما تقع بالتلفظ بجزء من اجزائها ، كذلك فليكن هذا الجمع ، بان يكون حكم ضم الجزء الثالث كله الى الثمانية عشر كحكم ضم اليومين اليها[2] اذ لا فرق في ذلك[3] ، فان قلت : ان الخليل اجل من ان يذكر مثل ذلك اذ هو اعلم النـاس واذكاهم في زمانه ، حتى قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصحابة ازكى من الخليل بن احمد ولااجمع قلت : هو كذلك والظاهر ان ما حكي عنه في ذلك كذب لا اصل له و يؤيد ذلك ما نقل الامام السيوطي في كتابه المزهر عن أئمة اللغة انهم قالوا : وقع الخلل في كتاب الخليل وفي النقل عنه وتكلم في ذلك بكلام طويل وايد ما قاله بكلام أئمة اللغة ، ثم قال بعد كلام كثير في كتاب الخليل الذي الفه في اللغة : ولو صح الكتاب عن الخليل ، لبدر الاصمعي واليزيدي وابن الاعرابي واشباههم الى تزيين كتبهم وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لعلمه . وكذلك من بعدهم كأبي حاتم وابي عبيد و يعقوب وغيرهم من المصنفين ، فما علمنا احداً نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً الى آخر ما قال . وتركنا نقل كلام السيوطي لطوله فمن أراد فليرجع اليه . فتبين من ذلك انه لا يؤخذ برواية من روى عن الخليل في اللغة لاختلال الرواية عنه كما حقق ذلك الامام السيوطي في كتابه المذكور فكل شيء من اللغة نسب الى

---

(١) لعل الاصل لا تتجزأ من الجزء لا الجزاء .

(٢) الصواب اليهما وهو من سهو الناسخ .

(٣) في ذلك فرق كبير لعدم جواز اثبات اللغة بالفقه ولا حاجة للاستشهاد بكلام لا يصدر عن صغار الطلبة فكيف برجل نابغة كالخليل فالاقوى انه مدسوس عليه من حساد فضله .

الخليل لم يقبل ما لم يوافقه غيره من أئمة اللغة المتقدمين . قال صاحب القاموس وجملوا (الابل عواشر) اي سموها بذلك والله اعلم .

قال مؤلفه عليه الرحمة كان اتمام ذلك ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول الواقع في السنة السادسة والثلاثين غب الالف والمائتين الهجرية النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية .

ناشر الرسالة

عز الدين علم الدين

عضو المجمع العلمي بدمشق

المكاره التي حف بها

« إقليد الخزانة »

اسمع حديثي فانه عجب يُضحك من شرحه ويُنتحب

عَرض عليّ بُعيد وصولي للاهور أستاذ العربية بجامعة بنجاب المستر محمد شفيع أن أتولى وضع فهرس لاسماء الكتب المذكورة في خزانة الادب لعبدالقادر البغدادي وذكر ان المستشرق المجري (غولدصهير) كان يستحسن مثل هذا الصنيع فأخذت فيه بعد كيت وذيت وأتممته في سنة ١٣٤٠ هـ .

وقد جرى بعد ذلك امور تثبط من جأش المؤلفين وتوهن من عزائمهم وتفتّ في أعضادهم وتزهدهم عما هم بصدده من خدمة العلم فإلى الله المشتكى والمفزع . وانا أرفق بساعات عمر القارئ العزيزة ولا أضيعها في سردها .

وكنت كتبت له مقدّمة وكان المستر المذكور يجمجم ببعض الحذف والبتر فحذفت له منها بعض مالم أر فيه كبير فائدة . وكنت سميته (إقليدالخزانة[1]) تسمية لم يفهم معناها فأخذ يصوّب تسميته (فهرست الخزانة) ولكنه ربع بعدُ على ظلعه وسكن بعض غلوائه .

ثم قضى الله ان ودعت لاهور وتم طبع الكتاب بتصحيحي بعد وصولي بسبعة اشهر (مارس ١٩٢٦ م) بمطبعة الصديق الفاضل المستعرب (ك . م . ميترا) وكتب اليّ هذا النصيح ان المستر لن يطبع ابداً مقدمتك وقد انتزعها مني بإلحاح زائد . فكاتبته بشأنها فلم يجبني فكاتبت المستر وولنر رئيس المراقبة بالجامعة فلم ينبس ايضاً ببنت شفة وذلك باغراء المستر له ولعل ذلك ببعض الاوهام السياسية او اني تعرضت فيها بالذاتيات (وانت ترى المقدمة على غرّها الاول) . فكتبت الى وولنر أخيره بين امرين اما ان يطبع مقدمتي واما ان ترفع الجامعة يدها عن الكتاب واكون انا الذي أؤدّي نفقة الطبع فلم يجب بشيء . وكتب اليّ صاحب المطبعة ان الشفيع عقبة كؤود في طريقك ويظهر انه اغوى المستر وولنر . وكتب اليّ صديق آخر عن لسان

(١) راجع في (المطبوعات الحديثة) من هذا الجزء تقريظ كتاب (إقليدالخزانة) .

صاحب المطبعة ان نية المستر فاسدة يظهر انه يحبس الكتاب الى ان يتناساه الناس ثم ينشره بعد برهة باسمه · فلم يبق لي بد ان أكلف سيدي الدكتور ضياءالدين احمد بان يفاوض المستر وولنر رسمياً فدار بينهما المكاتبة مرتين انتجت ان المستر قد فاز في اضلاله عن سوء السبيل ولكني نجحت في الحصول على كتاب رسمي فيه اعتراف بكون الكتاب من تأليفي فثاب الي خاطري ·

ولكن لما لم يبق للمستر مجال لانت أخادعه فأرخى من الخناق اذ رأى ان كل سطر من الحواشي يحول دون مناه (ان كان يتمنى ذلك) ويعلن بتسمية مؤلفه ·

فنشره وولنر في (فبراير سنة ١٩٢٨ م) بحذف المقدمة مضافاً اليه إرغام انف المؤلف « الذي لم يكن ذنبه الا ذنب صُحَيْرَ لجزاه كما جزي سنمار » بقلم المستر المذكور بالانكليزية من غير حاجة اليها حتى انه لشدة ولمه بها لم يكتب عليه الاسم بالعربية كما يفعله أفاضل المستشرقين فانهم في غنى عن مثل هذا التبجح والتصلف وأضاف فهرساً بالانكليزية لاسماء المؤلفين الواردين بإقليدي بقلم المستر محمد اقبال وهو وان كان لا يخلو عن فائدة الا انه مصحَّف ومحرَّف للغاية · ولا غرو من كثرة الاغلاط فانهم وفقهم الله لا يتلقنون في اوربا الا وضع الفهارس على ترتيب الحروف فحسب ، واما التدبر والواعية فهذا شيء ليس مقصوراً على بلد دون بلد · ومن هنا تدرك ان المستر الموصوف كيف لم يقع بصره في الإقليد على غير الترتيب من المزايا التي ربما يفوق بها على اكثر أعمال المستشرقين ·

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم)

وهذه المغامز التي أشار اليها هاك ما عندي فيها :

(١) شكا مرة بعد أخرى من إخلالي بترتيب الحروف في ذكر الشروح فقط وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ·

اذ ليس كل شيء يذكر على هذا الترتيب فانه بنفسه متقدم على محمد اقبال زميله بالجامعة وكان حق الترتيب الانكليزي والعربي ايضاً ان يتقدم اقبال عليه ·

وهل ثم من لا يعرف ان الالف متقدمة على الباء وهلم جرًّا وان لا فائدة من ترتيب الشروح على الحروف والشروح ربما لا يكون لها أسماء خاصة فإذن كان

الترتيب بتراوح بين اسماء المؤلفين تارةً وبين اسماء المؤلفات أخرى ولم يقرّ به قرار. والشروح لمتن واحد كم تكون في العدد حتى توقع الناظر في الأتعاب . فمن هذه الجهة راعيت تقديم الاهم فالمهم او المتقدم عصراً او المشهور فأنت ترى عندي شروح الحماسة على هذا الترتيب : النمري ، الرد عليه للاسود ، ابو رياش ، المرزوقي ، ابن جني ، ابو هلال ، التبريزي ، الطبرسي . ولكن مثل هذا الصنيع يحتاج الى اطلاع واسع وعلم بالوفيات جمّ ومادة زاخرة وذاكرة واعية . وكل من نظر في شيء من تآليف هذا العاجز يشهد باني توخيت فيهـا إحكام علمائنا ووضع علماء المشرقيات ومالي والتقليدهم الأعمى في كل شيء من دون بصيرة ولعلهم ايضاً لا يريدون مني ذلك .

وترى في آخر الإقليد اسم كتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر على ماسماه مؤلفه ابو عمر الزاهد بالترتيب الطبعي ولو راعى هـذا الترتيب الأخرق لعكس اسمه ولقال كتاب الدهر والسنة والشهر والليلة واليوم . ولكن ماذا كان يغني عند ترتيب هذه الكلمات اليسيرة على الحروف وترك الجادّة الطبعية وهي تقديم الاهم والاخص الخ .

(٢) كنت ذكرت في مقدمتي انني أغفلت عن حلّ حوالات الكتاب كتاب سيبويه وشرح الرضي فقلما خلا من ذكرهما صفحة وأثبتُّ منهـا ما كان يستحق العناية وقد قال الاول « الا ان من أنذر فقد أعذر » ولكن صدق اخوه « رب لائم مُليمٌ » وآخر « ربّ ملوم لا ذنب له » فانه لم يعـذرني مع انه ذَكَرَه ذِكْرَ من لا يسيغ هذه اللقمة ولا يلفظها .

أُلجلج مضغةً فيهـا أنيضٌ أصلّت فهي تحت الكشح داء

وبيني وبينك الانصاف أيهـا القارئ ما ذا كنت تستفيد من سرد نحو ٢٥٠٠ حوالة على الأقل وهو عداد صفحات الاصل . ولله در ابي العلاء :

ويا نفس جدّي إن دهرك هازل

أليس إذن عجب عاجب في ان يقع بصره على هذه المغامز ويولي ظهره عن هاتيك الفوائد الخطيرة التي حواها كتابي ولم يكن في اصل الخزانة الا مايغوي القليلي البضاعة من تغيير الاسماء وبترها والدعاء بغير الاسماء .

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فتعالَ ياناظراً هذه القذاة الحقيرة في عيني أرِك الجذع المعترض في عين زميله ·

فاني ارى في عينك الجذع مُعرضا وتعجب ان ابصرتَ في عيني القذا

وذلك في نحو ٧٥ غلطاً فاحشاً في ١٧ صفحة مع انه لم يراجع الخزانة (الغُفْلَ) اصلاً واخذ من الإقليد المضبوط بعناية المؤلف نفسه · فان كان هداه الله حُرِم العلم بهذه الاشياء فهل كان حُرِم ان يكِلَها الى العارف تنصلاً من اللائمة و يجعل مجيراه اتباعي فيما كتبت في الاقليد — ويا أيها المستر المسدد نحوي سهامه تعلمْ ·

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

فهذا حال دكتور ببلادنا ودكترته وسعيه بلغ جهده في ازدراء كتاب متقن الصنعة لرجل لم يتسمَّ بالقاب مكرمة في غير موضعها الخ وقدره اياه في الباطن حق قدره · دليله حرصه على ان يكون له في تأليفه يد وان كانت جذماء ورجل ولو كانت عرجاء · وهذا :

« بيان الأغلاط الواقعة في فهرست المؤلفين الملحقة بآخر »
« إقليد الخزانة »

الغلط	الاصل او الصواب
في ص ٤ ابن عبد البَرّ النَّمَري المغربي	ص ١ ابن عبد البر[1] النَمري المغربي

(١) كل من كان له ادنى مسكة يعرف ان البَرّ في الاسماء بالفتح و به يصح قول الحافظ السِلَفي :

قل للذي طلب الحديث مسافراً في البحر يبغي الكتب بعد البَرّ
فمليك كُتْبًا في الحديث اجادها بالغرب حافظه ابن عبد البَرّ

وكذا يعرف انهم يبدلون كسرة الاوسط بالفتح ايثار للتخفيف عند النسبة ، فهذا الرجل فاته الاتباع ايضاً اذ حرم العلم الصحيح · وقال ابن دريد في الجمهرة ١: ٢٢٥ ان النسبة الى النَمِر نَمَري والى تغلِبَ تغلَبي ·

الغلط	الاصل او الصواب
ص١ عبد القيس (شاعر)	قبيلة فيهم شعراء
ص٢ الزُّجاجي	صوابه [1] الزَّجّاجي
« ابواحمدالعسكري وانظر اباهلال ايضاً	لاتنظره فان اباأحمداُستاذ وابوهلال تلميذه فهما رجلان
ص٣ علي بن العميد (ابن فارس)	هما رجلان يعرفهما حتى الاولاد
« ابو علي الفارسي وابو علي الفَسَوي وابو علي الهاذور	قطّع اباعلي إرباإربا وهو واحد وفسا بلده ثم سماه باسم كتابه (الهاذور) كأنه لقب لابي علي
« علي بن حمزة الاصفهاني	الاصفهاني هو حمزة بن الحسن وعلي بن حمزة بصري . وكله مبين في الاقليد
« الأَسنوي	الإسنوي
ص٤ البافلانيّ (مخفف باللام و بالفاء)	الباقِلاّني (بالقاف وتشديد اللام)
« ابو بكر ابن القُوطِيَة (مخففاً)	صوابه ابن القوطيّة (مشدداً)
« ابن الَبرّي	ابن بَرّي (المقدسي اللغوي الشهير)
ص٥ ابو داؤد الايادي	ابو دُؤاد (كغراب مصروفاً مهموزاً)
« ذوالخَرِق (ككتف) الطُهَوي	ذو الخِرَق كعنب جمع خِرقة
« ابن فارس انظر علي بن العميد	لا تنظره فهما رجلان خلّط بينهما
ص٦ ابن فُضالة	المعروف في الاسماء فَضالة بالفتح وانظر التاج
« ابن حديد	هو محرّف ابن دريد كما هو منبه عليه في الاقليد
« الهَمْداني صاحب الجغرافيا الهمداني صاحب الإكليل	ثناهما وهما شيء وهو صاحب الإكليل وجزيرة العرب وكلاهما في الجغرافيا
« ابو الحسن المدائني ، المدائني	هما شيء

[1] هو مشكول على الصواب في الاقليد ص ٣ مع بيان الفرق بين الزَّجّاج والزَّجّاجيّ .

الغلط	الاصل او الصواب
ص ٧ ابوحاتم (مؤلف اصلاح المفسِد) ص ٢٨ ، ٧٥ ابو حاتم السجستاني الخ	فيــه ثلاث غلطات (١) هما رجل (٢) (اصلاح [1] المفسَد (٣) ليس في ص ٧٥ شيء فيه البتة
〃 ابو هلال (العسكري ؟) الخ ابو هلال العسكري	ثناه وكل من له أدنى المام بالادب يعرف ان ابا هلال وابا هلال العسكري شيء
〃 ابن هشام صاحب حاشية الالفية ابن هشام الانصاري	هو هو فلا تكوننّ من الممترين
〃 ابن هشام الخضراوي، ابن هشام اللخمي	هو هو الخ
٧ و٨ هشام بن محمد بن السائب الخ، ابن الكلبي	هو هو الخ
ص ٧ الفزاري (بالكسر)	صوابه الفتح وفَزارة قبيلة معروفة
〃 ابو الحسين الطوسي	صوابه ابو الحسن كما صوبناه في الاقليد
٧ و٨ الحصري ، ابراهيم الحصري	هما شيء
ص ٨ ابراهيم بن سري الزُجاج (كغراب)	ابن السَري الزَجّاج (مشدداً و بالفتح)
〃 ابو اسحق الزُجاجي ١٧ الزَجّاج الزجاجي	وهو ابو اسحق الزَجّاج لا الزجّاجي انظر الاقليد فهما رجلان لا اربعة
ص ٨ اسمعيل بن آه	ليس آه في الاسماء بل هو محذوف عن الى آخره
١٠ الموصلي (صاحب الاوائل)	اي اقرءه اسماعيل بن هبة الله المَوصِليّ كما مر في حوالة متقدمة ، وهذه اضحوكة

(١) كما ضبطناه في الاقليد وفي حاشية امالي الزجاجي ص ٩٦ (عن التاج) « قال ابو حاتم في كتابه الذي صنفه في المفسَد والمذال » (كذا ولعل صوابه المزال بالزاي) وهذا ظاهر في ان المفسد على زنة المفعول · وهل يمكن اباحاتم ان يصلح المفسِد وانما يصلحه الله ·

الغلط	الاصل او الصواب
الجلال الدَّواني (مخففاً)	صوابه تشديد الواو
جرير الشاعر جرير بن عطية الخ	هو هو
ابن جوهر	هو ابن جَهْوَر كما في الإقليد وكما هو معروف في اسماء الاندلسيين
ص٩ الخباز (انظر شمس الدين الخ)	فيه ثلاثة اغلاط (١) الثلثة شيء
٩ ابن الخباز شمس الدين الأَرْبلي الجعفري	(٢) الإِرْبِل كزِبْرِج
١٥ شمس الدين احمد الحسين الخ	(٣) شمس الدين احمد بن الحسين
٩ الخشّاب ١١ ابو محمد الخشاب	هما شيء ولكن ابن الخشاب لا الخشاب
٩ ابن خطيب التبريزي الخ ١٥ التبريزي (ابن خطيب) الخ	الصواب ابن الخطيب وهما شيء والعجب انه مع معرفته بذلك ثنّى حواليه
٩ ابن الخير الاندلسي الخ	هما رجل واشبيلية بالاندلس وابن الخير
ابن الخير الاشبيلي الخ	صوابه ابن خير
« ابن خَيْسان	صوابه ابن كَيْسان
خُزَر (بالراء آخراً)	صوابه خُزَز (بزايين) بن لَوْذان
١٠ المفضل بن سلمة الضبي	صوابه كما في الاقليد بن سلمة الكوفي وابن محمد الضبي وهو ايضاً كوفي فهما مفضّلان
١١ ابو محمد الاعرابي ١٣ الاسود الاعرابي	هو هو
١٢ بنو محارب محارب بن خصفة	هما
« المطرّز (انظر المطرّزي)	لا تنظره فهما رجلان
« ابن ناظم	ابن الناظم

	الغلط	الاصل او الصواب
١٣	قاسم بن احمد الوَرَقي (كأنه ظنه منسوباً الى الورقة)	صوابه اللُورَقي كما في الاقليد منسوب الى لورَقة بالاندلس
٣	الاخفش المجاشعي	هو هو
١٤	سعيد بن مسعدة	
١٤	ابن السيِّد ٨٤ ، ٩٢	الاول كما قال والآخر هو ابن السيِّد الذي يأتي في ص ١٥ باسم ابن السيِّد البطليوسي
〃	ابن شجري	ابن الشجري
١٥	ابن سيِّد	ابن السيِّد
〃	ابن سكيت	ابن السكيت
〃	الصقلي — انظر بن القطاع ايضاً	لا ننظره فابن القطاع من النحاة واللغويين وصاحب صاحب الضعفاء من المحدثين
١٥	ابن السيرافي	هو هو
١٧	يوسف بن السيرافي	
١٥	ابن السبكي انظر ... والتقي بن السبكي	لا ننظره فان تقي الدين السبكي لا ابن السبكي
١٦	التبريزي مؤلف مختصر تكملة الاصلاح	هذه سخافات مجموعة فالتبريزي هو الذي مرّ مرتين لا غير وكتابه هذا مختصر اصلاح المنطق وتكملة الاصلاح للجوالبقي
〃	ثعلِب (بكسر اللام)	بفتحها وقد اضعنا آناء الحياة العزيزة في التنبيه على مثل هذا
〃	الترمَذي	صوابه التِرمِذي (بكسرتين اوالتَرمِذي بفتح فكسر)
〃	العُكبُري (بضم الراء)	صوابه فتح الراء وضم العين
〃	امية بن الصلت	صوابه امية بن ابي الصلت
〃	الزَجّاج	هذا هو صواب ما كتبه قبل الزجاج كغراب

الغلط	الاصل او الصواب
١٧ ابو زيد (صاحب كتاب المصادر) ص ١٠٣ الخ ، ابو زيد الانصاري	غلطان (١) هما واحد (٢) المذكور في ص ١٠٢ كتاب النوادر لا المصادر

الى غيرها مما يطول بنا سرده . وهذه :

« ترجمة العلامة البغدادي مؤلف كتاب الخزانة »

[من خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٢ : ٤٥١—٤٥٤]

عبدالقادر بن عمر البغدادي نزيل القاهرة الاديب المصنف الرحّال الباهر الطريقة في الاحاطة بالمعارف والتضلع من الذخائر العلمية ، وكان فاضلاً بارعاً مطلعاً على أقسام كلام العرب النظم والنثر راوياً لوقائعها وحروبها وايامها ، وكان يحفظ مقامات الحريري وكثيراً من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والاشعار والحكايات البديعة مع الثبت (كذا ولعل صوابه التثبت) في النقل وزيادة الفضل والانتقاد الحسن ومناسبة ايراد كل شيء منها في موضعه مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المنادمة وحفظ اللغة الفارسية والتركية وإتقانها كل الاتقان ومعرفة الاشعار الحسنة منها وأخبار الفرس . خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث وورد دمشق وقرأ بها على العلامة السيد محمد بن كمال الدين نقيب الشام وعلى شيخنا النجم محمد بن يحيى الفرضي في العربية وأقام في دمشق في مسجد قبالة دار النقيب المذكور مقدار سنة ثم رحل الى مصر فدخلها في سنة خمسين والف بعد فتح بغداد بعامين واخذ العلوم الشرعية وآلاتها النقلية والعقلية عن جمع من مشايخ الازهر اجلّهم الشهاب الخفاجي والسري الدروري والبرهان المأموني والنور الشبراملسي والشيخ ياسين الحمصي وغيرهم . واكثر لزومه كان للخفاجي قرأ عليه كثيراً من التفسير والحديث والآداب وأجازه بذلك وبمؤلفاته (انظر صورة الاجازة في المقدمة) . وكان الخفاجي مع جلالة عظمته يراجعه في المسائل الغريبة لمعرفته مظانها وسعة اطلاعه وطول باعه . حكى صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله قال قلت له لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك فقال لي جميع ماحفظته قطرة من غدير الشهاب وما استفدت هذه العلوم الادبية الا منه . ولما مات الشهاب تملّك اكثر كتبه

وجمع كتباً كثيرةً غيرها . واخبرني عنه بعض من لقيه انه كان عنده الف ديوان من دواوين العرب العاربة . وألف المؤلفات الفائقة منها (١) شرح شواهد شرح الكافية للرضي الاسترابادي في ثمان مجلدات جمع فيه علوم الأدب واللغة ومتعلقاتها باسرها الا القليل ملكته الروم وانتفعت به ونقلت في مجاميع لي نفائس أبحاث يعز وجودها في غيره . وله ايضاً (٢) شرح شواهد شرح الشافية للرضي ايضاً . و(٣) الحاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام وقد رأيتها وانتقيت منها مباحث ونوادر كثيرة . وله من التآليف ايضاً (٤) شرح الشاهدي الجامع بين الفارسي والتركي وغير ذلك مما لم يصل اليَّ خبره . وكل تآليفه مفيدة نافعة وكان مع تبحره في الآداب ومعرفته الشعر لم يتفق له نظم حتى طلبت من بعض المختصين به شيئاً من شعره لأُثبته في ترجمته فذكر لي فيما زعم انه لم يتفوَّه بشيءٍ منه ترفعاً عنه . ثم رأيت الشلّي ذكر له في ترجمته هذه الأبيات في هجاء طبيب يهوديّ يعرف بابن جميع (وهي اربعة أقذع فيها أفحش الاقذاع فتركنا كتبها) .

ودخل دمشق في سنة ١٠٨٥ وكان في صحبة الوزير ابراهيم باشا المعروف بكتخدا الوزير منصرفاً من حكومة مصر وسافر معه الى ادرنة راجياً ان يحل من الزمان محل الفريدة من العقد فدخل الى مجلس الوزير الاعظم احمد باشا الفاضل واستمكن منه واختصّ به ولما حللتُ ادرنة في ذلك العهد زرته مرةً في معهده وكان بينه وبين والدي حقوق مودّة قديمة فرحب بي وأقبل عليّ وكان اذ ذاك في غاية من إقبال الكبراء عليه فلم يلبث حتى هجمت عليه علة قاسى منها آلاماً شديدة ولم يبق طبيب حتى باشر معالجته وكان امره في نيل أمانيه مأخوذاً على التراخي فعاجله الملل والسآمة وضاق به الامر فذهب الى معرة مصر (ين) وعاد مرة ثانية وانا بالروم فابتُلي برمد في عينيه حتى قارب ان يكفّ فسافر من طريق البحر الى مصر فوصلها ولم تطل مدته بها حتى توفي وكانت ولادته ببغداد سنة ١٠٣٠ وتوفي في احد الربيعين من سنة ١٠٩٣ رحمه الله تعالى . انتهى بطرح ما لا علاقة له بالترجمة .

ثم وقفت بعد تصفح زوايا الخزانة والاقتباس من انوار الشهاب في الريحانة على فوائد

زوائد ، واوابد شوارد في ترجمة البغدادي ، أحببت ان أعلقها واحرد نحوها حردا ، وأسردها سردا :

« حرصه على العلم »

كان صاحبنا في حفظ الكتب والتدوين والحرص على اقتنائها وانتقائها بحيث لا نراه الا منهوماً لا يشبع وشرهاً لا يقنع قال في الخزانة[1] « وكنت ممن مرن في علم الأدب حتى صار يلبيه من كثب وأفرغ في تحصيله جهده وبذل فيه وكده وكدّه وجمع دواوينه وعرف قوانينه واجتمع عنده بفضل الله من الاسفار ما لم يجتمع عند احد في هذه الأعصار ، فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت في شرحها على وفق المني والمراد ، فهو جدير بان يسمي (خزانة الأدب الخ) وقد عرضت فيه بضاعتي للامتحان وعنده يكرم الرجل او يهان . وهكذا يحدّث بنعم الله عليه فنراه يقول تارة[2] بعد سرد اسماء تأليف الاسود الاعرابي « واكثرها عندي ولله الحمد والمنة » وتارة[3] يهمس بالشكر همساً حيث يقول : « قال معمر بن المثنى (ابوعبيدة) شارح ديوان بشر وهو عندي بخطه وهو خط كوفي الخ » وأخرى[4] « هذه حكايته وقد نقلتها من خطها الكوفي » وأخرى[5] وقد تعب من سرد مبحث طويل « وقد أرخينا هنا عنان القلم لجرى في ميدان الطروس فأتى بما يبهج النفوس وقد بقيت اشياء تركناها خشية السآمة واتقاء الملامة » فكأنه لولا خوف ضجر القارئين لم يسأم ولم يرجع وقد قال الأول « سير السواني سفر لا ينقطع » .

ويوجد اليوم خطه على ما بقي من كتبه ومنها نسخة لجمع الأمثال للميداني بخزانة بانكي پور في الهند فقد رأيته ثبت عليه « من نعم الله على عبده الفقير اليه عبد القادر ابن عمر البغدادي » وعلى كتاب المعمرين[6] والوصايا لابي حاتم السجستاني ببعض حواضر المغرب . ويوجد[7] شرح شواهد شرح الرضي على الشافية له وبخطه باوربا

(١) ١ : ٢ . (٢) ١ : ٢١ . (٣) ٢ : ٢٦٢ . (٤) ٢ : ٢٦٤ . (٥) ٣ : ٥٧

(٦) وطبع كتاب المعمرين بليدن عن هذا الاصل . (٧) طبعوا صورة فوتغرافية لصفحة منه وألحقوها بآخر مجموعة ديوان ابي محجن وزهير وغيرهما .

وخطه متوسط متقن ويضبط بالشكل ما اشكل ٠

هذا وجاء في معجم الأدباء[١] في ختام ترجمة الحصري[٢] صاحب زهر الآداب هذه العبارة : « وله عندي كتاب الجواهر في المُلح والنوادر كتبه عبد القادر البغدادي » والظاهر انها حاشية لصاحبنا يظهر منها ان اصل معجم الادباء للجزئين الاولين كان قد بقي عند صاحبنا وقد عرفنا وجود الجواهر هذا عنده من خزانته[٣] ايضاً ٠ الا ان المستعرب الفاضل مستر مرجليوث لم يتنبه له فظن العبارة من كلام ياقوت حتى أدرجها في صلب المتن ٠

« تآليفه »

(١) اما خزانته هذه فهي أجود مؤلفاته وأبدعها واكثرها فوائد وأنفعها وقد قضى في جمعها ستة أعوام كما قال في الختام « وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة في غرة شعبان من سنة ١٠٧٣ هـ وانتهاؤه في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ١٠٧٩ هـ فيكون مدة التأليف ست سنين معما تخالل في اثنائها من العطلة بالرحلة فاني لما وصلت الى شرح الشاهد ٦٦٩ سافرت الى قسطنطينية في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٠٧٧ هـ ولم يتفق لي ان أشرح شيئًا الى ان دخلت مصر المحروسة في اليوم السابع من ربيع الاول من العام القابل ثم شرعت في ربيع الآخر » ويوجد منها أجزاء في برلين وغيرها من مدائن اوربا ورأيت منه بخزانة جامعة بنجاب ايضاً جزءاً ٠ واما الاصل المطبوع عنه ببولاق سنة ١٢٩٩ هـ هذه الطبعة فلا اعرف فيه الا انه قليل البياض والاغلاط الا ان[٣] نسختها التي نقلت عن نسخة المؤلف كانت باقية بعد او يكون هذا الاصل نقل عنها ٠ هذا وقد سرد فيها عدة[٤] من الرسائل كرسالة ابي رياش في قتل خالد مالك بن نويرة المرتد، وترجمة المتنبي من ايضاح

(١) ١ : ٣٦٠ ٠ (٢) ١ : ١١ و٢٥١ و٣ : ١٦٨ و٤ : ٢٨٤ ٠ (٣) جاء في حاشية ٣ : ٢١٥ « سقط بعد لفظة (في شرح) نحو سطرين اغتالتهما ايدي المجلدين فلينظر ذلك في نسخة منقولة من خط المصنف قبل اغتيال ذلك وليلحق اهـ ٠

(٤) ١ : ٢٣٦ ١ : ٣٨٢ ٢ : ٣٨ ٢ : ٧٠ — ٧٢ ٣ : ٢٤٢ — ٢٤٦ ٠

المشكل لابي القاسم الاصفهاني ، وبذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة ، ورسالة المناظرة بين الكسائي ومحمد بن الحسن او ابي يوسف اللايجي وكتاب الاصنام لابن الكلبي الى غيرها .

(٢) شرح شواهد شرح الشافية للرضي لقدم ان جزءاً منه بخطه يوجد باور با ورأيته يحيل فيه على الخزانة لتراجم الشعراء وللقصائد وغيرها كما فعل مثله في حاشية شرح بانت سعاد . وكان ينوي[1] ان يأخذ فيه بعد اتمام الخزانة .

(٣) حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام ، رأيت منها نسخة بخزانة رامپور في ٧٧٨ ص وهي في فهرستها تحت عدد ٧٤ من الادب باسم حاشيته على قصيدة البردة وصوابه على شرح البردة وهي بانت سعاد وكتبت سنة ١١١٢ هـ شرح فيها شواهد شرح بن هشام واستوفى المباحث بغاية الاستيفاء وانتقد على ابن هشام وذكر فيها ان فضلاء عصره كانوا يتلكؤن عن حل مشكلاته وكان هو في شبيبته ايام اقام بمصر كتب على نسخته من الشرح حواشي . وفي حفظي انه الفها بالشام بعد الخزانة بزمان . ويوجد منها نسخة أخرى باياصوفيا رقم ٤٠٦٩ . وقال فيها الحاج خليفة انه « أجاد فيها وأفاد » وكأنه لم يقف من تآليف صاحبنا الا عليها حيث أهمل سائرها .

(٤) لغت شاهنامه هو الذي تصحف في طبعة خلاصة الاثر بشرح الشاهدي طبعه كيرولوس زالمان في بطرسبورغ سنة ١٨٩٥م . شرح فيه غريب الألفاظ الفارسية الواقعة في كتاب شاهنامه (تاريخ الملوك) الفارسية بالتركية . قال فيه انه كتبه سنة ١٠٦٧ هـ وثبت في آخر الأصل استنسخه العبد الضعيف ... ابراهيم ابن احمد ... واتفق الفراغ من كتابته يوم السبت ثالث شهر ذي الحجة الشريفة بمدينة ادرنة سنة ١٠٨٢ هـ .

(٥) شرح شواهد المغني وعد به في موضعين من الخزانة[2] وقد طال به الأمد وأنجز حرُّ ما وعد وذلك اني وجدته في فهرس خزانة اياصوفيا تحت رقم ٤٤٨٩ وهو

(١) انظر الخزانة ٢ : ٢٤ ورأيت العلامة احمد تيمور باشا احال عليه في تصحيح لسان العرب ج ١ ص٣٦ فلعله ملكه . (٢) ١ : ٨٦ و١٩٥ .

في مجلد في كل صفحة منه ٢٧ سطراً وتاريخ إتمامه سنة ١٠٩١ ه ·

(٦) شرح المقصورة الدُريدية ذكر في الخزانة [١] انه الفه في شبيبته وهو مختصر ·

(٧) شرح شواهد التحفة الوردية أحال عليه بغداديّ عصرنا حقّاً العلامة النقاب احمد تيمور باشا في تصحيح اللسان ج ١ ص ٥٢ فلعله ملك منه نسخة ، وله حرسه الله ولع بتآليف صاحبنا ·

« أدبه وانصافه »

يذكر من كان قبله من العلماء بما هم له اهل فتراه يذكر شيخيه الخفاجي و ياسين الحمصي دائماً بلفظة شيخنا · ولكن لا يمنعه الأدب معهم عن قول الحق والصدع بالصدق فكثيراً ما ينتقد[٢] كلام شيخيه · وكذلك لم يترك سقطات الضعاف الا نبّه عليها وهم العيني وخضر الموصلي وابن مُلا الحلبي كما تراها في الارقام المخطوط تحتها وقال في شارح ديوان زهير صعوداء إنه كان ضعيفاً في النحو ، ولا يحمله التبجح والتصلف على الاعتساف والتنكب عن جادة الانصاف فانا نراه [٣] وقد ذكر ان ابن السيد نسب البيت الفلاني الى الأخطل ثم نقل قول ابن هشام اللخميّ انه لم يجده في ديوانه يقول : « اقول قد فتشت ديوان الأخطل من رواية السكري فلم أظفر به فيه ولعله ثابت في رواية أخرى ·

« تشيعه »

وكان يتشيّع [٤] وان كان والده عمر كما يعلم من ذكره الصحابة رضي الله عنهم بدون الترضية لاسيما عبدالله بن الزبير (رض) ابن اسماء ذات النطاقين وزبيراً (رض) حواريّ رسول الله (ص) ولا يزال يطريّ أئمة اهل البيت وذكر ان « الشافعي رح اسرّ الى الربيع ان لا تقبل شفاعة[٥] اربعة · منهم معاوية » وهل هذا الا اختلاق

---

(١) ١ : ٤٩٠ · (٢) ٣ : ٤٣٢ · (٣) ١ : ٢١٩ · (٤) وكان العجم قابضين على بغداد ايام صباه · (٥) لعل صوابه شهادة وهذا القول وجدته عند ابي الفداء ايضاً في أخبار معاوية (رح) ·

بعض غلاة الاخبار بين · ولم اذكر هذا الا لأوفيه حقه من الترجمة فرضي الله عنه وعنهم ·

« صورة إجازة الشهاب له »

واما اجازة الشهاب فهذه صورتها عن ريحانة (١) الالباء ، ويوجد هنا في بعض النسخ زيادة لا بأس بها وهي صورة ما كتبه مؤلفه من الإجازة لعبدالقادر المذكور فيه (؟ فيها) « تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام ، والمحيي مآثر العلماء بنشر ثنائهم المخلد في صحف الايام ، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام ، وعلى آله وصحبه ماطرّز البرق برود الغمام · اما بعد فإن الفاضل الاريب ، والماجد المهذب الاديب ، خليل روحي الشفيق ، ومن هو في سبيل الطلب سمير ورفيق ، حاوي المفاخر ، الاخ الاعز عبدالقادر · لما قرأ كتاب الرحلة وغيره مما سوّدت به وجه الصحف واخذته عن الأجلّة ، وسمني بسمة العلم ولست اهله ·

اذا كان الزمان زمان سوء فيوم صالح منه غنيمه

فأجزته بما ليَ من التآليف والآثار ، وماورويته عن مشائخي الأخيار ، صانه الله في (؟ عن) عين الكمال وحماه ، وقلّد جيد مجده بفرائد حلاه · » اه

وها انا اذكر الآن المقدمة التي كنت هيأتها لكتابي (إقليد الخزانة) وقد حذفت من النسخة المطبوعة في لاهور وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، المتمسكين بحبله المتين والمتحزبين بحزبه ، وسلم · وبعد فان خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي اشتمل على لباب نفائس الصحف والأسفار ، وضنينات الدهور والأعصار ، وعجب لعمري عاجب ان تكون بقيت بعد هاتيك الفتن المتوالية ، ونوائب نحو مسلي الأقطار ناحية ، وبعد دول دالت ، ونعم زالت ، في عصر طمس فيه أعلام العلوم وصُواها ، وصوّح نبتُها على رُباها ، ونضبت نضارتها ، وزالت غضارتها ، بعد ان كانت أثمارها يانعة ، ومحاسنها رائعة · لأن يأخذ بيد الانسان من الله قائد توفيقه ، و يجتمع عنده

(١) مصر سنة ١٣٠٦ ص٣٦٨ ولكن ليس فيه تصريح بان عبدالقادر هو البغدادي ·

طرفا نقيض الجد في سبيل العلم وطريقه ، والمال الوفر ، والكنز الدثر ، وانى يجتمعان عنده وبينهما كما بين الضب والنون ، او يتداركه الله بفضل منه غير ممنون .

ولما أجلت فيه نظري اعوز علي جمع ما انتثر من فرائده ، واعتاض علي سبي مخدرات خرائده ، من كثرتها ووفرتها .

هبه حواها من فرط ولعه بالكتب ، وحازها ولو من منال العيوق ومناط سائر الشهب ، فانى غابت غيبوبة ماء مأرب في رملها ، وتبددت بعد اجتماع شملها ، وتناثرت دررها ، وانحلت صررها ، وشعثت طررها ، وكسفت غررها ؟ وكيف انثلم بعد صدعها المرؤوب ، وأبيح حماها الغير المقروب ؟ .

واذ كانت ذهبت او بادت ، وتلاشت او كادت . عزمت على أن أضع لما حازه من نفائس الاعلاق المنتثر نظامها الآن في أعماق الآفاق . سواء رآها وحواها ، او ألم بذكرها عرضاً وما دراها ولا تلاها . فهرستاً حافلة تضطبن عالي الأسفار وسافله مع اصلاح ما حرفته ايدي النساخ بالاعتوار او زل فيه قلم صاحبنا على الاضطرار على ما يمر بك بعض أمثلته ، حين ننشر مطاوي أرديته .

وقد كتب الي صديقي العلامة الشيخ محب الدين الخطيب من القاهرة ان بغدادي عصرنا الامير ذلك المتفاني فيها والمغرم بجمعها بحاث النقاب صاحب السعادة احمد تيمور باشا حاز قبلي في وضع مثل هذه الفهرست قصب السبق ومن هو اولى بمثله منه .

ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وكذلك بلغني ان المستعرب المجري الشهير الاستاذ (غولدصهير) كان يتمنى ان لو تولى بعض الشداة وضع مثلها ولكنه تخرمته المنون قبل ان يرى امره بالامتثال متبوعاً ورضاه برضاي مشفوعاً .

« كيف تستفيد من فهرستنا »

وضعت جميع الشروح في غضون المتون . وان كانت لها اسماء خاصة ذكرتها في مظانها واحلت على متونها ، وحسبت الشروح بحروف الجمل ظاهراً و بالارقام الهندية باطناً وان أهملت اثباتها ، ولم أراع في الشروح ترتيب الحروف لقلتها بل قدمت الاهم فالأهم . وما ورد له من الكتب خبر يهم او فائدة نستطرف خططت تحت رقمه

خطأ ، وذكرت في الحواشي ماعدا الفوائد كل ما يوجد من المخطوطات باصقاع الهند في الخزائن العمومية او الخصوصية على ما رأيت ، فان هذه البلاد اما لم يدوّن لخزائنها فهارس اصلاً واما وضعت بألسنة لا يعرفها الاعراب ولا المستعربون . وأصلحت اسماء الكتب على ما هي عليه لا على ما اقتضبها صاحبنا او بترها ، واهملت اكثر حوالات الرضي والكتاب (كتاب سيبويه) غير الشواهد الخمسين الاغفال اذ قلما خلا عن ذكرهما صفحة ، وربما زدت اسم الكتاب من عندي ان علمت ان المؤلف لم يعرف له غير ذلك الكتاب ان كان صاحبنا اقتنع بذكر المؤلف . وبالجملة فاني راعيت الفائدة .

الهند (عليگره) : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي

كتاب المنذر

« للاستاذ صاحب الامضاء »

حيا الله الاستاذ المنذر فقد جاهد في سبيل لغته الشريفة جهاداً محموداً ودافع عنها دفاع الأبطال لما رأى اقلام بعض الكتاب او كثير منهم قد تجاوزت (عن غير تعمد) الحدود وفكت القيود باستعمالها اللحن والخطأ حتى كادت من ذلك محاسن اللغة تشوه وسلاستها تذهب . فأخرج للناس كتاباً جليلاً مفيداً . واني مع اكباري قدرالاستاذ وتقديري فضله واجتهاده أراني لاأوافقه على بعض ماجاء فيه من التخطئة .

لذلك أحببت ان أتقدم اليه برأيي ولي من حسن النية أحسن شافع لدى الاستاذ الصديق الرصيف .

١ — مداركة الخطر ، مناولة الطعام ، معاطاة المهنة ، مظاهرة الشعب ص ١ على عدم جوازها بانها لا يقال منها فاعَلَ بل تفاعَلَ .

مع ان صيغة فاعَلَ من تدارك منصوص عليها . قال في الاساس : دارك الطعن تابعه . وفي القاموس التدريك (ان يدارِكَ المطرُ) ويدارك مضارع دارك . والمداركة والتدارك كلتاهما بمعنى اللحوق والمتابعة .

٢ — وصيغة فاعَلَ من تناول معروفة . ففي المصباح ناولته الشيء فتناوله . وفي الاساس ناولني الشيء فتناولته وفي القاموس ناوله فتناوله اخذه .

٣ — وصيغة فاعَلَ من المعاطاة غير منكرة بل المعاطاة نفسها واردة منصوص عليها . ففي القاموس والاعطاء (المناولة كالمعاطاة) ففيه تصريح بالمناولة والمعاطاة وفي الاساس هو يعاطيه الكأس . وعاطى الصبي اهله اذ عمل لهم و(ناوَلَ) ما ارادوا ففي كلام الاساس تصريح بناول وعاطى . ثم ان بيع المعاطاة معروف في الفقه . وفي المزهر في باب ما اتى على فاعَلَ وتفاعَلَ من جانب واحد (وهو يعاطيني) .

٤ — وصيغة ظاهر بمعنى المعاونة واردة . في التنزيل وظاهروا على إخراجكم . وانزل الذين ظاهروهم . ولم يظاهروا عليكم . وقد تقدم لي كلام على هذا الحرف في مجلة المجمع العلمي (جزء تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ ص ٣٤٦) ومثله كلام لامير

الكتاب الامير شكيب أرسلان في المجلة نفسها (جزء حزيران سنة ١٩٢٤ ص٢٨٢) تعليقاً على ما قلته فليراجعه من شاء .

٥ و٦ — راق له ، تعهد له ، شكا منه ، حرمه منه ص ١ .

علل المنع بان هذه الافعال تتعدى بنفسها .

وان كثيراً من الأفعال ما يتعدي بنفسه و بالحرف وهو مذكور في كتب الأئمة كوقف وأوقف ووقّف ونهك وأنهك .

ثم ان اللام تزاد بين الفعل المتعدي ومفعوله فتسمى مرة لام التوكيد لانها تؤكد اصوق العامل بمعموله كقول الشاعر :

وملكت مابين العراق ويثرب   ملكاً أجار لمسلم ومعاهد

وجعل بعضهم منه « يريد الله ليبين لكم » وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل

وتسمي مرة لام التمليك وهي كثيرة الورود في المفعول الاول لوهب ووهب من باب أعطى تنصب مفعولين .

وتسمى مرة لام التقوية كقوله تعالى : « لربهم يرهبون ، ومصدقاً لما معهم » وكقول الشاعر : (ولا الله يعطي للعصاة مناها)

وقد دخلت في هذا البيت على المفعول مع قوة العامل بكونه فعلاً مقدماً على عامله ناصباً لمفعولين (او مفعولين على رأي الاستاذ) .

فاذا صحت زيادة اللام لهذه الاعتبارات وعلمت ان راق له مع شيوع استعمالها يمكن حملها على بعض هذه الوجوه . وكذلك تعهد له مع امكان تضمنها معنى ضمن له — اذا علمت ذلك — رأيت ان كلمة الصواب ليست من الصواب بل الاولى ان تكون الاولى .

٧ — اما شكا منه فأرى ان استعمالها صحيح ولم ينكر احد قول القائل مستفهماً : ممّ تشكو . وفي الاساس ممّ تشكو ولا يستغرب في جواب السؤال شكواي من كذا او شكيتي كذا . ولم ينكر احد على صرّ درّ قوله :

شكواك من ليل التمام وانما   ارقي بليل ذوائب وقرون

٨ — واما حرمه منه فهي مع ورودها في قول الشاعر :

احرم منكم بما اقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

من غير نكير ولا اعتراض لا مَنْعَ من ان تكون بمعنى منعَ فتتعدى بمن كما تتعدى منعَ واذا ضمن حرف معنى حرف جاز ان يجري مجراه في التعدي وعدمه ففي التنزيل « اوَلم يروا الى الطير » عدى رأى بالى على معنى نظر ·

وربما جاوزوا ذلك الى التذكير والتأنيث كما ورد في قول بعض الاعراب : فلان لغوب جاءته كتابي فمزقها فأنَّث على معنى الرسالة · وقد عقد ابن فارس باباً للفظ يترك حكم ظاهره لانه محمول على معناه كقولهم ثلاثة أنفس وثلاث شخوص وعشر أبطن · وورد في التنزيل « السماءُ منفطرٌ ، وبلدة ميتاً » ·

٩ و١٠ — وصله ووردهُ ص ١ ·

في القاموس وصل الشيءَ واليه وصولاً بلغه وانتهى اليه · فكلامه صريح بتعديته بنفسه · ثم ان وصل ضد هجر متعدية بنفسها ايضاً بلا خوف فاحمل ان شئت قولهم وصله الكتاب عليه مجازاً ·

واما ورد فيمكن حملها على المجاز من الورد ضد الصدر من قولهم ورد الماءَ وروداً وورد البلد بمعنى بلغه ووافاه على ان ورد الكتاب عليه بمعنى حضر مجازٌ ايضاً كما هو صريح الاساس ·

١١ — انهاك القوي ص ٢ و٤٣ ·

علل المنع بان الفعل متعدٍ بنفسه مجرداً لا بالهمزة وقد عرفت ان هذا التعليل غير صالح · وقد جاء في المصباح ان انهكه بالالف لغة وفي القاموس نهكه بالغ في عقوبته كأنهكه فصح فيها انها تتعدى بالهمزة وبنفسها · وقول الاستاذ ص ١١ « متى أمكن استعمال الثلاثي فصيحاً فلا يعدل عنه الى غيره » لا يستلزم ان يكون استعمال المزيد خطأً واستعمال الثلاثي مجرداً صواباً ·

١٢ — مباع ص ٢ ·

لم يعلل المنع ولعله من حيث كونه متعدياً بنفسه · وقد حكى ابن سيده في المخصص أباع فيصح اذاً فيها مباع وان كانت لغة ضعيفة فيما أحسب ·

١٣ و١٤ — حوائج ، اوامر ، مشايخ ص ٣ ·

بعد ان عدها في الخطإ كتب في الهامش احتمال الصحة في اوامر جمع آمرة وفي مشايخ بالياء جمع مشيخة وان حوائج ورد استعمالها قديماً ولكنه شاذ نادر كما شذ ضرائر وشدائد .

اما مشايخ فان كان المنع لاستعمالهم لها (او إياها على رأي الاستاذ) بالهمزة فهو صحيح وان كان لنفس الصيغة كما هو ظاهر حيث جعل الصواب شيوخ . ولم يذكر مشايخ ، فهو محل كلام لان الائمة نصوا على صحتها في المصباح والمشيخة اسم جمع للشيخ وجمعها مشايخ . وفي الاساس هم شيوخ ... ومشايخ . وفي القاموس كانت مشايخ الصيغة الحادية عشرة لجمع شيخ .

واما الحوايج فان أراد الشذوذ في القياس دون الاستعمال كما هو الظاهر من تمثيله بالضرائر والشدائد فلا وجه لجعله خطأً لان الكلمة التي استعملها العرب لا تعد خطأً وان شذت عن القياس وان أراد بالشذوذ الشذوذ حتى في الاستعمال فذلك اول الكلام فقد ورد في الحديث « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان » وفي شعر الاعشى :

الناس حول قبابه اهل الحوائج والمسائل

ثم ان كان حكى عن الاصمعي انكارها فقد قال ابو حاتم السجستاني ان الاصمعي رجع عن ذلك . وفي المصباح جمعها حاج وحاجات وحوائج . وفي القاموس مثله ثم قال او مولدة .

١٥ — مخابرة ص ٣ .

لا انكر على الاستاذ قوله فيها . ولي كلام او استفتاء في امرها .

وهو ان المخابرة وان كان شاع استعمالها في الزرع من الخَبْر وزان فَلس ولم يعرف عنهم استعمالها في الخَبَر وزان جبل مع ان القياس يقتضيها كالمبادلة من البدل — فذلك — والله اعلم حتى لا يشتبه احد المعنيين بالآخر كما خصصوا مصدر وجد في الوجدان لمعنى وفي الوجود لمعنى آخر وفي الموجدة لمعنى ثالث لئلا تشتبه معانيها وقد هجر اليوم المعنى الاول وشاع المعنى الثالث فزال المانع وهو التباس احد المعنيين بالآخر أفلا يصح ان نقبل ما شاع ونقرّه ؟ ذلك ما استفتي فيه اعلام اللغة ومجمعنا المحبوب .

١٦ — استلقيت واستعديت واستحقيت ص ٣ .

نص الأئمة على صحة ابدال الحرف الثاني من المضاعف ياءً . قال في المزهر ومن المضاعف قضيت أظفاري بمعنى قصصت والتصدية التصفيق والصوت والفعل منه صددت اصد ومنه اذا قومك منه يصدون فحول احدى الدالين ياءً ومنه قول العجاج : (تقضي البازي اذا البازي كسر)

وهو من انقضضت وكذلك تظنيت من ظننت . وقال ابن السكيت : قال ابو عبيدة العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء . ومنه قوله تعالى : « وقد خاب من دساها » وهو من دسست وقوله : « لم يتسنَّه » وهو من مسنون . وقولهم سرية من تسررت .

١٧ — صحة تقديم المؤكد المعنوي على المؤكد ص ٤ .

ورد في كلامهم إضافة المؤكد الى المؤكد فاذا مدحت رجلاً بالمضاء قلت هو المهند عينه وان شئت قلت هو عين المهند ومن ذلك قول بنت ذي الاصبع العدواني :

الاهل اراها ليلةً وضجيعها اشم كنصل السيف عين مهند

قال السيد المرتضى في اماليه قولها عين مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشيء نفسه انتهى . ونظيره هذا حسن جداً وهذا جد حسن .

١٨ — التنويه بخطة المجلة ص ٧ .

معنى التنويه الاظهار والاشادة ففي الاساس نوهت بالحديث اشدت به وأظهرته . فالتنويه بخطة المجلة اشادة بها واظهار لها فليحمل على هذا لا على التصريح المجرد .

١٩ — تأنيث بلد ص ٧ .

لم يذكر علة في منعه تأنيث بلد وقد نص صاحب المصباح على صحة التأنيث في هذا الحرف وان كان التذكير هو اللغة العالية لورودها في التنزيل .

٢٠ — دوى ص ٧ .

نعم لم يستعمل العرب دوى الثلاثية فيما أخال واستعمال العامة لها مخففة من المشددة فقد صح عنهم دوّى اي احدث دوياً . وفي القاموس دوّى الفحل تدوية سمع لهديره دوي .

٢١ — اربع مجلدات ص ٩ . لم يعلل المنع ولعله من حيث ان المجلد مذكر .

وقد قال ابن قتيبة في ادب الكاتب : ان العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى ومثّل له « كتب فلان ثلاث سجلات » ثم قال فتؤنث على اللفظ والواحد سجل ·

٢٢ — لم أزل محروماً من لقياه ص ١٠ · تقدم الكلام عليه عدد ٩ ·

٢٣ — أنهكته الشيخوخة ص ١٠ تقدم (عدد ١٢) ان أنهكته لغة صحيحة ·

٢٤ — لهم أسوة حسنة في كثير ص ١١ · علل المنع بان الابدال جائز بالايجاز لا بالاسهاب ولكن هذا التعليل قد يتخلف فقد ورد في قول الشماخ :

واترك تراث خفاف انهم هلكوا وانت حي الى رعل ومطرود

قال ابن فارس : يقول اترك تراث خفاف لرعل ومطرود فوضع الى موضع اللام على ان أسوة تعدت بفي على الكلام الفصيح ففي التنزيل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (وفيه) « قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم » ·

٢٥ — برهة ص ١٤ · علل المنع بانها للمدة الطويلة ، مع انها ترد للأعم · ففي القاموس البرهة المدة الطويلة (او الاعم) · وفي المصباح برهة من الزمان بضم الباء وفتحها اي مدة ولم يقيدها بطول ولا قِصَر وعلى هذا فاطلاقهـا على المدة القصيرة ليس بخطإ ·

٢٦ — صعدت بنـا صعود الماعز ص ١٥ · الماعز للفرد المـذكر من المعزى ويتم التشبيه مع ارادة المفرد في هذا الكلام فلا يكون خطأ ·

٢٧ — وكل هذه الخطب قاصرة ص ١٥ · لاأرى بأساً من جعل الخطبة فاعلة القصر كما يكون الحديث فاعل القصر في قولك قصر الحديث وكما كانت المسافة فاعلة القصر في قول البحتري :

قصرت مسافته على متزود منه لدهر صبابة وعويل

٢٨ — لايجب ان يضل الانسان ص١٥ · المنع على اطلاقه محل تفصيل فان كان مراد القائل عدم الوجوب صح القول وان كان مراده وجوب العدم لم يكن صحيحاً ·

٢٩ — تناول طعام الغداء ص١٥ · هو من باب اضـافة الشيء الى نفسه وقد عقد ابن فارس في كتابه فقه اللغة باباً لاضافة الشيء الى نفسه ونعته ومثّل له بقول النمر (وزرع ثابت وكروم جفن) والجفن هو الكرم · وبقولهم بارحة الاولى ويوم

الخميس . وفي القرآن : « ولدار الآخرة ، وحق اليقين » .

ثم ان ابن مالك في ألفيته منع الاضافة الى المرادف فقال :

ولا يضاف اسم لما به اتحد   معنى واول موهماً اذا ورد

وهو غير ما نحن فيه ولكن ولده الشارح قال ما نصه : وان اُوهم الاضافة الى المرادف يؤول باضافة المسمى الى الاسم ، فاذا قلت جاء سعيد كرز فكأنك قلت جاء مسمى هذا اللقب وكذا نحو يوم الخميس وذات اليمين . وموهم اضافة الصفة الى الموصوف يؤول بحذف المضاف اليه واقامة صفته مقامه فاذا قلت حبة الحمقاء وصلاة الاولى ومسجد الجامع فكأنك قلت حبة البقلة الحمقاء وصلاة الساعة الاولى ومسجد اليوم او المكان الجامع وعلى هذا أفلا يجوز ان يقال في مثل قولنا طعام الغداء طعام الوقت المسمى بالغداء او الطعام المسمى بالغداء ؟ .

٣٠ — الراتب ص ١٦ . الراتب اسم فاعل من رتب رتوباً من باب قعد بمعنى استقر ودام فهو راتب كما في المصباح والاساس وفي القاموس رتب رتوباً ثبت ولم يتحرك كترتب ورتبته انا ترتيباً وتسمى الصلاة النافلة المرتبة الفرائض اليومية (الرواتب) لاستقرارها مع الفريضة على حال واحدة . واستعمال الراتب لما يفرضه السلطان لاصحاب الوظائف لانه استقر وثبت او يكون مما أتى بلفظ فاعل على معنى مفعول من حيث ان السلطان أقره ، ومجيء فاعل بمعنى مفعول والمعنى واحد معروف في كلامهم كقولهم منزل آهل ومأهول ومكان عامر ومعمور وقد عقد له ابن فارس باباً في كتابه فقه اللغة .

٣١ — التمتع برؤياك ص ١٧ و ٤٠ علله بان الرؤيا مختصة بالحلم .

والذي علله به هو المشهور المعروف وهناك أقوال معروفة بان الرؤيا والرؤية لمعنى واحد فيكون يقظة ومناماً وعلى هذا خرجوا قول ابي الطيب المتنبي :

(ورؤياك احلى في الجفون من الغمض)

ونقل عن بعض الائمة ان الرؤيا وان كانت في المنام الا ان العرب استعملتها في اليقظة كثيراً فهو مجاز مشهور .

٣٢ — بانواع الرفاهة ص ١٧ .

في صريح لفظ القاموس الرفاهة والرفاهية مخففة لمعنى واحد فلا دليل على منعها .

٣٣ — منائر ص ٣٢ . علل المنع بان الواو في منارة (لانها مشتقة من النور) اصلية . ولكن منائر كمصائب استثنيت من هذه القاعدة . قال ابن الناظم في شرح الالفية عند ذكر هذه القاعدة مانصه : الا فيما سمع فلايقاس عليه نحو مصيبة ومصائب ومنارة ومنائر .

٣٤ — اصريت على العمل ص ٣٢ . تقدم القول على صحة مثل هذا عدد ١٨ .

٣٥ — بين معاطاة راح ومداعبة ملاح ص ١٢ . تقدم صحة المعاطاة على ان في هذا المثال مجانسةً ومشاكلة يصح في مثلها الخروج في صيغ الألفاظ عن قواعدها كما جمع باب على بوبه في قول الشاعر : (هتاك أخبية ولاج ابوبة)
وكما جرت مأزورات على شاكلة مأجورات في الحديث الشريف : ارجعن مأزورات غير مأجورات .

٣٦ — أوقف ص ٢٢ . قال في المصباح ان أوقف بالالف من قولك اوقفت الدار والدابة لغة تميم وانكرها الاصمعي . وحكى بعضهم ان ما يمسك باليد يقال فيه اوقفته بالالف وما لا يمسك باليد يقال فيه وقفته بغير الالف والفصيح وقفت بغير الف في جميع الباب انتهى . وفي القاموس وقفته انا وقفاً فعلت به ما وقف كوقفته واوقفته وعلى الجملة فالتجريد من الهمزة أفصح واولى .

٣٧ — اوباش ص ٢٢ . في القاموس وَبَش بالتحريك واحد الاوباش الاخلاط والسفلة وفي الاساس او باش الجُند اخلاطه ورذاله ، فاستعمالها اذاً صحيح .

٣٨ — الاعدام ص ٢٦ . مصدر اعدم والاسم العدم بالضم او بالتحريك ومعناه الفقدان . قال في القاموس وغلب على فقدان المال . واعدمه الشيء أفقده إياه وكما غلب قديماً على فقدان المال غلب حديثاً على فقدان الحياة وليس في ذلك خروج عن سنن اللغة لانه تغليب مجاز على مجاز ولا في ذلك ماينافي التوقيف في اللغة لان التوقيف في المجاز انما هو في نوع العلاقة وهي هنا استعمال المطلق في المقيد وهذا النوع من العلاقة ثابت عنهم بلا خلاف .

ثم ان من الالفاظ مالايستحب التلفظ به فيعدل عن التصريح به الى غيره فلايقول المؤبن مثلاً هذا الميت بل يقول هذا الفقيد او هذا الراحل استكراهاً لذكر الموت

وهنا لما كان الحكم بالموت مستكرهاً عدل عنه الى غيره فقيل الحكم بالاعدام وقصدوا به اعدام الحياة فاستعمل المطلق في المقيد ·

٣٩ — ارياح ص ٢٩ · انكر الحريري هذا الجمع وحكى ابن بري انه لم يقل به غير اللحياني ولكن ابا حنيفة الدينوري وهو امام اللغة الثبت قال به · وقال ابن هشام في شرح (بانت سعاد) ان من العرب من يقول ارياح كراهية الاشتباه بجمع روح كما قالوا أعياد جمع عيد كراهية الاشتباه بجمع عود ·

وقال الجوهري الريح واحدة الرياح والأرياح وقد يجمع على أرواح فأتى بالتقليل في أرواح · ونص ابن الاثير في النهاية على صحة هذا الجمع ·

٤٠ — خطاب ممتع ص ٣٤ · قال يعني مفيد متين الخ الخ ·

ممتع على وزن مكرم من أمتعني الله بك اي نفعني وورد في كلامهم ماتع اي جيد وفي القاموس متع بالفتح والضم جاد وظرف وفي الاساس هذا الشيء ماتع بالغ في الجودة فممتع على هذا بمعنى نافع جيد ظريف · او يكون ممتع بالتشديد من متعني الله بك اي نفعني وتمتعت بكذا انتفعت به ومنه التمتع بالعمرة اذ يحل للحاج بعد الفراغ من اعمالها ماحرم عليه · وفي القاموس ومنه المتاع وهو المنفعة والسلعة والأداة وما تمتعت به من الحوائج (هنا جمع حاجة على حوائج) فممتع هنا بمعنى مفيد فيصح على هذا خطاب ممتع وممتع بالتخفيف والتشديد ولا يكون معناه محصراً بالطويل كما قال الاستاذ ·

٤١ — تسيمك ذلاً عيسه ومهارة ص ٤٠ · تسيمك من أسام بالهمزة فمضارعه تسيم بضم تاء المضارعة سواءً كان واوياً او يائياً كيجير و يخيف من الجور والخوف ·

وتعليل الاستاذ للمنع بانه من سام الوادي مشعر بتوهمه ان الشاعر أراد تسومك بفتح حرف المضارعة من سام المجردة وليس الامر كذلك · اما ان سام واردة مزيداً فيها فلا إخال الاستاذ ينكره وكتب اللغة تشهد به واذكر ان الاستاذ العالم الشيخ سليمان ظاهر كتب عن هذا الحرف رداً على الاستاذ المنذر في مجلة العرفان الغراء ·

٤٢ — كأنه ليس من احدى الجهات ص ٤١ · خطأ الاستاذ المنذر زيادة من بعد ليس مع ان مثلها وارد كثيراً ومن ذلك البيت المعروف من أبيات الشواهد :

أيها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني

وفي الحديث الشريف : ليس من البر الصيام في السفر . ولا غرابة في زيادتها بين ليس ومعمولها . قال ابن فارس : تزاد من للصلة نحو قوله تعالى : ونكفر عنهم من سيئاتهم . وتكون للتعجب نحو ما أنت من رجل . وفي كل هذا وقعت (من) بين العامل والمعمول .

٤٣ — يا ماليءُ الفضاء الرحيبا ص ٤٢ . استبعد الاستاذ القطع على المفعولية في هذا الشطر وقد قال ابن مالك في الفيته :

واقطع او اتبع ان يكن معينا بدونهـا او بعضاً اقطع معلنـا
وارفع او انصب ماقطعت مضمرا مبتدءاً او ناصباً لن يظهرا

فأنت ترى ان شرط ابن مالك في القطع محقق لان الفضاء معين بغير الوصف فصح فيه القطع والاتباع ولم يقيد ابن مالك ولا ولده الشارح الجواز بغير هذا .

٤٤ — حرر سطراً ص ٤٤ . جعل معنى حرره قومه وقال ان هذا ليس منه الا اذا خرج على المجاز وهو بعيد (انتهى) مع ان حرره بمعنى قومه مجاز ايضاً قال في الاساس ان حرر الكتاب حسّنه وخلّصه باقامة حروفه واصلاح سقطه وليس ببعيد ارادة هذا المعنى من قوله (حرر سطراً) كما هو ظاهر .

٤٥ — تسري القوة في الأسلاك ص ٥٣ . مسر بان القوة في الاسلاك خفي كالسرى في الليل و بهذا الاعتبار صح التعبير به عنه وله نظائر .

٤٦ — طلب امراً فلم يعط له ص ٥٣ . هذه اللام يسمونها لام التمليك كاللام في وهب له على ان اعطى بمعني وهب فلنجر مجراها والاستاذ يصرح بلزوم اللام للمفعول الاول من وهب .

٤٧ — جاء من مدينة بيروت ص ٥٥ . تقدم ان إضافة الشيء الى نفسه صحيحة على التأويل وهذا من إضافة المسمى الى الاسم مثل طعام الغداء ويوم الجمعة .

٤٨ — ميزة ص ٣٤ . لم يعلل المنع . والميز بالفتح مصدر ماز يميز من باب ضرب والميزة واحدته ومعناها التفضيل والامتياز الذي اختاره الاستاذ مكانها افتعال من الميز .

٤٩ — بين قلبي و بين جفونها حرب البسوس ص ٣٧ و ٣٩ .

تبع الاستاذ في منعه هذا الحريري في درة الغواص وانكره ابن بري فقال :

اعادة بين في نحو المال بين زيد وعمرو جائزة على جهة التأكيد وهو كثير في كلام العرب قال الاعشى :

(بين الاشج وبين قيس باذخ)

وقال عدي بن يزيد :

(بين النهار وبين الليل قد فصلا)

فعلى هذا هي واردة في كلامهم ولها وجه فلا تكون خطأ .

٥٠ — لم يعد يطيق . عاد تستعمل في غير معناها قال ابن فارس في باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم مانصه : يقولون عاد فلان شيخاً وهو لم يكن شيخاً قط وعاد الماء آجناً وهو لم يكن آجناً فيعود و يقول الهذلي :

(قد عاد رهباً [1] رذياً [2] طائش القدم)

ويقول غيره : قطعت الدهر في الشهوات حتى أعادني عسيفاً عبد عبد

وقال جل ثناؤه : « حتى عاد كالعرجون القديم » وهو لم يكن عرجوناً فيعود انتهى كلامه . وكأن عاد هنا جاءت بمعنى صار فعلى هذا يصح ان يراد من هذا المثال لم يصر مطيقاً للصبر او لم يبق مطيقاً للصبر او نحو ذلك .

٥١ — تخر له الجبابر ساجدينا ص ٣٦ . هـذا هو المحفوظ من معلقة عمرو بن كلثوم وهو ممن يحتج بكلامهم فلا معنى لتخطئته ويمكن تخريجه بان الجبابر جمع تكسير يراد منه معنى الجماعة فيؤنث العامل او معنى الجمع فيذكر . وهنا أنث العامل على معنى الجماعة ثم وصفه بجمع المذكر على معنى الجمع فراعى في كل واحدة حالاً من حاليه .

٥٢ — جمع سهم على أسهم وسهام ص٣٥ . إطلاق السهم على النصيب من المجاز نص عليه في الاساس وجمعه على سهام كجمعه على أسهم معروف . قال في المصباح السهم النصيب والجمع أسهم وسهام وسهمان بالضم . واما السهم واحد النبال فجمعه عليها معروف قال في الاساس معه قوس واسهم وسهام .

٥٣ — فرب مصفد منهم وكانت ص ٣٥ . علل المنع بان مجرور رب مرفوع

(١) مهزولاً . (٢) ضعيفاً .

محلاً على الابتداء ومنهم صفة له فيجب حذف الواو لتكون جملة كان خبراً ·

ليس مجرور رب هنـا مرفوع المحل بل هو منصوب المحل مفعولاً لفعل مقـدر تقديره عرفت وتقوت هذه التعدية بواسطة رب ·

قال الشيخ بدر الدين ابن النـاظم وتجري رب مع افادتهـا التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية في دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصديرها ونعت مجرورها ومضي معداها وهو مابعد النعت من فعل مفرغ ظاهر كرب رجل كريم عرفت او مقدر كرب رجل لقيته اي عرفت انتهى · ومجرور رب هنا منعوت ومعداها ماض واقع بعد النعت تقديراً ويكون التقدير رب رجل مصفد منهم عرفت وجملة كانت حالية · ·

« حول الاستيضاح »

(١) مان يمون موناً · لا أرى ان دل او كفل ترادفان مان في معناها وهي كلمة خفيفة جارية على سنن اللغة فلا بأس في ان يقرها المجمع ·

(٢) برنامج · هي غريبة عن اللغة من أصلها ثم عربت بابدال الهاء في آخرها جيماً وأصبح رفعها من الاستعمال صعباً بعد ان مضى عليها قرون متطاولة وذكرتها معاجم اللغة فلا بأس بان نبقي عليها · وأرى ان كلمة بيان ربما وفت بالدلالة على معناها وان كانت أعم في المعنى ·

(٣) ساذج · هذه كذلك عربت وشاع استعمالها قروناً فأصبحت مألوفة ·

(٤) الراتب · صحيح كالمرتب وقد تقدم عدد ٢٢ والجعل والجعالة لا يؤديان تمام المراد ·

(٥) خَوَنة · قال في القاموس خائن وخؤون وخوّان والجمع خانة وخَوَنة وخُوّان وفي الاساس هو خَوّان وقوم خَوَنة وجمع فاعل على فَعَلة غير منكر كعامل وعملة وفاسق وفسقة ·

(٦) الشقي · الشقي ضد السعيد وفي المصباح شقي ضد سعد فهو شقي · وفي القاموس الشقاء الشدة والعسر · وفي الاساس (في المجاز) الشقاء الجهد والتعب ·

فعلى هذا يصح وصف قطاع الطرق والاشرار بها (وقد شاع هذا الوصف فيهم حتى أصبح كالحقيقة العرفية) فان قاطع الطريق بعيد عن السعادة الدنيوية والاخروية

واي عيش أشق من عيشهم فالناس يمقتونهم والسلطات يطاردهم ولهم في الآخرة عذاب السعير ٠

(٧) تلبس بالجريمة ٠ صحيح فيما أرى ففي الاساس تلبس بلباس حسن ٠ وفي القاموس تلبس بالامر و بالثوب والتلبس بالجريمة كالتلبس بالامر مجاز ٠

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

بنى امة

قرأت في المقتبس الصادر يوم ١٦ كانون الاول الفائت جملة فلسفية بديعة للدكتور غوستاف لوبون فيها ان « الخلق لاالعقل هوالذي تقوم عليه الجمعيات وتبنى الممالك » ٠

وقرأت ايضاً في الجزء الاول من محاضرات هذا المجمع الزاهي كلاماً جميلاً لحضرة الاستاذ انيس سلوم يفند به « زعم فريق كبير من الناس — وخصوصاً في هذه السنين الأخيرة — ان المال هو الغاية التي يجب على الانسان ان يسعى لهـا لانه يغني عن كل شيء ٠ قال : وهذا الزعم ضلال مبين وأقوال بعض الشعراء بهـذا المعنى مخرفة وتضليل اهـ ٠

أقولـ بل هو امرّ وأدهى ٠ هو سمّ زعاف اذا ما سرى في جسم الامة قتـل الشجاعة والاباء والشمم ٠ وقضى على حب الوطن وعلى حب التضحيـة لاجله ٠ واعدم الصدق والامانة والثقة ٠ واهلك اسباب التضـامن والتعاون والاتحاد وما الى ذلك من الأخلاق والفضائل والمبادئ التي عليها تقوم الجمعيات والشركات والحكومات التي عليها تبنى الامم و بها تتقوى الممالك ٠

وعلماء الاجتماع من الغربيين انفسهم يضعون المال في المرتبة الرابعة والأخيرة بين القوى التي تبنى عليها الممالك وتقوم المشاريع والمؤسسات والشركات والجمعيات ٠ فالأخلاق عندهم في المرتبة الاولى ٠ والعلوم في المرتبة الثانية ٠ والعبقرية في المرتبة

واي عيش أشقى من عيشهم فالناس يمقتونهم والسلطات يطاردهم ولهم في الآخرة عذاب السعير ٠

(٧) تلبس بالجريمة ٠ صحيح فيما أرى فني الاساس تلبس بلباس حسن ٠ وفي القاموس تلبس بالامر و بالثوب والتلبس بالجريمة كالتلبس بالامر مجاز ٠

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

بنى امة

قرأت في المقتبس الصادر يوم ١٦ كانون الاول الفائت جملة فلسفية بديعة للدكتور غوستاف لوبون فيها ان « الخلق لاالعقل هوالذي تقوم عليه الجمعيات وتبنى الممالك) ٠

وقرأت ايضاً في الجزء الاول من محاضرات هذا المجمع الزاهي كلاماً جميلاً لحضرة الاستاذ انيس سلوم يفند به « زعم فريق كبير من الناس — وخصوصاً في هذه السنين الأخيرة — ان المال هو الغاية التي يجب على الانسان ان يسعى لها لانه يغني عن كل شيء ٠ قال : وهذا الزعم ضلال مبين وأقوال بعض الشعراء بهذا المعنى مخرفة وتضليل اه ٠

أقول بل هو امرّ وأدهى ٠ هو سمٌ زعاف اذا ما سرى في جسم الامة قتل الشجاعة والاباء والشمم ٠ وقضى على حب الوطن وعلى حب التضحية لاجله ٠ واعدم الصدق والامانة والثقة ٠ واهلك اسباب التضامن والتعاون والاتحاد وما الى ذلك من الأخلاق والفضائل والمبادئ التي عليها تقوم الجمعيات والشركات والحكومات ٠ التي عليها تبنى الامم و بها تتقوى الممالك ٠

وعلماء الاجتماع من الغربيين انفسهم يضعون المال في المرتبة الرابعة والأخيرة بين القوى التي تبنى عليها الممالك وتقوم المشاريع والمؤسسات والشركات والجمعيات ٠ فالأخلاق عندهم في المرتبة الاولى ٠ والعلوم في المرتبة الثانية ٠ والعبقرية في المرتبة

الثالثة . وآخر الكل المال . لانه خادم لا سيد . واسطة لا غاية .

ومما يؤسف له ان جلّ المؤلفين وحملة الأقلام بيننا شرعوا يكتبون داعين الى الماديات والى حصر اهتمام الشرقيين بها بحجة ان التقوية الاقتصادية لازمة لتقوية الشرق إزاء الغرب .

ولا أراني مخطئاً اذا ما قلت ان اولئك الكتّاب الأفاضل انما ينشرون هذه الدعوة لغرض شريف هو وجوب التدرع بالماديات اتقاء لخطر الوقوع في براثن الغرب المتحفز للوثوب والافتراس . اعتقاداً منهم بان هذا الغرب لم يتوفق الا بالماديات وان الماديات وحدها هي سبب عظمته وسر تفوقه .

هذا وهمٌ أحاول الآن ازالته حباً بخيرنا البعيد ونفعنا الآجل . ونحن الآن في طور تكوين قومي شارعون في بناء أمة ذات كيانٍ معلوم .

فالاسس التي شيد الغرب عليها عُمُد مجده وسؤدده انما هي المعنويات اولاً . هي الأخلاق المتينة التي تحلى بها مصلحوه وزعماؤه وقادة الرأي العام عنده . هي المبادئ القويمة التي اتصفت بها رجالاته المتسلمون مقدراته . هي التربية السياسية القومية والوطنية والاجتماعية التي عمت شعوبه فجعلتهم متضامنين متحدين متعاونين — يتبادلون الثقة ويضحون بطيبة خاطر كل شيء لاجل المصلحة المشتركة والنفع العام على قاعدة الواحد للكل والكل للواحد .

كذلك ارجو الا يتوهمن احد من اخواني الشرقيين بان اهل الغرب كلهم من الماديين والنفعيين . فلقد قرأت كثيراً لعدد كبير من كبار كتّابنا وخطبائنا بشأن الاستقلال الاقتصادي وما يتعلق به مما يحمل على الظن بان اخواني الشرقيين اجمعين يزعمون شيوع المادية والنفعية في اوربا واميركا . وتضاؤل المعنويات والمبادئ والفضائل أمامها .

فأولئك الأفاضل من الكتّاب معذورون لانهم لم يسكنوا في اوربا واميركا فيعرفوا عقلية الغربيين وحقيقة نفسانيتهم : والحكم على أمة باجمعها لا يتيسر الا لمن يدرس عقلية تلك الامة (بسيكولوجيتها) . لذلك ترى الدول الكبيرة ترسل عشرات من رجالها الممتازين الى كثير من البلدان حيث يصرفون السنين الطوال تارةً

(بمأمورية) ظاهرية وطوراً بلاوظيفة بل لاجل مسا كنة القوم ومعاشرتهم ومعاملتهم ومخالطتهم والاحتكاك بهم مدة طويلة لدرس عقليتهم التي عليها يبنون حكمهم في تقاريرهم الرسمية وعلى هذه التقارير المعوّل في الشؤون الخطيرة ٠

فالذي أتيح له منا المكث في بلاد الغرب وعاشر الطبقة الراقيـة والمتعلمة والمتهذبة من أقوامه زمناً طويلاً يعرف بالخُبر — لا بالخبَر — ان الدماغ المفكر في أمم الغرب والعصب المحرك و (الفقرة الظهرية) هم من غير رجال المال ٠ هم من رجال المبادئ والوطنية والادارة والزعامة المبنية على الأخلاق والكفاءة المعنوية ٠ هم من أصحاب المهن الحرة من علماء وأطباء ومحامين وصحافيين ومؤلفين وممثلين وواعظين ومزارعين ٠ هؤلاء هم روح الامة ٠ هؤلاء هم (ڤيتامينها) ٠ وما المتمولون سوى العظم والعضل ٠ لا القلب ولا الدماغ ولا النفس ٠

نعم انهم في الغرب يكدون و يكدحون و يجدون و يجتهدون و يشتغلون ٠ يشتغلون اكثر منا بكثير و يكدون باهتمام قلما تراه بيننا ٠ ولطالما كنت ارى رجالاً من كبار اطبائهم واغنيائهم واصحاب المعامل والمزارع يشتغلون من ١٢—١٤ ساعة يومياً ٠ ولكنهم انما يعملون حباً للعمل لاحباً بالمال ٠ فحب العمل لاحشد الثروة فضيلة عندهم ٠ والثروة اذا أتت فأهلاً بها وسهلاً ٠ واذا لم يتوفقوا اليهـا فلا هم يحزنون ٠ ولا هم ينوحون ٠ ولا هم يولولون ٠ ولا هم يذأُون ٠ بل على العمل يثابرون وعلى البشاشة والارتياح والشمم وعزة النفس يظلون ٠

أو ليس هـذا خلق عربي أصيل ؟ أنسينا قول علي بن ابي طالب يصف الرجل الرجل بانه من (لا يذل لفقر ولا يبطر لغنى) ٠

فما الذي دهانا حتى صرنا أميل الى اقتباس المضر من مظاهر المدنية الغربية ناسين ما تركه لنا السلف الصالح من أخلاق عالية هي هي الاصل في بناء الامم وقيام المؤسسات ورقي الجماعات ٠

ان الاميركيين المشهورين بانهم من أصحاب الثروات الطـائلة معروفون بانهم من رجال الأعمال اولاً وبعـد ذلك من رجال الاموال ٠ ليس ذلك فقط بل انك تسمع من على منابرهم الدينية والتمثيلية والنيابية والسياسية ٠ وتقرأ في كتبهم ومجلاتهم

الراقية خلاف ما هو شائع عنهم وخصوصاً في الشرق من جراء نفر قليل من أصحاب الملايين منهم أبطرتهم تلك الملايين . فالعبرة بالاكثرية الغالبة وليس باقلية تراها دائماً وابداً هدفاً لسهام الناقدين من رجال العلم والأدب والدين . ومعرضة لغضب الادار بين والمصلحين والاشتراكيين وسواهم من رجال الطبقة المتوسطة التي هي عماد الامة والتي منها يخرج الزعماء الذين يرشدون الامة الى أسباب عزها ومجدها .

وها خطب روزفلت وماكنلي و برايان وولسون وغيرهم من أعلام الامة الاميركانية على تباين نزعاتهم السياسية تؤيد بجملتها ما انا بصدده الآن . والرئيس ولسون الذي اشتهر بالحرب الكونية كان من جملة الذين رفضوا هبات بعض المثرين المشبوه بهم وبنوع ثروتهم يوم كان رئيساً لاحدى الكليات العاليـة . لانه والأسفاه عليه مثل الوف غيره من قادة الرأي العام يقدس المعنى لا المادة . و يعلّم الشعب ان العظمة الحقيقية هي في الفضائل الفردية والقومية . هي في مكارم الأخلاق . هي في المبادئ القويمة الشريفة . هي في الوطنية الصادقة . في التضامن القومي . في التعاون والاتحاد وتبادل الاخلاص والثقة والأمانة .

ان اولئك الأعلام من واشنطون الى ابراهام لنكولن الى غلادستون الى ولسون وأمثالهم يعلمون بان الحياة الطيبة التي (تستحق ان نعيش لاجلها) هي في الحرية والاستقلال . وان الاستقلال هو حيـاة الامة . وان الامة لا تقوم بلا أخلاق . فعلى الأخلاق اولاً تقوم الامم . و بالأخلاق فقط يحفظ كيانها و يدوم استقلالها .

فالمادية الغربية ليست العامل الاعلى او السبب الاكبر في ارتقـاء بعض الامم الاوربية والاميركية كما يتراءى الى الذين يأخذون الامور بظواهرها والى الذين فعلت بهم الدعاية السياسية الغربية في السنين الأخيرة . والذين لم يتح لهم الوقوف بالذات وعن كثب على نفسانية الشعوب القوية في الغرب . بل ان السبب الاكبر في ارتقائها هو خلق متين اولاً تجمّل به زعماؤهم ومفكروهم والمتسلمون زمام امورهم . وخلق متين ثانياً تجمل به شعبهم المتربي على الثقـة التامة برجاله ووجوب الطاعة لهم وللنظام وللاكثرية . وخلق متين ثالثاً يتربون عليه في البيوت وفي المدارس وفي الجمعيات والنوادي والشـركات ودوائر الأعمال الاقتصادية والخيرية والسياسية

والعمومية على اختلاف أنواعها وتعدد أسمائها وتباين أغراضها ·

سمعت مرةً مستر روزفلت يخطب هنا في مدينة سان باولو وبعد ذلك بقليل سمعت خصمه السياسي مستر برايان يخطب هنا ايضاً فأعاد كلاهما تاريخ قرطاجنة وروما وبغداد والاندلس ناسباً ذهاب عزّ العرب وزوال مجد الرومان ومحو قرطاجنة من سفر الوجود الى انصراف هاتيك الأقوام الى اللهو والبذخ والانغماس باللذات ومالى ذلك من العوامل التي تهدم الأخلاق وتقوّض اركان المبادئ والفضائل ·

سمعت روزفلت يقول ان انكلترا لم تحكم الهند بقوة الجيش والاسطول والمال · بل باستعداد رجالها وصدق وطنيتهم وعلوّ تربيتهم وسموّ أخلاقهم · سمعته يقول ان الهنود لا يعوزهم المال · فملوكهم وامراؤهم مضرب المثل بما في حوزتهم من الذهب الوهاج والوفير والجواهر التي لا تثمن · وانما يعوزهم الروح — المعنى — المبادئ · الفضائل الفردية والقومية التي أحاول تعزيزها في هذا المقال ·

وان انس فلن انسى خطاباً لمستر ماكنلي رئيس الامة الاميركانيـة يوم الحرب الاسبانية عام ١٨٩٨ القاه في مدينـة سانت لويس حيث كنت أطلب العلم في جامعتها فقال :

نعم اننا قد انتصرنا على الاسبانيين في كوبا والفيلبين ولكننا لم نفز بالاسطول بل بالرجال الذين قادوا الاسطول · لم تصل الامة الاميركية الى هذا العز والمجد بجيشها النظامي ولا بما في خزائنها من المال · بل بما في صدور رجالها ونسائها من المحبة للوطن والاستعداد لتضحية كل شيء في سبيله » ·

ولعمري ما نفع اسطول او جيش او خزانة ملأى بملايين من الذهب او دولة كبيرة يقودها رجال لا خلاق لهم ولا وجدان ·

وانما الامم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ما الفائدة من الذهب والالماس على امير هندي مثلاً يشعر من نفسه بانه صغير أمام أصغر متوظف انكليزي في بلاده · ما الفائدة من هاتيك المهاراجات بل تلك التماثيل الذهبية المتحركة التي وهي على أفيالها يحلي الانكليز بها حفلاتهم ويزينون مواكبهم ·

كان دوق ولنغتون بطل معركة واترلو حاكماً عاماً على الهند قبل ان استدعتـه

حكومته لمحاربة نابوليون بونابارت فأتى اليه مرةً احد أمراء الهند وعرض عليه أموالاً طائلة وجواهر نفيسة لكي يعزل اخاه من إمارة احدى المقاطعات ويعينه مكانه . أصغى الدوق الى كلام الامير صاحب المال الوفير والجاه العريض . ولم يكن ذلك الكلام سوى اغتياب ووشاية ونميمة وحسد وما أشبه من تلك (المبادئ) ... فلما انتهى الامير نهض الدوق وفتح الباب وقال له غاضباً :

أتحفظ السر ؟ نعم يامولاي . إذاً إياك إياك ان تدع احداً يعرف بانك تجاسرتَ وعرضتَ عليَّ لترشوني وتشتري ضميري . وانا اعدك مقابل ذلك بكتمان الامر عن اخيك وسواه طالما انا في هذه البلاد . اذهب ولا تعد الى مثل هذه الصغائر .

امراء ووجهاء وزعماء واغنياء يكذبون ويحسدون ويكيدون و ينمون ويغتابون — ويستعملون أحط الوسائل ويتوسلون بشرّ الأساليب للنيل من الغير او لنيل مجد باطل او زعامة وهمية او سلطة زائفة . ولكنهم أمام رجل فقير بمادياته غني بادبياته كالدوق ولنغتون يهانون ويحتقرون ويطردون و يشعرون بانهم صغار .

ان هذا الدوق مات فقيراً . ولكن اسمه منقوش بالذهب على صفحات التاريخ .

وعلى الضدّ من هذا يحضرني الآن حادث تاريخي آخر له اثره في تاريخنا الشرقي . خرج محمد باشا البلطجي ظافراً على بطرس الاكبر في معركة نهر البروث المشهورة في التاريخ العثماني . ولكن جواهر الامبراطورة كاترين الاولى التي رافقت زوجها في الحرب بهرت بصر البلطجي : القوي بجيوشه المظفرة فعلاً يومئذ — والضعيف باخلاقه وبوطنيته فارتدّ ذلك القائد الخائن عن ساحة القتال من دون ان يجني ثمرة انتصاره . ليس ذلك فقط بل انه جعل الدولة تعتقد ان جيشها هو الخاسر المهزوم وعلى ذلك الاعتقاد الفاسد عقدت صلحاً مجحفاً مع بطرس الاكبر .

فلا عجب اذاً باهتمام الدول والحكومات والوزراء والقواد (بحالة الجيش المعنوية) في اثناء الحروب .

فرجال الامة المسؤولون يوجهون همهم عند الشدائد الى أدبيات الامة والى معنويات القوات المحاربة قبل كل شيء وبعد ذلك يهتمون بالمؤن والذخائر والاسلحة

والأساطيل وما أشبه . فما هذه سوى الخدم او ما يقوم مقام الخدم من وسائط الاسعاف . ولكن العبرة اولاً في التضامن القومي . في محبة الوطن ومحبة تضحية النفس والنفيس لاجله . في الشجاعة . في عمل الواجب . في طاعة النظام . في احترام رأي الجماعة . في إهمال النفع الخاص إزاء الاهتمام الكلي بالنفع العام — الى غير ذلك من الفضائل الشخصية والعمومية التي عليها يتوقف النصر وسلامة حياة الدولة وليس فقط على أموالها وجيوشها وأساطيلها .

***

بيد انني في هذا المقام لا أجد بداً من القول بان المال قوة . بل هو قوة هائلة ايضاً . والحصول على هذه القوة بالطرق المشروعة مما يأمر به العلم و ينص عليه الدين . فالدين لا يقول بان المال هو الحرام كما ربما فهم بعض المتقشفين وخصوصاً في الشرق . بل يقول ان عبادة المال هي الحرام . والعلم يأمر بالعمل لكي نحصل على حاجيات المعيشة وان أمكن فعلى كمالياتها . وكلا الدين والعلم يقول بان الكسل حرام والبطالة عيب . كلاهما يعلّم بان العمل شريف مهما كان نوعه . وان العار كل العار هو في الحاجة الى الغير . في (ذل السؤال) كما قال فيلسوف العرب علي بن ابي طالب .

وفلاسفة الاجتماع والدين من زمن ارسطو . الى زمن بولس . الى هذه الايام يعلّمون بان الحاجة والاستقلال ضدان لا يجتمعان . و بان العوز عدو لدود لكرامة النفس . و بان الاستقلال وكرامة النفس لا يحفظان بلا عمل منتج .

المديون مستعبد للدائن . والسائل صغير أمام المسؤول . والمحتاج الى الغير دائماً وابداً لا يشعر بلذة الحرية والاستقلال لا في بيته ولا في عمله ولا في وطنه . وبولس النابغة الشرقي الخالد الذكر تعاطى صناعة الخيام احتفاظاً بكرامته و باستقلاله الفردي وحريته الشخصية . وما يصح على الفرد يصح على الامة لانها مجموعة أفراد .

انما الذي يحرمه الدين والعلم والعرف هو تسخير الضمير . وقتل العاطفة . واماتة الحنان والوفاء . وتمزيق الروية الوطنية لإرضاء الآله الاصفر الوهاج . كلاهما يلعن عابد المال وكلاهما يقول ان غنى النفس غنى الذاتية القائم على الاخلاق والفضائل والمبادئ — هو الغنى الحقيقي الثابت .

بين فقراء اليوم عدد كبير كانوا من اغنياء الامس . وبين صعاليك اليوم عدد كبير من وجهاء الامس . لا لسبب سوي ان ثروتهم ووجاهتهم لم تؤسس على صخرة الخلق المتين . ولكن الاغنياء بمعنوياتهم . والزعماء بفضائلهم وكفايتهم وحسن استعدادهم . والوجهاء باخلاقهم العالية . والكبار بنفوسهم هم هم في حالتي اليسر والعسر كعبة القصاد وقبلة الاكرام والاحترام اينما حلوا ومهما احترفوا .

قل بين الادباء من لم يطالع رواية شكسبير المدعوة (تاجر البندقية) . حبذا لو كانت لي بلاغة ذلك الشاعر النابغة لكي أصف كيف ان (شايلوك) بطل الرواية — وهو مراب يهودي — عندما فاجأه نسيبه طوبال بنبإ هرب ابنته الوحيدة ليلاً مع عشيق لها هو خصم لوالدها ومن غير ملتــه ومهنته بادره ذلك المرابي على الفور بذعر ورعب ولهف : وهل اخذت معها صندوقة المال والجواهر ؟

لم يكترث ذلك الغني بامر ابنتــه فلذة كبده وهي وحيدته . لم يهتم للكرامة وللناموس وللسمعة او لمثل هذه الكلمات التي لم توجد في قاموسه . ولكنه حصر اهتمامه بربه ومعبوده المال .

عن مثل هذا ينهانا الدين والعلم والعرف والأدب . وليس عن السعي بشرف للحصول على المال . فهو قوة كبيرة كما أسلفت فقلت ولكنه في المرتبة الرابعة لا في المرتبة الاولى بين القوى التي تبنى عليها الممالك وتقوم المشاريع .

ليس ذلك فقط بل ان المال اذا لم يكن مصحوباً بخلق سام وضمير حي وتهذيب عال وتربية قويمة فهو مصيبة على صاحبه ولعنة على المجموع — وكذا العلم فانه بلا أخلاق لعنة — واصل الآية لأناطول فرانس (العلم بلا ضمير لعنة) ولطالما ردد غلادستون هذه العبارة : « انني أعجب بالرجل الذكي العالم ولكنني أحترم الرجل الأمين الصادق » وجورج هربرت العلامة الاجتماعي الكبير كانت آيته الذهبية « حفنة من الخلق ولا غرارة من العلم » . وطولستوي كتب : « ان الذكاء ابن العقل . اما الاخلاق فبنت القلب . وانني اثق بما يصدر عن القلب . وبلا ثقة متبادلة لا تقوم للجماعة او الامة قائمة » .

وهذا مطابق لما ذكره الفيلسوف الفرنسوي إرنست رِنان من ان الامة هي روح عامة ·

وعندي ان قول الكواكبي الفيلسوف العربي الحلبي بهذا الصدد ابلغ واجمل · فانه —والف رحمة عليه— شرح هذه القصيدة الاجتماعية بناموس رياضي مبني على اولية لا تقبل الجدل · فبعد ان اوضح لزوم التضامن لبقاء المبدإ الروحاني او الروح العامة · اي لبقاء الامة بالمعنى الدولي المصطلح عليه في علم السياسية والاجتماع قال ان التضامن وتبادل الثقة هو القوة مضاعفة على نسبة ناموس التربيع · وهذا وحده يولد الاستمرار على الاعمال الكبيرة التي لا تكفيها اعمار الافراد ·

وقد نُقل عن لسان الدكتور فان ديك ان الشرقي قوي بمفرده ضعيف بمجموعه ·

وكاتب هذه السطور يعلم بالخُبر بان الغربي لا يفوقنا بمفرده ولكنه بلا ادنى ريب متفوق علينا بمجموعه · ولماذا ؟ لان الروح العامة ليست موجودة في الشرق · ولان الثقة التي هي اساس التضامن والتعاون ضعيفة ان لم اقل انها مفقودة · وهذا بالرغم من وجود الذكاء الفطري ومن وجود العلم ومن وجود الماديات ايضاً فان هذ ليست بقليلة عندنا خلافاً لما يظن الذين لم يطلعوا على الاحصاآت الدقيقة عن عدد الأميين والمعوزين في كثير من البلدان الاوربية والاميركانية والذين يقيسون الغرب كله على عدد قليل من أممه الراقية الفنية ·

فنحن السوريين من أقوى الناس عقلاً واحدّهم ذهناً بشهادة الغربيين انفسهم · والعلم لا يعوزنا في هذه الايام لوفرة أسباب التعليم بيننا · انما يعوزنا التضامن لكي نعتاد الاشتراك في الأعمال العمومية والمشاريع الكبيرة والمنافع القومية التي لا تكفيها جهود الفرد ولو جمع أموال الدنيا وعلوم المتقدمين والمتأخرين · حتى ان أعمار الافراد لا تكفيها على ما اوضح العلامة الكواكبي ·

وهذا يفسر لنا عدم ثبات جمعياتنا وشركاتنا ومؤسساتنا العمومية والوطنية والقومية على اختلاف أغراضها وأنواعها ·

أوليست الحكومة جمعية ؟ والدولة شركة مساهمة عمومية قومية مديروها الوزراء

والثواب · وحملة اسهمها افرادالامة المتضامنين المتعاونين المتكاتفين المتحدين على قاعدة (الواحد للكل والكل للواحد) ·

لا أريد التبسط الآن في هذا الموضوع حذراً من ان يشط بي القلم فيسطر كمات من نار خارجة من قلب تشتعل به الغيرة على وطنه · بل اقول « أعقل الناس أعذرهم للناس » · وعذرنا هو ان الشرق رضخ أجيالاً طوالاً لأحكام الجور والظلم والاستبداد وهذا كاف لتفشي الخوف والرهبة وسوء الظن والحذر والانانية والجبن وخور العزائم وما الى ذلك من مثبطات الهمم وعوامل الهدم في الامم · كاف لفشل أي عمل عمومي او مشروع قومي او مؤسس وطني تلزمه مجهودات افراد واعمار افراد لم ثقة بمن يتسلمون مقدراتهم فيضعون اموالهم وارواحهم تحت مطلق تصرفهم خاضعين بطاعة عمياء لنظام الجماعة ·

وليت المصيبة تقف عند هذا الحد · ولكن الامرّ والانكى ان قد فشا بيننا ان « سوء الظن من حسن الفطن » او ان حسن الظن بالناس سذاجة بل بلاهة ·

فالطغرائي مثلاً « يوصينا » بلاميته المشهورة ان نظن شراً ··· وان نكون على وجل ··· والاّ نحسن الظن · الى ان يقول :

وشان صدقك عند الناس كذبهم   وهل يطابق معوجٌ بمعتدل
وانما رجل الدنيا واوحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل

اقول : ان الطغرائي ذكر صريحاً ما قاله العلامة (فانديك) تلويحاً عن السبب في قوة الفرد عندنا وضعف المجموع · وهو الاعتماد على الذات في الفرد وفقدان الروح العامة في المجموع · فالاعتماد على الذات من اسباب النجاح · كما ان عدم وجود المبدإ الروحاني في الامة يؤول الى ضعفها فانحلالها ·

وحبذا لو ان الطغرائي وغيره من الشعراء قالوا لنا بتبادل الثقة والاخلاص والامانة وحسن الظن وما اشبه من الفضائل التي تنشئ التضامن والروح العامة في الامة حتى تحتفظ هذه بكيانها القومي اذا كان موجوداً وحتى توجده اذا كان مفقوداً · فهذه الفضائل والمبادئ والاخلاق هي التي تبني الامم · وليس اللاّبين من البشر

والقناطير من الذهب . لا ولا الكليات والجامعات وحدها ولا طلبة العلم وحملة الاقلام والعبقر بين ورجال المنابر ومن على شاكلتهم اذا كانوا بلا اخلاق ولا ضمائر .

أرأيت سيفاً بيد شرير ؟ كيف ترجو النفع الخاص او العام ممن يستعمله . هكذا العلم بلا اخلاق انه وسيلة للشر والاذى وليس للخير والبنيان .

ولا يتوهمن احد بانني أقول بالزهد او القناعة في طلب العلوم والمعارف كما ربما يتبادر الى الذهن لاول وهلة . فانني أفتخر بانني من المولعين بالعلم ومن الذين يعتقدون بصحة القول الانكليزي ان (المعرفة قوة) .

ولكنني ايضاً من الذين يقدسون الحديث الشريف : « أهلك أمتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد » .

وصاحب هذا القول (ص) كان أمياً . ولكنه بنى أمة .

البرازيل (سان باولو) : سعيد ابو جمرة

الكلمات غير القاموسية

جواب الدكتور نقولا فياض

على اقتراح الاستاذ «المغربي»

ابداء الرأي في اللغة العربية ومستقبلها مطلب وعر: إن سلمت فيه من العثار لم أسلم من مغاضبة إخواني اعضاء المجمع الذين وقفوا حراساً على أبواب هذا الهيكل. على ان لي من حسن النية ما يشفع بجرأتي: لأني انا ايضاً من عشاق هذه اللغة. وجل مناي ان اراها ابداً عزيزة الجانب. محفوفة بالاجلال. سائرة في طريق الكمال. واذا كانت ثمت خلف بيني وبينهم فعلى الطريقة والواسطة. لا على الغاية والنهاية.

ان الذي يلفت نظر الباحث في امر اللغة العربية هو قصورها عن الوفاء بحاجات العصر، ولهذا كان هم الآخذين بها منصرفاً الى الحصول على ذريعة تزيل هذا القصور وتقضي عليه، وقد دار الجميع حول هذه النقطة فكانوا كيفما داروا لايجدون الا وسيلة واحدة للظفر بغايتهم: وهي انشاء مجمع لغوي.

وقد كنت ممن ذهبوا هذا المذهب الا انني لم احصر كل اماني في المجمع كما ترون فيما كتبته في الهلال جواباً على اقتراح السيد عبدالله آل زائد في « ماهي الوسائل التي من شأنها ترقية اللغة العربية لتضارع اللغات الحية في وفائها بحاجات العصر ».

فقد قسمت هذه الوسائل يومئذ الى قسمين:

القسم الاول ما يفعل مباشرةً وهو:
- انشاء مجمع لغوي
- اصلاح طريقة التعليم
- « « الانشاء

القسم الثاني ما يفعل بنتائجه وهو:
- التعليم الإلزامي
- الاختصاص بفروع العلم
- النشر

ولا ارى اليوم ما أزيد على هذا . وما كنت لأعود اليه لولا اقتراح صديقي القدير الاستاذ « المغربي » في الكلمات غير القاموسية فقد أثار هذا الاقتراح شجوني لاني على يقين من ان الذي دفع الاستاذ اليه هو مايراه حوله من تعنت بعض الكتاب . واهتمامهم بالقشور دون اللباب . وما هذا يبعث على الارتياح او يقوي الامل في ان أنهض اللغة العربية وتجاري أخواتها من اللغات الحية .

وقد شفى غلني ما أجاب به الأساتذة الأفاضل : (الرصافي) و (السيد احمد امين) و (الكرملي) فالحياة اليوم حياة جد وإسراع وهي لا تسمح لنا ان نقف فيها عند العرض من الألفاظ . واللغة كما لا يخفى لم تجر على لسان الانسان دفعة واحدة بل وضعت شيئاً بعد شيءٍ . على قدر احتياج اهلها في التعبير . وعلى قدر ما يسعه الاستنباط لاول مرة . ولو وقف جيل عندما وضعه السلف دون ان يزيد من عنده او يتقدم بنفسه لما عاشت اللغة . فعلام نريد اليوم ان نوقف هذا السير الى الأمام ونحسب من العار إدخال الفاظ عم استعمالها ولا ذنب لها الا كونها لم ترد في القاموس .

قل لي رعاك الله هل أساء (عمرو بن معدي كرب) الى اللغة العربية باستعماله (تبدى) بمعني (بدا) وهل أسيء اليها انا او غيري اذا مشينا على اثره ونحن نعلم ان الكثير من الغريب قد أدخل عليها يوم نقلت اليها علوم الفرس والهند واليونان . فما ضرها ذلك ولا شوه محاسنها بل بالعكس ساعدها على النمو وزادها غنى . ذلك لان جمال اللغة ليس بالالفاظ بل في تركيب الالفاظ . كما قال الرافعي وتركيب الالفاظ هو الاسلوب . والاسلوب وحده يمثل عواطف النفس ومناحي الخيال . سواء أكانت اللفظة التي نضعها لبعض المسميات او المعاني مشتقة من اللغة ام دخيلة عليها . واذا حق لعشاق العربية ان يدافعوا عنها ففي دفاعهم عن أساليبها التي اشتد الخطر عليها اليوم لكثرة ما بين ايدينا من الكتب الغريبة حتى صارت الركاكة صفة غالبة على اكثر ما نكتب .

ثم ان الذي انتهي الينا من اللغة العربية ليس لغة قوم بعينها بل مجموع لغات تداخل بعضها في بعض ودليلنا على ذلك الكلمات التي يكثر فيها القلب والابدال . فان هذه الكلمات ان هي الا لغات القبائل المختلفة فلما ذا نقف عندها ولما ذا لا نقلد من

سبقنا في اختيار الالفاظ الجزلة اللطيفة واهمال كل ما هو ثقيل على السمع ·

ولهذا أخالف كل المخالفة الاستاذ (احمد الاسكندري) وأرى في رأيه جموداً لا يليق بهذا العصر · ولا ادري ما الفرق بين كلمة استعملها (ابو نواس) فيحق ان نستأنس بها · وأخرى قالها (اليازجي) و (محمد عبده) فلا نقبل بها · ألأن ابا نواس أقدم من عبده واليازجي ؟ كلا الفريقين بعيد عن اصول اللغة وعهد نشأتها فما باله يرضى بهذا و يرغب عن ذاك ؟ ولماذا يعتبر فصيحاً ما كان في القرون الثلاثة الاولى وبعد ماتلاه عامياً ونرى ادخاله لحناً ؟ انها لغيرة فاسدة تؤذي اللغة بدلاً من ان تنفعها · وقد بحثت كثيراً وفكرت ملياً في هذه الحالة التي يصل اليها بعضهم من التعنت او الشدة في الحكم فوجدت ان السبب الاكبر هو ان الرجل يصرف عمره في درس اللغة حتى اذا ملك ناصيتها وجد نفسه غريباً بين قومه يعلم مايجهلون من امرها· فيكبر عليه ان لا ينصف الناس وان لا ينصفوه ولا يجد ما يعزيه في وحدته الا التعلق بهفوات الآخرين واظهار أغلاطهم · وهذا هو ضياع الوقت وتبديد العمر في زمن كثرت فيه مطالب الحياة · وتعددت أنواع الجهاد · الا ترى ان من بواعث الاسف ان يكون الواحد مكباً من الصبح الى المساء على قراءة كتب اللغة ودرس نحوها وصرفها بينما يكون الآخر منصرفاً الى تحصيل العلوم سعياً وراء اكتشاف او توصلاً الى اختراع يفيد به الانسانية · ويفيد نفسه · وجل ما يمكن الوصول اليه من درس اللغة هو ان يكون الانسان ممتازاً عن سواه في معرفتها والإحاطة باطرافها حتى اذا كتب غيره تصدى لانتقاده وتغليطه ·

على انك لو تأملت لوجدت ان دون اتقان هذه اللغة عقبات : فان ابرع المتضلعين فيها لا يستطيع قراءة صفحة من كتاب بدون غلط اولحن · فاذا نجا من خطإ الاعراب لم ينج من الخطإ في ضبط الالفاظ والحركات · فحسب الكاتب العربي اذاً ان يصل الى الكتابة باسلوب رشيق لانه لا يسهل عليه ان يستعمل كلما أراد الفاظاً عربية بحتة مهما كدّ الذاكرة في حفظ المفردات والامثلة التركيبية ·

قال الرافعي في كتابه (تحت راية القرآن) وان أعجب ما في امرنا من المعروف والمنكر ان تختلف الامم في معاني الالفاظ واختراعها وتحديدها ووجوه الانتفاع بها

ولا نختلف نحن الا على الفاظ تلك المعاني وانها عربية او معربة وهل نقبلها او نردها ونثبتها ام ننفيها ونمسخها ام نمسخها · ثم يقول وليس عندنا في وجوه الخطإ اللغوي اكبر ولا أعظم من ان يظن امرؤ ان اللغة بالمفردات لا بالاوضاع والتراكيب ·

فالواجب على من يغار حقاً على هذه اللغة ان يحررها من قيود كثيرة ولا يسد عليها أبواب التجديد وان لا يكونوا اكثر ملكية من الملك كما يقول المثل الفرنسوي فقد اندمجت في اللغة الفاظ غريبة عنها كالورد والقسطاس والبستان والناطور والبنفسج والياسمين والزيتون وكالقرطاس والقلم والتاريخ والتوراة والانجيل وكالمرجان والرصاص والزئبق واللازورد وكالابريق والطاس وكالديباج والقلنسوة وكالقبان والقنطار والدرهم والدينار وكالقرميد والآجر والمرمر والاسطبل الى آخره · فكيف نبخل عليها بما هو عربي وعلته انه لم يرد في القاموس ·

ثم ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها · خذ لفظتين : (برصوناليته) و (بالون) اللتين ذكرهما الاستاذ المغربي فان الاولى مأخوذة من برصون اي ذات فيقال ذاتية : فلان له ذاتية خاصة به · والثانية نستعملها كما هي لانها خفيفة على السمع لو لم تكن عربت بلفظة منطاد وشاع استعمالها ·

ان اللغة العربية لا تموت لانها لغة القرآن ولأن اربعمائة مليون قلب يخفق على كتابها كما قال الامير شكيب أرسلان ، ولكننا اذا بقينا على هذا التعصب والتمنع والشدة لا نسمح لكلمة أجنبية او غيرها ان تندمج فيها فلن نتقدم خطوة بل تبقى في عزلة أشبه بعزلة انكلترا قبل التحالف (Splendid isolement) عزلة تسلم فيها اللغة من شوائب الدخيل والغريب ولكنها تكون حاجزاً دون اتساعها وارتقائها وملاءمتها لأحوال الزمان والاجتماع ·

وكما أطلب ان تدخل اللغة الفاظ ليست منها فاني أرجو ان تحذف الفاظ وضعت لعهد ماض وصارت اليوم نافرة من مكانها · من ذلك بعض الامثال والاستعارات التي خلقت للبدوي الجاهل ولم تخلق لابن العصر الحاضر كقول الحباب بن المنذر « انا جُذَيلها المحكك » فلا أظن احداً يقبل اليوم ان يمدح بمثل هذا وان يشبه بالعود الذي ينصب للفصال الجربي لتحتك به · واذا كان الاعرابي قالها لان البيئة

التي عاش فيها تستلزم ذلك وتوحي اليه به فلا يجب ان نتقيد بقوله وهو عاش غير عيشتنا ولم ير ما رأيناه ولم يعلم من أسرار الوجود ما علمناه ·

هذا ما جرى به القلم جواباً على اقتراح الاستاذ «المغربي» · ولكن هناك اسباباً أخرى لجمود اللغة أشرت اليها في رسالتي المنشورة في الهلال منها كثرة المذاهب في النحو والصرف مما يتعب الطالب و يقعده دون الطلب الى غير ذلك مما يقتضي له بحث خاص · قد لا يروق كلامي بعض الاخوان ولكن هذا لا يمنعني عن مجابهة الحقيقة · واللغة التي تكلم بها العرب لا توافقنا اليوم الا اذا توسعنا فيها · واذا ادعينا حبها فليكن في ان نجعلها قريبة المنال ليتعلمها كل مبتدئ و يكتبها كل متعلم ·

ولا يحسب القارئ ان أسباب ترقية اللغة تنحصر في اللغة نفسها بل هي أوسع من ذلك تتناول كل مناحي الحياة ولا يخدم اللغة مثل خادم العلم وقد قلت قبلاً ان ثوب اللغة القشيب ينسج في معامل الكهربائية والكيمياء وغيرها ولهذا ارجو ان تكون غاية المجمع العلمي العربي في الشام أوسع مما هي وان تكثر فيه المباحث العلمية قبل اللغوية لانها تؤدي من حيث لا نشعر الى اصلاح اللغة بما نضطر اليه من البحث عن الالفاظ الجديدة ووضع الاسماء الموافقة ولان في استعمالها تثبيتاً لها وتأييدا ·

نعم ان تعدد اللهجات مما يعيق نمو اللغة ولكن من السهل معالجة ذلك باتفاق البلدان العربية على انشاء مجمع في كل منها يكون صلة وصل فاذا تعذر التخاطب بين البلدان من اجل كل كلمة توضع او تنتقى فلا يتعذر التخاطب بين هذه المجامع حتى اذا تم الاتفاق على كلمة كانت وسائل النشر متهيأة لها بواسطة هذه المجامع · والله أعلم ·

الاسكندرية : الدكتور فياض

(تنبيه) ان جواب الاقتراح المنشور في ص ٤٨٠ من الجزء الثامن والمنسوب سهواً الى الاستاذ الشيخ راغب الطباخ هو في الحقيقة للاستاذ علامة حلب الشيخ كامل الغزي ·

«المجمع»

اراء وافكار

سلطة (SALADE)

كنت كتبت مقالاً في(القبعة) و(الشابو chapeau) وأية الكلمتين تولدت من الاخرى . و يظهر ان جريدة (وادي النيل) التي تصدر في الاسكندرية نقلت المقال المذكور فاطلع عليه الاديب السيد حنا ايوب فأرسل الينا كتاباً قال فيه :

« قرأت بما يستحقه من الإعجاب مقالكم المنشور في جريدة (وادي النيل) عن اصل القبعة . حقيقة انكم وفيتم الموضوع حقه وقتلتموه درساً . على انه قد خطر ببالي ان ألفت نظركم الى شيء له علاقة بموضوع القبعة وبالكلمات الأعجمية التي ذكرتموها في مقالكم : ذلك ان اسم الراس باللغة اللاتينية هو كابيت (capit) و باللغة الايطالية المتفرعة عن اللاتينية كالفرنسية كابو (capo) واسم البرنيطة بالايطالية كابلو (capello) كما ان شعر الرأس ايضاً اسمه (كابللو) .

هذا ملخص ماقاله حضرته في كتابه : وكان بعض الفضلاء لفت نظري الى كلمتي (سلطة) العربية و (salade) الفرنسية وأظهر الرغبة في ان اكتب فيهما كلمة على نمط ما كتبته في القبعة والشابو .

(سلطه) او (سلاطه) كلمة مولدة تطلق على طعام مركب من أحرار البقول او الخضر و يتبل بالزيت والملح والخل او نحوه من الحوامض . ولا تؤكل (السلاطه) وحدها عادة وانما تؤكل مع الاطعمة الدسمة لاحداث الشهية كما تؤكل المخللات والكوامخ . وقد فسر بعض اللغويين الكوامخ بالمشهيات . فتكون السلطة من جملة الكوامخ وهي جمع كامخ . و (كامخ) معرب (كامه) بالفارسية ومعناه الخبز بخل : قدموا لاعرابي خبزاً وكامخاً كثير التوابل فتقزز من طعمه فقيل له لا تأنف منه انه الكامخ . فقال : « قد علمت ذلك ولكن أيكم كمخ فيه ؟ » وقد عنى الاعرابي بكمخ معنى لا يناسب التصريح بتفسيره .

والظاهر ان اسم (السلطه) ان كان غير معروف في القرون الاولى فقد كان

معروفاً في بلادنا منذ مئتي سنة تقريباً بدليل ماذكره الزبيدي في شرحه على القاموس فقد قال : « والسلطة محركة ما يعمل من التوابل عامية » يعني ان كلمة (سلطة) عامية لا يعرفها العرب الاقحاح . و (التوابل) مايطيَّب به الطعام من فلفل وكمون ونحوهما ، فلعل اهل مصر او اهل زبيد بلد الشيخ الزبيدي المذكور كانوا يطلقون (السلطه) على البهارات . اما اهل الشام اليوم فيطلقونها على ماذكرنا من البقول المطيبة بالزيت والخل .

بقي علينا التساؤل عن كلمة (سلطه) التي قال الشيخ الزبيدي انها عامية ؟ فهل ان عامتنا حرفوها عن كلمة أعجمية فتكون معربة او انهم اشتقوها من اصل عربي فتكون مولدة ؟ او يقال هل ان (سلطه) نتاج عربي او نتاج أعجمي ؟ .

قال بعضهم ان (سلطه) محرفة عن كلمة (salade) الفرنسية التي تؤدي معناها . وكلمة (salade) مشتقة من فعل (saler) بمعنى ملَّح و(saler) من(sal) اللاتينية ومعناها ملح ومنهـا اشتقت كلمة (sel) الفرنسية بمعنى ملح ايضاً . نقول للافرنسيين ولماذا سميتم هذا الطعام (salade) يقولون لان في جملة مركباته الملح . فنقول لهم ونحن معشر العرب نسميه (السلطه) لان في جملة تركيبه (السليط) وهو اسم الزيت باللغة العربية .

فالاحتمالات إذن ثلاثة :

١ً = ان تكون (salade) الفرنسية لا علاقة لها بسلطه العربية اصلاً بل هي مشتقة رأساً من (sal) اللاتينية بمعنى الملح وكذلك تكون (سلطه) العربية لاعلاقة لها بكلمة (salade) الفرنسية وانما هي مشتقة من (سليط) ومعناه زيت الزيتون .

٢ً = الاحتمال الثاني ان تكون (salade) الفرنسية محرفة عن (سلطه) العربية اي ان نزلاء الفرنج في سواحل الشام سمعوا العرب يقولون قديماً (سلطة) لهذا الطعام المشهي فاقتبسوها منهم وحرفوها الى لغتهم فقالوا (سالاد) بالدال لا بالطاء لانه لا يوجد في لغتهم حرف الطاء .

٣ً = الاحتمال الثالث ان يكون الامر على العكس اي ان يكون العرب في مصر والشام سمعوا النزلاء في بلادهم من الافرنج يقولون لهذا الطعام المشهي (سالاد) فاقتبسوها منهم وعربوها وقالوا (سالاط) (سالاطه) (سلطه) ويؤيد هذا ان لاروس

جمل سالاد من أصل لاتيني ، وصاحب محيط المحيط قال ان (سلطه) كلمة افرنجية[1] .

اما دعوى كون (سلطه) عربية الاصل وانها مشتقة من (سليط) بمعنى الزيت فيؤيده ان (سلطه) قريبة اللفظ جداً من (سليط) الذي معناه الزيت بل ان لفظة سلطه أقرب الى (سليط) من (سالاد) ويؤيده ايضاً ان كلمة (سلطه) مستعملة قديماً وربما كان استعمالها قبل ان ينزل الفرنج بلادنا حتى ان الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ ه أشار الى ان السلطة معروفة في عصره ، ولابد انها كانت معروفة ايضاً قبله . و(السلطه) انما تطيب بالزيت الجيد والسليط هو الزيت الجيد بدليل ما قاله الزمخشري في الاساس . « روّى ذباله بالسليط وهو الزيت الجيـد » والذبال جمع ذبالة وهي فتيلة السراج ، قال النابغة الجعدي :

يضيء كمثل سراج السليـ ... ـط لم يجعل الله فيه نحاساً

والنحاس هنا بمعنى الدخان والذي لا دخان له من الزيوت انما هو زيت الزيتون الجيد ، ومن ثم يوقدونه في الكنائس والمساجد .

« المغربي »

اللغة العربية والحروف اللاتينية

« للاستاذ صاحب (البلاغ) السيد عبدالقادر حمزة »

أردت وانا في باريس ان أرى بعض الطلبة المصريين فقيل لي ان « جمعية الثقافة العربية » تجتمع الليلة في الساعة التاسعة في قاعة جمعية العلماء (Société Savante) فان انت حضرت هذا الاجتماع ، وحضوره مباح لمن شاء فسترى جمعاً من المصريين قد لا يتيسر لك ان ترى مثله في مكان آخر فسرني ان يأوي الطلبـة الى المجتمعات العلمية وذهبت في الميعاد فرأيت في الواقع فريقاً منهم وطبت نفساً بان وقفت معهم لحظة أسألهم أخبارهم ويسألونني أخبار الوطن . وعلمت منهم « ان جمعية الثقافة

---

(١) وذهب احد أدبائنا في سان باولو (البرازيل) وهو السيد جورج مسرة الى ان سلطة العربية معربة من كلمة (insalata) الايطالية بحذف المقطع الاول منها .

العربية » تجمع مصريين وسوريين وتونسيين ومغاربة وان الغرض منها انشاء صلة بين شعوب الشرق العربي وتعاون في بحث الموضوعات التي يشتركون فيها . وعلمت ايضاً ان مستشرقاً كبيراً هو الاستاذ ماسنيون ، احد أساتذة كلية فرنسا (Collége de France) واحد العلماء الذين استقدمتهم جامعتنا المصرية وقتاً ما لالقاء محاضرات فيها ، يلقي الليلة محاضرة موضوعها « الثقافة العربية » فقلت في نفسي فرصة أتمتع فيها بالجلوس ساعة مع أبناء وطني وأستفيد علماً . وابتدأ الاجتماع فكان فيه مايقارب المائة من أبناء الشعوب العربية وبعض الفرنسيين سيدات ورجالاً ثم وقف الاستاذ المحاضر فأفاض متكلماً بالعربية تارةً وبالفرنسية تارةً أخرى فقارن بين اللغة العربية واللغات الآرية فأظهر من خواصها انها تذهب الى الغرض المقصود رأساً بينما اللغات الآرية لا تصل الى ذلك الا تدريجاً وانها تبرز المعنى المراد في أقل ما يمكن من اللفظ بينما اللغات الآرية ولغات غيرها كثيرة تعجز عن ان تجاريها في ذلك . ومضى يمتدح اللغة العربية من هاتين الناحيتين ومن نواحٍ أخرى ثم خرج الى انها مع هذا توشك ان تشرف على الخطر اذا لم يسعفها المصلحون بما يقوّم من ضعفها واذا لم يبرؤوها من علل تثقل الآن جسمها فتمنعه من ان يجاري الزمن . وعلة هذه العلل في نظره هي الحروف العربية وما يدخل عليها من تغيير في الرسم وتغيير في الحركات يضيع المتعلم فيها شطراً كبيراً من عمره ثم لا يزال بعيداً عن ان يصل فيها الى الغاية . قال نخير دواء لهذا الداء هو ان نرسم اللغة العربية بالحروف اللاتينية فلا تبقى ثمة حاجة الى شكل الحروف لتعرف حركاتها وتصبح اللغة خفيفة ناشطة قادرة على ان تجاري تقدم الزمن .

وختم الاستاذ محاضرته بهذا الاقتراح ثم تكلم مصريون وتونسيون ومغربيون وفرنسيون فكان منهم من أيد الاقتراح ومنهم من ابى ان يوافق عليه . وما من حاجة لان أسرد هنا كل الآراء التي قيلت وانما يكفي ان أقول انها كانت آراء سريعة وان الأغلبية كانت مع الاقتراح لا عليه وان اللهجة التي كان مؤيدوه يحملون بها على اللغة العربية كانت عنيفة ثورية .

* * *

وآخذ بعد هذا في مناقشة الاقتراح فأقول : ان شروع الترك في كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية هو الذي يحاول الآن ان يقذف بهذه الفكرة على اللغة العربية وهو الذي يشجع أصحابها بعد ان كانوا يتهيبون الجهر بها . وليس لي شأن بما يفعله الترك في لغتهم ، اما اللغة العربية فكل انسان يعرف انها بحروفها الحالية ، حملت مدنية كاملة ملأت بها جوانب الارض في مئات قليلة من السنين . وهي لم تحمل المدنية العربية وحدها بل حملت معها كل العلوم اليونانية وكثيراً من العلوم والآداب الفارسية والهندية والرومانية الى ان أدتها كلها، تأدية أمانة وصدق ، الى المدنية الاوربية الحديثة . وقد قطعت في ذلك أدواراً فلم تجمد في واحد منها ولم تهن بل تطورت في كل دور بما يناسبه . فالذين يقولون انها بحروفها الحالية أداة غير صالحة لنقل العلوم او انها غير مرنة ولا قابلة للتطور تبعاً لمقتضيات العصر يظلمونها وينكرون حقيقة أثبتتها عدة قرون .

وهذه الحروف التي ينتقصونها بها تمتاز على الحروف اللاتينية بانها مشبكة فالكتابة بها أسرع من الكتابة بالحروف اللاتينية . والسرعة عامل من عوامل العصر الحالي ومن أجلها يقترح الاستاذ ماسنيون ترك الحروف العربية فمن أجلها نطلب نحن بقاء هذه الحروف .

ولن يغيب عنا فوق ذلك ان كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ليست تنقيحاً لها ولا تخفيفاً لما فيها من الثقل وانما هي تضييع لها بتضييع اثني عشر حرفاً من حروفها الهجائية . فحرف الثاء لا يعرفه الفرنسيون في أبجديتهم والانكليز يركبونه من حرفين فاذا كتب بالحروف اللاتينية اختلط بحرف السين فضاع بعد قليل من الزمن وبقي هذا الاخير ، وحرف الجيم غير معروف بنطقه العربي في الأبجدية اللاتينية وحرف الحاء ليس له مقابل في الأبجدية اللاتينية وهو فيها يختلط بحرف الهاء فيضيع ، وحرف الذال غير معروف في الابجدية اللاتينية ولذلك لا تعرفه اللغة الفرنسية وتؤديه اللغة الانجليزية بحرفين فاذا كتب بالحروف اللاتينية اختلط بحرف الزاي فضاع ، وحرف الصاد لا مقابل له في الأبجدية اللاتينية وهو فيها يختلط بحرف السين فيضيع ، وحرف الضاد لا وجود له في الأبجدية اللاتينية ولا يمكن ان يؤدى بها وهو حينئذ

يختلط بحرف الدال فيضيع ، وقل مثل ذلك في حروف الطاء والظاء والعين والغين والقاف فانها كلها لا وجود لها في الأبجدية اللاتينية وهي حينئذ تختلط بحروف التاء والزاي والالف والجيم (الجيم لافرنجية لا الجيم العربية) والكاف فتضيع وتبقى هذه الأخيرة .

فهذه اثناعشر حرفاً من الأبجدية العربية اذا أديت بالحروف اللاتينية اختلطت بغيرها رسماً ونطقاً فضاعت بعد قليل من الزمن . وقل ان توجد كلمة ليس فيها حرف من هذه الحروف فتضييعها تضييع لجزء عظيم من اللغة اذا لم نقل انه تضييع للغة برمتها واذ ذاك لا ينفعها بشيء ان تكون لها تلك الميزات التي رأى الاستاذ ماسنيون انها تمتاز بها على اللغات الآرية وعلى كثير من اللغات الأخرى . فأولى إذن للذين يقولون بالحروف اللاتينية ان يكشفوا القناع عن وجوههم وان يقولوا انهم يريدون في الحقيقة هدم اللغة العربية .

على ان اقتراحهم هذا لا ينتج النتيجة التي يعللون بها ويقيمونه عليها اذ هم يقولون ان قصدهم منها تسهيل اللغة على المتعلم ، وهذه السهولة لا تحقق لان المتعلم لا يقرأ فقط بل يكتب ايضاً وهو اذا قرأ صحيحاً بقوة الحروف المرسومة أمامه فلن يستطيع ان يكتب صحيحاً الا اذا تعلم الاجرومية العربية فعرف حركات الحروف والعوامل النحوية والصرفية التي تؤثر فيها . وهذه الحركات والعوامل هي معظم ما يشكو منه الشاكون .

ويجب ان أذكر هنا ان احد المتكلمين بعد الاستاذ ماسنيون عاب اللغة العربية بان فيها كلمات تتشابه لفظاً وتؤدي كل واحدة منها معنى لا ارتباط له بالمعنى الذي يؤديه الآخر . وضرب مثلاً لذلك كلمات (أسلم) ومعناها دخل دين الاسلام او ترك نفسه ، و(سلامية) ومعناها عقدة الاصبع ، و(سلم) بضم السين وكسر اللام وقد قال انه قرأ في القاموس ان معناها أصيب بلسعة أفعى في أصابعه . وغني عن البيان ان الذي يأخذ اللغة بهذا العيب انما يعيبها في ذاتها لا في الحروف التي تكتب بها . وغني عن البيان ايضاً ان صاحب هذا الانتقاد لم يفكر فيما يقول والا فلو نه فكر لعرف انه لا توجد لغة ليس فيها مثل هذا العيب ان كان يسمى عيباً . خذ اللغة

الفرنسية مثلاً (Le moi) ضمير المتكلم و (Le mois) الشهر بالفـاق في اللفظ واختلاف في حرف واحد ، وفيهـا (Roc) صخرة و (Rauc) صوت أجش باتفاق في اللفظ واختلاف في حرف واحد ، وفيها (Mer) بحر و (Mére) أم و(Maire) عمدة البلد او حاكمها باتفاق في اللفظ واختلاف في حرف اوحرفين بين كل كلمة والاخرى . وفيها (Mine) منجم و (Mine) منظر بغير ادنى اختلاف في المنطق او في الحروف . ومثل هذا كثير لا يعد ، في اللغة الفرنسية وفي كل لغة .

* * *

فاللغة العربية لا تعاب في ذاتها ولا في حروفها وقد حملت كما قلنا مدنيات عدة وملأت بها الارض في مئات قليلة من السنين وتطورت مع كل زمن وكل علم بما يناسبه وكانت مرونتها في ذلك دليلاً على ان فيها كل عناصر الحياة القوية . لا تعاب في شيء من هذا ولكن .... نعم ولكن .... هل هي الآن مطابقـة لمقتضيات العصر متطورة بما يناسبه ؟ وهل فساد الرأي القائل بكتابتها بالحروف اللاتينيـة معناه ان الانتقاد الذي وجهه اليها الاستاذ ماسنيون فاسد هو الآخر او قد يكون له شيء من الصحة فيحسن بالغيورين على اللغة ان يفكروا فيه وان ينظروا في دواء له غير الذي أشار به الاستاذ ماسنيون ليحفظوا للغة كيانها وليعطوها النشاط الذي ينقصها من بعض نواحيها .

من منا يستطيع ان ينكر ان طالب اللغة العربية يقضي في حفظ قواعدها النحوية والصرفية وفي قواعد رسم الكلمات وما يدخل عليها من العلل وفي حفظ حركات الحروف التي تتركب منها بنية كل كلمة والتي هي في أغلب أحوالها سماعية لا قيد لها ولا قاعدة تجري عليها ، من منا يستطيع ان ينكر ان الطالب يقضي في ذلك كله شطراً كبيراً من عمره ثم لا يزال بعيداً عن الغاية ولا يزال كلما قرأ او كتب عرضت له كلمات يخطئ في نطقها ورسمها ولا يهتدي الى الصواب فيها الا بالرجوع الى المعاجم .

ومن من الذين يعرفون بيننـا اللغات الاوربية يستطيع ان ينكر ان هذه اللغات أقرب تناولاً من لغتنا العربية واسهل تعلماً وأقل تعقيداً في أجروميتها وقواعدها ثم

فيما هو شاذ سماعي لا أجرومية له ولا ضابط غير الحفظ والاستذكار ؟

ومن منا أخيراً يستطيع ان ينكر ان اللغة واسطة لا غاية وان من اكبر غاياتها ان نؤدي الفكر والعلم الى الذهن فكلما كانت سهلة كان العبور عليها الى الفكر والعلم سهلاً والعكس بالعكس . وقد كان العلم في عصر المدنية العربية محصوراً في دائرة ضيقة فكان تعلمه او تعلم فروع منه مما يتسع له جهد الطالب بجانب الجهد الكبير الذي يبذله في تعلم اللغة . اما الآن فقد اتسع العلم وتعددت فروعه حتى صار مائة مثل لما كان عليه في عهد المدنية العربية او أكثر فصارت المصلحة تقتضي ان تكون اللغة أسهل منها قبل ليتسع مجال الانصراف اليه . والا اذا لم تكون هذه السهولة فلا مناص من احدى حالتين : إهمال جانب من اللغة للاهتمام بالعلم او إهمال جانب من العلم للاهتمام باللغة وفي كل منهما ضرر .

وليس بعيب لغة من اللغات ان تكون محتاجة الى الاصلاح وان تتطور تبعاً لمقتضيات الزمن ، بل الذي يعيبها هو العكس اي ان تقف جامدة بينما الزمن يتقدم وبينما كل شيء يتغير ، وقد تطورت لغتنا عدة تطورات ثم وقفت عند دخول المدنية العربية في دور الاحتضار اي من نحو ستمائة سنة على أقل تقدير فوقوفها هذا هوالذي يجعلها بنت الماضي ويجعل فيها قصوراً عن ان تجاري عصر الكهرباء والطيارات ، وما من لغة من اللغات الاوربية الحية الا وقد تطورت فيهذه الستمائة سنة التي وقفت فيها لغتنا عدة مرات لا مرة واحدة فلانت قواعدها وسهل رسم حروفها من غير مساس بكيانها ، وهي الى الآن في مثل هذا التطور المستمر . دونك مثلاً اللغة الفرنسية كانت تكتب في العصور الوسطى بغير ما صارت تكتب به في القرن السادس عشر وهي الآن تكتب بغير هذا وذاك مع المحافظة في الأدوار الثلاثة على كيانها الاصلي وحروفها اللاتينية . ففي العصور الوسطى اي في القرن الحادي عشر كانت أغنية رولان (Chanson de Rolan) تكتب كما يأتي :

Sur I herbe verte,s i est culchiez adauz
(1 Dessus lui met e,espée et (l, olifaut etc. etc...

وفي القرن السادس عشر كان الكاتب مونتين (Montaigne) يكتب كما يأتي :

Derniéremeut qne je me retiray chez moi, délibéré, autant que je pourray de ne me mesler d, autre chose.. etc.,. etc.

فكل من يطلع على هذين المثلين يرى الفرق ظاهراً بين رسم الكلمات وقواعد اللغة في القرن الحادي عشر والرسم والقواعد في القرن السادس عشر ثم الرسم والقواعد اليوم مع ان اللغة واحدة والحروف واحدة و يرى ان التطور يمشي من التعقيد الى اللين ومن الصعوبة الى السهولة ومن الزوائد الى حذف مالالزوم له . ولا يزال المجمع العلمي الفرنسي يدرس الكلمات والقواعد كل يوم ويدخل عليها من التنقيح والتهذيب ما يرى ان طبيعة الزمن تقتضيه . واللغة الفرنسية مع هذا هي اللغة الفرنسية لايضرها ان يدخل على قواعدها ورسم كلماتها تنقيح بل ذلك يجدد لها حياةً ويكسبها نشاطاً ويضفي عليها كل يوم ثوباً زاهياً قشيباً .

فمثل هذا التطور او قريب منه هو الذي تحتاج اليه لغتنا الآن لتلين قواعدها وتسهل معرفة حركات الحروف ورسم الكلمات فيها وما أدري الآن كيف يكون هذا ولا أشير بنوع معين من الاصلاح لان الموضوع يحتاج لبحث عميق بل الى مجمع علمي يتوفر على درسه وفحصه عدة من السنين و يحضرني الآن ان بعض المفكرين فكّر في شيء من ذلك منذ نحو عشرين عاماً ورأى ان تقلب الحركات الى حروف بجانب الحروف الأصلية ولكن فكرته هذه لم تمش لانها لا تحل المسألة بل تزيدها تعقيداً وتترك الانسان يضل بين الحروف الاصلية والحروف التي هي حركات ثم لان الاشارة باصلاح معين في موضوع خطير كهذا يجب ان تأتي من سلطة علمية يقر لها الكل بالسمع والطاعة .

فعسى ان يكون في محاضرة الاستاذ ماسنيون ثم في كلمتي هذه ما ينبه الاذهان الى ان اللغة العربية محتاجة الى الاصلاح او قل الى التطور ، وان عبء هذا التطور واقع علينا بعد ان نهضت اللغة نهضتها هذه في الخمسين عاماً الأخيرة وبعد ان نهضنا نطلب بها علوم المدنية الحديثة .

مطبوعات حديثة

اقليد الخزانة

« تصنيف الشيخ عبد العزيز الراجكوتي طبع على نفقة جامعة بنجاب في لاهور »
« سنة ١٩٢٧ في ١٣٠ صفحة »

(الخزانة) اسم كتاب من أجمع كتب الأدب للأدب ألفه العلامة عبدالقادر البغدادي من أعيان القرن الحادي عشر ، وقد جرى في الخزانة ذكر لمصنفات كثيرة ما زال الفضلاء من مستشرقين وغيرهم يتمنون لو جردت اسماؤها في كتاب خاص ليرجع اليها عشاق المخطوطات فيستنسخوها ويعملوا على طبعها ونشرها . وقد انبرى للقيام بعبء هذا العمل عضو مجمعنا العلمي في الديار الهندية الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي أستاذ الآداب العربية في جامعة عليكرة ، فألف فهرستاً ضمنه أسماء تلك المصنفات المبعثرة في الخزانة وسماه (إقليد الخزانة) والإقليد في اللغة المفتاح . وقد بلغ عدد المصنفات المذكورة ٩٤٠ مصنفاً وعلق المؤلف في ذيل الصفحات على أسماء بعض الكتب تعاليق تزيدها نوراً لاسيما انه أشار الى ما يوجد منها مخطوطاً في خزائن الكتب العامة والخاصة .

ومن يلق أول نظرة على (إقليد الخزانة) يعجب من عدم تقديم مقدمة عربية له كما يعجب من ان تقوم مقامها مقدمة باللغة الانكليزية ؛ والأعجب من كل عجب ان الكتاب عربي ولم يكتب على غلافه اسمه باللغة العربية بل بالانكليزية — كل هذه التعاجيب لها أسباب شرحها مؤلف الكتاب نفسه في مقال خاص ارسله الينا وقد عنونه بقوله « المكاره [1] التي حفت بها إقليد الخزانة » ومنه يتبين ان المؤلف بريء من تلك التعاجيب التي تبدو اول وهلة في كتابه وقد ختم مقاله المذكور بترجمة العلامة عبد القادر البغدادي وبوصف مصنفه (الخزانة) فليرجع القارئ الى ذلك المقال .

« المغربي »

---

(١) راجع هذا المقال في صفحة ٥٢٥ من هذا الجزء .

كتاب الخراج

« للقاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام ابي حنيفة ، عُنيت »
« بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ٣٠٤ »

هذا من أمهات الكتب في فنه لا يستغني عن الرجوع اليه باحث في الشرع الاسلامي وهو كلما دُرس أفاد علماً وحكما . وقد كان طبع للمرة الاولى في المطبعة الاميرية منذ ٤٤ سنة وها قد أُعيدت طبعته بهذا النظام معتمداً في هذه الطبعة على نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية . وذكر الناشر في أسفل الصفحات اختلاف النسخ وغير ذلك ، وشفع الكتاب بفهارس للاعلام التاريخية والجغرافية وغيرها مما زاد به الكتاب امتاعاً وقرب منال الاستفادة منه . ومطبوعات المطبعة السلفية من هذا الطراز ، فعسى ان تكثر الاصناف التي تصدرها لفائدة الامة بصورة مطردة .

م . ك

الصبح المنير في شرح ابي بصير

« والاعشين الآخرين »

نشره السيد رودلف جير (Geyer) وطبع في مطبعة آدلف هلز هوسن ببانة سنة ١٩٢٧ وقع الاصل في (٣٦٠) صفحة بالحجم الكامل و باقي التعليقات والحواشي والفهارس في (٣٨٠) صفحة طبع على نفقة لجنة تذكار جيب بانكلترا

الاعشى معدود من شعراء الطبقة الاولى بين شعراء الجاهلية وقد أدرك الاسلام و يحق ما دعوه صناجة العرب لان شعره يطرب النفوس . وقد جاء في اول الكتاب : « سفر فيه شعر الاعشي وهو ميمون بن قيس بن جندل من صنعة ابي العباس احمد بن يحيى المنبوذ بثعلب رحمه الله وهو لعلي بن زيد بن محمد بن يعيش البطليوسي » وبطبع هذا السفر عرف شعر الاعشى الا قليلاً وزاده الشرح نفاسة . و يعذر الناشر على ما وقع له من الاغلاط التي ذهبت ببهجة الشعر وحطمت أوزانه وعروضه لان النسخة

المجلد ٨ الجزء ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٢٨ م الموافق ربيع الثاني وجمادى الاولى سنة ١٣٤٧ هـ ٩٤

المعاصرون (١)

الشيخ طاهر الجزائري

أصله ونشأته

هو طاهر بن صالح بن احمد بن موهوب السمعوني الجزائري ، هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر الى دمشق في سنة ١٢٦٣ هـ وكان من بيت علم وشرف معروف في بلادة ، ولما جاء دمشق تولى قضاء المالكية وولد له ولد في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٨ هـ دعاه شيخ والده الشيخ المهدي (الطاهر) . قال والده في حاشية المجموع الفقهي للعلامة الامير المالكي « طهره الله من رجس دنياه ودينه وبارك في عمره ورزقه العلم والعمل به » واستجيب دعاء والده فنشأ ابنه طاهر على حب الفضائل والتناغي بالعلم والعمل .

دخل الشيخ طاهر المدرسة الجقمقية الاستعدادية فتخرج باستاذه الشيخ عبدالرحمن البوشناقي ، وكان مربياً شديد الشكيمة ، وتعلم العربية والفارسية والتركية ومبادئ العلوم ، ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبدالغني الميداني الغنيمي الفقيه الاصولي النظار . وكان واسع المادة في العلوم الاسلامية بعيد النظر واسع العقل وهو الذي حال بارشاده في حادثة سنة ١٨٦٠ م بدمشق دون تعدي فتيان المسلمين على جيرانهم المسيحيين في محلته فأنقذ بجميل وعظه وحسن تأثيره بضعة الوف من القتل في تلك

(١) محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ووزير معارف دولة سورية ألقاها في غرفة المجمع بتاريخ ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ م .

المذابح المشؤومة . وكان الشيخ الميداني على جانب عظيم من التقوى والورع الحقيقي يمثل صورة من صور السلف الصالح فطبع الشيخ طاهراً بطابعه وأنشأه على أصح المبادئ العلمية الدينية . وكانت دروسه دروساً صافية المشارب يرمي فيها الى الرجوع بالشريعة الى اصولها والأخذ من آدابها بلبابها ومحاربة الخرافات التي استمرأتها طبقات المتأخرين وانقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين . واذ جمع الشيخ طاهر الى سلامة الفطرة وسلامة البيئة جودة النظر وبعد الهمة جاء منه بالدرس والبحث عالم مصلح وفيلسوف آلهي أشبه الاوائل بهديه وتمثل بالأواخر في نظره ووفرة مادته .

ولم يغفل الاستاذ خلال سني الدراسة عن درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية ، اخذها عن علماء من الترك وغيرهم . فكان اذا رأى اعلم منه بفن اخذ عنه فنه وافاده فيما لا يحسنه من فنون العلم . ومن مثل لعينيه كيف كان محيطه منحطاً اوائل النصف الاخير من القرن الماضي ايام كان يتهم بالمروق كل من تعاطى علماً لا يعرفه المتفقهة يدرك ما عاناه الاستاذ لتلقف هذه العلوم المادية . ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتى غدا يتقن العربية والفارسية والتركية و ينظم بالفارسية كالعربية . وكان نظمه بالعربية أرقى من شعر الفقهاء ودون شعر نبغاء الشعراء . وألف السجع لاول امره ثم تخلى عنه واصبح يكتب مترسلاً بلا كلفة ولا تمحل ، وتعلم الفرنسية والسريانية والعبرانية والحبشية والقبائلية البربرية لغة بلاده الاصلية . ومما ساعده على فتح صدره الرحب لجماع المعارف البشرية غرامه منذ نشأته بجمع الكتب وهو لما يزل في المدرسة الابتدائية . فقد اخذ يبتاع الدشوت والرسائل المخطوطة من دريهمات كان يرضخ بها له والده لخرجه . وكانت الكتب والرسائل تباع في الكلاسة شمالي الجامع الأموي على مقربة من ضريح صلاح الدين يوسف ابن ايوب . وكلما أحرز الشيخ شيئاً من الاوراق والاسفار طالعه بامعان وخبأه وحرص عليه فاستنار عقله وكثرت معلوماته واجتمعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الاسفار قدرتها بستة آلاف مجلد فيها كثير من النوادر المخطوطة .

تولى التعليم لاول امره في المدرسة الظاهرية الابتدائية ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيانها سنة ١٢٩٤ هـ دخل في عداد أعضائها وكان من

اكبر العوامل فيها ثم استحالت هذه الجمعيـة « ديوان معارف » ، فعين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد المصلح الكبير مدحت باشـا والي سورية سنة ١٢٩٥ . وكان للشيخ الاثر العظيم في تأسيسها بمعاونة صديقه بهاء الدين بك امين سر الولاية وهو اديب تركي كان يحب نهضة العرب كما يحب العلم والادب . وفي هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاصها من غاصبيها وحمل الآباء على تعليم اولادهم ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة للمدارس . كان يقوم بهذه الاعمال المهمة ولا يفتأ يزداد كل يوم علماً وتجربة وتفانياً في نهضة البلد وتحسين الملكات وصقل الأخلاق والعادات .

وأنشأ على ذاك العهد ايضاً بمعاونة بضعة من أصدقائه « دار الكتب الظاهرية » بدمشق وجمع فيها سنة ١٢٩٦ ما تفرق من المخطوطات العظيمة في عشر مدارس تحت قبة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولقي ممن استحلوا اكل الكتب والاوقاف مقاومة شديدة وهددوه بالقتل ان لم يرجع عن قصده فما زادوه الا مضاء وانكماشاً . ولا تزال هذه الدار أثراً من آثاره في الشام . وقد أنشأ مثلها في القدس باسم الشيخ راغب الخالدي وسماها (المكتبة الخالدية) وأضاف اليهـا بعد ذلك آل الخالدي خزائنهم الخاصة .

علمه وعمله

رأينا منهاج الدروس الواسع الذي أخذ الشيخ نفسه بدراسته منذ حداثته وانه لينذر في المتـأخرين من علماء دور الانحطاط الفكري نبوغ رجل مثله وعى صدره من ضروب المعارف ما وعى وطبق مفاصل الشريعة مع علوم المدنية فقد كان متضلعاً من علوم الشريعة وتاريخ الملل والنحل منقطع القرين في تاريخ العرب والاسلام وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميهم . ساعده على التبريز في هذا المضمار قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما يمر بها مهما طال العهد . وكان اماماً في علوم الأدب واللغة اذا سألته حل مسألة تظن الشيخ لا يعرف غير هذا العلم واذا استرشدته في الوقوف على مظان موضوع تريده أطلعك من ذلك في الحال على

ما لا يتيسر لغيره الظفر به بعد الكشف عنه اياماً . وهكذا هو في علوم الشريعة ولا سيما التفسير والحديث والاصول . وكان يعرف السياسة وما ينبغي لها وحالة الغرب واجتماعه والشرق وأممه وأمراضه معرفة لا تقل عن معارف عالم أخصائي من علماء الغرب لعهدنا . ولا يكاد جليسه يصدق اذا انكفأ الشيخ يتكلم في هذه الموضوعات خصوصاً اذا كان غريباً ان محدثه شيخ من شيوخ المسلمين يعيش في أمة لا تقيم وزناً لهذه المعارف .

اتسع صدر الشيخ لجماع علوم المدنية الحديثة الا الموسيقى والتمثيل فلم يكن له حظ فيهما وربما قاوم سراً المشتغلين بهما مخافة ان تكونا سلماً الى التبذل وخلع ثوب الحياء والوقار وكان لا يرى فيهما الا مدرجة اللهو والصبوة وهذا مما لم يدخله الشيخ في جريدة أعماله ولذلك لا يفتي بالتسامح مع القائمين عليهما مهما أوردوا له من الحجج على نفعها . وصعب ان يتخلى المرء عن جميع ما أورثه إياه اهله واساتذته ومحيطه . وصعب على من حلف ان يعيش عيش جد وتبتل ان يتساهل في الصغائر لئلا تؤدي الى الكبائر . اما الرسم والتصوير والنقش فكانت مما يتسامح فيه لكنه يغمزه عرضاً . وكثيراً مايقول ان أجيال الفرنجة في هذا العصر أفرطوا في الغرام بالتصوير والتعويل عليه في كل امر فأضعفوا بذلك قوة التفكير والتصوير .

وسياسة الشيخ في التعليم محصورة في تلقف المسلمين اصول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الطيبة وأخلاقهم القديمة القويمة وان يفتحوا قلوبهم لعامة علوم الأوائل والأواخر من فلسفة وطبيعي واجتماعي على اختلاف ضروبها و يقاوم المتعصبين على هذه العلوم المنكرين غناءها في المجتمع مقاومة حكيم عاقل وذلك بتكثير سواد الدارسين لها وارشادهم الى طرقها العملية المنتجة لا الوقوف بها عند حد الأنظار . فعمّ المسلمين في الشام درس علوم نرى اليوم الأخذ بحظ منها من البديهيات اللهم الا عند بعض الجامدين من المشايخ ممن جهلوها ومن جهل شيئاً عاداه .

وكانت للشيخ طرق مبتكرة في معنى بث الافكار التي تخالف معتقد الجمهور يبثها في العقول بدون جعجعة ولا مظاهرة و بقرب منالها من المستعدين لاخذ النفس بها وذلك بتلقينهم أمهات مسائلها اثناء الحديث على صورة لا ينفرون منها ولا يخطر لهم

انها بالبدع المنكر . مثال ذلك انه اولع في صباه بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكانت جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيمية تعصباً او تقليداً لمشايخهم فلم ير الشيخ لتحبيبهم بابن تيمية الا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون . فكان يستنسخ رسائله وكتبه و يرسلها مع من يبيعها في سوق الوراقين باثمان معتدلة لتسقط في ايدي بعضهم فيطالعونها وبذلك وصل الى غرضه من نشر آراء شيخ الاسلام التي هي لباب الشريعة .

هذا وليس الشيخ في مذهبه على الحقيقة حنبلياً ولا مالكياً ولا حنفياً بل هو مسلم يأخذ من اصل الشريعة باجتهاده الخاص ويحسن ظنه بائمة المذاهب المعروفة و يتجهم لمن يجرأ على النيل من احدهم . يعمل بما صح له من الدليل في الكتاب والسنة ولطالما اعطى الحق لعلماء الشيعة او الاباضية او المعتزلة في مسائل تفردوا بها وضيق فيها اهل السنة . اما الفلسفة او الحكمة القديمة والفلسفة الحديثة فكان يعطف عليها وعلى المشتغلين بها و ينحي باللائمة على المتأخرين الذين أوصدوا بابها فأظلمت العقول وضعف مستواها .

كان الشيخ ينكر على الظالمين سيرتهم و يقبح الظلم وان نال عدوه و ينصف الناس من نفسه بعض الشيء وكان الحكام معه في بلية يعرفون انه ينزع الى القضاء على سلطتهم الغاشمة ولا يستطيعون ان يقلبوا له ظهر المجن و يظهروا العداء له . وكذلك كان المشايخ معه يبغضون أفكاره ولا يجرأون على مقاومته بسلاحه سلاح العلم والبرهان فكان كثيراً ما يقول ما لنا ولأناس ليس لهم من السلطان علينا غير سلاطة السنهم وكلمات ينفسون عنهم بها وهي لا تخرج الى أبعد من سقوف بيوتهم وحجرهم . وحدث لبعض أغمارهم ان استعانوا غير مرة بالسلطة الزمنية على توقيف تيار أفكاره وأفكار أنصاره فكان الشيخ يصدهم بما له من التأثير في اهل الحل والعقد ممن كانوا يمثل لهم عقل الرجل وضعف المبغضين له وكان يحسن مخاطبتهم بلسانهم والقائمون عليه لا يحسنون محاورتهم حتى ولا بلغتهم الاصلية . وسلاحهم دسائس يحوكونها وتعصبات ينفثونها . ولم يزل جهال الناس كما قال ابن المقفع يحسدون علماءهم وجبناؤهم شجعانهم ولئامهم كرماءهم وفجارهم ابرارهم وشرارهم خيارهم . من اجل هذا كان الاستاذ يتفنن في بث أفكاره بين الخاصة والعامة على صور شتى و يتفانى في نشر العلم والتهذيب والأخذ

من القديم والحديث . وكم من عامي اصبح بتعاليمه وتلقينه بالعمل مسائل بسيطة من العلم معدوداً من المتعلمين في جلسات قليلة جلسها معه وسمع مذاكراته ومن هذه الطبقة أناس مافتئ على تنشيطهم حتى الفوا وطبعوا ولم يكونوا قبله في العير ولا في النفير . وكم من جريدة او مجلة او كتاب او رسالة نشرت في مصر والشام بارشاده وكان له أسلوب جرى عليه خصوصاً في تفتيش المدارس وهو ان يعلم المعلم ولا يشعره بانه يعلمه بل يوهمه انه يذاكره في مسائل التربية والتعليم او انه يحاول ان يتعلم هو منه .

وكم من اديب او عالم أرشده الى السبيل السوي في أدبه وعلمه وعلّمه المظان وأساليب المراجعة . وكثير عدد من اشتغلوا بالآداب او تعلموا التعليم الثانوي اوالعالي في القطر الشامي ان لم يكونوا استفادوا منه مباشرةً فبالواسطة . وتلاميذه ومريدوه يعدون بالعشرات من المسلمين واكثرهم اليوم يشغلون مقامات سامية في دور العلم والحكم وفي التجارة والزراعة . ولم يحد المترجم له عن الخطة التي اختطها لنفسه منذ نعومة أظفاره ودعا الناس الى انتهاجها حتى آخر ايامه . وخطته الاخلاص والعمل على النهوض بالامة من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في اهل الاسلام . وثورته ثورة فكرية لا مادية و يقول ان هذا الطريق يطول امرها ولكن يؤمن فيها العثار والسلامة محققة ثابتة . بحق ما قيل في الشيخ انه معلمة (انسيكلوبيديا) سيارة وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقه حافظة قوية وذهناً وقاداً وعقلاً يستعمله على الدوام . فقد قرأ جميع ما طالت يده اليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب . اما المخطوطات التي طالعها ولخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالالوف . وقل ان يدانيه احد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وحوادثها واماكن وجودها . ولطالما رحل من بلد الى بلد بعيد ليطلع على مخطوط حفظ في بعض الخزائن الخاصة . وبالنظر لاحاطته بالمظان وتدوينه في الحال كل ما يقع استحسانه عليه من الفوائد ، كان يسهل عليه التأليف فيما ترتاح اليه نفسه من الموضوعات . وقد يؤلف الكتاب في بضعة اسابيع على شرط ان يوقن انه سيطبع .

فهو واسع الرواية واسع الدراية اوكما قال صديقه العلامة احمد زكي باشا في برقية أبرقها الى الشام بالتعزية به « كنت اري فيه الاثر الباقي والمثال الحي والصورة

الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كل المعارف الاسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وابراز مفاخرها هذا الى التفاني في توسيع نطاقها بقبول ما تجدد عند الامم التي تلقت تراث العرب باليمين والدعوة الى الاقبال عليه مضموماً الى آثار الابناء ومآثر الاجداد . وهكذا قضى الشيخ عمراً اولاً وثانياً وثالثاً في خدمة العلم والدعوة اليه بالقلم واللسان وبالقدوة الحسنة حتى تم له شيء كثير مما أراد بين الأنداد والتلاميذ والمحبين والمريدين فهم مناط الأمل وفيهم خير خلف لذلك يغتبط فاسيون بضم رفاته والحنو عليها » .

اخلاقه وعاداته

قلنا ان سيرة الشيخ طاهر كانت نمطاً واحداً طول حياته هكذا كان متعلماً ومعلماً وعالماً يحب العمل ويدعو اليه قبل النظر جد في حركته لا يبالي بالعوائق امامه مهما عظمت وكلما حاول اعداؤه ان يقفوا دون انبعاث دعوته يزداد قوة وعرامة شأن كل الدعوات كلما حاربتها زدتها انتشاراً ونبهت الناس اليها . ألغت الحكومة وظيفة التفتيش بالمدارس علها تخفف من شدته في بث أفكاره بين الاساتيذ والتلاميذ فزاد نشاط الشيخ . وكان مدرساً في المدرسة الأعدادية بدمشق وهو من جملة مؤسسيها فاستقال ثم عرضت عليه وظائف كبرى في غير السلك العلمي فأبى لانه كان يعرف انه لا بد له من مشايعة الظلمة والجهال على اعمالهم . وجعل جل اعتماده في عيشه آخر ايامه على الكتب التي اقتناها طول حياته باثمان بخسة واخذ يبيع منها بالتدريج ولا سيما اذا تأكد انها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب المصرية والخزانتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزانته نقلت اليها وتمزز الشيخ أثمانها نحو اربع عشرة سنة . وكان اشتراها في صباه باثمان بخسة فارتفعت اسعارها عشرة اضعاف او اكثر .

كان الشيخ على ضيق ذات يده أحياناً يتصدق على الفقراء في السر وربما كزت يده عن لباسه وطعامه وأطعم جائعاً وعال معوزاً . يصلي الصلوات لاوقاتها ويقيم شعائر الاسلام حتى في غير بلاده . فقد زار مرة احد معارض باريز فكان اذا

ادركته الصلاة صلي في الحديقة العامة لا يبالي بانتقاد النـاس هناك ولا استغرابهم حركاته وسكناته . وحج مرة وطبق مناسك الحج على مايفعل العلماء العاملون . وكان مفطوراً على الرحمة يأرق لجاره او صاحبـه اذا علم انه أُصيب ببائقة في ماله او اهله او جاهه خصوصاً اذا كان الرجل ممن ترضيه سيرته في الجملة .

كان الشيخ يستنكف ان يأخذ شيئاً من احد بلا مقابل مهما كان الواهب . فقد عرض عليه صديقه الاستاذ احمد زكي باشـا ان يوقع على طلب وهو يتعهد له براتب جيد من الاوقاف المصرية على عهد الخديوي عباس الثاني فتنصل واعتذر ولما اشتد صديقه في تقاضيه ذلك انتهره حتى لقد قال الاستاذ زكي باشا لو كنت اعتقد ان رجلاً يعيش من تحت السجادة لاعتقدت ذلك في الشيخ طاهر لانه يقيم في بلد كمصر يشكو فيه الاغنياء من الغلاء ولا يحب ان يأخذ من احد شيئاً يستعين به .

وكأنه يشير بحركته الى ما قاله القاضي علي بن عبد العزيز في عزة نفس العالم :

يقولون لي فيك انقبـاض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينهـا مخافة أقوال العدا فيم اولما ؟
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرساً واجنيه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صـانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا محيـاه بالاطماع حتى تجهما

لا اكون الى المبالغة اذا قلت ان عزة النفس وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا كان مما تفرد به ففيه اباء الملوك وزهد الزهاد والعباد . لم يظاهر ظالماً لغنم يصيبه ولا صحب غنياً للانتفاع بغناه . وكان يؤثر الخمول وعدم الظهور ولا تهمه الشهرة استفاضت ام لم تستفض لانه يهزأ في باطنه بمظاهر الابهة والرفعة و يزهد في

اعتبارات كثيرة ينافي الناس في تحصيلها يزهد حتى في نسبته الى الشرف ولم يذكر ذلك الا مرة واحدة ذكّره فيه احد صلحاء الجزائر بين امامي وسألته بعد ذلك عن نسبة بيتهم الى الشرف فقال « هكذا يقولون » ولا عجب فشرف العلم اشرف نسبة ٠

هاجر الشيخ من دمشق لما كثر ارهاق العلماء في العصر الحميدي فنزل القاهرة من سنة ١٣٢٥ (١٩٠٧) الى سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) وظل فيها طول هذه المدة على تقشفه والحرص على عاداته ٠ ولما نشر القانون الاساسي في المملكة العثمانية (١٩٠٨) رأى الشيخ بنظره الثاقب ان عهد الحرية الحقيقية بعيد وكان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثرثرة السياسيين فانزوى في مصر حتى استحكم منه مرض (الربو) وقفل راجعاً الى مسقط رأسه قبيل وفاته باشهر قليلة فعين مديراً لدار الكتب التي كان أنشأها في صباه وعضواً في المجمع العلمي العربي وناداه ربه الى جواره يوم ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ (٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٠) فدفن حسب وصيته في سفح قاسيون جبل دمشق ٠ وقبيل وفاته برّح به الالم فاقترح على الطبيب ان يعطيه دواءً يميته حالاً قائلاً ان في الشرع ما يبيح ذلك وهذا من اغرب ما سمع من عاقل ٠ اما الطبيب فركن الى الفرار وحلف ان لا يعود لتمريض الشيخ ٠

كان الشيخ فيلسوفاً بكل ما في الفلسفة من معنى شريف لا تلتوي أخلاقه ولا ينزل بحال عن عاداته متشدداً في دينه زاهداً في دنياه لم تبهره زخارف الحياة ولم يتزوج حتى لا يشغل ذهنه بزوج واولاد وليكون ابداً مطلق العنان يسيح في الارض متى أراد او يقبع في كسر داره وسط كتبه ودفاتره ٠ ولئن خلا من همّ نفسه فما خلا ساعة من الاهتمام بامر المسلمين وتحبيب العلم والعمل اليهم ٠

وعقد له صلات مستديمة مع علماء عصره على اختلاف أديانهم وأجناسهم٠ صحب صديقه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كما صحب صديقه العالم المجري (غولدصهير) اليهودي ٠ وكثيراً ما كانت صلاته بعلماء المشرقيات باعثة على تخفيف حملاتهم على الاسلام ولو قليلا ٠ وهذا جل ما كان يهتم له ثم يهمه من امر المستعربين من المستشرقين توفرهم على خدمة آدابنا بنشرهم كتبنا النفيسة وكان يعاونهم فيما هم بسبيله اذا استطلعوه طلع رأيه ومتى استفتوه أفتاهم بما يتعذر وقوفهم عليه ٠

ومن عادة الشيخ ان يصحب الفرق المختلفة مهما كان لون طريقتهم ونحلتهم حتى الملاحدة وارباب الطرق . رأى ذات مرة جماعة يتألفون على طريقة لهم يحبونها واذكار مأثورة يقيمونها وشهد في بعض أفرادهم استعداداً للعلم فما زال بشيخهم وكان من أصحابه وتلاميذه حتى حمل الجماعة على ان يشغلوا الوقت في مطالعة كتاب من كتب القوم في التصوف وكان هذا الكتاب في الادب العالي والأخلاق الفاضلة . ورأيت الشيخ يحتمل كثيراً من تجهم بعض اولئك المتألفين فيدخل في مجلسهم متظاهراً بانه طالب استفادة حريص على درس أستاذهم وهو يحمل اليهم النسخ المخطوطة من الكتاب لمعارضتها بالمطبوع يحاول ان يعلم بعضهم صورة المراجعة في كتب اللغة حتى تسلم العبارة من الخطإ ويخدم الكتاب الخدمة اللائقة وبذلك تيسر له ان ينقل بعض ارباب الاستعداد منهم من كتب التصوف الى كتب العلم والأدب وسمعت بعضهم يتبرمون بقراءة تفسير ابن جرير الطبري وتبسطه في شرح الكتاب العزيز فجاء من هذه الزمرة أدباء نافعون بعد ان كانت نفوسهم مشبعة بالكشف والخيالات والمنامات . وأدخل النور على كثير من أذكياء العلماء من أصحابه وكان منهم الذين ذرفوا على الستين فما استطاعوا ان يؤثروا الاثر المطلوب في مريديهم ومنهم من ساعدهم الطالع ان كانوا في سن الشباب فعالجوا التأليف والوعظ والتعليم فانتفع بهم الناس كل النفع ومنهم من لم يتمرنوا على الكتابة والالقاء فبقيت لهم افكارهم في دائرة القوة لم يتعد اثرها المختفين بهم من الأصحاب والمريدين .

ولقد كانت له صداقة اكيدة بالعالم المطران يوسف داود السرياني يتسامران ويتحدثان ويتهامسان ويتناقشان . وما أدري ان كان المطران أثر في الشيخ او أثر الشيخ في المطران . سمعت الشيخ يثني الثناء المستطاب على صديقه المطران وقد طالت به صحبته وعشرته . وهكذا كان له اتصال بالارمن واليهود واليسوعيين الكاثوليك والاميركان البروتستانت . وكان يغضي عن كثير من النقد على رجال الدين من غير المسلمين ويقول هم أقرب الناس الينا يعتقدون بالله واليوم الآخر وخلود النفس . وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتحب عشرته على ما بينها وبينه من التخالف الظاهر في الزي والعادة والخلق والمذهب ويطلعونه من سرائرهم على

ما لا يبوحون به لأقرب الناس اليهم . وسمعته غير مرة يقول « الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق » .

صحب بعض الزنادقة وما زال يصبر على ماينبوعنه سمعه من تصريحهم وتعريضهم وما فتئ يلقنهم أفكاره بالتؤدة مدة حتى عاد بهم الى حظيرة الدين وهم لم يشعروا فيما أحسب بما دخل على عقولهم من التبدل وصحب كثيراً من غلاة الشيعة والطوائف الباطنية فما برح يلطف لهم حتى أضعف من غلوائهم وأبدلهم بعد الجفوة أنساً وغيّر من انقباضهم وانقباض الناس عنهم ليعيشوا في هناء وسط المجتمع الانساني الاكبر .

وكان يتفنن في بث الأفكار الصحيحة واخراج قومه من الأمية المميتة و يحمل خاصته ومن يصل صوته اليهم على تعليم اولادهم الممكن من ضروب العلم الذي يتناسب مع حالتهم الاجتماعية . وقال لي مراراً اذا أردت إدخال الاصلاح الى بيوت الاعيان وفيهم الجاه والمال فاجهد لان يتعلم ولو فرد واحد من كل أسرة تقلب به كيانها . وكثيراً ما قال لنخرجن من بيوت الاغنياء اولاداً يحاربونهم بسلاح التربية الصحيحة وقد وفق الى ذلك بعض الشيء . وكان يقول لوطلب مني اليهود ان أعلمهم ماتأخرت ساعة عن إجابة طلبهم لان في تعليمهم تقريباً لهم منا مهما كانت المباينة والفوارق بيننا وبينهم .

ما رأيت الشيخ يبغض انساناً بغضه لشقيقين دمشقيين جعلا شعار العلم على رأسيهما وكان اذا ذكر احدهما اوكلاهما في مجلسه يقول « دعونا » وتنقبض نفسه انقباضاً دونه كل انقباض ولو علمت ان بغضه لهما — وكانا بغيضين للناس — كان ناشئاً من كونهما اعطيا عهداً على انفسهما ان يصدا النساس عن طلب العلم لبطل عجبك . واكد الاستاذ ان الاخوين قد وفقا بدعايتهما الضارة الى ان قطعا عن الدرس نحو اربعين طالباً كان يرجى ان يكون منهم متعلمون بل علماء عاملون وكان من عادة بعض ادعياء العلم من الشيوخ ان يرغبوا الناس عن الدرس ليخلو لهم الجو ويستمتعوا وحدهم بالمناصب الدينية والاوقاف والمدارس والجوامع لا ينازعهم احد في شؤونهم ما خلا أبناء بيوت محدودة معروفة ممن هم على شاكلتهم في غش الامة والاستئثار بمرافقها . فكان شأن هؤلاء في الاستئثار الممقوت شأن كهنة قدماء المصر بين

لا يسمحون لغير فئة خاصة بالتعلم او شأن اصحاب الطبقات من الهنود او اللاو بين عند اليهود لا يدخل اهل طبقة في طبقة غيرها مهما تبدل من حالتها ٠

من اجل هذا كان من رأي الشيخ ان يتعلم كل طالب علم (العلم الاسلامي) صناعة او تجارة او نحو ذلك من أسباب المعاش مما يغنيه عن الناس وعن تكفف العظماء لتعزف نفوسهم عن التناول من الاوقاف والتمرغ في حمأة القضاء والافتاء و ينشأوا على استقلال النفس لان هذا العلم يطلب لذاته وفائدته في الدارين لا للتكسب به عند السلاطين والحكومات ٠ وفي سيرة بعض علمائنا الاقدمين ممن كانوا يحترفون ويتجرون عبرة لاهل هذا الشأن واي عبرة ٠

ولطالما تفرس الشيخ في انسان الشر واعرض عنه وحذر أصحابه من الدنو منه فيناله من نقد غير العارفين ما يناله و يقولون ان الشيخ صاحب أطوار وغرائب والشيخ ساكت يقول : « هم أحرار ونحن لا نكمّ أفواه الناس عن التحدث بما يروقهم » ولا تلبث الايام بعد حين ان تكشف نفس ذاك الشرير على صورة مستغربة وكثيراً ما كنت أسأله عن بعض الاشخاص من حيث علمهم اواخلاقهم فيجيب (الامر مجهول) فافهم بالتعريض ان في معلوماتهم او سلوكهم نظراً فيظهرون بعد لأي بمظهر الجهل او الخيانة ٠ وقد خدعوا السذّج من اصحاب الصدور السليمة ومن قلت تجاربهم في المجتمع اعواماً غير قليلة ٠ ومن فراساته الغريبة يوم حدث الاعتداء على ولي عهد النمسا في مدينة سراجيفو سنة ١٩١٤ ان حرباً اوربيةً طاحنة ستنشب لامحالة فأبعد في تصوره خطورة الموقف الى ما لا يتعداه غير اعاظم المفكرين العارفين بنتائج الحوادث ٠ كان يصدع بالحق ولا يماري اذا دخل مجلساً ورأى فيه بعض الظالمين او المخرفين غلب عليه الجلال فلا ينطق بكلمة ، واذا رأى من احد الحاضرين تمويهاً في امر وخروجاً عن الصدد جبهه واحتد فيخرج عن مألوف الناس في الملاينة والملاطفة وهذا سر من أسرار ازورار بعض الناس منه ٠ واتفق ان احد أترابه ارتقى في الدولة العثمانية حتى أصبح الحاكم المتحكم في العهد الحميدي فقاطعه الشيخ مقاطعة بلا سبب ظاهر فتوسط صاحبه احد أقاربه ليعود الشيخ الى مراسلته ووعد الشيخ ومنّاه فأغضى الشيخ عن إجابته ثم الحّ الوسيط بعد مدة ليعرف الداعي الى إعراض الشيخ

عن صاحبه فقال : « اكتبوا له اننا لا نتعرف اليه ما دام لا يعرف أمته ومتى فكر في إسعادها وتخفيف البلاء عنها عدنا إخوانه وأخدانه » . وحدث ان صديقه الاستاذ احمد زكي باشا نال بواسطة المرحوم احمد حشمت باشا وزير معارف مصر اعتماداً بعشرة آلاف جنيه لطبع مجموعة من الكتب العربية القديمة النادرة تبلغ فيما أذكر سبعة وعشرين كتاباً ومنها ما يدخل في بضعة مجلدات فتباطأ زكي باشا في الطبع ومضت السنة فقيد المبلغ في نظارة المعارف على حساب السنة المقبلة ولم يخرج الباشا شيئاً وهكذا حتى ألغي الاعتماد باستقالة حشمت باشا فغضب الشيخ غضبة مضرية من عمل زكي باشا وصارحه بقوله : « لقد أسأت الى الامة العربية بابطائك في إخراج الكتب للناس واذا ادعيت انك كنت تقصد نشرها سالمة من الخطإ مشفوعة كلها باختلاف النسخ والتعاليق فالتأنق لا حد له ويكفي ان ينتفع الناس بالموجود » . وظل الشيخ أشهراً لا يكلم صديقه الزكي الا متكلفاً كأنه عبث به وحمل الضرر الى مصلحته مباشرةً . واي مصلحة أعلق بقلبه من نشر آثار السلف واذ كان الشيخ عصبي المزاج يحب اتمام كل عمل لساعته وكان يستشيط غضباً من رجل قال له ان لك عندي كتاباً ولكني انسيته في داري اوحانوتي اومدرستي وكثيراً ما كان يحمل من يشغله بكتاب جاءه على ان يفتح محله مهما كان بعيداً او مهما كان الحديث في ساعة متأخرة من الليل . ويقصد الشيخ في ذلك ان يعلم الناس العناية بمصالح غيرهم ايضاً . وكان يقول في مثل هذه الاحوال ولعل في الكتاب امراً مستعجلاً يستدعي ان يجاب عليه في الحال .

غريب عاداته

كان سمت الشيخ وهندامه سمت العوام وهندامهم وعمامته من الأغباني في جبة بسيطة وقفطان قطن وزنار مزدوج يخبأ فيه بعض الدراهم وألبسته من صنع الوطن الا النظارتين والطربوش ويختار من القمصان والسراويل ما خف ثمنه ليطرحه اذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله وكثيراً ما يلبس قميصين وسروالين وقفطانين وصدرتين وجبتين ليكون على اتم الاستعداد لما يطرأ على احد الزوجين فيطرحه حالاً ويستعيض

عنه بأخيه دون انتظار شيء آخر · ويقل استعماله للمناديل المتعارفة المعمولة من القطن فيعمد الى اتخاذ مناديل من الورق الغليظ يضم بعضه الى بعض و يخيطه فيكون دفتراً يلقي به الشيخ بعد ان يتسخ كله · وكان يطهر جسمه ولا ينظف ثيابه كثيراً · أصيب بهذه الخلة خصوصاً بعد ان فقد والدته في صباه ولم يبق له من رحمه امرأة تتعهده ابداً بنظافة ثيابه والعناية بظواهره وانى له هو ان يسد مسد أمه في ذلك وفكره مشغول بمطالب عالية أخرى قد لا يتسع لمثل هذه الجزئيات في رأيه ·

ورأيت في بعض تعليقاته في ترجمة عبد الله بن الخشاب وكأنه ينقله لما ترجم نفسه فقال بلسان الحال وهذا رجل مثلي كان الى الخمول قال : « كان وسخ الثياب ما تأهل ولا تسرّى له معرفة بالحديث والمنطق والفلسفة والهندسة بل بكل فن ، وكان يترك عمامته اشهراً ولا يغسلها ويلبسها كيف اتفق فاذا قيل له في ذلك يقول ما استوت العمة على رأس عاقل قط » · وشيخنا رحمه الله كان من هذا الطراز · والعبقرية على ما يظهر تكمل من صاحبها ناحية واحدة وتنقص منه من الناحية الاخرى بقدرها · أراد الشيخ احد أصحابه في القاهرة خلال الحرب العامة على ان يغير جبته لانها بليت بعض أطرافهـا فسكت الشيخ عن إجابته · فلما ألحّ عليه مرتين وثلاثاً أجابه « يا فلان تريدني على اقتناء جبة جديدة واهل الشام اليوم يموتون من الجوع » ·

وأضافه احد اصدقائه في بيروت واخذ ذات يوم ثيابه بدون استئذانه ليغسلها وعوضه عنها ثياباً جديدة فحنق الشيخ ومازال بمضيفه حتى أعاد اليه ثيابه الوسخة وذلك لئلا يشغل فكره في ثيابه ريثما تغسل وتنشف ولئلا يلبس ثياباً غير ثيابه · وغضب مرة على احد اصحابه ومساكنيه في القاهرة لانه افترص غيابه فنزع من غرفة الشيخ جميع الكتب والفراش المملوء بالبق وكنس الغرفة ونفض الغبار عن الكتب والأواني وغسلها ووضع سمّاً لقتل البق في السرير حتى لا يصل الى الشيخ فيقرصه وأعاد كل شيء الى مكانه فلما رأى الشيخ ذلك عرف ما دبر له ولم تطب نفسه بهذه التعزيلة وانحى على صاحبه باللوم والتقريع · ورأيته مراراً وقد نتأ مسمار اومسامير من حذائه فكان يخصف من ورق الشجر يجعله في الحذاء لينفي ضغط المسمار على رجليه ولاتحدثه نفسه ان يذهب الى الحذّاء يصلح له حذاءه واذا قلت له في ذلك أجابك ان الوقت

لا يساعدني . وكان مداسه متسماً في الشتاء يجرف من الارض طيناً كثيراً يعلق بجبته فيصبغ وجهها شكلاً وقفاها شكلاً آخر . ولطالما تبرم بزيارته ايام المطر بعض ربات البيوت مخافة ان يعلق طين جبته في المقعد الذي يقعد عليه . وكان اذا اشتد الحر استثقل الجوربين فنزعهما من رجليه وعوضهما اوراقاً هشة ملونة جعلها حفافي نعله لتمتص العرق بزعمه . وانت لا تملك نفسك من الضحك اذا رأيت رجليه وتستغرب من عظيم كهذا يهزأ بعادات مجتمعه الى هذا الحد ولا يبالي النقد ولا الملام ولطالما قال انا شاذ ولا أحب ان يقتدي بي احد .

ومن عادة الشيخ ان يحمل في جيوبه وعبابه بعض الدفاتر والرسائل بل أقلاماً ودواةً ومقراضاً وسكيناً وابراً وخيوطاً وشيئاً مما يحمل من النواشف والخبز والجبن والزبدة والتين والزبيب وفي بعضها مادة دهنية دسمة يخشى ان تسيخ كالشواء ومادخله سمن او زيت من المآكل يضع ذلك في مقوى او ورق غليظ ويستعمله عندما يريد ويطعم منه اصحابه ان احبوا . اما الدخان والسكر والمربى فيحمل منه مؤونة ايام احياناً وقد يطبخ القهوة في داره كمية وافرة ويحمل منها ما يكفيه اسبوعاً حتى لا يضيع وقته بطبخها كلما اراد تناول فنجان منها وهكذا يشربها باردة بائتة اياماً لئلا يشتغل بها كل ساعة عن مطالعته . وقال لي مرة انه ابتاع ارطالاً من البرتقال وضعها في داره ومن الغد بدا له ان يسافر وتذكر وهو على اذرع قليلة من البيت انه يجب ان يستصحب في حقيبته شيئاً من البرتقال وتذكر ما اشتراه منه بالامس فآثر ان يبتاع برتقالاً من الطريق لئلا يضيع وقته بالرجوع الى الدار بعد ازماعه الخروج منها ولم يعد الشيخ الى داره الا بعد ستة اشهر وفرح ان رأى برتقالاته تضمر وتنشف .

وكان مغرماً بالتدخين منعه الطبيب منه واراده على إبطاله فتعذر عليه ذلك فقال الطبيب ان كان لا بد من التدخين فلف بنفسك لفائفك حتى يمضي جانب من الوقت في اللف وكان الشيخ لا يحسن صنع لفائفه فتجيء واحدة دقيقة واخرى غليظة وثالثة متوسطة وعندئذ يبدأ الشيخ بتجاربه ليضع اللفافة في البز (الفم) الذي يلائمها وكان في جيب الشيخ بضعة من هذه الابزاز بتخيرها من القصب او غيره من انواع الخشب وهكذا كان يتلهي عن الإكثار من التدخين ولو بضع دقائق واذا قلت له

بابطال التدخين ينهرك و يعرض عن حديثك هـذا وهو صاحب ارادة قدت من حديد او صخر ٠

ومن عادة الشيخ خلال الاربعين السنة الاخيرة من حيـاته ان لا ينام الا اذا صلى الصبح يساهر بعض اصحابه هزيعاً من الليل ثم يغشى حجرته يطالع و يؤلف وكان لا يراعي اوقات بعض احبابه فيوقظهم احياناً بعد الهزيع الثـاني من منامهم ليسمر عندهم اما من كان لهم مواعيد و يعرفون التوقيت لساعات الليل والنهار فكان يصونهم عن غشيان منازلهم موهناً ولا يطرق ابوابهم بعد الاوقات المعينة للسمر والسهر ٠

كان يحب السباحة والعوم وله مسبح خاص في بيروت وآخر في صيدا ومسابح في بعض أنهار دمشق وربما لبس سراو يله مبللة بعد الخروج من سباحته و يهوى السير على الاقدام للتريض ولطالما قطع عشرات الأميال بين المدن والقرى والجبـال والاودية سائراً على قدميه ٠ وقد يراه في الطريق بعض اصحـابه او من لا يعرفه و يدعونه الى الركوب في مركباتهم او على متون دوابهم فيأبى لانه لا يحب ان ينقض امراً ابرمه ونفسه تتوق الى السير ماشياً فاي معنى للركوب ٠ ومن اغرب اطواره انه اذا استمدت نفسه للقيلولة قال وهو وسط اخوانه يتذاكرون و يتدارسون٠ يقيل وهو قاعد و يضع على وجهه منديلاً وربما اتم اغفاءته عند انجاز الدرس والمذاكرة ولم يكن يحب ان يطول الدرس اكثر من نصف ساعة لانه يتبرم بالجد في هذه المجالس وهو يقضي الساعات في مطالعاته الخاصة ٠

كان الشيخ لا يعرف الهجر ولا يشتم شتماً ينبو عن حد الادب مع حدة فيه ظاهرة وألم من اكثر احوال المجتمع وكان اذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضرته والا فيعتريها شيء من اللهجة المغربيـة ممزوجة بالعامية الدمشقية وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته ونبراته لطيفة تحلو من فمه ٠ يمزج أحماضاً من الجد وما احصي عليه ان نطق يوماً بفحش او هراء او استعمل ما ينافي الأدب والمروءة وكان يميل الى بعض من فيهم البلاهة ممزوجة بالذكاء وتصدر عنهم غرائب الافكار والتصورات وربما قصدهم كل سنة من بلد الى بلد ليقطع بينهم اياماً يخرج فيهـا من الجد و يدخل معهم في حديث قد يروقه للتسلية ٠

حدثني احد لداته قال كنا في دمر احدى قرى دمشق نقضي فيها يوماً للنزهة وكنا في نحو الثلاثين من العمر فاعتزل الشيخ طاهر في ناحية من الحديقة يطالع ويكتب في ظل شجرة وكنا حراصاً على ان يكون معنا طول النهار وكانت في البستان فتاة اسرائيلية جميلة الطلعة فاقترحنا عليها ان تذهب الى الشيخ المستظل بالشجرة وتأتينا به ونحن نكرمها بالمال فصدعت بالامر ولما رفع رأسه من كتابه أخرج لها في الحال قطعة من القمرالدين (معجون المشمش) وقال لها « ايه بارك الله أنا كابين قمرالدين يا قمر الدنيا » وصرف الفتاة بهذا التقريظ وهذا كل ما اثر عن الشيخ في باب التصابي. وسأله احد الطلبة عن حكم التقبيل وما اليه فأجابه هذا موضوع لا أعرفه سل غيري. وتكلم احد اصحابه بكلام بعيد عن الحشمة في حضرته فأشاح بوجهه وتصامّ كانه ما سمع ولا دهش لهذا الغريب من الحديث على حين كان مغرماً بالغرائب ولكن لا من هذا البحر والقافية.

سأله احد الفقهاء ممن ألفوا كتباً دينية حشوها بما لا يقره الشرع الصحيح ولا العقل الصريح « كيف تجد كتبي يا شيخ طاهر » فأجابه في الحال متخلصاً أجمل تخلص « اشتغلوا ونحن نشتغل لنرى لمن تكون النتيجة » وكان يكره المتشدقين من المؤلفين والكاتبين خصوصاً في الدين والسياسة بل يكره كل من يقول بغير علم ويحاسب الذين يرمون الكلام على عواهنه حساباً غير يسير ويسميهم الحشوية كما يكره الجلجلوتيين والقبوريين والجامدين والماحكين. وسمعته يقول ان فلاناً برده على الماديين وهو لا يحسن العلوم المادية فتح علينا ابواباً يصعب سدها وفلاناً بمقالاته السياسية المطولة يفتح بقلمه كل حين مشاكل صعبة الحل.

وكان ينهر من يوردون احاديث تفت في عضد السامعين وتلقي في قلوبهم الرعب والوهم لان من مذهبه تقوية القلوب وإزالة غشاء الاوهام من الأحلام وان يصمد المرء لمكافحة الحوادث ولا يحب الاستقراء والاستنتاج اذا كانا في غير محلها حتى لا يؤدي التزيد والتفلسف الى تزييف الوقائع وإلباس الحقائق غير صورها ولذلك كان يستلطف من الانكليز السكسونيين ايجازهم في احاديثهم وكتبهم ويوحشه من اللاتينيين تبسطهم في أقوالهم ومكتوباتهم.

كان يرفق بالضعفاء و يرفع من قدر الصعاليك و يحمل على العظماء ويترفع عن ملابستهم وكثيراً ما كان يحدث العامة برفق وتؤدة و يخاطبهم خطاب اخوانهم لهم . ولطالما قال ان من الحكمة ان لا تجعلوا بينكم وبين العامة حجاباً كثيفاً اذا أحببتم هدايتهم والانتفاع بهم في المجتمع وعليكم ان توهموهم انه ليس بينكم وبينهم من الدرجات الا قليل يوشكون هم اذا اشتغلوا قليلاً ان يساموكم او يفوقوكم فهو بهذا كالطبيب الحاذق يعطي المريض الجرعة التي تناسبه و يتدرج به في المقويات درجة درجة وهكذا كان مع كل طالب ومستفيد . تحقق لدى الشيخ ان ابن اخيه وكان من نوابغ الشبان ابتلي بأخرة بالشراب يتعاطاه فقطع مكاتبته مع شدة حبه له وظل لا يكلمه ولا يبحث عنه مدة اثنتي عشرة سنة وهو يكتم السبب في إعراضه عن نجل شقيقه حتى أشار مرة لبعض خاصته بما يرتكبه المغضوب عليه من اخذ المسكر وعدّ عليه في جملة هناته انه أتعب نفسه في المدرسة زيادة عن المطلوب فضعف بصره حتى ينال رتبة علية وكان عليه لو سمع نصائح عمه ان لا يرهق نفسه و يكتفي من المنافسة مع اقرانه بما توصله اليه الطبيعة بدون اعنات ولا انهاك بدن وهذا من قوة نفسه وصدق حدسه .

كان يكره الاستعمار كرهاً شديداً ويحب المدنية و يحث على تعلم لغات الغرب و يكره السياسة العثمانية و يقول ان استيلاء الترك على بلاد العرب أضر بها وأزال مدنيتها وغيّر أخلاقها ولم يكن ينكر على الاتراك أدبهم في عشرتهم ونظامهم في بيوتهم وحسن معاملتهم لكبرائهم . وكان يحب من اهل المدنيات الحديثة كل أمة ترفق بالمسلمين في الجملة و يحب من الناس من يصرف في خدمة المسائل العامة شيئاً من وقته وماله . وكان يقول وهو على فراش الموت عدوا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد البلاد منهم ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم يقول هذا رجل أخلص كل الاخلاص في خدمة أمته وتفانى في حبها ومعالجة أدوائها الاجتماعية وكان جماع ما كافأته به في حياته عبوساً وانقباضاً وتنغيصاً وغصصاً ثم عصياناً على إصلاحه الناجع كالطبيب النطاسي يريد الخير بريضه المعربد وكلما ناوله الدواء عضه وأدماه وشتمه وآذاه « أريد حياته و يريد قتلي » .

وكان الشيخ كثيراً ما ينشد قول البها زهير :

يا أيها الباذل مجهوده   في خدمة أف لها خدمة
الى متى في تعب ضائع   بدون هذا تأكل اللقمة
تشقى ومن تشقى له غافل   كأنك الراقص في الظلمة

ويشبه الشيخ من كثير من الوجوه غاندي الفيلسوف الهندي المعاصر وان لم يكن له ما لهذا من الشجاعة وذلك ان الشيخ لا يحب الاذى ولا العنف ويحاول احياء كل ما هو آسياوي من اللغات والتقاليد وتعليم الناس الصنائع وعدم الغفلة عما عند الامم الغربية من مقومات العلم . ولا عجب فالعقل واحد مهما اختلفت الأعصار وتباينت الأفكار العقل السليم في هذا الشرق القريب وفي ذاك الشرق الأوسط وما وراءه من الشرق الاقصى لا يختلف في مظاهره الحقيقية عما هو عليه في اوربا واميركا وافريقية .

نعم لم يكن الشيخ طاهر كالمهاتماغاندي في حملاته حتى ولا في تصريحاته . المبدآن متفقان الا قليلا ولكن ابن الوثنية جسر على العمل بمبدإه اكثر من ابن الاسلام . شعار غاندي « هندوساً كنا ام بارسيين نصارى ام يهودا اياً كنا يجب اذا تاقت نفوسنا الى ان نعيش أمة واحدة ان تكون مصلحة الفرد مصلحة الجماعة ولا عبرة الا لمدل مطالبه » . اما الشيخ الجزائري فكان يتوقع من القوم ان يقولوا هذا وهو لا يدعوهم اليه الا بالاشارة والمثال البعيد . والحكيم الهندي قال ما اعتقده غير مجمجم فتخلص من قيود كثيرة وأراد أمته علناً ان تنهج سبيله فكانت شهرته شهرة عالمية وانحصرت شهرة الشيخ في بعض أصقاع العرب . وكان بعضهم يقول ان الشيخ ضنين بالافادة حتى ادعى بعضهم « ان الشيخ طاهراً بئر علم ولكن لا ينتفع بها » والحقيقة انه يصعب على الشيخ مجاملة من يتشهى ولا مأرب له الا ان يقال عنه انه باحث وطالب فوائد فلا يرى ان يتعب نفسه في افهام فضولي يسأله في الفلسفة العليا او في مسائل تعلو عن محيط عقله على حين هو في حاجة الى ان يتعلم القراءة والكتابة . فكان في ضنانته هذه حكيماً ايضاً لا يظلم الحكمة فيلقي دررها بين ارجل من لا يعرف قدرها ولا يتأتى له ان يحسن الانتفاع بها . اما المستعدون للتلقي

والترقي فكان يجهد ان يختصر لهم طريق الوصول الى ما يريدون و يبعث كل حين عقليتهم و يفيض من واسع علمه على أذهانهم وكلما رآهم يحرصون جد الحرص على التقاط فوائده جاد عليهم بما يعلم الا اذا كان ثمة شيئاً لا يعرفه فانه يقول (لا أدري) غير مبال بنقد من يذهبون الى استقلال علمه وعدم إحاطته . فكان الآخذون عنه بالنظر لتحريه الصدق على ثقة من العلم الذي يسمعونه ويستملونه منه لان الشيخ الى التصريح بعدم معرفته أقرب منه الى ايهام الناس انه يعلم كل شيء شأن المموهين والجامدين ولذلك لم يحسب عليه ان بدت مقالته مرة لانه يقول بعد التحقيق و يكره التلفيق .

« للبحث صلة »

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ عارف النكدي

على اقتراح الاستاذ «المغربي»

يعتور اللغة العربية اليوم — في جملة ما يعتورها ، داءان : قديم وحديث . وكلاهما عياء ، عائق لهذه اللغة عن المضي في سيرها الطبيعي ، تبعاً لسنة الارتقاء ، ومجاراة لسائر اللغات الحية .

الداء القديم : يتمشى هذا الداء في مفاصل اللغة عن طريق التوارد والترادف : وهي الالفاظ الكثيرة تدل على المعنى الواحد ، وعن طريق التشارك : وهو اللفظ الواحد يدل على المعاني الكثيرة .

التوارد والترادف : فظهور الشيء وشيوعه ووضوحه ، يدل عليه من الالفاظ : بدا — وظهر — وعلن — واعتلن — واشتهر — وانتشر — وذاع — وانذاع — ووضح — واتضح — وبان — واستبان — وبيّن — وتبيّن — وطلع — ونصع — وانجلى — وتجلى — وسفر — وأسفر — وأشرق — وصرّح — وانصرح — وتصرح —

هذا خلا ماقد يكون فاتنا ذكره ، وعدا عما يمد هذا المعنى عن طريق الكناية والاستعارة . واذا كان هذا دليلاً على سعة اللغة ، فان فيه اجهاداً للذهن بمثل هذا الجيش العديد للمعنى الواحد . وهو مايخرج عن مستطاع الذاكرة استيعابه ، او اذكاره كله في حين الحاجة اليه .

الألفاظ المشتركة : فمن هذه الألفاظ وهي عشرات المئات :

الغرام : اللازم من العذاب — الشر الدائم — البلاء — العشق — ما لا يستطاع ان ينفصى منه .

الجَمَل : الحيوان المعروف — الحبل .

البهو : البيت المقدم امام البيوت — كناس واسع يتخذه الثور ٠

وقد يشتد الامر فتصبح الكلمات من الأضداد فمن ذلك :

البين : الفرقة — الوصل ٠

الوراء : خلف — قدام ٠ وفي سورة الكهف « وكان وراءهم ملك» اي قدامهم ٠

البلاء : يكون في الخير والشر ففي الشر معروف ٠ وفي الخير كقوله تعالى : « وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاءٌ مبين » اي انعام ٠

الصريم : الليل — النهار ٠

تلوته : تبعته — خذلته وتركته ٠

الجَلَل : العظيم — الحقير ٠

الجَوْن : الاسود اليحمومي — الاحمر الخالص — الابيض ٠

الخشيب : الرديءُ — المنتقى — ومن السيوف الذي لم يصقل ولا احكم عمله — وهو ايضاً الصقيل طبع واحكم عمله (فتأمل !) ٠

تظاهر القوم : تدابروا ، كأنه ولّى كل واحد منهم ظهره الى صاحبه — والتظاهر التعاون والتساند ٠

وادهى من هذا ، ان بعض الالفاظ يبلغ معنى الواحدة منها سلسلة لا يأخذ البصر بطرفيها ، فالعجوز مثلاً لم يقف فيها الخطبُ ان معناها المرأة : شابةً كانت ام عجوزاً ٠٠٠ والذهب — والفضة ٠ والجبل الضخم — والاكمة الصغيرة — الى غير ذلك من الاضداد ٠ ولكنه تجاوز هذه المعاني المتناقضة الى ما هو اكبر مصيبة على اللغة ، بل علينا ٠ اذ كان من معاني هذه العجوز المسكين :

الارنب ٠ الاسد ٠ الثور ٠ البقرة ٠ الثعلب ٠ الذئب ٠ الذئبة ٠ الضبع ٠ العقرب ٠ الغراب ٠ الفرس ٠ الكلب ٠ الرخم ٠ حمار الوحش ٠ عانة الوحش ٠٠٠

هذه أجارك الله بلطفه من العجوز ، بعض معانيها التي أطلقها العرب على الحيوانات غير الناطقة ، فما قولك في ما أُطلق منها على الناطقة ، وعلى النبات ، والجماد ٠ ومما لا يحتاج الى برهان ان اكثر هذه المترادفات والمتشاركات انما جاءت من باب الصفة والنعت ، او الكناية والاستعارة والمجاز ، او اختلاف اللغات باختلاف القبائل ،

او من تسمية الشيء بضده استنكاراً واستهزاءً . مما ليس من غرضنا الآن ان نفيض فيه .

والذي يعنينا من هذا ، ان ننظر في ما كان من امر العرب علمائهم وأدبائهم ، وقد واجههم هذا المشكل اللغوي . انهم عالجوه بسليقتهم الفطرية معالجة دقيقة لا تقل قيمته عما عالج به المجمع اللغوي الفرنسي لغته ، بعد الدرس والتدقيق العلمي .

فمن رجع ببصره في كتب القوم الادبية ، ودواوينهم الشعرية — دع أسفارهم العلمية — رأى انهم نظروا الى الالفاظ المترادفة والمشتركة من ثلاثة وجوه :

الوجه الاول : اسقطوا من الالفاظ المترادفة ما كان منها حوشياً نافراً وفي المأنوس المشهور ما يغني عنه . وأعرضوا عن وزن (أفعل) مما جاء بمعنى (فَعَل) من غير زيادة في المعنى . وهذا صرحوا به وعدوه في اللغات الضعيفة المهجورة . فأنت لا تسمع بليغاً مدققاً من كتاب العرب يقول : اوقف — وارجع — واركن — واشهر — واقلب — واعد (من العدد) واسدل — وارعب — والام — الى كثير من امثالها مادام الى جانبها وفي معناها تماماً : وقف — ورجع — وركن — وشهر — وقلب — وعد — وسدل — ورعب — ولام .

ولا عبرة بالشذوذ . اذ الامر في اللغة للجمهور .

الوجه الثاني : الاضداد — وهذه انقسمت الى طائفتين :

الطائفة الاولى : الالفاظ التي قلّ شيوعها واستعمالها ، واستوى فيها المعنيان المتضادان — كالجَوْن : للاسود والابيض . والخشيب : للرديء والمنقى . والصريم : لليل والنهار . فهذه أماتوها جملة حتى عز ان يودعها شاعر قافيته ، او تجري في كلام بليغ خلا دواوين اللغة .

الطائفة الثانية : الاضداد التي غلب فيها احد المعنيين صاحبَه ، فهذه أماتوا المرجوح منها ، وأثبتوا المشهور . بحيث كاد ينسى ان لها معنى آخر غير ما تستعمل له .

فلقد اقروا (البين) بمعنى الفراق . و (تلوته) بمعنى تبعته . و (جلل) بمعنى الشيء العظيم . فأنت اذا اطلقت لفظة من هذه الألفاظ لم ينصرف معناها الا لهذا

المعنى الذي ذكرناه . فعلوا هذا في حين ان (جلل) وردت بمعنى الشيء اليسير في شعر امرئ القيس ، اذ يقول في مقتل ابيه :

بقتل بني اسد ربهم الا كل شيء سواه جلل

وفي قول لبيد : كل شيء ما خلا الله جلل

وفي شعر المثقب العبدي وابن دريد ، وزويهر بن الحارث الضبي (انظر لسان العرب) مادة (جلل) .

وهؤلاء الذين جاءت في أشعارهم (جلل) بمعنى الشيء الهين ، هم العرب الاقحاح الذين انما عنهم وعن أمثالهم أخذت العربية . مع هذا كله ، لا تجد عربياً واحداً بعدهم استعمل هذه اللفظة بهذا المعنى ، على شديد الحاجة اليها في القوافي ، وعلى كثرة ما لفحول الشعراء كأبي تمام والمتنبي والبحتري من القصائد اللامية على هذا الروي .

ومثل ذلك (وراء) حصروا معناها في (خلف) فلم يستعملها واحد منهم بمعنى (أمام) على الرغم من انها وردت في القرآن وهو المصدر الاول من مصادر البلاغة العربية .

الوجه الثالث : الالفاظ المشتركة مما ليست من الأضداد . ولم يقفوا من تهذيب لغتهم عند الاضداد ، ولكنهم بالغوا في ذلك حتى تناولوا قسماً غير يسير من غير الاضداد ايضاً . فخصوا باستعمالهم : الغرام . للحب الشديد ، لا للشر الدائم ولا للبلاء . والجمل : للحيوان لا للحبل .

واعرضوا عن تلك المعاني التي لا تحصى ، للفظة الواحدة . فالعجوز مثلاً حصروا معناها في الطاعن في السن ، وأراحوها من سائر المعاني التي استنبطت لها . ولا يخالف ذلك ان نفراً من المتنطعين في المتأخرين ، جعلوا أمثال هذه الالفاظ قوافي لقصائد نظموها ، وضمنوا اللفظة الواحدة مختلف معانيها . مادام فحول الشعراء — دع الكتاب — لم يتناولوا هذه اللفظة بهذه المعاني ، وما دامت هذه القصائد ليست مما يحفظ في خزائن الأدب ، ولا هي مما يحرص عليه لغوي او اديب استذوق الادب الصحيح .

غير انهم استثنوا من ذلك اللفظة التي بين معانيها صلة مناسبة . كالعين مثلاً ، فلقد أقروها بمعني الباصرة — وينبوع الماء — والوجيه في قومه — والجاسوس .

والنسبة اللغوية في ذلك كله متصلة ، واللبس تنفيه الكلمة الواحدة ، تقرن الى لفظة العين . ولهذا أمثال في لغات الامم . ومع هذا فانهم فرقوا بعض التفريق في هذه اللفظة من حيث التثنية والجمع ، تبعاً لمعانيها . فلا تكاد تثنى العين متى كانت بمعنى الوجيه ، او الجاسوس . فلا اذكراني قرأت في كلام مقبول من يقول جاءني عينان ، يريد : رجلين وجيهين ، اوارسلت العينين ، يريد جاسوسين . بل انا اجزم ان مثل هذا لا يقوله بليغ . والعين ، وان كانت تجمع مطلقاً على : أعين ، وعيون ، وأعيان ، فانهم لم يستعملوا (الاعيان) جمعاً للعين الباصرة ، بل خصوا بها وجهاء القوم . ولا قالوا في الوجهاء : اعين القوم ، حتى ولا عيونهم ، الا اذا لحوا فيها الى معنى العين الباصرة ، وما ينطوي عليه معناها الحقيقي القريب . ولا هم جمعوا العين بمعنى الجاسوس ، على (أعين) ولا (أعيان) .

ثم انهم أماتوا من معانيها : الشمس وشعاعها — واهل البلد — واهل الدار — والجماعة — وحقيقة القبلة — والدينار — والعيب — ومطر ايام لا يقلع — والربا . والسحاب من ناحية القبلة ، او ناحية قبلة العراق = ونصف دانق من سبعة دنانير ، الى غير ذلك من المعاني الغريبة ، التي لا تتصل الى المعنى الاصلي بسبب وثيق .

هذا ما كان من عمل السلف الصالح ، وقد خافوا على اللغة ان يتطرق اليها الفساد من ناحية الاشتراك والترادف ، حتى بلغ بهم الامر أحياناً ، ان يفرقوا بين اللفظة الواحدة سُمعت بالقصر والمد كالبكاء والبكا . قال الفراء وغيره : اذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء واذا قصرت اردت الدموع وخروجها . وعليه :

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

واما الافعال التي جاء منها (افعل) بمعنى (فعل) من غير ترجيح بينهما في الفصاحة فقد حاولوا في اكثرها ان يجعلوا بينهما فرقاً . مثل (وفى) و (اوفى) قالوا (وفى) بمعنى تم و (اوفى) بمعنى أتم . و (بلى) و (ابلى) جعلوا من الخير أبليته ابلاءً ، ومن الشر بلوته بلاءً .

وهذا التفريق وان كان فيه شيء من النظر ، فهو يدل على عناية هؤلاء القوم بلغتهم ، ورغبتهم في تحديد الاشتراك والترادف فيها على قدر الامكان .

وعلى الجملة ، فهم قد سنوا للناس من بعدهم سنة في تهذيب اللغة ، حقيق بالمجامع العربية ان تأخذ بها . حتى اذا أنشئ المجمع العربي العام ، وهو الذي ينبغي ان تكون له الكلمة العليا . لم يقف به الامر عند استحسان بعض الكلمات وترجيحها ، واهمال بعض المترادفات وتضعيفها ، بل يكون له القول الفصل بتحديد معاني الالفاظ وحصرها ، وبالقضاء قضاء باتاً على الكلمات التي يرى من الفائدة القضاء عليها ، فلا يبقى لمنطع حجة : بان تلك اللفظة وان كانت مرجوحة ، فهي موجودة ، وان كانت ضعيفة ، فقد وردت في كتب اللغة ، واستعملها فلان وفلان ولي بهم أسوة .

فتهذيب اللغة ، وتحديد معانيها واصولها ، عمل لا بد منه في توطيد اركان اللغة ، وهو ما فعله الفرنسيس في صدر القرن السابع عشر « اذ عنوا بتوضيح معاني الكلمات ، وبتحديد مدلولاتها ، وبتفريق ما اقترب معناه حتى كاد يُغَم عليهم امره . وبتخصيص الجمل بتعابير مستقلة بعدان كاد بعضها يكون مشتركاً ، تستعمل الجملة الواحدة في معاني مختلفة ، من غير تفريق بينها . وحصروا كثيراً من المترادفات في معاني مختلفة بحيث أصبح لكل لفظ منها معنى خاص[1] » .

واللغة العربية اليوم ، أحوج ما تكون الى هذا العمل . وقد أدرك ذلك اصحاب النظر ممن رموا الى تأليف المجامع العربية . قال الشيخ احمد الاسكندري في خطبة ألقاها بمناسبة تأليف مجمع لغوي بمصر : « منع طريقة التعريب في تسمية المسميات الحديثة ، واتباع طريقة التوسع في استعمال الالفاظ العربية ، خصوصاً القليل الاستعمال منها ، الخفيف على السمع ، لتقليل الاشتراك ما امكن » .

* * *

الداء الحديث : واما هذا الداء الثاني الذي أشرنا اليه في مطلع الكلام ، فهو وقوف لغتنا ، او بعبارة أصح وقوفنا بها موقف العجز في كثير من المعاني المستحدثة ، والمخترعات المستجدة . وهذا العجز ينتهي باللغة آخر الامر الى ان تكون غريبة عن

(١) قاله (لانصون) مدير دار المعلمين العليا في كتابه تاريخ الادب الافرنسي الطبعة الثامنة عشرة .

عصرها ، ولا نعيش لغة في عصر هي غريبة عنه ٠

ولا بد لنا من القول ولو ايجازاً ، ان العمل لسد هذه الثلمة ميسور (١) بمدارسة معاجم اللغة واستخراج الكلمات التي تسد شيئاً من هذه الحاجة ، كما فعل جمهور علماء العربية المتأخرين لجاؤوا من ذلك بكلمات كأنما وضعت خصوصاً لما استعملوها له ، او هي قد وضعت فعلاً لما يقرب من ذلك ، بحيث لا يصح ان يعد استعمالها من قبيل المجاز ٠ (٢) بالالتجاء الى المجاز ٠ (٣) ثم بالتعريب والنحت ٠

الخلاصة : ان اللغة العربية هي أحوج ما تكون الى تحديد بعض المترادفات ، وتقليل المشتركات ، والى إخراج او تخريج الفاظ تؤدي المعاني التي أشرنا اليها ، ثم يودع ذلك في معجم يكون المرجع المعتمد في العربية ٠

فاذا قيل ، الا يتطلب هذا العمل مجمعاً عربياً عاماً ؟ قلنا بلى ! ولكن ذلك لا يمنع المجامع الخاصة في كل قطر ، وعلماء العربية وادباءهم ، ان يهيئوا ما تيسر من الالفاظ ، والمقترحات المعقولة ! تكون كالمواد الاولى لذلك المجمع العام الذي لا بد من تأليفه يوماً من الايام ٠

اما وقد انتهينا من هذه الكلمة التي رأينا ان لا بد منها ٠

فلنرجع الى اقتراح الرصيف الشيخ عبد القادر الذي تناول فيه (الكلمات غير القاموسية) وندقق فيها جملة جملة تبعاً للتصنيف الذي صنفه ٠

(١) كلمة (تبدّى) أقرها اصحاب اللغة بمعنى (سكن البادية) ولم تسمع بمعنى ظهر الا في قول عمرو بن معدي كرب ساقه الى ذلك الوزن والقافية ٠ وليس في العربية لفظ يدل على (سكنى البادية) غيرها ، فليس من الفائدة في شيء ان يشرك هذا المعنى الخاص بمعنى آخر هو اغنى ما يكون بالألفاظ ، اذ قد سبق لنا ان ذكرنا اربعاً وعشرين لفظة تدل على ظهور الشيء ٠ فأي حاجة بعد الى إضافة لفظ آخر ؟

واذا نحن اخذنا انفسنا بتهذيب اللغة على النحو الذي أشرنا اليه ، وكانت (تبدى) هذه قد جاءت في معاجم اللغة بمعنى (ظهر) ، لكان من الرأي تخصيصها (بساكني البادية) فقط ٠ وورودها مرة واحدة في شعر لعمرو بن معدي كرب ، ليس بشيء ، بعد ان

بسطنا ما كان من امر (جالل) وقد وردت غير مرة في شعر غير واحد من فحول الشعراء .

(٢) ومثل (تبدى) (أقص) فلقد مر بنا ان وزن (افعل) اذا جاء بمعنى (فَعَل) تماماً ، كان على الغالب اللغة الرديئة ينفر منها الاديب . والسبب في ذلك ان العرب ينفرون من التطويل ، والثلاثي أخصر من الرباعي فمتى جاء هذا بمعنى الثلاثي لم يبق من حاجة اليه . وقلنا انهم صرفوا او حاولوا ان يصرفوا كلا منهما الى معنى متى لم يرد ترجيح بين اللغتين ، فما الذي يحملنا على استعمال (اقص) الى جانب (قص) وهذه أخف وأرشق ، والمعنى بهـا تام ، لم تزده (اقص) وضوحاً ولا قوة . و (اقص) لها معانٍ مستقلة ، وبعضها متداول مشهور فاي حاجة الى ان نضمنهـا معاني أخرى لهـا الفاظ تؤديها . ففي كتب اللغة :

اقص — الارضُ انبتت القصيص واحده القصيصة وهي شجرة تنبت في اصلها الكماة[1] ويتخذ منها الغِسل ـ والفرسُ عظم ولدها في بطنها او حملت واستبان ولدها او حملها (وهذه المعاني مرتبط بعضها ببعض) — وعلى الموت أشرف — والاميرُ فلاناً من فلان اذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه ، او قتله قوداً ـ والحاكم فلاناً اذا مكنه من اخذ القصاص وهو ان يفعل به مثل فعله من قتل او ضرب او جرح اه اللسان — و— الرجل من نفسه مكن من الاقتصاص منه — و— البعير هُزالا : صار لا يستطيع ان ينبعث : (الاخيرتان عن أقرب الموارد) .

فلم يريد المقترح حفظه الله ان نحمل (أقص) من المعاني فوق هذا الذي حملته ، فنشركها في معانٍ جديدة حتى (تقص) [2] . . . اكل ذلك لانها وردت مرة واحدة في الجزء الثاني من تاريخ الطبري المطبوع في اوربا .

وهب ان الطبري ساقها مساق (قص) وانها لم تكن غلطة من غلطات النسخ اوالطبع فما الذي يحملنا على مخالفـة الاجماع اللغوي ، ومتابعة الطبري في لفظة وقعت له ،

(١) كذا في اللسان وفي أقرب الموارد القصيص نبت ينبت في اصول الكماة . وبين التعريفين فرق عظيم فليراجع (٢) تشرف على الموت . . .

والطبري ليس من أئمة اللغة الذين تؤخذ العربية عنهم ، ولا الكلمة مما نحتاج اليه ، بل هي على العكس مما يفتح لنا استعمالها باب المشاركة الفعّال الذي لقينا منه الامرين ·

وبعد ، فان الذي نراه ، ان الطبري اعلى لغة ، وأفصح لفظة من ان يستعمل (اقص) بمعنى (قص) فهو لم يقل (فأتيته فاقصصت قصتَهُ) بل (فاقتصصت قصته) واقتصصت الحديث رويته على وجهه فحرفها الناسخ ، اواسقط تاءها الطابع · وليس الظن بالمقترح ان يفوته هذا ····

(٣) كلمات اصطلاحية فنية او ادارية ! كقولهم : (هيأة المحكمة) و (تشكيل المحاكم) و (انعقدت الجلسة) و (تعريفة الرسوم) و (ميزانية) و (كمية) و (كيفية) ·

اما ان استعمال (هيأة المحكمة) و (انعقدت الجلسة) و (كمية) و (كيفية) مما يحتاج الى تجويز اعضاء المجمع العلمي كما طلب الرصيف المقترح ، ففيه نظر ·

اذ (الهيأة) حال الشيء وكيفيته وصورته وشكله = على ما جاء في لسان العرب = واياً من معانيها هذه أردت ، باضافتها الى (المحكمة) صح اللفظ ، واستقام لك المعنى ، غير موقوف على اجازة لغوي ، ولا مجمع لغوي ، بعد ان أجازته اللغة في العمدة من معاجمها ·

وليس بشرط ان تذكر المعاجم اللغوية كل تركيب اضافي ليجوز استعماله ، اذ اي حاجة من ذكر (هيأة المحكمة) وتفسيرها بانها الشكل الذي تتألف منه المحكمة ، او كيفية تأليفها ، بعد ان فسرت (الهيأة) بانها حال الشيء ، وكيفيته ، وصورته ، وشكله ، وعلى هذا المعاجم العربية والأعجمية ايضاً ·

بيد ان ما لا بد من قوله ، ان (الهيأة) مضافة الى المحكمة ليست من الضرورة في حيث يظن المقترح ، بل هي من الفضول والحشو الذي قل ان يكون له فائدة اومعنى · فقولك تألفت (هيأة المحكمة) واجتمعت (هيأة المحكمة) وأجمعت واتفقت كل هذا وامثاله لا يزيد شيئاً على قولك تألفت المحكمة ، واجتمعت ، واجمعت ، واتفقت ، الا ثقلاً في التركيب ، وشيئاً من الضعف في المعنى · ومما لا يحتاج ايضاً الى تجويز (انعقدت الجلسة) و (انعقد المجلس) فهو من التعبيرات الصحيحة المأنوسة ·

واما (الكمية) و (الكيفية) فقد غاب عني ما يريده صاحبنا من جعلها في الكلمات التي (يرجو من رفاقه اعضاء المجمع ان يجوزوا استعمالها) فلقد مر بك كيف ان صاحب اللسان فسر (الهيأة) بانها (كيفية) الشيء. وفي مادة (كيف) قال: مصدر كيف (الكيفية) واورد (الكمية) في كلامه على كم قال: وان جعلته اسماً تاماً شددت آخره وحرفته فقلت: اكثرت من (الكمّ) وهو (الكمية).

ولا اخال معجماً من المعاجم أغفل هذين اللفظين، فما الذي يدعو اليه المقترح؟ هذا ما لم أتبينه، الا ان يكون موضعهما في المعاجم جاء متأخراً على ماقتضاه الترتيب فلم (يحلوهما المحل الارفع) الذي يعتقد حضرة الزميل ان الاجانب يحلون الكلمات الدخيلة فيه ....

واما (الميزانية) فقد استعملوا عوضاً عنها (الموازنة) وهي اوزن وافصح وارشق و (تشكيل المحاكم) النسبة اللغوية فيها بعيدة فاستعمال (ترتيب المحاكم) اصح واقرب، وهي اللفظة التي استعملها الامام محمد عبده في الكلام عن المحاكم الشرعية.

ومما ورد في هذا الصنف من اقتراحه قوله:

«ويمكن ان نعد من هذا النوع اقرار العلامة اليازجي لكلمة (نخيم) واستعمال الامام الشيخ محمد عبده لكلمة (صدفة). وما احسب الفتوى التي يستصدرها حضرة الزميل المقترح بهاتين الكلمتين من السهولة بحيث يظن. اذ ليس في (نخيم) وفي (صدفة) معنى آخر غير (نخم) و (مصادفة). فان نحن استعملنا هاتين اللفظتين، فقد خالفنا مصلحة اللغة، وفررنا من الوضوح المحكم، الى المترادف المترهل، ونكون شايعنا العامة على ما افسدته، ونكبنا عن الفصيح الذي روي عن العرب وعرفته.

والصواب ان نستعمل (مصادفة) و (نخم) اذ هما اللفظان المسموعان والاول أثبته الاشتقاق. ولا يرد على الثاني ان كثيراً من الصفات جاءت على (فعيل) فقد جاء كثير ايضاً على (فعل) فهل يسيغ الزميل ان نقول في (عبل) (عبيل) وفي (ضخم) (ضخيم) وفي (سبط) (سبيط) اذا أجاز ذلك فقد جاز ان يقال في (نخم) (نخيم) اما استعمال العلامة اليازجي لها فقد كان وهم تسرب اليه، ولو فطن له لأصلحه ولو بعد حين، كما فعل في غيرها من الالفاظ التي وهم بها.

والذي نأخذه على الزميل زعمه ان العلامة اليازجي أقر لفظة (تخيم) ولعل الامانة في النقل — ولاسيما والبحث عن اللغة = كان يقضي عليه بان يقول استعملها لاافرها؛ لان الاقرار يوهم معنى غير ما في (الاستعمال) من المعنى ·

ونحن على ما ننطوي عليه قلوبنا من اكرام للعلامة اليازجي ، واعظام للامام محمد عبده ، لا مذهب لنا عن القول انهما اخطآ في هذين اللفظين ·

واما (تعريفة الرسوم) فالوجه ان يقال (تعرفة) لا (تعريفة) والرسوم وان كانت نسبتها اللغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة ، فقد راجت واشتهرت = و (الخرج) لا يسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم اقرارها ·

(٤) (خابر) و (احتار) و (تفرج) و (تنزه) اللفظان الاولان لا وجه لهما فان (راسل) و (فاوض) و (باحث) و (حاور) و (راجع) تفيد المعنى الذي يراد من (خابر) وزيادة · و (احتار) تجد لها من مادتها فقط ومعناها (حار) و (تحير) و (استحار) فأي شيء يريده المقترح بعد ذلك الا ان يجعل الاشتقاق قياسياً ، وهناك البلبلة الكبرى ·

ولا اعتراض على (تفرج) و (تنزه) فالحاجة اليهما لهذا المعنى ماسة والنسبة اللغوية بين معناهما الوضعي والمعنى الذي تستعملان له اليوم متصل وثيق · بل ان (تنزه) من حيث وضعها اللغوي تفيد المعنى الذي تستعمل له اليوم · جاء في اللسان : مكان نَزِه ونزيه · وارض نَزْهة ونَزِهة · وخرجنا نتنزه في الرياض · ولولا كلمة قالها ابن سيده : (والعامة يضعون الشيء في غير موضعه ، ويغلطون فيقولون خرجنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين فيجعلون التنزه الخروج الى البساتين والخُضَر والرياض ، وانما التنزه التباعد عن الارياف والمياه حيث لا يكون مياه ولا نَدى ولا جمع ناس وذلك شق البادية) ·

لولا هذا التعليق والتدقيق البارد لكانت النزهة والتنزه من الالفاظ الفصحى غير موقوفة على فتوى ولا محتاجة الى إقرار ·

(٥) جعل في الصنف الخامس الكلمات الدخيلة والأعجمية الأصل وقسمها الى قسمين ثقيل نحو (اوتوموبيل) و (برصوناليتي) وخفيف مثل (فلم) و (بالون) ووافق على انكار الثقيل وارتاح الى جواز الخفيف (مادام لا يتصور ان يوجد له كلمة عربية) وهذه كلمة حق ، ارجو ان يراد بها حق ايضاً ، فاللغة مجموع الفاظ يعبر بها عن المعاني . فهل يعقل ان نقف عاجزين أمام بعض المستحدثات الجديدة ، والمعاني العصرية ، لا نعرف لها اسماً ، ولا نوجد لها لفظاً ، ونمنع الناس ان يستعملوا اللفظ الأجنبي لها ؟ هنا عمل المجامع العلمية ، وهذا ما ينبغي ان يعمل له اولو الامر ، لا القضاء على اللغة بتزييد الألفاظ للمعنى الغني بالألفاظ :

ولكن الغريب ان حضرة الاستاذ أدخل في هذا الصنف الفاظاً ما أظن احداً استعملها (فتبرصوناليه) لم يسمع بها من قبل اقتراحه . وكيف يشغل الوقت في مثلها ، والمحققون قد انكروا حتى لفظ (الشخصية) فما بالك (بالبرصوناليته) . والعربية أغنى ما تكون بالالفاظ للتعبير عن مثل هذا المعنى .

ومن هذا ، انه جوز استعمال (بالون) على حين لم يجوز (الا ما لا يتصور ان يوجد له لفظ عربي) فكأن (المنطاد) وقد ملأ حديث جمعه والاختلاف فيه ، صحف مصر والشام لم تملأ العين بعد . .

(٦) واما ماأورده في الصنف السادس فهو مالا يصح ان يجعل من مباحث المعاجم ليدخل في (الكلمات غير القاموسية) والمعاجم لا تتعرض لمثل هذه التراكيب الا قليلا . وليس في العرب حتى من (أصيبوا بالوسواس اللغوي) على قوله ، من ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربية والمناهج الفصيحة ، والا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة ، وهن مادة العربية .

(٧) بقي الصنف الاخير وهذا ما كان يخلق بالمقترح الفاضل ان لا يتعرض له لانه لا يستحق البحث بل كان عليه ان يتركه لبعض المستعربين ممن يدعون خدمة العربية ، والعمل على إحيائها ، وهم جادون في القضاء عليها وتقطيع وحدتها .

وجملة القول ، اني لا ارى في هذا الاقتراح ما يستحق البحث الا (فلم) و (تفرج) و (تنزه) و (تعرفة الرسوم) فحقيق بمجمعنا ان ينظر فيها ، فاذا رأى اقرارها ،

اعلن ذلك على صفحات مجلته ، وفتح باب المناقشة فيها ، حتى اذا لم يرد اعتراض وجيه، ولا وجد لفظ يدل على هذه المعاني اعرق في العربية نسباً ، أدخلت هذه الالفاظ في متن اللغة ، اوأجيز للكتاب استعمالها الآن ، وهيئت للمجمع العربي العام يرى فيها بعد ذلك رأيه ٠

(المجمع) ما زلنا ننتظر ورود اجوبة أخرى على اقتراح الاستاذ « المغربي » ٠ ولكننا نرجو من المجيبين ان يعمدوا الى الاسئلة نفسها فيجيبوا عليها و يحققوا امرها ولا يشغلوا القراء بالبحث في كلمات الشواهد التي ذكرها المقترح ٠ فكلمات (تبدى) و (صدفة) و (نجيم) و (خابر) و (تفرج) الخ ليست مقصودة بالذات من الاقتراح وانما ذكرت ايضاحاً للسؤال ٠ وقد أسهب بعض المجيبين في التعليق عليها حتى تمنينا لو ان المقترح لم يذكرها ٠ اذ لا يهمنا ان نعرف رأي الفضلاء في جواز استعمال (تبدي) او عدم جواز استعمالها ٠ وانما المهم ان نعرف رأيهم في جواز الكلمة (اية كلمة كانت) لم تذكرها المعاجم وذكرها بعض الثقات في شعره او نثره مثلاً ٠ فالمجيب يجاوب بجواز استعمالها و يذكر دليله او بعدم جواز استعمالها و يذكر دليله ٠ وهكذا يمكننا في آخر الامر ان نحصي الآراء بسهولة ثم نستخرج النتيجة التي ينتظرها القراء ٠ اما كلمات الأمثلة التي ذكرها المقترح فقد تداورتها أقلام الكتاب في (عثرات الأقلام) وفي كتاب الاستاذ (المنذر) وفيما كتبه في الرد عليه الاستاذان (الغلاييني) و (احمد رضا) وفي كتابات أخرى مبعثرة في الصحف والمجلات فنهم من أجاز هذه الكلمة دون تلك ومنهم على العكس٠ وهكذا طال امر الاختلاف فيها فأراد الاستاذ (المغربي) ان يضع حداً لهذا الاختلاف فوضع اصولاً عامة بشكل أسئلة أودعها اقتراحه وعرضها على علماء اللغة حتى اذا عرفت نتيجة آرائهم أقرها المجمع وأعلن أمرها بين الجمهور ٠

و بهذه المناسبة نقول ان فعل (أقص) الذي قال الاستاذ المقترح ان الطبري استعمله في تاريخه (جزء ٢ ص ١٨٤) صوابه في القسم الثاني من التاريخ المذكور (ص ١٨٤٠) ٠

كيف نعبر عن الحروف الافرنجية «١»

وهي هذه : E. G. O. P. V.

الى حضرات العلماء الاعلام الافاضل رؤساء واعضاء المعاهد العلمية اللغوية في سورية :

سادتي ألفت انظاركم الى الفاظ لا يمكن ضبطها بحروف عربية وهي الالفاظ التي لا تستغني عنها كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا نظراً لاختلاطنا بالغربيين · وقد اصبحنا مرغمين على ان نأخذ عنهم ونقتبس منهم وان نكتب ونلفظ اسماءهم وكُناهم ونعوتهم واسماء اعلامهم ونكراتهم دون تبديل وتحريف · ومن الضروري ان نكون أمناء فنكتبها ونلفظها كما هي عندهم لنتم الفائدة ونفوز بالغرض المطلوب ·

ان الحروف الناقصة في ابجدية اللغة العربية والتي اصبح من الضروري اضافتها اليها هي هذه :

E—G—O—P—V

قد اصطلحت الجرائد والمجلات العربية ان تستبدل الحرف اللاتيني (e) بحرف الالف او بحرف الياء او تستغني عنه بالكلية = مثل اسم (Frederick) نكتبه فريدريك او فرادريك او فردريك · وتستبدل ايضاً الحرف اللاتيني (g) باحرف عربية مثل حرف الغين او الكاف او الجيم مثلاً (Morgan) نكتبه مورغان او مورغن او موركن ومنهم من يكتبه مورجن · وهكذا تستبدل الحرف اللاتيني (o)

(١) أرسلت الينا ثلاثة اعداد (٥٦و٦٧و٨١) من جريدة (السائح) الاميركية وقد لفت مرسلها نظرنا الى مقالة وتعليقين عليها نشرت فيها : وهي تتضمن بحثاً جليلاً في طريقة اصلاح النطق بالكلمات الأعجمية التي نحن مضطرون الى النطق بها بلفظها الاعجمي كاسماء الاعلام مثلاً · وها نحن ننشر المقال والتعليقين عليه شاكرين لمرسلها ولاخواننا في المهجر الذين ما فتئوا يقيمون الأدلة على صحة عروبتهم · ووفائهم لوطنهم ولغتهم · ولا عجب · فان الوفاء دأب العرب · فلله درهم · (المجمع)

بحرف الواو مثل (Boston or Morel) فتكتبه بوسطن اورمور يل · وهكذا الحرف اللاتيني (p) كما في (Paul or Paris) نكتبه بالباء العربية هكذا — بار يز— بول · وهكذا تستبدل الحرف اللاتيني (v) بحرف الفاء فتكتب مثلاً (Salvador) سلفادور ·

وبموجب ما مر تكتب كلنا (Leonard Perig) (ليونارد بير يغ) او (لا يونار بار يك) او (باريج او بر يك) وكذلك (Elan Verite) تكتبه (الان فير يتي) او (الاين فاراتي) او (الن فرتي) وهكذا (Madelin Lodert) تكتبه (مادالان لوبيرت) او (ماد يلين لوبارت) او (لو برت) ·

ذكرت مؤخراً احدى الجرائد العربية اسم اخوين حديثي السن ساحا العالم هكذا = جيمس وكرودغنغتون = والله اعلم كيف يجب ان نلفظ اسمها امام الغربي دون خطأ ·

وهكذا غليوم (امبراطور المانيا السابق) منهم من كان يلفظ اسمه (كايوم) ومنهم (غليوم) حتى اصبحت العامة تسميه (غليون) · ونظراً لسياسته الخرقاء وتقربه من الدولة العثمانية اكتسب اسمه نوعاً من القداسة ولهذا سموه (الحاج غليون)·

مئات الالوف من مثل هذه الاسماء بلغات العالم العديدة نضطر ان نكتبها بحروف لا يطابق لفظهــا الاصل ولهذا يستنكر الغربي سماعها لانهــا تبدو له ثقيلة عدا انه لا يفهمها بسهولة ·

وان من يشعر و يتألم لمثل هذا النقص اكثر من غيره هو من لا يحسن المطالعــة الا في لغته العربية من المهاجرين السوريين · فاذا حادث جاره الاميركي ولفظ الاسماء الافرنجية امامه كما قرأها في الصحف العربية يستعصي فهمهــا على الاميركي و يضطر السوري المسكين ان يكرر عليه لفظها مراراً عديدة تارةً بالرفع وأُخرى بالخفض وطوراً بتبديل الالفاظ · واذا قدر الله وفهمهــا الاميركي منه يزدري معارفه وطبعاً يدعوه بجملة اعتاد المهــاجر الحديث سماعهــا وهي قوله (Green horn) (كرين هورن او غرين هورن ··· او جرين هورن) واراني لا اعرف كيف يجب ان

اكتبها لخلو طباعتنا من حرف خاص يقوم مقام الحرف اللاتيني (g) · ومعنى قوله (غرين هورن) ان قرون هذا المهاجر ما زالت خضراء اي انه ما زال غير متمدن او عديم الفهم حتى لو كان المهاجر من اكبر العلماء ·

وبعبارة خيالية اقول = لربما سأل الاميركاني السوري هكذا = هل انت الثغ ؟ · كلا = لما ذا إذن لفظك غير مستقيم = انا النظ كما قرأت في الجرائد = لا أصدق ان الجرائد تكتب خطأ = نعم ان الجرائد لا تنقل الاسماء خطأ وانما اللغة العربية غير متممة الألفاظ · = عجيب أليس عندكم أكاديمي ؟ كيف لا وعندنا معاهد مؤلفة من علماء أعلام = لماذا إذن لم تصطلح هذه المعاهد على اشارات خصوصية لتقوم مقام الناقص من حروف لغتكم كما هي العادة في جميع العالم ؟ = انهم في سورية لا يعدون مثل هذا النقص ضرورياً نظراً لحالة البلاد وعوائدها ولا يشعرون بضرورته كما يشعر المهاجر ·

والغريب ان المهاجر نفسه هو الذي يتألم لعدم وجود الاحرف الملائمة التي يطالب بها المعاهد اللغوية · وعليه جئت باسطري هذه ملتمساً ان تتكرموا باصلاح هذا الخلل الذي اصبح النظر فيه ضرورياً اكثر من كل شيء آخر من نوعه ·

اجل ان اصلاح هذا النقص بسيط للغاية لا يضطرنا الى اضافة حروف جديدة على اللغة سوى وضع علامات على خمسة حروف اصلية لتقوم مقام الاحرف الافرنجية ·

لا أريد ان اقترح اشكال هذه العلامات · فذلك بسيط يمكنكم الاتفاق عليه لنمشي على قاعدة واحدة ·

والشيء بالشيء يذكر اقول ان علماء اللغات اللاتينية والسكسونية قد اصطلحوا على وضع (Kh. — Gh.) الاولى تنوب عن حرف (الغين) والثانية تنوب عن حرف (الخاء) حتى يتم لهم اللفظ المضبوط · ولا بأس من ان نذكر ان اللغة العبرانية ناقصة حرفين : الاول هو الحرف اللاتيني (e) والثاني (الجيم) ولهذا اصطلح يهود شرقي اوربا الذين يكتبون لغتهم المسماة (ببوديش) او (بيديش) باحرف عبرانية على وضع حرف (العين) وهو لا لزوم له في لغتهم = عوضاً عن الحرف اللاتيني (e) مثلاً جملة (Telephone or Elen) يكتبونها هكذا =(علامن تملفون)· واصطلحوا

ايضاً ان يضعوا حرف (ز) امام الحرف العبراني الذي يلفظ مثل الحرف اللاتيني (g) حتى تكون لهم (الجيم) ·

ان المطابع العربية لا تتأخر عن سبك خمسة حروف مشكّلة ومنقّطة بالعلامات التي يمكن اعتماد كم عليها والمهم ان توافقوا على اصلاح هذا الخلل ومتى اوعزتم بالاصلاح الى المطابع العربية باشرت العمل ·

اؤمل ان تهبوا الى اصلاح هذا الخلل حفظاً لكرامة هذه اللغة وقرائها في نظر الغربيين واشكر لكم كما يشكر لكم كل مهاجر سوري غيور على سمعته وسمعة لغته والسلام · موسى ديوان

* * *

واطلع اديب على هذا المقال فعلق عليه في العدد التالي من السائح قوله :

« ثلاثة من خمسة »

أتناول كلمة الاديب (موسى ديوان) لأبدي رأيي فيها فأقول : الاتراك الذين يكتبون لغتهم بالاحرف التي نكتب بها اللغة العربية · اي الاحرف الفارسية · يستعملون احرفاً بتغيير قليل بالنقط والشحط فقط ·

ولما كان مثل هذه الاحرف يأتي بالغاية التي ننشدها كتابتنا العصرية ألفت انظار اولي الرأي اليها ولا سيما ان كتابنا العصريين اكثروا استعمالها ·

اما الاحرف التي اشرت اليها وقد يمكننا اخذها عن التركية فهي ثلاثة (پ = ڭ = ڤ) للفظ الاولى او الباء ذات الثلاث نقط كالباء الافرنجية في (پاريس) ، وللفظ الثانية اي الكاف ذات الشحطتين كالجيم المصرية في (مورجن) والثالثة او الفاء ذات الثلاث نقط كالفاء الافرنجية في كلمة (سلفادور) · هذا اذا جاز لنا اخذ هذه الاحرف عن الاتراك الذين اخذوا عنا كثيراً من الالفاظ الظاهرة جلياً في لغتهم « سهيل »

* * *

ثم اطلع الفاضل كاتب المقال (موسى ديوان) على ما كتبه سهيل فعلّق عليه قوله :

E - G - O - P - V

قرأت في السائح مقالة الأديب (سهيل) تحت عنوان : « ثلاثة من خمسة » اقترح فيها ان توضع علامات لثلاثة حروف هجائية لتلفظ عوضاً عن الحروف الناقصة في اللغة العربية . وبما انه لم يشر الا الى ثلاثة احرف من خمسة لذلك أبدي رأيي بالحرفين الباقيين فأقول :

اولاً استحسن وضع مدة على حرف الالف . او تحت حرف الياء عوضاً عن النقطتين لتلفظ عوضاً عن الحرف اللاتيني (e)

ثانياً وضع سكون على حرف الواو ليلفظ عوضاً عن الحرف اللاتيني (o) وبهذه الواسطة نستطيع ان نلفظ اسم المستشفى (Bellevue) واسم الآنسة الشهير (adel Peteres) والعاصمة المعروفة (Petrograd) بلفظ مستقيم عوضاً عن اللفظ الحالي الثقيل والمستهجن مثل (بيلفيو) او (بلفيو) . (ادال بيتيريس) او (اديل باتاراس) . وخصوصاً الأخيرة يكتبونها (بيتوكراد) او (باتروجراد) ولربما (بترغراد) .

وبهذه المناسبة اقول ان الحرف اللاتيني (e) هو ضروري لنا اكثر من سواه . لان ثمانين بالمئة من الكلمات الافرنجية لا تخلو منها . وكثيراً ما تكون مكررة في الكلمة الواحدة كما هي باسم الآنسة (بيتيريس) .

نيويورك : موسى ديوان

البقايا في اللغة

« من الماء » = (الرجْرِجَة) بقية الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين وفي الحديث « لا تقوم الساعة الا على أشرار الناس كرجرجة الماء الخبيث (الثَّمِيلَة) البقية من الماء في الصخرة او الوادي ج ثميل وثمائل (الخَبْطَة) بقية الماء في الاناء والغدير ج خبط وخُبَط (الدعْثُ) بقية الماء (الحِضْج) بقية الماء في الحوض (الطِرْمِلَة والطِرْمِلِيَة) ما يبقى في الحوض من الماء الكدر والرَّزِق (الغِرْيَنَة والغِرْيَنُ والغِرْيَلُ) ما بقي في اسفل الغدير من الماء والطين (المَطْلَة) الحَمْأَة والماء الكدر في اسفل الحوض (الصَرَى) بقية الماء المتغيرة الطعم (الجِرْمِدَة والجِمْرِدة) الغِرْيَن وهو التفل في اسفل الحوض (القَرَاشة) القليل من الماء في الحوض (الثُفْلُ) ما استقرّ في اسفل الآنية من كدرة وفضالة او ما سفل من كل شيء يقال في الماء والمرق والدواء وغيرها (ضَلاضِلُ) الماء بقاياه (المَطيطَة) الماء الكدر الخاثر يبقى في اسفل الحوض ج مطائط (السَوْطُ) من الغدير فضلة سميت به لامتدادها في قاعه كالسوط (المِسْياط) الماء يبقى في اسفل الحوض (الشُفافة) بقية الماء في الاناء (السَمَلُ) بقية الماء في الحوض (سُمْلان) الماء والنبيذ بقاياهما (السَوْل) بقية الماء في السقاء والدلو وقيل الماء القليل (الصُبابة) البقية من الماء واللبن في الاناء وكذلك الصُبَّة (الصَقَرة) الماء يبقى في الحوض تبول فيه الكلاب والثعالب (الصُلْة) بقية الماء وغيره (الصُلْصُلُ) بقية الماء في الغدير (الطفيل) الماء الكدر يبقى في الحوض · (العاَئِخُ) الغرين الذي تبقى فيه الدعاميص فلا يقدر على شربه (الطُمْلة والطَمَلة) ما بقي في الحوض من الماء الكدر (الطِرْءُ) بقية الماء في الحوض (الترْقن) رسابة الماء في الجدول او المسيل (الصُلْصُلة) بقية الماء في اسفل الحوض (النُطافة) القليل من الماء وقيل قليل ماء يبقى في دلو اوقربة (النُمْلة) بقية الماء في الحوض (الوَأْثُ) بقية الماء في المشقر (البَيْظُ) بقية الماء في نقرة البئر (الترْقن) ايضاً بقية الماء الكدر في الحوض (الترْقنة) رسابة الماء وخُثارته (الجَحْفة) بقية الماء في جوانب الحوض (الدِرْكِلُ) بقايا الماء (الخِلْفَة) البقية من الماء في الحوض وكذلك الدمنة (العَفْوُ)

من الماء ما فضل عن الشاربة وأخذ من غير كلفة ولا مزاحمة (السُؤْرُ) بقية الماء التي يبقيها الشارب في الاناء او الحوض ثم استعير لبقية الطعام وغيره ج .أسآر . (السُحابة والسُحبة) فضلة ماء الغدير (الخِبْطة) الجزعة من الماء تبقى في قربة او مزادة او حوض ج خِبَط (نُضاضة) الماء وغيره : بقيته (الكَمْلة) القليل من الماء يبقى في البئر او الاناء (المَطْلة والمَطَلة) بقية الماء أسفل الحوض وكذلك المَطْخُ او المطخ الغرين يبقى اسفل الحوض ولا يقدر على شربه (القَصْعَلة)الصُبابة من الماء ونحوه (القِنْعُ) مابقي من الماء في قرب الجبل ج قِنَعة (سُحَيْبة) من ماء مُوَيهة قليلة (الرَجْرَجُ) بقية الماء في الحوض (الطَويطة) الحمأة في اسفل الحوض (الحَقْلة) ما يبقى من الماء الصافي في الحوض (الرَفْض والرَفَض) القليل من الماء يبقى في القربة وكذلك النُطافة والنُطفة والجزعة والخَبط (الرَطْراط) الماء أسأرتْهُ الابل في الحياض (الكِنْعُ) ما بقي قرب الجبل من الماء (البِرْنيق) نقن النهر اي رسابة الماء فيه .

« من اللبن » = الخُثارة ما يبقى من غليظ اللبن (الخَبطة) اللبن يبقى في الاناء (الرَفْض والرَفَضُ) القليل من اللبن يبقى في القربة (الفلَق) مايبقى من اللبن في اسفل القدح (العُفافة) بقية اللبن في الضرع بعدما امتُكّ اكثره — واجتماع اللبن في الضرع وقيل بقاؤه فيه وكذلك العُفّة (العُلالة) بقية اللبن وغيره (الغُبْرُ) بقية اللبن في الضرع (غُفّة الضرع) بقية مافيه (النفشيل) الغفة (الحِقْلة) بقيةاللبن (الرَمثُ والرُمْثة) بقية اللبن في الضرع بعد الحلب ومنه أحقل لي من الشراب .

« في الاناء » = (الثُبْل والثَبَلُ) البقية في اسفل الاناء (الحطء) بقية الماء في الاناء (الصُبابة والثُفافة) بقية الماء وغيره في الاناء . الثُمْلة والثَمَلة والثُمالة والجزعة والجَزيعة : البقية في اسفل الاناء وغيره (السُكتة) بقية تبقى في الوعاء (الذُشفة) الشيء القليل يبقى في الاناء وكذلك الطُفافة (الغِرْيَل) الثفل في اسفل القارورة .

« من الاثمار والنبت » = (الحُصاصة والخُصاصة) مايبقى في الكرم بعد قطافه : عُنيقيد ههنا وعنيقيد ههنا (الرِدْمة) مايبقى في الجلّة (العُشانة والعُشان والغُشانة) لقاطة التمر وهي ما التقط من كَرَبه بعد الصرام وفي فقه اللغة ما يبقى في الكباسة من

الرُطب اذا لقطت النخلة (النُساحُ والنَسْحُ) ما تحاتّ عن التمر من قشره وفتات اقماعه ونحوها مما يبقى اسفل الوعاء (الاَقَطُ) كل نثارة من سنبل اوتمر ويقال وجدت في المعدن لقطاً (الرِزْمة) ما بقي في الجُلَّة من التمر يكون نصفها او ثلثها او نحو ذلك (القَوْسُ) ما يبقى في اسفل الجلَّة من التمر (القَوَاشة والقَوْشُ) ما يبقى في الكرم بعد قطعه (الكِرديدة والكِرديد) ما يبقى في اسفل الجلَّة من جانبيها من التمرج كراديد (الثُرْمُلة) البقية من التمر وغيره (ثُفلةوثُمْلة) من تمر اي بقية (الخَوشق) ما يبقى في العذق بعدما يلقط مافيه (الشماج) ما يرمى به من العنب بعدما يوكل . (الشُماشم) ما يبقى على الكباسة اي العذق الكبير من الرطب . (دَكَلَة) من صِلّيان : بقية منه .

(الجُرامة والجُذامة) من الزرع ما بقي بعد الحصد (الحَشَفة) أصول الزرع تبقى بعد الحصاد (المحشرة) ما بقي في الارض وما فيها من نبات بعدما يحصد الزرع فربما ظهر من تحته نبات اخضر (الحطيُ) مابقي من نبات عام اول (الجذمور) بقية كل شيء مقطوع ومنه جذمور الكباسة وفي فقه اللغة ما يبقى من الشجر بعد قطعه .

« من المال[1] » = العُنشوش : بقية المال (العِنْصِيَة والعِنصاة والعَنْصُوَة والعناصي) البقية من المال من النصف الى الثلث تقول ما بقي من ماله الا عَناصي . (الشَلِيَّة) البقية من المال ج شلايا (الشُوابة والشَوِيَّة بقية قوم او مال هلك . (الطُلْهَة) من المال البقية منه (العَبَقة) مابقيت لهم عبقة اي بقية من اموالهم (الذوبة) بقية المال يستذيبها الرجل اي يستبقيها (الخُنشوش) البقية من الابل (العُفاء) ما ينفونه من ابلهم (الجرْد) البقية من المال .

« من الشباب » = السؤرَة : البقية من الشباب ويقال للمرأة التي لم يهرمها الكبر ان فيها لسؤرة اي بقية شباب (السُؤدة) البقية من الشباب يقال في المرأة سؤدة . (تليّة) الشباب – بقيته لانها آخره الذي يتلو ما تقدم منه .

« من الحياة » = الطِرْء : بقية الروح يقال تركته بطِرْئه اي بحشاشة نفسه

(١) اذا أطلق المال في لغة قريش أُريد به الابل « المجمع »

(الحُشاشُ والحُشاشة) بقية الروح في المريض والجريح وقيل رمق من حياة النفس (الرمق) بقية الحياة (الذَّماء) بقية النفس وفي المثل اطول ذماءً من الضب لانه اذا قتل يبطئ كثيراً تمام موته ويقال نجا بذمائه وما بقي منه الا ذماء يتردد بين خيال (النسيس) بقية الروح يقال بلغ منه نسيسه او كاد يموت ٠

« من العلم » = الأَثارة والأُثرة : البقيـة من العلم تؤثر وهم على اثارة من العلم اي بقية منه يؤثرونها عن الاولين ٠

« من الطعام » = (الحُذافة) الشيء اليسير من الطعـام يقال اكل طعامه فما ترك منه حذافة (نُفاضة المزاود) ما بقي من حطام الزاد في المزود اذا نفضه القادم من سفر لتسقط تلك الحطام منه وهي مثل عندهم في الخساسة (الثميلة) بقية الطعام والشراب في الجوف ومنه انا لا اشرب الا على ثميلة (الوُكْة) بقية الثريد في الجفنة (حفل) الطعام حثالته (الذُّنيناء) مايخرج من الطعام[1] فيرمى به (الخبطة) الطعام يبقى في الاناء (القِرضب) ما يبقى في الغربال يرمى به من الرذالة (القشب) من الطعـام ما يلقى منه مما لا خير فيه (القُصارة والقُصرى والقَصر) ما يبقى في المنخل بعـد الانتخال — وقيل ما يخرج من القت وما يبقى في السنبل من الحب بعد الدوسة الاولى وكذلك القصَرة (الحَصَلُ والحُصالة) ما يبقى من الشعير والبر في البيدر اذا نقي وعزل رديئـه — او ما يبقى في الاندر من الحب بعدما يرفع الحب وهو الكناسة (النخالة) ما بقي في المنخل مما ينخل وهي قشرة لابـة للحبوب تستخرج بالقشر والطحن ولا يأكلها الآدمي الا مضطراً (النِشوار) ما تبقيه الدابة من العلف (اللماظة) بقية الطعام في الفم ٠

« من الخمر والشراب » = الوَأْشُ : بقية النبيذ في الاناء (البسيلة) الفضلة من الشراب تبقى في الاناء (البسيل) ما يبقى في الآنية من شراب القوم فيبيت فيها ٠ (الخُمار) بقية السكر تقول به خمار من السكر وهو صداع الخمر وأذاها ٠ (سملان) النبيذ : بقاياه ٠

---

(١) اذا أطلق الطعام في لغة قريش أريد به الحنطة والذنيناء على هذا هي ما كان من قبيل الزؤان ٠ « المجمع »

« من الدَّيْن » = (الرَّوِيَّة) البقية من الدين ونحوه (نَناتيش الدين) بقاياه (الذُّبابة) البقية من الدين ونحوه يقال عليه ذبابة من دين وعبارة المصباح ذبابة الشيء بقيته (التُّلاوة والتَّلِيَّة) بقية الدين وغيره يقال تليت لي من حقي تلاوة وتليَّة اي بقيت لي بقية ·

« من الكلأ الخ » = الهاليل : بقايا الكلا (البُلْأة) بقية الكلأ وكذلك السِّيدُ (الطرائق) آخر ما يبقى من عفوة الكلا (الشذب) بقية الكلأ المأكول وغيره · (الاكدَّة) بقايا المرتع الذي قد أُكل (الدلس) قيل بقايا النبت والبقل ج أدلاس · (العزائر والعيازر) بقايا الشجر ولا واحد لها ·

« من المائدة » = (القُشام والقُشامة) ما بقي على المائدة ونحوها مما لا خير فيه (حُساف) المائدة ما ينتثر فيؤكل فيرجى فيه الثواب (الخُثار والخُشارة والخُشار) مايبقى على المائدة (الحُتامة) مابقي على المائدة من الطعام (حُثالة) المائدة : خشارتها · (الخُمامة) الحساف (الأُفاظة) ما يطرح من الموائد (الشُّباعة) الفضالة بعد الشبع ·

« من القدر » = (القُرارة) مابقي في القدر إما لصق باسفلها من مرق اوحطام تابل وغيره وكذلك القُرَّة والقَرَرة والقُرُرة والقَرورة · (الكُدادة والكَدَدة) ما يبقي اسفل القدر بعد الغرف منها (البزيم) ما يبقى من المرق في اسفل القدر من غير لحم وقيل هو الوزيم (الحُثرب) الوضر يبقى في اسفل القدر ·

« من الاكل » = (الحُساف) بقية كل شيء أُكِلَ فلم يبق منه الا القليل · (الكُدامة) بقية كل شيء أُكل (الشذب) بقية المأكول ويقال خَشَر خَشْراً : ابقى على المائدة الخُشارة (وتحمَّم) ماعلى الخوان : اكل بقايا ما عليه من كُسار وفُتات (واشوى) الرجل ابقى من عشائه بقية (ومشق) الطعام ابقى منه اكثر مما أُكل · و(نشورت) الدابة من علفها : ابقت من علفها ·

« من المرق » = القُرارة : بقية المرق (الحُتفُل) بقية المرق وقيل بقية الثريد في اسفل المرق (العُقبة) شيء من المرق يردُّه مستعير القدر اذا ردَّها ·

« من اللحم والعظم » = (العرزال) بقية اللحم (سؤرة الصقر) بقية لحمته (الرَّيْمُ) عظم يفضل فيعطاه الجزار تقول اخذ فلان الريم وتقول من خاف الذيم عاف الريم ·

« بقية العسل » = (الجَلْسُ) بقية العسل تبقى في الاناء (الكُوَّارة) بقية ما في الخلية التي تعسّل فيها النحل .

« بقية المسك » = (العِترة) بقية المسك في الفأرة .

« في الفم » = (الخِلْفة) ما يبقى بين الاسنان من الطعام (الخِلال الخُلالة الخِلل الخِللة) بقية الطعام بين الاسنان وما يبقى منها عند التخلل يقال فلان يأكل خلالته وهو مثل في شدة البخل والحرص (اللُماظة) بقية الطعام في الفم (اللُماق) ما بقي في فيك من طعام لعقته (المضاغة) ما يبقى في الفم من آخر مامضغته = وما مُضغ (الطُلاوة) بقية الطعام في الفم .

« من السمن الخ » = (الحُثفُل) ثفل الدهن وغيره في القارورة ويقال له الحثفل (الصُأْصُل والصُلصلة) بقية الدهن والزيت (العَمَقة) وَضر السمن في النحي (الكُسب) ثفل الدهن وعصارته وكذلك الكُسبج (الكُدارة) ثفل السمن في اسفل القدر . (العبقة) وَضر السمن في النحي اي البقية (الخلوص) الثفل يبقى في اسفل خلاصة السمن (الحثفر) ثفل الدهن وغيره (دُرديّ) الزيت وغيره : مايبقى راسباً في اسفله من الكدر (الحَمّة) ما رسب في اسفل النحي من مسود السمن ونحوه (القشدة والقشادة) ثفل السمن يبقى اسفل الزبد اذا طبخ مع السويق والتمر فيتخذ سمناً (حثالة) الدهن : ثفله .

« من الوبر الخ » = (الذرئبان) بقية الوبر بعد الجزّ (لذُوْبان) بقية الوبر او الشعر على عنق الفرس او البعير .

« من تبن » = (الحُفافة) بقية التبن .

« من العجين » = (الوَأْث) بقية العجين في الدسيعة .

« من الجزية » = (مانيذ الجزية) بقيتها .

« من الديات » = (الاماكيد) بقايا الديات كأنه جمع أمكود .

« من كل شيء » = (الحُذالة الحسالة الحثارة والثفل والثافل) بقية الشيء . (النفية والنُفاوة والنفاية والنَفيَة والنفاء والنفيّ) رديء الشيء وبقيته . (العكر)

دردي" كل شيء اي آخره وخاثره (الأُلك) ثفل اللك (الجاعة) فضالة الجيع[1] (الذنانة) بقية الشيء الضعيف (اللماظة) بقيـة الشيء القليل (العلالة) بقية كل شيء وكذلك الشذب (اللفاظة) بقية الشيء. يقال: ما بقي الا نضاضة ولماعة ولفاظة (الرد"ة) البقية وكذلك السأر والسائر (الشلي") بقايا كل شيء (في إبله قصايا) يثق بهـا اي فيها بقية اذا اشتد" الدهر (الكسم) البقية تبقى بيدك من الشيء اليابس (الموارة) الشيء يفنى فيبقى منه الشيء (القَضّة) بقية الشيء (القَنازع) من السهام[2] والنصي": بقاياهما (الأُطاخة) بقية اللطخ (الثميلة) البقية (المُراقة) الشيء يفنى منه فيبقى منه الشيء. (فيه مسكة) من خير اي بقية (النصيّة) البقية (الناطلُ) الفضلة تبقى في المكيال. (انت اخيّة) آباء فلان اي بقيتهم (آسانٌ) ما بقي في الثوب الا آسانٌ اي بقايا (الأَمدة) البقية من كل شيء (الجزلة) البقية من الرغيف والوطب والجلّة وغيرها (الطُلْهَة) البقية يقال بقيت من اموالهم طُلهةٌ (العُصارة) ما بقي من الثفل بعد العصر وهو نُفاية ما يعصر (العَصْم والعُصُم) بقية كل شيء — واثره من خضاب وقطران ونحوهما وكذلك العَصيم (العفو) من المال ما يفضل عن النفقة ولا عسر على صاحبه في اعطائه (العُنْصُوَة) من كل شيء والغُبْر والغُبَّر: بقيتـه (الغُدارة والغَدَر والغُدْرة) ما أُبقي من شيء (الغُنْشوش) البقيـة يقال ما بقي من ابله غنشوش. (الفُضالة) البقية — وكل ما فضل من شيء ومنه (ويك أترغب في فضالة المآكل وثمالة المناهل) (الفَضْل) البقية ومنه الفضل في الحساب لما يبقى بعد اسقاط الاقل من الاكثر وكذلك الفضلة ج فضلات وفضال والصرى والشكيّة والجزعة (الأَسكات) البقايا من كل شيء (الشنق) الفضلة (الصبصاب) ما بقي من الشيء او ماصُبّ منه (البُلالة) البقية يقال ما فيه بلالة وكذلك الثميلة والجزعة والحصيلة والحاصل (الخُنْذُرُ) الشيء الحقير والحسيس يبقى من امتعة القوم اذا ارتحلوا (ذُمامة) الشيء وذبابته: بقيته. (الثأوة) البقيـة القليلة من كثير (الجُزاز) ما فضل من الاديم اذا قطع (هو غابر) بني فلان اي بقيتهم (فلان تليّة) الكرام اي بقيتهم (العناصي) البقية من كل شيء

(١) الجيع تمر يعجن بلبن — ولبن يشرب على التمر. «المجمع»

(٢) لعلّ صوابه (الإسنام) بكسر الهمزة شجر او نبات او ثمره. «المجمع»

واصل العنصوة الخصلة من الشعر (العُلالة) بقية السير وكل شيء (الهَوْجل) بقية النعاس (سُؤر) كل شيء : بقيته (البَقْوى والبُقيا والبَقيّة) ما بقي (الشريد) البقية من الشيء يقال في اداواهم شريد من ماء اي بقية وابقت السنة عليهم شرائد من اموالهم اي بقايا .

« بقية الليل » = (الهُزلول) بقية الليل (الغَبَش) بقية الليل وقيل ظلمة آخره يقال خرج في الغبش ونحن في اغباش الليل وغَبِش الليل يغبش غبشاً : بقيت بقية منه وقيل اظلم ظلمة يخالطها بياض في آخره وكذلك اغبش الليل .

« بقية النهار » = (السَفَر) بقية النهار بعد مغيب الشمس تقول لقيته سفراً وفي سفر اي عند اسفرار[1] الشمس للغروب (الرَيْم) آخر النهار الى اختلاط الظلمة (وذنَب) النهار لم يبق منه الا ذُبابة اي بقية (شُفافة) النهار : بقيته .

« بقية الحب » = رَسٌ : الحبِ ورسيسه بقيته واثره . العقابيل : بقايا العشق .

« بقية القوة » = الشدا والشذاة : بقية القوة .

« بقايا المرض » = العقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق وهو في عقب المرض اذا برئ وبقي شيء من المرض فيه . غُبّر : المرض بقاياه .

« ابقى بقية » = رفّض : في القربة ابقى فيها بقية من الماء . سأر : الشارب في الاناء ابقى السؤر فهو سأار . أجزع : منه جزعة أبقى منه بقيــة . حسل : منه أبقى بقية رذالاً . أثمل : الشيء ابقاه . افضل من الشيء : ترك منه فضلة . أسأر : الحاسب من حسابه ابقى بقية ولم يستقص . استفضل : من الشيء ترك منه فضلة وابقى . عفا : القدرَ ترك العفاوة في اسفلها . رَمّث : الحالب في الضرع ابقى بقية .

« بقي بقيــة » = فضل : الشيء فضــلاً بقي . سئِرَ الشيءُ : سأراً بقي . تلي : من الشهر كذا يتلى تليّ بقي . حمحامِ : اسم فعل معناه لم يبق شيء .

النبك : سالم خليل رزق

---

(١) كذا حكيت بالسين لا بالصاد . « المجمع »

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٥ —

« خلق الخيل »

لا بد لمن يريد الاطلاع على احوال الخيل من ان يتعلم اسماء اعضائها لان هذه الاسماء كثيراً ما ترد في تضاعيف كتب الزرطقة . وهاك تعريفاً موجزاً لها مع ما يقابل بعضها بالفرنسية[1] :

الرأس . — يحتوي الرأس على الجبهة او الجبين (Front) ويكون على الجبين شعر يسيل عليه يدعى الناصية (Toupet) . وجماع مؤخر الرأس هو القذال او القفا (Nuque) . وتحت الجبين قصبة الأنف (Chanfrein) وفيها المرسن وهو موضع الرسن من الأنف . وتحت الانف الجحفلتان (Lèvres) وهما الشفتان وعليهما شعر يسمى الفَيْد وتكون شعرات الفيد طويلة قاسية متوترة تصلح للمس . وفي كل ناحية من ناحيتي الرأس اذن وصدغ (Tempe) ووقب او قَلْت (Salière) وعين وخد . والوقب نقرة فوق العين امام الصدغ تسمى قلت الصدغ . وفي أسفل الرأس البَلْدة (او المذبح) (Auge) وهي ثغرة النحر او ملتقى الرأس بالعنق عند الحلقوم . وفيه ايضاً اللحيان (Ganaches) وهما طرفا الفك الأسفل وهنالك المنبض الذي يجس لمعرفة حالة نبض القلب .

القوائم . — القوائم على قسمين أمامية وخلفية . فالاولى هي الأيدي والثانية الأرجل ولكل دابة يدان ورجلان او قائمتان أماميتان وقائمتان خلفيتان وتحتوي القائمة الأمامية في الخيل والحمر من جزئها الاعلى الى الأدنى على الكتف والعضد (Bras) والمرفق (Coude) والذراع (Avant - bras) (وفيه رقمة[2]

---

(١) بعض هذه الألفاظ موجودة في المعاجم الأعجمية العربية اوالعربية الأعجمية وقد اضطررت الى ذكرها في هذا المقال لكي لا يكون ناقصاً . (٢) الرقمات هنات كالأظفار تكون في القسم الداخلي من الذراعين وفي القسم الداخلي من أسفل العرقوبين

Châtaigne) والركبة والوظيف (Canon) والحوشب (Boulet) (وفي مؤخر الحوشب شعرات تسمى الثنن **Fanon**) والرسغ (Paturon) والاكليل (Couronne) والحافر (Sabot) . اما الرجل ففيها الردف اوالكفل (Croupe) والورك (Hanche) والفخذ (Cuisse) والساق (Jambe) والعرقوب (Jarret) ويكون في جزئه الداخلي رقمة او سعدان في الخيل دائماً وفي البغال غالباً وهو مفقود في عرقوب الحمر وسائر الدواجن . واسماء ما تحت الساق شبيهة بما في اليد تحت الركبة .

وتختلف بعض الاسماء في غير الخيل والحمر والبغال فحافر الغنم والبقر يسمى الظلف ووظيفها الكراع وحافر البعير يسمى الخف والفرسن . وكثيراً ما تعرف الدواجن المذكورة باسماء أرجلها فذوات الحافر هي الخيل والبغال والحمر وذوات الظلف هي البقر والجواميس والغنم (الضأن والمعز) وذوات الخف والفرسن هي الابل .

سائر الاعضاء . — موصل العنق في الرأس يسمى الفائق ويليه العنق (Encolure) وعلى حافة العنق العليا المعرفة وهي اللحم الذي ينبت عليه العرف والعرف الشعر الذي على العنق (Crinière) وعلى مقدم العنق او حافته السفلى البَلْدَم وهو ما اضطرب من حلقوم الفرس ومريه بما عليهما من جلد العنق وهو في البقر يسمى بالفرنسية (Fanon). واصل العنق القصرة . واللبان ماجرى عليه اللبب اي السيور التي تشد في صدر الدابة لتمنع استئخار السرج او الرحل . و يلي اصل العنق الغارب اوالكاهل اوالحارك وهو بين العنق والظهر ولعل لفظة (Garrot) الفرنسية مأخوذة عن لفظة الغارب . والكاثبة موضع الرمح قدام السرج . ثم وراء الغارب الصهوة وهي مقعد الفارس (Dos) ووراءها القطاة (Rein) وهي مقعد الردف . ووراء القطاة الكفل (Croupe) . والسَّيْساء هي قردودة الظهر اوطريقة الظهر . والمَعَدّ ان موضع دفتي السرج من جنب الفرس . والحجبتان رؤوس الوركين التي

ومما نفرق به الخيل عن الحمر علمياً ان للاولى رقمات في قوائمها كلها اما الحمير فليس لها منها الا في يديها .

تشرف على الخاصرتين اما الجاعرتان فرؤس الوركين التي تشرف على الفخذين اي مضرب الفرس بذنبه على فخذيه . والعكوة اصل الذنب والعسيب جلدته والهلب شعره . والعجان (Périnée) بين اصل الخصية والفقحة (حلقة الدبر) .

واعضاء التناسل في الأنثى الحياء والضرع (وفيه الحلمات) وهي في الذكر الخصيتان والجردان « قضيب ذوات الحافر » . والقُنْب Fourreau وعاء الجرادن . اما الصَفَن Bourse فوعاء الخصية . وفي مقدم الفرس الصدر Poitrail والزور Les deux ars وهو ملتقى الكتف بالصدر في الناحيتين . وفي الجزء الاسفل الحزمة وهي ما جرى عليه الحزام passage des sangles والبطن والضلوع côtes والخاصرة Flanc وما يليها كالشاكلة والأيطل والحَقْو .

عضو المجمع العلمي
مصطفى الشهابي

اراء وافكار

معركة لغوية

روى الاستاذ عبد الله البستاني ان الشيخ جمال الدين الأفغاني قال في هجو بعض البلداء : « هذا رجل من نسل البقروت » فعابوا عليه كلمة (البقروت) فأجابهم : « ألا تقولون جبروت ورهبوت وملكوت · فلما ذا تمنعون عني القول بقروت ؟ » فاعترضوا عليه بان (البقروت) لم ترد في كلام العرب · فقال : « وهل تريدون مني ان أنكر نفسي وأخضع لبدوي » اه ·

وعلق الاستاذ البستاني على كلام جمال الدين بقوله : « هذا ما قاله الأفغاني وهذه هي القاعدة التي يجب علينا العمل بها في إنهاض لغتنا : فان الجمود يقتل اللغة العربية واذا نحن رددنا عنها تيار العجمة والرطانة والركاكة لا يستنتج من عملنا أننا نريد ان نعيش بعقل ابن البادية فان ابن البادية جاءنا بما عنده وعلينا ان نتحف اللغة بما عندنا لنقوم لها قائمة » ·

انتهى كلام الشيخ البستاني · ولقد نقله الأب أنستاس الكرملي في مجلته « لغة العرب » وعلق عليه ما يلي :

« أجل اننا لا نريد ان نسير برأي اهل البادية في لغتنا لكننا نريد ان نسير على المناحي والمنازع التي تلقيناها من السلف جيلاً بعد جيل · وأصلهم من البادية · ولا نقبل ان ندخل في لغتنا مثل (البقروت) بحجة ان جمال الدين نطق بها : فلقد يكون المرء حسن الرأي والقول في امور ولا يصح رأيه في امور أخرى · ولهذا يجب علينا ان نعمل بقول من قال « لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال » فجبروت ورهبوت وملكوت الفاظ إرمية الأصل والصيغة او مشتركة بين الاختين الساميتين · وكذلك (البقروت) فان معناها في اللغة الإرمية رعاية البقر · لكن هل نحن في حاجة (اليها ؟ ذلك ما ندعه لحكم القارئ · واذا كان لا بد من وضع كلمة في هذا المعنى فالبقارية) و (الفدّادية) أقرب الى المراد وألطف اشتقاقاً من (البقروت) الخشنة

الثقيلة التي لا تغني فتيلاً » اه ٠

هذا ما قاله كل من الأفغاني والبستاني والكرملي ٠

والأفغاني على عجمته جيد المعرفة بلغتنا العربية وهو ينحو في التكلم بها منحى فصحاء الأعاجم : أذكر انني سمعته في الاستانة يقول في صدد ما شجر من الخلاف بينه وبين ناصرالدين شاه مجيباً السلطان عبد الحميد الذي توسط بالصلح بينهما : « عفوت الشاه عفوت الشاه » فاستبعدت يومئذ ان يكون فعل(عفا) يتعدى بنفسه وراجعت (مختار الصحاح) فاذا الامر كما قال الافغاني من ان (عفا) يتعدى بنفسه و بحرف الجر (عن) ٠

ومع هذا لا يصح جعل الأفغاني حجة في اللغة العربية لانها ليست من علومه التي أُخصى فيها على العكس من العلامتين البستاني والكرملي ٠

ويظهر من سياق الكلام ان العلامة البستاني يقبل (البقروت) ويفتي بجواز استعمالها ٠ على العكس من العلامة الكرملي الذي عابهـا وأقام النكير على الافغاني من أجلها ٠

ومن العجيب ان العلامتين لم يشيرا الى خطإ الأفغاني في استعمال (البقروت) ٠ فانه انما أراد بها في قوله : « هذا رجل من نسل البقروت » ان تكون البقروت جمعاً لبقر٠ و يكون المعنى ان الرجل من نسل البقر ٠ مع ان صيغة البقروت ليست صيغة جمع فيما أعلم ٠ وانما هي صيغة مصدر سريانية او إرمية (آرامية) بدليل قياسها على ملكوت ورهبوت السريانيتين اللتين معناهما الملك والرهبة ٠

فالأفغاني استعمل البقروت بمعنى البقرية « مصدر بالحاق ياء النسبة » وقد اخطأ في ذلك : اذ لا معنى لقولنا « فلان من نسل البقرية » ٠ وانما يقال : فلان من نسل البقر او البقار او الأبقور او البواقر او البقير او البيقور او البافور او الباقورة ٠ وكلها جموع او أسماء جموع للبقرة ٠ وهو ما أراده الأفغاني ٠

ومهما يكن فان الأب الكرملي لم يوافق الأفغاني على استعمال (البقروت) لانهـا أعجمية الأصل ولسنا في حاجة اليها مادام يوجد في لغتنا الفصحى ما يغنينا عنهـا وهو كلمتا البقّارية والفدّادية ٠

ومعنى (البقار) و (الفدّاد) الكثير البقر والكثير الإبل ٠ وقد ألحق الاستاذ

الكرملي بآخرها ياء النسبة المفيدة للمصدرية فأفادتنا معنى البقروت التي استعملها الأفغاني .

ولكنني أقول : اولاً ان البقروت في كلام الأفغاني لا يناسب ان نجعلها مصدراً بمعنى (البقّارية) اي رعاية البقر كما مر . ولو فرضنا صحة استعمالها مصدراً لا نظن ان الذوق اللغوي العام يمجها و يستنكرها بقدر مايستنكر (البقارية والفدّادية) وهما الكلمتان اللتان ارتضاهما صديقنا الكرملي ذاهباً الى انهما ألطف اشتقاقاً من البقروت الخشنة الثقيلة !

وعندي ان الامر على العكس : فان (البقّارية والفدّادية) هما الخشنتان الثقيلتان ، لقلة استعمال نظائرهما في الكلام العربي ، بخلاف (البقروت) فانها أخف على اللسان ، وأوقع في الآذان ، بسبب ألفنا سماع صيغتها في مثل (رهبوت وملكوت).

والحاصل ان شيخنا الأفغاني قذف كلمة (البقروت) في لغتنا من دون مبالاة . فاستحسنها العلامة البستاني وان كانت من الكلمات غير القاموسية تنمية للثروة اللغوية . واستبشعها الاب انستاس لخشونتها وثقلها وفضل عليها (البقارية والفدادية) لرقتها ولطافتها .

اما أنا فأرى ان الأفغاني أخطأ في استعمال (البقروت) جمعاً لبقر . فالواجب ان نرفض استعمالها بهذا المعنى .

اما اذا كانت مصدراً سريانياً بمعنى رعاية البقر كما فسرها لنا العلامة الكرملي فالأجدر قبولها والترحيب بها كما رحب سلفنا باخواتها : رهبوت ورحموت وملكوت وجبروت وعظموت .

« المغربي »

ابن الجوزي وابنه

وحفيده مؤلف « مناقب بغداد »

كتب عبد العزيز الميمني أستاذ الآداب العربية بجامعة عليكره في الهند الى هذه المجلة الغراء (٨ : ١٩٢٨ = ١٣٤٧ = ٨ : ٣٦٧) انه قرأ شك الاستاذ محمد بهجة الأثري في نسبة كتاب مناقب بغداد الى ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) وذهابه الى الجواز بعدم وقوف مترجم ابن الجوزي على كتابه هذا . وذلك في مقدمة المناقب التي صدّره بها الأثري حينما نشره بالطبع في بغداد . وقال الميمني انه يرى صحة النسبة اذ جاءت في «رقم الحلل» للوزير لسان الدين ابن الخطيب (١) ونقل لنا الاستاذ الناقد فقرة للسان الدين قال عنها ان ابا الفرج الجوزي (٢) حكاها في مناقب بغداد . وهذا ماجعله يبت ان الكتاب لابن الجوزي المتوفي في سنة ٥٩٧ الذي ذكره الأثري في مقدمته . ولقد فات الميمني ما فات الأثري ان مؤلف المناقب كان عائشاً حتى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) على ما جاء في كتاب المناقب نفسه (ص ٣٤) ولهذا لا يمكن ان يكون المؤلف ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ . وأشفع هذا البرهان بغيره كما سيأتي .

وكان قد أظهر عدم هذا الامكان معالي يوسف غنيمة في مجلة لغة العرب الزاهرة (٤ : ١٩٢٦ = ٢٧٤) لكنه نسب الكتاب الى الشيخ ابي محمد يوسف بن ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المقتول في فتنة التتار في بغداد في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وهو ايضاً مؤلف كتاب « الايضاح لقوانين الاصطلاح » الذي ذكره كشف الظنون وذكر مؤلفه وتاريخ قتله فنقل غنيمة ذلك ونسب كتاب المناقب الى هذا المصنف لانه رأى ان الكتاب يوافق عصره وجاءت هذه النسبة ايضاً في غير محلها . فان ابا محمد يوسف هو ابو مؤلف المناقب كما سيبين .

---

(١) ليس بيدي نسخة منه . (٢) جاءت ايضاً هذه النسبة في النسخة الفتوغرافية التي طبع عليها كتاب المناقب بدون «ابن» المألوف إدخالها على المتوفى من هذا البيت في سنة ٥٩٧هـ . ولم تراع هذه الدقة في المطبوع .

حينما قرأت كتابة الأثري ونقد غنيمة له صح عندي ما كنت عرفته ان الكتاب لغير ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ ولكن لم يصح عنـدي قول غنيمة لانه لابن الجوزي ابي محمد يوسف . ولتوفر الأدلة لديّ انه غير الذي عرفـه الأثري وغير الذي أشار اليه غنيمة — وان كان المؤلف من هذا البيت — أتيت بمقالة أدرجتهـا لغة العرب (٥ : ١٩٢٧ = ٢١٦) رجعت فيها — والظاهر ان الجزم واجب — ان كتاب مناقب بغداد هو لابي الفرج ، عبد الرحمن ، جمال الدين المقتول في سنة ٦٥٦ هـ مع ابيه محيي الدين ابي محمد ، يوسف بن ابي الفرج ، عبدالرحمن ، جمال الدين ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ . فالذي اوهم الأثري هو اتفاق اسم المؤلف وكنيته ولقبه مع اسم الامام المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ وكذلك مع كنيته ولقبه كما رأينا . والذي أوهم الميمني نسبة لسان الدين للكتاب الى الجوزي وقوله انه « ابو الفرج » وهي كنية المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ كما هو معروف فاعتقد الميمني بلزوم رفع شك الأثري والرجوع عنه .

وجلّ ما اعتمدت عليه في مقالتي المذكورة هو نسخة مكتوبة عن مخطوط في التاريخ للخزانة التيمورية عرفته على الارجح — إن لم يكن الصحيح — انه كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي وان رقمه ١٣٨٣ من كتب التاريخ(١) وقد ذُكر فيه ابن الجوزي الحفيد مع ابيه عدة مرار اولها عن الحفيد في سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣م) في فتح المدرسة المستنصرية . وهذا ما قاله المخطوط في أخبار السنة المذكورة .

« ... واما النائبان (نائبا التدريس في المستنصرية) فجمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الحنبلي نيابةً عن والده لانه كان مسافراً في بعض مهام الديوان ... » اهـ .

---

(١) راجع عن ذلك لغة العرب الجزء ٤ و٦ و٧ من سنتها الخامسة (٧—١٩٢٦) وفيها (٦ : ١٩٢٨ = ٦٤٧) ترجمة ابن الفوطي عن الدرر الكامنة لابن حجر . وقد صدر هذا الجزء الخاص بايلول قبل ميعاده .

ويكثر في هذا المخطوط ذكر محيي الدين بن الجوزي وذكر هناك انه هو يوسف ابو محمد . وفي مرآة الجنان لليافعي (٤ : ١٤٧) ان محيي الدين يوسف هو ابن الشيخ عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي . وذكر ابا محمد يوسف كشف الظنون في مادة « الايضاح لقوانين الاصطلاح » مع ذكر اسم ابيه كما رأينا . وذكره ايضاً تاريخ ابي الفداء في حوادث ٦٣٥ هـ (١٢٣٧م) (٣ : ١٦٠) وقال عنه انه ابن الشيخ جمال الدين بن الجوزي وان الخليفة المستنصر أوفده رسولاً للتوفيق بين الملوك . ثم قال (٣ : ١٦٣) « ووصل ايضاً هذه السنة (٦٣٦هـ) محيي الدين ابن الجوزي رسولاً من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح ايوب المستولي على دمشق . وهذا محيي الدين هو الذي حضر ليصلح بين الكامل والاشرف » اهـ . وفي لغة العرب (٦ : ١٩٢٨ = ٦٤٨) ان ابن الفوطي سمع من محيي الدين ابن الجوزي .

وكانت عاقبة آل ابن الجوزي على ما رواه كتاب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) عند كلامه عن هولاكو كما يلي :

« ... فدخل (هولاكو) بغداد ... ثم قتل مجاهد الدين و... و... (وقد عدّهم) ومحيي الدين ابن الجوزي أستاذ الدار وولده جمال الدين عبد الرحمن واخيه شرف الدين عبد الله واخوه تاج الدين عبد الكريم و... و... » اهـ .

وصفوة القول عن كتاب المناقب اننا فضلاً عما رأيناه من ان الحفيد سمي باسم جده وكني بكنيته ولقب بلقبه ومن ان هذا الكتاب ذكر غرق بغداد في سنة ٦٥٤ هـ اي بعد وفاة ابن الجوزي (الجد) بـ ٥٨ سنة رأينا نيابة الحفيد عن ابيه في التدريس مما يدفعنا الى ان نقول ان الحفيد كفؤ لتأليف مناقب بغداد . فالكتاب اذن لهذا الحفيد وهو عبد الرحمن ، جمال الدين ، ابو الفرج وليس لابيه محيي الدين يوسف ابي محمد ولا لجده عبد الرحمن ، جمال الدين ابي الفرج المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ .

وأعلل النفس بالوقوف على ذكر كتاب المناقب في ترجمة المؤلف التي أتوقع وجودها في كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب المتوفى في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢م) وهو بين المصادر المخطوطة لكتاب خطط الشام للأستاذ الكبير محمد كرد علي . ولا أدري أهذا الكتاب هو كتاب طبقات الحنابلة الموسوم بـ (المنهج الاحمد في تراجم

الامام احمد[1]) الذي عرض للبيع نسخة فتوغرافية منه الكتبي الفاضل يوسف اليان سركيس بمصر في فهرس مكتبته لهذه السنة ام ان هذا الكتاب غير ذاك . فان سركيس لم يذكر مؤلفه . وقد لاتخلو أمثال هذه الكتب من ذكر المناقب اذا وجدت فيها ترجمة المصنف .

وعسى ان يوقفنا احد الأدباء على هذه الترجمة . ولعلها في الكتاب الذي عقد له الأستاذ عيسى اسكندرالمعلوف مقالة في مجلة العرفان (١١ : ١٩٢٦ = ١٣٤٤ ٦٢٢ و٦٨٢) تحت عنوان « مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي » وهو من مخطوطات الخزانة الظاهرية .

ومن أراد التوسع في معرفة المؤلف ومعاصريه من أبناء ابن الجوزي يجدها في مجلة لغة العرب (٥ : ١٩٢٧ — ١٩٢٦) في أجزائها الرابع والسادس والسابع .

هذا ما أردت تبيانه من ان « مناقب بغداد » هو لابي الفرج ، عبد الرحمن ، جمال الدين بن الجوزي المقتول في بغداد في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) وانه ليس لجده ولا لأبيه . وعسى اني مصيب في قولي .

بغداد : يعقوب نعوم سركيس

استدراك على كتاب الأراجيز

ذكر الأستاذ السيد بهجة الأثري في مقالته « تاريخ نشوء الرجز وتطوّره » المدرجة في مجلة مجمعنا العلمي (م ٨ ص ٣٨٥) ان ديوان العجاج طبع في فينا سنة ١٨٩٦ م وان ديوان رؤبة ابنه ما زال مخطوطاً في دار الكتب المصرية بالقاهرة وان احد أدباء مصر المعاصرين نشر كتيباً سنة ١٣١٢ هـ سماه أراجيز العرب وان المستشرق رودلف جاير نشر مجموعة من أراجيز العجاج ورؤبة وذي الرمة وجرير وغيرهم باسم مشارف الأقاويز طبعت فيلبسك سنة١٩٠٨ وانه لايعرف في الاراجيز غير هذه الكتب .

(١) وفيه تراجم أصحابه (عن فهرس سركيس)

قلت ان ديوان العجاج المطبوع في ڤينا لا يشمل غير أرجوزة واحدة من ديوانه وشرحها ومطلع هذه الارجوزة :

قـد جبر الدين الاآله فجبر وعوّر الرحمن من ولّى العور

وقد وقعت في ٥٠ صفحة غير مقدمتهـا المكتوبة بالالمانية في ١٣ صفحة وقد عني بنشرها الدكتور ماكسيمليان بيتز الذي سماها القصيدة الاولى من ديوان العجاج ٠

اما ديوان العجاج بمجموعه فقد طبع وديوان الزفيان بعنوان الجزء الثاني من مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديواني الاراجيز للعجاج والزفيان وعلى أبيات مفردات منسوبة اليها بعناية المستشرق وليم بن الورد البروسي في برلين سنة ١٩٠٣م في مائة صفحة للاصل و٦٧ صفحة للفهارس والمقدمة والتعاليق الالمانيـة ٠ وجاءت الأرجوزة الا الفة الذكر ضمن ديوان العجاج فلم تكن الاولى فيه ٠

وكذلك ديوان رؤبة بن العجاج فقد طبعه وليم المذكور في برلين في تلك السنة بعنوان الجزء الثالث من مجموع أشعار العرب في ١٩١ صفحة للاصل و١٢٢ صفحة للفهارس والتعاليق ٠

اما الجزء الاول من هذا المجموع فهو يحتوي على الاصمعيات وبعض قصائد لغوية عني بنشرها وليم بن الورد المذكور في برلين سنة ١٩٠٢م في ١١٠ صفحات للأصل و٨٩ صفحة للفهارس والتعاليق ٠ وفي هذا الجزء طائفة صالحة من القصائد التي انتقاها الاصمعي من أشعار نفر من الشعراء المجيدين ٠

اما الذي جمع كتاب أراجيز العرب فهو السيد محمد توفيق البكري نقيب الأشراف وشيخ المشايخ الصوفية بالديار المصرية سابقاً أمتعه الله بالعافية وأحسن لنا وله العاقبة ٠

اما كتاب مشارف الأقاويز في محاسن الأراجيز فقد طبع الأصل العربي منه في ٢٠٩ صفحات في نيو يورك والتعاليق الألمانية في ١١٣ صفحة في ليبسك ٠

هذا ما أردنا ان نعلّق به على مقال الاستاذ الممتع والله من وراء القصد ٠

عبد الله مخلص

استعمال البلغاء لكلمة تبدى

مع انها غير قاموسية

بعث الينا الاستاذ ميخائيل الصقال عضو مجمعنا بحلب بابيات ذكر انه كان استشهد ببعضها على صحة ورود (تبدّى) بمعنى (بدا) بسبب اعتراض احد الادباء على قوله :

تبدت شموس الحسن في دارة البشر ... بآنسة في وجهها طلعة البدر

فأحببنا ان نثبتها في مجلتنا شواهد على استفاضة استعمال هذه الكلمة التي جاءت في اقتراح الاستاذ «المغربي» مثالاً للكلمات غير القاموسية الجديرة بجعلها قاموسية .

وها هي الابيات :

عمرو بن معدي كرب : وبدت لميس كأنها ... بدر السماء اذا تبدى

عمر بن الفارض : واني واياها لذات ، ومن وشى ... بها وثنى عنها صفات تبدت

ابراهيم اليازجي : لما تبدت لنا الفاظه دررا ... صغنا لها تاجاً من خالص الذهب

البهاء زهير : تبدّت فلا والله ما الشمس مثلها ... اذا أشرقت أنوارها بالمطالع

وله : فتاة كالهلال اذا تبدت ... أرتنا البدر في ليل بهيم

ابن نباتة : وممنوع الوصال اذا تبدى ... وجدت له من الالفاظ لالا

ابو العتاهية : جدودهمُ شمس بدت في أهلّة ... تبدت لراء في نجوم سعود

ابو نواس : تبدت في قميص من بياض ... باحداق واجفان مراض

البحتري : اذا تبدى يزيد الخيل لائمه ... بحاتم الجود شعبا جد مرؤوب

وله : جلت قبة الميدان آخر حلبة ... لنا عن تلالي غرة قد تبدت

يزيد بن معاوية ؟ : دعوت بماء في إناء فجاءني ... غلام به خمراً فأوسعته زجرا

فقال هو الماء القراح وانما ... تبدى به خدي فأوهمك الخمرا

العباس بن الاحنف :

تبدت لنا اذ غابت الشمس والتقت ... على الارض من أقطارها ظلماتها

وله : ولو تبدت ظلوم وهي مسفرة ... تحت الظلام لاهل الارض لافتتنوا

مطبوعات حديثة

دروس القواس

« اسم كتاب وضعه ابو الخير القواس : الحلقة الاولى منه ص ١٢٩ »
« طبع في مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ »

مؤلف هذا الكتاب من أشهر أساتذة التعليم بدمشق وهو أستاذ اللغة العربية في مدرسة التجهيز والمعلمين فيها وقد رأى ما يعاني الطلاب والمعلمون من الصعوبات في ضبط قواعد اللغة العربية وتقريب فهمها من الأذهان فسمت به همته الى اختيار طريقة حديثة في تعليم صرف اللغة ونحوها فألف كتابه هذا الذي سماه (دروس القواس) متحدياً في وضعه الطريقة الاستقرائية الحديثة التي أجمع أساتذة التربية والتعليم على انها خير المناهج في تعليم العلوم واللغات ·

وقد جعل لكتابه ألواحاً كبرى تعلق على الجدران جمع فيها جملاً صالحة من الأمثلة والشواهد على نسق يسترعي انتباه الطالب ويهديه مع حذق المعلم ولطف تلقينه الى استنتاج القاعدة بنفسه ·

وجعل لكل لوح كبير لوحاً آخر مصغّراً أثبته في مفتتح كل بحث من كتابه المطبوع ثم قفّاه بالتعريف وبيان القاعدة والشروط · وبذلك يكون المؤلف قلب بمنهاجه هذا طريقة التدريس القديمة رأساً على عقب · اذ بعد ان كان ما يعرض على الطالب اولاً هو التعريف والشروح اللفظية ، أصبح ما يُبدأ بعرضه هو الأمثلة والشواهد التي لا يؤتى بها الا آخراً ·

ولئلا يكون المؤلف مخدوعاً بطريقته هذه عرض نسخاً من الكتاب ومن الألواح الجدارية الكبرى على أساتذة التعليم المشهورين فمارسوا تدريسها وشهدوا لها بالحسن وقرب التناول ·

وقد أقرت وزارة المعارف السورية هذه الألواح والكتب بعد إقرار لجنة

التدقيق والتأليف إياها ، وجعلتها كتب التدريس في مدارسها وطبعت الألواح على نفقتها في مطبعة الحكومة .

ومن ينعم نظره في هذه الطريقة وفيما يتقاضاه وضع الواحها ومصغرات تلك الألواح من الوقت والجد والعناية يكبر عمل الاستاذ المؤلف ويعجب بهمته ونشاطه ويثني على حذقه في استنباطه هذه الطريقة التعليمية المفيدة . وانا لنتوقع لكتابه هذا رواجاً وانتشاراً عظيمين في سائر الاقطار العربية فيدرس في مدارسها ويكون له حسن الأثر في نشر قواعد اللغة وتسهيلها على الطالبين . « المغربي »

كتاب حقوق المرأة المسلمة

تأليف الشيخ نديم الملاح من علماء طرابلس ، ذكر انه وضعه ليبين للمرأة المسلمة من الحقوق الشخصية والاجتماعية ويمحص آراء العلماء وأدلتهم ثم يحكم الحكم الفصل فيها غير حاسب حساباً لما عرف ان سيلاقيه من الاعتراض .

مثل هذا العمل ان كان يراد به الاجتهاد للناس ليعملوا بموجبه فلا فائدة فيه ما لم يكن مسلماً عندهم ان المؤلف بالغ في علمه رتبة الاجتهاد او الترجيح ومرخصاً للحكام والمفتين في العمل بقوله ، وللناس في هذه البلاد مذاهب هم فيها مقلدون لا يسوغ لهم ان يكونوا فيها من اهل الترجيح ، هذا مع ما هو محظور على الحكام والمفتين من الحكم والافتاء بما يخالف المذهب الحنفي من عهد قديم ، فلذا لا يمكن تحقيق ما توخاه المؤلف من جعل حكمه فصلاً فيما رآه ، وكان هذا يصح لو كانت هذه الاحكام مدنية غير دينية فيضع احد المشرعين قانوناً يجتهد في جعل من له حق التشريع يقره ويأمر بالعمل به ، والا فليس لاحد من مقلدي المذاهب المدونة ان يعدل عن حكم مقرر فيها الى حكم مخالف له لمجرد موافقته لرأي هذا المؤلف او غيره ، على ان في الكتاب تدقيقات صالحة موافقة للمنقول والمعقول ، وان كنا لا نسلم له قوله ان في إمكاننا الآن الإحاطة بالاحكام الشرعية اكثر من احد أئمة المذاهب لان السنة لم تكن تامة التدوين في زمنهم وهي في زمننا قد تم تدوينها .

والكتاب في مائة وعشرين صفحة مطبوع في عمان ، هذا ولا بد من التنبيه الى الاغلاط الآتية لوقوعها في آية او حديث أو لا يتبادر اصلها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤	٣	ا	الله
٥٥	١٧	استكروا	استكرهوا
٧١	٦	الدار	والدار
٩٩	١٦	عليهن	عليهن بالمعروف
١١٢	٩	عبد	هند

عضو المجمع العلمي
مسعود الكواكبي

كتاب نظم العقيان

« في أعيان الأعيان »

من مؤلفات الامام الحافظ جلال الدين السيوطي النادرة النسخ هذا الكتاب المتضمن تراجم أشهر الاعيان من اهل القرن التاسع للهجرة في مصر وسورية وغيرهما ، وقف على طبعه الدكتور فيليب حتي وطبع في المطبعة السورية الاميركية في نيو يورك لصاحبها السيد سلوم مكرزل طبعاً جميلاً على ورق جيد ، بعد معارضته على نسخة الخزانة التيمورية ونسخة ليدن .

هذا الكتاب وان كان ليس فيه شيءٌ بدع اذ ان ما حواه من التراجم موجود في كتب التراجم والأدب ، الا ان كونه من مؤلفات السيوطي مزية له تبين أسلوب المؤلف في الترجمة ورأيه فيمن يصلح لان يعد في أعيان الأعيان من ذلك القرن ، وقد زان الكتاب خطبة رائقة للدكتور الموما اليه فيها تحقيق في ترجمة المؤلف عدا عدة فهارس غاية في الفائدة والإمتاع ، فالكتاب على كل حال طرفة يشكر عليها مخرجها وطابعها .

« له »

مشكاة الانوار

« فيما روي عن الله سبحانه من الاخبار »

للامام العارف الشيخ محيي الدين بن العربي المتوفى سنة ٦٣٨ ، جمع فيه اربعين حديثاً قدسياً باسانيدها ، واربعين خبراً مرفوعاً الى الله سبحانه من غير إسناد ، وواحداً وعشرين حديثاً مسندة باسانيد الكتب المخرجة منها ، فذلك احد ومائة حديث الآتية .

ومع هذا الكتاب كتاب الأحاديث القدسية الاربعينية للعلامة منلا علي القاري المتوفى سنة ١٠١٦ هـ ، طبعا في المطبعة العلمية بحلب لصاحبها الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا ، وفي شهرة المؤلفين غنىً عن بيان مزية الكتابين ، فللطابع الشكر على حسن ما ينتقي من الآثار الجديرة بالانتشار . « له »

شرحان

لكتاب (منهاج الاصول)

علم اصول الفقه ، لم يجسر على التأليف فيه الا جهابذة العلماء المحققين ، كأبي حامد الغزالي ، وابي الحسين البصري ، وفخر الدين الرازي ، وتاج الدين الأرموي ، والقاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦١٥ ، وهذا الاخير متأخر عن اولئك ، آخذ عنهم ، ولذا كان كتابه المسمى : (منهاج الوصول الى علم الاصول) او كما اشتهر اختصاراً : (منهاج الاصول) او : (المنهاج) فقط ، وافياً بهذا العلم الدقيق ، معولاً عليه في جميع الجهات منذ تأليفه ، وربما كان لم يخدم غيره من كتب الاصول كما خدم هذا بالشروح والحواشي الكثيرة . فمن شروحه : شرح للامام جمال الدين الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢ ، اسمه : (نهاية السول في شرح منهاج الاصول) ، وشرح للشيخ تقي الدين السبكي ، اكمله ابنه الشيخ تاج الدين ، اسمه : (الأبهاج في شرح المنهاج) ، وهؤلاء الفطاحل غنيون عن التعريف ، طبع هذان الشرحان معاً في ثلاثة اجزاء تبلغ سبعمائة صفحة ، في مطبعة التوفيق بمصر .

كم لفتنا نظر طابعي الكتب العربية الى وجوب الاعتناء بتصحيحها ، لاسيما ما كان منها تطول مدة اقتنائه لانه لا يستعمل كثيراً ، فلا تتيسر اعادة طبعه في مدة قصيرة ، وهذا الكتاب كذلك لم يعتن بتصحيحه المطبعي الاعتناء الذي يستحقه مثله ، وعلى كل يستحق صاحب المكتبة المحمودية بمصر ، من طلاب هذا العلم الجليل ومن المجمع الذي أهدي اليه الثناء الجزيل . « له »

كتاب المنهاج السوي

« في التخريج اللغوي »

في مائة وبضع عشرة صفحة مطبوع في مطبعة الاجتهاد في بيروت ، وهو مباحث لغوية أخرجها الاستاذ امين خير الله من مؤلف في مباني اللغة لوالده المرحوم ظاهر خيرالله اللغوي المحقق المتوفى سنة ١٩١٦ ، وعليها بعض تعليقات مفيدة من قبله .

هذه المباحث جليلة الفائدة حسنة الاسلوب دالة على غزارة مادة المؤلف ، كقوله تلخيصاً لضابط صرفي : اذا كان الفعل يستعمل في معان متعددة فالمعنى الذي له منه مصدر بحسب قياس مصادر طائفته هو عريق في ذلك الفعل ، والمعنى الذي ليس له منه مصدر كذلك ليس بعريق بل توسعي ، على ان المعاني المتقاربة التي يستلزم بعضها بعضاً او يتولد بعضها من بعض وان تعددت يكون لها مصدر واحد وهو في الحقيقة للمعنى الاصيل منها ويستعمل لها جميعاً توسعاً كما ان تولدها من ذلك المعنى توسع . فعسى ان يوفق الناشر الى طبع اصل المؤلف بتمامه ان شاء الله . « له »

(ذكرا وانثى خلقهم)

« او مرشد الشبيبة »

بقلم نقولا الحداد ، عني بنشره الياس انطون الياس

صاحب المطبعة العصرية بمصر

طالعت كتاب ذكراً وانثى خلقهم او مرشد الشبيبة للكاتب الاجتماعي السيد

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٢٨م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٧هـ ٩٥

صاحب مختار الصحاح

— تمهيد —

لا نخال ان احداً من المشتغلين بعلوم اللغة والأدب يجهل قدر كتاب « مختار الصحاح » للشيخ الامام محمد بن ابي بكر الرازي الذي طُبع اكثر من مرة في القسطنطينية ومصر وتداولتــه الايدي وأمامنا الآن نسخة منه طبعت سنة ١٣٣٧ هجرية و١٩١٩ ميلادية في المطبعة الاميرية ببولاق مصر للمرة الثامنة .

وقد جاء في المقدمة التي صُدِّر بها الكتاب انه قد اتى على المختار من تحريف النسخ والطبع ما تنكرت معه صورته وحق الرثاء له فأعيد طبعه على ذلك النسق الجميل والوضع اللطيف .

وهذا الكتاب هو من الكتب المختصرة في اللغة على كتاب الصحاح لابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٨هـ ١٠٠٧م والى القارئ الكريم ما ذكره مؤلفو كتب اللغة وآدابها عن المختار ومؤلفه بحسب سني الوفاة .

— المؤلفون الذين ذكروه في تصانيفهم —

قال مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي المعروف بحاج خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ ١٦٥٧ م في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون بحرف الصاد في مادة صحاح [1] .

(١) كشف الظنون طبع ليبسك جزء ٤ ص ٩٤ وطبع بولاق ج ١ ص ٥٠٨ وطبع القسطنطينية ج ٢ ص ٧٥ .

« واختصره الشيخ الامام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة [١] وسماه مختار الصحاح واقتصر فيه على ما لا بدّ منه في الاستعمال وضمّ اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره وصدّر فوائده بقلتُ وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته او بردّه الى واحد من العشرين التي ذكرها في كتابه [٢] وهو مشهور متداول بين الناس اوله : الحمد لله بجميع المحامد على جميع النعم الخ . وفي آخره وافق فراغه عشية يوم الجمعة سنة ٧٦٠ ستين وسبعمائة » .

وذكره ايضاً بحرف الميم [٣] « مختار الصحاح مرّ في الصاد » .

وذكره صاحب شرح القاموس المسمى « تاج العروس من جواهر القاموس » الامام اللغويّ السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ١٧٩٠م عند ذكره الكتب التي عوّل عليها فقال [٤] ومختار الصحاح للرازي ولم يزد .

وجاء في المقدمة الممتعة التي كتبها نصر ابو الوفا الهوريني المتوفى سنة ١٢٩١هـ ١٨٧٤ م على كتاب الصحاح ما يأتي [٥] :

« ومنهم (اي ممن اختصروا كتاب الصحاح) الشيخ محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي اختصره في مجلد لطيف سماه مختار الصحاح ونقل عبارة كشف الظنون بالحرف » .

وأورده احمد فارس الشدياق المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م في كتابه الجاسوس على القاموس فقال [٦] :

وقال الامام الرازي مختصر الصحاح والتزمنا في الموازين انا متى قلنا في فعل من الافعال الخ .

وأتى على ذكره صديق حسن القنوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م في كتابه أبجد العلوم واكتفى ببيان اسمه بين كتب اللغة [٧] .

---

(١) في طبعة ليبسك بعد سنة ٦٦٠ . (٢) في نسخة ليبسك في اول كتابه .
(٣) كشف الظنون طبع ليبسك ج ٥ ص ٤٣٥ وطبع بولاق ج ٢ ص ٢٣٩ وطبع القسطنطينية ج ٢ ص ٣٩٧ . (٤) تاج العروس من جواهر القاموس ج ١ ص ٤ . (٥) صحاح الجوهري ج ١ ص ٦ . (٦) الجاسوس على القاموس ص ٨٢ .
(٧) أبجد العلوم ج ٢ ص ٦١٧ .

وذكره جرجي زيدان المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » وقال عنه انه من رجال القرن الثامن الهجري [١] .

وجاء على ذكره سعيد الخوري الشرتوني اللبناني المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م في معجمه (أقرب الموارد) بقوله : « والرازي منتقي المختار الافضل [٢] » .

وذكره محمد دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م في تاريخ آداب اللغة العربية [٣] .

وذكره من المعاصرين الاحياء ادوار فانديك صاحب (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع [٤]) .

وجرجي شاهين عطية جامع كتاب المعتمد وسماه بابي بكر الرازي [٥]

وغيرهم بعبارات تدل على انهم ومن تقدمهم كانوا عيالاً على صاحب كشف الظنون فيما كتبوه .

وقد ذكر مختار الصحاح ومؤلفه في فهرست دار الكتب المصرية فقيل في وصف مختار الصحاح ما مآله [٦] .

« تأليف الشيخ محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من علماء القرن الثامن

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٣١٠ . (٢) اقرب الموارد ج ١ ص٦ .
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد دياب ج ١ ص ٥٤ . (٤) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص٣٢٢ . (٥) المعتمد فيما يحتاج اليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية حرف (ط) من المقدمة . (٦) فهرست الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب الخديوية ج٤ ص١٨٥ وقد جاء في هذا الفهرست ج ١ ص١٢٣ عند وصف كتاب أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الشريف ما يأتي :

« تأليف الشيخ محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي صاحب مختار الصحاح كان موجوداً سنة ٧٦٠ » . وجاء فيه ايضاً ج ١ ص ١٣٥ عند وصف كتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري ما يلي :

« وبهامشه أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل للشيخ محمد ابن ابي بكر الرازي .

فرغ من تأليفه عشيّة يوم الجمعة سنة ٧٦٠ » .

— سنة وفاته في القرن الثامن على ما ذكر في عنوان الكتاب —

وقد اطلعنا على كثير من نسخ المختار المطبوعة في أزمنة وأمكنة مختلفة فرأينا اكثرها قد ذكرت عليها سنة وفاة المؤلف ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) كأنهم رجعوا بذلك ايضاً الى ما جاء في كشف الظنون طبع بولاق وطبع الاستانة بانه توفي بعد سنة فأطلقوها على سنة بعد إتمام تأليف الكتاب .

— ترجمة حياته وذكر مؤلفه —

ولقد بحثنا عن ترجمة للمؤلف او ذكر للمؤلف في الكتب التي دوّنت بعد عهده والتي يصح الرجوع اليها فلم نظفر بطائل نذكر منها الكتب المطبوعة الآتية :

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ١٣٦٢ م

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للمقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ ١٣٦٨م

مقدمة ابن خلدون (في باب علم اللغة) لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ ١٤٠٥م

روض المناظر في علم الاوائل والاواخر لابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥هـ ١٤١٢م

القاموس المحيط للفيروز آبادي سنة ٨١٩ هـ ١٤١٦ م

صبح الاعشى (في باب كتب اللغة) للقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ ١٤١٨ م

بغية الوعاة للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ١٥٠٥ م

المزهر (في باب معرفة مواليد ووفيات اللغويين) للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ١٥٠٥ م

مفتاح السيادة ومصباح السعادة لطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ ١٥٦٠م

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبري زاده

احكام باب الاعراب عن لغة الأعراب لجرمانوس فرحات المتوفى سنة ١١٤٥ هـ ١٧٣٢ م

محيط المحيط لبطرس البستاني المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

قطر المحيط لبطرس البستاني

روضات الجنات في احوال العلماء والسادات لمحمد باقر المتوفي بعد سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م

قاموس الاعلام (تركي) لشمس الدين سامي الالباني المتوفى بعد سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٩ م

تاريخ الآداب العربية لاحد اخوة المدارس المسيحية وهو الاخ ساروفيم فيكتور واسمه قبل الترهب رشيد عطا الله اللبناني المتوفى ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م

— تحقيق الزمن الذي عاش فيه —

ولم يقف بنا حب الاستقراء عند هذا الحد فأخذنا نوالي البحث والتنقيب ونرجع الى ما قد يكشف لنا النقاب عن وجه الحقيقة فقرأنا في خطط المقريزي (١) ان محمد ابن ابي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي المتوفى بدمشق سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) وصف بركة الحبش التي في القاهرة ببيتين من الشعر هما :

اذا زيّن الحسناء قرط فهذه   يزيّنها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطلّ غدوة   فقلتُ لآلٍ قد تضمنها قرط

وقرأنا في شرح مقامات الحريرى لشيخ المستشرقين الفرنسيين البارون سلفستر دساسي المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٨ م ما يأتي بالحرف (٢) :

ومنها (اي من شروح المقامات) شرح آخر تأليف الشيخ شمس الدين ابي بكر (٣)

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبع مطبعة النيل ج٣ ص ٥١ .

(٢) شرح مقامات الحريري لدساسي ص ٤ .

(٣) وهم البارون دساسي في تلقيبه بشمس الدين وتكنيته بابي بكر مع ان لقبه زين الدين وكنيته ابو عبدالله كما ستراه فيما يأتي ولا نشك في ان البارون نقل ذلك عن كشف الظنون وكان لم يطبع بعد لاننا نرى ان طبعة ليبسك ج ١ ص ٢٩٦ وطبعة بولاق ج ١ ص ٧٩ وطبعة القسطنطينية ج ١ ص ١٠٠ قد لقبته وكنته بمثل ما قال البارون وهو خطأ وقع فيه صاحب كشف الظنون في مادة اسئلة القرآن وأجوبتها ومما يجدر بالذكر في هذا الباب قوله فيها انه توفي سنة ٦٦٠ هـ .

ومن شرح المقامات الحريرية للرازي نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية جاء وصفها في فهرست المكتبة الخديوية ج ٤ ص ٢٧٥ باختلاف يسير عن وصف البارون

محمد بن ابي بكر الرازي صاحب أسولة القرآن (كذا) [1] ومختار الصحاح المتوفى بعد سنة ستين وستمائة وهذا الشرح لم يذكره الحاج خليفة في كتابه المذكور (اي

دماميني وايضاح له اتصال بموضوعنا ولذلك ننقله بالحرف :

« شرح المقامات الحريرية للرازي . وهو الامام زين الدين محمد بن شمس الدين ابي بكر بن عبد القادر الحنفي من علماء القرن الثامن كان موجوداً سنة ٧٦٨ هـ وهو مؤلف الذهب الابريز في تفسير الكتاب العزيز وروضة الفصاحة في علم البيان كما هو مذكور في آخر الكراسة التاسعة من هذه النسخة ومن مؤلفاته ايضاً مختار الصحاح المشهور اول هذا الشرح الحمد لله الذي لا غاية لكماله الخ .

وجاء في فهرست المكتبة الخديوية ايضاً ج ٤ ص ١٤٧ : روضة الفصاحة في علم البديع لزين بن محمد السراج (كذا) ابن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي اولها الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان قال في اولها : أحببت ان اضع مختصراً يسمى بروضة الفصاحة جامعاً بين الايجاز المعجز والاعجاز الموجز واشرفه باسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين ابي الفتح غازي بن ألب أرسلان الأرتقي الخ .

قلنا والمنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الارتقي هو صاحب ماردين ولي السلطنة سنة ٦٩١ هـ ١٢٩١ م وتوفي سنة ٧١٢ هـ ١٣١٢ م .

وجاء في مجلة (الكلية) التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت (م ١٢ ص ١٨٠) ان من روضة الفصاحة نسخة في مكتبة الجامعة في الخزانة المعلوفية يظن مقتنيها الاول صديقنا الفاضل الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انها الوحيدة ومع هذا فهي منسوبة الى الرازي دون ذكر اسمه .

(١) طُبع هذا الكتاب باسم (انموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل) بهامش كتاب التبيان في إعراب القرآن لابي البقاء العكبري ومن الانموذج خمس نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية باسم اسئلة واجوبة متعلقة بالقرآن الشريف وفي مكتبة صديقنا السيد محمد نصيف عين اعيان جدة الحجاز نسخة مخطوطة منه باسم الأسولة والاجوبة على التفسير للامام ابن ابي بكر الرازي .

كشف الظنون) وهو شرح لطيف يشهد لصاحبه بكمال الأدب الا ان النسخة التي هي في ملكي ناقصة سقط منها نحو نصف الكتاب حتى لم يبق الا شرح الخطبة ثم شرح المقامة الخامسة والعشرين أخذاً من قول الحريري : واني والله طالما لقيت الشتاء بكافاته الى آخرها وشرح ما يتلوها من المقامات الى قوله في المقامة الخمسين ولم تزل معتكفاً على القبيح الشنيع » ·

— نسخة مخطوطة من مختار الصحاح منقولة عن الاصل —

« تثبت انه من رجال القرن السابع »

ولا بد لنا هنا من ان نستوقف القارئ هنيهة ونسترعي اهتمامه لامر ربما لم يعره اقل انتباه عند مروره بالكلام وهو ذكر البارون دسامي عن صاحب المختار انه توفي بعد سنة ستين وستمائة — كما ذكر هذا التاريخ في أوائل عبارة كشف الظنون المطبوع بليبسك في مادة صحاح وقد أشرنا الى ذلك في تعليقنا عليه — فقد اطلعنا في خزانة الكتب الخالدية [1] ببيت المقدس على نسخة مخطوطة من مختار الصحاح جاء في آخرها ما يلي :

« تم الكتاب المسمى مختار الصحاح بعون الله وحسن توفيقه على يد مؤلفه وكاتبه بيده محمد بن ابي بكر الرازي عفا الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين ووافق فراغه عشية يوم الخميس غرة شهر رمضان المبارك ليلة الجمعة الغراء سنة ستين وستمائة والحمد لله اولاً وآخراً و باطناً وظاهراً وصلواته على جميع رسله وانبيائه الى هنا كلام المؤلف نقلته من خطه وانا أفقر الأنام الى الحسنى وزيادة محمد الشهير بسلامي زاده » ولم يؤرخ سنة نسخه ·

— سماع لصاحب المختار يؤيد ذلك —

وقد يتبادر الى الذهن ان ناسخ تلك النسخة ربما وهم في نقل عدد السنين فجعلها

(١) المكتبة الخالدية أنشأها آل الخالدي و ينتسبون قبلاً بالديري في سنة ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م وهي تضم الآن زهاء ستة آلاف كتاب ومنها الجيد النافع والمخطوط النادر ولكن الرغبة في العلم في بيت المقدس ضئيلة جداً فلا تكاد ترى من يختلف اليها و ينتفع بما تحويه من الدرر الغاليات والأسفار الممتعة ·

ستمائة بدلاً من سبعمائة وان البارون دساسي نقل عن نسخة مغلوط فيها من كشف الظنون وان طابعيه في ليبسك ايضاً ذهلوا عن وضع الرقم الصحيح في أوائل الكلام على الصحاح فوضعوه سنة (٦٦٠) في حين انهم وضعوه في آخره (٧٦٠) وكذلك وضعهم في جميع طبعات الكشف في مادة أسئلة القرآن وأجوبتها انه توفي سنة (٦٦٠) الا اننا ظفرنا قد في الخزانة الخالدية المذكورة بسماع كتب باول الجزء التاسع من (كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول) يثبت ان الرازي من رجالات القرن السابع لا من القرن الثامن كما ظنه بعضهم او بالحري كما جاء في كشف الظنون وتابعه عليه الآخرون . والى القارئ صورة ذلك السماع بالحرف الواحد ومعه راموز بالتصوير الشمسي رقمه (١) .

« سمع هذا الجزء التاسع من كتاب جامع الاصول جميعه بمدينة قونية [1] على الشيخ الامام العالم العامل الكامل المكمل الوارث الراسخ القدوة المحقق بقية السلف ، عمدة الخلف ، محيي السنة ناصر الشريعة ، صدر الدين ابي المعالي محمد بن الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل مجد الدين اسحق بن محمد متع الله المسلمين بطول حياته صاحبه الشيخ الامام العالم العامل الفاضل سيد العلماء قدوة الفضلاء محيي السنة ، ناصر الشريعة زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي مدّ الله في حياته بمحضر جماعة من القراء والفقهاء والحفاظ يأتي ذكر اسمائهم منصلاً في آخر هذا الجزء وكان ذلك في مدة آخرها أواخر شهر ذي القعدة سنة ست وستين وستمائة وعلى رأس كل مجلس خط الشيخ المسمع ادام الله ظله مثبتاً متماعاً مقروناً بتحقيق ما أشكل فيه من الالفاظ والمعاني والبحث عن غوامضها بقدر الوسع والطاقة أخذاً من فوائد

(١) قونية عاصمة ولاية تركية باسمها وتمتاز عن سائر الولايات بكونها كانت قاعدة شيخ المولوية المسمى بمولانا وهذا الشيخ هو الذي كان يقلد خلفاء آل عثمان سيف السلطنة في حفلات تتويجهم قبل ان يقضي على تاجهم وصولجانهم وعلى الطريقة المولوية من بعدهم . وعمالة قونية من العمالات الكبرى مان عدد سكانها يربي على مليون نسمة ومساحتها على ١٠٠ الف كيلو متر مربع وهي من أوسع العمالات التركية شقة ومن اقلهن سكاناً .

الشيخ وهدايته ببركة انفاسه وأذن له في روايته عنه ورواية ما صح عنده من مؤلفاته ومسموعاته ومناولاته وإجازاته كلها بحق سماعه هذا الكتاب على الشيخ العالم الصدر الكبير المحدث ٠٠ الدين ابي يوسف يعقوب بن محمد بن الحسن الهذباني الموصلي رحمه الله بالقاهرة في بعض سنة (ثلث) واربعين وبعض سنة اربع واربعين وستمائة وأذن له في روايته عنه بحق سماعه على مؤلفه الشيخ الامام العالم الحافظ المتقن المحدث محيي السنة ناصر الشريعة مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد (بن عبد) الكريم الجزري الموصلي رضي الله عنه » .

وقد جاء في عبارات السماع على عدة صفحات من الكتاب بلغ السماع او بلغ سماعاً او بلغ المقابلة بالاصل للمولى الشيخ الفقيه الامام زين الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الرازي اكرمه الله .

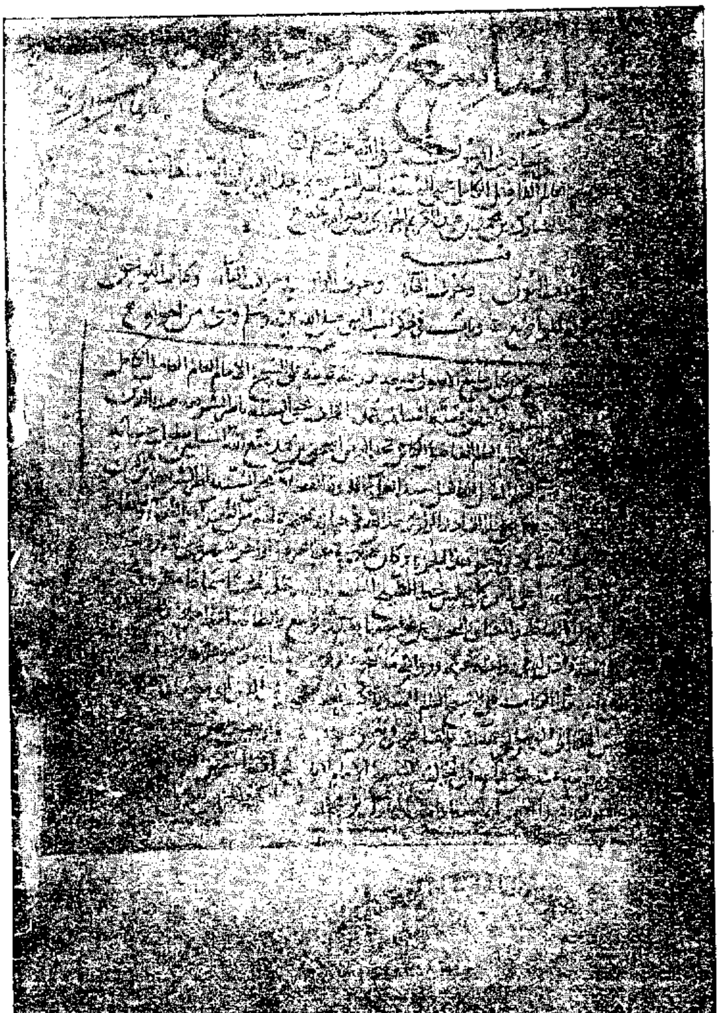
وفي آخر الصفحة الاخيرة بخط الصدر القونوي ما يأتي :

« صح سماع من ذكر اعلاه على حسب ما فصل وبين وكتب العبد الفقير محمد بن اسحق بن محمد بن يوسف بن علي حامداً ومصلياً والمنة لله » .

ومما يبعث على الاسف انه لحق الاوراق الاخيرة من جامع الاصول وكف ماء فلم نوفق الى معرفة اسم واحد من الفقهاء والحفاظ والعلماء الذين جاء ذكرهم بآخر ورقة فقد كانت جميعها مطموسة فلم نتمكن ان نقرأ من اسمائهم الا شذرات مقتطعة كالسنجاري ونجم الدين يعقوب بن يوسف باقراغاسي ومعين الدين عبد المجيد بن الامام شهاب الدين وجمال الدين وشرف الدين وابن عبد الملك والصوفي وابن غازية وقلشاه ممن لم يكتمل معنا منهم اسم واحد كما تراه في الراموز الشمسي (رقم ٢) .

— الاختلاف بين تاريخ تأليف المختار وبين عبارة كشف الظنون —

ثم رجعنا الى الاستاذ الرحالة الشيخ خليل الخالدي من علماء بيت المقدس وقد رحل عدة مرار للشرق والغرب وغشي بعض خزائن الكتب ونقل عنها الشوارد النافعة والفوائد الكثيرة نسأله عن الاختلاف الواقع في تاريخ تأليف مختار الصحاح بين ما ذكر في كشف الظنون وما جاء في آخر نسخة المختار المخطوطة وفي السماع المتقدم ذكره وعن لقب الهذباني الموصلي الذي قرضت الارضة اوله فأجابنا بكتاب



« الراموز رقم (١) »



« الراموز رقم (٢) »

جامع نقتطف منه ما يتصل ببحثنا و يتعلق بموضوعنا قال حفظه الله :

— الاستاذ الخالدي يؤيد تاريخ التأليف و ينفي عبارة الكشف —

« ومن خصوص تاريخ تأليف مختار الصحاح وما جاء بكشف الظنون بمادة صحاح من ان المختار تم تأليفه سنة ٧٦٠ الخ فوهمٌ محضٌ لا شك فيه يتبين من صريح عبارة المؤلف في الورقة الاخيرة من النسخة التي بخطه حيث يقول فيها ما نصه :

الا يا أسلمي يا دارميّ على البِلى ولازال منهلاً بجرعائك القطر [1]

وأعقبها الاستاذ بالعبارة التي نقلناها عن النسخة المخطوطة المحفوظة في الخزانة الخالدية المنقولة من نسخة الاصل .

وقفّى الاستاذ على ذلك بقوله انتهى برسمه وشكله ونقطه وعلى الورقة المذكورة بخط المصنف ما صورته :

ابو الفتح البستي

اذا أحببتَ ان تبقى مصون الجاه والقَدْرِ
وان تأمن ما في النا س من مكرٍ ومن غدرِ
فلا تحرص على مالٍ ولا تطمح الى صدرِ
واكثر قول لا أدري وان كنت امرءاً تدري

— تحقيق لقب الهذباني راوية كتاب جامع الاصول —

واما ما سألتم عنه من لقب الهذباني الموصلي فهو الصدر الصاحب شرف الدين يعقوب بن محمد الحسن الهذباني ثم الموصلي كما رأيته مصرحاً به في السماع الذي بخط العلامة القطب الشيرازى صاحب التفسير الكبير المسمى بفتح المنان والشرح الكبير على مختصر المنتهى الاصولي وشارح المفتاح والقانون والنجاة وحكمة الاشراق والمشارع والمطارحات وكثير من كتب الشيخين ابن سينا وشهاب الدين المقتول شيخ الاشراقيين وهذا السماع موجود على الجلد الثاني من نسخة القطب العلامة التي ظفرت بها باحدى خزائن الكتب الثمينة وهذا نصه :

(١) هذا البيت هو آخر مااستشهد به الرازي في مختار الصحاح واختتم به الكتاب

« أخبرنا بجميع كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول الشيخ الكامل المحقق قدوة الواصلين ، سلطان المكاشفين ، صدر الملة والدين محمد بن اسحق بن محمد بن يوسف المسلطي القونوي قدس الله روحه بقراءتي عليه وهو يسمع فأقرّ به وذلك في داره بمدينة قونية في شهور سنة ثلاث وسبعين وستمائة . قال أخبرنا بجميعه الصدر الصاحب شرف الدين يعقوب بن محمد بن الحسن الهَذْباني (1) ثم الموصلي بقراءتي عليه وسماعي منه قال أخبرنا بجميعه مؤلف الكتاب وهو الشيخ الامام المحدث الراوية مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ثم الموصلي المعروف بابن الأثير قراءة عليه وانا اسمع . حرره أحوج خلق الله محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازي ختم الله له بالحسنى وقد صحح هذا المجلد بقدر الامكان وزيغ البصر وطغيان القلم موضوعان والخطأ والنسيان عن هذه الامة مرفوعان وقد فرغ من تصحيحه أوائل ذي القعدة وهو من شهور سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله اجمعين انتهى » .

— الاجزاء الموجودة من كتاب جامع الاصول —
« في الخزانة الخالدية »

هذا ما جاء في كتاب الاستاذ الذي أزاح كل شك . وعلى ذكر كتاب جامع الاصول نقول ان منه الجزءين الاول والاخير في الخزانة الخالدية فضلاً عن الجزء

(1) هكذا ضبطها الاستاذ الخالدي وهو يقول انه نقلها كذلك . اما في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ١٧٤ من طبعة ليبسك فقد ضبطت بالتحريك (الهَذَباني) قبيل من الاكراد ينزلون نواحي الموصل وفي ج ١ ص ١٦١ من طبعة مصر الهَذَياني بالياء وهذه من الاغلاط الواضحة لان الاخيرة قد طبعت عن الاولى .

ويميل صديقنا الحبر الجليل الاب أنستاس ماري الكرملي منشئ مجلة لغة العرب الى قبول رواية ياقوت الحموي فقد أورد في م ٥ ص ٤٠٩ من مجلته الغراء ما يؤيد هذا الرأي الا انه عاد في الصفحة ٥٥٤ فقال ان اسكان الذال المعجمة او الدال المهملة أفصح وان جاز التحريك .

التاسع الذي نقلنـا عنه السماع الاول المتقدم وفيه ذكر صاحب مختار الصحاح وعلى الجزء الاول سماع جاء فيه :

« بلغ السماع لجميع هذا الجزء من اوله الى آخره على الشيخ الأجل الامام العـالم الأوحد الرئيس المتقن المتفنن جامع لباب الفضائل المحدث الحـافظ صدر الدين ابي عبدالله محمد بن القاضي الأجل العالم الفاضل كمال الدين ابي الحسن علي بن عبدالرحمن ابن فارس بن بركات القرشي الزبيري امتع الله ببقائه وزاد في علوه وارتقائه وسمع ولده القاضي سديد الدين ابو محمد علي والقاضي الأجل الرئيس الفاضل المقرئ ناصرالدين محمد بن محمد بن عبد القوي الانصاري الشافعي وسمع بعضه السيد الشريف الأوحد الرئيس الفاضل عماد الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب الحسيني المنقذى وأجاز له المسمع ما فاته وذلك القاضي كمال الدين محمد بن عبدالدائم الانصارى سمع بعضه واجاز له المسمع ما فاته وذلك الامير الأجل علاءالدين ابي عبد الله واجاز له المسمع ايضاً ما فاته وتلفظ الشيخ المسمع للجماعة المذكورين فيه بالاجازة في جميع مارواه وسمعه وألفه ونظمه وكاتب هذه الاحرف قارئ الكتاب الفقير الى الله عبد الله بن دحية الحلبي تولاه الله في الدنيا والآخرة وكان الفراغ منه في سلخ جمادى الآخرة من سنة اربع وستين وستمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه الاكرمين وسلم تسليما . كتبه عبد الله بن دحية في تاريخه بحق سماعه فيه على الامير شرف الدين يعقوب بحق سماعه على مصنفه رحمة الله عليهم اجمعين وعلينـا من بعدهم آمين ملحق صحيح والحمد لله .

وفي آخر هذا السماع بخط آخر :

« وفيه ايضاً ابي عبد الله محمد وسديد الدين ابو محمد علي وهو صحيح ايضـاً والحمد لله صحيح ذلك كتبه محمد بن علي بن عبد الرحمن القرشي » .

والسبب في إضافة هذه الجملة الى السماع انه كتب في متنه اولاً (ابو عبد الله محمد) ثم تصححت بابي عبد الله محمد وكذلك كتب في المتن (ابو عبدالله محمد علي) ثم تصححت فصارت (ابومحمدعلي) . انتهى السماع المكتوب على الجزء الاول .

— بقية اجزاء كتاب جامع الاصول في قونية —

ومن غريب امر هذه الاجزاء الثلاثة من كتاب جامع الاصول ان تكملتها لا تزال محفوظة بخزانة كتب الصدر القونوي في مدينة قونية على ما رواه لنا الاستاذ الخالدي وهو يقول ان السبعة اجزاء التي بقونية هي بنفس خطوطه التي ببيت المقدس وان عليها وكف ماء ايضاً مما يدلنا على ان الاجزاء الثلاثة قد جاءت الى بيت المقدس بين كتب بعض قضاتها واتصلت بعد ذلك بالخالديين ٠

— عود على بدء في تحقيق ترجمة صاحب المختار —

« والبحث عن مؤلفه »

وبعد ان قنعنا بان مؤلف مختار الصحاح كان من معاصري الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ ١٢٧٤ م وانه كان في قيد الحياة سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م عدنا فرجعنا الى وفيات الأعيان لاحمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الأربلي المتوفى سنة ٦٨١ هـ ١٢٨٣ م فلم نقع له فيه على ترجمة كما اننا لم نعثر له على ذكر في كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي الافريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ ١٣١١ م في حين انه ذكر اسماء بعض مختصري الصحاح [1] وكتاب دول الاسلام لمحمد بن احمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م الذي يشتمل على وفيات المشاهير من ظهور الاسلام الى ختام سنة ٧٤٤ هـ ١٣٤٤ م ٠

وبعد ان فقدنا كل امل في الكتب المطبوعة فزعنا الى المخطوطات فلم نظفر للرازي بترجمة لا في كتاب الوافي بالوفيات لخليل بن ايبك المعروف بصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ١٣٦٢ م ولا في كتاب الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لاحمد بن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م ولا في كتاب شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحي بن احمد بن محمد العكري الصالحي المشهور بابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م ولا في كتاب ديوان الاسلام لمحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الغزي المتوفى سنة ١١٦٧ هـ ١٧٥٣ م ٠

(١) لسان العرب ج ١ ص ٣ ٠

— رأي للمستشرق الانكليزي الاستاذ مرجليوث —

« في ان صاحب المختار من رجال القرن الثامن »

ثم كتبنا الى المستشرق الكبير الاستاذ (د٠س مرجليوث) أستاذ اللغة العربية في جامعة اكسفرد بانكلترا الذي طاف اكثر البلاد وعاين دور كتبها نسأله عما اذا كان وقع على شيء من ترجمة الرازي فأجابنا بكتاب يقول فيه :

« واما ما تسألون من امر صاحب مختار الصحاح فليس عندي كتاب فيه ترجمته وانما وجدت في المخطوطات المحفوظة في مكتبة الكلية كتاباً له صغيراً جمع فيه الابيات المتمثل بها فبوّبها ابواباً ومن الشعراء الذين اورد ابياتاً لهم ابن الصائغ والشاعر المشهور بابن الصائغ هو الذي توفي سنة ٧٢٢ هـ ١٣٢٢ م ذكر ذلك صاحب فوات الوفيات و يدل ذلك على صحة ما جاء في كشف الظنون والارجح على ظني ان الصفدي كان معاصراً لصاحب المختار وليس عندنا الاجزاء من الوافي المشتملة على تراجم المحمدين حتى اعرف هل ترجم محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ام لا ؟ » ٠

وفي كلام الاستاذ مافيه من دقة البحث وبعد النظر لولا ان الحقيقة واضحة كما بينا ونقل الرازي ابياتاً من شعر محمد بن الحسن بن سباع شمس الدين الصائغ العروضي لا ينم على كونه نقلها بعد وفاته فان هذا الشاعر الجيد — وهو وان لم يذكر ابن شاكر تاريخ ولادته [1] فقد ذكرها قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩ هـ ١٤٧٤ م في كتابه تاج التراجم في طبقات الحنفية [2] بانها كانت سنة ٦٤٥هـ ١٢٤٧ م — قد عمر سبعاً وسبعين سنة وقد تكون الابيات التي نقلها عنه من منظوم صباه ٠

و يجب ان لا ننسى ان بين الاثنين صلة ادبية هي عملهما كل بمفرده على اختصار الصحاح للجوهري فقد ذكر ابن شاكر وابن قطلوبغا لابن الصائغ اختصاره للصحاح وتجريده من الشواهد ٠

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٨٨ ٠ (٢) تاج التراجم ص ٤٦ وقد زاد بعد سباع (الجذامي) ورفع شمس الدين الصائغ العروضي ووضع بدلاً منها المعروف (بابن الصائغ الدمشقي) ٠

وقد اطلعنا في مجلة المقتبس التي كان يصدرها بدمشق صديقنا العلامة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الآن (م ٧ ص ٤٥٦) ان لمحمد بن ابي بكر الرازي مجموعاً اسمه حدائق الحقائق في الخزانة التيمورية بالقاهرة فسألنا عنه العلامة صديقنا الاستاذ احمد باشا تيمور صاحب تلك الخزانة العامرة فوصفها لنا بقوله انه :

في ٣٧ صفحة جاء في اوله : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين الخ . جمعه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وآثار الصحابة رضي الله عنهم وكلمات العارفين وهو في الأخلاق والمواعظ ويغلب عليه المشرب الصوفي وقد جعله خمسة وعشرين باباً .

وزاد الباشا العالم على ذلك بقوله « وجاء عنه في كشف الظنون : حدائق الحقائق في الموعظة لتاج الدين محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي الملقب بالصدر وهو مختصر جمعه من الاحاديث والآثار والمواعظ وجعله ستين باباً (كذا) وقد صرح المؤلف في خطبة الكتاب انها ٢٥ باباً وهو الصحيح اه » .

وقرأنا في رسالة صغيرة وضعها بالتركية السيد محمد طاهر البرسوي من علماء العثمانيين الاعلام جامعة لاسماء المؤلفات السياسية الاسلامية ان لمحمد بن ابي بكر الرازي مخطوطة في خزانة كتب جامع اياصوفية في القسطنطينية اسمها « تحفة الملوك والسلاطين » [١] .

وبالرغم من ان هذه المخطوطة قد ذكرت في كشف الظنون [٢] .

وفي الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد بن محمد بن نصرالله ابن سالم بن ابي الوفا القرشي المتوفى سنة ٧٧٥ هـ ١٣٧٣ م [٣] باسم تحفة الملوك ونسبت الى زين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد المحسن الرازي الحنفي بدون ذكر تاريخ وفاته وقيل عنها انها في الفروع فلا يستبعد ان تكون لصاحب المختار وقد رأيت

(١) سياستنه متعلق آثار اسلاميه (تركي) ص ٢١ (٢) كشف الظنون طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٤٠ وطبع بولاق ج ١ ص ٢٠٤ وطبع القسطنطينية ج ١ ص ٢٦٦ .
(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ٣٤ .

ان اللقب يوافق لقبه ولا وجه للخلاف الا في عبد القادر وعبد المحسن مما قد يظن ان صاحب الكشف وهم بينهما والأمثلة على ذلك ماثلة فيما تقدم من كلامه . ويقول صاحب الكشف ان عبد اللطيف بن عبد العزيز بن ملك وبدر الدين محمود بن احمد العيني قد شرحاه . ومما يزيدنا رسوخاً في هذا الظن الذي نستطيع ان نرفعه الى مرتبة الاعتقاد هو إغفال تاريخ وفاة الرازي في عبارة الكشف .

— تلخيص ما تقدم وبعض ترجمة حاله —

بقي علينا تعليل سبب إغفال ترجمة صاحب المختار في كتب التراجم واسم كتابه بين مؤلفات اللغة قبل عصر صاحب كشف الظنون فقد وضح لنا مما مرّ ان الرجل هبط مصر وشاهد مشاهدها وجاء الشام زائراً ثم رحل عنها بدليل ماشاع في مصر عن وفاته بدمشق لما غاب عنها وانه كان في قونية سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م والظاهر انه ظل مقيماً فيها او فيما اليهـا من بلاد الروم (الاناضول) فخفي امره على مترجمي العرب وبقيت مؤلفاته مخبوءة في احدى زواياها . ثم حدث الانقلاب السياسي العظيم بظهور الدولة العثمانية سنة ٦٩٩ هـ ١٢٩٩ م فلم يتمكن علماء الترك ايضاً من الاتيان على ذكره في تلك الفترة الهائلة وبقي اسم هذا العلم الذي يذكره الصدر القونوي [1] بالتعظيم والتكريم ولا يستكبر عن نعته بسيد العلماء وقدوة الفضلاء وملك المدرسين [2] نكرة غير معرفة بين العلماء والمتأدبين .

ولما لم نتأكد من تاريخ وفاته على التحقيق فنضطر للقول بان زين الدين ابي عبدالله

(١) ترجم السبكي له في طبقات الشافعية « ج ٥ ص ١٩ » وقال عنه صاحب التصانيف في التصوف وانه توفي سنة ٦٧٣ هـ ١٢٧٤ م في حين ان الحاج خليفة في كشف الظنون قال في عدة مواضع بان وفاته كانت سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م وقد اخذنا بقول السبكي لموافقته واقع الحال كما تقدم في السماع الذي كتبه القطب الشيرازي وقال فيه انه قرأ كتاب جامع الاصول على الصدر القونوي في تلك السنة اي سنة ٦٧٣ . (٢) سيد العلماء وقدوة الفضلاء ذكرتا في السماع الذي تقدم ذكره اما ملك المدرسين فقد كتبت على بعض مواقف السماع والمقابلة .

محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (نسبة الى مدينة الري" مدينــة كبيرة من بلاد الديلم بين قومس والجبال [١] قد توفي بعــد سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م — هذا اذا لم نتجوز ان نقول بالاستناد لى ما جاء في مقدمته التي وضعها لكتابه روضة الفصاحة الذي الّفه برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأُرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١هـ انه توفي بعد سنة ٦٩١هـ ١٢٩١ م — [٢] وانه خلّف من التواليف الحسان مختار الصحاح في اللغة وأسئلة القرآن وأجوبتها في التفسير وهما مطبوعان وشرح مقامات الحريري وكتاب في الابيات التي يتمثل بها في الادب الاول منها في دار الكتب المصرية بالقاهرة والثاني بمكتبة كلية اكسفورد في انكلترا وتحفة الملوك والسلاطين في الفروع في مكتبة جامع اياصوفية في القسطنطينية وحدائق الحقائق في الأخلاق والمواعظ في الخزانة التيمورية بالقاهرة وكتاب روضة الفصاحة في علم البديع في دار الكتب المصرية ونسخة ثانية في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت وهــذه الكتب الخمسة لا تزالـــ مخطوطة لم تمثل بالطبع وكتاب الذهب الابريز في تفسير الكتاب العزيز وهو مجهول عندنا ٠

— شكرنا للذين آزرونا في التحقيق —

وهنا مجال لان نشكر للاساتذة الفضلاء والعلماء العاملين احمد باشا تيمور من أعيان مصر ومفاخرها والسيد محمد علي الببلاوي نقيب السادة الاشراف في الديار المصرية ومراقب إحياء آداب اللغة العربية في دار كتبها والشيخ سعيد الكرمي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق غيرتهم الادبيــة فقد حملوا انفسهم مؤونة البحث وعنــاء المطالعة في كتاب الوافي بالوفيــات وديوان الاسلام من مخطوطات الخزانة التيمورية

---

(١) كتاب الانساب للسمعاني ورقة ٢٤٢ الوجه الثاني ٠ (٢) لا نتشدّد في ان الروضة قد أُلفت برسم الملك بعد ارتقائه العرش فانه لم يذكر في المقدمة انه صاحب ماردين وقوله باسم السلطان المنصور قد تكونـ من باب تسميتنا ابناء الأُسر المالكة بالامراء لاسيما وان الاتراك العثمانيين كانوا يطلقون لقب سلطان وسلطانة على الرجال والنساء من الأُسرة المالكة ٠

وكتاب الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة من مخطوطات دار الكتب المصرية في القاهرة وكتاب شذرات الذهب في اخبار من ذهب من مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق واستقصوا عن ترجمة للرازي فلم يظفروا بها ٠ واننا نختم مجثنا هذا بدرج نسخ الرسائل التي بعث بها الينا هؤلاء العلماء لا تخليداً لافضالهم على اللغة العربية وآدابها بل لانهم يرون رأينا في استحقاق صاحب المختار لمثل هذا التقصي مما شجعنا على المضي في سبيلنا حتى وصلنا الى ما وصلنا اليه و بالشكر للاستاذين الخالدي ومرجليوث اللذين علّمانا مما علما ومهّدا لنا سبيل البحث في هذا الشأن ٠

وان في نشر هذه الرسائل ولا سيما رسالتي تيمور باشا ما يستفيد منه الباحث المنقب ويحمله على إسداء الشكر لهذا الرجل العظيم الذي وقف نفسه وماله على خدمة العلم والعلماء ٠

— نسخ رسائل المؤازرين الكرام —

« نسخة الرسالة الاولى التي بعث بها تيمور باشا »

السلام عليكم ورحمة الله ٠ وبعد فقد تشرفت بخطاب سيدي وكنت أودّ لو أتاح لي الحظ بالقيام بما كلفني به حتى أعدّ نفسي اهلاً لما شملني به من العطف وحسن الظن لولا ان كتبي لم تزل بعيدة عني بالضيعة التي كانت إقامتي بها في الغالب وعدم إتمام المكان الذي اعدته لها بالقاهرة فلم تتيسر لي مراجعة ترجمة صاحب مختار الصحاح في الوافي بالوفيات وسأنتهز اول فرصة أسافر فيها الى هناك وأراجعها فيه ٠ وقد أعياني البحث قبلكم عن ترجمة هذا الفاضل في كتب التراجم التي بايدينا فلم أظفر فيها بشيء عنه ولا أدري كيف يغفل ذكره مع شهرته وعظيم فضله ٠

اما الباعونية فقد وجدت ترجمتها في الكواكب السائرة وشذرات الذهب فنقلت منها اللازم وأرسلته مع هذا بعد ان أردفت بما لها من المؤلفات عندي ودمت يا سيدي للمخلص لك المعجب بفضلك ٠ احمد تيمور

« نسخة الرسالة الثانية التي بعث بها »

ترجمة صاحب مختار الصحاح آسف الأسف كله على اني لم أوفق فيها الى طلبتكم هذه المرة ايضاً فان الذي عندي من اجزاء الوافي بالوفيات للصفدي ستة اجزاء من

نسخة مغربية الخط جزء منها به طائفة من المحمدين ولكنه مبدوء بمحمد بن عمر واسم الرازي مؤلف المختار محمد بن ابي بكر اي انه اذا كان موجوداً في الكتاب فبالجزء الذي قبل هذا • وعندي قطعة منه بخط المؤلف فيها شيء من حرف الميم ولكن ليس بها احد من المحمدين • وعندي ثلاثة اجزاء أخرى منه منسوخة من احدى خزائن حلب حديثة الخط وهي الاول والثاني والثالث وهذا الاخير مبدوء بمحمود واما الاول والثاني ففيهما اسم محمد جميعه غير ان الاول واصل الى محمد ابن احمد والثاني مبدوء بمحمد بن طاهر اي سقط بينهما بقية من اسمه محمد واسم ابيه مبدوء بالالف كمحمد بن اسماعيل الخ الى من اسم ابيه اوله الضاد فضاع في هذ السقط من اسمه محمد بن ابي بكر اي من اسم ابيه اوله الباء لان المؤلف لا يعتد بالفاظ الكنى في الترتيب •

وللمؤلف طريقة لتسهيل الكشف في كتابه وهو انه يذكر ما اشتهر به المترجمون من لقب او كنية او نسبة في حروفها ثم يحيل فيها على الاسماء لتراجم في حروفها وقد راجعت لفظ الرازي في حرف الراء في احد اجزاء النسخة المغربية فوجدت به :

« الرازي جماعة • ابو حاتم الرازي اسمه محمد بن ادريس وابو زرعة الرازي اسمه عبد الله والامام فخر الدين اسمه محمد بن عمر والطبيب الرازي اسمه محمد بن زكريا والرازي النحوي نصر بن نصير » •

فيفهم من هذا انه لم يترجم صاحب المختار ولكنا لا نستطيع الجزم به لجواز ان يكون ترجمه وسها عن ذكره في نسبته •

وقد راجعت عنه ايضاً في كتاب عندي اسمه ديوان الاسلام لمحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الغزي المتوفى سنة ١١٦٧ هـ وهو يحتوي على تراجم كثيرة مختصرة مفيدة فلم اجد له ذكراً فيه • ثم راجعت عنه ايضاً في روضات الجنات لمحمد باقر المطبوع في فارس فلم أجد ذكره وسلامي وتحياتي لسيدي •

احمد تيمور

***

« نسخة الرسالة التي بعث بها السيد البيلاوي »

أخصك بجميل تحيتي وارجو لك التوفيق فيما انت بصدده . وأرسل اليك بما لم يكن في نسختك من بديعية ابن جابر مشفوعاً بترجمتي الناظم والشارح من الدرر الكامنة لابن حجر .

اما الرازي صاحب مختار الصحاح فلم اقف له على ترجمة حتى الآن فان عثرت بترجمة اليه ارجوك افادتي بها وان عثرتُ بترجمة له فيما بعد أخبركم بها والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد البيلاوي

« نسخة الرسالة التي بعث بها الشيخ الكرمي »

لا تظن اني أهملتُ امرك بخصوص الرازي صاحب مختار الصحاح فاني راجعت كافة المظان وكتاب شذرات الذهب فلم أجد له ذكراً اللهم الا مافي كشف الظنون من انه فرغ من تأليف مختار الصحاح سنة ٧٦٠ هجرية ولم يبق عليّ الا كتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر لان النسخة التي عندنا مسودة بخط المؤلف ولعسر خطها وكثرة اشغالي أستميح منكم عذراً على اني سأتصفحها فعسى ان اعثر على شيء من ذلك .

سلامي عليك بقدر شوقي اليك أضمنه احترامي الوفير . سعيد الكرمي

« الكتب المخطوطة التي رجعنا اليها مرتبة على الحروف الأبجدية »

كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول لمؤلفه المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري الموصلي المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م

الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لمؤلفه احمد بن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م

ديوان الاسلام لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الغزي المتوفى سنة ١١٦٧ هـ ١٧٥٣ م

شذرات الذهب في اخبار من ذهب لمؤلفه عبد الحي بن احمد العكري الصالحي المشهور بابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م

الوافي بالوفيات لمؤلفه خليل بن ايبك الصفدي المعروف بالصلاح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ١٣٦٢ م

« الكتب المطبوعة التي نقلنا منها او رجعنا اليها »

كتاب أبجد العلوم لمؤلفه صديق خان طبع سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٧م في الهند
احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب لمؤلفه جرمانوس فرحات طبع سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٤٩ م في مرسيلية بفرنسا
أقرب الموارد لمؤلفه سعيد الشرتوني طبع سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م في بيروت
اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادوارد فانديك طبع سنة١٣١٣هـ١٨٩٦م بمصر
الانساب لعبد الكريم السمعاني طبع سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م في لندن بانكلترا
أنموذج جليل في أسئلة واجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن ابي بكر الرازي طبع سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م في مصر
بغية الوعاة في طبقات النحاة لجلال الدين السيوطي طبع١٣٢٦هـ١٩٠٨م في مصر
تاج التراجم للقاسم بن قطلوبغا طبع سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م في ليبسك بالمانيا
تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي طبع سنة ١٣٠٦هـ١٨٨٨م في مصر
تاريخ الآداب العربية لاحد اخوة المدارس المسيحية طبع١٣٣٢هـ١٩١٤م في مصر
تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد دياب طبع سنة ١٣١٨هـ١٩٠٠م في مصر
تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان طبع سنة ١٣٣٠هـ١٩١٢ في مصر
التبيان في إعراب القرآن لابي البقاء العكبري طبع سنة ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م في مصر
الجاسوس على القاموس لاحمد فارس الشدياق طبع١٢٩٩هـ١٨٨١م بالقسطنطينية
الجواهر المضية في الطبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد ابي الوفا طبع سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م في الهند
دول الاسلام لشمس الدين الذهبي طبع سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م في الهند
روضات الجنات في احوال العلماء والسادات لمحمد باقر طبع سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م في ايران على الحجر
روض المناظر في اخبار الاوائل والاواخر لمحمد ابن الشحنة طبع سنة ١٢٩٠هـ ١٨٧٣ م في بولاق بمصر

سياحتنه متعلق آثار اسلاميه (تركي) لمحمد طاهر البرسوي طبع سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م في القسطنطينية

شرح مقامات الحريري للبارون سلوستري دساسي طبع سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٣٨م في باريز بفرنسا

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده طبع سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م في بولاق بمصر

صبح الاعشى في صناعة الانشا «الجزء الاول» طبع سنة ١٣٣١هـ ١٩١٣م بمصر

صحاح الجوهري لاسماعيل بن حماد الجوهري طبع سنة ١٢٨٢هـ ١٨٦٥م ببولاق بمصر

طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي طبع سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م في مصر

العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر «المقدمة منه» لابن خلدون طبع سنة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م في بولاق بمصر

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي طبع سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م ببولاق بمصر

فهرست الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب الخديوية طبع سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م في مصر

قاموس الاعلام «تركي» لشمس الدين سامي الالباني طبع ١٣١٦هـ ١٨٩٩م بالقسطنطينية

القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي طبع سنة ١٣١٩هـ ١٩٠١م في مصر

قطر المحيط لبطرس البستاني طبع سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م في بيروت

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاج خليفة طبع سنة ١٢٥١ هـ ١٨٣٥ في ليبسك بالمانيا

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاج خليفة طبع سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م في بولاق بمصر

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاج خليفة طبع سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م في القسطنطينية

الكلية «مجلة» المجلد ١٢ الجامعة الاميركية طبعت سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م في بيروت

لسان العرب لابن منظور الافريقي طبع سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٢م في بولاق بمصر

لغة العرب «مجلة» المجلد ٥ للاب انستاس ماري الكرملي طبعت سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م في بغداد
محيط المحيط لبطرس البستاني طبع سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م في بيروت
المزهر لجلال الدين السيوطي طبع سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م في مصر
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للمقري الفيومي طبع سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م بمصر
المعتمد لجرجي شاهين عطيه طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م في بيروت
معجم البلدان الجزء الاول لياقوت الحموي طبع سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م في ليبسك
معجم البلدان الجزء الاول لياقوت الحموي طبع سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٦ م في مصر
مفتاح السيادة ومصباح السعادة لطاشكبرى زاده طبع سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م في الهند
المقتبس «مجلة» المجلد ٧ لمحمد كرد علي طبع سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م في دمشق
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي طبع سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م بمصر
وفيات الاعيان لابن خلكان طبع سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م في بولاق بمصر

عضو المجمع العلمي

عبد الله مخلص

المعاصرون

« الشيخ طاهر الجزائري »

— ٢ —

تآليفه ورسائله

ليست تآليف الشيخ مما يتناسب كل التناسب مع علمه الواسع لان بعضها مما الفه في صباه لنفع المدارس وهو مفيد جداً في بابه وفي حينه ومن تآليفه المطبوعة (الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية) و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) و (مد الراحة الى اخذ المساحة) و (مدخل الطلاب الى فن الحساب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام) ورسالة في النحو وأخرى في البديع وثالثة في البيان ورابعة في العروض وكتاب (تسهيل المجاز الى فن المعمى والالغاز) وشرح ديوان خطب ابن نباتة . ومن كتبه (ارشاد الالباء الى طرق تعليم الف باء) ورسالة وجداول جدارية في الخطوط القديمة والحديثة . و (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهي المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره . ومقدمة سماها الكافي في اللغة وهي مقدمة معجم ضاع اكثره . و (التقريب الى اصول التعريب) و (توجيه النظر الى علم الاثر) ومختصر ادب الكاتب لابن قتيبة ومختصر امثال الميداني ومختصر البيان والتبيين للجاحظ . هذا هو المطبوع . اما المخطوط فتفسيره الكبير ويدخل في اربعة مجلدات مخطوطة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق مع جميع ما ظفرنا به (١) من اوراقه . ومن المحفوظ ايضاً كنانيشه وفيها خلاصة مما طالعه من الاسفار وعرض له من الافكار . وله من المخطوطات كتاب (الالمام باصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام) و (مقاصد الشرع) وغير ذلك . وقد احيا بالطبع عشرات من الكتب منها ارشاد القاصد لابن ساعد الانصاري وروضة العلماء لابن حبان البستي والادب

(١) راجع وصف هذا التفسير والأوراق والكنانيش في المجلد ٣ ص ١٧١ من مجلة المجمع .

والمروءة لصالح بن جناح والادب الصغير لابن المقفع وامنية الالمعي وتفصيل النشأتين للراغب الاصفهاني والفوز الاصغر لابن مسكويه الى غير ذلك من مقالاته في المجلات العلمية واملاءات جمة كتبت بتواقيع مستعارة لو جمعت لجاءت في مجلدين وثلاثة . وألف الشيخ معظم هذه الكتب والرسائل بحسب الدواعي خصوصاً مبادئ العلوم ووضعها في زمن كانت فيه الكتب المدرسية في حكم المعدوم وذلك لينهض بالتعليم الابتدائي ويخلص الناشئة من عسلطات المتأخرين المعروفة وحواشيهم وشروحهم المملة المضيعة لاوقات الطالب . ومعنى هذا ان الشيخ انتبه قبل غيره الى فساد طريقة التعليم القديمة وأدرك ان الزمان يتقاضى اهل العلم ان يخرجوا الناس من ربقة القيود الثقيلة العائقة عن التحصيل كما انتبه الى كثرة سريان الحشو واللغو الى كتب الدين التي خلط فيها كثير من المتأخرين .

من أهم كتب الشيخ المطبوعة شرح خطب ابن نباتة وارشاد الالباء والتبيان والتقريب وتوجيه النظر ففيها لباب علمه واثر من آثار قريحته تجلت فيهما روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قل ان تسنى لغيره من المعاصرين الوصول اليها . وليس معنى هذا ان سائر ما طبعه الشيخ غير مفيد بل المقصود انه كتب لغرض خاص أريد به تثقيف الناشئة وهذه الكتب هي التي ظهرت فيها شخصية الشيخ وثقوب ذهنه وسعة مداركه وتلطفه في ابلاغ المعاني الى العقول وحرصه على ان يحيل في الا كثر على عالم تقدمه . لان الناس في العادة يقدسون الأموات اكثر من الأحياء .

والشيخ وان كان في مذهبه الديني الى الاجتهاد لكنه في مذهبه التأليفي اقرب الى التقليد يمشي على مذاهب القدماء ولكن بتنسيق وتقسيم بدون ان يشوش القارئ . ولو تيسر للاستاذ ان يسير على نظام اكمل من الذي سار عليه في معيشته وساعده الزمان والمكان على تجويد مصنفاته والصبر عليها قبل نشرها لخلف كتباً وخصوصاً في العشرين سنة الاخيرة من عمره تقرأ فيها صورة عظيمة من جهاده ونبوغه . وبلغني انه دوّن بعض الوقائع التي شهدها ولم نعثر عليها بين اوراقه الخاصة التي سرق بعضها وقت انتقاله من مصر الى الشام . ويقيني ان الرجل لو وفق الى طابعين اغنياء فضلاء يحملونه على العمل على ما خص به من النشاط وشدة الحركة لانجبت قريحته اكثر

مما انتجت في الفروع المختلفة التي طرقها ووزع قواه فيها ولكن تفانيه في الاسراع بحمل النور الى العقول وفرح التبعة التي اخذها على نفسه في الاسراع بانهاض أمته دعواه الى ان يكتفي بما تهيأ له وضعه وتأليفه ناظراً فيه الى مصلحة الناس لا الى مصلحته الخاصة وشهرته في حياته وبعد مماته ·

كان محيط الشيخ الذي عمل فيه على عهد الشباب والكهولة ضيق المضطرب لا يتسع لانبعاث همته وكانت المطالب التي يتقاضاها منه حرصه على بث الاصلاح والتعليم كثيرة لا يقوى الفرد على حملها كلها ولو قدر له ان عاش منذ نشأته في محيط اوسع كمحيط مصر وخلا من مدافعة المشاكسين والظالمين ورأى شيئاً من الطمأنينة وسعة العيش لتضاعف عمله لا محالة وعم نفعه مصر وغير مصر وربما كان ظهوره في الشام والعهد عهد ظلمة وجهل أبرك عليها وأنفع لها لان ما اضطلع به وحده لا يضطلع به عشرة علماء على شريطة ان يكونوا في درجته من الاخلاص وشدة الشكيمة وعزوف النفس عن المطامع والدنايا ·

وبعد فهذه صورة صحيحة من صور الاستاذ الحكيم عجيبة في خطوطها وتقاطيعها جميلة بالوانها وأشكالها عرضتها لغرابتها لانه ندر جداً في المعاصرين من الاحياء ظهور رجل يماثله في أطواره وحركته وسعة حيلته و بسطته في العلوم اللهم الا اذا كان ممن لم يبلغنا خبره في البلاد النائية والزمان بخيل بمثل هؤلاء النوابغ في كل عصر وقد لا ينبغ اضرابهم في قرون يفادون بكل ما يتفانى الناس في التهالك عليه من مال وجاه ورفاهية وتخصر لذائذهم في بث افكارهم وآرائهم و يسعدون السعادة كلها اذا نهضوا بانارة عقول اهل جيلهم وقبيلهم ·

رسائله الخاصة

والى القارئ الآن جملاً من كتب دارت بيني وبين أستاذنا فيها شيء من مبادئه العلمية وروحه السامي ربما ترجمت عنه لقلتها مثل ترجمتنا وزيادة · وكتابة المرء نامة على علمه وعقل الكاتب في قلمه واختياره قطعة من عقله · وقد صدرت هذه الرسائل من القاهرة المعزية ومن أجمل مافيها كونها كتبت على البديهة لا كلفة فيها شأن

الشيخ في كتبه ومفكراته . وربما كتب الى أصحابه كتاباً وبعثه في البريد بدون ان يطالعه ثانية ولذلك رأينا بعض كتبه غفلاً من التاريخ ايضاً .

سألته مرة عن منشإ الشعوبية فأجاب « واما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء والوقوف على اوائل الاشياء من أصعب المسائل وادقها الا ان الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي اتى الدين بابطالها ومن نظر لمنزلة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة .

ولا يدخل في هذا الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان هذا نوع آخر . الا ان من بحث عن أحوال الامم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب في الجملة لا تساميهم أمة البتة .

وأظن انه لا بد ان تؤلف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في خصائص البلاد كما الفت كتب في خصائص اللغات تجعل من الفنون التي يعنى بها وتميز عن غيرها ولا تذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تتيسر المشاغبة فيه والمغالطة اكثر من غيره . وكل فن وضعت مقدماته ونقحت مسائله يبدو بسرعة عوار المغالط فيه .

هذا وكما حدث بعد عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب والعجم حدث امر المفاضلة بين العدنانية والقحطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما اسم العرب . ونشأ بسبب ذلك من الفتن مايعرفه المولع بالاخبار . ولم يزل اثر ذلك باقياً في بعض الجهات الى ما قبيل عصرنا هذا وقد رأيت في بعض البلاد أناساً يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية .

كتبت لك ما كتبت والقلم لا يكاد يجري لما حدث لي من الفترة من نحو ثلاثة أسابيع . وسبب ذلك اني اختبرت أحوال كثير من الولايات فوجدتها منقسمة الى حزبين كل منهما يباين الآخر في كل شيء ولم يظهر حزب ثالث يكون معتدلاً ومعدلاً لهما . واذا دام الحال هكذا تأخرت البلاد عما كانت عليه من قبل . وقد نصحت كثيراً من الحدثين من الأحرار بان يعدلوا مشربهم وحذرتهم عواقب الامر غلبوا ام غلبوا

فأبوا الا الإصرار على فكرهم وما قلت لهم رأيي الا بعد ان ألحوا عليّ في بيانه وحضر أناس منهم من مركز جمعيتهم وطلبوا مني التفصيل بعد ان بينت لهم ذلك اجمالاً فرأيت انهم يوافقونني في البدء ويخالفونني في النهاية فامتنعت في إتمام البيان وتشاغلت عنهم .

فاني رأيتهم يظنون ان حلهم لبعض مسائل الجبر والمقابلة يحل لهم مسائل ادارة البلاد . ان كثيراً ممن كنا نزدري برأيهم في السياسة من تلاميذ المدارس في مصر هم أرقى منهم في ذلك . وقد اجتمع بنا في هذه الليلة احد المرسلين منهم وسمع منا هذه العبارة وهي ملقاة على صورة تحتمل الجد والهزل فدهش وعرف انها الى الجد أقرب منها الى الهزل وكان يتكتم فاضطر لى الانطلاق فيما يراه من الاخطار التي يصعب تداركها ... اني متشوق لاخبار كثير من الولايات لعلنا نسمع بظهور الحزب الأوسط في واحدة منها فيسري ذلك في غيرها شيئاً فشيئاً . وهذا الحزب يلحقه في اول الامر اشداضطهاد لان الحزبين المتطرفين يبغضانه اكثر مما يبغض احدهما الآخر لاعتقادهم بانه أقرب الى انضمام كثير من الحزبين اليه » .

وقال من كتاب عن القاهرة في ١٩ صفر سنة ١٣٢٨ :

«وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم منبئاً بعودكم من بلاد اوربا فسررت بذلك سروراً شديداً وكنت أتمنى لكم هذه الرحلة من زمن قديم لما أتيقنه من الفائدة التامة العامة في ذلك . فان الاقتباس من الامم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من ان في الاقتباس غضاضة ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الامور النافعة لا كما يظنه المتكايسون من ان الامم الراقية ينبغي ان يؤخذ منها كل شيء حتى ادّاهم الامر الى ان يقلدوهم في الامور التي يودون هم ان يتخلصوا منها .

واما ما يتعلق بخزائن الكتب في الاستانة فقد خطر في بالي خاطر يرتفع به محذور الامتعاض في جمعها وذلك بان تبقى كل مكتبة في موضعها لينتفع بها المجاورون لها غير انه يؤخذ منها الكتب النادرة وهي في الغالب لا تلزمهم ولا يهمهم امرها وتوضع في موضع معد لها يكون في وسط البلدة . ومن اطلع على دفاتر مكاتبها وجد امكان اجراء ذلك بدون اعتراض يعقل . ولما عملت برنامجاً لكتبها النادرة رأيت ان بعض

المكاتب قد يوجد فيها نسخ متعددة من كتاب نادر فلو أخذ احد النسخ المكررة لم يكن في ذلك ما يقال . وقد كنت ذاكرت بهذا الامر بعض اعضاء الجمعية فاستحسنه جداً وذكر لي انه سيسعى في إبرازه من القوة الى الفعل . ثم عرضت شواغل عاقت عن ذلك .

واما مصر فقد دخلت في الدور المجهول وسيكون اما لها واما عليها . وهذا الدور لا بد منه لكل أمة تريد النهوض بعد العثرة فان ساعدها الزمان والمكان والإمكان نالت مناها والا كان لها تعلل بسوء البخت بعد التشبث بالاسباب الظاهرة جعل الله سبحانه العاقبة خيراً » .

وكتب ناصحاً وواضعاً خطة للاصلاح الاجتماعي بتاريخ ١ جمادى الاولى ١٣٣٧ :

« ومما يهم الامر فيه اصلاح العادات فان في الشرق كثيراً من العادات التي ينبغي ابطالها كما ان فيه كثيراً من العادات التي ينبغي المحافظة عليها غير انه لا ينبغي ان يستعمل التنكيت في ذلك بل يستعمل مجرد البيان الدال على حسن الشيء او قبحه .

ولا يتيسر الاقدام على هذا الامر الا لمن لا يهمه امر المدح والذم العاجلين بل يهمه حسن الاثر .

ومن العادات الرديئة جداً ان الكاتب قد يمكنه ان يكتب في اصلاح عادة لكنه يرى ان الكلام في ذلك يكفي فيه عشرة اسطر فيرى ان الناس يزدرون بذلك و ينسبونه لقلة القدرة على الانشاء فيترك الكتابة فيه او يسهب إسهاباً لا داعي له من سرد مقدمات معلومة مسلمة لو تركها لكان أقرب الى الفهم وأبعد من الوهم وما ذلك الا من تأثير الحشوية فيهم وقولهم ان الناس نسبوك لعدم الاقتدار على الكتابة . فينبغي ان يكون في المجلة ولو مقدار صفحة تبحث في العادات على اختلاف أنواعها وتعليم ذلك للبنين والبنات . هذا ومن جهة رأي الناس في حقكم فان النبهاء المنصفين منهم يجعلونكم ممن ثبت في حين الشدة ولا تعبأوا بمن يلوم عن جهل وغباوة فان ذم هؤلاء أقرب الى المدح من ثنائهم .

وكتب اليّ يقوّي عزيمتي على العمل :

وارجو ان يكون ما حصل لكم من المروّعات زائداً في نشاطكم في افادة الامة

فانها في احتياج شديد الى من يبين لها الطريق الأقوم من ارباب الوقوف والاخلاص وأعظم ماتحتاج اليه هو امر الاخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الامور العمرانية على وجه لا يكون فيه إخلال بمعالي الامور وتنبيههم على عدم التعويل على المدنية التي كان الغربيون قديماً يفتخرون بها و يزدرون بمن لا يتابعهم عليها مما هو مبني على مجرد مراعاة الامور المادية دون غيرها وهي التي جلبت هذه المصائب الحاضرة وقد أشرتم بطرف خفي الى ذلك في محاضرتكم التي القيتموها في مصر حين فراركم من دمشق اليها وقد صرحنا في ذلك في قصيدتنا البائية المطبوعة في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب . وقد كان أناس يقرؤنها ويعدونها من آراء حشوية الشرق فما زالوا على ذلك حتى صرح فلاسفة الغرب بذلك . ومما ينبغي ان تحثوا عليه تعلم صنعة ما اي صنعة كانت ولا يكون احد خالياً عنها و يجعل هذا مبدأ جديداً لهذا العصر والتعويل على الرياضة الجسمانية » .

وكتب في غرض الاعراض عن المثبطين من رسالة :

« وقد عجبت من اولئك الذين يسعون في تثبيط الهمم في هذا الوقت الذي تنبه فيه الغافل فضلاً عن غيره موهمين الشفقة .

وكان الاجدر بهم ان يشفقوا على انفسهم ، يشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع . ولم ير احد من المثبطين قديماً او حديثاً اتى بامر مهم . و ينبغي للجرائد المهمة ان تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة والتحذير منها ليخلص منها من لم تستحكم فيه و ينتبه الناس لاربابها ليخلصوا من ضررهم . وقد ذاكرني منذ ليلتين احد نجباء الابناء في هذه المسألة وشكا كثيراً منها وعجب لعدم اكتراث المصلحين ببيانها بياناً كافياً شافياً فقلت له : انأمول ان يكون الاوان قد آن لاصلاح هذه العادة التي تهبط بالامة الى الدرك الأسفل أصلح الله الأحوال » .

وقال من كتاب في غرض التربية :

« واؤكد في هذا الكتاب بامور :

(أ) = إدخال مبادئ الصنائع في المدارس الابتدائية ويمكن تجربة ذلك اولاً في مدرسة واحدة .

(٢) = ادخال التربية العملية فيها وذلك بتعويد التلميذ على الصدق وان لا يتكلم في شيء الا بعد ان يختبره فان الشرقي اعتاد ان يدعي كل شيء وان لا يقول في شيء لا أعلم وهذا جعله لا شيء عند الغربي ·

(٣) = السعي في مدرسة للقراءآت السبع مثل ما كان من قبـل · ولا ينبغي ان توضع هذه الأشياء في المذاكرة او ان يخطب فيها فان مثل ذلك ينبغي ان يخطب فيها بعد ان تصير » ·

وقال في موضوع التعليم وقد رجونه إرشادي برأيه فيها في المدارس ورأيه في البحث في المخطوطات : « ومما زاد فيه سروري شيئان احدهما الاعتناء بتربية الانجال فان اكثر الآباء يرجعون من حيث يدرون ولا يدرون مصلحـة انفسهم وما ذكرتم فهو موافق · والاولى ان يضم الى ذلك صنعة كالخيـاطة والتفصيل ونحو ذلك وعرفوني بعد حين البروغرام الذي يظهر لكم · وينبغي ان تتولوا بنفسكم بعض التعليم ولو مدة ربع ساعة على طريق احد المغـاربة فانه كان يطلب من ولده ان يفيـده بعض مسائل بعد ان يشعره بطرف خفي بمظانها فيلقيها الابن على الاب كأنه يفيده ·

واما الذين يريدون ان يخفضوا ما رفع الله شأنه و يرفعوا ما خفضـه فعما قليل ليصبحن نادمين والزمان يضحك منهم وكذلك الائمة الغربيون الذين يمتون اليهم بوسيلة التقليد لهم فلا يكن في صدرك حرج منهم فهم أغرار وينبغي ان تمحو من لوح الفكر لفظ اليأس فانه أضر شيء : واثبت في الثبات جل الحكمة ان لم نقل كلها ·

الثاني استفسارك عن وصف الكتب فانه دل على انك قوي حسن الظن بنا حتى تكاد تعتقد اننا لا نقول شيئاً جزافاً كما ان أناساً يعتقدون اننـا لا نقول شيئاً الا جزافا · وهنا أذكر لك حكاية سمعتها مراراً ممن أثق بهم وهي ان احد من جمع له بين العلم وغيره من الصفات العالية أرسل الى احد من يميل اليه من النبهاء وقال له أريد ان تنشر بين جماعتنـا العلم الفلاني فقال لا أعرفه وانما أعرف العلم الفلاني · فأعاد عليه العبارة فأعاد المسؤول قوله لا أعرفه · فأعاد عليـه السائل ما قال اولاً فأراد المسؤول ان يجيبه فأشار اليه بعض الحاضرين اشارة خفية ان يظهر الامتثال ثم قاموا من عنده فقال له المشير : ان فلاناً لم يقل لك ما قال الا وهو يعلم انه ممكن

واذا تحقق الامكان فما عليك الا ان تسعى في إخراج الامر من القوة الى الفعل فسعى وتم الامر . وحصلت فائدة عظيمة من إحياء امر كان دارساً .

ونرجع الى اصل المسألة فنقول : من أراد وصف كتاب ينبغي له ان ينظر فيما قاله مؤلفه في مقدمته او في خاتمته او فيهما معاً و يأخذ خلاصة ذلك والوصف عندهم ليس عبارة عن النقد بل بيان موضوع الكتاب والداعي الى تأليفه . ومافي الكتاب من الخصائص وعلى ذلك يتيسر وصف الكتب باسرها حتى كتب الطب فاذا زاد الواصف فصلاً من الفصول ليكون كالنموذج كان أحسن وكثيراً ما يكون وصف الكتاب على هذه الطريقة سبب نشره .

واكثر وصف المؤلفين لكتبهم اما مطابق للواقع او قريب منه . اما الموهون فقليل في الطبقات القديمة . ومن العجيب ان هذا الامر لا يشعر به كثير من نبهاء هذا القطر ولفظ الكثير هنا مجاز وجربوا نفسكم في غير التاريخ ونحوه ففي الحديث يمكنكم ان تصفوا هذه الكتب .

« في دار الكتب الظاهرية بدمشق »

نمرة ٣٥٦ اللطائف في علوم المعارف للمديني

« ٣٦٢ اسماء الضعفاء للعقيلي

« ٣٨٧ معرفة الرجال لابن معين

« ٣٩٠ المشتبه للغساني

« ٣٩٣ الكفاية في علم الرواية

وهذا امر يفيد الناس اكثر من كثير من المقالات التي حررها أناس ليس لهم تتبع ولا معرفة بجعل نتيجة للمقالة حتى صار المطالعون يضيق صدرهم من ذلك . وقد سألني منذ مدة بعض ارباب المجلات عن أحسن المجلات فقلت أصغرها حجماً .

(في ١٥ ذي القعدة ١٣٢٨)

وقال من رسالة :

« مما يهم جداً إدخال مبادئ الصنائع في جميع المكاتب الابتدائية وقد جرب ذلك في بعض المدن فتبين ان ذلك مما يعين على التحصيل ايضاً والفائدة في ذلك مهمة .

ومما يهم جداً إدخال التربية العملية في المدارس لاسيما المدارس الابتدائية . ومن ذلك ان يعود التلميذ على ان لا يتكلم بما لا يعلم وان يتفكر قليلاً اذا سئل عن شيء لم يسبق له به اختبار . وهذا امر ممكن قريب المأخذ قد عمله أناس فنجحوا فيه — وأرجو ان لا تقرأ أفكاري على أناس من الحشوية او الفلاسفة الخياليين فاني أربأ بها عنهم . نعم هؤلاء ينبغي ان يعرفوا ذلك بعد العمل به . ونصيحتي لكل محب ان لا يشتغل بمثل هؤلاء فانه انفع . (في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٣٧)

« هذا وقد سرني كثيراً زوال المباينة بينكم وبين الذين نود عدم مباينتهم . وهذا ايضاً من اثر النشاط فان النشاط اذا زال لحق المرء الملل من كل شيء واذا حصل قويت الهمة ورأى البعيد قريباً وأقام للناس اعذاراً ونفعهم وانتفع بهم .

* * *

« قد جرى منذ اسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة احدى دوائر المعارف الفرنسوية فان الناس في احتياج لذلك . وقد تبين من المذاكرة ان امر المال سهل فان احد الحاضرين تعهد بذلك وقال ان له إخواناً لا يتوقفون في الامداد ولكن الهم وجود مترجمين كافين يتعهدون بالقيام بذلك الى النهاية فقلت ان هذه المسألة تحتاج الى تفكر وبحث شديد . وقد استقر الرأي على ان ادرس في نحو ثلاثة اشهر ووعدت بالكتابة لكم في ذلك فابحثوا في المسألة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين إخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قدخطر وكان معنا في المذاكرة الفاضل المقدام السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وهو يأمل ان يوجد بارشادك نحو سبعة مترجمين . وقد تشبث بهذا الامر منذ سنين أناس ظنوا ان المال يأتي بكل شيء فتبين لهم غلطهم وأعرضوا عن الامر وهذا امر بعيد جداً ولكن هو في درجة الإمكان القريب من الوقوع وانما يحتاج الى الهمة ومعرفة الطريق وقد كان بعض الحاضرين يريد ان يجعل زمام الامر في يد الحكومة فطلبنا ان يكتم ذلك عنها فانه لا يؤمل ان نقدر عليه فان هذا الامر محتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومة » .

وقال في رسالة وقد سألته عن التاريخ الهجري وانتقاد بعضهم على استعمالنا له :

« عجبت لمن يسعون في ان نهجر التاريخ الهجري و يفاتحوننا في ذلك كأنهم لايعلمون انا نعلم مايرمون اليه عن بعد . لكل أمة شعار اذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها وربما صارت بعد مدمجة في غيرها . وقد سعى أناس منذ عهد بعيد في ان يضعفوا ما يقوي امر الاسلام عموماً والعرب خصوصاً فنجحوا بعض النجاح فطمعوا في ان يقضوا عليه فلم يجدوا اقرب الى ذلك من اضعاف امر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها والتزهيد في الكتب التي كتبت به جعلوا ذلك دأبهم وديدنهم حتى اثروا في كثير من ابناء جلدتنا الذين يظنون انهم على غاية من الذكاء والوقوف على أسرار الامم فكان ما كان مما هو معروف ثم زاد الامر فطمعوا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك ، جبت مصر ففرحوا فرحاً لا مزيد عليه . وقال بعضهم الآن شفينا الغليل من هذه الامة غير ان كثيراً ممن انتبه لهذا الامر سعى في إعادته على قدر الإمكان فامتعض اولئك القوم وصاروا يلمزون كل من يسعى في ذلك .

وهذه المسألة نظراً لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر ان يكتب فيها أقل من نحو ثلاثين صفحة في نحو ثلاثين يوماً . وليت شعري كيف يلام المسلم على ان يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري فهل انقرض التاريخ الهجري وهل يريدون ان ينقرض واصحابه أحياء ؟ فان قالوا ان المقصود توحيد التاريخ في الامم واوربا هي القوية الآن قيل ان اوربا لها تاريخان احدهما شرقي والآخر غربي وكل يؤرخ به قوم منهم فهل اوقف ذلك التجارة او اثر في المدنية شيئاً . ولم لا يكلفون تغيير مكاييلهم وموازينهم وأذرعهم لتتحد المقاييس في الامم . وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة بخلاف التاريخ . وقد رأيتهم يعتذرون عنهم و يعدون ذلك متانة في الأخلاق فانظر ما وصلنا اليه» .

وهذا الكتاب يدلنا على اشياء كثيرة من سيرة الشيخ ومرماه ونصاعة حجته وجميل مناقشته لخصوم مشربه .

وكتب : « كان كثير من الحشوية يلومونني في تنبيه المؤلفين والطابعين على ما يلزمهم و يقولون ان هذا لا يفيد غير العداوة وانت تضرب في حديد بارد وما دروا اني ممن يقول بان العداوة في محلها أجدى عندي من ان اكسب المحبة من غير وجهها

وان معاداة الغاشين لي مما يسرني كما ان محبتهم لي مما يسوءني غير ان الزمان ابان ان كل نصيحة لا تخلو من تأثير ولو بعد حين فان كثيراً ممن لحقتهم صدمة منا ومن اخواننا الذين أعطوا منا عهداً ان لا يغشوا الامة قد صاروا يراجعون بعض مراجعة غير ان التأثير في المطابع كان اكثر ٠

واما امر التصحيح فلم يهتد المصلحون الى طريقة في اصلاحه ٠ بحيث ان بعض الناس طلب الينا ان نبحث له عن مصحح لكتاب المحكم لابن سيده وهو اكبر من لسان العرب ليشرع فى طبعه فبعد بحث كثير تبين انه لا يقوم بتصحيحه الا فلان وهو احد إخواننا الذين لا يساعدهم نظرهم فى املاكهم الجمة على التفرغ لمثل هذا الامر ٠ فأرجئ الآن طبع الكتاب لهذا الامر ٠ فانظر الى الحال التي وصلت اليه مصر ٠ فما قولك فى غيرها الا ان الذي يسر في مصر انتباهها لنقصها بخلاف الأقطار الأخرى والانتباه للنقص هو نوع من الكمال ٠ أرانا الله سبحانه الكمال على حقيقته بمنه ٠ عليكم بالرياضة الجسمانية والرياضة الروحانية ٠ ويدخل في الرياضة الروحانية التباعد عن سماع الاخبار التي أولع بها المرجفون ٠ فانه لا قيمة للزمان عندهم وهو عند الحكيم اغلى من الجوهر ٠ (١٧ رمضان سنة ١٣٢٦)

وكتب من رسالة :

« قد سرني في مصر في هذه المدة ان العقلاء بدأوا يجتمعون في الفكر والتعاون على صفة يقتضيها الموقع وهو عدم التظاهر من اول الامر كما يفعله طالبو الشهرة وهذا امر لا يشعر به الا من اطمأنوا اليه ٠ وقد كانوا قبل ذلك يقول كل واحد منهم نفسي نفسي ٠ واذا استنجده احد لامر نافع قال ولو بلسان الحال « عليك بخويصة نفسك » ٠

قد اجتمعت في هذا النهار بعالم اور باوي قد حل الخط الثمودي الموجود في مدائن صالح وأخبرني ان كتابه قد تم طبعاً وهو الآن يسعى لجمع لغة اهل نجد فانه وجد ان اكثر الكلمات العربية لم تزل باقية عندهم وكان قد ساح في تلك الجهات وهو ممن يتعصب للغة الكتاب العزيز اكثر مما يتعصب اهلها لها ٠

كان قد أسس في اميركا مدرسة يقرأ بها الطالب وهو في بلده وقد كنت رأيت

في سورية احد طلبتها وهو يدرس فيها فأدقيقاً وأظن انها تسمى المدرسة الكونتشوكية وقد كان ترجم قديماً الى العربية بعض قوانينها وطبعت ثم نفدت النسخ بحيث اني بحثت عنها فلم اجد نسخة بل لم اجد من يعرفها فان وجدتم كتاباً بالفرنسوية يتعلق بها فترجموا منه ما تيسر مما يوافق البلاد .

وقد سعى بعض الواقفين على ذلك من نحو عشر سنين في بث هذا المقصد الا انه على وجه خفي حيث كان نشر العلم اذ ذاك يعد من أعظم الأجرام . والآن لم يبق مانع ومجرد نشر أسلوبها وقوانينها يفيد فضلاً عن التشبث بشيء من ذلك » .

وقال في كتاب :

« وقد وقفت على كثير من الجرائد الجديدة فوجدت جل مباحثها في بيان فوائد الحرية . ورأيت الناس قد ملّوا من هذا البحث لان الحرية ان كانت على المعنى الذي يقول به الحكماء فهي مما لا يختلف فيه اثنان من ذوي النباهة . وان كانت على وجه آخر فربما كان ضررها اكثر من نفعها . ولست أعني بالحكماء هنا أمثال الحكيم الذي كان يقال لكم انه تعلم الحكمة في سويسرة في ثلاثة اشهر لان مثل تلك الحكمة ما يزيد خبالاً . وما ارى اكثر الفتن التي وقعت في كثير من الولايات الا من مثل هؤلاء لا سيما ان ضم الى دعوى الحكمة دعوى الحرية وهو لا يملك نفسه . وقد كان ارباب الحدس يتصورون انها تكون اشد الا ان الألطاف الالهية حفت تخفت ولله الحمد . (٢٣ شوال سنة ١٣٢٦) .

وذكر في جملة كتاب حوى مسائل كثيرة في نسخ الكتب واخذها بالتصوير الشمسي والعناية بوضع فهرس لكتب رومية باللغة العربية ثم قال :

« من اغرب ما في القدس امتزاج المسلمين مع النصارى على وجه غريب بحيث لم تؤثر فيهم الطريقة التي اتخذها المستبدون في تمشية امرهم وان هلك الحرث والنسل . وقد رأى بعض الباحثين ان هذا امر دبره صلاح الدين الايوبي برأيه الثاقب منعاً لما حدث من قبل بسبب سوء سياسة العبيديين الذين كانوا بمصر تغمده الله برضوانه .

خذوا على نفسكم عهداً بان لا تؤخروا جواب مكتوب لاحد وخذوا العهد على من

كان على شاكلتكم بذلك فان في ذلك فوائد جمة والمكتوب يسوغ ان لا يزيد على خمسة اسطر . (٤ شوال سنة ١٣٣٧)

وقال ايضاً :

«وارجو ان لاتقصروا في كتابة نبذ تتعلق بالتربية وتدبير المنزل واصلاح العادات وما أشبه ذلك . واؤكد عليكم في ان لا تشتغلوا بشيء من الجدل فان الجدل يبطئ عن العمل . وخذوا من عنان قلمكم لئلا يجري الى غير مدى والاعتدال أقرب لحصول ما يبتغى .

وذكر في رسالة ان الكتب التي يجب ان توصف :

١ = أرجوزة ابن سيده في الادب وهي من قبيل الملح اللغوية في نمرة ١ من الادبيات المنظومة مع ديوان ابي العتاهية تزاد فيها نثراً في الآخر الصاحب وما يميل اليه من دواوين الشعر والكتب وما يتقنه من العلوم والصنائع او ما يتجر به وما يؤثره من الأخلاق ونحو ذلك و يتيسر عمل ذلك في جدول في صفحتين او اربع .

٢ = المجمل في اللغة في الظاهرية نسخة منه ناقصة من الطرفين .

٣ = المغرب للمطرزي .

٤ = رد ابن السيد على رد ابن العربي على شرحه لديوان المعري .

٥ = اعتاب الكتاب لابن الابار .

٦ = عروض ابن معطي وبديعيته .

٧ = بغية المؤانس من بهجة المجالس والاصل لابن عبد البر .

٨ = قانون البلاغة لابي طاهر محمد بن جبلة البغدادي في الظاهرية .

٩ = مختصر اصلاح المنطق .

١٠ = الاربعين السلفية وهي مرتبة على البلدان . وممن سمعها على السلفي الملك الناصر صلاح الدين يوسف ووالده نجم الدين ايوب بن شادي بقراءة القاضي سنا الملك هبة الله بن جعفر بن سنا الملك محمد بن هبة الله بن محمد الاسدي .

ينقل صورة السماع فقط . اهـ

محمد كرد علي

في مؤتمر المستشرقين الدولي

خطاب السيد محمد كرد علي وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بمدينة اكسفورد يوم ٢٨ آب ١٩٢٨ .

يا سيداتي ويا سادتي :

أصيبت بلاد العرب بعد المئة الثامنة للهجرة بفتور في أعصابها تناول معظم مشخصاتها ومقدساتها . وضعفت في أقطارها مادة الحياة التي كانت متجلية في طبقات رجالها ، فأصبحت لا تعيش الا بقوة التسلسل المنبعثة فيها من قوى الادوار السالفة ، واكتفت بالتغني بماضيها الباهر ، وعزها الغابر .

وكان من اول أمارات تراجع الامة العربية من ميدان الفكر البشري الزهد في العلوم المادية ، والاكتفاء بفروع علوم الدين واللسان . وعلى نسبة ما كان الغربي في تلك الحقبة من الزمن يقوم على قيود الجمود ليكسرها ، وينهض حراً طليقاً كان العربي يزيد للسلطات لدينية والمدنية خنوعاً ، ويحارب العقل فيتدلى ، ويرجع القهقرى .

ورأى الغرب من مصلحة المدنية بعد نهضته ان لا يغفل عن تعرف حالة الشرق القديمة ، ففكر أفراد منه بعد اختراع الطباعة ان يحيوا شيئاً من مدنية العرب كما أحيا علماؤهم مدنيتي اليونان والرومان . وذلك لان العرب كانوا الصلة الوحيدة بين اهل المدنيات القديمة وارباب المدنية الحديثة . فأخذ اهل النظر من نبهاء الغرب يلوبون على كتب العرب يجمعونها من الشرق ، ويجعلونها في خزائنهم أجمل قنية واثر ، وأنشأوا يطبعون في مدينة رومية اولاً بعض ما رأوا في نشره مصلحة لهم . ومما نشروه قانون ابن سينا الذي ظل يدرس في جامعات الغرب قروناً . ولم تلبث مطبعة ليدن ان شرعت منذ أوائل القرن السابع عشر بطبع بعض كتبنا . وبعد حين انتقلت الطباعة الى الاستانة ولم تطبع بحروفها العربية شيئاً مهماً بلغتنا .

وهكذا اخذت نهضة الآداب العربية تسري ضئيلة في بعض أقطار اوربا ، والشرق لا علم له بما يؤسس ، حتى اذا احتل نابليون مصر أواخر القرن الثامن عشر

وصحبه في رحلته جلة من علماء فرنسا انشأ في القاهرة اول مطبعة عربية وأصدر جريدة رسمية بالعربية والافرنسية كانت ايضاً اول صحيفة عربية . ولم يطل العهد حتى قام محمد علي الكبير يأخذ باليمين ما زهدت فيه ايدي من قبله أعصاراً ، فكان حقاً واضع أساس النهضة العربية ، بما أرسل من البعثات العلمية الى فرنسا ، وما انشأه من معاهد العلم والصناعة على مثال الغرب وبلغة العرب . وما هي الا بضع سنين حتى توفر من اختارهم من صفوة اذكياء بلده على ترجمة العلوم المادية ، وتوطدت اركان النهضة في مصر على أساس علمي معقول ، وبدأ اختلاط الشرقي بالغربي يزداد سنة عن سنة ، خصوصاً بعد اختراع السفن التجارية ، وامتداد الخطوط الحديدية .

وكان علم المشرقيات العربية يضعف في الغرب ويقوى بحسب ميل الحكومات وهدوء الأحوال الاجتماعية . والى العهد الذي قام فيه العلامة سلفستر دي ساسي ، امام المستعربين في الغرب ، لم نعهد مستعرباً جمع الصفات التي تؤهله للبحث في كتب العرب . فكان لهذا العالم الفرنسي الفضل على المستعربين في عصره وطفقوا يختلفون اليه في باريز ، على اختلاف عناصرهم ، يأخذون عنه علوم العربية . ولا بدع اذا كان هو ونبغاء تلاميذه من السويديين والهولانديين والافرنسيين والالمانيين والبريطانيين وغيرهم ممن تمكنوا من معرفة أسرار لغتنا من المستعربين ، هم الذين عنوا بنشر أمهات كتب العرب عن كفاية ثابتة ، ولولا عملهم العظيم لظللنا الى اليوم نجهل مدنية أجدادنا الا قليلا .

طبع المعاصرون لسلفستر دي ساسي ومن خلفهم عشرات من المخطوطات العربية على أجمل طراز ، ومازال هذا الدؤوب يتسلسل في المستعربين من علماء المشرقيات ، على ما كان في أجدادهم البررة ، حتى أحيوا لنا خزانة كتب فيها جماع حضارتنا . فأيدوا بما نشروا حسن بلاء أجدادنا في خدمة العلم ، واكذبوا القائلين بان العرب نقلة ليس فيما كتبوه ابداع ولا امتاع ، ونعوا من طرف خفي على أبناء اللغة أنفسهم قصورهم ، فاكتسبوا بذلك فضل السبق علينا .

ولم نزل معاشر العرب ، على ما بلغته العلوم في هذا القرن من الترقي في مصر والشام خاصة ، عيالاً على المستعربين منكم في التدقيق والتحقيق . وما طبعناه في

مطابعنا عدا الكتب الدينية واللغوية لا يعد الا مثالاً مصغراً من جهودكم المتوالية ، وطول نفسكم ، وشدة أمانتكم ، في الحرص على إخراج نصوص مؤلفينا سالمة من الشوائب . ونحن اذا انتبهنا بأخرة الى نقصنا ، وقدرنا مساعي علماء المشرقيات حق قدرها ، فان الزمن الذي صرفناه في الدرس والبحث لم يكف لان يتأصل في نفوسنا روح العناية والاتقان ، لنخرج بما طبعناه في مصر والشام والعراق والغرب الاقصى والاوسط والادنى عدداً من الاسفار النافعة يبلغ القدر الذى أخرجه الغرب من حيث الكمية والكيفية .

المستعربون الى اليوم لا يطبعون من الكتب القديمة الا ما كان في نشره فائدة ، ونحن ننشر الصالح والطالح ، وقلما خدمنا طبعاتنا بمثل ما تخدمون به طبعاتكم من التجويد . وعسى ان لا يطول الزمن حتى يصبح التحقيق في أدق المسائل ملكة فينا ، على نحو ما غدا لكم عادة مستحكمة نحسدكم عليها حسد غبطة . فلسنا بثقوب أذهاننا وايم الحق دون أجدادنا ، ولا دون غيرنا من الامم الحديثة الحضارة ، ولكن نقصنا ظاهر في قلة الصبر والترتيب ، ومع هذا نعالجه .

وفي الحق اننا لما بدأنا في نهضتنا العلمية في الشرق العربي كان ينقصنا كل شيء واتقي القائمون بالامر ، والداعون الى التجدد ، ضروباً من المقاومة من ارباب الجمود ، فلما تمت الادوات او كادت ، واتسع أفق العمل أمام العاملين ، أصبح الأمل معقوداً بان لا يمضي زمن طويل حتى نضاهيكم في هذه السبيل ، ونتساند معكم حق التساند في ذلك الغرض الشريف ، لا سيما ونحن أحق باحياء تراث السلف ، وان كان العلم ليس ملكاً لأمة ولا لفرد .

* * *

والآن بعد ان حدثتكم بهذا الحديث الذي تعرفونه ، أحب ان انتقل بالاشارة الى النهضة العربية الحديثة ، فانها تبشر بخير عظيم ظهرت آثاره للعيان . فان ما نشرتموه وأجدادكم الطيبين أيها السادة ، من أسفار قدماء مؤلفينا في اللغة والشعر والأدب والملل والنحل والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات والقصص والفلسفة والفلك والطب والطبيعيات والرياضيات والموسيقي والكيمياء والزراعة والنبات والحيوان

وجر الاثقال وعلم الكتب وأسرار الحروف والخطوط من الفروع التي خاض العرب عبابها ، وما طبعناه نحن مقتفين فيه آثاركم ، قد أحييت به امور كثيرة من معالم الحضارة العربية ، فدخلت لغتنا خصوصاً بعد اتقاننا آداب الامم الكبرى الحديثة في طور جديد ، وانقلبت سحنة الشعر والنثر عندنا ، ودخلت الكتابة والخطابة والتأليف والوضع في دور ما كان لها الا في أرقى عصور الدول العربية الرشيدة ٠

وشهد الله ان اللغة العربية اليوم تكتب بسلاسة لاتقل عن السلاسة المتمثلة في أرقى اللغات الغربية ٠ وقد ظهرت لنا في العهد الاخير في مصر والشام والعراق وغيرها صحف ومجلات وأسفار ومطبوعات فيها من الابداع شيء كثير ، اذا ترجم بعضها بلغة من لغات العلم في هذا القرن لانخجل منها ، بل نرفع بها الرؤوس ، ذلك لانا عرفنا ان الغرب لم ينهض نهضته الغريبة هذه الا بالاخصاء فنشأ منا الاخصائيون في اكثر العلوم وأثر كل ذلك في لهجتنا ، ورجعنا الى الأساليب التي كان يكتب بها العلم أجدادنا ايام جدة اللغة ٠ حتى ان اللهجة العامية اليوم في مصر والشام وتونس أرقى ما كانت قبل خمسين سنة ، دخلها كثير من الفصيح ، وحسنت تأديتها ، ولبست حلة انيقة من الرشاقة تزينها جودة الفكر ٠ وكلما ارتقى التعليم في بلادنا ، وصقلت الأذهان ولطفت الأذواق ، زادت لغتنا رقة ودقة ، وقربت من أساليب الفصحاء لا محالة ، فقد رأينا اليوم صبيان الكتاتيب ينطقون بالفصيح ويكتبون بالفصيح ، على صورة لم تكد تكتب منذ اربعة قرون الا لافراد قلائل جداً في كل قطر أفنوا أعمارهم في تعلمها ، على حين يتقن ذلك التلميذ من ابنائنا الآن في بضع سنين ، بفضل الأساليب الحديثة التي لقفناها عن الغربيين ، وانتشار علم التربية والتعليم في معلمينا وأساتذتنا ، ما طبقناه بالأخذ منكم في مدارسنا ، فارتفع به مستوى العلم بين ظهرانينا ٠

وما برحنا ، وفي ذلك الفخر العظيم لنا ، نرسل الى جامعاتكم بالمئات من طلابنا يتلقون العلوم على اختلاف ضروبها على أساتذة الغرب ليعودوا الينا يعلمون ويهذبون ، وينقلون الينا من مدنيتكم كل ما يحيي مدنيتنا القديمة ، ويقربنا من تمثل المدنية الحديثة ، على ما كان المولعون بالعلم من أجدادكم ينزلون الاندلس ليأخذوا العلم عن علماء العرب ٠ اذا عرفنا هذا فقد صح لنا ان نقول من دون ما مبالغة ان في الشرق

العربي الآن مدنية جديدة لا شرقية ولا غربية ، جمعت من مدنيتنا ومدنيتكم الأطايب . وكان لاوربا واميركا بذلك الفضل على كل عربي في آسيا وافريقية .

ان أسفار الأجداد تنشر اليوم بالطبع في مراكش والجزائر وتونس والعراق وزنجبار والهند وفارس . وكانت مصر والشام سبقت تلك الاقطار ، واليوم يسبق هذان القطران سائر الأقطار العربية للتوفر على احياء ماانذثر من تلك العظمة القديمة وتمشي على اثرهما تونس والعراق ، ولكن عمل مصر والشام أقوى في هذا الباب لانها تقدمتا للدخول في ميدان الحضارة قبل غيرهما ، ومصر اليوم بانتشار التعليم والتمدين ليست دون كثير من شعوب الغرب ، وربما فاقت بذكاء ابنائها ، كما فاقت بزكاء تربتها .

واذ عرفنا ان الشرق اعطى للغرب فيما مضى مختاراً ، والآن يأخذ منه العلوم مختاراً ، حق علينا ان نطلب دوام هذه الصلة بل بعثها الى أقصى حد ممكن لاقتضاء مصلحة المدنية ذلك . أريد ان أقول اننا كلنا في حاجة ماسة الى التضامن العلمي ، وإحكام صلات التعاون بيننا ، فبقدر ما يزيد خلاطنا تتأصل المدنية وتزول الفوارق بين الامم والشعوب ، فترتفع بذلك مشاكل كثيرة ، فالشرق لا يعيش وحده ولا الغرب كذلك .

انبعثت النهضة الأخيرة عندنا من القاهرة اولاً ثم تلتها بيروت ثم دمشق وتونس ، واليوم اخذ شعاعها يسري الى بغداد ، فاذا اخذتم بايدينا حقاً تلحق بنا غداً صنعاء ومكة وفاس وغيرها من بلاد العرب : ومن جملة دواعي الاختلاط الرحلة الى البلد الذي يراد تعهده ، وهذا أصبح من الميسور جداً لنا ولكم بعد اتقان وسائط النقل السريع .

ولما كان علماء المشرقيات قد اجتمعوا اليوم اجتماعهم السابع عشر في هذه الجزيرة السعيدة وفي حمى أقدم جامعات القارة الاوربية ، رأت دولة سورية ان ندعوكم الى التفضل بعقد مؤتمركم الثامن عشر في مدينة دمشق ، اول ارض انبعثت منها المدنية العربية ، وفيها وقع اول تدوين في الاسلام ، وفيها بدئ بتعريب مدنية القدماء ، وفيها أنشئت اول خزانة كتب عند العرب ، ومنها نقل العلم العربي الى بغداد شرقاً

والى الاندلس غرباً . فباسم دولة سورية وباسم المجمع العلمي العربي وهو المجمع الوحيد في أقطار العرب الذي يتفانى في إحياء لغتهم وبعث مجدهم القديم ، ادعوكم الى إجابة دعوتنا لتشرفوا عن كثب على جهود أمتنا ، وتدلوا بتفضلكم انكم مجمعون قلباً وقالباً ان تزيدوا صلاتكم بديارنا وانكم منا ونحن منكم في باب هذا الاجتهاد .

وان ارضاً كانت عش العظماء في الاسلام ، أخرجت بني أمية وعلماءهم ، وهي مهد العجائب والاديان ، وآية الجمال الطبيعي في البلدان ، حرية ان تزار والمعهد بالذكرى . فهي من اقصاها الى اقصاها متحف طبيعي حيثما انقلب المرء يرى عظمة القدماء ، وبدائع الطبيعة الساحرة . وان ما في خزائننا من المخطوطات التي تنتظر منكم ان تتعاونوا على إخراجها للناس ، وما في ديارنا من مصانع وآثار جدير بأن يزار ، وان تقدس تلك العقول التي انتجته ، وبذلك نكون قد خطونا خطوة مهمة نحو تعاون الشرق مع الغرب تعاوناً فعلياً اساسه العلم والنور ورائده تبادل الحب والسلام اه .

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ جميل الزهاوي *

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

اسمع من مصر ضجةً حول القديم والجديد وصراعاً بين المحافظين والمجددين وارى في دمشق حركة مباركة يُقصد منها انقاذ لغتنا العربية المحبوبة من خطر الجمود الذى حاق بهـا حتى كاد يشلّها وقد دبت فيها الحرارة فهي تنتفض تريد الحياة . والفضل في هذه الحركة وفي هذا الانتفاض للمجمع العلمي في دمشق فقد اقترح احد اعضائه الكرام الراقبين لسيرها ان يبدوا آراءهم جواباً على أسئلة سبعة تتعلق بها وجهها اليهم مستفتياً وهو العلامة المغربي .

وللعربية اليوم ابناء بررة من المجددين يغارون عليها و يشفقون من ان يلمّ بها العطب و يزرون على المحافظين جمودهم على القديم منها و يحاولون فك ارجلها من السلاسل الثقيلة التي تربطها بالماضي البعيد الميت لتسير طليقة في تقدمها . اما المحافظون فيرون في التغيير بادخال الجديد فيها فساداً لها وركوباً للشطط وتلاعباً للأهواء بها مما يجر الى الفوضى والتبلبل والتقصير عن التفاهم .

وحجتهم هذه بليدة فان شيوع الصحف في هذا العصر وسهولة التنقل من بلد الى آخر وشدة احتكاك الناس بالناس كل اولئك أسباب كافية لتعم التغيير الصالح في وقت قصير فلا محل للخشية من انقسام اللغة واختلاط الالسن . واللغة الحية تابعـة لناموس تنـازع البقاء وبقاء الانسب وعلى هذين الناموسين درجت اللغة العربية كأخواتها . واللغة كالجسم الحيّ يعتورها من حين الى آخر التغير فيزول عنها مايثقل لفظـه على اللسان او يقصر عن تأدية المعنى و يشيع ما يخفّ او يقوم بوظيفته وتموت كلمات وتتولد أخرى كما تموت الخلايا في جسد الحيّ و يتولد مكانها غيرها ولكل كلمة أجل . وما اللغة التي اخذت تجمد الا صائرة الى الدمار .

أيحسبون ان العربية التي كانت في الجاهلية تتسع للافصاح عن شعور أقوام بدوية تتسع اليوم ما لم تتطور لابداء شعور هو ارقى من ذلك الشعور الضيق المحدود

واوسع ، كلا ثم كلا ، فان الشعور المصري قداتخذ الواناً جديدة لا نعرف بما ذا تعبر عنها اللغة . وما ذا يعوقنا من ان نحذو حذو اسلافنا فننشلها من حمأة الجمود بتعريب ما جدّ في حياة الانسانية العلمية من مصطلحات واسماء من اللغات المتطورة بتطور ابنائها حتى كانت اغنى من اللغة العربية . أنجمد على ما جاء في الجاهلية والجاهليون انفسهم اخذوا من الإغريق والرومان والفرس والحبش وغيرهم كثيراً من المفردات كما اخذ الغربيون من الرومانية واليونانية القديمتين غير قليل من الكلم ومازالوا يأخذون من الامم المجاورة لهم ماهم بحاجة اليه .

واذا فحصنا اللغة الفصحى وجدناها متحولة عن أقدم منها وأخشن فهي عامية بالنسبة الى ذلك القديم وليس في مستطاعنا اليوم ان نقرأ ما كتب بالقلم المسند من لغة حمير فنفهم منه شيئاً فهل اللغة الا وليدة الحاجة فهي آلة للتفاهم ولما كانت الحاجات تتكاثر بتقدم البشر والأفكار تتوسع بنسبة رقيهم كانت آلة التفاهم القديمة الضيقة غير كافية للتعبير عن الافكار الجديدة المتوسعة .

ولا ذنب للغة في تقصيرها اليوم عن القيام بما يطلب منها بل الذنب كله يعود الى ابنائها الذين اخذوا بخناقها فضيقوا عليها منافسها ولا خطر على اللغة وابنائها اكبر من خطر هذا الجمود القاتل وما من سبب لتأخر العرب في السباق العالمي غير ضيق لغتهم عن الافصاح عما جدّ في العالم من علم ومصطلحات وافكار وآداب . هذا الضيق في اللغة ان لم يتدارك امره اتخذه الغربيون دليلاً على ضيق أدمغة ابنائها . واما اذا ثار الشباب الناهض في وجه القديم غير النافع وتمردت عليه فبترت منه كل ما رثّ وبلي ورحّبت بكل ما جدّ وطرف تبعاً لتجدد الحياة في سلسلة من التطورات فهي تغسل عنها ما يصمونها به من عدم الكفاءة للرقي الانساني ولها من مرونة اللغة للاشتقاق والتعريب ما يساعدها على التصرف فيها وجعلها ملائمة لحاجاتها الزمنية .

نعم ان للعربية أسلوباً جميلاً ولكن ما قيمة ذلك اذا عجزت عن تصوير الالوان الجديدة في الحياة فبقيت لا تشبع حاجات المجتمع العربي الذي يريد ان ينهض مع الناهضين .

ويل للعروبة من ابنائها العاقين فقد ضيقوا عليها الخناق حتى وقف قلبها عن

النبضات وقد اخذت تعالج النزع بشهد منهم فوقفوا حيالها جامدين لا حراك بهم لاسعافها كأنها ليست أمهم التي غذتهم بلبانها . وما الذين يتظاهرون بالحرص عليها وهم لا يعملون لانعاشها الا اعداؤها الالد لا يريدون لها حياة كبقية اللغات . واي جريرة اكبر من الضغط على اللغة وهي اكبر عنصر للحياة الاجتماعية في عصر يتطور فيه الانسان وعقله . وما الضغط على لغة الانسان الا ضغط على عقله وحريته لايحسن معها ان يعبر عما يختلج في نفسه . وهل تستقل أمة في اجتماعها اذا لم تستطع ان تستقل في لغتها فتتصرف فيها بحسب حاجاتها .

وليعلم الجامدون ان ابناء العربية ان لم يأخذوا نصيبهم من العلوم العصرية بقوا بالنسبة الى الامم المتعلمة كالقرود بالنسبة اليهم ولما كانت العلوم بمصطلحاتها لم يكن بدٌّ من اخذ المصطلحات معها وليعلموا انهم اذا لم يفسحوا الطريق لتطوّر اللغة حلّ بها البوار فكان موتها موتاً للقومية وكانت العربية نسياً منسياً فلا يذكرها التاريخ الاّ مثالاً للجمود فالزوال . وليعلموا ان اللغة اذا لم تتولد فيها من حين الى آخر كلمات مكان أخرَ قد هرمت فبليت كانت ميتة فلا خير فيها لابنائها .

واذا تتبعنا اصول اللغة وجدنا ما يقرب من ثلثها مأخوذاً من لغات أخر . وفي الكتاب المبين كثير من مثل (جناح) التي هي في الاصل (كناه) الفارسية كما أجمع عليه أحرار المفسرين واللغويين و (اباريق) جمع ابريق التي هي (آب ريز) الفارسية فما بال قومنا قد جمدوا على ما تلقوه من آبائهم فلم يزيدوا وهم الى الزيادة أحوج من الجاهليين .

أيستنكفون من الاخذ ولا يستنكفون من بقاء لغتهم مقصرة عن مجاراة غيرها من اللغات التي تطورت كما يبتغيه العصر وقد ثبت اليوم ان التفكير لا يكون الا بالكلام النفسي فان لم تتوسع اللغة كما تريده الحياة العصرية ضعف ابناؤها حتى في تفكيرهم فقلّت حيلتهم امام مناوئيهم من الشعوب في معترك الحياة .

اللغة قبل كل شيء فهي اذا غنيت دل غناها على ان الامة غنية في علومها وفنونها وأدبها . ولا يثبطنك عن التوسيع ما يقوله المتعصبون « انا اذا قبلنا التطور في اللغة الكتابية بعدت عن لغة القرآن » فان القرآن بنجوة عما يخافون فهو يتلى في المصاحف

و يحفظ في الصدور وان الأولى يضيعون دنياهم لهم لدينهم أضيع وقد اخذ العلماء في الدولة العباسية كثيراً من المصطلحات اليونانية فلم يضر ذلك القرآن ·

والكلمات غير القاموسية بعد ان نأخذ منها ما نحتاج اليه ونجمعه في معجم نكون قاموسية و يكون المعجم قاموساً نرجع اليه عند الحاجة ونثبت للملاء انا قوم لهم حياتهم وتطورهم فلا يثبطهم عن الرقي جمود او جبن ·

واني لأشكر للاستاذ المغربي اقتراحه وللمجمع العلمي بدمشق عنايتـه بالامر فان الخطب جلل اذا لم تتداركه ابناء العروبة فقضي الجمود على أعز شيء لديها الا وهو جامعة اللغة ·

وهناك حقيقة يجب ان اذكرها قبل الكلام عن الاصناف السبعة التي يطلب الاستاذ المغربي الجواب عنها وهي ان ثلث ما في المعاجم من الكلمات او اكثر مهجور لا يستعمل في التكلم والكتابة والخطابة والشعر ولا فرق بين المهجور والميت فبعث هذه الكلمات من مرقدها لا يفضل توليد كلمات جديدة او تعريب ما نحن اليه بحاجة من المصطلحات في اللغات الغربية ·

اما الصنف الاول والثاني والثالث من الكلمات التي اقترح الاستاذ المغربي النظر فيها فلا يجوز التردد في قبولها · واما الرابع فلا مندوحة منه وقد اتى بكثرة في شعر كبار الشعراء العصريين ونثر فطاحل الكتاب في اكبر الصحف وأقوال مصاقع الخطباء فلا غضاضة على من يستعمله في كتاباته وشعره : كالمخابرة والتفرج والتنزه والتعاسة والانحدار والاحترام والبؤساء والوديان والبوع (جمع باع وقد جاءت في شعر الرضي) والاخطاء والاغلاط والجهود والزهور والاوراد والعائلة والتحرير والصحافة والتطور وغيرها ، ولا ضير علينا ان حكمنا في مثل هذه الكلمات القياس واخذنا بالتضمين وافسحنا للاشتقاق المجال

واما الصنف الخامس فالقاعدة كما ارى ان نقبل كل دخيل جاء في عبارة كبار الكتاب والشعراء وشاع في عصرنا الحاضر كما في القسم الرابع بعد تخفيف الثقيل منها بصقله وإرجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : كالاكسجين والنتروجين والهدروجين والتلسكوب والمكروب والسينما

والقيثارة والبترول والرديوم والالكترون والبرتون وكثير من أمثالها كما اخذ القدماء الاسنقص والهيولى والاسطورة والسراب والميزاب والجلنار والدرفس والدست والصابون والجلاف والاسفنج والاسطرلاب وغيرها ·

واما الصنف السادس فلا احسب فيه مايدفع الاستاذ المغربي الى الاستفتاء عنه فان تراكيبه عربية والا أغلقنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة ·

واما الصنف السابع فلا وجه لجعله صنفاً على حدة يُستفتى عنه في يوم صوت الجهل فيه أقوى من صوت العلم ·

اراء وافكار

تصحيح نص فقهي

بما ان تنقيح الفتاوى الحامدية كتاب جليل ترجع اليه القضاة والمفتون · وقد وقع فيه سبق قلم من مؤلفه ادّى الى تغيير الحكم الشرعي · في الصفحة (١٨) من الجزء الاول طبع بولاق سنة ١٢٧٠ ما لفظه :

« سئل في صغيرة يتيمة لها ابن عم عصبي ليس لها وليٌّ أقرب منه يريد تزويجها من ابنه القاصر الكفء بمهر المثل فهل له ذلك ؟ »

« الجواب نعم : قال في الدرر يتولى طرفي النكاح يعني الايجاب والقبول واحد ليس بفضولي من جانب ولا يشترط ان يتكلم بهما بل الواحد اذا كان وكيلاً عنهما · فقال : زوجتها إياه · كان كافياً وله أقسام : إما أصيل وولي كإبن العم تزوج بنت عمه الصغيرة اوأصيل ووكيل كما اذا وكلت رجلاً ان يزوجها نفسه او ولياً من الجانبين او وكيلاً منهما او وكيلاً من جانب وفضولياً من جانب او فضولياً من الجانبين اه » ·

يقول العلامة الشيخ محمد قطة العدوي مصحح طبعه في الهامش · قوله : او ولياً من الجانبين الخ هكذا بالنصب فيه وفيما بعده من المعاطيف ولعل صوابه الرفع عطفاً على قوله أصيل وولي تأمل اه » ·

والقيثارة والبترول والراديوم والالكترون والبرتون وكثير من أمثالها كما اخذ القدماء الاسنقص والهيولى والاسطورة والسراب والميزاب والجلنار والدرفس والدست والصابون والجلاف والاسفنج والاسطرلاب وغيرها ٠

واما الصنف السادس فلا احسب فيه مايدفع الاستاذ المغربي الى الاستغناء عنه فان تراكيبه عربية والا أغلقنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة ٠

واما الصنف السابع فلا وجه لجعله صنفاً على حدة يُستغنى عنه في يوم صوت الجهل فيه أقوى من صوت العلم ٠

اراء وافكار

تصحيح نص فقهي

بما ان تنقيح الفتاوى الحامدية كتاب جليل ترجع اليه القضاة والمفتون ٠ وقد وقع فيه سبق قلم من مؤلفه ادّى الى تغيير الحكم الشرعي ٠ ففي الصفحة (١٨) من الجزء الاول طبع بولاق سنة ١٢٧٠ ما لفظه :

« سئل في صغيرة يتيمة لها ابن عم عصبي ليس لها وليٌّ أقرب منه يريد تزويجها من ابنه القاصر الكفء بمهر المثل فهل له ذلك ؟ »

« الجواب نعم : قال في الدرر يتولى طرفي النكاح يعني الايجاب والقبول واحد ليس بفضولي من جانب ولا يشترط ان يتكلم بهما بل الواحد اذا كان وكيلاً عنهما ٠ فقال : زوجتها إياه ٠ كان كافياً وله أقسام : إما أصيل وولي كابن العم تزوج بنت عمه الصغيرة اوأصيل ووكيل كما اذا وكلت رجلاً ان يزوجها نفسه او ولياً من الجانبين او وكيلاً منهما او وكيلاً من جانب وفضولياً من جانب او فضولياً من الجانبين اه » ٠

يقول العلامة الشيخ محمد قطة العدوي مصحح طبعه في الهامش ٠ قوله : او ولياً من الجانبين الخ هكذا بالنصب فيه وفيما بعده من المعاطيف ولعل صوابه الرفع عطفاً على قوله أصيل وولي تأمل اه » ٠

أقول : يغفر الله لي ولمولانا المصحح قد نبـه جزاه الله تعالى خيراً على ما أشكل من حيث الاعراب ولم ينبه على ما هو مشكل من حيث الحكم لان قول صاحب الدرر وله أقسام صريح بانها أقسام تولي الواحد طرفي النكاح ٠

وعلى ما في التنقيح يكون قوله (او وكيلاً من جانب وفضوليًا من جانب آخر او فضوليًا من الجانبين) من تلك الأقسام ٠ مع انه ليس منهـا بدليل قوله في صدر العبارة : يتولى طرفي النكاح واحد ليس بفضولي من جانب ٠ فصدر العبارة يناقض آخرها مع ما فيه من تغيير الحكم ٠ فكان على المصحح ان ينبه الى ذلك او يرجع الى الأصل المنقول عنه ويصحح على مقتضاه ٠

ثم رجعت الى الدرر فوجدت فيها زيادة أدى سقوطها الى تغيير الحكم ٠ ومحلها بعد قوله او وكيلاً منهما ٠ ولفظهـا او وليًا من جانب ووكيلاً من آخر ٠ ولا يجوز ان يكون فضوليًا كما اذا كان أصيلاً وفضوليًا او وليًا من جانب وفضوليًا من آخر او وكيلاً الخ ٠

وكنت ذكرت ذلك للمرحوم السيد ابي الخير عابدين مفتي دمشق السابق وكان عنده نسخة التنقيح بخط المؤلف فراجعها فوجدها كذلك مغلوطة ، فراجع الدرر فظهر ان فيها زيادة ٠ فصحح نسخة المؤلف بقلم احمر ودعا لي ٠ ولله الحمد والمنة ٠

دمشق : خادم العلم الشريف

محمدسعيدالسكري

(المجمع) رأينا ان نطلع العلامة مفتي دمشق على ما كتبه المراسل المومى اليه قبل نشره فكتب بذيله ما يلي :

« نعم نُسخ التنقيح مغلوطة ولكن لدى مراجعة اصل الفتاوى الحامدية التي نقحها خاتمة المحققين العلامة السيد محمد امين عابدين وسماه تنقيح الفتاوى الحامدية وجدت العبارة صحيحة كما ذكره الفاضل المومى اليه » ٠

مفتي الشام العام

محمد عطا الكسم

ايضاح واستيضاح

وردت في الجزء ٧ و٨ من المجلد الثامن (تموز وآب سنة ١٩٢٨ وص ٤٣٢) رسالتان لغويتان عثر عليهما بحلب الأديب الشيخ محمد راغب الطباخ في آخر نسخة من شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير للعلامة السيوطي .

اولاهما في المقصور والممدود لابن دريد وقد طبعت في مصر في ذيل « أعجب العجب في شرح لامية العرب » للزمخشري سنة ١٣٢٤ ناقصة وبدون شرح غريبها أقول ان هذه القصيدة كانت طبعت على الصورة المذكورة في كتاب « أبدع ما نظم في الأخلاق والحكم » للشيخ يوسف بن عبد الغني سنو الحسيني « مصر ١٣٢٣ ص ٤٨ » وعندي نسخة من المتن والشرح خطية بغير ذكر اسم الشارح كان بودي طبعها .

والثانية جامعة لما يكتب بالواو والياء للعالم الأديب ابي المحاسن يوسف بن اسماعيل بن علي المعروف بالشواء الحلبي المتوفى سنة ٦٣٥ ﻫ وقد شرح هذه القصيدة محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨ ﻫ وسماه (هدي أمهات المؤمنين) (كذا) وتوجد منه نسخة في مكتبة (كوبرلي) في الاستانة تحت رقم ١٤٩٩ ثم أورد هذه القصيدة مشتملة على ١٩ بيتاً .

أقول جاء في كشف الظنون (ط الاستانة ١٣١١ ج ٢ ص ٢٣٣) ما نصه : « قصيدة فيما يقال بالياء والواو » للأديب ابي المحاسن اسماعيل بن علي الشواء الحلبي المتوفى سنة (كذا) اولها (مل :) قل إن نسبت عزوته وعزيته الخ شرحها محمد بن ابراهيم النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨ وسماه (هدي أمهات الكلمتين الخ اه) .

و يوجد من هذه القصيدة نسختان في مكتبة برلين الملكية تحت رقم ٧٠٢٩ ورقم ٧٠٣٠ منسوبتان كلتاهما لابن مالك النحوي المشهور صاحب الألفية المتوفى سنة ٦٧٢ . وأورد السيوطي في المزهر (بولاق ١٢٨٢ ج ٢ ص ١٤٥) هذه القصيدة مشتملة على ٤٩ بيتاً ونسبها لابن مالك ايضاً ونقلها عن المزهر نصر الهوريني في « المطالع النصرية للمطابع المصرية » (مصر ١٣٠٤ ص ٨٨) وزاد بيتاً من

عنديته هذا وقد قال السيوطي في البغية (ص٦) في حق محمد بن ابراهيم بن النحاس المذكور اعلاه انه لم يصنف شيئًا الا ما املاه شرحًا لكتاب المقرب اه ·

وذكر نحوه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (بولاق ١٢٩٩ ج٢ص١٧٢) ·

ولم يذكر ايضًا ابن خلكان في الوفيات (مصر ١٣١٠ ج ٢ ص ٤١١) قصيدة في قيد الافعال الواوية اليائية لا لمًا لابي المحاسن الشواء ·

ومما يؤيد ان القصيدة لابن مالك ما قاله الشيخ عبد الهادي نجا الابياري في كتابه « المواكب العليسة في توضيح الكواكب الدرية في الضوابط العلمية » (مصر سنة ١٣٠٤ ص ٢٠٠) ·

(وبعدُ فقد ابدى ابن مالك نظم ما   بوجهين من واو وياء معًا يُقرا)

وفي الختام أطلب من ساداتي العلماء الاعلام تحقيق نسبة ناظم القصيدة والوقوف على اسم صاحب هذه الخريدة الفريدة مأجورين مشكورين ·

عضو المجمع العلمي العربي

الجزائر :   م · ابن ابي شنب

مطبوعات حديثة

مبحث

« في فلسفة ابن سينا في ما وراء الطبيعة »

تأليف السيد جميل صليبا الحائز على لقب دكتور في الفلسفة وشهادة التربية والمأذون بالحقوق من جامعة باريز ، طبع في مطبعة لي پرس اونيفرسيتير دي فرانس في باريز

للغرب على العرب فضل عظيم أوضحه الاستاذ السيد محمد كرد علي في محاضرته التي القاها في ردهة المجمع العلمي الدمشقي وفي المدرسة الكبرى في القاهرة عام ١٩٢٧ . فان ما حفظه الغربيون في خزائنهم من المخطوطات العربية التي تعد بالالوف المؤلفة وما نشره علماء المشرقيات منهم من المؤلفات العربية القيمة في جميع الموضوعات العلمية قد حفظت للعرب تاريخ حضارتهم ومدنيتهم الرفيعة التي لولاها لعد اعداؤهم وقائعهم وفتوحاتهم من الأعمال الوحشية المجردة عن النظام المدني والفكرة السياسية . ومع هذا فان من علماء الغرب الأعلام من ينكر على العرب النبوغ و يسلبهم خاصة الابتكار والإبداع في جل العلوم التي أخذها الغرب عنهم كالطب والهيأة والفلسفة وغيرها حاصراً ميزتهم في جودة النقل والتقليد فحسب .

واذا ضربنا الصفح عن العوامل النفسية الناشئة عن البيئة والتلقينات العلمية والمذهبية الاولى نجد ان هذا الحكم يمت الى أسباب : أهمها ان علماء العرب لم ينتحلوا لانفسهم ما اخذوه عن غيرهم انما نسبوا كل شيء الى صاحبه فجاءت افكارهم الخاصة عرضاً في الشروح والذيول فلم ينتبه اليها لا سيما بعد ان نقلت الاصول اليونانية الى اللغات الاوربية واهمل الرجوع الى المؤلفات العربية التي اصبح فهمها متعذراً على رائدها لغموض تعابيرها وصعوبة تراكيبها . ومنها سوء الترجمة التي كثيراً ما يجعل الصحيح فاسداً والجلي غامضاً .

ومنها الضعف باللغة العربيـة التي يحول دون مطالعة الاصول الى غير ذلك من

العوامل التي بخست كثيراً من علماء العرب حقهم من النبوغ والابداع في العلوم التي اشتهروا بها كابن سينا في الفلسفة والطب مثلاً فان من علماء هذين الفنين من الغربيين من انكروا عليه النبوغ فيهما وعدوا كل ما كتبه في ابحاثهما شرحاً لأقوال ارسطو مجرداً عن كل رأي خاص . ولعمري ليس في هذا الحكم الجائر غضاضة على الحاكم لان الفتوى كما يقال على قدر النص . على ان هذا الحكم لا يقع على شخص ابن سينا الذي طوته القرون فلا سبيل له ولا اليه بل يقع على الامة العربية التي لم تزل حية بفضل ما تركه لها اولئك الاجداد من ذكرى مجد اثيل وحضارة فائقة . وهو لعمر الحق ضربة موئلة من الواجب عليها ردها بالحجة القاطعة والبرهان الساطع ومن احرى باظهار مجد السلف من الشبيبة الناهضة من الخلف . وقد سبق لي ان قرظت في هذه المجلة أطروحة الزميل الطبيب السيد يوسف حريز التي أبان فيها عما كان للطب العربي من التأثير في نشوء الطب الفرنسي وها انا أقدم لقرائها اليوم أطروحة السيد جميل صليبا المأذون بالحقوق والحائز لقب دكتور بالفلسفة وشهادة التربية من جامعة باريس التي افصح فيها عن فلسفة ابن سينا فيما وراء الطبيعة واوضح ما لهذا الحكيم العربي من الآراء المبتكرة والميزات العلمية الخاصة وذلك في مقدمة ومطلبين :

اما المقدمة فتعرب عن موضوع الكتاب وهو فلسفة ابن سينا فيما وراء الطبيعة وعن مصادره واهمها الشفاء والنجاة ومنطق المشرقيين والرسالة في الحكمة الطبيعية وجامع البدائع وغيرها من المصادر الاساسية . وقد نهج المؤلف في تأليفه طريقة التحليل والتاريخ والمناظرة ليتسنى له الوصول الى ضالتـه وهي اظهار حقيقة ابن سينا جلية وتجريدها مما يحيق بها من الحقائق التاريخية الماضية والمعاصرة لها .

ثم قسم المؤلف المبحث الاول فصلين درس في الاول منهما الفلسفة العربية او بالحري الاسلامية بصورة عامة فقال ان العرب كانت تقسم قبل الاسلام الى معطلين ومحصلين . اما بعد الاسلام فتفرقوا فرقاً كثيرة بعامل الاختلاف في تأويل احكام بعض آيات القرآن المتعلقة بالقضاء والقدر لان منها ما يجعل الانسان حراً مخيراً ومنها ما يجعله مقيداً مسيراً . واهم هذه الفرق المعتزلة ويدعون ايضاً القدريين واصحاب العدل ومذهبهم ان الله عالم بذاته وقادر بذاته وليس بالعلم والقدرة وان الانسان قدير على

عمله مسؤول عنه ومنها الجبريون وهم القائلون بان الانسان مسير وعمله مخلوق ومنها السفسطائية والباطنية والاشعرية والحشوية الخ . ولكل من هذه الفرق مذهب فلسفي خاص جدير بالاهتمام والاعتبار في تاريخ الفلسفة العربية العامة .

ثم رد على قول رينان بان فلسفة العرب هي فلسفة ارسطو وأوضح الاسباب التي كانت تحمل الفلاسفة من العرب على حفظ التآليف اليونانية وتكرار قراءتها وأهمها غموض التعبير وسوء الترجمة ولبس الإعجاب كما قال رينان . ورد على قوله ايضاً ان الفلاسفة الذين ظهروا في الاسلام ليسوا عرباً وانه لا يوجد فلسفة عربية ... فذكر الكندي وابن رشد بانهم من صميم العرب وانه من الخطإ النظر الى الفلسفة العربية من خلال الفلسفة اليونانية لان فلسفة العرب كانت ترمي الى التأليف ما بين الفلسفة القديمة والدين . وهل يستطيع احد انكار وجود فلسفة اسلامية ابتدعها العقل العربي . فان الفقه وعلم الكلام وجدا عند العرب قبل دخول الفلسفة اليونانية اليهم . ثم أفاض المؤلف في البحث في النهضة العربية والأعمال الجلى التي أتاها العرب في سائر العلوم على اختلاف موضوعاتها وانهم كانوا أساتذة الغرب قروناً متعددة وفضلوا اليونان في جميع الفنون التي درسوها . وقد ختم المؤلف هذا الفصل بالدعوة الى عدم الحكم على شعب بمجرد النظر الى نقطة واحدة من وجوه تاريخه فلا يجوز ان يحكم على الاسلام بالمسلمين اليوم . فان القرآن ليس عدواً للعلم والفلسفة (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... آيات ... أحاديث) انما هو الباعث على ازدهار العلم في بدء الاسلام وصدره . اما السبب في انحطاط العلوم في الاسلام وبطلانها فيعزوه المؤلف الى ضعف العرب وخروج السلطان من ايديهم واستيلاء الأعاجم على الملك . فان الاسلام رعى العلم في عهد سيطرة العرب وعاداه في ظل الأعاجم وعلى ذلك فليس الاسلام عدو للعلم بل المسلمون اعداؤه .

اما الفصل الثاني من المطلب الاول فقد أوضح فيه المؤلف مذهب المتكلمين . فقال : ان غاية الكلام إثبات ان العالم حادث وان الجوهر مخلوق لاثبات وجود الخالق . لان كل ماهو حادث يحتاج لمحدث وكل مخلوق يحتاج لخالق . وقد خالفهم ابن سينا في قوله : « ان علة الحاجة الى الواجب هي الإمكان لا الحدوث » وقد بنى

المتكلمون نظر بانهم على دعائم أهمها ان لا واسطة بين الوجود والعـدم وان وجود الشيء وماهيته واحد في الإمكان والوجوب خلافاً لقول الفلاسفة ان الوجود يختلف عن الماهية في الإمكان ويتحد معها في الوجوب . وقد قسم المتكلمون الموجودات الى حادثة وقديمة وقالوا بان الوجوب والإمكان ليسا حقيقيين ولا هما غير حقيقيين انما هما من مصوراتنا الذهنية . في حين ان فكرة الوجوب والإمكان هي دعامة أقوال الفلاسفة ....

وقد قال المتكلمون ان الأشياء قائمة بجواهر فردية متجانسة وغير متجزئة لا يختلف بعضها عن البعض الآخر الا بالاعراض . وانه لا يوجد ماهية لهذه الجواهر وان الاعراض بسيطة تتلاشى وتحدث آنياً بخلق الله . وأقوى حجج المتكلمين على إثبات وجود الله قولهم : يتكون الكون من جواهر ومن أعراض ولا يخلو جوهر من عرض او أعراض . وبما ان الأعراض تولد جميعها فمن اللازم ان تكون الجواهر التي تحملها مولودة . لان كل ما يتصل بالمولودات ويكون لازماً لها فهو مولود . فالعـالم جميعه اذاً مولود . وله موجد .

وخلاصة هذا المذهب ان الحدوث يسود الطبيعة وان الطبيعة ليست في كليتها الا إمكاناً . ولا توجد الا بالواجب لذاته ذي القدرة والعلم المطلقين .

ثم انتقل المؤلف الى المطلب الثاني فقسمه ستة فصول اتى في الاول منها على أقوال ابن سينا العامة فيما وراء الطبيعة وخلاصتهـا ان غاية ما وراء الطبيعة معرفة المبدأ الاول اي التوصل الى اثبات وجود الله . وان الجوهر هو الشيء القائم بنفسه وجوباً وليس محمولاً بآخر وان العرض هو ما قام بجوهر وان الجوهر يحمل العرض والعرض ايضـاً يحمل عرضاً آخر وذلك خلافاً لقول المتكلمين (واما انه هل يكون عرض في عرض فليس بمستنكر) وان القدرة والفعل والوحدة والكثرة والاول والحادث والعلة والمعلول هي اعراض بالنسبة للوجود . ثم بحث بالمادة والصورة فقال بان ليس احدهما سبباً للآخر ولخص الاسباب باربعة : المادة . والصورة . والغاية والفاعلية . ومما يجدر الانتباه اليه قوله : ان السبب الذاتي الواحد لا يحدث الا علة خاصة واحدة لانه لا يخرج من الواحد الا واحد على انه توصل فيما بعد الى البرهان

على ان التعدد يصدر عن الواحد وذلك باعتبارات عمومية في الممكن والواجب .

اما الفصل الثاني فقد درس فيه الماهيــة والوجود فقال ان فلسفة ابن سينا تمتاز بقضيتين أساسيتين احداهما التمييز ما بين الماهية والوجود . والثانية ما بين الممكن والواجب . وقد درس في هذا الفصل القضية الاولى واوضح بكل جلاء التبـاين الشديد الذي يفصل ما بين ابن سينا وارسطو . ومما هو جدير بالذكر انهذا التباين لا يظهر جلياً في كتب ابن سينا كخلاف مقصود قائم بنفسه انما يستنبط من مجموع آرائه الفلسفية المبعثرة في شروحه وفصول مؤلفاته بصورة يتعذر معها على كل قارئ لمّ شعثها . وتشييد كيانها . وهذا ما حمل رينان وغيره على تجريد ابن سينا من ميزة الابداع والابتكار وجعله نسخة ثانية لارسطو . وللمؤلف فضل كبير في جمعه هذه الآراء الخاصة وتشييدها بناءً متناسقاً تتمثل فلسفة ابن سينافي مجموعه جلية ذات هندسة عربية خاصة وبنيان مبتكر مرصوص .

وخلاصة قول ابن سينا في التمييز مابين الماهية والوجود ان الماهية هي المقول في جواب ماهو وان الوجود صفة لازمة لها تصحبها ولا تكون جزءاً منها . وان الحد لاينطبق الا على المركبات اما الاجسام البسيطة فلا تحد لانها مجردة عن الجنس والفصل . وبما ان الله بسيط فلا يمكن حده . هذا وقد تكون ماهيــة الشيء علة احدى صفاته ولكن وجوده لايحصل من حادث ماهيته لان كل علة سابقة لمعلولها في الوجود قبل ان يوجد . فالماهية والحالةهذه تتضمن الوجود بالامكان فحسب وشروطها تختلف عن شروط الوجود . وبما انالماهية لاتتضمن الوجود وجوباً فماذا تكون اذاً ؟ هل هي صورة ذهنية مجردة عن القوام ؟ اذا صح ذلك تصبح فلفسة ابن سينا صورية محضة خلواً من القوام الحقيقي . وقد قال بذلك مونك خطأً لان ابن سينا يقول ان الكليات توجد في عقولنا لا كسميات لا حقيقة لها بل كمفهوم معقول ذي صورة محسوسة وانالصور المعقولة الموجودة في الذهن توجد بالفعل فيالعقل الفعال اولاً وفي المحسوسات ثانياً . . .

اما بحث ابن سينا في الممكن والواجب فقد اوضحه المؤلف في الفصل الثـالث وخلاصته ان كل شيء وجوده غير ماهيته يوجد بوجود ماهيته لا تخلف عن وجوده

ومن هذا يستنتج ان الموجودات قسمان : موجود ممكن وموجود واجب . وعلى هذا فان الامكان والوجوب ليسا كما يقول المتكلمون مصورات ذهنية بل هما حقيقيان . اما مميزاتهما فهي :

الوجود الممكن هو الذي له علة اما الوجود الواجب فهو ماليس له علة وكل ما هو ممكن بماهيته لا يوجد ولا يعدم الا بعلة . لان ميل هذا الشيء متساوٍ للعدم والوجود وعلى ذلك لايمكنه الوجود الا اذا اصبح واجباً بغيره . وبما ان الممكن لا يتضمن علة وجوده فمن الضروري قبول وجود موجود منزه عن الامكان ذي وجود واجب توجد به جميع الممكنات دون ان يكون منها . وهو الموجود الاول اي الله . فالعالم ممكن وكل ممكن حادث وكل حادث يستلزم علة اولى تحدثه وهي الله .

وبعد ان اثبت ابن سينا وجود الله بحث في صفاته . فمن كون الله واجب الوجود بذاته وهو المبدأ الاول يستنتج انه مجرد عن كل امكان . وبما ان الامكان من طبيعة المادة فالله مجرد عن المادة وعلائقها فهو اذاً بسيط وماهيته مجردة عن كل العناصر المركبة التي وجودها يتوقف على اتحاد اجزائها السابقة بوجودها لها والمختلفة بماهيتها عنها . وعلى ذلك فما من موجود مركب ذي وجود واجب بذاته .

فواجب الوجود ليس والحالة هذه جسماً لان الجسم ينقسم الى اجزاء وكل ما هو مركب لايكون واجباً بذاته . وهو ليس ايضاً هيولى جسمية ولا صورة جسمية ولا هيولى معقولة لصورة معقولة . ولا صورة معقولة لجسم معقول . انما بساطة واجب الوجود نتيجة لازمة لوحدته اللازمة لوجوبه المطلق لانه لا يوجد غير موجود واحد واجب بنفسه وهو العلة الاولى والمبدأ الاول لكل الممكنات فوحدته واجبة لانه اذا فرضنا وجود موجودين كل منهما وجب بالآخر يصبح كل منهما ممكناً بذاته . ومن وجوبه ووحدته يتبين انه منزه عن النظير والضد والشريك . و بالنظر لكونه مجرداً عن الجنس والفصل والماهية فليس له حد ولا علة ولا كمية ولا كيفية ولا مكان ولا زمان . وعلى هذا لايمكن تعريفه بالمقولات . وهو الكمال وهو الخير وهو الحق وهو العقل اذا عقل اوجد وهو يعلم الكليات والجزئيات لان معرفة العلة تستلزم معرفة

المعلول استنتاجاً . وهذه الصفات كلها سلبية ما عدا صفة الوجود ولا تحدث تعدداً في ذاته .

وبعد ان اوضح المؤلف فلسفة ابن سينا في وجود واجب الوجود وفي صفاته تكلم في الفصل الرابع في نظريته في علاقة العالم به وهي نظرية الفيض وأسسها القواعد الثلاث الآتية :

(١) لا يخرج من الواحد الا واحد .

(٢) العقل في الجواهر المتفرقة معناه الإبداع .

(٣) كل ما هو ليس واجب بذاته هو ممكن بنفسه وواجب بغيره .

فان واجب الوجود عقل ذاته فأبدع العقل الاول اي الفلك الاول وهذا العقل الاول ممكن بذاته واجب بواجب الوجود مما يجعل له صفتين و يسوغ صدور المتعدد عن الواحد . ثم ان هذا العقل الاول عقل واجب الوجود فأبدع العقل الثاني وعقل ذاته من حيث انه واجب بالعلة الاولى فأبدع نفس الفلك المحيط ومن حيث انه ممكن بذاته فأبدع جسم هذا الفلك .

ومما تقدم يتبين انه ينشأ من العقل الاول ثلاثة موجودات : اولها العقل الثاني ثم نفس الفلك المحيط اي صورته ثم جسم هذا الفلك اي مادته . وكذلك ينشأ من العقل الثاني ثلاثة موجودات كالاولى وهلم جراً الى ان نصل الى العقل العاشر الاخير الحاكم على عالمنا القمري السفلي و يسمى العقل الفعال الذي يقف عنده الفيض فلا يبدع غيره كالعقول المتقدمة لانه لا يعقل ما فوقه .

ثم درس المؤلف في الفصل الخامس اقوال ابن سينا في علاقة واجب الوجود بالعالم وفي الفصل السادس نظريته في النفس فقال :

ليس الفيض فعل عقل ومعرفة فحسب بل هو فعل ارادة ايضاً فان الاول راض بفيضان الكل عنه . وان الخير والكمال في الموجودات متناسب مع مقدار اتصالها بالواجب بذاته . على ان الخير مقتضي بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر . وان العالم لا يكون ممكناً وحادثاً الا بالنسبة لذاته اما بالنسبة لعلته فهو واجب وعلى ذلك يكون الجبر سائداً فيه . فالانسان ليس حراً ولا مجبراً انما يخضع للقدر بدرجة تملكه

افعاله اما النفس فليست سابقة الجسد بالزمن لانها تخلق معه (خلافاً لقول افلاطون) . وهي ثلاثة انواع : نباتيــة وحيوانية او حساسة وانسانية او مفكرة . وهذه الاخيرة وحدها ازلية لانهــا تقبل المعقولات وتصبح عقلاً بالفعل (خلافاً لقول ارسطو) . اما العقل فهو قوة النفس التي تحول صورالمحسوسات الى صور ذهنية بنورالعقل الفعال ومن هذا يتضح ان المعرفة لا تقوم بالحس فقط . فاذا ارادت النفس ان تفعل شيئاً تتجه نحو العقل الفعال فيحدث فيها الصور المعقولة اللازمة لمعرفته . اما الحواس فعملها دفع النفس الى العقل الفعال . وعلى هذا فليس العلم فطرياً في النفس .

وقد اختتم المؤلف كتابه بذيل جمع فيه الالفاظ الفنية الواردة في الكتاب مع ما يقابلها في العربية . وقد رتبها على حروف الهجاء العربية على انه كان من اللازم ترتيبها على حروف الهجاء الفرنسية تسهيلاً لطالبها لان لغة الكتاب الفرنسية .

* * *

ومما تقدم يتضح أن ابن سينا ليس كما قال رينان نسخة لارسطو بل هو يفترق عنه في مواضع كثيرة وهو اقرب الى افلاطون منه لارسطو مما يعرب عن قلة المام رينان بفلسفة ابن سينا وقذفه القول جزافاً .

ولا يسعنا في الختام الا ان نشكر للدكتور السيد جميل صليبا ار يحيته وجهوده في دفاعه عن هذا الفيلسوف العربي العظيم الذي قامت على مؤلفاته النهضة العلمية الأخيرة في جميع انحاء العالم .

عضو المجمع العلمي
الدكتور اسعد الحكيم

كتاب مخطوطات الموصل

« تأليف الدكتور داود الجلبي الموصلي ، طبع في مطبعة الفرات ببغداد »
« سنة ١٣٤٦ ﻫ في ٣٨٩ صفحة كبيرة »

هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة أقسام وثلاثة فهارس ، فالقسم الاول منه تكلم فيه مؤلفه على مدارس الموصل القديمة المندثرة والحديثة الحاضرة بكلام موجز وفي

غاية الاختصار . والقسم الثاني في بيان المدارس الحالية ومدارس ملحقات لواء الموصل مع ذكر ما حوته من الكتب الخطية وهو معظم الكتاب . والقسم الثالث في بيان ما عند الأسر المعروفة في الموصل من الكتب الخطية المهمة النادرة .

اما الفهارس فالأول منها يشتمل على أقسام الكتاب وموضوعاته ، والثاني في اسماء الكتب ، والثالث في اسماء الأعلام وكلها مرتبة على حروف المعجم . وفي الكتاب أسماء الكتب النادرة الجديرة بالوصف والتعريف والتي لم يرد لها ذكر في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨ .

ولقد أحسن المؤلف في وصف الكتب النادرة منها وصفاً علمياً فينبه على اول اسم كل كتاب رآه مهماً ونادراً ثم يصفه ويذكر نوع خطه وورقه وعدد صفحاته ونوع جلده وينقل ما في صدره وآخره من الكتابات مع بيان موضوعات أبوابه وفصوله وذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخة ونقل شيء من اولها وآخرها ومن أبحاثها المهمة وبيان ابوابها وفصولها وصفتها من كمال ونقصان وجودة خط او رداءته الى غير ذلك .

ولمؤلف هذا الكتاب مكتبة حوت ١٢٤٩ كتاباً أغلبها مطبوع ومشهور على انها لا تخلو من كتب نادرة ومن المفيد جداً ان ننقل منها بعض ماذكره من نوادر الكتب ونفائسها .

فمن نوادر مخطوطات الموصل : مجموعة مهمة حوت كتباً في الفنون البحرية والملاحة رقم ٦٦ صفحة ٢٨٠ ، وفي اول هذه المجموعة صور سفن شراعية بالألوان مع إراءة مقاطعها وكيفية نصب شراعها وغير ذلك . ثم تأتي بعدها جداول دعيت (كتاب الميل) لشهاب الدين محمد بن ماجد [1] بن عمر بن فضل بن يوسف النجدي وفي آخر كتاب الميل المذكور دائرة ملونة طبق مايسمونه في هذا الزمان (وردة الرياح) وقد ذكرت حواليها جمل الكواكب التي تقع في كل جهة ثم تأتي جداول للطول

(١) لابن ماجد هذا كتاب الفوائد في معرفة البحر والقواعد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية رقم ٦٤ من كتب الفلك . وقد طبع في باريز مؤخراً بعناية السيد فرّان احد علماء المشرقيات من الفرنسيس .

والعرض ذكر فيهـا كل ما يصادف الملاح على الساحل من البنادر والقرى والجبال والجزائر وغير ذلك .

ومنها كتاب (الآثار الجلية في الحوادث الارضية) لياسين بن خير الله العمري الموصلي : وهو مختصر في التاريخ مرتب على السنين يبدأ بالهجرة و ينتهي بوقائع عام ١٢١٠ في ٩٤٦ صفحة .

ومجموعة تشتمل على ١٧ رسالة اكثرها في الطب من كتب ابراهيم چلبي منها رسالة في الهندبا لابن سينا ورسالة في الأدوية القلبية لابن سينا ايضاً وحاصل المسائل لفخر الدين ابي اسحق المعروف بغضنفر التبريزي وهو اختصار مسائل حنين بن اسحاق بحذف الألفاظ الزائدة والأمثلة القليلة الفائدة .

ومن نفائس مخطوطات الموصل : كتاب السياسة تأليف ارسطوطاليس الحكيم وقد أهداه الى الاسكندر بن فيلبس المعروف بذي القرنين ونقله الى العربية يوحنا ابن البطريق . وهذه النسخة محفوظة في مدرسة جامع الباشا في الموصل رقم ١٣٤ كتبت برسم خزانة السلطان مسعود السلجوقي .

وفي الصفحة الثامنين من هذا الكتاب دائرة ارسطوطاليس المشهورة القائلة « العالم بستان سياجه الدولة ، الدولة سلطان تحيي به السنة[1] الخ » وقد عني الناسخ برسم الدائرة بنقوش والوان وبين الصفحة ١١٣ و ١١٤ صفحة عليها صورة آلة يقول عنها في متن الكتاب (ويجب ان يكون معك الآلة التي أقامها تامسطيوس للانذار وهي آلة مفزعة تنطرق في كثير من الامور لانك ربما احتجت الى انذار جميع بلادك ونهي الاجناد فيها ليوم تحتاج اليهم فيه وهي للعساكر الثقال وصوتهـا يسمع من ستين ميلاً وهذه صفتها) وهنا تأتي الصورة في الكتاب نفسه . وينتهي الكتاب بقوله وقد أكملت لك يا اسكندر مارغبت فيه على حسب ماشرطت ، ووفيتُ لك بكل ماحق لك عليّ الوفاء فكن به سعيداً موفقاً ان شاء الله تعالى .

---

(١) وذكر هذه الدائرة ابن أصيبعة في كتابه عيون الانباء طبع مصر ص٦٧ : (الدولة سلطان يحجبه السنة) وهو غير صحيح . وصوابه (تحيي به السنة) .

المجلد ٨ الجزء ١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٨م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٧ هـ ٩٦

اوضاع لغوية فنية

كانت وزارة النافعة سألتني عن كلمات فنية تقع في معاملاتها ويكثر تداولها بين عمالها . وقالت انها تضطر أحياناً ان تستعمل كلمات عامية او كلمات افرنسية : فهي تحتاج الى كلمات عربية تستغني بها عن هذه وتلك . وبعد النظر في هذه الكلمات الدارجة وضعتُ لها طائفة من الكلمات العربية الفصيحة وافقتْ الوزارة عليها وأذاعتها بين مستخدميها : ونحن ذاكروها تباعاً :

(Cylindrage) تستعمل هذه الكلمة الافرنسية في معنى تمهيد الارض وتسوية تضاريسها بآلة تسمى (Cylindre) وقد شاع بين العمال تسمية هذا العمل (بالحدل والتحديل) ويسمون الآلة (محدلة) فيقال مثلاً « على المقاولين ان يحدلوا الطريق الفلاني في خلال عشرة ايام فاذا تمّ حدله او تحديله بالمحدلة كان كذا وكذا » .

ولا يخفى ان قول الناس حدل الارض بالمحدلة عامي محض وهو مقلوب قولهم أحياناً دحل الارض بالمدحلة (اي بتقديم الدال على الحاء) . وكلمة (دحل) هي ايضاً عامية . ولكن يمكننا ان نهتدي بها الى الكلمة الفصيحة التي نحن في حاجة اليها :

ذلك ان قولهم (دحل) منحوت من كلمتين : من كلمة (دحا) ومن كلمة (أل) التي هي أداة تعريف : فان الناس كانوا يقولون (دحا الارض) (دحا الطريق) وكثر هذا في كلامهم حتى هُدوا أخيراً الى اختصاره بطريقة النحت فقالوا (دحل) فأخذوا الدال والحاء من (دحا) و (ال) من الارض او الطريق وركبوهما معاً فقالوا (دحل) اي دحا الارض وسوّاها وفي القرآن الكريم (والارض بعد ذلك دحاها) .

وهذا كما فعل مسلمو بلاد الهند في كلمة (زينل) علماً على بعض الاشخاص فانهم نحتوها من (زين العابدين) . وقال بعض اللغويين ان اسم (زينب) علماً للمرأة هو ايضاً منحوت من كلمة (زين ابيها) اي ان تلك الفتــاة المسماة زينب تزين اباها ولا تشينه . وهكذا قالوا في كلمة (اميرال) انها منحوتة من (امير البحر) وذهب بعضهم الى ان (اميرال) صيغة افرنسية على حد قولهم جنرال مار يشال كابورال الخ .

فنحن بدلاً من ان نستعمل فعل(حَدَلَ)او(دَحَلَ)وهو دخيل مولد لا يعرفه العرب الاقدمون نستعمل مكانه (دحا يدحو دحواً) بالواو على وزن صفا يصفو صفواً وحبا يحبو حبْواً . او (دَحَى يدحَى دحيا) بالياء على وزن (سعى يسعى سعياً) فنقول : « العمال يدحون (بضم الحاء أوفتحها) الطريق » مكان (يدحلون او يحدلون) . ونقول (ان العمال منهمكون في دحوِ الطريق او دحيِ الطريق) مكان دحلها او حدلها .

اما الآلة التي تستعمل في دحو الارض فنسميها (مِدحاة) على وزن (مرقاة) مكان كلمة (مدحلة او محدلة).

والحاصل اننا نقول (الدحو او الدحي) مكان (الدحل والحدل) ونقول (المدحاة) مكان المدحلة والمحدلة .

* * *

ومن ذلك ان مهندسي النافعة يشقون في الارض حفرة مستطيلة يملأونها بتكاسير الحجارة ويغطونها بالتراب ثم يدحونها بالمداحي حتى تصبح صالحة لمرور العربات عليها . ويسمى هذا الطريق في الاصطلاح شوسه (chaussé) .

اما تلك الحفرة المستطيلة التي تملأ حصى فاذا شقهــا المهنــدس على الصورة التي ذكرناها قالوا : انه فتح (قالب الطريق) او (صندوق الطريق) وفي الافرنسية (ouverture de la forme de la route) وكلمة (Forme) هنــا معنــاها (قالب) . فترجمة العبارة الافرنسية هكذا : (افتتاح قالب الطريق) وهو ما يقوله مهندسونا . ويقولون ايضاً (صندوق الطريق) كما مر . وبعضهم أراد ان يقول (مهد الطريق) مستعاراً من مهد الطفل . لكني بعد التأمل وجدت ان كلمات

(قالب وصندوق ومهد لها معانٍ في اللغة العربية بعيدة عن معنى الحفرة التي تملأ بالتكاسير · ولذا اخترت مكانها كلمة (قرار الطريق) · فنقول (ان المهندسين فحوا قرار الطريق وملأوه حصى ولم يبق الا دحوه بالمداحي) (اي دحله بالمداحل) كما تقول العامة · وكلمة (القرار) في اللغة معناها الارض المطمئنة التي يستقر فيها ما يلقى فيها ·

* * *

هذا ويقول المهندسون ايضاً : (ان العمال يكسّرون البحص) و (ملأوا قرار الطريق بالبحص) ويعبر الافرنسيون عن البحص بقولهم (Pierre cassé) فهل من كلمة عربية تقوم مقام الكلمتين الافرنسيتين وتغنينا عن كلمة (البحص) العامية التي لاوجود لها في معاجم اللغة وانما هي مقلوبة عن كلمة (الحصب) العربية الفصيحة ومعناها الحصى وصغار الحجارة · ومثل (الحصب) (الحصباء) ومنه (الحاصب) وهي الريح الشديدة التي تحمل التراب ودقاق الحصب · ويقال في العتاب (انت حاصب لاصاحب) · وعلى هذا فلنسقط كلمة (بحص) العامية ولنحي كلمة (حصب) الفصيحة · ونقول اذ ذاك (إن المهندسين فحوا قرار الطريق الفلانيـة وملأوها حصباً) (Pierre cassé) مكان قولهم (ملأوها بحصاً) ·

* * *

واذا شق المهندسون قرار الطريق أو اذا حفروا اساس البناء القوا فيهما تكاسير الحجارة او قطع الحجارة غير المنحوتة ولا المهذبة الأطراف وهي التي نسميها بلغتنا الدارجة (دبش) فهذه الحجارة المرصوصة في الاساس على الصورة المذكورة يسميها المهندسون باللغة الافرنسية (Blocage) وقد اخترنا لها من كلمات لغتنا العربية كلمة (رصف) بفتح الصاد وهي الحجارة المتراصفة التي رصف بعضها الى بعض ·

والمطرقة التي تدق بها تلك الحجارة تسمى (مرصافة) وفي حديث معاذ رضي الله عنه (ضربه بمرصافة وسط رأسه) اي بمطرقة ·

* * *

ثم ان حجارة الرصف بعد أن تلقى في قرار الطريق يقول المهندسون انهم فرشوها

ويعبرون عن ذلك بكلمتين افرنسيتين هما (Repandage de matériaux) اي بسط او فرش المواد الاولية من حجر ومدر لاجل دحوها بالمداحي ·

وقد اخترت في ترجمة تينك الكلمتين الافرنسيتين ان يقال : مدُّ العمال المواد ·

* * *

وبعد ان يمد العمال هذه المواد في قرار الطريق يغطونها بطبقة كثيفة من المدر اوالرمل اوالنحاتة اوالتراب ثم يأخذون في دكها ودقها بآلة يدوية يسمونها المدقة · والدق على هذه الصورة يسميه المهندسون بالافرنسية (Damage) ·

اما المدر والنحاتة والتراب الذي يمد فوق الطريق فيسمى بالافرنسية Remblais فاذا قال المهندسون : (Damage des remblais) ارادوا ان ذلك التراب والمدر دقّ بالمدقة دقاً متواصلاً حتى تراصّ واستحكم · وقد وضعنا لهاتين الكلمتين الافرنسيتين كلمة واحدة عربية وهي (الردس) يقال ردس الارض او الردم اذا دكه بشيء صلب عريض ·

ووضعنا كلمة (المرداس) للمدقة التي يردسون اي يدكون بها ذلك التراب او الردم ·

* * *

وشاع بينهم كلمة (طون Tonne) الافرنسية وهي ما يعادل نحو اربعة قناطير من الاثقال · ولو استعملنا كلمة (طون) نفسها في لغتنا العربية لما ضر ابداً : اذ انها لامسمى لها عند العرب حتى يضعوا لها اسماً · زد على ذلك انها ليست ثقيلة على اللسان ولا مستكرهة في السمع بخلاف اختها كلمة (طونولانه) ·

ومع استحساننا لكلمة (طون) لم نعان استعمالها بل راعينا اخواننا المحافظين الذين يكرهون تكاثر الكلمات الاعجمية في العربية — فعربناها بكلمة (طنّ) العربية ومعناها على مقربة من معنى (طون) الافرنسية :

ذلك ان معنى (طن) العربية حزمة القصب والعدل الذي يلقى على ظهر البعير بين عدلين فمعنى (الطن) العربية إذن جرم ثقيل يحمل · كما ان معنى (الطون) الافرنسية

مقدار من الاشياء يشحن وينقل . فاستعرنا كلمة (الطن) لمعنى (الطون) تفادياً من استعمال الدخيل ما دام يمكننا الاستغناء عنه بالاصيل .

* * *

واذا هيأوا ارضاً لتشييد بناء عليها اخذت عربات النقل تغدو وتروح فيها واليها فتحدث عجلاتها اي دواليبها في الارض حُفراً مستطيلة . و يسمي المهندسون هذه الحفر باللغة الافرنسية (Orniéres) والعمال العرب يسمونهـا (خواريط) وليس للخواريط معنى في اللغة العربية . ولعلها من قولهم (اخروّط بهم الطريق اذا امتد وطال) .

وقد رأيت ان استبدل « الاخاديد » (بالخواريط) والاخاديد الحفر المستطيلة في الارض . ولا يلزم ان تكون واسعة عميقة . هذه آثار الحبل في البئر ، وآثار السياط في الظهر ، تسمى أخاديد مع انها ليست واسعة ولا عميقة .

* * *

واذا التزم احد عملاً للحكومة كلفته ان يودع صندوقها مبلغاً من المال يبقى لديها بمثابة عربون تستحقه اذا لم يقم الملتزم بالعمل مستوفى الشرائط . ويسمى هـذا المبلغ باللغة الافرنسية (Cautionnement) ونحن في حاجة الى كلمة عربية تقوم مقام هذه الكلمة الاعجمية الشائعة على ألسنة المهندسين والمقاولين .

يقول بعضهم : ولماذا لا نستعمل كلمة (عربون) في ترجمة (cautionnement)

أقول : ان كلمة (عربون) اشتهرت في معنى آخر : وهو ان يشتري الرجل او يستأجر شيئاً ثم يعطي بعض الثمن او بعض الاجرة و يقول للبائع او المؤجر ان تم العقد حاسبنا والا فما معك من المال هو لك حلالاً طيباً .

فالعربون على هذا انما يكون في البياعات التي تقع عادة بين الافراد . اما مال الـ (cautiennement) فيكون بين الحكومة وبين الملتزمين . الا ترى ان للعربون كلمة افرنسية خاصة وهي (Arrhes) .

ويقول آخر : أليست كلمة (عربون) نفسها معربة عن اللغة الفارسية كما حققه الأصمعي فلماذا اذن لا نعرب كلمة (cautionnement) الافرنسية كما عربنا

كلمة (عربون) الفارسية ، فنقول (كسيون كسايين) كما قال اسلافنا (عربون عرابين) كأن اللغة الفارسية أشرف من اللغة الافرنسية حتى نستعير من تلك ولا نستعير من هذه ؟ ؟

اقول ان تعريب كلمة (كسيون) الافرنسية لا يكاد يقبله منا احد . اللهم الا نفراً من الافاضل قليل العدد . والاكثرون يفضلون التنقيب عن كلمة عربية تقوم مقامها و يرى بعضهم ان نستعمل كلمة (تأمينات) التي يستعملها الاتراك في مقامها وهي مصدر (أمن) فلاناً اذا جعله في أمن وعدم خوف على نفسه او ماله . والملتزم اذا ادى مبلغ « الكسيون » الى الحكومة يكون قد جعلها في أمن وعدم خوف على ضياع الوقت والعمل : اذ ان الملتزم مضطر أن ينفذ كل الشروط التي التزمها والا ضاع المبلغ عليه .

فكلمة (تأمينات) عربية في مادتها خفيفة الوقع على السمع في نغمتها . وكان لا بأس في قبولها واستعمالها لولا ان اكثر اخواننا اليوم يرجحون كلمة عربية غيرها اذا ظفرنا بها .

وعلى هذا اخذنا كلمة (ضمان مالي) او « ضمانة مالية » وترجمنا بها كلمة (cautionnement) الافرنسية .

* * *

ومن التراكيب التي تجري في معاملات وزارة النافعة قولهم مثلاً (على الملتزم ان يقوم بشروط الالتزام بصورة منتظمة ، وعلى العمال ان يقوموا بالاعمال بصورة منتظمة ، وعلى الملتزم ان يؤدي اجور العمال بصورة منتظمة) . وقولهم (بصورة منتظمة) هو ترجمة للكلمة الافرنسية الشائعة كثيراً على ألسنتهم ايضاً وهي (Régulièrement) ونحن وان كنا لا نستهجن استعمال قولهم (بصورة منتظمة) لكن غيرنا ربما استهجنه . ولذلك عدلنا عنه الى (بطريقة مطّردة) وان شئت فقل (باطّراد) فتكون أقصر عبارة . وألطف اشارة .

* * *

واذا أرادت وزارة النافعة انشاء بناء مثلاً أعلنت امره بين الجمهور فيأخذ كل من الراغبين في التزام العمل بتنظيم كتاب يضمنه الاعراب عن رضاه وارتياحه للقيام بالعمل . وانه يقنع بمقدار من الأجر أنقص مما يقنع به غيره . ولا يزالون في تقديم هذه الكتب حتى يصل البدل الى حد من النقصان لا يتجاوزه احد من الطالبين . فالكتاب الذي ينظمه طالب العمل يسمى بالافرنسية (Soumission) واصل معناها الخضوع والرضا والارتياح . ولا يخفى ان الكتاب المقدّم يتضمن كما قلنا اظهار الرضا والارتياح الى القيام بالعمل . ويظهر ان الكلمة الافرنسية مختصرة من كلمتين وهما (Soumission d'adjudication) لكنهم اصطلحوا على الاكتفاء بالكلمة الاولى منهما مريدين بها الكتاب الذي يتضمن طلب المناقصة . ولما أراد مهندسونا العرب ترجمة (Soumission) الى العربية قالوا (مكتوب المناقصة) وقد استحسنا ان نستعمل مكانها (طلب المناقصة) او يُكتفى بكلمة (طلب) كما اكتفى الافرنسيون بكلمة (Soumisrion) التي تفسر بالعرض والطلب .

* * *

وكما اكتفوا في الافرنسية بكلمة (Soumission) عن كلمتين . كذلك اكتفوا بكلمة (Soumissionnaires) عن كلمتين ايضاً . فان اصل معناها الراضون والمرتاحون ويعنون بهم اولئك الذين يقدمون طلبات المناقصة برضاهم واختيارهم . وقد ترجموا الكلمة الافرنسية المذكورة بكلمة (المناقصين) والأولى العدول عنها الى (الطالبين) اي مقدمي الطلب . وانما لم تعجبنا كلمة (المناقصين) لانه لا يوجد في لغتنا العربية فعل « ناقص» كما وجد فعل « زايد » لان أسلافنا العرب انما كانوا يتبارون في الزيادة وما كانوا ليتباروا في النقصان قط . ولكن (اعمال الانشاآت) في عصرنا اضطرتنا الى توليد فعل (ناقص) (مناقصة) (مناقصين) وهو توليد صحيح ويمكن ان نقول انه ايضاً فصيح . فكلمة (Soumissionnaires) نترجمها بقولنا (طالبي المناقصة) او (المناقصين) . وان اعترض معترض بان كلمة (المناقصين) ليست من الكلمات القاموسية قلنا له دونك مكانها كلمة (الطالبين) واكتف بها كما اكتفى الافرنسيون بكلمة (Soumissionnaires) .

وهؤلاء الطالبون اذا تم لهم التزام العمل و باشروه بالفعل ثم أخلّوا ببعض شروطه كلفتهم الوزارة إزالة ما كانوا أحدثوه في مكان العمل . ويسمى عملهم بالافرنسية (Soustraire les ouvrages) ويقول مهندسونا في ترجمة ذلك (هدم الانشاآت) ولكن الهدم انما يستعمل عادة في البناء وفي بعض الاحايين لا يكون ما يزيلونه بناءً . ومن ثمّ اخترنا مكانها كلمة (نزع الانشاآت) فان النزع كما يكون في البناء يكون في غيره من مثل انشاء ظُلّة او (صقالة) او غير ذلك .

«المغربي»

احتفال المجمع العلمي

« باستقبال الاستاذ سليم الجندي عضواً جديداً فيه »

أيها السادة الإخوان

كلما أضاف المجمع العلمي العربي اليه عضواً جديداً اغتبط وابتهج كمصرف أنشئ حديثاً كلما زاد رأس ماله اعتز وقوي ، وبقدر وفرة صلاته النافعة في القاصية والدانية يزيد مركزه المادي والمعنوي وثوقاً وإحكاماً . وما دام مجمعنا ينظر في اختيار القائمين به من الاعضاء الى الكفاءة والصفات الخاصة التي يشترطها ومن أهمها خدمة اللغة العربية وآدابها ، فلا خوف عليه من طفيلي يعبث بالغرض الذي أنشئ لاجله ولا من دعي ينتسب زوراً الى اهل العلم والأدب ويمتّ الى مجمعهم بأوهى سبب .

يسرُّ المجمع العلمي اليوم ان يضم الى جملته اخاً باراً بلغة أمته روّض نفسه منذ وعى عليها بالفضائل وفطمها الا عن الجد في استثمار الآداب وهام بحب العرب والعربية حتى انسى بعشقه كثيراً وجميلاً . رجلاً مشى مع الطبيعة في تربيته ومع الطبع في رويته وبديهيته وأعني به الاستاذ الجندي الذي نحتفل اليوم باستقباله ونجذل لانضمامه الى زمرتنا . فهو ولا جرم مثال التربية القديمة القويمة ممزوجة بافكار اهل العصر على نحو ما ينبغي للعربية ان تكون عليه من الاحتفاظ بقديمها والمراعاة لحديثها . ومن هضم ما تعلم قلّ ارتباكه في ما يقول ويروي ، وكلما قطع المرء من بسائط الحياة أشواطاً صحت مشيته وأمن عثرات العاثرين في الحاضرين والغابرين .

ولد السيد سليم بن السيد تقي الدين بن سليم افندي الجندي مفتي معرة النعمان في بلدة المعرة سنة ١٢٩٨ هجرية واقام فيها الى سنة ٣١٩ وفيها هاجر الى دمشق ويتصل نسب هذه الأسرة بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) خطاب الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في ذلك الاحتفال يوم ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٢ .

وجد الخلفاء وكانت تقطن في بغداد الى ان استولت التتار عليها وقوضت اركان الخلافة العباسية فيها فالتجأ احداجدادهم يوسف بن عبدالعزيز بن المستنصر الى قُنُق في نواحي الازد واقام ابنه عبدالله في مكة ثم خرج ولده شهاب الدين احمد الى دمشق فلبث فيها حولاً كاملاً ثم اقام في حلب سنة أخرى ثم ذهب الى قرية يقال لها بكفالون من اعمال سرمين في عمالة الشهباء فاستوطنها وتزوج فيها وذلك سنة ٨٦٨ فذهب هو وبنوه اليها وهذه اولية هذه الأسرة في سورية ولما كثرت رجالها تفرقوا في بلاد انطاكية فأقام فريق منهم في انطاكية وهم لايزالون فيها الى الان واقام آخرون في القصير من اعمال انطاكية وهم عدد كبير ثم ولد لاحمد من احفاد احفاد السائح المذكور ثلاثة بنين ذكور فسمي كل منهم محمداً ولقب الأول بوفا والثاني بالجوهري والثالث بالجندي جرياً على عادة تلك البلاد من تلقيب كل واحد بلقب من غير ان يكون له سبب . فسكن الاول في حمص وله ذرية فيها وفي حماة الى هذا اليوم . وسكن الثاني في ادلب وذريته مشهورة فيها الى الآن اما الثالث فبقي في بكفالون واعقب ولدين أحدهما احمدوهوجدالجنديين في حمص وثانيهماحسن وهوالذي هاجر الى المعرة في القرن الحادي عشر وله ذرية كبيرة فيها الى الآن وهذا البيت عريق في العلم والشعر والرياسة . تولى القضاء من ابنائه عدد كبير والفتيا فيهم متذقرنين تقريباً وتولى منهم أناس الفتيا في حمص ودمشق ايضا كما تولى فريق منهم من الحمصيين امارة حماة وحمص والمعرة ولهم وقائع مع الحكومة التركية والعربان المخيمة في تلك البقاع مشهورة مشهودة .

شدا عريق هذا البيت في المعرة معرة النعمان شيئاً من النحو والفقه الشافعي وجاء دمشق في ميعة الشباب فقرأ على كثير من فضلائها وعلمائها التوحيد والأصول والحديث والوضع والفقه الحنفي والفرائض وعلوم البلاغة وطرفاً من العلوم الرياضية والطبيعية والفلك .

ولم يتخرج في لأدب والشعر الا بأبي العلاء المعري : لأن والده كان يحضه على حفظ ابيات من شعر المعري منذ بلغ الثامنة من عمره ولذلك يوافق المعري في كثير من الاميال والمنازع حتى في التجافي عن ايلام الحيوان ولكنه يخالفه في اكل اللحوم والالبان .

ابتدأ في نظم الشعر في الثالثة عشرة من عمره وهو مقل منه وسأتلو عليكم الآن نبذة من شعره ·

وكتب مقالات جيدة في المقتبس والجامعة ومجلة الرابطة ·

وله من التآليف ديوان شعر صغير وكتاب واسع في النحو والصرف لم يتم وكتاب في العروض تام ورسالة في المنطق ومجلد جيد في تاريخ المعرة ، اطلعت على طرف صالح منه واستفدت منه فوائد جميلة ذكر فيه تاريخها قبل الاسلام وبعده وتوسع في الكلام على خططها وتراجم رجالها ووقائعهم وشعرهم وهو اليوم يعده للطبع وسيسد به ثلمة مهمة من تاريخ احدى امهات مدن الشام ويهدي لامته هدية لطيفة من ملح المعريين وشعرهم وادبهم ·

قلت ان صاحبنا لم يتخرج في الادب الا بابي العلاء تدارس شعره منذ كان طفلاً الى ان صار الآن في الكهولة فأثر فيه أسلوبه وكانت مادته اللغوية مستمدة من تلك المادة المعرية المنقحة وكان في اكثر ايامه اذا اسودت الدنيا في عينه قلب صفحتين من كلامه فتعزى وتأسى · ولقد انطبع هذا الجندي بطابع قائده حتى كاد يصاب في الحرب العامة بسويداء الشعراء لولا تسلية الهموم بانشاد قصائده وأنس روحه بروح المعري ترفرف عليها فتحييها وتواسيها في تلك الحقبة من الزمن التي كانت تستل فيها الارواح من الاشباح فيصاب الاحياء بسرسام يقرب من صرعة الحمام ·

ارأيتم كيف هاجر هذا المحتفل به من المعرة الى دمشق كتبت له الهجرة من لدنه لما استوفى ما عند فقهائها من مبادئ العلم والأدب · وإذ اراد الخالق سعادته وان ينشئ للامة عضواً نافعاً حمله الى عاصمة اكبر حيث انوار المدنية العربية والغربية اكثر انتشاراً وسبل العلم والمعارف اقرب منالاً فنفع في هذه النقلة وانتفع وان لم تكن دمشق الآن في الآداب كالمعرة في عهد ابي علائها ولا كحلب في زمن سيف دولتها ولكن الفسيلة الصالحة اذا نقلت من تربة الى أخرى ولو كانت الثانية أقل صلاحاً من الاولى نمت وتفرعت واورقت وازهرت وهذا ما وقع لفرع هذه الشجرة الجندية الزكية ·

واليكم الآن نموذجات من شعره ملتقطة من ديوانه المخطوط تُدخل السرور على قلوبكم والشعر صناجة الطرب في محافل الادب . فمنه :

لا تخدعنك عفة من عاجز · من كان يملك لقمة لا يسغب
سام القريض فلم يصبه فعابه · والشعر كالدنيا يعاب و يرغب

ومنه : قد يخطئُ الحمدَ المصيب وينثني · بالحمد غر وهو غير مصيب
واری الاضاحي مثل تركة ميت · فالكل منها آخذ بنصيب
بالفرض قد اخذ الغنيّ لحومها · والمفلس الاعصاب بالتعصيب

ومنه : بكت بجنها حين جاءت بانثى · وناحت عليها عقيب المماتِ
عليك فكل وان طال عهداً · سيلقى لعمري فراق الحياةِ
ففيم البكاء عليها ومنها · (ودفن البنات من المكرمات)

ومنه : تلبس بالتقى نفر غواة · وطال القول فيهم الحجاج
فلا تعجل بحمد الشيْ حتى · تبين لك المآزق والفجاج
فقد تتشابه الامواه شكلاً · وفيها العذب طعماً والأجاج
ألست ترى المنارة ذات عدل · بظاهرها و باطنها اعوجاج

ومنه : قالوا لقد ذم قوم حالة غبرت · وآخرون أطالوا الحمد والمِدَحا
فما عساك ترى فيها فقلت لهم · لا يمدح السوق الا من به ربحا

ومنه : فما بال سعدى أصلح الله حالها · تجازف في حكم الهوى وتسدد
وتزعم ان الحق ذلك كله · وان قيل هل من حجة تتردد
صدقت وصدقنا فما بال معشر · يقولون ان الحق لا يتعدد

***

وقال : اعمل لكي تبقى حديثاً حسناً · واحذر تقلب الزمان المعتدي
وكف عن إساءة الناس يداً · ولا تكفن يداً عن مجتدي
اني رأيت الخير والشر معاً · كلاهما يكون في كف اليد
ولا تؤخر عمل اليوم الى · غد فما تعلم ما ذا في غد

« في الهجاء »

شبت على شر وشبت على اذى   وقد كنت شؤماً في بطون الولائد
فان جاء منك الخير يوماً لعلة   فلله في الاشياء خرق العوائد

« فيه من قصيدة »

وكيف تذمني و لريح قولي   اذا عصفت وعرضك من رماد

ومنه : ولا تعص النصيح فرب نصح   تخالفه تسوء به مصيرا
وكم لاقى جذيمة من هوانٍ   من الزباء حين عصى قصيرا

« الشعر »

حمد القبيح على القبيح فلا تحف   واعجب لاحكام القضاء ولا تُخِف
لله في الذهب النقي سريرة   تلوي العيون عن العيوب فلا أُسف
فكأنما هو من أشعة رونتجن   وعيون باذله كأجسام نشف

ومنه : من يعيه الفخر لا يفخر بمنبته   فتربة القصر منها تربة الجدف (كالجدث)
والمسك يعبق في كل البقاع وما   يصغر الدرَّ أن الدرَّ في الصدف
فليجهد النفس من يبغي لها شرفاً   وليسر للمجد مسرى البدر في السُدَف
ولا تغرنه الدنيا بزخرفها   فانما الناس للأقدار كالهدف

ومنه من قصيدة :

اذا لغط المحدث جازعما   يليق به الى ما لا يليق
ومن لم يتخذ ذيلاً قصيراً   فذلك بالعثار به خليق
فأكثر او اقل فأنت اما   اسير من لسانك او طليق

ومنه : ما للفتى يسدي الجميل فينثني   عنه بالسنة حداد يسلق
ويحار بالقدر الحجى فبرء   في السجن موثوق وجان مطلق
والجدّ تحجبه العقول كأخوة   بالجدّ باب الارث عنها يغلق
أنفق لتبلغ حاجة حاولتها   فالصوم من قبل الزكاة معلق

ومنه : اذا حُمّل المرء ما لا يطيق   تكلم قسراً بما لا يليق
وان البخار يشق الحديد   اذا مسه منه ضغط وضيق

ومن قصيدة على أثر الانقلاب التركي يخاطب بها السلطان :

ونحن القوم قد عشقوا المعالي فبلغنا بحكمتك الوصولا
وما كان الخمول لنا بخلق ولكنا تكلفنا الخمولا

ومنها : فلا يعطفك عن حق حنان مخافة ان تيتم او تعيلا
فمن خاف الهلاك على صحيح بعدوى يبتر العضو العليلا
وملك لا يُقام له اساس على عدل حري ان يزولا

ومنها : وددنا لو تصان لهم نفوس ويأبى الله الا ان تسيلا
ومن سلت يداه سلاح بغي جدير ان يكون به قتيلا

ومنها : قالت امامة ان الارض دائرة وأيدت ببراهين مسائلها
فقلت قدصدقت هذي الفتاة بما قالت وان كنت لا ارضى دلائلها
لكن رأيت سفال الناس قدرجعت أعاليا وأعاليها أسافلها

ومن قصيدة :

كل امر نقول نفسي ذا ما كان قبلاً رأيت عقلي يقول
كل شيء تراه عيناك في الدهر حديثاً على قديم دليل

ومنها: تباركت تغدو الماطرات على الربى وتمضي بما فيها الى الوهد والهجل
هو الحظ: لا يجدي البلاء فعاطل جبين فتاة والخلاخيل في الرجل
وما سمت قط الدهر رتبة ناقص لعلمي ان الجيد ينقص بالحجل

ومنها : فياليت رزقي مثل رزئي كثرة و ياليت رزئي مثل رزقي في القل
ولكن صروف الدهر فيما علمته تنوب على قدر النباهة والعقل

من قصيدة طويلة يرثي بها عالماً :

اذا ما افاد الجهلُ فهو فضيلة وعلم : وعلم لا يفادُ به جهل

ومنها : ابم الجبان وكلٌّ في غريزته حب الحياة ففيم اللوم والجدل
وكل شيء له من مثله بدل الا الحياة فما يلفى لها بدل

ومنها : لا تعذُل الحر في ايام محنته فان عذلك فيها محنة جلل
والمرء يجهل والايام مدبرة اي المسالك فيها يُتقي الخلل

وكيف يأتيك بالافعال تحمدها | وكل أفعاله في عينه زلل

في كتاب تعزية كتب بالمداد الأحمر :

خطب أذاب فؤادي فاستحال به | دمعاً وغادرني لحماً على وضم
وقد كتبت به حزني لأخبركم | اني أخط اليكم لوعتي بدمي

ومنه : اذا فكر الانسان الى لسانه | عدواً له يجني عليه بما يجني
فان هو لم يطلقه ابقاه مطلقاً | وان هو لم يسجنه القاه في السجن
ومن لم يكن من نفسه «وهو آمن» | على حذر لاقى شجوناً من الشجن
ومن بات من بأس الاجادل آمناً | اصاب عناءً من مخالبها الحجن
تحط بنا الايام وهي ركابنا | وتسري بنا في كل مُعْرَنْزَمٍ تجن
وتأبى الليالي ان نقيم كأنها | تخاف علينا بالبقاء من الأجن

ومنه : يا حامي الملك من عاد يساوره | لا تأمنن من عدو فيه مستتر
انلامس الوتر قلب الملك أفسده | حتى يُنال من الاشياع والعتر
فاحرص على الملك حتى لا يزنه | فالملك دائرة والوتر كالوتر

* * *

هذا نموذج من شعر رفيقنا الرفيق ، اما نثره فطبقة جيدة وقد نشر طائفة صالحة منه في المجلات والصحف السيارة ، واذكر من مقالاته ماكتبه في المقتبس في اصلاح الأغلاط تحت عنوان « إصلاح المنطق » وفي مجلة الرابطة محاضرة « في الشعر العربي وأطواره » وترجمة المعري ومقالات « تهذيب الألفاظ » الى غير ذلك من النقدات التي تدل على مبلغه من تبطن أسرار العربية وشغفه بخدمتها ، وتفانيه في سلامتها ، الى ما هنالك من جودة نظر وحسن مأتى . ومن كانت هذه صفاته كان جديراً بان تحب النفس استماع كلامه مباشرةً فأرجو منكم انتنصتوا معي لاستماع مايتلوالآن علينا والمثل العامي يقول « يا حلا من فمك احلى » .

انعاش اللغة

ان المهمة الملقاة على عاتق رجال العلم اعظم مما يقوم باعبائه اقطاب السياسة وابطال الحروب ومن شاكلهم ممن لم ضلع في اعلاء شأن الامة ؛ لأن هؤلاء قد ينهضون أمة الى مستوى السعادة ولكنهم لا يعدمون ذاماً في الحال وذماً في المآل هذا اذا اتيح لم ان يبلغوها ساحل السلامة ولم يطوحوا بها في مهواة من الدمار والبوار تجعلها كأمس الدابر وفوق هذا فانهم لا يستطيعون احياء أمة الا باماتة غيرها اما الاولون فانهم يبنون لها صروحاً من المجد الشامخ والشرف الباذخ على أسس السلم ودعائم العلم ويتوخون لها اصفى الموارد واقوم المسالك فتحيا ويحيا غيرها معها والفرق بين الفريقين عظيم ٠

واذا اضفنا الى ذلك ان اللغة نموذج يمثل من الامة حسبها التالد وشرفها الطارف وعنوان يدل على مبلغها من الحضارة والرقي وتاريخ ينطق بمفاخرها اتضحت لنا باجلى وجه منزلة المجامع العلمية ودرجة الاعمال الموكولة الى رجالها ٠

أبه الغربيون الى مكانة اللغة وتأثيرها في الهيأة الاجتماعية فاخذت كل أمة منهم تفرغ ما في وسعها لاحياء لغتها ونشرها في البلدان القاصية والارجاء النائية فكانت اعظم داعية للفتح وانجح وسيلة للاستعمار فقد كانت تستميل بها الأبصار الى مدنيتها الزاهرة وتسترعي الأسماع الى مآثر ابطالها وانجادها وتستهوي الافئدة الى التشبع بآدابها وعاداتها وكان لها من الاثر في انسلاخ الضعيف من قوميته ونزوعه الى الاندماج في القوي مالم تغن الجيوش الكثيرة العدد والعدد غنائه وما يغنينا عن الأطالة فيه ما نشاهده اليوم في كثير من ابنائنا بعد ان كان آباؤنا بالامس يشاهدونه في ابناء غيرهم من الامم الضعيفة ٠ ولقد اتى على العرب حين من الدهر لم تكن فيه أمة من الامم لتشق غبارهم في العناية بلغتهم حتى بلغت ما بلغته من السعة والاستفاضة بين اقصى الصين والجزائر الخالدة في اسرع من لمح البصر وقد كانت تسير في ذلك العهد مع

(١) الخطاب الذي ألقاه الاستاذ السيد سليم الجندي يوم انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي ٠

المدنية العربيـة جنباً لجنب وكتفاً لكتف وترتقي في معارج الحيـاة على قدمي الحضارة والعلم ·

ومن رجع بصره الى ما ابقت الايام من التاريخ والفهارس واحاط علماً بما الف فيها من المعاجم والموسوعات وكتب البلاغة والأدب والنحو والصرف والمقصور والممدود والكنايات والاضداد والعروض والقوافي والاشتقاق وآداب الكتاب وتهذيب الالفاظ وماماثل ذلك مما تتعذر الاحاطة به — علم مبلغ عنايتهم بها واهتمامهم باعلاء شأنها ·

ثم لما دالت الأيام بالعرب وقلب لهم الدهر ظهر المجن اخـذت في الانحطاط تبعاً لهم لأن اللغة من الامة بمنزلة الظل من الشخص تتبعها في الامتداد والارتقاء واضدادهما وقد زادها ضغثاً على إبالة تغلب الأعاجم على العرب قروناً كثيرة فسهل ذلك تسرّب العجمة والرطانة اليها حتى افسدت جوهرها وقطعت اوصالها وذهبت برونقها ونضرتها وضربت فيها بفرق ذي اشب ثم اصبحت على تعاقب الايام غريبة في اهلها وآل امرها الى ما نعلم ونرى ، غير انها لم تعدم في كل عصر ومصر من يعنى بتعهدها والاحتفاظ بالبقية الباقية من ذمائها حتى قيض الله لها من ابناء هذا الجيل فريقاً شعروا بالواجب فعمدوا الى بعثها من مرقدها ونفثوا في روعها روح الحياة الجديدة فنهضت من كبوتها واخذت تنفض عنها غبار الهجر وصدأ الاهمال ولكن طول الفترة اعوز القائمين بهذا العبء الثقيل الى اعمال جمة لا يمكن ان تنال الا اذا تضافرت الامة بأسرها على تذليل كل صعب وازالة كل عقبة في سبيل الغاية المنشودة · وهذا امر بعيد المنال لغلبة الجهل في ابناء الأمة واضمحلال الاواصر الواصلة بينهم وبين اللغة واختلاف اهوائهم ومنازعهم ، الا ان هذا لا يجب ان يكون داعياً الى الاستسلام الى اليأس ولا حاملاً على الاخلاد الى الدعة والخمول ·

ويلوح لي ان خير وسيلة تضمن انعاش اللغة وسيرها مع مدنية العصر الحاضر وتحفظ جوهرها من تسرب الخلل اليه · ان تنقح من شائبة العجمة والركاكة وان لا يصار الى الدخيل او العامي الا عند العجز عما يرادفهما من الفصيح لان التسامح في استعمالها يفضي الى افساد اللغة وتكثيرها بغير فائدة والتباس الفصيح بغيره وانتشار الفوضى فيها والدليل على ما ذكرناه من وجوه :

منها ن الكلمة اذا كانت موضوعة لمعنى بالوضع العربي ثم تداولت العامة كلمة أخرى تدل على ذلك المعنى فاما ان نقول بجواز اللفظين معاً فيكثر سواد المترادفات وهذا ما يأباه البلغاء في هذا العصر و يسعون للتخلص منه ، واما ان نهمل العربي العريق في العربية ونحتفظ بالعامي وهذا لا يرتضيه من ضرب بسهم في العلم لانه يستلزم ان يزال المعنى الصحيح من المعاجم والكتب حذراً من اللبس واستعمال المهجور وان يبطل الاحتجاج به و ينقض كل ما بني عليه من ضروب البلاغة والمحسنات في النظم والنثر و يستلزم فوق ما تقدم ان يتعدد الوضع في كل مصر وإقليم . ومثال ذلك ان لفظ البلبل مثلاً يطلق في عرف الدمشقيين على الدوامة وهي الفلكة يلف عليها الصبي خيطاً ثم يطرحها على الارض فتدور واهل المعرة يسمونها (الصياح) فاذا قلنا بجواز استعمال الألفاظ الثلاثة وقعنا في الترادف وتعدد الوضع ، وان قلنا بجواز الاول دون الاخيرين او الثالث دون الاولين فهو تحكم محض وترجيح بلا مرجح ويترتب عليه زيادة معنى آخر للبلبل والصياح لم يكن لهما في اصل الوضع ولا أثبت في مظانه من كتب اللغة حتى يعلمه غير الدمشقي والمعري مثلاً فلم يبق غير التمسك بالفصيح الصحيح لعدم ترتب شيء من المفاسد المذكورة عليه ، ويقال مثل هذا في الدخيل و يزاد عليه ايثار الأعجمي على العربي لغير علة ظاهرة ولا حكمة مدركة .

ومنها اننا اذا أضفنا هذه الألفاظ الجديدة الى ما في المعاجم اختلط الحابل بالنابل وعسر تمييز الفصيح من غيره وما عربته او وضعته العرب مما عرب به او وضعه غيرها وهذا لا يستلزم ان يكون الكلام فصيحاً او بليغاً لفقد شرط الفصاحة والبلاغة فيه وهو الوضع العربي ولو أردنا ان نشير عند كل لفظ الى واضعه لخرج الامر عن حد الإحاطة به .

ومنها ان الشعر القديم مادة اللغة وأساسها ومحكها وقسطاسها ولو تسامحنا باستعمال الدخيل واخيه لأدى ذلك بعد قليل الى هجر اللغة القديمة والاستغناء عنها باللغة الجديدة لان النفوس نزاعة الى إطراح ما فيه كلفة والاعتصام بالقريب السهل وهذا يفضي الى محو اللغة القديمة والقضاء على الآداب العربية بجملتها لانها مبنية على هذا الأساس .

وهنا وجوه كثيرة ضربنا صفحاً عن ايرادها خشية السآمة والملل ٠

ورب معترض يقول ان هذا التكليف يستلزم استعمال الكلمات الوحشية ويكون عقبةً كؤوداً في سبيل العلم والأدب لان الكاتب والمؤلف مثلاً اذا حاول العدول عن كلمة أعجمية لا يعرف مرادفها من العربي اضطر الى وقت طويل وعمل جزيل حتى يجد ضالته وهذا يحول بينه وبين إتمام ما شرع فيه او يؤخره عنه وربما لا يجد بغيته على الرغم مما يصرفه من الجهد في البحث والتنقيب ٠

والجواب على ذلك :

اولاً ان الوحشة التي نجدها في بعض الكلمات لم تجيء الا من طول هجرها وانقطاع المواصلة بيننا وبينها ولو تداولتها الألسن ردحاً من الزمن لزالت عنها تلك الوحشة وأصبحت خفيفة الوقع على اللسان والسمع والدليل على هذا ان الكلمات التي أرشد اليها هذا المجمع الموقر مثل الجواز والفسح والمرأب والحارة والران والمعطف والكمة والبيان ونحوها كانت تعد وحشية غريبة فلما صقلتها الألسن والاقلام مدة يسيرة أنست بها النفوس اكثر من مرادفاتها الأعجمية وما إخال ان احداً يقول ان لفظ البسابورط والباص والكاراج والميقروفون والطيارات والبلهرين والقالبق والعلم وخبر أخف وقعاً ولا اكثر انساً ولا اوفر رشاقة من لفظ الجواز والفسح وما عطف عليهما ٠

ثانياً : انا لا ننكر ان فيما اسلفنا شيئاً من الحرج ٠ ولكن البناء على اساس صحيح مهما كان فيه من الكلفة خير من البناء على اساس فاسد لا كلفة فيه لأن البناء على الفاسد فاسد ٠

ثالثاً : ان الباحث لا يجب عليه ان يجد بل يجب عليه ان يبحث ٠ فاذا لم يجد حاجته او ما يقاربها لجأ الى الدخيل او العامي ونزل فيها على حكم الضرورة ولا يتسنى للغة ان تستعيد مجدها الا اذا كثر الباحثون ٠ ولو اتيح لهذه الامة ان يكثر فيها المتعلمون الشاعرون بمكانة اللغة في المجتمع البشري وينهجوا في احيائها على قاعدة توزيع الاعمال فينقب الطبيب مثلاً عن اسماء العلل والامراض والمفردات والتاجر عما يحتاج اليه في تجارته والصانع عما يختص بحرفته والعالم والمؤلف والشاعر والكاتب عما يفتقر اليه كل منهم لنهضت في وقت قصير الى مصاف اللغات الحية ٠

ولكن الايام جعلت كلامنا كلاً على اخيه يتوقع النجح منه حتى اصبحنا كلنا عالة على غيرنا ولم تدع لنا بارقة من أمل الا في هذا المجمع الموقر ٠

على اننا اذا نظرنا الى سير اللغة في البلاد السورية بعد جلاء الترك عنها وما قطعته من الاشواط البعيدة في بضع سنين رأينا امامنا فسحة من الآمال تبشرنا بمستقبل زاهر ولهذا لا يجدر بنا ان نفتر عن العمل ولا ان نحتقر شيئاً منه مهما كان قليلاً فان السيل العظيم يتألف من قطرات صغيرة واللينة تخرج من نواة ، ورب همة احيت أمة ٠

اهم ادوائنا

« الاقتصادية وتلافيها[1] »

لئن أجمع العالم على ان المال هو كل شيء في عصرنا هذا فلا عجب وقد وصفه الشاعر العربي من قبلُ بابيات مشهورة منها البيت الذي لا يجهله انسان :

فهو اللسان لمن اراد فصاحة وهو السلاح لمن اراد قتالا

ولا يظن احد ان شاعرنا بالغ في وصفه شأن الشعراء في قصائدهم فالشعوب لا تستقل والمدارس لا تفتح والعمران لا يتسع والحضارة لا تزدهر الا بالمال ٠ وقد بالغ كثير من الكتاب وارباب السياسة فحكموا على الامم الفقيرة بالموت لانها لا نشب لها او لانها لا تعرف معالجته وتنميته ، فهي ابداً مستضعفة لا حول لها ولا قوة فسبيلها إذن الفناء ٠ وعلى الذين هانت في اعينهم الامور المادية فحقروها واستصغروا شأنها ذاهبين الى ان الانسان ينبغي له ان يترفع عن المادة وان يستهدف المثل الاعلى والهدف الاسمى وغير ذلك من مستملح الالفاظ ، قلت على هؤلاء ان يكونوا على يقين من ان الامم والشعوب لا تعيش من الاغتذاء بالزهد والوهم والخيال وطائرات الارواح وسابحات الملائك وجِنة عبقر ، وان اجدادنا العرب لم يوطدوا الملك

(١) أُلقيت في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق في ٣ شباط سنة ١٩٢٨ ٠

ولكن الايام جعلت كلامنا كلاً على اخيه يتوقع النجح منه حتى اصبحنا كلنا عالة على غيرنا ولم تدع لنا بارقة من أمل الا في هذا المجمع الموقر .

على اننا اذا نظرنا الى سير اللغة في البلاد السورية بعد جلاء الترك عنها وما قطعته من الاشواط البعيدة في بضع سنين رأينا امامنا فسحة من الآمال تبشرنا بمستقبل زاهر ولهذا لا يجدر بنا ان نفتر عن العمل ولا ان نحتقر شيئاً منه مهما كان قليلاً فان السيل العظيم يتألف من قطرات صغيرة والالينة تخرج من نواة ، ورب همة احيت أمة .

اهم ادوائنا

« الاقتصادية وتلافيها[1] »

لئن أجمع العالم على ان المال هو كل شيء في عصرنا هذا فلا عجب وقد وصفه الشاعر العربي من قبلُ بابيات مشهورة منها البيت الذي لا يجهله انسان :

فهو اللسان لمن اراد فصاحة وهو السلاح لمن اراد قتالا

ولا يظن احد ان شاعرنا بالغ في وصفه شأن الشعراء في قصائدهم فالشعوب لا تستقل والمدارس لا تفتح والعمران لا يتسع والحضارة لا تزدهر الا بالمال . وقد بالغ كثير من الكتاب وارباب السياسة فحكموا على الامم الفقيرة بالموت لانها لا نشب لها او لانها لا تعرف معالجته وتنميته ، فهي ابداً مستضعفة لا حول لها ولا قوة فسبيلها إذن الفناء . وعلى الذين هانت في اعينهم الامور المادية فحقروها واستصغروا شأنها ذاهبين الى ان الانسان ينبغي له ان يترفع عن المادة وان يستهدف المثل الاعلى والهدف الاسمى وغير ذلك من مستملح الالفاظ ، قلت على هؤلاء ان يكونوا على يقين من ان الامم والشعوب لا تعيش من الاغتذاء بالزهد والوهم والخيال وطائرات الارواح وسابحات الملائك وجِنة عبقر ، وان اجدادنا العرب لم يوطدوا الملك

(١) أُلقيت في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق في ٣ شباط سنة ١٩٢٨ .

و يسوسوا الشعوب و يصنفوا في العلوم ويفتحوا المدارس و يوسعوا على العلماء الا بالمال الذي كان يفيض في خزائن خلفائهم وملوكهم وامرائهم تلك سنة من سنن العالم تتجلى لنا في القرن العشرين باروع مظاهرها لا سيما في اميركا واوربا . ولست ادعو في ما اقول الى ترك البحث في الامور المعنوية والاخروية بل غايتي التنبيه الى لزوم الكد في تحصيل المال باساليب ومحاكات مادية تقع تحت الحس ويقرها العلم . فالزهد لا يعول عليه كما قال الامام الشيخ محيي الدين بن عربي في رسالة (ما لا يعول عليه) وكذا الاكتفاء بالاتكال والاستمداد من اصحاب الكرامات والتوسل بالوسائل التي ينكرها العلم و ينبو عنها العقل .

* * *

في بلادنا ادواء كثيرة جمة منها الزراعي والتجاري والصناعي . ومنها ما بقدرة الافراد تلافيه وآخر يعود النظر فيه الى الحكومة . فمن الأدواء المزمنة العُشر في الزراعة ومن التي هي احدث عهداً معضلة المكوس التي يتناول ضررها جميع طبقات الشعب . ومن الادواء القديمة والحديثة بعض الشركات الاجنبية وطرائق تملك الارض وتوزيعها بين طبقات الشعب وأهم الجميع تجاوزنا في الانفاق حد الاعتدال الى الاسراف . وسأوجز البحث في بعض هذه الموضوعات المهمة على قدر ما تسمح به الساعة الواحدة التي خصصت لمن يحاضر في ردهة مجمعنا مع العلم بان الابحاث المذكورة تملأ كتاباً برأسه .

«العُشر» = . على الارض الاميرية في يومنا هذا ضريبتان احداهما تابعة لقانون ٧ رمضان ١٢٧٤ وقدرها ٤ في الالف من ثمن الارض والثانية اعظم شأناً واكبر تأثيراً في زراعة البلاد ، وهي العشر اي استيفاء عشرة في المائة من محاصيل الارض غير الصافية يضاف اليها اثنان ونصف باسم المعارف والمصرف الزراعي . اما الارض المملوكة وهي قليلة جداً فصاحبها لا يدفع العشر من غلاتها بل يدفع عشرة في الالف من ثمنها في كل سنة .

وضريبة الارض في ذاتها مشروعة تماماً لانها ترتكز على القاعدة الآتية وهي ان الارض ملك للعامة . فاذا استغلها الأكار ناله منها نفعان اولهما يعزى لرأس المال والثاني للارض نفسها . فعليه إذن بان يدفع لخزانة العامة (اي لبيت المال) قسماً من

الفائدة المنبعثة عن الارض وهذا القسم هو ضريبة الارض التي عدلت فسميت عشراً وخراجاً وغيرهما وهي في الحقيقة شبيهة باجرة يدفعها مستغل الارض للجماعة . يتضح من ذلك انه ليس من المعقول ان ينكر احد على الحكومات الزام الاكارين بضريبة الارض وأن ما يستنكر هو كيفية وضع هذه الضريبة وطرائق جبايتها خاصة . واذا القينا نظرة على تاريخها نجد انها كانت توضع على اشكال شتى تبعاً لتطور الزراعة بتقدم المدنية . فمن هذه الاشكال جعل الضريبة ثابتة لا تتبدل الا حسب وسعة الارض دون نظر في العوامل الاخرى كدرجة خصب الارض ونوع غراسها وزروعها ومياه الاسقاء ومقادير الامطار وغيرها فمن كان له جريب يلزم بدفع كذا من المال ومن له جريبان يلزم بضعفيها وهكذا . اننا ندرك بسهولة ما في هذا الشكل من الخطأ وانه ما كان متبعاً الا في العصور القديمة في كل بلاد اتسعت ارضها وقل سكانها وتكافأت فيها وسائل استغلال الارض وحقُرَ رأس المال الذي تستغل به .

ومن الاشكال الاخرى جعل الضريبة تتبدل بتبدل نوع الارض أي درجة خصبها وإغلالها كأن تقسم الارض ثلاثة اقسام فتوضع على كل قسم ضريبة ثابتة يختلف مقدارها باختلاف انواع الارض الثلاثة وهذا الشكل يرجح على الاول وهو الذي فرض فيه على الارضين كافة ضريبة متساوية .

وثم شكل ثالث وهو وضع ضريبة الارض على كل محراث او كل فدان من البقر او على كل شجرة من الاشجار المثمرة . وهذا الشكل يتبع في بعض البلاد في يومنا هذا كمصر والعراق مثلاً حيث فرضت على نخلة ضريبة ثابتة . وليس هذا الشكل رديئاً في كل بلاد لاتزال زراعتها في اطوارها الابتدائية اوخطت الى الامام خطوات قليلة . لان ربع الفدان او السكة في هذه الحال يكون واحداً تقريباً لدى مختلف الزراع . اما في البلاد التي يتذرع صاحب الارض فيها بوسائل الفن الحديثة فهذا الشكل لايكون عادلاً لاختلاف تلك الوسائل واختلاف الريع معها .

والشكل الذي يهمنا البحث فيه هو العشر اي الضريبة التي تفرض على محاصيل الارض غير الصافية . ولقد كان هذا الشكل متبعاً في كل البلاد المتمدينة اليوم الى ان تقدمت الفنون الزراعية فعُدِل عنه الى الشكل الاقرب من المنطق وهو فرض الضريبة

على ربع الارض اي محاصيلها الصافية . ومما يعرفه كل مستنير من ارباب الفلاحة ان وضع ضريبة على المحاصيل غير الصافية هو اعظم ضربة على الزراعة واكبر حائل دون تقدمها : ذلك ان الفلاح الذي يبتاع الآت حديثة وحيوانات عوامل قوية ويسمد الارض ويصلحها ويحفر القني ويشيد ابنية للعمال الى غير ذلك من الاعمال الزراعية المفيدة يضطر الى انفاق مال كثير حتى ان فائدة رأس المال واطفاءه قد يبلغان ثلاثة ارباع غلة الارض او اكثر . اما الفلاح الذي يكتفي من الاعمال بحرث الارض حرثاً سطحياً ونثر البذار باليد وحصد الزرع بالمنجل ودرس الحصائد بالنورج — اي الفلاح الذي يسير باعماله على الطريق التي كان يسير عليها الانسان منذ آلاف من السنين فان نفقاته تكون قليلة حتى ان فائدة رأس ماله الصغير واطفاءه قدلا يبلغان ثلث غلة الارض او نصفها . ومن البديهي ان غلة ارض الاول ربما بلغت ضعفي غلة ارض الثاني او ثلاثة اضعافها لكن محصول الاثنين الصافي اي الربع يكاد يكون واحداً ذلك ان الاول اذا استغل من الفدان ما ثمنه ٦٠٠ قرش مثلاً فهو ينفق ثلاثة ارباعها للحصول عليها فيبقى له ١٥٠ قرشاً اما الثاني فاذا استغل في تلك المساحة ما يساوي ٢٠٠ قرش فهو لاينفق الا نصفها او اقل من النصف فيبقى له ربع يبلغ مائة قرش او اكثر . يتضح اذاً ان ربح الذي يتبع قواعد الفن في زراعته لا يزيد الا قليلاً على ربح الفلاح الجاهل . فاذا استوفت الحكومة عشرة في المائة من محاصيل كل من الاثنين غير الصافية بلغ ذلك العشر ٦٠ قرشاً عن الشخص الاول و ٢٠ قرشاً عن الثاني . فالستون قرشاً اذا قيست بمار بحه الاول وهو ١٥٠ قرشاً بلغت ٤٠ في المائة . اما العشرون قرشاً فهي اذا قيست بما ربحه الثاني وهو ١٠٠ قرش لم تزد على ٢٠ في المائة . وهنا بيت القصيد . وهذه هي النتيجة التي اردت بلوغها وهي ان طريقة العشر من افسد الطرائق لان الفلاح الذي يكدُّ وينفق ويسير بمقتضى قواعد الفن تتقاضاه الحكومة ٤٠ في المائة من محصول ارضه الصافي اما الفلاح الخامل الذي يعمل باقل كد وادنى كلفة فهو لا يطالب باكثر من عشرين في المائة من ذلك المحصول الصافي في ارضه : ومعناه انه بقدر ازدياد جهد الفلاح وإنفاقه في اصلاح الارض وعمارتها تزداد نسبة ما تتقاضاه الحكومة من ربعها والعكس بالعكس ، فلا عجب اذن ان

يرجح كثير من ارباب الزراعة اتباع الاساليب القديمة في استغلال ارضهم وان يقال ان العشر من اكبر الاسباب التي تحول دون رقي الزراعة وتقدمها في بلادنا ٠

وللعشر مضارٌ أخرى مهمة وهي صعوبة جبايته ٠ فقد حارت الحكومات المختلفة كيف تجبي هذه الضريبة اي كيف تصل الى معرفة مقدار الغلة في ارض كل زارع حتى تستوفي العشر منها ٠ فان اوجدت لجاناً غرضها تخمين الغلات فقد يظل المخمنون او يتعمدون الخطأ أحياناً فيظلم الفلاح اذا جاء التخمين فوق الحقيقة والا فيخسر بيت المال ٠ واذا باعت الحكومة العشر بالمزايدة العلنية من الراغبين فيه فهم لا يُقدمون الا على (التزام) قرى الفلاحين فيظلمونهم بوسائل شتى دون ان يجسروا على الزيادة في عشر قرى الوجهاء ٠ فيكون الضرر مزدوجاً على الفلاح وعلى بيت المال معاً ٠ ناهيكم بما في هذه الطريقة من الأضرار السائرة كتعريض الحصائد في البيادر للنهب والحريق وكعدم إمكان درسها في حينه واضطرار الفلاح الى تدارك مايحتاج اليه من الحب باغلى ثمن ، كل ذلك انتظاراً لانتهاء اعمال المزايدة وقدوم صاحب العشر ٠ وهذا الأخير يربح من بيت المال ومن الفلاح بل يضر بكليهما حتى كأن العشر في كثير من القرى ضريبة وضعت لفائدة المتغلبة ٠

ومن أغرب أضرار هذه الضريبة في البلاد التي لا تصلها بالعالم المتمدين سكك حديدية او مراكب بحرية ، انه اذا أجدبت الارض لانقطاع المطر في احدى السنين زاد ثمن الغلات بنسبة تفوق نسبة النقص في مقدار تلك الغلات ولهذا لا يستبعد ان يزيد ثمن العشر في سنة كهذه عليه في سنة لاجدب فيها ، فتجبي الحكومة في سني الجدب اكثر مما تجبيه في سني الخصب والخير وكأن المحل يفيدها ولكن ربما يقضي على الفلاح وسائر الاهلين وتصبح الارض بائرة ٠

ومن وسائل جباية العشر الطريقة التي يسمونها (التربيع) وهو ان تعمد الحكومة الى معدل عشر اربع سنين ماضية فتقره وتستوفي ضريبة محدودة مساوية له سواء أزرع الفلاح الارض ام لم يزرعها ٠ وهذه الوسيلة وان كانت أصلح من وسيلتي التخمين والبيع بالمزايدة فهي لاتكون عادلة اذا قلّ المطر في احد الاقاليم بعض السنين

هذا عدا ان اساسها فاسد لانهـا وُضعت كأصلها على المحصول غير الصافي ولان متوسط عُشر سنوات اربع في قرى الفلاحين يكون قريباً من العُشر الحقيقي غالباً اما في قرى الوجهاء، فيكون أنقص لان المتغلبة من ارباب الوجاهة قلما يدعون الحكومة تصل الى حقها ·

يتضح مما ذكرت انه من العار علينا ان نظلّ في القرن العشرين متمسكين بطريقة العشر بعد ان اطّرحتها كل الحكومات المتمدينة وبعد ان ثبت كالشمس في رائعة النهار انها لم تعد ملائمة لنا مذ نوينا السير بفلاحتنا على الأساليب الحديثة · ولكن ما هي الضريبة التي يجب ان نبدلها من العشر وعلى اي أسس يجب ان تقوم · هذه الضريبة تسمى الضريبة العقارية وهي تشمل الارض وغير الارض وقوامها اولاً انها توضع على اجرة الارض اي محصولها الصافي، ولهذا يظلّ رأس المال الذي يستعمله الفلاح بعيداً عن ان تتناوله الضريبة في قسم من ربعه فيتسنى بذلك للفلاح ان يجوّد زراعته باستعمال ما يشاء من الأموال · ثانياً انها تكون ثابتة لا تزيد بازدياد الغلة وهذا ما يحمل الأكارين على استغلال الارض الى اقصى حدّ يستطاع · ثالثاً انها تكون في بلاد كبلادنا قابلة للنقص كلما أجدبت الارض لقلة المطر في الأقاليم الشرقية او أصيبت زروعها بحشرات فتاكة كالجراد و (السونة) ونظائرهما ·

أبرمت الحكومة السورية بعد طول أناة وتفكير قراراً مرقماً برقم ٣٣٩ ومؤرخاً في الـ ٢٣ من آذار سنة ١٩٢٧ في إحداث ضريبة عقارية على الارض تقوم مقام العشر وخراج الارض معاً · وهذا القرار لا يعمل به الا حيث انتهت أعمال مسح الارضين واعمال التحديد والتحرير التي لا تجهلونها والتي ترمي الى معرفة ما يملكه كل صاحب ارض على وجه الضبط والى وضع حاجز دون تعدي الأكارين بعضهم على بعض · ولا ريب انه يتعذر جداً تطبيق قرار الضريبة العقارية على ارض لا نعرف مساحتها بخطط ولا نعرف لها حدود ثابتة ولهذا لم تشأ الحكومة ان تعمل به الا بعد ان تمسح الارض وتحددها · وقد ارتكز القرار المذكور على أهم نظرية اقتصادية ذكرتها وهي ان الضريبة فيه وُضعت على نسبة اجرة الارض اي وارداتها الصافية وهذه الواردات تعرف إما من عقود الايجار بعد ان يطرح من الاجرة ما قد ينفقه صاحب الارض

في كري المجاري وتعهد القُني والطرق وغيرها وإما مما تغله الارض بعد ان تطرح نفقات الاستغلال وارباحه من ثمن الغلة اي من محصول الارض غير الصافي . وجُعلت الضريبة العقارية ثابتة فهي إذن حاوية الشرط الثاني الآنف ذكره . اما الشرط الثالث وهو ان تكون الضريبة قابلة للنقص كلما أجدبت الارض او أصيبت زروعها بأذى فلم يرد فيه شيء في القرار ولعل الحكومة تبحث عنه في المستقبل عندما تباشر العمل بمضمون ذلك القرار . وقد ضمنت المادة الثامنة عشرة منه ان لا تقل الضريبة عما يدفعه الأكارون من العشر في يومنا هذا وحددت الحدّ الادنى للضريبة بـ ١٢ في المائة من اجرة الارض ولم تحدد الحد الأعلى لها . ولا بد ان يظهر فيما بعد تفاوت كبير في نسبة ما يدفعه ارباب الزراعة في المائة من اجرة الارض في مختلف البلدان فتضطر الحكومة الى إزالة هذا التفاوت .

وقد استثنيت الارض البور التي خُلّصت للزرع من ازدياد الضريبة لمدة خمس سنين ، كما استثنيت لمدة ثمان عشرة سنة تلك التي تغرس زيتوناً او فستقاً او نخلاً ولمدة عشر سنين تلك التي يغرس الفلاح فيها كرماً او توتاً او غيرهما من الأشجار المثمرة .

وبالجملة ان استبدال الضريبة العقارية او ضريبة الارض بالعشر يعد في نظر كل من لهم إلمام في قواعد الاقتصاد الزراعي خطوة كبيرة الى الأمام لا تنجلي فوائدها الا في المستقبل . واذا عُمل بالقرار الآنف ذكره مع تلافي ما تظهره التجارب فيه من النواقص نكون قد نجونا من معضلة اقتصادية كبرى ليست المجازفة فيها امراً يستسهل الإقدام عليه لاسيما والعشر من أهم موارد بيت المال .

« ضريبة المكس » — لا تقل معضلة المكوس شأناً وخطراً وتأثيراً في حياتنا الاقتصادية عن معضلة الاعشار .

والمكوس قديمة وكانت تُطلق في الدول العربية القديمة على الضرائب التى نسميها اليوم رسم الدخولية ومال التمتع وضريبة الكمرك ونحن لا نعني في محاضرتنا الا الأخيرة .

سبب نشأة هذه الضريبة أن اكثر الأمم لا تستطيع ان تنتج الا ما تجود به تربة

البلاد وهواؤها والوسائل الطبيعية فيها . ولما كانت المنتوجات تزيد على احتياج السكان في كثير من الممالك فقد وجب على كل حكومة ان تبحث عن سوق تجارية اجنبية تبيع فيها منتوجاتها الزائدة . ثم ان كثيراً من البلاد لا تتمكن لعدة اسباب من إنتاج جميع ما تحتاج اليه من المحاصيل الزراعية او صنع ما يعوزها من المصنوعات فهي إذن مضطرة الى شراء حاجاتها هذه من البلاد الاجنبية .

فينتج عن ذلك ان كل أمة من الأمم هي بحاجة الى ان تبيع بعض الأمم الأخرى الزائد من منتوجاتها وان تشتري منها الحاجات القليلة او المفقودة لديها . وقد نشأ عن هذا الاضطرار قيود جمة وضعتها الحكومات لحماية منتوجاتها الوطنية من المنتوجات الأجنبية .

ومن هذه القيود المكوس « الجمارك » ومنع دخول بعض المنتوجات ، ووضع الضرائب على الصادرات والواردات واحداث التعرفات المتقابلة بين الحكومات وفرض عقوبات على مهربي البضاعات وايجاد المعاهدات الاستعمارية والمكوس الداخلية ورسم الدخولية (اوكترواً) وتشجيع بعض أصناف الصادرات دون بعض الخ . وكانت الحكومات المستعمرة فيما مضى تغالي في وضع القيود والحواجز دون اتجار غيرها من الدول مع مستعمراتها حتى ان انكلترة مثلاً كانت تصادر كل سفينة لا يكون صاحبها ورؤساؤها وثلاثة ارباع ربابنتها بريطانيين اذا اتجرت مع احدى مستعمراتها اورست على شواطئها . وكان الفرنسيون ايضاً يضعون تعرفات كبيرة جداً على البضاعات الاجنبية كما كانوا يصادرون كل باخرة تجارية بريطانية تجرأ على الدخول الى ميناء فرنسية او ميناء تابعة لاحد حلفائها . اما في هذه الايام فتسابق الدول الغربية لا يزال على حاله الا انه يتجلى بمظاهر أخرى غير العنف والمصادرة . وهذا التسابق هو ما جعل ضريبة المكس في بلاد الشام اليوم واحدة تجاه اميركا وكل الدول الداخلة في عصبة الأمم . ولا شك انه من أهم أغراض السياسة الاستعمارية التي سار عليها الغرب منذ قرون واقتتلت شعوبه في سبيلها مراراً غرضان : الاول حصر منتوجات البلاد المستعمَرة بتجار البلاد المستعمِرة . ثانياً حصر مطلوبات البلاد المستعمَرة بمنتوجات البلاد المستعمِرة . ومعناه ان جميع ماينتج في البلدان التي احتلتها دولة

استعمارية يجب ان يبتاعه تجار من رعايا هذه الدولة كما يجب ان لا يشتري سكان هذه البلدان شيئاً من سواهم .

وليست حماية المستغلات والمصنوعات الوطنية بالوسائل التي ذكرناها مفيدة في كل حال وفي كل زمن بل قد تكون حرية المبادلة أفيد احياناً ولهذا نشأ نظران (نظريتان) في هذا الباب وهما حرية المبادلة وحماية المنتوجات . فأرباب حرية المبادلة يتمثلون بالمثل الآتي تأييداً لرأيهم وهو : لنفرض ان البلاد بلاد زراعية وصناعية معاً وان ارباب الزراعة فيها ثاروا يطلبون حماية الغلات من حبوب وثمار وزيوت وغيرها وان الحكومة لبت طلبهم وزادت ضريبة المكس على مايرد من هذه الانواع من البلاد الأجنبيه فتكون النتيجة حصول زيادة في اثمانها حتى اذا رأى العامل الذي يشتغل في المعامل الصناعية ان الخبز والخضر واللحم وغيرها من الحاجات الضرورية قد غلا ثمنها راح يطلب من صاحب المعمل ان يزيد الاجرة التي يتقاضاها فيضطر هذا الى تلبية طلبه لكنه يثور ايضاً على الحكومة طالباً حماية مصنوعاته خشية الإفلاس فترى الحكومة نفسها مضطرة الى مد يد المعونة اليه مثلما مدتها الى الزارع . ولما كانت سلسلة الحاجات متصلة وكانت الحكومة أماً لجميع افراد الشعب على السواء فينتج ان حماية الجميع تدعو الى صعود ثمن كل شيء وليس ذلك هو الغاية من حماية الغلات والمصنوعات الوطنية . فلو تركت الزراعة والصناعة وشأنهما ورفعت القيود عن الاتجار في جميع العالم يُضطر كل شعب الى إنتاج ما تسمح به خاصياته الانتاجية . وتنشأ هذه الخاصيات اما عن هواء البلاد وتربتها او عن ذكاء واجتهاد ونبوغ في بعض الأعمال دون بعض . وبهذا الاختصاص بالاعمال يثري جميع العالم بعضه من بعض .

هذا رأي اصحاب حرية المبادلة اما حماية المنتوجات فأصحابها يرون انه ما دامت الحكومات في العالم كبيرة العدد وما دام بعض الشعوب اقوى من بعض وبعض المعامل الصغيرة لاتقوى على الحياة الا اذا أُمنت تيار المعامل الكبيرة فالحماية ضرورية . وحرية المبادلة تفيد العالم بأسره لكنه لايمكن العمل بها الا متى اصبح العالم خاضعاً لسلطة واحدة وهذا بعيد الاحتمال .

* * *

والشام بلاد ضعيفة لابد من حماية منتوجاتها فما هي هذه المنتوجات وماهوالواجب إتيانه لحمايتها ؟ اذا القينا نظرة على جداول الاحصاء في مصلحة المكوس نجد ان نحواً من ٩٠ في المائة مما يصدر من بلاد الشام الى البلاد الاجنبية هي منتوجات زراعية اهمها الحرير والصوف والحبوب وقمرالدين والزيت وعرق السوس والاثمار (لاسيما البرتقال والليمون الحامض) الى غيرها مما تدره الارض او تنتجه الماشية وسائر الدواجن . و يليها مصنوعات وطنية مهمة كالمنسوجات التي تنسج في دمشق وحمص وحلب وغيرها من المدن والبلدان الشامية وتصدر الى الاناطول ومصر خاصةً او تستهلك في انحاء بلاد الشام منها فلسطين وشرقي الاردن . فمن واجب الحكومة إذن اتباع سياسة غايتها حماية هذه المنتوجات والمصنوعات سواء داخل البلاد او خارجها . ففي داخل البلاد تكون حمايتها بتزييد تعرفة المكوس على اشباهها مما تبعث به البلاد الاجنبية الينا فلا يحصل ما حصل سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ مثلاً وهو ان اوربا كانت تقذف الينا البطاطا واوستراليا الحبوب فتباع في الشام بثمن ارخص من ثمن بطاطا البلاد وحبوبها وقد كان على الحكومة في حال كهذه تزييد تعرفة المكوس حتى لايظل للتجار فائدة مادية من شراء هذه المحاصيل الاجنبية وبيعها في البلاد الشامية . اما حماية منتوجاتنا ومصنوعاتنا في البلاد الاجنبية فقوامها الاتفاق مع الحكومات التي نبيعها بضاعتنا على تعرفات طفيفة لقاء معاملتنا لهذه الحكومات بالمثل فيما نبتاعه منها . واقرب حكومة يهمنا الاتفاق معها في هذا الصدد هي الحكومة التركية لان دمشق وحمص وحدهما كانا يصدران الى آسية الصغرى قبيل الحرب العامة ماتزيد قيمته على مليون ليرة عثمانية ذهباً من المنسوجات التي تصنع فيها كالألاجه والديما والشقق الحريرية والقطنية والاعبئة والحبر والشال وغيرها ناهيكم بما كانت تصدره حلب منها وبما كانت تصدره بلاد الشام عامة من الاصناف الاخرى سواء أكانت من منتوجات الشام كالصابون والملح ومصنوعات النحاس وغيرها او من الاصناف التي كنا نستوردها من اوربة ونشحنها الى آسية الصغرى وهي كثيرة تكاد تبلغ قيمتها مليوني ليرة ذهبية .

وكان الترك يبيعوننا من منتوجاتهم (واكثرها زراعية) كالضأن والسمن والحبوب والصوف والقطن والفستق والخشب الخ ، ما تكاد اثمانه تساوي مليون ليرة

ذهبية فاذا قابلنا ذلك المبلغ بثمن ما كنا نصدره الى بلاد الترك من منتوجات الشام ومصنوعاتها اتضح لنا ان من فائدة البلادين رفع الحواجز الجمركية بينهما او تخفيض تعرفة المكوس على الاقل . وقد بحثت حكومات الشام والحكومة التركية في ذلك سنة ١٩٢٢ وارفدت هذه الى بيروت لجنة برأسها محيي الدين باشا لهذا الغرض . فبعد اخذ ورد بين هذه اللجنة ومندوبي الحكومات السورية دام بضعة شهور وبعد الاتفاق على شروط لا بأس بها رفضت الحكومة التركية تلك الشروط مبدية من التعنت والانانية ما الفناه في طبيعة التركي فذهبت المذاكرات كلها عبثاً ونتج عن ذلك اولاً إندثار اكثر من نصف الانوال التي كانت تصنع المنسوجات الوطنية الآنف ذكرها ثانياً امتناع شحن قسم كبير من برتقال سواحل الشام وليمونها الى القسطنطينية وساحل آسية الصغرى ثالثاً وضعنا تعرفة كبيرة على ما نستورده من تلك البلاد مما زاد في اثمانها وهو ما ليس من مصلحتنا ولا من مصلحة الترك . وبعد لا تزال هذه القضية الهامة في موضع البحث على ما اعلم فعسى ان يعودوا الى المذاكرة فيها رسمياً وان تحل على شكل يفيد البلادين لان الاتفاق الذي حصل في حلب بعد مذاكرات بيروت والذي اسفر عن وضع تعرفات متقابلة معتدلة بيننا وبين الترك على بعض المنتوجات لا يفي بالمرام .

ولم تكن حالنا لحسن الحظ على هذا الشكل مع جيراننا الآخرين ابناء الاقطار العربية الشقيقة وهي الحجاز ونجد وفلسطين وشرقي الاردن فقد رفعت الحواجز الجمركية بيننا وبينها وجعلت الصادرات والواردات حرة او وضع لها تعرفات متقابلة غاية في الاعتدال وذلك على اثر مباحثات تم الاتفاق فيها على ما ذكر . ولم يكن رفع الحواجز بالامر السهل بادئ بدء . ففي سنة ١٩٢١ مثلاً اتفقت المفوضية العليا في بيروت مع المفوضية العليا في فلسطين على جباية المكوس بين القطرين الشاميين فثارت ثائرة التجار في دمشق ولا ازال أتذكر (وانا آنئذ مدير للزراعة بدمشق وعلى اتصال مع الغرفة التجارية) ذلك البيان الممتع الذي قدمته لجنة من خيرة تجار العاصمة الاموية انتخبها جمهور من افضل التجار للدفاع عن حقوق المنتجين والمتجرين وحمل السلطتين على لغو الاتفاق المذكور . ومما تعلمونه اننا نصدر الى جنوبي الشام اي فلسطين المنسوجات المختلفة خاصةً مما يصنع في المدن الشامية كدمشق وحمص وحماة وحلب واننا نستورد

منها الصابون والزيت والبرتقال والليمون والبطيخ وبعض الخضر وغيرها فاقامة سد كمركي بين القطرين الشقيقين تنتج عنه اضرار اقتصادية وسياسية وادارية معاً. فالأضرار الاقتصادية التي تنال المدن الشامية المذكورة هي القضاء على البقية الباقية من انوال النسيج فيها لان في جباية المكوس امتناع تصدير المنسوجات الى فلسطين حيث تؤسس انوال جديدة للنسج بدلاً منها . اما الأضرار الاقتصادية التي تحيق بفلسطين فهي ان رسم المكس يرفع اسعار ما نستورده من ذلك القطر العربي فتسابقه الاقطار الاخرى وهي كثار وقد تكون اجنبية فيقل ما يبيعنا اياه او يزول .

واهم الاضرار السياسية التي تنشأ عن اقامة هذا السد الكركي ان العلاقات التجارية اذا قلت بين القطرين يقل معها عدد الذاهبين والآيبين فينقص الاختلاط وتبادل الافكار فتتباين المشارب والعوائد مع الزمن فيصبح الشعب الواحد شعبين وهذا ما لا يرضى به عربي لاسيما وقد ابتلي جنوبي الشام بالصهيونيين ومطامعهم التي يسعون في تحقيقها بما اوتوه من دهاء ومال . وقد يرضى الصهيونيون عن طيبة خاطر بزوال بعض الفوائد المالية التي تنبعث عن جباية المكوس بين الشام وجنوبيها لقاء ما يحدثه ذلك السد من التباعد في ابناء الشعب الواحد سياسياً واجتماعياً .

اما الاضرار الادارية من اقامة ذلك السد فكثيرة اهمها صعوبة ضبط الصادرات والواردات على طول الحدود لجباية المكس عنها وفتح باب لتهريب البضائع وما يحدث عنه من القتال بين الجنود والمحافظين وبين الذين يهربون البضائع فراراً من دفع المكس ولا تزال ضحايا تهريب التبغ اسطع مثال في هذا الصدد .

لم يدم اتفاق سنة ١٩٢١ طويلاً فقد بدل باتفاق ثان في السنة التالية وهو يجعل نقل البضائع بين الشام وجنوبيها حراً . ولا يزال هذا الاتفاق متبعاً . ومن أعجب ما قرأت في الصحف اليومية منذ بضعة ايام مقالات في مفاوضات يقال انها ترمي الى جباية المكس بين الشام واقطارها الجنوبية عن كل الصادرات والواردات التي يحتوي متنها على ٧٥ في المئة او اكثر موادّ أوليةً اجنبية . قلت ان هذا النبأ غريب وهو لا يمكن ان يكون الا حيلة صهيونية يراد بها ايجاد الشقاق بيننا وبين اخواننا العرب في فلسطين لسبب يدركه الصبي وهو ان معظم المنسوجات التي نصدرها

الى فلسطين تحتوي على ٧٥ في المئة من المواد الأولية الأجنبية وان كنا ننسجها في الشام اما ما نبتاعه من فلسطين فيكاد يكون كله محاصيل او مصنوعات زراعية لا اثر للمواد الأولية الأجنبية فيها . فتفسير هذا الخبر الذي تناقلته الصحف هو إذن ايجاد حاجز كركي تجاه معظم ما نصدره الى فلسطين مع بقاء الحاجز مرفوعاً تجاه ما يردنا منها وهذا ما لا يقبله العقل لانه اذا كان يفيد فلسطين كل الفائدة فهو فتّال لأمها دمشق ولباقي المدن الشامية الشمالية ، ذلك ان وضع هذا الحاجز الذي يتناول المنسوجات خاصةً بضرره يسبب زوال ما بقي من الأنوال هنا فيحدث ما يقوم مقامها هنالك حتى انه لا يستبعد ان تبيعنا فلسطين غداً منسوجات تشتريها اليوم منا لاسيما وحكومة فلسطين تشجع انوال النسج بوسائل شتى فهي على ما يظهر قد ازالت المكوس بتاتاً عن المواد الاولية اللازمة للنسج التي ترد الى موانيها من البلاد الأجنبية بينما نحن نستوفي عليها ٢٥ في المئة من ثمنها . وقد اكد لي احد تجار دمشق الثقاة انه بقدر ما ينقص عدد الانوال لدينا يزداد في فلسطين وذكر لي مثالاً على ذلك وهو انه لم يكن منذ بضع سنوات في مجدل غزة سوى ١٥٠ نولاً تحوك الخام البلدي فأضحت اليوم بضعة امثال ذلك العدد .

وأرى انه من اهم واجبات الحكومة في سورية ولبنان النظر في تعرفة المكوس التي كانت ١١ في المئة الى عهد قريب فزيدت الى ١٥ في المئة سنة ١٩٢٤ ثم الى ٢٥ في المئة سنة ١٩٢٦ . فانه اذا صح ان تبقى هذه التعرفة على حالها او ان تزداد تجاه المنسوجات والمصنوعات الأجنبية التي تُنتج بلادنا او تصنع امثالها وذلك قصد حماية زراعنا وصناعنا ، فانه ليس من الحكمة ان تظل هذه التعرفة تجاه حاجاتنا المبرمة وخصوصاً تجاه ما هو ضروري لحياة صناعتنا وزراعتنا . وليست غاية المكوس استدرار المال فحسب بل من اهم غاياتها ان تتجه حيث يوجد صناعة فتنشطها او فلاحة فتشد أزرها .

وليست المكوس التي وضعت بيننا وبين البلاد التركية هي العامل الوحيد في القضاء على كثير من انوال النسيج في بلادنا بل من جملة العوامل المهمة التطور الذي حدث في لباسنا ولباس من نبيعهم منسوجاتنا ، فقد كان سكان الشام الى عهد غير بعيد لا يلبسون الا الألبسة الأهلية مما يغزل و يصبغ و يحاك و يخاط في بلادهم اما اليوم

فكل رجل يعد نفسه متعلماً وكل امرأة تتأنق في لباسها لا يرضيان بغير اللباس الاوربي والاقمشة الاوربية مهما تكن غالية الثمن . أدرك كثير من التجار الشاميين الاذكياء انه لا بد لصناعة المنسوجات من ان تتطور بتطور الافكار فجلبوا النوال الاوربية واخذوا يحوكون كثيراً من اصناف المنسوجات الكتانية مما يصلح ان يكون لباساً للرجال وكثيراً من اصناف المنسوجات الحريرية مما تلبسه النساء . وصنعوا جوخاً متوسط الجودة وصدريات للرجال ومعاطف للنساء كلها من الصوف الخالص . واشتهرت في دمشق معامل كسم وقباني في النسج الحريرية ، والقصص والطويل والكحالة في نسج الكتان والحرير وضاهت مصنوعاتهم اشباهها التي ترد من اوربة وفاقتها بالمتانة ورخص الثمن . ابتعتُ منذ سنة ونصف ملاءة من صنع الكسم والقباني واحتلت على السيدة التي ابتعتها لها فقلت انها من افخر الحرائر الاوربية وان ثمن ذراعها كذا اي نحو ضعفي الثمن الذي دفعته فسرت بها ولم تر فيها اقل عيب حتى اذا مرت شهور ثلاثة صرحت لها بالحقيقة فلم تستنكر الامر . ولا تزال الملاءة تلبس الى اليوم ولو كانت من النسيج الاوربي لدخلت في خبر كان . واراني منذ ايام رفيقنا الاستاذ عارف بك النكدي معطفاً من جوخ حيك في دمشق وقال اي غضاضة في لبسه ان لم يكن في اوقات التأنق ففي اوقات العمل على الاقل . وهذه ربطة للرقبة ثمنها ريال ونصف حيكت وصنعت في دمشق في معمل السيد محمد القصص وقد استعملتُها كما استعملها غيري فلم يعبها احد بل استحسنها بعض المتأنقين في لباسهم وهي امتن من بعض ربطات اوربية لديّ ثمن واحدتها اربعة ريالات اوخمسة . وكثير من رفاقنا يلبسون قمصاناً والبسة من الحرير صيفية من حياكة القصص او الطويل لا يفوقها شيء بالجمال والمتانة . وقد أقبل عليها إخواننا في المهجر كل الإقبال لاسيما في البراز بل . واخذ بعض المصريين الذين يصطافون في انحاء الشام يفضلونها على أشباهها من المنسوجات الاوربية .

ومن أعجب ما سمعت وأدعاه الى السرور ان مصلحة المكوس في فلسطين لم تصدق ان ما يصدره معمل كسم وقباني الى مصر من نسيج الحرير الفاخر يصنع في الفيحاء وكادت توقع باصحاب المعمل ضرراً لو لم ترسل مفتشاً خاصاً الى دمشق ليطلعها على

حقيقة الامر فاذا به يعجب كل الإعجاب باتقان العمل و يقر ان النسيج يضاهي اشباهه من حوك اوربة ٠

ذكرتُ هذه الامثلة لكي اصل الى النتيجة الآتية وهو انه اذ كان لابد من تبدل كثير من صناعاتنا الوطنية بتبدل بعض اوضاعنا الاجتماعية او بسبب اقامة حواجز كمركية بيننا وبين من نصدر بضاعتنا اليهم فان هذا التبدل يخلق للحكومة وابناء الوطن وار باب الصناعات المذكورة واجبات يجب على كل منهم ان يقوم بها عن طيبة خاطر ٠ فأما واجب الحكومة فهو ازالة المكوس او تنقيص تعرفتها عن كل ما يلزم للمصنوعات الوطنية من المواد الاولية التي تجلب من البلاد الاجنبية ، ثم تزييد هذه التعرفة تجاه المصنوعات الاجنبية المماثلة للتي نصنعها في بلادنا ٠ وارى انه من الضروري تأليف لجنة من اساتذة الاقتصاد لهذا الغرض غايتها تحري المصنوعات الوطنية التي يجب حمايتها على الشكل المذكور سواء أكانت هذه المصنوعات منسوجات او مدبوغات او مربيات او مصنوعات زراعية او غير ذلك ، وتعيين الموادالاولية التي لابد من شرائها من البلاد الاجنبية لصنع هذه المصنوعات حتى اذا تم هذا الدرس حمتها الحكومة بالوسائل التي ذكرتها ٠

وواجب ابناء الوطن ان يقدموا على مشترى المصنوعات الوطنية وان يحثوا اقاربهم ورفاقهم على مشتراها دون نظائرها مما يقذفه الينا الأجانب ويمتصون دماءنا ثمناً له ٠

ذهبتُ يوماً لمشترى قليل من المربى الوطني النفيس مما كنت شاهدت امثاله في معرض الثمار فاذا بالبائع يقدم لي شيئاً ضمن اوراق عليها الاشارة الصهيونية فقلت له من اين تجلبون هذا فقال من فلسطين فقلت اي فلسطين هذه وفلسطين عربية الى ماشاء الله هلا قلت من معامل الصهيونيين ٠ اليس من العار ان نبتاع هذا الصنف ايضاً من الاجانب وقد منّ الله علينا بغوطة للفواكه لانظير لها في العالم ٠ وما الذنب ذنب البائع وحده بل ذنب المشتري خاصةً ٠ اتذكر ان احدهم وهو معدود من الوطنيين قدم لي في العيد الماضي مصنوعات سكرية بعضها من تلك التي تجللها الاشارةالصهيونية فأخذت واحدة واريته الاشارة فا ‍ر وجهه وسكت ٠

وجاءني آخر ذات يوم فقال ان القصص والكسم والعمري « صاحب معمل الدباغة

الشهير » قد أثروا لانهم يبيعوننا مصنوعاتهم بثمن غال . قال ذلك وقد بدا اللؤم في وجهه . فقلت له اوليس الأفضل ان يثري هؤلاء المواطنون و يتكسب القوت مئات من العمال الشاميين او ان يذهب كل ذلك المال الى جيوب الاجانب . فراح غضباً . ولعله اذا تحدث الى هؤلاء السادة كان حديثه نقيض حديثه معي وهذا ما يجعلنا نكره الرجل ذا الوجهين ونجل الذي تكون ظهارته كالبطانة وعلانيته على وزن سريرته لاسيما فيما له اتصال بامورنا العامة وشؤوننا الوطنية .

اما واجب اصحاب المعامل الصناعية في بلادنا فهو تجويد مصنوعاتهم حتى تضاهي ما يرد من اوربة وغيرها وحتى يزول الاعتقاد السائد من ان كل ما يصنع في الشام لا يكون نفيساً ولا يستعمله الا طبقة الفقراء . لكن واجب اصحاب المعامل لا يذكر اذا قيس بواجب الحكومة وواجب الشعب ذلك ان الصانع اذا اصاب حماية من الحكومة واقبالاً من الشعب على مصنوعاته دفعه الكسب الى اتقان العمل وتجويده دون ان يحتاج الى من يحثه على ذلك .

وبعدُ ان الاستقلال السياسي لا يكون الا حيث يكون الاستقلال الاقتصادي ومن اراد ان يحيي حياة حرة فعليه أن يتجاوز منافعه قليلاً في سبيل انعاش المرافق الاقتصادية في البلاد . والوطنية الحقيقية لا تعيش مع محض الانانية والسلام .

مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ ادوارد مرقص

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان هذا الاقتراح لذو شأن لا يستهان به في ما ننشده ونسعى اليه من ترقية نهضتنا اللغوية والادبية معاً ٠ ولكنه على سمو قدره لا يخرج عن كونه مطلباً خصوصياً من مطالب هذه النهضة الواسعة النطاق ٠ وانما يقوم المطلب العام بالبحث عن توحيد كلمة المجامع العربية اللغوية في سورية وفلسطين ومصر والعراق وغيرها بحيث تتفق آراء اعضائها واحكامهم في كل لفظة فنية يقرونها وفي كل خطة ينتهجونها ٠

واذا ظلت مجامع لغتنا متنكرة وعلماءها متخاذلين فكل مسعى يقوم به مجمع واحد وكل جهد يبذله عالم واحد لا يرجى له نجاح وان كان ولابدّ فهو نجاح ضئيل في دائرة ضيقة محدودة مما لا يبري علة ولا يشفي غلة ٠

وبديهي ان اللغة العربية التي يبلغ عدد ابنائها ستين مليوناً في أقطار متعددة يعوز نهضتها صوتٌ عالٍ تسمعه هذه الأقطار وهذه الملايين اذا أُريد ان تبقى لغة فصيحة واحدة للجميع في كل مايطرأ عليها من تشذيب وتعديل واصطلاح جديد في التعبير ٠ واما اذا كان المراد ان نشتق من هذه اللغة عدة لغات واحدة لسورية ٠ وواحدة لفلسطين وأخرى لمصر ورابعة للعراق وخامسة للمغرب وسادسة لجزيرة العرب الاصلية فلا بأس ان نكتفي بما نحن به مكتفون الى الآن اي ان يركب كل مجمع رأسه ويتبع نفسه وحدسه في كل ما هو فاعل غير ملتفت الى مجمع آخر لاجل التفاهم ٠٠٠ وهكذا لا يمضي علينا الا قرن حتى يصير البعد بين لغة قطر ولغة قطر آخر من أقطارنا أشد مما كان بين لغة مضر ولغة حمير في الجاهلية ثم تزيد شقة الخلف مع مرور السنين وكرور العصور ٠ هذه هي الهوة الجهنمية التي نحبو اليها اليوم وقد يصبح الحبو عدْواً في الغد ما دامت مجامعنا اللغوية غير متفاهمة ولا متفقة في مساعيها واحكامها وآرائها ٠

ولا أعلم ما الذي يمنع مجمعنا العلمي السوري « على ما له من العلاقات الطيبة برجالات مصر وفلسطين » ان يكون هو السابق الى هذه المكرمة في البحث عن الوسائل الفعالة لايجاد صلة متينة بينه وبين سائر المجامع وفي مذاكرتها بهذه الغاية النبيلة ٠

هذا هو المطلب الاساسي العام الذي أطلب الى أعضاء مجمعنا العاملين النظر فيه والاهتمام به ٠ وكل ما عداه من المطالب الاخرى انما يحسب فرعاً يرجى حل مشكله بعدما نضمن لنفسنا هذا الاساس ٠ ومن هذه المطالب بل أجلها النظر في قواعد العلوم العربية علماً علماً من صرف ونحو وبيان وعروض ٠ فان فيها مايحتمل ايضاحاً ومايحتمل حذفاً وقطع طمع الطامعين فيه ٠ وبين سماعياتها مايحتمل ترقيته الى مستوى القواعد القياسية المطردة ٠ وقد عنّت لي في هذا البحث خواطر جمة ربما عرضتها فرداً فرداً على مجمعنا الكريم لعله يراها صالحة لفتح الباب واستقصائه ٠

* * *

وصلت الى ما اقترحه أستاذنا وصديقنا « المغربي » بشأن الكلمات غير القاموسية قال :

« الصنف الاول من الكلمات غير القاموسية كلمات عربية قحة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم مثل فعل تبدّى الذي استعمله عمرو بن معدي كرب بمعنى بدا الثلاثي اي ظهر » ٠

فأقول : لو لزمنا ان نقر كل ما نطق به عربي جاهلي فصيح لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور المحققين ٠ وهذه الفلتات دوّن العلماء كثيراً منها ونبهوا على اجتناب الوقوع فيها وفي أمثالها فاجتمع لهم من ذلك ركام منثور ومنظوم يعرف بالنادر والشاذ والضعيف والغريب وبين أصحاب هذه الفلتات من هم أفصح من عمرو بن معدي كرب ومن هم في فصاحته وشهرته ٠

ومن ثم لا أرى ان مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم فعل (تبدّى) يحسب حجةً لصحته ٠ ولا سيما أن الرجل من قبيلة زبيد وهي ليست في الفصاحة كبني بكر وتميم وقيس وسعد وبعض طي وقليلين غيرهم ممن أخذت اللغة الفصحى من أفواههم

وكان عليهم جل اعتماد اللغويين الاسلاميين القدماء في تدوين الاوضاع اللغوية ·

وانما يكون للمسألة وجه آخر قد يجوز معه ما أجازه السيد « المغربي » في الفعل المذكور اذا تضافرت مجامعنا اللغوية على وضع قاعدة عامة مطردة لمزيدات الافعال والمعاني المختلفة المكتسبة منها حسب صيغة كل مزيد ·

* * *

ثم قال الاستاذ المغربي : « الصنف الثاني كلمات عربية خالصة لم تذكرها المعاجم لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم كفعل أقصّ الذي استعمله الامام الطبري بمعنى قصّ » ·

فأقول : اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين كعمرو بن معدي كرب حجة لتأييد شوارد الكلام والقياس عليها · فكيف يجوز اتخاذ من جاؤوا بعدهم بقرون كالطبري وأضرابه حجةً لذلك مادامت الحالة الراهنة ازاء عيوننا هي ما نراه · ومن نقض منها حجراً واحداً كان كمن يجازف في نقض جدران وأبنية برمتها · فنفشو الفوضى من حيث أردنا النظام وتضيع اللغة من حيث أردنا توسيعها وتقريب منالها ·

وانما نلجأ الى كلام المولدين وأساليبهم في شيء كثير اصطلحوا عليه بالعلوم والصناعات والاجتماع واحواله · واما الأوضاع اللغوية فنتركها لاصحاب اللغة الاصليين ·

* * *

ثم قال : « الصنف الثالث كلمات عربية المادة ومع هذا لا يعرفها العرب او يعرفونها بمعان أخر كقولهم : هيأة المحكمة · وتشكيل المحاكم · وانعقدت الجلسة · وتعريفة الرسوم · وميزانية وكمية وكيفية » ·

فأقول : هذا شأن يخالف شأن ما عرضه الاستاذ المغربي في الصنفين الاول والثاني · فالذي أراده هنا إلباس اللفظ العربي معنىً جديداً فوق معناه الذي وضع له · الامر الذي دعت الحاجة اليه في ما مضى من العصور ولا بد ان تدعو اليه في العصر الحاضر وفي ما بعده · فان كثيراً من المعاني العلمية والفنية والشرعية والسياسية طرأت على الفاظ عربية من اول الفتح الاسلامي وزاحمت معانيها الاصلية · ولا بد

من هذه الاستعارة وهذه الاستعانة لا في لغتنا العربية فقط بل في كل لغات العالم لان الالفاظ محصورة واما المعاني فلا تقع تحت حصر وهي تزداد عصراً فعصراً حسب أطوار المعيشة . ولكنه ينبغي لنا عندما ننقل لفظاً عربياً مفرداً كان او مركباً من معناه الأصلي الى معنى جديد لم يمهده له قدماء العرب ان نحرص على وضوح العلاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والمناهج والاساليب الغالبة على لغتنا الفصحى فلا نختار ما لا نعرف له نظيراً او ما ليس له وجه مقبول في قواعدها .

* * *

ثم قال الاستاذ : « الصنف الرابع كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار الاسلامية لا يعرفها العرب الاولون مثل فعل خابره بمعنى راسله . وفعل تفرّج على الشيء . واحتار في امره . وتنزه في البستان » .

فأقول : ان الذي أراه يقارب ما يراه الاستاذ المغربي من جواز ذلك توسيعاً على نفسنا ولكن بشرط ان تجتمع الكلمة على ما أشرت اليه آنفاً من تقرير القياس في ما كثر سماعيه من معاني مزيدات الأفعال حسب صيغها .

ثم قال : « الصنف الخامس كلمات دخيلة أعجمية الأصل ومنها الثقيل على اللسان الذي يحسن بنا هجره مثل اوتوموبيل ومنها الخفيف الذي يحسن استعماله مثل بالون » .

فأقول : اني ارى الاستغناء جهد الطاقة عن الكلمات الدخيلة الجديدة ثقيلة كانت على اللسان او خفيفة . فان في لغتنا اتساعاً كافياً وطواعية عجيبة يغنياننا عن الدخيل الاعجمي . فاذا تعذر علينا او تعسر الشيء اليسير من ذلك اي ما لا يزيد عن عشر ما نحتاج اليه فلا بأس ان ننقله . والأحسن اذ ذاك ان لا ننقله الا معرباً اي مهذباً لفظه حسب مناحي العربية وأوزانها . ولدينا لقضاء هذه اللبانة الجوهرية طريقان امينتان رحبتان طريق الاشتقاق وطريق المجاز . وهناك طريق ثالثة قد نقار بها نفعاً واتساعاً اذا قرنا لها تمهيداً وتنظيماً . واريد بها طريق النحت . وقد يكون النحت من لفظة جامدة . وقد يكون من عدة كلمات .

والشاهد العياني على اضطلاع لغتنا بهذه الحاجة العصرية التي نزداد شعوراً بمسيسها يوماً بعد يوم وجود بضع مئين من الالفاظ الفنية والاصطلاحية في نهضتنا الحديثة الحاضرة ولم تكن معروفةً قبلها ومن امثلتها: جريدة · مجلة · اضبارة · كراس · بريد · برق · هاتف · حاكي · درك · كتيبة · ثلة · ثكنة · عبقري · نابض · حكومة مطلقة · حكومة مقيدة · دستور · محام · منضدة · مقصف · بهو · ردهة · مجهر · مكبرة · جراثيم · جسر · أُوام · كباد · بيئة · منطاد · طيارة · ازمة · مصرف · حوالة · عميل · مضاربة · معزف · سيارة · دراجة · حافلة · قطار · قاطرة · باخرة · مجلس الاعيان · مجلس النواب · الخ الخ فان هذه الالفاظ الاصطلاحية على حداثة عهدها قد صقلتها الالسن فذاع امرها وشاع بين الخاصة وقسم كبير من العامة فأصبحنا نستغني بها عن مرادفاتها الاعجمية كلما اردنا الاستغناء · هذا مع انه لم تثمرها همة مجمع علمي موحد اومجامع علمية متفاهمة متحالفة · بل اثمرتها عرضاً قرائح بعض علمائنا وادبائنا على غير تفرغ منهم لشأنها واختصاص بها · فلما ذا لا نوفق الى اضعاف هذه الالفاظ مما لم نزل محتاجين اليه في اصطلاحات علوم وفنون وصناعات وادارة وسياسة وجندية ومظاهر اجتماع وعمران اذا تضافرت الاقلام والاذهان القديرة الكثيرة على ذلك وتفرغت له زمناً كافياً واشتغلت به تحت حماية ورقابة مجمع لغوي عربي عام او مجامع عربية اقليمية متحالفة تحالفاً يجعلها كالمجمع الواحد العام ·

ومما يغيظ ويضحك مذهب قومنا يرون قبول كل لفظة اجنبية في معنى مستحدث غير واجمين ولا خاجلين ولا مترددين · وحجتهم ان حياة اللغة تقتضي هذا التسامح على نحو ما يفعل باللغات الافرنجية واللغة التركية · وان العربية نفسها تحوي في معجماتها الشيء الكثير من الدخيل الذي اصله يوناني او فارسي او سرياني او غير ذلك · وهي حجة زائفة لدى كل خبير يتأمل قليلاً في الامر · فكل ما نقلته الينا معجمات اللغة من الدخيل الاعجمي لا يكاد يزيد على اربعمئة لفظة وجدت تدريجاً في مهلة تسعة قرون اي من القرن الثاني للهجرة النبوية الى القرن العاشر · والخطب في ذلك يسير والخطر بعيد على تنكر وجه اللغة بقبولها اربعمئة لفظة في مدة تسعمئة سنة ولكن الخطب كل الخطب والخطر كل الخطر عليها اذا فتحنا ابوابها لكل لفظ اعجمي احدثته

المخترعات والمكتشفات والمصطلحات المختلفة مما قد يدس في احشائها اربعة آلاف لفظة اعجمية في كل تسعة ايام لا اربعمئة لفظة في كل تسعة قرون . فانظر ايها القارئ المنصف الى البون الشاسع بين الامرين والى ضلال من يقيس احدهما على الآخر .

ولا يغرب عن الاذهان ان لغتنا العربية المضرية مزية عجيبة سامية القدر لا نراها لغيرها من اللغات الحية اليوم . وهي محافظتها على جوهرها وعلى معظم اوضاعها واساليبها منذ اول نشأتها الى هذا العصر بحيث يمكن المتوسط العلم والفهم من عرب ومستعربي هذه الايام ان يقرأ ويفهم اقوال العرب القدماء منذ خمسة عشر قرناً كما يفهم اقوال معاصريه في كتبهم وصحفهم وسائر منشوراتهم .

وليس الامر كذلك في غيرها من سائر اللغات . فهذه اللغة الفرنسوية الحديثة مثلاً لا يفهم متعلمها الفرنسوية القديمة التي كانت منذ ٢٠٠ او ٣٠٠ سنة فقط الا اذا كان دارساً لها . وهكذا يقال في اليونانية القديمة واليونانية الحديثة وفي غيرها . فاذا كان يطيب لابناء العرب ان تتبدل لغتهم وتتولد منها لغة جديدة في كل قرنين او بضعة قرون . اذا كان يطيب للمسلمين منهم وهم ثمانية اعشار او تسعة اعشار مجموعهم ان لا تفهم ذريتهم كلام القرآن الكريم وكتب الاحاديث النبوية والتفسير والشرع فلهم ان يقدموا على حشو لغتهم بل على تمزيق احشائها بغارات الالفاظ والاساليب الاعجمية بغير ميزان ولا حساب ... ضاربين صفحاً عن استطاعة اللغة اغناءهم عن هذا التطفل الشائن وهذا الخلط المبكي المضحك .

وهل ينتظر العجز من لغة حوت في بطون اسفارها علوم وفنون وصناعات وحضارات الامم القديمة ولا سيما امتي اليونان والفرس . هذا فضلاً عن الزيادات والاستدراكات الكثيرة التي ادخلها اهلها على البحر الزاخر من تلك المنقولات وفضلاً عما لم يزل كامناً في طبيعة اللغة من قوة وسعة ورقة ومرونة معاً بما لها من كثرة الاوضاع وابواب المجاز والاشتقاق والنحت مما تقدمت الاشارة اليه .

* * *

ثم قال الاستاذ : « الصنف السادس اساليب وتراكيب اعجمية مثل قولهم : ذر الرماد

في العيون . عاش ستة عشر ربيعاً . وضع المسألة على بساط البحث . ساد الامن في البلاد . الخ »

فاقول : هذا الصنف مرجعه كله الى المجاز مفرداً ومركباً وتشبيهاً واستعارةً وكنايةً . وباب المجاز لاحرج علينا في التوسع فيه بعد المحافظة على شروطه اي وضوح وجهه وخلوه من التكلف وملابسته لمعيشة وعادات واذواق الناطقين به . ومن ثم كان كثير من المجازات لافرنجية لاتنكرها العربية وذوق العرب . وقسم آخر منها لا ينطبق على هذه الشروط فلابد من تركه مستغنين عنه بالتعبير الحقيقي او بمجاز عربي يقوم مقامه . والامثلة التي اوردها الاستاذ المغربي هي من القسم المقبول عندنا على ما ارى ويمكن العثور على كثير مثلها . ومن امثلة المجاز الاعجمي الممقوت عندنا قولهم . طلب يد فلانة . ونحن نقول خطبها الى اهلها . وقولهم قذف آخر خرطوشة لديه . والعرب تقول في هذا المقام رمى آخر سهم من كنانته . — وضحك ضحكة صفراء . ونحن نقول تكلف الضحك .

على ان معظم ما لا يلائمنا من تعابير القوم المجازية هو ما كان مبنياً على اصطلاح خصوصي عندهم او فيه اشارة الى حادث من حوادث بلادهم . فليتنبه كتابنا الى ذلك ولا سيما المترجمون بينهم .

* * *

ثم قال : الصنف السابع كلمات لا يستعملها احد من الفصحاء فهي عامية محضة . وقد حظر الاستاذ استعمالها . ولا اظن اديباً عربياً يخالفه في ذلك .

وفقنا الله جميعاً الى خدمة لغتنا الفصحى الشريفة بكشف كنوزها وصوغ ابريزها .

اراء وافكار

افتقار اللغة العربية

« الى كلمات جديدة »

يعود هذا الافتقار الى ثلاثة اسباب : السبب الاول يعود الى اللغة نفسها ذلك لان الاشتقاق في العربية مؤسس على عدد معلوم من الصيغ المحدودة بمعناها ، من مثل وزن (أفعل) ووزن (استفعل) ؛ كما هو وارد في علم الصرف . والحال ان لدينا معاني كثيرة لا يمكننا ان نعبر عنها بصيغ الأفعال العربية ، من مثل الألفاظ المركبة في اللغات الفرنجية : لان الصيغة في العربية لها معنى واحد ، لا معنى مزدوج ، مع ان كثيراً من الألفاظ في اللغات الفرنجية تعبر عن معنى مزدوج ، لانها مصوغة من جذرين ، من مثل (Baromètre) و (Thermomètre) و (Anémométre) وأمثال هذه الألفاظ المنتهية باللفظة (mètre) تعدّ بالمئات في لغات اهل اوربة[1] .

السبب الثاني ليس في العربية صيغ تؤدي أغلب معنى السوابق واللواحق[2] ، مثلاً (Souterrain) ومعناها « الذي هو تحت الارض » ، و (Survoler) في مثل قولنا (L'avion survole Beyrouth) ، ومعناها « الطيارة تطير فوق بيروت » ، و (Surtaxe) ، ومعناها « رسم اضافي » ، inscrire(écrire dedans)

---

(١) لا ننكر ان العرب قد استخدموا هذه الطريقة في سالف العصور ، وأطلقوا عليها اسم (النحت) ، فصاغوا الفاظاً كهذه : حمدلة (من الحمد لله) ، بسملة (من بسم الله) الخ ، لكن هذه الألفاظ لا تكاد تتعدى العشرة . وقد أغلق هذا الباب في وجه اللغة منذ قرون . وسنعود الى هذا البحث في مقالة أخرى ان شاء الله .

(٢) قد عربنا اللفظة (préfixe) باللفظة « سابقة ج سوابق » ، واللفظة (suffixe) باللفظة « لاحقة ج لواحق » . والاولى تُلصق بمقدمة الجذر الاول من جذور الكلمة لتغير معناها ، والثانية تُلصق بآخر جذر من الكلمة ، للغاية نفسها . وأطلقنا على كلتي السابقة واللاحقة اسم « لواصق » (affixe) .

ومعناها « كتب في، ضمن » ، واللفظة (in) بمعنى النفي مثلاً (imprévu) ، اي غير متوقع .

فهذه السوابق واللواحق في لغات اوربا يتجاوز عددها في الغالب الستين .

فلو فرضنا انهم صاغوا بكل أداة نحواً من ثلاثمائة كلمة فيحصل ١٨ الف كلمة .

وهذا غير موجود في اللغة العربية ، اذ ليس فيها صيغ تؤدي تلك المعاني .

السبب الثالث : ان انقطاع عهد العلم عند العرب حال ايضاً دون تقدم اللغة ، وأدى الى إصابتها بالفقر والعجز . وقد مر على ذلك العهد قرون ، توصل فيها العقل البشري — في غير بلادنا — الى استنباط آلاف المخترعات الطبيعية والزراعية والتجارية والفنية الخ ، فبلغ عدد المسميات في مختلف العلوم والصناعات، حداً لا يكاد يحصر ، والعربية ثابتة في موقف واحد ، كأن باب الاجتهاد قد أوصد في وجهها ، وليس في سنن الخلق ما يوجب ذلك الإيصاد بالنظر الى اللغة ، فصارت اللغة الى ما صارت اليه من العجز والفقر[1] .

ان تاريخ اللغات يؤكد لنا ان اللغات في بدء الامر لم يكن لها سوابق préfixes ولا لواحق suffixes ، بل كان لها جذور فقط . وهذه السوابق واللواحق كانت في الاصل الفاظاً قائمة بذاتها ، ثم التصقت بالجذور بصورة مقتضبة ، و بالتصاقها هذا صارت ادوات غير قائمة بذاتها ، بل ملصقة بالجذور لتغيير معانيها .

فاللاحقة (ment) صاغ منها الفرنسويون آلافاً من الظروف . وهذه اللاحقة هي لفظة لاتينية معناها « بروح » فقولك في اللاتينية (Suavimente) معناه « بروح لطيف » فصار بالفرنسوية (suavement) بالمعنى نفسه . وانت ترى ان لفظها بالفرنسوية الطف واوجز .

وان الكلمة (automobile) اصلها بمعنى « هو نفسه » ومعنى الكلمة كلها « المتحرك هو نفسه » .

والكلمة (bicyclette) اصل السابقة فيها باللاتينية (bis) ومعناها «مرتان»

---

(١) راجع مقدمة الالياذة للعلامة سليمان البستاني .

و (cycle) لفظة يونانية معناها دائرة او عجلة · فمعنى (bicyclette) حرفيًا « فيها عجلتان اثنتان صغيرتان » لان (cyclette) مصغر (cycle) ·

والكلمة (archevêque) اصل السابقة فيها (arch) وهي في اليونانية بمعنى رئيس · ومن هذه السابقة تتألف كلمات عديدة من مثل (archidiacre) و (archiprêtre) الخ ·

فكل من اللاحقة والسابقة كان في الاصل كلمةً مستقلة عن سائر الكلمات ، ثم التصقت بما سواها بصورة مقتضبة — كما سبق القول — فصارت أداةً سابقةً او لاحقة ، تُستخدم مع عشرات بل مئات من الجذور لزيادة معناها الاصلي ، اي معنى تلك الجذور كما رأيت في الأمثلة السابقة الذكر ·

وهذا الرأي أجمع عليه الائمة اللغويون · ونحن تأييداً لذلك نأتي بشاهدين :

الشاهدالاول : ان عدد اللواصق (affixes) لايزال يزداد فياللغاتالحديثة · فالسابقة (ex) في (Exofficier) (اي الضابط سابقًا) لم تكن معروفةً في اللغة الفرنسوية القديمة ، وقد أخذت من اللاتينية ، ومعناها « (من غدا) خارجًا » ، فقالوا — كما سبقت الاشارة — (Exofficier) اي (من غدا) خارجًا عن وظيفة ضابط ، فعبروا عنها بالعربية « الضابط سابقًا » ·

الشاهد الثاني : ان من اللواحق (suffixes) ما لا تقتبسه اللغة من الفاظها ، بل من الفاظ غيرها لغةً · وان آلافاً من الألفاظ العلمية المصطلح عليها في اللغات الافرنجية مصوغة بواسطة لواصق (affixes) يونانية · مثلاً (antirabique) في قولك (institut antirabique) معناها « معهد لمقاومة الكلب · فاللفظة (anti) هي سابقة يونانية اخذها الفرنجة عموماً للدلالة على معنى المقاومة ·

الشاهد الثالث : في اللهجات العامية نجد على ذلك التحول العجيب أمثلة فتانة مثلاً : صيغة المستقبل « رَحْ يكتب » اصلها « رائح اكتب » فاللفظة رائح هي اسم فاعل من « راح » · والشين النافية من قولنا « ما كتبتش » اصلها « ما كتبت شيئًا » فصارت الشين لاحقةً (suffixe) وقد فقدت معناها الاصلي وصارت للنفي و « عمْ يكتب » اصلها « عمّال اكتب » الخ ·

ذلك هو البرهان اللغوي على إمكان معالجة فقر اللغة .

* * *

اما البرهان الاختباري على سد تلك الثلمة باغناء اللغة العربية ، فنأخذه من تاريخ تطوُّر اللغة العربية ، فنقول :

(١) لم يكن في اللغة العربية القديمة كل الصيغ التي نراها فيها الآن ، من مثل الكلمة « علاّمة » فانها وُجدت بعد « عالم » ، لانها تدل على مبالغة معنوية في اسم الفاعل أي « العالم جداً » ومن المعلوم ان المزيد على الشيء يكون لاحقاً للشيء نفسه .

كذلك وزن «استفعل» وُجد في تاريخ اشتقاق الصيغ بعد وزن « فعل » بدليل ان معنى « استفعل » هو طلب عمل الفعل ، المعبر عنه بصيغة « فعل » الاصلية .

واليك جدولاً صغيراً يدلك على الالفاظ المتجانسة للفعل « قطع » :

قطّ : قطع القلم و — سوّى حافر الحصان بقطعه .

قطم : بمعنى الجذر الثنائي ، دون زيادة .

قطب : بمعنى الجذر الثنائي ، دون زيادة .

قطف : قطع الثمرة .

قطم : قطع بالاسنان .

قصّ : قطع الشعر والأظفار .

قصب : (الجزار خروفاً) قطعه ، الخ .

فينتج عن هذا البرهان الاخير سؤال وهو : أيهما أعسر أإدخالُ بعض السوابق واللواحق على اللغة العربية ، أم صيغة « فعل » الجوهرية ، التي اشتقت — كما بينا — من جذر ثنائي ؟

(٢) قد أُدخل الادباء ، في النهضة الاخيرة لا أقل من سابقة (préfixe) واحدة ، وهي « لا » ، واشتقوا بواسطتها ما لا يقلُّ عن عشرة الفاظ مفيدة ، من مثل : « لامبالاة ، لانهاية ، لامركزية ، لا طائفية ، لاسلكي ، الخ . وهي جارية على أقلام أئمة الأدب ، من مثل قول الياس بك فياض في قصيدته التي يخاطب فيها النجوم ، قائلاً :

« أثغور كئيبة ، أم جراح أنت ، في اللانهاية السوداء ؟ »

فما المانع بعد كل تلك البراهين ، من تغيير اللغة و إمكان إغنائها بتعميم استعمال « لا » سابقة كما فعل الفرنجة ، فنقول :

(imprévu) لا متوقع ، (indocile) لا منقاد ، (illimité) لا محدود ، (immatériel) لامادي ، (incommode) لا مريح ، (intacte) لاممسوس .

ثم إننا باضافة ياء النسبة وتاء التأنيث نزيد على كل من مئات تلك الألفاظ الجديدة الفصيحة لفظاً آخر بمعنى الصفة المجردة ، مثلاً : لامنقادية ، لامحدودية ، لامادية ، الخ .

بهذه الوسيلة وحدها نُغني العربية بما لا يقلُّ عن ثلاثة آلاف لفظة .

وما المانع ايضاً من إدخال أشد اللواحق لزوماً للغة العربيـة ، من مثل (anti) و (auto) واللاحقتين (mèrte) و(grafe) فبهذه الطريقة ايضاً نُغني اللغة فانه يوجد مئات من الألفاظ المنتهية بـ (mêtre) او (grafe) .

وما المانع ايضا وايضاً من اقتباس « لواصق » (affixes) من لغات اجنبية ، اذا صعب علينا ايجاد لواصق مقتضبة من جذور عربية ؟ فلنا بما فعل الفرنج من ذلك خير مشجع : فقد اخذوا عدة لواصق من اللاتينية واليونانية خاصةً . وقد اقتدى بهم الارمن ، فصـارت لغتهم قادرةً على التعبير عن أدق المعاني ، كما يتضح لمن يلقي ولو نظرة سريعة على معجم ارمني — فرنسوي .

« الخلاصة »

يستخلص من مقالنا هذا ان اللغة العربية ممكن ، بل متيسر إغناؤها ، بشرط ان يظهر أبناؤها من الاقدام ما يليق باصلهم النبيل وبمآثر النهضة الاخيرة وبحرية القرن العشرين .

هذا رأي بدا لنا أن نبسطه لأعضاء المجمع العلمي في دمشق . فعسى ان يجد له منهم أنصاراً .

بيروت : الخوري مارون غصن

اجازة علمية نادرة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم . الحمد لله كما ينبغي لجلاله وكرمه ، وصلواته وتسليماته المباركات على خير واف بذممه ، سيدنا محمد وآله وصحبه وحرمه . وبعد فلما منّ الله تعالى بفضله ورحمته بالاجتماع بجهبذ النقاد ، ونخبة المتقين في فروع الدين واصول الاعتقاد ، مع سعة الباع في العربية وانواعها ، والاخذ بحظ وافر من كل علم مع المحافظة على المروءة ونزاهة الخلق عن الدناءة والتمسك من السنة الشريفة بطاهر اذيالها ، اقتداء منه بالسلف الصالح في الخلف الناجح بالعمل بعد العلم الواضح في صفوة المهتدين بنور العرفان من خيرة اشياخها ، وهو الفقيه الوجيه الاديب الاريب الحافظ اللافظ العلامة الفهامة ابو الكمال محمد سعيد نجل محدث العراق العلامة ابي البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي العباسي الشافعي البغدادي الشهير بالسويدي نفع الله به وبسلفه ، وحفظه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه ، اجتمعت به في مصر ، رفع الله عنها كل إصر ، وقد غمرنا بفوائده ، وامتعنا بصنوف موائده ، من كل فن غريب ، على أسلوب عجيب ، فانتفعنا به في كل ما تلقيناه منه ، او عُرض عليه بمحضرنا من كتب الآثار النبوية فقد سمعت منه ، فيما كان يقرره من فوائده اشياء ، وان كان كل منا على نيته في ذلك فقد اخذته انا عنه لانه المتلقي ذلك عن شيوخه ممن لم ندرك زمانهم وهو مع ذلك ايضاً ربما عكس القضية فجزم بانه هو الآخذ عنا ، على ما انا عليه من قلة المعنى والمبنى ، كل ذلك في شهور سنة ١١٩٤ هـ ، وكان مما استحسنه من مؤلفاتي الصغار : المقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ، فكتب له منها نسخة وكنت قد كتبت له على ظهرها إجازة مختصرة له خاصة ولأخيه الاكبر الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى ولاولاده واحفاده واسباطه ، وللسيد المولى الهمام نخبة السادة الاكمل مولانا

---

(١) ارسل احد اعضاء المجمع العلمي في بغداد نسخة عن هذه الاجازة المحفوظة في المكتبة السويدية ببغداد والاصل بخط صاحبها الامام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس وقد أجاز بها العلامة السيد محمد سعيد السويدي العباسي .

السيد ابي الفضل محمد خليل افنــدي الحسيني المرادي الحنفي مفتي السادة بدمشق ، ولما ورد ايده الله تعالى مصر ثانيًا وتشرفت بالاجتماع معه ، جددت معه المذاكرة في انواع الفنون ، واعاد وابدى ، وافاد واسدى ، ومازال من حسن ظنه ، مع رجحان ذهنه ، وعلو همته ، و براءة ذمته ، يتتبع المزايا بفعله وقوله ، في كل عقله ونقله ، حتى ذال صعب النفوس الابيــة بالطبع ، حتى صارت طوع يده جارية على حكم مايرضاه عليّ الشرع ، فهوالأحق بالقوة ، والاولى بكل حظوة ، لكنه دنا فتدلى ، والتواضع منه عن رفعة لم يزد بدره الشريف الا مجتلي ، فلذلك لما حصل النسخة المذكورة التي كنت كتبت له على ظهرها الاجازة وكان بها ضنينًا يحفظها معه في اسفاره ، ويضن بها عن الأغيار في رحلته وقراره ، فنالتها يد الضياع ، واختطفت منه في بعض البقاع ، فكأنه بلسان حاله او قاله سأل التعريف بذلك كالإجازة له فيها بالتجديد ، والاشارة لرسمهــا على التحديد ، مع اني أحوج لذلك منه لولا حسن الظن وتحتم الانقياد له فيما يشير اليه في المسطور ، او يفصح به لسان الحضور من فم الحبور ، فقلت قد والله اجبتــه لما طلب ، وزدت على ذلك الإجازة لمن ولد له بعد عام اربع وتسعين ومن سيولد له على مذهب من يرى ذلك وسائر مؤلفـاتي كشرح القاموس والاحياء وغيرهما من كبير وصغير ، وجليل وحقير ، فليثق به الواقف عليه من اهل العلم والأدب فانه موصول الحبل بعروته ، ولكنــه أحق مني باسم قدوته ، وكتب ذلك عجلاً مجلاً ابو الفيض محمد المرتضى بن محمدالحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل مصر وخديم علم الحديث بهــا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيوبه ، بمنه وكرمه ، بعد ظهر يوم الاثنين ثالث محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠٤ حامداً لله مصليًا مسلماً مستغفراً .

الحمد لله وحده :

قد سمع حضرة الشيخ المشــار اليه آنفًا نفع الله به من حفظي ولفظي الحديث المسلسل بيوم العيد مع جماعة بحق سماعي له من شيخي الفقيــه المحدث عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي الحنفي الزبيدي في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة بمدينة زبيد في شهر سنة ١١٦٤ كما سمعه بشرطه من شيخه الامام ابي عبــد الله محمد سعيد بن

احمد عقيلة الحنفي المكي بالمسجد الحرام ، واعلى من ذلك بدرجة اني سمعته من لفظ شيخي السيد عمر بن احمد العلوي في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة بالمسجد الحرام في سنة ١١٦٦ ومعي سلالة الاولياء الكرام عبدالرحمن بن محمد المشرع صاحب الروية احدى قرى اليمن قالا اخبرنا به الشيخ عبد الله بن سالم البصري بشرطه بسنده المذكور المشهور في مسلسلات ابن عقيلة ، وقد اخبرته حفظه الله تعالى ان يروي عني ذلك وان يجيزه لمن شاء والله يكون في عونه وبكلاءته في صونه بمنه ويمنه وصح ذلك وثبت بمنزلي بسويقة لالا عقيب صلاة الاضحى عاشر ذي الحجة ختام سنة ١٢٠٤ هـ وكتب محمد مرتضى الحسيني غفرله بمنه حامداً له ومصلياً ومسلماً ومستغفراً .

« استفتاء »

رأى المجمع العلمي العربي الموقر غيرة مجلة « لغة العرب » العراقية وحميتها اليعربية على غادة اللغات الحية واهتمام صاحبها الفاضل بارجاعها الى سابق مجدها واحلالها المكان اللائق بها في الكتابة والتدوين والتأليف وما أظهره في أعداد السنة الخامسة والسادسة من سقطات (محيط المحيط) (اقرب الموارد) و(البستان) واغلاط من سبح في اوديتهم المتعرجة وترك البحور الزاخرة الفياضة بفرائد قحطان ولآلئ عدنان عكس ما قاله شاعر طي :

(ومن قصد البحر استقل السواقيا) . فالمجمع العلمي العربي عالم بحيرة الكتاب والمؤلفين اذا مسهم طائف من لفظة غريبة او كلمة غريبة حديثة عند ارادة تفسير الاولى او تعريب الثانية فإلى اي معجم يعتمد أيرجع الى لسان العرب او القاموس ؟ ولا بد له عندئذ من ضياع وقت كبير لا تجد اليه سبيلاً او يكتفي بالبستاني والشرتوني وقد علمت ما فيهما خصوصاً اذا لاحظنا ذلك الداء الوبيل سقوط قسط عظيم من اللغة ذهب ضحية الوقار والحشمة المفتعلين ولا رهبانية في اللغة فالى حل هذه العويصة نلفت نظر المجمع الموقر .

ولا نكتفي منه باستدراك اغلاط الكتب المذكورة وطبعها خاصة كما استدرك

العلامة الموفّق تيمور باشا اغلاط اللسان والقاموس وذلك لوجوه مقبولة ·

اولاً ان اغلاط الكتب الثلاثة المذكورة كثيرة جداً · وثانياً ضياع الوقت الكثير ايضاً فانه يلزم حينئذ لمراجعة كلمة في المحيط او الأقرب ان يرجع الباحث ثانياً الى تصحيحها في المستدرك وهو ما فررنا منه من ضياع الوقت · وثالثاً ما بقي على تلك الكتب مما حذف منها بعلة الحشمة ·

لذلك نرجو ان يسعى المجمع الموقر حثيث السعي لطبع معجم لغوي « موقتاً » على منوال اقرب الموارد من حيث الترتيب فقط و يستدرك ما في الكتب المذكورة من الاغلاط ويتم ما فاتها بعلة الحياء المتكلف الى ان يتهيأ للناطقين بالضاد تأليف معلمة عربية وافية بحقوق اللغة العربية يتعاون عليها قادة اللغة في مصر والشام والعراق مع مساعدة حكومات الأقطار الثلاثة ومجامعها العربية وجامعاتها العلمية ونواديها الادبية ·

ونرجو من المجمع الاشارة الى احسن معجم موجود الآن يعتمده الكتاب ريثما يتهيأ للمجمع طبع المعجم الذي اقترحناه ·

(رباط الفتح) : مستنجد

استرأى الاستاذ (المستنجد) مجمعنا العلمي في أحسن معجم يعتمده الكتّاب للمراجعة اليوم · وانا ذاكر له طريقتي في مراجعة كلمات اللغة : ذلك انني اذا كنت اكتب مقالة لتنشر في الصحف او كتاباً أراسل به الاخوان اكتفيت اذ ذاك بمراجعة اي معجم من الثلاثة التي ذكرها الفاضل المستنجد وغيرها مما تسهل المراجعة فيه · وخيرها عندي (أقرب الموارد) على علاته · اما اذا كنت أؤلف كتاباً او أحضّر درساً او أنشيء محاضرة او مقالة لغوية أتوقع من ورائها الأخذ والرد بيني وبين غيري فاني حينئذ لا أعتمد الا على الأمهات : التاج واللسان والصحاح والاساس وأمثالها مما تركه لنا علماء اللغة الأقدمون فانها هي التي يجب ان يعتمد عليها المؤلفون والمحاضرون والمناظرون والشارحون والمدرسون · ولا أظن انه يتيسر لنا اليوم وضع معجم يثق الناس به كل الثقة · اللهم الا اذا اجتمع على جمعه وتنسيقه وتحيصه طائفة كبيرة من علماء اللغة في

الأمصار المختلفة. وهذا لم تتوفر وسائله في الوقت الحاضر للمجمع العلمي ولا لغيره. وربما توفرت بعد حين. «المغربي»

صاحبة المنتخبات العصرية

نزولاً على رغبة صديقي العلامة الاستاذ المغربي التي ابداها في الصفحة ٤٤٤ من مجلد السنة الحالية لمجلة مجمعنا العلمي أذكر له ماعلمته من امر السيدة «كلثوم نصر عودة» صاحبة كتاب المنتخبات العصرية لدرس الآداب العربية.

ان هذه السيدة ناصرية الاصل نسبة الى مدينة الناصرة التي ينتسب اليها سيدنا المسيح عليه السلام وهي من أسرة نصرانية معروفة هناك وقد كانت تعلمت في مدارس الارساليات الروسية وتزوجت من طبيب رومي كان في الناصرة اسمه الدكتور واسيلوف وذهبت معه الى بلاده بقصد الزيارة فداهمتهما الحرب الكونية وتوفي زوجها وظلت هي وبناتها الثلاث الصغيرات فعنيت بامرهن احسن عناية وقامت باودهن خير قيام واشتغلت بزراعة الارض واستغلالها طلباً للقوت لها ولبناتهـا ولم يمنعها كل ذلك عن تمريض الجرحى في الحروب وصارت تعتقد ان المرأة تستطيع ان تعيش دون ان تحتاج الى رعاية رجل او حمايته كما قررت ذلك في مقالها المدرج في مجلة الهلال الغراء «م ٣٥ ص ١٠٤٣ — ١٠٤٦» الذي نال الجائزة في موضوع كيف يعيش المرء هنيئاً في هذه الحياة.»

وقد جاءت منذ شهرين الى موطنها وحدها باحثة عن النهضة النسائية في الشرق وكانت تنوي الذهاب الى دمشق الا ان السلطات المنتدبة لم تسمح لها بهذه الرحلة فالسلطات الفلسطينية تراقبها خيفة ان تكون داعية للبلشفية والسلطات السورية تحظر عليها الدخول الى دمشق وغيرها من المدن السورية وقد سألتني عندما تقابلنـا عرضاً في إدارة جريدة الكرمل في حيفا عن حبيبنا الاستاذ كرد علي والاستاذ المغربي اذ كانت تتوقع ان يسمح لها بالذهاب الى دمشق فتقابلهما. ولعلها كانت تسأل عن الاستاذ المغربي حين كان الاستاذ يكتب عبارته بالثنـاء عليها والسؤال عنها.

وهي بسيطة الزي والملبس بشوشة الوجه طليقة المحيا شأن الذين يرتضون بما أوتوا والظاهر ان روح الرجولة وحب اقتحام المخاطر قد انتقلتا من السيدة كلثوم الى بناتها فعمدت احداهن الى تعلم الفنون البحرية لتكون يوماً ربانة سفينة ، والاخرى الى الفنون الهندسية وهي مكبّة على درس الرياضيات برغبة عظيمة على ما قالته لنا ·

والسيدة كلثوم التي تحمل اسم كلثوم عودة فاسيليفيا هي اليوم احدى اساتذة الفرع الشمالي في جامعة لينينغراد « بطرسبرج القياصرة » ·

اما غرضها من بحث النهضة النسائية في الشرق فهو لوضع أطروحة في هذا الموضوع تحصل بها على لقب علمي حين تعود الى مزاولة عملها قريباً ·

وقد زارت مدن فلسطين الكبرى وخطبت في نواديها فكانت محل الرعاية والاكرام كما كانت في روسيا مثال الشجاعة والاقدام ·

عبد الله مخلص

نفائس المخطوطات

« في دور كتب المدينة المنورة »

(المكتبة المحمودية) من نوادرها :

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي (التفسير رقم ١٢٤)

(٢) الإشراف بمعرفة الأطراف لابن عساكر (الحديث رقم ٥٠٢)

(٣) نزهة الألباب في الألقاب والمغني في ضبط الأسماء والأنساب للحافظ بن حجر (اسماء الرجال رقم ٤)

(٤) معالم الايمان تاريخ القيروان لابن ناجي (التاريخ رقم ٥٨)

(٥) المحلى لابن حزم (الفقه الظاهري رقم ١—٨)

(٦) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر والقسم الاخير بخطه (التاريخ رقم ٢٦ و٢٦٨)

(٧) ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر للسخاوي (التاريخ رقم ٣٣)

(٨) تاريخ المدينة المنورة للسخاوي (التاريخ رقم ٤١)
(٩) تاريخ بغداد للخطيب (اجزاء منه متفرقة)
(١٠) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر بخط السخاوي (التاريخ رقم ٩٧)
(١١) مختصر العين لابي الحسن الحوافي (اللغة رقم ٣٠)
(١٢) كتاب العظمة لابن حبان (الحديث رقم ٥٧)

(مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت) من نوادرها :

(١) تاريخ اليمن مدة ولاية حسن باشا من سنة ٩٨٨ الى سنة ١٠١٠ هـ (التاريخ رقم ١٧)

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون لاحمد بن يوسف المعروف بالسمين (التفسير رقم ١٠٨)

(٣) مختصر كتاب المقعد المقيم لابن الجوزي وهو منظومة في اصول التفسير (التفسير رقم ١٥٥)

(مكتبة السادة) من نوادرها :

لباب الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي كتب سنة ٧٣٥

(مكتبة رباط سيدنا عثمان) من نوادرها :

كتاب الكشف في القرآت للزمخشري (القرآت رقم ٥٩)

شرح منظومة ابن سينا في الطب لابن رشد الاندلسي خط مغربي ومنظومة في الكيمياء له ايضاً (مجموعة رقم ١٨)

كتاب الانساب لابن الشحنة (اصول الحديث رقم ١٨)

(مكتبة سافزلي) من نوادرها :

تحفة الدهر في اعيان المدينة من اهل العصر لعمر بن عبدالسلام الداغستاني بخطه

خلاصة الجواهر في طبقات الحنفية لعبد السلام الداغستاني بخط مؤلفه

(لمكتبة البساطية) من نوادرها :

كتاب الانساب لابن الشحنة وفيها ايضاً نظام المملكة في الاماكن المتبركة لعبد الرحمن بن اسلم المكي

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

نجد الشمالية

كتاب باللغة الانكليزية وضعه الاستاذ (الواموزيل) مدرس العلوم الشرقية في جامعة شارلس في براغ ، وطبع بمعرفة الجمعية الجغرافية الاميركية المختصة بالابحاث الشرقية . بلغت صحائفه ٣٦٨ وطبعه متقن . جمع المؤلف معلوماته من الرحلة التي قام بها في جزيرة العرب سنة ١٩١٤ ، ومن الملاحظات الخاصة التي رآها بنفسه ، ومن التقارير المحفوظة في دوائر المقيم البريطاني في خليج العجم والوكالة السياسية في مسقط والقسم السياسي الخارجي لحكومة الهند حتى نهاية سنة ١٩٠٥م ومن المعاهد العلمية والمكاتب والمتاحف البريطانية والاميركية . والاستاذ يبحث به عن رحلته لتحديد الحدود حدود نجد الشرقية والجنوبية بقصد اتمام ابحاث الكتاب الذي اصدره قبلاً عن رحلته في سنة ١٩٠٩ والتي نجح فيها بتخطيط الحدود الشمالية والغربية وتدقيق المصورات المتداولة وتصحيحها ، وقد اورد في عرض بحثه خواص وطبيعة الاراضي التي مر بها ، وتوسع في عادات القبائل المختلفة التي صادفها ، واعتنى خاصةً بايراد اصول القبائل وفروعها وتسلسل الأُسر المالكة اخص منها قبائل شمر وامارة ابن الرشيد وامارة نجد . وقد نشر جداول مشجرة مما يسهل على المحققين المراجعة على ايسر وجه .

وبعد ان بحث عن الامور الطبيعية والجغرافية التي كانت الغاية من رحلته في الجزيرة ، انتقل الى درس تاريخ امارة ابن الرشيد الى آخر ايامها واستيلاء ابن السعود على مقاطعاتها ، ثم واصل بحثه فذكر نشوء المذهب الوهابي وتاريخ امارة نجد بالتفصيل واستيلاء عبد العزيز بن السعود على مملكة الحجاز واعلان ملكيته عليها بالاتفاق مع رؤساء قبائل نجد رغم الوعود الكثيرة التي قطعها على نفسه بترك ادارة امور الحجاز بيد الامم الاسلامية . ثم تكلم عن المعاهدات العديدة التي عقدت بين امراء جزيرة العرب وبريطانيا العظمى وعن تاريخها واهم ما جرت ، وعن المعاهدة التي عقدت بين الادريسي وبين ملك الحجاز ونجد وملحقاتها والتي كان من شأنها ادخال امارة

الادريسي تحت حمـاية الاخير ، ونسب سقوط البيت الهاشمي الى عدم استعداده للطوارئ ولارادة بريطانيا العظمى ·

واهم ماينهي به كلامه رأيه الخاص في احتمال مستقبل المملكة الحجازية السعودية فهو يقول : ان مملكة عبد العزيز بن سعود قائمة على خوف القبائل النجدية من شخصيته البارزة وهو يشير الى ان توسعه لم يكن الا بارادة بريطانيا ، فلولا معونة هذه الدولة لما تمكن من انشاء هذه الامبراطورية ولا اسعده الحظ في ابقائها بعد ذلك التوسع · ومع ذلك فمن الصعوبة ان يحكم مملكة كبيرة كهذه رغم مساعدة الحكومة البريطانية له ، بالنظر للصعوبات التي تصادفه والتي تزداد مع مرور الزمن ، و يعتقد ان الاخوان الذين دأبهم الغزو ، والذين استعملوا لمحاربة الاعداء سيكونون في المستقبل وبعد انتهاء الخلافات الحاضرة وسيلة لنشوء الاضطراب الداخلي · كما انه ليس من السهل ان تكون القبائل النجدية اساساً متيناً لتثبيت دعائم هذه المملكة الواسعة لانها مع رؤسائها ترفض طاعة الملك الحالي حينما يرون منه اقل تهاون في اتباع اصول ديانتهم وممارستها في سائر انحاء المملكة · فهم يتهمونه منذ الآن بتساهله مع المسلمين في الحجاز ، وبطاعته للاوربيين و يأخذون عليه موقفه في ادخال الاصلاحات الجديدة وارساله اولاده الى اوربا ومصر · وهم على استعداد لمحاربة كل بدعة يجدونها مخالفة لاعتقاداتهم الخاصة · والكتاب بمجموعه جدير بالمطالعة والبحث والاقتناء لانه جمع من المعلومات أصحها وادقها سواء من الوجهة الجغرافية او التاريخية ·

دمشق : عبد الرحمن الجوخدار

* * *

(ملاحظة) : كان الاجدر بالمؤلف ان يكتب الحروف الصوتية كما هي في اللغة الانكليزية بدلاً من استعمال الحروف الصوتية الالمانية فقد وضع حرف (ج j) في موضع حرف (y ي) وحرف (ك g) بدلاً من حرف (ج j) وغير ذلك من امثال هذه الحروف ·

اصول الزراعة الحديثة

« تعريب شحادة متري برباري يقع في ١٩٠ صفحة من القطع الصغير »
« والاحرف الكبيرة »

هذا الكتاب الصغير من أغرب ما وقع عليه نظري لأن مترجمه تعلم الزراعة بالمراسلة ولأن الاصل المترجم عنه كتاب من كتب مدارس المراسلات الانكليزية ٠

حبذا لو علم حضرة المترجم ان الزراعة في بلاد الشام لايمكن تعلمها من رسائل ترد من لندن وان الكتب الزراعية لا تكون مفيدة في بلادنا الا اذا كان مؤلفها قد اطلع (بعد درس عدة سنوات درساً عملياً) على اقاليم هذه البلاد واتربتهـا والأحداث الجوية فيها واصناف زروعها ومغروساتها والشرائط الاقتصادية فيها وما يمكن او لايمكن اتخاذه من القواعد العلمية الى غير ذلك مما لايراه الانسان في الكتب الزراعية الاجنبية ٠ ولهذا ليس لكتب الزراعة التي تترجم عن اللغات الاوربية كبير فائدة لأنها ان حوت شيئاً من القواعد الفنية فهي لا تبين ما اذا كان يمكن تطبيق هذه القواعد في اقليم الشام ام لا ٠ ومن البديهي ان يكون لكل اقليم زراعة ورب قاعدة يفيد اتباعها في لندن تكون مضرة كل الضرر في الشام ٠

طالعت كثيراً من صفحات الكتاب فوجدت ان حضرة المترجم لم يهضم المواضيع فغلط في بعضها واورد بعضاً على شكل لا يفهمه طالب العلم ٠ فمما غلط فيه تفسيره البروتين بأنها مادة من المواد النشائية ٠٠ (ص٦٨) وتفسيره الروث بالبول (ص١٦) الخ ٠ ومما ترجمه ترجمة سقيمة اضاعت الفائده والمعنى بحث نترات الصودا (ص١٠٢) وكبريتات النشادر (ص١٠٣) وغير ابحاث ٠

اما من حيث اللغة فكل صفحة في الكتاب فيها غلطة اوغلطات منها ماذاغلط بها احدهم فهو يكون اقرب الى تعلم العربية في المدارس منه الى الترجمة والتأليف كتسمية القثاء والباذنجان والذرة والكزبرة بالفاظ « مقثي و بتنجان وذرا وكزبرا » (ص٩٧ و ٩٨) وكتسمية الطين دلغاناً والاصطبل آخوراً وقطعة الارض شقفة الى غير ذلك مما لايجوز درجه في كتاب ٠ ولم يوفق المترجم الى ذكر مصطلح واحد

من المصطلحات العلمية على شكل صحيح ولاسيما اسماء الآلات .

واغرب ما في الكتاب ان الشيخ ابراهيم منذر قدمه الى القراء بمقدمة قال فيها انه من افضل الكتب التي وضعت حتى اليوم لكنه اعترف بعد بضعة اسطر بالحقيقة قائلاً « انني اجهل اصول هذا الفن » . « الشهابي »

تاريخ الادب العربي

« تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر سنة »
« ١٣٤٧ — ١٩٢٨ » على نفقة لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة »
« سنة ١٩١٤ ص ٤٠٣ »

مؤلف هذا الكتاب غني عن تعريف علمه وادبه وبلاغته الى قراء العربية . وقد تكلما باسهاب على هذا الكتاب الممتع (مجلة المجمع م ٧ ص ٨٤) في طبعته الثانية وها قد طبعه الطبعة الرابعة وفيها من الاستيعاب والتحرير والدقة شيء كثير فقد عقد فصولاً في النهضة الادبية خارج القطر المصري وزاده تمحيصاً ونظراً لجاء محكم الاوضاع جميل الصنع يجتزئ به طالب هذا الفن الطريف عن المطولات المملة ولعل صديقنا المؤلف يستقصي زعماء الانشاء والادب في العصور الاولى مثل عمرو بن مسعدة وسهل بن هرون وابي حيان التوحيدي ويحيى بن عدي وغيرهم من الائمة الذين زانوا عصورهم ومن مصلحة الطالب ان يعرف ارواحهم وعقولهم ويتربى على ملكاتهم في البلاغة . امتع الله بما يكتب ويبدع فيه دولة الادب . م . ك

التطفيل

« للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ عني بنشره السيد حسام الدين القدسي »
« طبع بمطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٦ هـ ص ١٠٨ »

هذا مختصر في حكايات الطفيليين واخبارهم ونوادر كلامهم واشعارهم انطوى على الفكاهة والادب مثل الكتب التي سبق نشرها كعقلاء المجانين واخبار الحمقى

والمغفلين وقد اخذه الناشر عن نسخة المرحوم الشيخ عبد القادر بدران من اساتذة دمشق معارضاً له بصورة نسخة الخزانة التيمورية العامرة في القاهرة وعلق عليه حواشي مفيدة في اللغة والادب اقتبسها من الامهات ومنها كتاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي الذي قال الناشر انه بعده للنشر فله الشكر على حسن خدمته لادب العرب ·

م · ك

مقتطفات من تاريخ ابن طولون

نشر الاستاذ ريشار هارتمان استاذ المشرقيات العربية في جامعة هايدلبرغ واحد اعضاء المجمع العلمي العربي رسالة في ٥٥ صفحة لابن طولون الدمشقي وفيها حوادث يومية وقعت في مصر والشام من ٨٨٥ ه الى سنة ٩٢٦ ه ومن جملة ماجاء فيها وصف دخول السلطان سليم الاول وفتح العثمانيين الشام ومصر وفي جملتها الرسالة التي صدرت عن السلطان الى اهل البلاد يبشرهم فيها بفتح مصر وتغلبه على المماليك الجراكسة وقد كتب بعربية لا بأس بها فللناشر العلامة عظيم الشكر على خدمته للعلم والتاريخ ·

م · ك

شؤون مصرية

« تأليف عزيز خانكي بك طبعة ثانية بالمطبعة المصرية بمصر ص ١٥١ »

هذا كتاب جميل فيه فوائد وافكار في السياسة الزراعية والسياسة المالية والتجارية والاقتصادية والقضائية والتشريعية والتعليم في القطر المصري · ومؤلفه الاستاذ من ارباب الاقلام ورجال القضاء فيه · تقع في سفره على امور نافعة في تطور الحياة المصرية من كل وجوه نهوضها وقد كتب بقلم لا يصدر الا عمن يتوخى خير امته ونفعها نفعاً عملياً لاخيالياً فمثل هذه الموضوعات اعود على مصر وعلى كل مصر من خيالات المفرطين من الخياليين · وبمثل هذه الافكار ومعالجتها ترقى الامم · فلابي عذر هذا الكتاب اللطيف الشكر على ادبه الذي ينفع الناس ·

م · ك

كتاب شـرح البيع

« تأليف الاستاذ حلمي عيسى بك وزير المواصلات سابقاً في الحكومة »
« المصرية ، مطبوع في مطبعة المعارف بمصر طبعاً متقناً في زهاء سبعمائة »
« صفحة سنة ١٣٣٤ هجرية ، وهوشرح لاحكام البيع في القوانين المصرية »

من يعلم ان القوانين المصرية مأخذها الشريعة الاسلامية والقانون الافرنسي مع بعض تغييرات اقتضتها العادات في تلك البلاد ، يدرك ان شارح القوانين المصرية يجب ان يكون على احاطة بجميع ذلك مع الوقوف على اجتهاد المحاكم قديماً وحديثاً ليوفي البحث حقه ، فالاستاذ الشـارح اظهر في شرحه هذا لأحكام البيوع التي هي اهم العقود وادق مباحث القانون المدني ، سعة اطلاع اشبع به الموضوع تفصيلاً وتطبيقاً بعبارة صحيحة سهلة . فانه يذكر نص المادة في القانون الاهلي ، ونص ما يخالفها في القانون المختلط ، ونص المادة في المجلة و يرجع الى بعض الشروح الفقهية .

هذا الكتاب وان كان شرحاً لاحكام جارية في محاكم مصر فقط ، الا انه لا يخلو من تنوير للحقوقيين عندنا ايضاً فيما لا يخالف احكامنا وفيما يصلح لبيان الحكمة التشريعية ، فنتمنى ان يوفق المؤلف الى وضع شرح لسائر الابواب الفقهية ونشكر له على هديته .

من اعضاء المجمع العلمي
مسعود الكواكبي

كتاب السمط الثمين
في مناقب امهات المؤمنين

تأليف الامام محب الدين احمد الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ وهو كاسمه في تراجم ازواج النبي (ص) وكيفية معاشرته إياهن وسائر احوالهن ، وفيه ذكر بعض نساء من الاسرة النبوية ، مطبوع في المطبعة العلمية بحلب لصاحبها الاستاذ راغب الطباخ احد اعضاء المجمع العلمي ، في زهاء مائتي صفحة وسط .

مزية هذا الكتاب انه جامع ما تفرق في كتب الحديث والسيرة والتراجم ، فهو

مما تزين به المكاتب ، فنشكر الاستاذ الطابع الذي يحسن تخير ما يطبعه من الكتب النادرة .
له

كتاب اعظم حرب في التاريخ

وضعه لطلبة التاريخ الحديث ، استاذ البيان العربي في جامعة بيروت الاميركية السيد جرجس الخوري ، وهو كفهرس اجمالي لمعظم حوادث الحرب الكبرى المنقضية مع بيان تاريخ كل حادث بالشهر واليوم ، وفيه رسوم اعظم ابطال تلك الحوادث ، في مائة وثمان وعشرين صفحة ، طبع هذه السنة في المطبعة العلمية في بيروت ، فلمؤلفه الشكر على هذا الاثر الموجز المفيد .
له

كتاب النجوم الشارقات

« في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات »

كتاب طبع في المطبعة العلمية بحلب في زهاء خمسين صفحة ، ليس فيه مما يختص بعلم الميقات شيء ، بل جله في معالجة بعض الصباغات والدهانات والمعادن ، فلعل تسميته (في عمل الليقات) — كما وردت في محاضرة للزميل الاستاذ المعلوف — اصح ، وهو للشيخ محمد بن ابي الخير المتوفى في اواخر القرن العاشر . يعرف منه حال الصناعة في ذلك التاريخ .
له

المسيح المخلص والثورة اليهودية

اسم لكتيب يقع في ثمانين صفحة بقطع الثمن الفه السيد انطونيوس الرومي مطران (كيّف) وغاليسيا . وعربه الارشمندريت توماديبو المعلوف رئيس دير سيدة البلمند في شمال لبنان . والمعرب المذكور اديب معروف عند قراء هذه المجلة التي سبقت أن نشرت له مقالات عدّة .

هذا تأليف روحي وعبارة التعريب لا بأس بها ، موضوعه تفسير بعض الآيات

الانجيلية تفسيراً استنتج منه المؤلف بعض الحوادث التي تنم عن استعداد زعماء اليهود في زمن المسيح الى القيام بالثورة الوطنية ضد دولة الرومانيين وهي الثورة التي انفجرت بعد المسيح بستين عاماً وجرّت الويل والثبور الى المملكة اليهودية ، وهو اجتهاد شخصي خرج فيه المؤلف الروسي عن تقاليد من سبقه من المفسرين ، ولكنه اجتهاد معقول ومحمود لا ينافي في شيء تعليم الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية .

عضو المجمع العلمي العربي
عبد الله رعد

العفو عند المقدرة

او المأمون وعمه ابرهيم بن المهدي

هي رواية تاريخية تمثيلية ذات اربع فصول الفها الخوري نقولا ابو هنا الراهب المخلصي مدرس اللغة العربية في مدرسة دير المخلص للرهبان الروم الكاثوليك قرب صيدا . طبعت في مطبعة الدير المذكور فجاءت كتيباً ذا مئة وعشرين صفحة ورقه حسن وحرفه جلي ولغة هذه الرواية عربية فصحى وفيها كثير من امثال العرب البليغة التي قلما استعملها الادباء اليوم فيما يكتبون . وقد تخللت النثر مقاطيع من الشعر الجيد .

فالمجمع يشكر لحضرة المؤلف هديته ويتمنى لو انه لم يحفظ لنفسه حق التمثيل اذاً لعم تمثيلها في المدارس وغير المدارس . فالبلاد في حاجة الى مثل هذه الروايات العربية كي تستعيض بها عن الترجمات التي لا تتوافق في بعض الاحيان مع اذواق اهل بلاد الشام .

له

Introduction à l'Astronomie Nautique Arabe. Par G. Ferrand
Paris 1928

« مقدمة في علم الفلك الخاص بالملاحة عند العرب ٠ لجامعه غابريل فران »
« باريز ١٩٢٨ وعدد صفحاته ٢٥٥ ٠ »

سبق للعلامة الاستاذ غابريل فران ان اتحف المطبوعات العربية بأثرين جليلين في علم الملاحة : الاول لابن ماجد والثاني للمعلم سليمان المهري ولم يشأ الاستاذ ان يقف عند هذا الحد بل تعداه لما هو اعم نفعاً واجزل فائدة ذلك انه عززهما بثالث لا يقل عنهما شأناً ٠ فجمع فيه اهم ابحاث علماء الغرب عن علم الفلك الخاص بالملاحة عند العرب وعلق الاستاذ عليها تعاليق نفيسة فاصبحت هذه المجموعة نعم العون على فهم المصطلحات الفنيـة التي جاءت في تأليفي ابن ماجد والمعلم سليمان كما انه سيفتح هذا الكتاب باباً للجدل في هذا الموضوع تنجلي فيه حقائق مفيدة للمشتغلين بهذا الفن وان مجمعنا العلمي ليشكره على هذه الهدية الثمينة اعظم الشكر ٠

جعفر الحسني

مجلة الرابطة الشرقية

كانت تألفت في القاهرة منذ سبع سنوات جمعية باسم الرابطة الشرقية ومن اسمها يدرك القارئ غايتهـا والغرض من تأسيسها فهي بعيدة عن التحزبات السياسية والمجادلات الدينية ولا تهتم الا بتوثيق روابط الود والاخاء بين الشعوب الشرقيـة كافة وقد تولى رئاسة هذه الجمعية الاستاذ السيد عبد الحميد البكري ودخل في عضويتها طائفة من رجالات مصر وعيون فضلائها وقامت الجمعية في خلال هذه المدة بما اخذته على عاتقها من امر توثيق الروابط بين الشرقيين فكانت تقيم حفلات تدعو اليها الطرَّاء على مصر من عظماء رجال الشرق وتكون همزة وصل للتعارف بين المدعوين ٠ وقد اقامت عدة من جنس هذه الحفلات كان لها التأثير الحسن في النفوس والعواطف ٠ ولم تكتف بذلك بل كانت الجمعية تقيم حفلات للمحاضرات كان المحاضرون يلقون فيها محاضراتهم في الموضوعات الشرقية المختلفة وهكذا اعمال

أخرى من اعمال الدعاية والنشر ولم يبق عليها سوى انشاء (مجلة) تساعدها على ماهي بسبيله من امر خدمة الروابط الشرقية فأنشأتها الآن باسم (الرابطة الشرقية) وهي تصدر موقتاً كل شهرين مرة . اطلعنا على الجزء الاول منها فراقنا تنسيقه وتبويب ابحاثه وما احتوى عليه من جليل المطالب في الابحاث المختلفة من ذلك مقال بتوقيع احمد شفيق باشا وكيل الجمعية ومدير مجلتها المالي تضمن البحث فيه ماضي الجمعية وحاضرها ومستقبلها ومقال آخر في المرحوم (السيد امير علي) ومقال عن المرحوم (ثروت باشا) للاستاذ طه حسين ومقال آخر له عن (ضمير الغائب واستعماله كاسم إشارة في القرآن الكريم) وغير ذلك من المقالات الممتعة والنبذ المفيدة وان مجمعنا العلمي يرحب بمجلة الرابطة الشرقية كما يرحب بجمعيتها و يدعو لها بالتوفيق والثبات .

« المغربي »

(تنبيه) : كنا نشرنا في الجزء الاول والثاني من هذه السنة طائفة من صور اعضاء مجمعنا العلمي وقد جاء تحت الرقم (٨) ان الصورة هي للاستاذ بركلمن الالماني وهذا خطأ صوابه ان الصورة هي للاستاذ ستِرستِن عضو المجمع العلمي في اوبسالا (السويد) .

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف المعجم »

« حرف الألف »

« حرف الباء »

« حرف الفاء »

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبةً على حروف المعجم »

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية ننبه اليها فيما يلي :

في ص ٣٠ سطر ١٩ (جزء ٢ ص ١٨٤) صوابه (قسم ثاني ص ١٨٤٠) . وفي ص ٥٠ سطر ١٦ عظيمة صوابها عظيم . وفي ص ٦٤ رسوم الاعضاء رقم ١٨ برو كان صوابها ستر-تن . وفي ص ٦٩ سطر ١٥ حبشي صوابه الحبشي . وفي ص ٧١ سطر ١٦ و ضعينها صوابها واضعيها . وفيها سطر ٢٠ لمعض صوابه بعض . وفيها سطر ٢١ با صوابها لما . وفي ص ٧٢ سطر ٧ داؤ د صوابه داود . وفيها سطر ٢٠ داؤ د صوابه داود . وفي ص ١٠٥ سطر ١٦ تكتب صوابها يكتب . وفي ص ١٠٧ سطر ١٣ لدله صوابها الدولة . وفي ص ١١٢ سطر ٢٠ فتنشرح صوابها فتشرح . وفي ص ١١٣ سطر ١٠ الدواء صوابها الدواة . وفي ص ١١٤ سطر ٨ بلوح صوابها اللوح . وفي ص ١٢٣ سطر ٩ احصائيات صوابها إحصاءات . وفي ص ١٥٣ سطر ١٥ جعفراً صوابها جعفر . وفي ص ١٨٦ سطر ٤ نقاضونه صوابها نقاضوه . وفي ص ١٩٥ سطر ٢٣ محمد صوابه محمداً . وفي ص ١٩٦ سطر ٨ فأجابت صوابها فأجاب . وفي ص ١٩٧ سطر ٢٤ يرفعوا صوابها يرفعن . وفي ص ١٩٩ سطر ٢٤ للعجرة صوابها للعجزة . وفي ص ٢٠٠ سطر ١٥ الإنة صوابها الإنة . وفي ص ٢٠٦ سطر ٥ عد صوابه عن . وفي ص ٢٢٤ سطر ١٩ يشتهون صوابها يشبهون . وفي ص ٢٣١ سطر ٧ اللاات صوابها اللغات . وفيها سطر ٨ مش ت الصواب ومشاغل البيت . وفيها سطر ٩ و علم الصواب والعلم . وفي ص ٢٦٠ سطر ٣ اللغة الصواب للغة . وفي ص ٢٦٥ سطر ٦ القحفحة الصواب القحقحة . وفيها سطر ١٧ مفصحاً الصواب مفصحة . وفي ص ٢٦٦ سطر ١٧ دن الصواب دون . وفي ص ٢٦٧ سطر ٤ فانك الصواب فانك . وفي ص ٢٦٩ سطر ٣ كتابة الصواب كتابه . وفيها سطر ٤ قالا الصواب قال . وفي ص ٢٧٠ سطر ٤ خلافا الصواب حلافا . وفيها سطر ٧ آمنا صوابه أمناً . وفيها سطر ٩ كا الصواب كأن . وفي ص ٢٧٤ سطر ٢٠ مذاب الصواب مذهب . وفي ص ٢٧٥ سطر ١ كتابته الصواب كتابه . وفيها سطر ١١ بأسنا الصواب يأمنا وفي ص ٢٧٩